

نَفْسِیْرُ الْقَلْبِ الْحَظِیْمِ

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن كثير الفرشي الدمشقي
المتوفى ٧٧٤ هـ

تخرج وتحقق وإفادة وتعالج

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَيْفِ الثُّغْرِيِّ النُّفَيْعِيِّ
أَبِي مُعَاذٍ قَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُلْهِىَ عَزَّ الدِّينَ الْحَمِيرِي الْعِدْنِي

مراجعة

السَّخِيحُ مُفِيدٌ جَمْعُهُ السَّخَاوِيحُ

المجلد الثالث

دارالراية للنشر والتوزيع

الحمد لله الذي
جعل القرآن الكريم

نفسية القرآن العظيم

جميع الحقوق محفوظة لدار الراية للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الراية للنشر والتوزيع

الربوة - طريق عمر بن عبد العزيز - الرياض ١١٤٩٩ ص.ب : ٤٠١٢٤

هاتف : ٤٩١١٩٨٥ فاكس : ٤٩٣١٨٦٩

جدة - حي الجامعة - هاتف : ٦٨٨٥٧٤٩

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فالحمد لله الذي وفق الأخوين الفاضلين لإتمام المجلد الثالث من تفسير ابن كثير وأرجو الله أن يوفقهما لمواصلة المسير لخدمة كتب السنة .

والأخوان القاسمان شأنهما شأن علمائنا السابقين فربما يختلفان في تصحيح الحديث وتضعيفه أو يختلفان في توثيق الراوي وتجريحه فذاك يأخذ بقول الإمام أحمد وآخر يأخذ بقول أبي زرعة وأنا في جميع الكتب التي أراجعتها لإخواني في الله ربما أرى فيها ما يخالف ما أرى وتكون حجة الأخ قوية فأتركه وما رأى لثلاث أعطى ما أعطاه الله من الموهبة وأدعوه إلى تقليدي ، فمثلاً الأخ قاسم بن عبده بن ملهي عز الدين يرى أن شهر بن حوشب تقوم به الحجة وأنا أرى أنه يصلح في الشواهد والمتابعات لسوء حفظه وبما أن علمائنا المتقدمين اختلفوا في شأن شهر فلا أتجبر على أخي في الله قاسم وألزمه برأيي .

هذا وإننا نعتذر إلى إخواننا في الله محبي السنة الذين تأتينا رسائلهم في السؤال عن تفسير ابن كثير نعتذر من التأخير إذ الأخوة ليسوا متفرغين للبحث ولكنهم مشغولون بالتعلم والتعليم والدعوة إلى الله فهم يجعلون لكل شيء قسطه والحمد لله قد حقق الله خيراً كثيراً والفضل في هذا لله وحده .

والحمد لله رب العالمين

أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

□ مقدمة المحققين □

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله الصالحين وصحابه الراشدين ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنني أكتب هذه المقدمة قائماً بها عن نفسي وموكلاً بها عن أخي وزميلي في التحقيق أبي عبد الله قاسم بن أحمد بن سيف التعزي النقيعي وهي تحتوي على ثلاث فقرات .

أولها : عملاً بقول الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ وقوله ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ نشكر الله ونحمده على هذه النعمة المبذولة أعني تيسير السبيل وسهولته لتعلم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبها عمت الصحوة الإسلامية والتربية الدينية ما تحت أديم السماء وانتشر هذا الدين بعلمه في مشارق الأرض ومغاربها بذل ذليل أو بعز عزيز ، ولا يسعني إلا أن أسأل الله تعالى أن يزيد جميع العاملين لهذا النشاط المشاهد علماً وإثباتاً وفهماً .

ثانيها : انطلاقاً من قول الله عز وجل ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ نبين أن الفضل في هذا الله تعالى أولاً ثم لشيخنا ومعلمنا الذي يعتبر لكل تلميذ عنده أباً رحيماً ، ومرشداً حكيماً ، ومعلماً عليماً ، عارفاً أحوالهم متفرغاً لهم صابراً عليهم محسناً إليهم ومع كونه يفيد من كان حاضراً طالباً كذلك لا تفوت فائدته من كان محباً غائباً فالتناس يستفيدون من قراءة كتبه وسماع أشرطته في كل مكان ألا وهو شيخنا أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله فقد حصل بسببه ما لم يكن متوقعاً وليست هذه الورقة حاكية ما قد حصل أو محصية هذا العمل فلو فعلنا لطال الكلام وثقل الكتاب وقد قلت فيه قصائد من بعضها قولي في قصيدة طويلة :

أعاد النور بعد الاغتراب
ومن عاداه سود كالغراب .. إلخ

وأشكر شيخنا أعني ابن هادي
فأصبح شيخنا المذكور نوراً

وقولي في أخرى :

إلى الأقوال نبقى سامعين
وحلمت وقد صرت الأمين .. إلخ

ألا يا شيخنا زدنا فإننا
ونحن بحاجة ولقد رزقتم

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وبارك الله في علمه وفي سعيه وعمله .
 ثالثها : جرى الله خيراً كل من ساعدنا أو دلنا وأرشدنا إلى طلب العلم النافع الذي
 هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عوناً لهما كاللغة العربية ومصطلح
 الحديث وغير ذلك .

هذا ولم نتعرض للكلام عن تفسير ابن كثير فقد تكلم عنه شيخنا كما في المجلد الأول
 إلا أن عملنا فيه كما يلي :

أولاً : تخرج الحديث والحكم عليه وهذا بفضل الله لم يفتنا منه إلا بضعة أحاديث
 لم نرها بعد تأكد أكيد وفحص شديد من الفهارس والمضامن وغالب ظننا فيها أن الحافظ كتبها
 من حفظه وعزاها ولم يعد فيها نظراً فلذلك وهم وقد قيل :
 ومن ذا الذي ترضى سجايها كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

ثانياً : تخرج الآثار والحكم عليها إلا أن اهتمامنا في البحث عن الأثر أقل منه في البحث
 عن الحديث لأهمية هذا ، لذا تركنا بعض الآثار إما لعدم رؤيته المتيسرة وإما لعدم وجوده والأول
 أكثر .

ثالثاً : قد نبه على مسائل فقهية يحتاج الموضع لها .

هذا وقد انفرد أخي بسورة الأنعام أجمعها ، وقد انفردت بسورة الأعراف أتبعها أما
 في غير هاتين السورتين فقد اختلط الكلام وتعاونت الأقلام ونرجو أن يكون ما غملناه مفيداً
 واسعاً نافعاً ونسأل الله العفو والصفح والغفران من التقصير .

تنبيه : قد يستغرب البعض من قيامنا بتحقيق تفسير ابن كثير وقد حقق ، فنقول :
 التحقيق الأول لم يكن إلا إشارات سريعة إلى مواضع الحديث أما الكلام من جهة صحته أو
 ضعفه أو وضعه أو اضطرابه وغير ذلك فلم نر له ذكراً ، وحاجة الناس إلى معرفة صحيح ما
 في تفسير ابن كثير من ضعفه ماسة جداً طالما وهو كتاب ما من بيت مدر ولا وبر إلا ودخلها
 أو جاورها وعلى كل فقد ساعدنا محققو طبعة الشعب بالنسبة لمواضع الحديث غالباً فجزاهم الله
 خيراً ، وتحقيقنا هذا قد يوجد فيه أخطاء منسية أو مجهولة وهذا شأن بني البشر جميعاً فقد قيل :
 لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ، وقيل :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فنطلب من كل مطلع رأى شيئاً تأكد منه أن يرسلنا ناصحاً مفيداً راجياً مزيداً وأهلاً
 بما نصح وسهلاً وجزاه الله كل خير وجنبه كل ضير ، كما نطلب من كل قارئ أن يدع لنا

بالعفو والغفران والفوز والرضوان لنا ولوالدينا وللمدرسينا ولإخواننا وبالفردوس الأعلى لنا وله
ولأقاربنا وأقاربه ولجميع المسلمين عامة .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبها

أبو معاذ قاسم بن عبده بن ملهي بني عز الدين الحميري العديني
عنه وعن أبي عبد الله قاسم بن أحمد بن سيف التعزي النفيعي .

عنوان الجميع اليمن الشمالي صعه ص ب : ٩٠٠٧٠



تفسير سورة المائدة

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت عليه « المائدة » كلها ، وكادت من ثقلها تدقّ عضد الناقة^(١) .

وروى ابن مَرْدُويه من حديث صالح بن سهيل ، عن عاصم الأحول قال : حدثني أم عمرو ، عن عمها : أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ ، فنزلت عليه « سورة المائدة » ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها^(٢) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُجَيِّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله ﷺ « سورة المائدة » وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله ، فنزل عنها^(٣) .

تفرد به أحمد . وقد روى الترمذي عن قتيبة ، عن عبد الله بن وهب ، عن حيي ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو قال : « آخر سورة أنزلت : [سورة المائدة والفتح] ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب حسن . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : « آخر سورة أنزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] » .

وقد روى الحاكم في مستدركه ، من طريق عبد الله بن وهب بإسناده ، نحو رواية الترمذي ،

(١) الحديث ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم وشيخه شهر ، رواه أحمد (ج ٤٥٥/٦) ورواه (ص ٤٥٨) من طريق إسحاق بن يوسف ، قال سفيان عن ليث به ورواه الطبري (ج ٥٢٩/٩) من طريق ابن حميد قال : حدثنا جرير عن ليث فذكره ورواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (ج ١٣/٧) .

(٢) الحديث ضعيف من هذا الوجه لجهالة صالح بن سهل وأم عمرو رواه السيوطي في الدر المنثور (ج ٢٥٢/٢) وعزه لابن أبي شيبة في مسنده والبغوي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة .

(٣) الحديث ضعيف لضعف ابن لهيعة وحيي بن عبد الله رواه أحمد (ج ١٧٦/٢) وهو عند السيوطي في الدر المنثور (ج ٢٥٢/٢) ولم يعزه إلى غير أحمد .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ^(٤) .

وقال الحاكم أيضاً : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر قال : قرىء على عبد الله بن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير قال : « حججت فدخلت على عائشة فقالت لي : يا جبير ، تقرأ المائدة ؟ فقلت : نعم . فقالت : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ^(٥) .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، وزاد : « وسألته عن خلق رسول الله ﷺ » فقالت : القرآن . ورواه النسائي من حديث ابن مهدي ^(٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَيْعُ الْأَنْفُسِ إِلَّا
مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحْلٍ الصِّدْقُ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ①
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا
الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا
وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ②

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا

(٤) وهذا ضعيف أيضاً لضعف حيي بن عبد الله ، في التهذيب أن البخاري قال : فيه نظر ، والحديث رواه الترمذي (ج ٢٦١/٥) ورواية ابن عباس قال المباركفوري (ج ٤٣٧/٨) من تحفة الأحوذى : وصله مسلم ورواه الحاكم (ج ٣١١/٢) من طريق حيي أيضاً .

(٥) الحديث سنده حسن ، معاوية بن صالح صدوق له أوهام وأبو الزاهرية هو حدير بن كريب وهو صدوق من رجال مسلم .

(٦) رواه أحمد (ج ١٨٨/٦) والنسائي في التفسير حديث رقم ١٥٨ .

مسعر ، حدثني معن وعوف - أو أحدهما - : أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال : أعهد إلي . فقال : إذا سمعت الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرעה سمعك ، فإنه خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه ^(٧) .

وقال : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دحيم - حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، عن الزهري قال : إذا قال الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ افعلوا ، فالنبي ﷺ منهم ^(٨) .

وحدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن خيثمة قال : كل شيء في القرآن ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فهو في التوراة : « يا أيها المساكين » ^(٩) .

فأما ما رواه عن زيد بن إسماعيل الصائغ البغدادي ، حدثنا معاوية - يعني ابن هشام - عن عيسى بن راشد ، عن علي بن بذيمة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « ما في القرآن آية ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ إلا أن علياً سيدها وشريفها وأميرها ، وما من أصحاب النبي ﷺ أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا على بن أبي طالب ، فإنه لم يعاتب في شيء منه » .

فهو أثر غريب ، ولفظه فيه نكارة ، وفي إسناده نظر ، قال البخاري : عيسى بن راشد هذا مجهول ، وخبره منكر . قلت : وعلي بن بذيمة - وإن كان ثقة - إلا أنه شيعي غال ، وخبره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل . وقوله : « ولم يبق أحد من الصحابة إلا عوتب في القرآن إلا علياً » إنما يشير به إلى الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوى ، فإنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحدٌ إلا علي ، ونزل قوله : ﴿ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴾ .. الآية . وفي كون هذا عتاباً نظر ، فإنه قد قيل : إن الأمر كان ندباً لا إيجاباً ، ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل ، فلم ير من أحد منهم خلافه . وقوله عن علي : « إنه لم يعاتب في شيء من القرآن » ، فيه نظر أيضاً ، فإن الآية التي في الأنفال التي فيها المعاتبة على أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ، ولم يسلم منها إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعلم بهذا وبما تقدم ضعف هذا الأثر ، والله أعلم .

(٧) الأثر ضعيف فيه نعيم بن حماد الخزازي صدوق كثير الخطأ ومعن هو ابن عبد الرحمن المسعودي وثقه ابن معين كما في التهذيب وعوف صوابه عون وهو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ثقة أيضاً ، لكن ذكر عن عون أنه يرسل وأن روايته عن عم أبيه عبد الله بن مسعود مرسلة وأما معن ففي التهذيب أنه روى عن أبيه ولم تذكر له رواية عن بن مسعود فيضعف الأثر لأجل الانقطاع ، والله أعلم .

(٨) لولا عننة الوليد بين شيخه وبين الزهري لكان الأثر صحيحاً إلى الزهري فإنه يخشى أن يكون قد أسقط رجلاً ففي تدريب الراوي أن الوليد يسقط أبا الهيثم بن مرة - وهو مجهول - وغير الوليد يذكره فعلم هذا من ذلك .

(٩) الأثر رجاله كلهم ثقات وأحمد بن سنان هو أبو جعفر القطان وشيخه هو الطنافسي .

وقال ابن جرير : حدثني المثني ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثني يونس قال ، قال محمد بن مسلم : قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى نجران ، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم ، فيه : « هذا بيان من الله ورسوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ » ، فكتب الآيات منها حتى بلغ : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ ^(١٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه قال : هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا ، الذي كتبه لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ، ويأخذ صدقاتهم . فكتب له كتاباً وعهداً ، وأمره فيه بأمره ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، أوفوا بالعقود ﴾ عهد من محمد رسول الله ﷺ لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ^(١١) .

قوله تعالى : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : يعني بالعقود : العهود . وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك ، قال : والعهود ما كانوا يتعاهدون عليه من الحلف وغيره . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ يعني بالعهود ، يعني ما أحل الله وما حرم ، وما فرض وما حد في القرآن كله ، فلا تغدروا ولا تنكثوا ، ثم شدد في ذلك فقال : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ ... إلى قوله : ﴿ سوء الدار ﴾ ^(١٢) .

وقال الضحاك : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ قال : ما أحل وما حرم ، وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام ^(١٣) . وقال زيد بن أسلم : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ ، قال : هي ستة . عهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد اليمين ^(١٤) .

(١٠) الحديث ضعيف لما يأتي ، المثني لم نجد من ترجم له وعبد الله كاتب الليث صدوق كثير الغلط وأيضاً هو مرسل .

(١١) وهذا مرسل أيضاً ورواه الحاكم (ج ٣٩٥/١) موصولاً وهو ضعيف أيضاً لأنه من طريق سليمان بن داود الذي هو في الحقيقة سليمان بن أرقم وهو متروك .

(١٢) رواه الطبري (ج ٤٤٩/٩) من طريق كاتب الليث وفيه ضعف وأيضاً رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة .

(١٣) لم أجد أثر الضحاك .

(١٤) رواه الطبري (ج ٤٥٣/٩) وعنده العهود خمس : عقدة النكاح وعقدة الشركة وعقدة اليمين وعقدة العهد وعقدة الحلف .

وقال محمد بن كعب : هي خمسة ، منها : حلف الجاهلية ، وشركة المفوضة^(١٥) .

وقال استدلل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ ، قال : فهذا يدل على لزوم العقد وثبوته ، فيقتضي نفي خيار المجلس ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، ومالك . وخالفهما الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والجمهور : والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي لفظ للبخاري : « إذا تباعد الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا »^(١٦) . وهذا صريح في إثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع ، وليس هذا منافياً للزوم العقد ، بل هو من مقتضياته شرعاً ، فالتزامه من تمام الوفاء بالعقد .

وقوله تعالى : ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ هي : الإبل ، والبقر ، والغنم ، قاله الحسن وقتادة وغير واحد . قال ابن جرير : « وكذلك هو عند العرب » . وقد استدلل ابن عمر ، وابن عباس ، وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين إذا وجد ميتاً في بطن أمه إذا ذبحت ، وقد ورد في ذلك حديث في السنن ، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، من طريق مجالد ، عن أبي الوداك جبر بن نوف ، عن أبي سعيد ، قال قلنا :^(١٧) « يا رسول الله ، ننحر الناقة ، ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين ، أنلقيه أم نأكله ؟ فقال : كلوه إن شئتم ، فإن ذكاته ذكاة أمه » . وقال الترمذي : حديث حسن .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عتاب بن بشير ، حدثنا عبيد الله بن أبي زياد القداح المكي ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ قال :^(١٨) « ذكاة الجنين ذكاة أمه » .

(١٥) رواه الطبري (ج ٤٥٣/٩) من طريق الحسين وهو ابن داود سنيده وهو ضعيف .
(١٦) الحديث في البخاري (ج ٣٢٦/٤) ومسلم (ج ١١٦٣/٣ - ١١٦٤) وهو عند الترمذي (ج ٥٣٨/٣ - ٥٣٩) والنسائي (ج ٢٤٧/٧ - ٢٤٨) كلهم من حديث ابن عمر وحكيم بن حزام .
(١٧) الحديث حسن لغيره كما سيأتي إن شاء الله رواه أبو داود (ج ٢٥٢/٣) والترمذي (ج ٧٢/٤) وابن ماجه وأحمد (ج ٣١/٣ - ٥٣) والبيهقي (ج ٣٣٥/٩) والدارقطني (ج ٢٧٢/٤) وابن الجارود (ج ١٨٥/٣ - ١٨٦) من غوث المكذوب ، وتخريجهم هناك أوسع ، قال أبو إسحاق الأثري : إسناده ضعيف وهو حديث صحيح . قلت : كل هؤلاء رووه من طريق مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري . ورواه أحمد (ج ٣٩/٣) والدارقطني (ج ٢٧٤/٤) وابن حبان (ج ٥٥٥/٧) كما في الإحسان والبيهقي (ج ٣٣٥/٩) كلهم من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبي الوداك جبر بن نوف عن أبي سعيد الخدري . قال الحافظ في التلخيص : فهذه متابعة قوية لمجالد . قال أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى : وفي الباب عن علي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وأبي الدرداء وأبي أمامة والبراء بن عازب رضي الله عنهم مرفوعاً .

(١٨) رواه أبو داود (ج ٢٥٣/٣) والدارمي (ج ١١/٢ - ١٢) والحاكم (ج ١١٤/٤) ثلاثهم من طريق =

تفرد به أبو داود .

وقوله : ﴿إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ^(١٩) يعني بذلك الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وقال قتادة : يعني بذلك الميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

والظاهر - والله أعلم - أن المراد بذلك [قوله] : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع﴾ ، فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض ، ولهذا قال : ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ يعني منها ، فإنه حرام لا يمكن إستدراكه ، وتلاحقه ، ولهذا قال تعالى : ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : إلا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال .

وقوله : ﴿غَيْرَ مَحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ﴾ ، قال بعضهم : هذا منصوب على الحال . والمراد من الأنعام : ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم ، وما يعم الوحشي كالظباء والبقر والحمر . فاستثنى من الإنسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام .

وقيل : المراد أحللتنا الأنعام لكم في جميع الأحوال ، فحرموا الصيد في حال الإحرام ، فإن الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه ، ولهذا قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ .

ثم قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ ، قال ابن عباس : يعني بذلك مناسك الحج .

وقال مجاهد : الصفا والمروة ، والهدي والبُذْن ، من شعائر الله .

وقيل : شعائر الله : محارمه ، أي لا تحلوا محارم الله التي حرمها تعالى ، ولهذا قال : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه ، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه ، من الابتداء بالقتال وتأكيده اجتناب المحارم ، كما قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ . وقال تعالى : ﴿إِنْ عَدَا الشُّهُورَ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ .. الآية .

وفي صحيح البخاري ، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال ^(٢٠) في حجة الوداع : « إِنْ

= عبيد الله بن أبي زياد القداح عن أبي الزبير عن جابر ، ورواه الحاكم أيضاً (ج ٤ / ١١٤) والبيهقي (ج ٤ / ٢٧٣ - ٣٣٤) من طريق زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر ، ورواه الدارقطني (ج ٤ / ٢٧٣) من طريق ابن أبي ليلى ، ورواه أبو نعيم في الحلية (ج ٧ / ٩٢) من طريق الثوري عن أبي الزبير عن جابر ، والحمد لله رب العالمين .

(١٩) في رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انقطاع ، رواه ابن جرير (ج ٩ / ٤٥٨) وهو ضعيف إليه أيضاً من طريق المثني عن كاتب الليث ، وأثر قتادة أحسن إليه ، رواه الطبري كذلك .

(٢٠) الحديث في البخاري (ج ١ / ١٥٧) ومسلم (ج ٣ / ١٣٠٥) وهو عند أبي داود (ج ٢ / ٤٨٣) وابن ماجه (ج ١ / ٨٥) وعزاه الحافظ المزي للنسائي .

الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

وهذا يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت ، كما هو مذهب طائفة من السلف .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ يعني : لا تستحلوا قتالاً فيه . وكذا قال مقاتل بن حيان ، وعبد الكريم بن مالك الجزري ، واختاره ابن جرير أيضاً ، وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم ، واحتجوا بقوله : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ قالوا : والمراد أشهر التيسير الأربعة ، قالوا : فلم يستثن شهراً حراماً من غيره .

وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم ، وغيرها من شهور السنة ، قال : وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم ، لم يكن ذلك له أماناً من القتل ، إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان^(٢١) . وهذه المسألة بحث آخر ، له موضع أبسط من هذا .

وقوله : ﴿ ولا الهدى ولا القلائد ﴾ ، يعني : لا تركوا الإهداء إلى البيت ، فإن فيه تعظيماً لشعائر الله ، ولا تركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام ، وليعلم أنها هدى إلى الكعبة فيجتنبها من يريد بها سوء ، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها ، فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ولهذا لما حج رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة ، وهو وادي العقيق ، فلما أصبح طاف على نسائه ، وكن تسعاً ، ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين ، ثم أشعر هذيه وقلده ، وأهل بالحج والعمرة وكان هديه إبلاً كثيرة تنيف على الستين ، من أحسن الأشكال والألوان ، كما قال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

قال بعض السلف : إعظامها : استحسانها واستسمانها .

وقال علي بن أبي طالب : أمرنا^(٢٢) رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن . رواه أهل

السنن .

(٢١) هذه قطعة من حديث جابر الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، رواه مسلم (ج ٢/ ٨٨٦ -

٨٩٣) وأبو داود (ج ٢/ ٤٥٥ - ٤٦٥) وابن ماجه (ج ٢/ ١٠٢٢) ورواه النسائي مختصراً (ج ٥/ ١٦٤) .

(٢٢) الحديث صحيح لغيره بمجموع طرق حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وحديث حذيفة عند البزار

وهو صالح في الشواهد وقول المؤلف : رواه أهل السنن : أبو داود (ج ٣/ ٢٣٧) والترمذي (ج ٤/ ٩٠)

والنسائي (٢١٦/٧ - ٢١٧) .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ ولا القلائد ﴾ فلا تستحلوا . وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم ، قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر ، وتقلد مشركو الحرم من لحاء شجر الحرم ، فيأمنون به .

رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال^(٢٣) : نسخ من هذه السورة آيتان : آية القلائد ، وقوله : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ ﴾ .

وحدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون قال ، قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء ؟ قال : لا .

وقال عطاء^(٢٤) : كانوا يتقلدون من شجر الحرم ، فيأمنون ، فنهى الله عن قطع شجره . وكذا قال مطرف بن عبد الله .

وقوله : ﴿ ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ﴾ ، أي : ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام ، الذي من دخله كان آمناً ، وكذا من قصده طالباً فضل الله وراغباً في رضوانه ، فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه .

قال مجاهد ، وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله ، وعبد الله بن عبيد بن عمير ، والربيع بن أنس وقاتدة ومقاتل بن حيان في قوله : ﴿ يبتغون فضلاً من ربهم ﴾ ، يعني بذلك : التجارة .

وهذا كما تقدم في قوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ .

وقوله : ﴿ ورضواناً ﴾ ، قال ابن عباس : يرضون الله بحجهم^(٢٥) .

(٢٣) الأثر رجاله كلهم ثقات محمد بن عمار هو الرازي قال ابن أبي حاتم كتبت عنه وهو صدوق ثقة ، والسند الثاني حسن إلى الحسن منذر بن شاذان ، قال ابن أبي حاتم : كتبنا عنه وهو صدوق سئل أبي عنه فقال : لا بأس به ، وروى ابن جرير أثر ابن عباس من نفس الطريق (ج ١٠ / ٣٣٢) ثم قال : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ وأن للحكام من الخيار في الحكم بين أهل العهد إذا ارتفعوا إليهم فاحتكمو وترك الحكم بينهم والنظر مثل الذي جعله الله لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ذلك في هذه الآية .

(٢٤) أثر عطاء رواه الطبري (ج ٩ / ٤٦٨ - ٤٦٩) من طريق ابن وكيع وابن حميد وهما ضعيفان وقول مطرف ضعيف إليه أيضاً رواه الطبري من طريق ابن وكيع عن عبيد الله عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وفي روايته عنه اضطراباً كثيراً قاله ابن حبان .

(٢٥) رواه الطبري من طريق المثني وهو ابن إبراهيم لم نجد ترجمته عن عبد الله وهو كاتب الليث ضعيف عن معاوية عن ابن عباس ومعاوية هو ابن صالح وروايته عن ابن عباس معروفة أنها من طريق علي بن أبي طلحة فاحتمل أن في السند سقطاً .

وقد ذكر عكرمة^(٢٦) ، والسدي ، وابن جريج أن هذه الآية نزلت في الحُطَم بن هند البكري ، كان قد أغار على سرح المدينة ، فلما كان من العام المقبل اعتمر إلى البيت ، فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا في طريقه إلى البيت ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ﴾ .

وقد حكى ابن جرير^(٢٧) الإجماع على أن المشرك يجوز قتله ، إذا لم يكن له أمان ، وإن أم البيت الحرام أو بيت المقدس ، فإن هذا الحكم منسوخ في حقهم ، والله أعلم . فأما من قصده بالإلحاد فيه والشرك عنده والكفر به ، فهذا يمنع كما قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ . ولهذا بعث^(٢٨) رسول الله ﷺ عام تسع - لما أمر الصديق على الحجيج - علياً ، وأمره أن ينادي على سبيل النياية عن رسول الله ﷺ ببراءة ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢٩) قوله : ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ : يعني من توجه قبل البيت الحرام ، فكان المؤمنون والمشركون يحجون البيت الحرام ، فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً يحج البيت أو يعرضوا له من مؤمن أو كافر ، ثم أنزل الله بعدها : ﴿ إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله ﴾ ، وقال : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . فنفي المشركين من المسجد الحرام .

وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة^(٣٠) في قوله : ﴿ ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام ﴾ ، قال : منسوخ ، كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تَقَلَّدَ من الشجر ، فلم يعرض له أحد ، وإذا رجع تقلد قلادة من شجر فلم يعرض له أحد . وكان المشرك يومئذ لا يصد عن البيت ، فأمرُوا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت ، فنسخها قوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ .

(٢٦) أثر عكرمة عند الطبري (ج ٩ / ٤٧٣) من طريق الحسين وهو ابن داود سنيد وهو ضعيف . وأثر السدي من طريق أسباط وهو صدوق كثير الخطأ يغرب . ثم الإرسال فيهما جميعاً وهو من قسم الضعيف وما ذكره ابن جريج يسمى معضلاً لأنه أسقط من السند رجلين فأكثر على التوالي والمعضل من قسم الضعيف أيضاً . (ج ٩ / ٤٧٩) .

(٢٨) هذه قطعة من حديث رواه البخاري (ج ١ ص ٤٧٧) ومسلم (ج ٢ / ٩٨٢) وأبو داود (ج ٢ / ٤٨٣) . والنسائي (ج ٥ / ٢٣٤) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظ مسلم : قال أبو هريرة : بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل حجة الوداع في رَهط يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

(٢٩) الأثر عند الطبري (ج ٩ / ٤٧٨) وقد تقدم الكلام على رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . (٣٠) أثر قتادة حسن إليه ، رواه الطبري (ج ٩ / ٤٦٥ - ٤٦٨) من طريق الحسن بن يحيى وهو بن الجعد ، صدوق .

اشتد ذلك عليهم ، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق ، يريدون العمرة ، فقال أصحاب النبي ﷺ : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم . فأنزل الله هذه الآية .

والشَّنَان هو : البغض ، قاله ابن عباس وغيره ، وهو مصدر من « شَنَأْتُهُ شَنَاءً » بالتحريك ، مثل قولهم : « جَمَزَان ، وَدَرَجَان وَرَفْلَان » ، من « جمز ، ودرج ، ورفل » ، قال ابن جرير : من العرب من يسقط التحريك في شَنَان ، فيقول : شنان ، قال : ولم أعلم أحداً قرأ بها ، ومنه قول الشاعر :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تُحِبُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَدَا

وقوله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات ، وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم .

قال ابن جرير^(٣٦) : الإثم : ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان : مجاوزة ما حد الله في دينكم ، ومجاوزة ما فرض عليكم في أنفسكم وفي غيركم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس ، [عن جده أنس] بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ^(٣٧) : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . قيل : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : « تحجزه تمنعه فإن ذلك نصره » .

انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه^(٣٨) وأخرجاه من طريق ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قيل : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم فذاك نصرته إياه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن يحيى بن وثاب ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ^(٣٩) قال : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي

(٣٦) (ج ٩ / ٤٩٠) .

(٣٧) الحديث صحيح رواه أحمد (ج ٣ / ٩٩) وثبت سماع عبيد الله بن أبي بكر بن أنس من جده أنس بن مالك ففي صحيح مسلم (ج ٢ / ٨٢) بشرح النووي من طريق شعبة حدثني عبيد الله بن أبي بكر سمعت أنس بن مالك .

(٣٨) في كتاب المظالم (ج ٥ / ٩٨) وفي الإكراه (ج ١٢ / ٣٢٣) من طريق حميد الطويل . وعبيد الله بن أبي بكر بن أنس . وكذا رواه أحمد في المسند (ج ٣ / ٩٩ - ٢٠١) ورواه الترمذي (ج ٤ / ٥٢٣) من طريق حميد وحده . وهو عند مسلم (ج ٤ / ١٩٩٨) من طريق أبي الزبير عن جابر .

(٣٩) لم يذكر لسفيان الثوري رواية عن يحيى بن وثاب وكذا أيضاً لم يذكر الثوري في الآخذين عن يحيى بن =

لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

وقد رواه أحمد أيضاً في مسند عبد الله بن عمر : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة عن الأعمش ، عن يحيى بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم » .

وهكذا رواه الترمذي ، من حديث شعبة - وابن ماجه من طريق إسحاق بن يوسف - كلاهما عن الأعمش به ، وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شيبة الكوفي ، حدثنا بكر بن عبد الرحمن ، حدثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أبي ليلى ، عن فضيل بن عمرو ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال^(٤٠) قال رسول الله ﷺ : « الدال على الخير كفاعله » . ثم قال : لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد .

قلت : وله شاهد في الصحيح^(٤١) : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبريق الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، قال عباس بن

= وثاب فاحتال أن يكون هنا سقط وهو أن في بعض النسخ سفيان بن سعيد عن الأعمش عن يحيى بن وثاب والحمد لله .

والحديث ضعيف لأن يحيى لم يسمع من بعض الصحابة ، وقد جاء في بعض طرق هذا الحديث ، قال يحيى بن وثاب : عن ابن عمر وذكر ، الحافظ المزني رحمه الله تعالى في تهذيب الكمال أن يحيى بن وثاب روى عن الأسود بن يحيى النخعي وزير بن حبيش الأسدي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن مسعود ، مرسلاً . انتهى المراد من كلامه رحمه الله .

والحديث رواه أحمد (ج ٤٣/٢) و (ج ٣٦٥/٥) والترمذي (ج ٦٦٢/٤) وابن ماجه (ج ١٣٣٨/٢) حديث (٤٠٣٢) وتسمية الصحابي عنده .

(٤٠) الحديث ضعيف بهذا السند لضعف ابن أبي ليلى وهو محمد ، لكن المتن صحيح من وجوه آخر فقد جاء عن جماعة من الصحابة منهم أبو مسعود البصري ، رواه مسلم (ج ١٥٠٦/٣) بلفظ « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » . ورواه كذلك أبو داود (ج ٣٤٦/٥) والترمذي (ج ٤١/٥) . وأحمد في المسند (ج ٢٧٤/٥) وجاء أيضاً من حديث أنس وبريدة وابن عمر وسهل بن سعد وغيرهم ، وأصحها هو ما ذكرناه من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو وإذا أردت الوقوف على طرق هذا الحديث والكلام عليها فانظر الصحيحة للشيخ الألباني حفظه الله (١٦٦٠) .

(٤١) الحديث عند مسلم (ج ٢٠٦٠/٤) وأبي داود (ج ١٥/٥ - ١٦) والترمذي (ج ٤٣/٥) وابن ماجه (ج ٧٥/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يونس : إن أبا الحسن نمران بن مخمر حدثه أن رسول الله ﷺ قال ^(٤٢) : « من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الإسلام » .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْقُودَةُ
وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْنَهُ وَمَا ذُنِحَ عَلَى النَّصْبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ بِسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِسْمِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالى عباده خيراً متضمناً للنهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة ، وهي : ما مات من الحيوان حتف أنفه ، من غير ذكاة ولا اصطياد ، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة ، لما فيها من الدم المحتقن ، فهي ضارة للدين والبدن فلهذا حرّمها الله عز وجل ، ويستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها ، لما رواه مالك في موطنه ، والشافعي وأحمد في مسنديهما ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر ، فقال ^(٤٣) « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

(٤٢) الحديث في سننه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ، ضعيف ، قال النسائي : ليس بثقة ، وصورته هنا صورة المرسل ، وقد تكلم عليه الشيخ الألباني حفظه الله تعالى في السلسلة الضعيفة (٧٥٨) وفي السند الذي نقله عن الطبراني عن عباس بن مؤنس أن أبا الحسن نمران بن مخمر حدثه أن أوس بن شرحبيل أحد بني الجمع حدثه به مرفوعاً وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (ج ١ / ١٧٢) وقال : أخرجه ثلاثة ، يعني ابن مندة وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البر .

تنبيه : عباس بن يونس صوابه عياش بياء مشددة معجمة باثنتين من تحتها وآخره شين معجمة كما في الإكمال لابن ماكولا (ج ٦ / ٦٧) وقال البخاري : عياش بن مؤنس ، قال الدارقطني : والصحيح ابن مؤنس ، وقال بعضهم : مؤنس .

قال الشيخ الألباني حفظه الله : وعياش بن مؤنس وشيخه أبو الحسن نمران بن مخمر لم أعرفهما .

(٤٣) الحديث صحيح بمجموع طرقه فقد جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وإن أردت الوقوف على طرقه فانظر نصب الراية والتلخيص الحبير ونيل الأوطار للشوكاني والحديث أخرجه أبو داود (ج =

وهكذا الجراد ، لما سيأتي من الحديث ، وقوله : ﴿والدم﴾ يعني : المسفوح ، لقوله : ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ . قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا كثير بن شهاب المذحجي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا عمرو - يعني ابن قيس - عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه سئل عن الطحال فقال : كلوه ، فقالوا : إنه دم . فقال : إنما حرم عليكم الدم المسفوح^(٤٤) .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد عن القاسم ، عن عائشة قالت : إنما نهي عن الدم السافح .

وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «أحل لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالخوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال»^(٤٥) .

وكذا رواه أحمد بن حنبل ، وابن ماجه . والدارقطني ، والبيهقي ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف . قال الحافظ البيهقي : ورواه إسماعيل بن أبي إدريس ، عن أسامة ، وعبد الله ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، مرفوعاً

قلت : وثلاثتهم ضعفاء ، ولكن بعضهم أصلح من بعض . وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأتبات ، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر ، فوقفه بعضهم عليه . قال الحافظ أبو زرعة الرازي : وهو أصح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا بشير بن سريج ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة - وهو صدي بن عجلان - قال : بعثني

= (٢٣٧/٢) والترمذي (ج ١/١٠٠) وقال : حسن صحيح والنسائي (ج ١/٥٠) و (ج ٧/٢٠٧) وابن ماجه (ج ١/١٣٦) ومالك في الموطأ (ج ١/٤٤ - ٤٥) من تنوير الحوالك والشافعي (ص ٧) من مسنده وأحمد (ج ٢/٣٩٢) وابن خزيمة (ج ١/٥٨ - ٥٩) وابن حبان (ج ٢/٢٧١ - ٢٧٢) .

(٤٤) الحديث ضعيف بهذا السند لأن رواية سماك عن عكرمة مضطربة وحديث حماد الذي بعده صحيح .

(٤٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه (ج ٢) حديث رقم (٣٢١٨) والإمام أحمد (ج ٢ ص ٩٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . وقد رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة عبد الرحمن وأخيه عبد الله ، وقال بعد ذكره الحديث : وهذا يدور رفعه على الإخوة الثلاثة عبد الله بن زيد وعبد الرحمن بن زيد وأسامة بن زيد .

قلت : فعبد الله صدوق بهم وعبد الرحمن ضعيف وأسامة ضعف من قبل حفظه كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ، والراجح أنه من قول ابن عمر ولكنه وإن كان كذلك فهو في حكم المرفوع لأن المحلل والمحرم هو المشرع .

رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام ، فأتيتهم ، فبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة من دم ، فاجتمعوا عليها يأكلونها ، قالوا : هلم يا صدي فكل . قال : قلت : ويحكم ! إنما أتيتكم من عند محرم هذا عليكم ، وأنزل الله عليه ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : فتلوت عليهم هذه الآية : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ... ﴾^(٤٦) الآية .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناده مثله ، وزاد بعد هذا السياق ؛ قال : فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ، ويأبون علي ، فقلت لهم ؛ ويحكم ، اسقوني شربة من ماء فإني شديد العطش - قال : وعلي عباقي - فقالوا : لا ، ولكن ندعك حتى تموت عطشاً . قال ؛ فاغتممت وضربت برأسي في العباء ، ونمت على الرمضاء في حر شديد ، قال : فأتاني آت في منامي بقدرح من زجاج لم ير الناس أحسن منه ، وفيه شراب لم ير الناس ألد منه ، فأمكنني منها فشربتها ، فحيث فرغت من شرابي استيقظت ، فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة .

ورواه الحاكم في مستدركه ، عن علي بن حُمَاشاذ ، عن [عبد الله بن] أحمد بن حنبل ، حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري حدثنا صدقة بن هرمز ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قد ذكر نحوه ، وزاد بعد قوله : بعد تيك الشربة : فسمعتهم يقولون : أتاكم رجل من سراة قومكم ، فلم تجمعوه بمذقة ، فأتوني بمذقة ، فقلت : لا حاجة لي فيها ، إن الله أطعمني وسقاني ، وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم .

وما أحسن ما أنشد الأعشى في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق :

وياك والميتات [لا تقربنها] ولا تأخذن عظماً حديداً فتفصدا

أي لا تفعل كما يفعل الجاهلية ، وذلك أن أحدهم كان إذا جاع أخذ شيئاً محدداً من عظم ونحوه ، فيفصد به بغيره أو حيواناً من أي صنف كان ، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة ، ثم قال الأعشى :

وذا النصب المنسوب لا تأتينه ولا تعبد الأصنام والله فاعبدا

وقوله : ﴿ ولحم الخنزير ﴾ ، يعني : إنسيه ووحشيه ، واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم ، ولا يحتاج إلى تحذلق الظاهرية في جمودهم هاهنا وتعسفهم في الاحتجاج بقوله : ﴿ فإنه رجس أو فسقاً ﴾ يعنون قوله تعالى : ﴿ إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾ أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير ، حتى يعم جميع أجزائه ، وهذا بعيد من حيث اللغة ، فإنه لا يعود الضمير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه ، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو

(٤٦) الحديث فيه يشير بن سريج ، قال الذهبي في الميزان : قال يحيى : لا يكتب حديثه ، والسند الذي سيأتي في الحاكم هو في المجلد الثالث (ص ٦٤١) فيه صدقة بن هرمز وهو ضعيف كما قال ذلك الحافظ الذهبي في الميزان .

المفهوم من لغة العرب ، ومن العرف المطرد ، وفي صحيح مسلم ، عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لعب بالتردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » فإذا كان هذا التفسير لمجرد اللمس ، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به . وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره^(٤٧) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ، فقيل يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة ، فإنها تطلى بها السفن ، وتدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس ؟ فقال : « لا ، هو حرام »^(٤٨) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان : أنه قال لهرقل ملك الروم : « نهانا عن الميتة والدم »^(٤٩) .

وقوله : ﴿ وما أهل لغير الله به ﴾ أي : ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله ، فهو حرام ، لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم ، فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات ، فإنها حرام بالإجماع . وإنما اختلف العلماء في المتروك التسمية عليه ، إما عمداً أو نسياناً ، كما سيأتي تقريره في سورة الأنعام .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : نزل آدم بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، و ما أهل لغير الله به ، وإن هذه الأربعة الأشياء لم تحل قط ، ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم ، فلما بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم ، وأحل لهم ما سوى ذلك ، فكذبوه وعصوه^(٥٠) .

وهذا أثر غريب .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا ربيع بن عبد الله قال :

(٤٧) الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٧٠) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٢٣٨) . والإمام أحمد (ج ٥ ص ٣٥٢) .

(٤٨) الحديث أخرجه البخاري (ج ٤ ص ٤٢٤) . ومسلم (ج ٣ ص ١٢٠٧) . وابن ماجه (ج ٢ ص ٧٣٢) . والإمام أحمد (ج ٢ ص ٥١٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٤٩) حديث أبي سفيان الذي أشار إليه الحافظ في الصحيحين البخاري (ج ١ ص ٣٣) ومسلم (ج ٣ ص ١٣٩٣ و ١٣٩٦) ، لكن هذه اللفظة لم أجدها فيهما ولا في أحدهما وقد تكرر الحديث في البخاري أكثر من عشر مرات بغير هذه اللفظة فعمل الحافظ كتبها من حفظه ولم يعد نظراً . والله أعلم .

(٥٠) الأثر ضعيف بهذا السند لأن فيه نعيم بن حماد وهو صدوق يخطئ كثيراً .

سمعت الجارود بن أبي سبرة - قال : هو جدي - قال : كان رجل من بني رياح يقال له : ابن وثيل وكان شاعراً نافر « غالباً » أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة ، على أن يعقر هذا مائة من إبله [وهذا مائة من إبله] إذا وردت الماء ، فلما وردت الماء قاما إليها بالسيوف ، فجعلتا يكسفان عراقيهما . قال : فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم - قال : وعليّ بالكوفة - قال : فخرج [عليّ] على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي : يا أيها الناس ، لا تأكلوا من لحومها فإنما أهل بها لغير الله ^(٥١) .

هذا أثر غريب ، ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود :
حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ، عن أبي ربحانة ، عن ابن عباس قال ^(٥٢) : نهى النبي ﷺ عن معاقرة الأعراب .

ثم قال أبو داود : محمد بن جعفر - هو غندر - أوقفه على ابن عباس . تفرد به أبو داود ، وقال أبو داود أيضاً : حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، حدثنا أبي ، حدثنا جرير بن حازم ، عن الزبير بن خريت قال : سمعت عكرمة يقول : إن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتبارين أن يؤكل ^(٥٣) .

ثم قال أبو داود : أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس . تفرد به أيضاً .
وقوله : ﴿ والمنخقة ﴾ ، وهي التي تموت بالخنق إما قصداً أو إتفاقاً ، بأن تتخبل في وثاقها فتموت به ، فهي حرام .

وأما ﴿ الموقودة ﴾ فهي التي تضرب [بشيءٍ ثقيلٍ غير محدد حتى تموت ، كما قال ابن عباس وغير واحد : هي التي تضرب] بالخشب حتى توقد بها فتموت .

وقال قتادة : كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها .

وفي الصحيح أن عدي بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله ، إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب . قال : « إذا رميت بالمعراض فخرق ، فكله ، وإن أصابه بعرضه فإنما هو وقيد ، فلا

(٥١) الأثر حسن ، فربعي بن عبد الله والجارود كلاهما صدوق كما في تهذيب التهذيب .

(٥٢) الحديث أخرجه أبو داود (ج ٣ ص ٢٤٦) بسند حسن مرفوعاً وقال بعد ذكر الحديث : غندر أوقفه على ابن عباس والظاهر أن الراجح فيه الوقف لأن من أوقفه أوثق ممن رفعه .

(٥٣) الحديث رواه أبو داود (ج ٤ ص ١٣٢) وقال بعد ذكره الحديث (أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس وهارون النحوي ذكر فيه ابن عباس وحماد بن زيد لم يذكر ابن عباس) اهـ . وقد ذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح وقال بعد ذكره له : قال محيي السنة : والصحيح أنه عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلأ . اهـ .

تأكله^(٥٤) . ففرق بين ما أصابه بالسهم ، أو بالمرزاق ونحوه بحده فأحله وما أصابه بعرضه فجعله وقيداً فلم يحله ، وقد أجمع الفقهاء على هذا الحكم هاهنا واختلفوا فيما إذا صدم الجارحة الصيد فقتله بثقله ولم يجرحه ، على قولين هما قولان للشافعي ، رحمه الله :

أحدهما : لا يحل ، كما في السهم ، والجامع أن كلاهما ميت بغير جرح ، فهو وقيد .
والثاني : أنه يحل ، لأنه حكم بإباحة ما صاده الكلب ، ولم يستفصل ، فدل على إباحة ما ذكرناه ، لأنه قد دخل في العموم . وقد قررت لهذه المسألة فصلاً فليكتب هاهنا .

فصل

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا أرسل كلباً على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه ، أو صدمه ، هل يحل أم لا ، على قولين :

أحدهما : أن ذلك حلال ، لعموم قوله تعالى : ﴿ فاكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ . وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم . وهذا قول حكاه الأصحاب عن الشافعي ، رحمه الله ، وصححه بعض المتأخرين كالنووي والرافعي .

قلت : وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمختصر ، فإنه قال في كلا الموضعين : « يتحمل معنيين » : ثم وجه كلاهما ، فحمل ذلك الأصحاب منه فأطلقوا في المسألة قولين عنه ، اللهم إلا أنه في بحثه حكايته للقول بالحل رشحه قليلاً ، ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به . والقول بذلك ، أعني الحل ، نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة ، من رواية الحسن بن زياد ، عنه ، ولم يذكر غير ذلك . وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره عن سلمان الفارسي ، وأبي هريرة ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وهذا غريب جداً ، وليس يوجد ذلك مصرحاً به عنهم ، إلا أنه من تصرفه رحمه الله ، ورضي عنه .

والقول الثاني : أن ذلك لا يحل ، وهو أحد القولين عن الشافعي ، رحمه الله ، واختاره المزني . ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضاً ، والله أعلم ، ورواه أبو يوسف ومحمد عن أبي حنيفة ، وهو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه . وهذا القول أشبه بالصواب ، والله أعلم ، لأنه أجرى عن القواعد الأصولية ، وأمس بالأصول الشرعية . واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج قلت : يا رسول الله ، إنا لاقو العدو غدأ وليس معنا مدى ، أفنذبح بالقبص قال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » . الحديث بتمامه وهو في الصحيحين^(٥٥) .

(٥٤) الحديث أخرجه البخاري (ج ٩ ص ٦٠٤) . ومسلم (ج ٣ ص ١٥٢٩) . والترمذي (ج ٤ ص ٦٥) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٧٢) .

(٥٥) الحديث أخرجه البخاري (ج ٩ ص ٦٣١) . وأخرجه أيضاً (ج ٥ ص ١٣٩) وفي الجزء نفسه (ص ١٣١) . و ج ٦ ص ١٨٨) . ومسلم (ج ٣ ص ١٥٥٨) .

وهذا وإن كان وارداً على سبب خاص ، فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في الأصول والفروع ، كما سئل عليه السلام عن البتة - وهو نبذ العسل - فقال : « كل شراب أسكر فهو حرام »^(٥٦) أفيقول فقيه : إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل ؟ . وهكذا هذا سألوه عن شيء من الزكاة فقال لهم كلاماً عاماً يشمل ذلك المسئول عنه وغيره ، لأنه عليه السلام قد أوتي جوامع الكلم .

إذا تقرر هذا ، فما صدمه الكلب أو غمه بثقله ، ليس مما أنهر دمه ، فلا يحل لمفهوم هذا الحديث . فإن قيل : هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء ، لأنهم إنما سألوا عن الآلة التي يذكي بها ، ولم يسألوا عن الشيء الذي يذكي ، ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر ، حيث قال : « ليس السن والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك : أما السن : فعظم ، وأما الظفر : فمدى الحبشة » . والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه ، وإلا لم يكن متصلاً ، فدل على أن المسئول عنه هو الآلة ، فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم .

فالجواب عن هذا : بأن في الكلام ما يشكل عليكم أيضاً ، حيث يقول : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » . ولم يقل : « فاذبحوا به » فهذا يؤخذ منه الحكمان معاً ، يؤخذ حكم الآلة التي يذكي بها ، وحكم المذكي ، وأنه لا بد من إنهار دمه بآلة ليست سناً ولا ظفراً . هذا مسلك .

والمسلك الثاني : طريقة المزني ، وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل بعرضه فلا تأكل ، وإن خزق فكل . والكلب جاء مطلقاً ، فيحمل على ما قيد هناك من الخزق ، لأنها اشتركا في الموجب ، وهو الصيد ، فيجب الحمل هنا وإن اختلف السبب ، كما وجب حمل مطلق الإعتاق في الظهار على تقييده بالإيمان في القتل ، بل هذا أولى . وهذا يتوجه له على من يسلم له أصل هذه القاعدة من حيث هي ، وليس فيها خلاف بين الأصحاب قاطبة ، فلا بد لهم من جواب عن هذا . وله أن يقول : هذا قتله الكلب بثقله ، فلم يحل قياساً على ما قتله السهم بعرضه ، والجامع أن كلاهما آلة للصيد ، وقد مات بثقله فيهما . ولا يعارض ذلك بعموم الآية ، لأن القياس مقدم على العموم ، كما هو مذهب الأئمة الأربعة والجمهور ، وهذا مسلك حسن أيضاً .

(٥٦) الحديث أخرجه البخاري (ج ١٠ ص ٤١) . ومسلم (ج ٣ ص ١٥٨٥ و ١٥٨٦) عن عائشة ، وفي صفحة (١٥٧٦) أخرجه عن أبي موسى الأشعري . وأخرجه في الصفحة التي بعدها عن ابن عمر رضي الله عنهما . وأبو داود (ج ٤ ص ٨٥) . والترمذي (ج ٤ ص ٢٩٠) من حديث ابن عمر أيضاً وقال بعد ذكره الحديث : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورواه مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر موقوفاً . فلم يرفعه . قلت : ووقفه لا يضر .

مسلك آخر ، وهو أن قوله تعالى : ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ عام فيما قتلن بجرح أو غيره ، لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو : إما أن يكون نطيحاً أو في حكمه ، أو منخنقاً أو في حكمه ، وأياً ما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك لوجوه :

أحدها : أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد ، حيث يقول لعدي بن حاتم : « وإن أصابه بعرضه فإنما هو وقيد فلا تأكله » . و لم نعلم أحداً من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية ، فقال : إن الوقيد معتبر حالة الصيد ، والنطيح ليس معتبراً فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقاً للإجماع لا قائل به ، وهو محذور عند كثير من العلماء .

الثاني : أن تلك الآية : ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ ليست على عمومها بالإجماع ، بل مخصوصة بما صدن من الحيوان المأكول ، وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق ، والعموم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ .

المسلك الآخر : أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء ، لأنه قد احتقن فيه الدماء وما يتبعها من الرطوبات ، فلا تحل قياساً على الميتة .

المسلك الآخر : أن آية التحريم أعني قوله : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ إلى آخرها محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص ، وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة ، أعني قوله : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ﴾ الآية ، فينبغي أن لا يكون بينهما تعارض أصلاً ، وتكون السنة جاءت لبيان ذلك ، وشاهد ذلك قصة السهم ، فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية ، وهو ما إذا خزقه المعارض فيكون حلالاً ، لأنه من الطيبات ، وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم ، وهو ما إذا أصابه بعرض فلا يؤكل ، لأنه وقيد ، فيكون أحد أفراد آية التحريم ، وهكذا يجب أن يكون حكم هذا سواء إن كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل ، وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بثقله فهو نطيح أو في حكمه فلا يكون حلالاً .

فإن قيل : فلم لا فصل في حكم الكلب ، فقال ما ذكرتم : إن جرحه فهو حلال ، وإن لم يجرحه فهو حرام ؟

فالجواب : أن ذلك نادر ، لأن من شأن الكلب أن يقتل بظفره أو نابيه أو بهما معاً ، وأما اصطدامه هو والصيد فنادر ، وكذا قتله إياه بثقله ، فلم يحتج إلى الاحتراز من ذلك لندوره ، أو لظهور حكمه عند من علم تحريم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة . وأما السهم والمعارض فتارة يخطيء لسوء رمي راميهِ أو للهواء أو نحو ذلك ، بل خطؤه أكثر من إصابته ، فلهذا ذكر كلاً من حكميه مفصلاً ، والله أعلم . ولهذا لما كان الكلب من شأنه أنه قد يأكل من الصيد ، ذكر حكم

ما إذا أكل من الصيد ، فقال : « إن أكل فلا تأكل ، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه »^(٥٨) وهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو أيضاً مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين ، فقالوا : لا يحل ما أكل منه الكلب ، حكى ذلك عن أبي هريرة ، وابن عباس . وبه قال الحسن ، والشعبي ، والنخعي . وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحباؤه ، وأحمد بن حنبل ، والشافعي في المشهور عنه . وروى ابن جرير في تفسيره عن علي ، وسعد ، وسلمان ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب . حتى قال سعد ، وسلمان ، وأبو هريرة وابن عمر ، وغيرهم : يؤكل ولو لم يبق منه إلا بضعة . وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم ، وأوماً في الجديد إلى قولين ، قال ذلك الإمام أبو نصر بن الصباغ وغيره من الأصحاب [عنه] .

وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوي ، عن أبي ثعلبة الخشني ، عن رسول الله ﷺ أنه قال في صيد الكلب : « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك^(٥٩) يدك » .

ورواه أيضاً النسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن أعرابياً يقال له : أبو ثعلبة قال : يا رسول الله ... فذكر نحوه .

وقال محمد بن جرير في تفسيره : حدثنا عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا عبد العزيز بن موسى - هو اللاخوني ، حدثنا محمد بن دينار - هو الطاحي ، عن أبي إياس - وهو معاوية بن قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ قال : « إذا أرسل [الرجل] كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه ، فليأكل ما بقي » .

ثم إن ابن جرير علله بأنه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان موقوفاً^(٦٠) . وأما الجمهور فقدّموا حديث « عدي » على ذلك وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره . وقد حمله بعض العلماء على أنه [إن] أكل بعد ما انتظر صاحبه وطال عليه الفصل ولم يجيء فأكل منه لجوعه ونحوه ، فإنه لا بأس بذلك لأنه والحالة هذه لا يخشى أنه أمسك على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة فإنه يظهر منه أنه أمسك على نفسه ، والله أعلم .

فأما الجوارح من الطير فنص الشافعي على أنها كالكلاب ، فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ، ولا يحرم عند الآخرين ، واختار المزني من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور

(٥٨) الحديث أخرجه البخاري (ج ٩ ص ٦١٢) . ومسلم (ج ٣ ص ١٥٢٩) وأبو داود (ج ٣ ص ٢٦٩) . من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه .

(٥٩) الحديث أخرجه أبو داود (ج ٣ ص ٢٧١ - ٢٧٢) وهو حسن بهذا السند لأن فيه بسرة بن عبد الله وهو صدوق يخطئ^٤ .

(٦٠) ابن جرير (ج ٩ ص ٥٥٦) وترجيح حديث عدي أولى .

والجوارح ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ، قالوا : لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه ، وأيضاً فإنها لا تعلم إلا بأكلها من الصيد ، فيعفى عن ذلك ، وأيضاً فالنص إنما ورد في الكلب لا في الطير . وقال الشيخ أبو علي في « الإفصاح » . إذا قلنا : يحرم ما أكل منه الكلب ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان ، وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب ، لنص الشافعي رحمه الله على التسوية بينهما ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما ﴿ المتردية ﴾^(٦١) فهي : التي تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك ، فلا تحل .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ المتردية ﴾ التي تسقط من جبل . وقال قتادة : هي التي تتردى في بئر . وقال السدي : هي التي تقع من جبل أو تتردى في بئر .

وأما ﴿ النطيحة ﴾ فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها ، فهي حرام ، وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحتها .

والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة ، أي منطوحة . وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث ، فيقولون ، « كف خضيب » و « عين كحيل » ، ولا يقولون : « كف خضيبية » ولا : « عين كحيلة » . وأما هذه فقال بعض النحاة ، إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الأسماء ، كما في قولهم : « طريقة طويلة » . وقال بعضهم : إنما أتت بقاء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة ، بخلاف : « عين كحيل وكف خضيب » . لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام .

وقوله : ﴿ وما أكل السبع ﴾ أي : ما عدا عليها أسد ، أو فهد ، أو نمر ، أو ذئب ، أو كلب ، فأكل بعضها فماتت بذلك ، فهي حرام وإن كان قد سال منها الدماء ولو من مذبحتها ، فلا تحل بالإجماع . وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة ونحو ذلك . فحرم الله ذلك على المؤمنين .

وقوله : ﴿ إلا ما ذكيم ﴾ عائد على ما يمكن عوده عليه ، مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة ، وفيه حياة مستقرة ، وذلك إنما يعود على قوله : ﴿ والمنخنقة والموقوذة والمتردية

(٦١) الذي يجمع هذه الأقوال ، أعني تفسير المتردية وغيرها هو أثر ابن عباس في البخاري (ج ٩ ص ٥٩٨) تعليقاً ، قال البخاري : وقال ابن عباس : العقود العهود ما أحل وحرم إلا ما يتلى عليكم الخنزير ، يجرمنكم : يحملنكم ، شنان : عداوة ، المنخنقة التي تخنق فتموت . الموقوذة : تضرب بالخشب ، يوقدها فتموت ، والمتردية : تتردى من الجبل ، والنطيحة : تنطح الشاة فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح وكل . وقال الحافظ ابن حجر في كلامه على أثر ابن عباس : وصله ابن أبي حاتم أتم منه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اهـ .

قلت : لكن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو منقطع .

والنطيحة وما أكل السبع ﴿٦٢﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿إِلا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ ، يقول : إَلا مَا ذُبِحَتْ مِنْ هَؤُلَاءِ فِيهِ رُوحٌ ، فَكُلُوهُ ، فَهُوَ ذَكِيٌّ . وَكَذَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَالسَّيِّدِي .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ قَالَ : إِنْ مَصَعَتْ بِذَنْبِهَا ، أَوْ رَكُضَتْ بِرِجْلِهَا ، أَوْ طَرَفَتْ بِعَيْنِهَا فَكُلْ ^(٦٢) .

وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ وَعَبَادٌ قَالَا : حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ حَصِينٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ الْحَارِثِ ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : إِذَا أُدْرِكَتْ ذِكَاةُ الْمُوقُودَةِ وَالْمُتَرَدِّيةِ وَالنَّطِيحَةِ ، وَهِيَ تَحْرُكُ يَدًا أَوْ رِجْلًا ، فَكُلْهَا ^(٦٣) .

وهكذا روى عن طاوس ، والحسن ، وقتادة ، وعبيد بن عمير ، والضحاك وغير واحد : أَنَّ الْمَذَكَاةَ مَتَى تَحْرُكَتْ بِحَرَكَةٍ تَدُلُّ عَلَى بَقَاءِ الْحَيَاةِ فِيهَا بَعْدَ الذَّبْحِ ، فَهِيَ حَلَالٌ . وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ .

وقال ابن وهب : سَأَلَ مَالِكٌ عَنِ الشَّاةِ الَّتِي يَخْرُقُ جَوْفَهَا السَّبْعُ حَتَّى تَخْرُجَ أَمْعَاؤُهَا ؟ فَقَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَى أَنَّ تَذَكِّيَ أَيِّ شَيْءٍ يَذْكِي مِنْهَا ؟ .

وقال أشهب : سَأَلَ مَالِكٌ عَنِ الضَّبْعِ يَعْدُو عَلَى الْكَبْشِ ، فَيَدُقُّ ظَهْرَهُ ، أَتَرَى أَنَّ يَذْكِي قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، فَيُؤْكَلُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ السَّحْرَةَ ، فَلَا أَرَى أَنَّ يُؤْكَلُ . وَإِنْ كَانَ أَصَابَ أَطْرَافَهُ ، فَلَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا . قِيلَ لَهُ : وَثَبَ عَلَيْهِ فَدُقَّ ظَهْرُهُ ؟ فَقَالَ : لَا يَعْجِبُنِي ، هَذَا لَا يَعِيشُ مِنْهُ . قِيلَ لَهُ : فَالذَّبُّ يَعْدُو عَلَى الشَّاةِ فَيَشُقُّ بَطْنَهَا وَلَا يَشُقُّ الْأَمْعَاءُ ؟ فَقَالَ : إِذَا شُقَّ بَطْنُهَا فَلَا أَرَى [أَنَّ] تَوْكُلُ .

هذا مذهب مالك رحمه الله ، وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك رحمه الله ، من الصور التي بلغ الحيوان فيها إلى حالة لا يعيش بعدها ، فيحتاج إلى دليل مخصص للآية ، والله أعلم .

(٦٢) هذا الأثر ضعيف . قال الحافظ أبو سعيد العلائي في جامع التحصيل : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أبو جعفر الباقر أرسل عن جديه الحسن والحسين وجده الأعلى علي رضي الله عنهم .

(٦٣) الأثر في الطبري (ج ٩ ص ٥٠٣) ، وهو ضعيف لأن في سنده الحسين بن داود المعروف بسنيد وهو ضعيف كما في التقريب لأنه كان يلحق شيخه الحجاج بن محمد والحارث الأعور قال مسلم في مقدمة صحيحه : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَغِيرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ الْأَعُورُ وَكَانَ كَذَابًا ، وَسَأَلَ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ عَنِ الْحَارِثِ فَقَالَ لِلْسَّائِلِ : مِثْلَكَ يَسْأَلُ عَنْ ذَا الْحَارِثِ الْكَذَّابِ .

وفي الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال : قلت : يا رسول الله ، إنا لاقو العدو غداً ، وليس معنا مدى ، أفنديج بالقصب ؟ فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ، ليس السن والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك ، أما : السن فعظم ، وأما الظفر : فمدى الحبشة »^(٦٤) .

وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعاً ، وفيه نظر ، وروي عن عمر موقوفاً ، وهو أصح : « ألا إن الزكاة في الخلق واللبة ، ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق »^(٦٥) .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، من رواية حماد بن سلمة ، عن أبي العشاء الدارمي ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، أما تكون الزكاة إلا من اللبة والخلق ؟ فقال : « لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك » . وهو حديث صحيح^(٦٦) ، ولكنه محمول على ما [لا] يقدر [على ذبحه] في الخلق واللبة .

وقوله : ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ ، قال مجاهد وابن جريج [كانت النصب حجارة حول الكعبة] . قال ابن جريج : وهي ثلاثمائة وستون نصباً ، كان العرب في جاهليتها يذبحون عندها ، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح ، ويشترحون اللحم ويضعونه على النصب^(٦٧) .

وكذا ذكره غير واحد ، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع ، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب [حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب] من الشرك الذي حرمه الله ورسوله . وينبغي أن يحمل هذا على هذا ، لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله .

وقوله تعالى : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ ، أي : حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام . واحدها « زَلَم » وقد تفتح الزاي ، فيقال « زَلَم » . وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك ، وهي عبارة عن قدام ثلاثة ، على أحدها مكتوب : « افعَل » ، وعلى الآخر : « لا تفعل » ، والثالث غُفْل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال : مكتوب على الواحد « أمرني ربي » ، وعلى الآخر « نهاني ربي » . والثالث غفْل ليس عليه شيء ، فإذا أجالها فطلع السهم الأمر فعله ، أو الناهي تركه ،

(٦٤) تقدم .

(٦٥) في سنن الدارقطني (ج ٤ ص ٢٨٣) من حديث أبي هريرة ، قال الدارقطني : حدثنا محمد بن مخلد وآخرون ، قالوا : أنا محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي نا سعيد بن سلام العطار نا عبد الله بن بديل الخزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، وسعيد بن سلام ترجمته في لسان الميزان كذبه ابن نمير ، قال البخاري : يذكر بوضع الحديث ، وقال النسائي : ضعيف .

(٦٦) أخرجه أبو داود (ج ٣ ص ٢٥٠) . والترمذي (ج ٤ ص ٧٥) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٦٣) . والإمام أحمد (ج ٤ ص ٣٣٤) . كلهم من طريق حماد عن أبي العشاء عن أبيه وأبو العشاء مجهول ، وهو متفرد بهذا الحديث ولا يعرف لأبي العشاء عن أبيه إلا هذا الحديث ، راجع علل الترمذي (ج ١ ص ٣٤٠) ، وترجمة أبي العشاء من التمهيد ، فقول الحافظ : إنه حديث صحيح ، قول غير مقبول لما تقدم .

(٦٧) أثر ابن جريج في ابن جرير (ج ٩ ص ٥٠٨) بسند صحيح .

وإن طلع الفارغ أعاد .

والاستقسام : مأخوذ من طلب القَسَم من هذه الأزلام . هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن

جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا الحجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ قال : والأزلام قداح ، كانوا يستقسمون بها في الأمور^(٦٨) .

وكذا روي عن مجاهد ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، ومقاتل بن حيان .

وقال ابن عباس : هي القداح ، كانوا يستقسمون بها في الأمور . وذكر محمد ابن إسحاق وغيره : أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له : هُبَل ، وكان داخل الكعبة ، منصوب على بئر فيها توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه ، وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه ، مما أشكل عليهم ، فما خرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه .

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة ، وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها ، وفي أيديهما الأزلام ، فقال : « قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبداً »^(٦٩) .

وفي الصحيح : أن سراقه بن مالك بن جعشم لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر ، وهما ذاهبان إلى المدينة مهاجرين ، قال : فاستقسمت بالأزلام هل أضرمهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره : لا تضرهم قال : فعصيت الأزلام واتبعتهم ، ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة ، كل ذلك يخرج الذي يكره ؛ لا تضرهم ، وكان كذلك ، وكان سراقه لم يسلم إذ ذاك ، ثم أسلم بعد ذلك^(٧٠) .

وروى ابن مَرَدَوِيه من طريق إبراهيم بن زيد ، عن رَقَبَة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رجاء بن حيوة ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائراً »^(٧١) .

(٦٨) الأثر ضعيف بهذا السند لأن عطاء وهو الخراساني لم يسمع من ابن عباس .

(٦٩) الحديث في البخاري (ج ٣ ص ٤٦٨) . وأبي داود (ج ٢ ص ٥٢٥) .

(٧٠) الحديث أخرجه البخاري (ج ٧ ص ٢٣٨) ، قال البخاري : قال ابن شهاب : معلقاً . وقال الحافظ ابن حجر : قوله : قال ابن شهاب : هو موصول بإسناد حديث عائشة (يعني به حديثاً قبله) . اهـ .

قلت : وهو موصول في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٧٥ - ١٧٦) . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال الزهري : أخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقه يقول : وذكره . اهـ .

(٧١) الحديث من طريق إبراهيم بن يزيد بن مردان به ، قال الحافظ في التقریب : صدوق . اهـ .

وقال المناوي : قال الهيثمي تبعاً للمنذري : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله ثقات ، وقال في الفتح : =

وقال مجاهد في قوله : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ قال : هي سهام العرب ، وكعاب فارس والروم ، كانوا يتقامرون بها^(٧٢) .

وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار ، فيه نظر ، اللهم إلا أن يقال : إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة ، وفي القمار أخرى ، والله أعلم فإن الله سبحانه قد فرق بين هذه وبين القمار وهو الميسر ، فقال في آخر السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ﴾ إلى قوله : ﴿ مَنتهون ﴾ . وهكذا قال هاهنا : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فُسْءٌ ﴾ أي : [تعاطيه فسق] وغي وضلال وجهالة وشرك ، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ، ثم يسألوه الحيرة في الأمر الذي يريدونه ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن ، من طرق [عن] عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب [اللهم] إن كنت تعلم هذا الأمر - ويسميه باسمه - خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه ، [اللهم] وإن كنت تعلمه شراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفني عنه ، واصرفه عني ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به »^(٧٣) .

لفظ أحمد ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموالي .

قوله : ﴿ الْيَوْمَ يَثُسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني يثسوا أن يراجعوا دينهم^(٧٤) .

وكذا روي عن عطاء بن أبي رباح ، والسدي ومقاتل بن حيان ، وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في

= رجاله ثقات لكن أظن أن فيه انقطاعاً لكن له شاهد عن عمران بن حصين . خرجه البزار في أثناء حديث بسند جيد .

قلت : رواية رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء مرسل . راجع التهذيب وجامع التحصيل .
(٧٢) هذا الأثر في ابن جرير (ج ٩ ص ٥١٢) وفي تفسير مجاهد (ج ١ ص ١٨٥) .

(٧٣) الحديث أخرجه البخاري (ج ١٣ ص ٣٧٥) . وأبو داود (ج ٢ ص ١٨٧) . والترمذي (ج ٢ ص ٣٤٥) والنسائي (ج ٦ ص ٨٠) . وابن ماجه (ج ١ ص ٤٤٠) . والإمام أحمد (ج ٣ ص ٣٤٤) .

(٧٤) هذا في ابن جرير (ج ٩ ص ٥١٦) . وكذا أثر السدي وهو من طريق أسباط بن نصر وهو ضعيف ، وأثر السدي مرسل وأثر ابن جريج معضل .

جزيرة العرب ، ولكن بالتحريش بينهم ^(٧٥) .

ويحتمل أن يكون المراد : أنهم يمسوا من مشابهة المسلمين ، بما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ، ولهذا قال تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ، ولا يخافوا أحداً إلا الله ، فقال : ﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾ أي لا تخافوا منهم في مخالفتكم إياهم واخشوني ، أنصركم عليهم وأبيدهم وأظفركم بهم ، وأشف صدوركم منهم ، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ هذه أكبر نعم الله ، عز وجل ، على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا تخلف ، كما قال تعالى : ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً ﴾ أي : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ، ولهذا قال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ، أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذي رضي الله وأحبه ، وبعث به أفضل رسله الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه .

قال علي بن أبي طلحة ^(٧٦) ، عن ابن عباس : قوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً .

وقال أسباط عن السدي ^(٧٧) : نزلت هذه الآية يوم عرفة ، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، ورجع رسول الله ﷺ فمات . قالت أسماء بنت عميس : حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة ، فبينما نحن نسير ، إذ تجلى له جبريل فمال رسول الله ﷺ على الراحلة ، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن ، فبركت ، فأتيته فسجيت عليه برداً كان علي .

قال ابن جريج وغير واحد : مات رسول الله ﷺ ، بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً . رواهما ابن جرير ^(٧٨) .

(٧٥) هذا في مسلم من حديث جابر بن عبد الله (ج ٤ ص ٢١٦٦) . ومسنده أحمد (ج ٣ ص ٣٥٤ . وص ٣٨٤) من طريق ماعز التيمي عن جابر ومن طريق أبي الزبير وقد صرح بالسماع عن جابر .

(٧٦) تقدم الكلام على رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ص ٩) من هذا الجزء .

(٧٧) هذا في ابن جرير (ج ٩ ص ٥١٨) . وفيه علتان : الأولى : ضعف أسباط وهو ابن نصر والثانية إرسال السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن .

(٧٨) ج (٩ ص ٥١٩) .

ثم قال : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن فضيل ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه قال : لما نزلت ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ، وذلك يوم الحج الأكبر ، بكى عمر ، فقال له النبي ﷺ : « ما يبكيك ؟ » قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذ أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص . فقال : « صدقت » .

ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء »^(٧٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنكم تقرأون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأي آية ؟ قال : قوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ . فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ ، [نزلت] عشية عرفة في يوم جمعة^(٨٠) .

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون ، به . ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي ، من طرق عن قيس بن مسلم ، به . ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري ، عن قيس ، عن طارق قال : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً . فقال عمر : إني لأعلم حين أنزلت ، وأين أنزلت ، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة ، وإنا والله بعرفة - قال سفيان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾ الآية .

وشك سفيان ، رحمه الله ، إن كان في الرواية فهو تورع ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ؟ وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة ، فهذا ما إخاله يصدر عن الثوري ، رحمه الله ، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به ، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها ، والله أعلم ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر .

(٧٩) الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ١٣٠) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٣١٩) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم أيضاً (ج ١ ص ١٣١) من حديث ابن عمر وأخرجه الترمذي (ج ٥ ص ١٨) والدارمي (ج ٢ ص ٣١١) والإمام أحمد (ج ١ ص ٣٩٨) من حديث عبد الله وهو ابن مسعود وأخرجه ابن ماجه أيضاً (ج ٢ ص ١٣٢٠) من حديث أنس ابن مالك . رضي الله عنه .

(٨٠) أخرجه البخاري في الإيمان (ج ١ ص ١٠٥) . والمغازي (ج ٨ ص ١٠٨) وفي التفسير أيضاً (ص ٣٠٧) وفي الاعتصام (ج ١٣ ص ٢٤٥) . وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٣١٢) . والترمذي (ج ٥ ص ٢٥٠) . والنسائي في الحج (ج ٨ ص ١١٤) والإمام أحمد (ج ١ ص ٢٨) .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة ، أخبرنا عبادة بن نسي ، أخبرنا أميرنا إسحاق - قال أبو جعفر بن جرير : هو إسحاق بن خرشة - عن قبيصة - يعني ابن ذؤيب قال : قال كعب : لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية ، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه . فقال عمر : أي آية يا كعب ؟ فقال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ . فقال عمر : قد علمت اليوم الذي أنزلت [فيه] ، والمكان الذي أنزلت فيه ، نزلت في يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد^(٨١) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا قبيصة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار - هو مولى بني هاشم - أن ابن عباس قرأ : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ . فقال يهودي : لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً . فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين : يوم عيد ويوم الجمعة^(٨٢) .

وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا يحيى بن الحماني ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن إسماعيل بن سلمان ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن الحنفية ، عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ، وهو قائم عشية عرفة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(٨٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس السكوني : أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ حتى ختمها ، فقال : نزلت في يوم عرفة ، في يوم الجمعة . وروى ابن مردويه ، من طريق محمد بن إسحاق ، عن عمر بن موسى بن وجيه ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة قال : نزلت هذه الآية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف على الموقف .

فأما ما رواه ابن جرير ، وابن مردويه ، والطبراني من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش بن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس قال : ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين ، وخرج من مكة يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين : ﴿ اليوم

(٨١) ابن جرير (ج ٩ ص ٥٢٦) وليراجع الكلام على إسحاق الذي قال الطبري إنه ابن خرشة من كلام محمود شاعر في موضع المشار إليه فقد رجح أن هذا وهم من ابن جرير فليس ابن خرشة إنما هو ابن قبيصة بن ذؤيب .

(٨٢) المصدر السابق وأخرجه الترمذي بسند حسن (ج ٥ ص ٢٥٠) .

(٨٣) الحديث ضعيف بهذا السند لأن فيه أحمد بن كامل ، لينة الدارقطني ، ويحيى الحماني نقل الذهبي عن أحمد أنه قال : كان يكذب جهاراً ، وقال الحافظ في التقریب : اتهم بسرقة الحديث وفيه أيضاً إسماعيل بن سلمان وهو ضعيف .

أُكْمِلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٤﴾ ورفع الذكر يوم الإثنين فإنه أثر غريب ، وإسناده ضعيف ، وقد رواه الإمام أحمد .

حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنْشِ الصنعاني ، عن ابن عباس قال : ولد النبي ﷺ يوم الإثنين ، واستنبت يوم الإثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين وقدم المدينة يوم الإثنين ، وتوفي يوم الإثنين ، ووضع الحجر الأسود يوم الإثنين . هذا لفظ أحمد ، ولم يذكر نزول المائدة يوم الإثنين ، فالله أعلم . ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين إثنين كما تقدم ، فأشبهه على الراوى ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، ثم روي من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يقول : ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس . قال وقد قيل : إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع . ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس .

قلت : وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري : أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم ، حين قال لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه » . ثم رواه عن أبي هريرة وفيه : أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ^(٨٤) .

ولا يصح هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية : أنها يوم عرفة ، وكان يوم الجمعة ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأول ملوك الإسلام

(٨٤) الحديث بهذا السند ضعيف لأن فيه أبا هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين ، قال النسائي : متروك ، وكذا قال يحيى القطان وقال : شعبة لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أروي عنه ولكن الحديث قد صح من غير ذكر أبي هارون فأخرجه الترمذي (ج ٥ ص ٦٣٣) وابن ماجه (ج ١ ص ٤٥) وأحمد (ج ١ ص ٨٤) من غير ذكر أن الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم غدیر خم . وأخرجه أحمد (ج ٤ ص ٢٨٨) وابن حبان كما في موارد الظمان (ص ٥٤٨) بذكر وقت نزول الآية في يوم الغدير والصحيح نزولها يوم عرفة كما في الصحيحين وقد ذكر الألباني الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج ٤ ص ٣٣٠) وتكلم عنه كلاماً طويلاً في سبعة أوراق فليرجع إليه من أراد المزيد والفائدة .

تنبيه : من المحدثات والبدع عيد الغدير كما يسميه مبتدعوه فإنه من البدع التي يجب أن تترك وأن يتوب فاعملوها منها فإننا لو سلمنا جدلاً ثبوت نزول الآية في غدیر خم لما جاز لنا إحداث هذه البدعة لأنه لم يفعلها سلفنا الصالح أعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن بعده ، فكيف ونزول الآية لم يثبت إلا في يوم عرفة . هذا ولا يمكن أن تسلم عبادتنا من الشوائب والتخليط إلا إذا عرضنا جميعها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما وافق عملنا به وما خالف لم يكن له أصل فيهما تركناه . أسأل الله أن يوفق جميع المسلمين لذلك حتى يصبح الإسلام نقياً صافياً لا عوج فيه ولا أمتى .

معاوية بن أبي سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب رضي الله عنهم ، وأرسله الشعبي ، وقتادة بن دعامة ، وشهر بن حوشب ، وغير واحد من الأئمة والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله .

وقوله : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، أي : فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها تعالى ، لضرورة ألجأته إلى ذلك ، فله تناول ذلك ، والله غفورٌ رحيم له ، لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر ، وافتقاره إلى ذلك ، فيتجاوز عنه ويغفر له وفي المسند وصحيح ابن حبان ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب أن تؤتى رخصته ، كما يكره أن تؤتى معصيته »^(٨٥) لفظ ابن حبان ، وفي لفظ لأحمد : « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة »^(٨٦) .

ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الأحيان ، وهو ما إذا خاف على مهجته التلف ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوباً ، ويكون مباحاً بحسب الأحوال . واختلفوا : هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق ، أو له أن يشبع ، أو يشبع ويتزود ؟ على أقوال ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام . وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير ؟ أو صيداً وهو محرم : هل يتناول الميتة ، أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء ، أو ذلك الطعام ويضمن بدله ؟ على قولين ، هما قولان للشافعي رحمه الله : وليس من شرط [جواز] تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاماً ، كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم ، بل متى اضطر إلى ذلك جاز له ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا حسان بن عطية ، عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا : يا رسول الله ، إنا بأرض تصيينا بها المخمصة ، فمتى تحل لنا بها الميتة ؟ فقال : إذا لم تصطبحوها ، ولم تغتبقوها ، ولم تحتفتوها بقللاً فشأنكم بها^(٨٧) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين . وكذا رواه ابن جرير ، عن عبد الأعلى بن واصل ، عن محمد بن القاسم الأسدي^(٨٨) ، عن الأوزاعي ، به . لكن رواه بعضهم عن الأوزاعي عن حسان [بن عطية ، عن مسلم ، بن يزيد ، عن أبي واقد ، به . ومنهم من وراه ، عن الأوزاعي ، عن حسان] عن مرثد - أو أبي مرثد - عن أبي واقد ، به . ورواه ابن

(٨٥) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٠٨) بسند حسن .

(٨٦) هذا الحديث في مسند أحمد (ج ٢ ص ٧١) من حديث ابن عمر وهو من طريق ابن لهيعة عبد الله بن عقبة وهو ضعيف . وكذا هو في (ج ٤ ص ١٥٨) . عن عقبة بن عامر الجهني وهو من طريقه أيضاً فلعله اختلف عليه فيه .

(٨٧) مسند أحمد (ج ٥ ص ٢١٨) وفي الطبري (ج ٩ ص ٥٤٢) من طريق هناد بن السري ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي به ، فالحديث صحيح على شرط الشيخين .

(٨٨) محمد بن القاسم الأسدي هو أبو القاسم الكوفي كذبوه ، هكذا قيل فيه في التقريب .

جرير عن هناد بن السري ، عن عيسى بن يونس ، عن حسان ، عن رجل قد سمي له .. فذكره .
ورواه أيضاً عن هناد ، عن ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان ، مرسلًا .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : وجدت
عند الحسن كتاب سَمُرَة ، فقرأته عليه ، فكان فيه : « ويُجزى من الاضطرار غَبُوق أو صَبُوح » .
حدثنا أبو كريب ، حدثنا هشيم ، عن الخصيب بن زيد التيمي ، حدثنا الحسن : أن رجلاً
سأل النبي ﷺ فقال : « متى يحل الحرام ؟ » قال : فقال . إلى متى يَرَوَى أهلك من اللبن ، أو تجيء
ميرتهم^(٨٩) .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، حدثني عمر بن عبد الله بن عروة ،
عن جده عروة بن الزبير ، عن جدته : أن رجلاً من الأعراب أتى النبي ﷺ يستفتيه في الذي حرم الله
عليه ، والذي أحل له ، فقال النبي ﷺ : تحل لك الطيبات وتحرم عليك الخبائث ، إلا أن تفتقر
إلى طعام [لا يحل] لك ، فتأكل منه حتى تستغني عنه . فقال الرجل : وما فقري الذي يُحل لي ؟
وما غنائي الذي يغنيني عن ذلك ؟ فقال النبي ﷺ : [إذا كنت ترجو نتاجاً ، فتبلغ بلحوم ماشيتك
إلى نتاجك ، أو كنت ترجو غنى ، تطلبه ، فتبلغ من ذلك شيئاً ، فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني
عنه . فقال الأعرابي : ما غنائي الذي أدعه إذا وجدته ؟ فقال ﷺ : « إذا أرويت أهلك غَبُوقاً من الليل ،
فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام [وأما] مالك فإنه ميسور كله ، ليس فيه حرام »^(٩٠) .

ومعنى قوله : « ما لم تصطبخوا » يعني به : الغداء « وما لم تغتبقوا » : يعني به العشاء
« أو تحتفتوا بقلأ فشأنكم بها » فكلوا منها . وقال ابن جرير : يروى هذا الحرف - يعني قوله : « أو
تحتفتوا » على أربعة أوجه : « تحتفتوا » بالهمزة ، وتحتفتوا ، بتخفيف الياء والحاء ، « وتحتفتوا »
بتشديد ، « وتحتفتوا » بالحاء وبالتخفيف ، ويحتمل الهمزة كذا ذكره في التفسير .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا
عقبة بن وهب بن عقبة العامري ، سمعت أبي يحدث عن الفُجَيع العامري : أنه أتى رسول الله ﷺ
فقال : ما يحل لنا من الميتة ؟ قال : ما طعامكم ؟ قلنا نغتبِق ونصطبِح . قال أبو نعيم : فسر له لي عقبة :
قدح غُدوة ، وقدح عشية . قال : ذاك وأبى الجوع .. وأحل لهم الميتة على هذه الحال^(٩١) .

(٨٩) الحديث بهذا السند مرسل لأن الحسن تابعي ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ومراسيله من أضعف
المراسيل .

(٩٠) هذا الحديث ضعيف بهذا السند لأن فيه ابن حميد وهو حميد الرازي وهو حافظ ضعيف وهو في
ابن جرير (ج ٩ ص ٥٤٠) .

(٩١) الحديث ضعيف بهذا السند لأنه من طريق عقبة بن وهب عن أبيه وعقبة هذا مقبول وأبوه مستور وهو كما
قال الحافظ ابن كثير إن أبا داود تفرد به (ج ٤ ص ١٦٦) .

تفرد به أبو داود . وكأنهم يصطبحون ويغتبقون شيئاً لا يكفيهم ، فأحل لهم الميتة تمام كفايتهم ، وقد يحتاج به من يرى جواز الأكل منها حتى يبلغ حد الشبع ، ولا يتقيد ذلك بسد الرمق ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا سماك ، عن جابر بن سمرة : « أن رجلاً نزل الحرة ، ومعه أهله وولده ، فقال له رجل : إن ناقة لي ضلّت ، فإن وجدت فأمسكها ، فوجدها ولم يجد صاحبها ، فمرضت فقالت امرأته : انحرها . فأبى ، فنفقت ، فقالت له امرأته ، اسلخها حتى تُقَدّد شحمها ولحمها فأكله ، فقال : حتى أسأل رسول الله ﷺ ، فأتاه فسأله ، فقال : هل عندك غنى يغنيك ؟ قال لا . قال فكلوها ، قال : فجاء صاحبها فأخبره الخبر ، فقال : هلا كنت نحرمتها ؟ قال : استحييت منك » (٩٢) .

تفرد به . وقد يحتاج به من يُجوز الأكل والشبع ، والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج إليها ، والله أعلم ، وقوله : ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ أي : متعاط لمعصية الله ، فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ .

وقد استدل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر ، لأن الرخص لا تنال بالمعاصي ، والله أعلم .

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَ اللَّهُ
فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ④

لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لتناولها ، إما في بدنه ، أو في دينه ، أو فيهما ، واستثنى ما إستثناه في حالة الضرورة ، كما قال : ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾ . قال بعدها : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم . قل : أحل لكم الطيبات ﴾ ، كما في سورة الأعراف في صفة محمد ﷺ : أنه ﴿ يُحَلِّلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ ﴾ .

(٩٢) الحديث حسن لأن فيه سماك بن حرب وهو صدوق .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم ، وزيد بن المهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ ، فقالا : يا رسول الله ، قد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : ﴿ يسئلونك : ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات ﴾^(٩٣) . قال سعيد : يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل : فالطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق . وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي فقال : ليس هو من الطيبات .

رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن وهب : سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس . فقال : ليس هو من الطيبات . وقوله تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلين ﴾ ، أي : أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق ، وأحل لكم ما اصطدتموه بالجوارح ، وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباه ذلك ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة ، ومن قال ذلك : علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلين ﴾ : وهن الكلاب المعلمة ، والبازي ، وكل طير يعلم للصيد ، والجوارح : يعني الكلاب الضواري والفهود والصقور وأشباهها .

رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : وروي عن خيثمة ، وطاوس ، ومجاهد ، ومكحول ، ويحيى بن أبي كثير ، نحو ذلك . وروي عن الحسن أنه قال : الباز والصقر من الجوارح . وروي عن علي بن الحسين مثله . ثم روي عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله وقرأ قول الله : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلين ﴾ . قال : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك . ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي ، ثم قال :

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرنا ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أما ما صاد من الطير البزاة وغيرها من الطير ، فما أدركت فهو لك ، وإلا فلا تطعمه^(٩٤) .

قلت : والمحكي عن الجمهور أن صيد الطيور كصيد الكلاب لأنها تكلب الصيد بمخالبها ، كما تكلبه الكلاب ، فلا فرق . وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، واحتج في ذلك بما رواه عن هناد ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم قال : « سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي ، فقال : ما أمسك عليك فكل » .

(٩٣) الحديث ضعيف بهذا السند وسببه ضعف ابن لهيعة وشيخه عطاء بن دينار وثقه أحمد وأبو داود وقال أحمد ابن صالح : تفسيره فيما يروى عن سعيد بن جبير صحيفة ليس فيها ما يدل على أنه سمع منه ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان كان عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه تفسير القرآن فكتب إليه بهذا فوجده عطاء بن دينار فأخذه . اهـ من ترجمته من ميزان الاعتدال .

(٩٤) هذا الأثر في ابن جرير (ج ٩ ص ٥٤٩) وهو ضعيف لأن ابن جريج مدلس وقد عنعن .

واستثنى الإمام أحمد صيد الكلب الأسود ، لأنه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه ، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود » . فقلت : ما بال الكلب الأسود من الأحمر ؟ فقال : « الكلب الأسود شيطان »^(٩٥) . وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم قال : « ما بالهم وبال الكلاب ، اقتلوا منها كل أسود بهيم »^(٩٦) .

وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن : جوارح ، من الجرح ، وهو : الكسب . كما تقول العرب : فلان جرح أهله خيراً ، أي : كسبهم خيراً . ويقولون : فلان لا جراح له ، أي : لا كاسب له ، وقال الله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ ، أي : ما كسبتم من خير وشر .

وقد ذكر [في] سبب نزول هذه الآية الكريمة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني موسى بن عبيدة ، حدثني أبان بن صالح ، عن القعقاع بن حكيم ، عن سلمى أم رافع ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ [أن رسول الله ﷺ] أمر بقتل الكلاب فقتلت ، فجاء الناس فقالوا : يا رسول الله ، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت ، فأنزل الله : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلين ... ﴾ .. الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « إذا أرسل الرجل كلبه وسمى ، فأمسك عليه ، فليأكل ما لم يأكل »^(٩٧) .

وهكذا رواه ابن جرير^(٩٨) ، عن أبي كريب ، عن زيد بن الحباب بإسناده ، عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ليستأذن عليه ، فأذن له فقال : قد أذن لك يا رسول الله . قال : « أجل ، ولكننا لا ندخل بيتاً فيه كلب » . قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة [فقتلت] ، حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها ، فتركته رحمة لها ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته . فجاءوا فقالوا : يا رسول الله ، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ، قال : فأنزل الله عز وجل :

(٩٥) صحيح مسلم حديث (٥١٠) باب قدر ما يستر المصلي ، وأخرجه أبو داود في الصلاة (ج ١ ص ٤٥٠) .
والترمذي في الصلاة (ج ٢ ص ١٦١) . والنسائي (ج ٢ ص ٦٣) . وابن ماجه (ج ١ ص ٣٠٦) . والإمام أحمد في مسنده (ج ٥ ص ١٤٩) .

(٩٦) الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٢٣٥) من حديث عبد الله بن المغفل ، وأبو داود (ج ٣ ص ٢٦٧) .
والترمذي (ج ٤ ص ٨٠) . والنسائي (ج ٧ ص ١٨٥) . وأخرجه ابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٦٩) . والإمام أحمد في مسنده (ج ٣ ص ٣٣٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٩٧) الحديث ضعيف بهذا السند وسببه موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف جداً .

(٩٨) وهذا ضعيف أيضاً لأنه من طريق موسى بن عبيدة وقد تقدم أنه ضعيف وهو في الطبري (ج ٩ ص ٥٤٥) .

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكيلين﴾ .

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح ، به . وقال : صحيح ولم يخرجاه^(٩٩) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، حتى بلغ العوالي فدخل عاصم بن عدي ، وسعد بن خيثمة ، وعويم بن ساعدة ، فقالوا : ماذا أحل لنا يا رسول الله ؟ فنزلت : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكيلين﴾^(١٠٠) .

ورواه الحاكم من طريق سماك ، عن عكرمة ، وهكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية أنه في قتل الكلاب^(١) .

وقوله تعالى : ﴿مكيلين﴾ يحتمل أن يكون حالاً من الضمير في ﴿علمتم﴾ فيكون حالاً من الفاعل ، ويحتمل أن يكون حالاً من المفعول وهو « الجوارح » أي : وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكليات للصيد ، وذلك أن تقتنصه بمخالها أو أظفارها . فيستدل بذلك - والحالة هذه - على أن الجارحة إذ قتل الصيد بصدمته أو بمخلابه وظفره أنه لا يحل ، كما هو أحد قولي الشافعي وطائفة من العلماء ، ولهذا قال : ﴿تعلمونهم مما علمكم الله﴾ ، وهو أنه إذا أرسله استرسل ، وإذا أشلاه استشلى ، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسه لنفسه ، ولهذا قال تعالى : ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ فمتى كان الجارحة معلماً وأمسك على صاحبه ، وكان قد ذكر اسم الله عند إرساله حل الصيد ، وإن قتله بالإجماع .

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال ، قلت : يا رسول الله ، إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله . فقال : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك » . قلت : وإن قتلن ؟ قال : « وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها ، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره » . قلت له : فإني أرمي بالمعروض الصيد فأصيب ؟ فقال : « إذا رميت بالمعروض فحزق ، فكله ، وإن أصابه بعرض فإنه وقيد ، فلا تأكله » . وفي لفظ لهما : « إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركنه حياً

(٩٩) المستدرک (ج ٢ ص ٣١١) والحديث ضعيف لأن موسى بن عبيدة ضعيف وابن إسحاق لم يصرح بالتحديث .

(١٠٠) الحديث في الطبري (ج ٩ ص ٥٤٦) وهو ضعيف بهذا السند لعلتين : الأولى ضعف الحسين بن داود المعروف بسنيد والثانية : إرسال عكرمة فإنه تابعي من الثالثة .

(١) المستدرک (ج ٢ ص ٣١١) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة وأما أثر محمد بن كعب فقد أخرجه الطبري (ج ٩ ص ٥٤٦) وهو مرسل لأن محمد بن كعب تابعي من الثالثة فلم يدرك هذه القصة .

فأذبحه ، وإن أدرسته قد قتل ولم يأكل منه فكله ، فإن أخذ الكلب ذكاته . وفي رواية لهما : « فإن أكل فلا تأكل ، فإنني أخاف أن يكون أمسك على نفسه »^(٢).

فهذا دليل للجمهور ، وهو الصحيح من مذهب الشافعي ، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقاً ، ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث . وحكي عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يحرم مطلقاً .

ذكر الآثار بذلك

قال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : قال سلمان الفارسي : كل وإن أكل ثلثيه - يعني الصيد - إذا أكل منه الكلب . وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، وعمر بن عامر ، عن قتادة . وكذا رواه محمد بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان^(٣).

ورواه ابن جرير أيضاً عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن بكر بن عبد الله المزني والقاسم أن سلمان قال : إذا أكل الكلب فكل ، وإن أكل ثلثيه .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مخرمة بن بكير ، عن أبيه عن حميد بن مالك بن خثيم الدؤلي : أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب ، فقال : كل ، وإن لم يبق منه إلا حذية - يعني : بضعة^(٤).

ورواه شعبة ، عن عبد ربه بن سعيد ، عن بكير بن الأشج ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : كل وإن أكل ثلثيه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن أبي هريرة . قال : لو أرسلت كلبك فأكل منه ، فإن أكل ثلثيه وبقي ثلثه فكل^(٥).

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت عبيد الله - وحدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن عبيد الله بن عمر - عن نافع ، عن عبد الله [بن عمر] قال : إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك ، أكل أو لم يأكل^(٦).

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث (ص ١٨) من هذا الجزء .

(٣) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٦١) وسنده ضعيف لأن سعيد بن المسيب لم تذكر له رواية عن سلمان .

(٤) المصدر المشار إليه قبل . وأما السند فحسن لأن مخرمة صدوق وروايته عن أبيه وجادة من كتابه ، قاله الحافظ

ابن حجر عن ابن معين وأحمد وغيرهما وقال : قال ابن المديني : سمع مخرمة من أبيه قليلاً .

(٥) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٦٢) ، وعبد الأعلى هو ابن عبد الأعلى ، وداود هو ابن أبي هند وعامر هو الشعبي

وثلاثهم ثقات .

(٦) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٦٣) . ومحمد بن عبد الأعلى هو الصنعاني ، ثقة .

وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد ، عن نافع .

فهذه الآثار ثابتة عن سلمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وابن عمر وهو محكي عن علي ، وابن عباس . واختلف فيه عن عطاء ، والحسن البصري . وهو قول الزهري ، وربيعه ، ومالك . وإليه ذهب الشافعي في القديم ، وأوماً إليه في الجديد .

وقد روي من طريق سلمان الفارسي مرفوعاً ، فقال ابن جرير :

حدثنا عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا عبد العزيز بن موسى اللاحوني ، حدثنا محمد بن دينار - هو الطاحي - عن أبي إياس معاوية بن قره ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ قال : « إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه ، وقد أكل منه ، فليأكل ما بقي »^(٧).

ثم قال ابن جرير : وفي إسناد هذا الحديث نظر ، « وسعيد » غير معلوم له سماع من سلمان ، والثقات يروونه من كلام سلمان غير مرفوع .

وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح ، لكن قد روي هذا المعنى مرفوعاً من وجوه أخر ، فقال أبو داود : حدثنا محمد بن منهل الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده أن أعرابياً - يقال له : أبو ثعلبة - قال : يا رسول الله ، إن لي كلاباً مكلبة ، فأفتني في صيدها ، فقال النبي ﷺ : « إن كان لك كلاب مكلبة ، فكل مما أمسكن عليك » . فقال : ذكياً وغير ذكي ؟ [قال : « نعم » . قال : « وإن أكل منه ؟ قال : « نعم ، وإن أكل منه » . قال : يا رسول الله ، أفتني في قوسي . فقال : « كل ما ردت عليك قوسك » . قال : ذكياً وغير ذكي ؟ قال : « وإن تغيب عنك مالم يصل ، أو تجد فيه أثر غير سهمك » قال : أفتني في آنية الجوس إذا اضطررنا إليها . قال : « اغسلها وكل فيها »^(٨).

هكذا رواه أبو داود ، وقد أخرجه النسائي . وكذا رواه أبو داود ، من طريق بُسر بن عبيد الله ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله فكل ، وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك يدك »^(٩).

(٧) عمران بن بكار الكلاعي هو البراد المؤذن ، وثقه النسائي ، وقال مسلمة بن قاسم : لا بأس به ، وعبد العزيز صدوق ومحمد بن دينار صدوق سبىء الحفظ ، فالحديث حسن .

(٨) سنن أبي داود (ج ٣ ص ٢٧٥) وقد تعرض الحافظ ابن حجر للكلام على هذا الحديث عند كلامه على حديث عدي بن حاتم في الصيد بالمعراض ، وذلك في الفتح (ج ٩ ص ٦٠١) . والمقام هذا لا يتسع لنقله فليرجع إليه في موضعه .

(٩) سنن أبي داود (ج ٣ ص ٢٧١) بسند حسن لأنه من طريق داود بن عمرو الأزدي وهو صدوق يخطئ .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد روى الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن عدي قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كان من كلب ضار أمسك عليك » ، فكل . قلت : وإن أكل قال : « نعم »^(١٠).

وروى عبد الملك بن حبيب : حدثنا أسد بن موسى ، عن ابن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن عدي ، مثله .

فهذه آثار دالة على أنه يغتفر إن أكل منه الكلب : وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه ، كما تقدم عن حكيمه عنهم ، وقد توسط آخرون فقالوا : إن أكل عقب ما أمسكه فإنه يحرم لحديث عدي بن حاتم . وللعلة التي أشار إليها النبي ﷺ : « فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » . وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه وجاع ، فأكل من الصيد لجوعه ، فإنه لا يؤثر في التحريم . وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني ، وهذا تفريق حسن ، وجمع بين الحديثين صحيح . وقد تبنى الأستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه « النهاية » أن لو فصل مفصل هذا التفصيل ، وقد حقق الله أمنيته ، قال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب منهم ، وقال آخرون قولاً رابعاً في المسألة ، وهو التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي ، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم ، لأنه لا يقبل التعليم إلا بالأكل .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب^(١١) ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن حماد عن إبراهيم ، عن ابن عباس أنه قال في الطير : إذا أرسلته فقتل فكل . فإن الكلب إذا ضربته لم يعد . وإن تعلم الطير أن يرجع إلى صاحبه وليس يضرب ، فإذا أكل من الصيد ونتف الريش فكل .

وكذا قال إبراهيم النخعي ، والشعبي ، وحماد بن أبي سليمان .

وقد يحتج لهؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم .

حدثنا أبو سعيد^(١٢) ، حدثنا المحاربي ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم قال ، قلت : يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، فما يحل لنا منها ؟ قال : « يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهم مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه » .

(١٠) سماك بن حرب لم تذكر له رواية عن عدي بن حاتم والظاهر أن هذا القول شاذ لمخالفته . ما في الصحيحين وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ أن سماك بن حرب يروي عن عباد بن حبيب عن عدي بن حاتم فعلى هذا يكون ما بين أيدينا منقطعاً . اهـ .

(١١) هذا الأثر ضعيف بهذا السند لأن إبراهيم النخعي لم يصح له سماع من صحابي ، قال الذهبي في ترجمته .

(١٢) ضعيف بهذا السند بسبب مجالد بن سعيد ، قال البخاري : كان يحيى بن سعيد يضعفه .

ثم قال : « ما أرسلت من كلب وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » . قلت : وإن قتل ؟ قال : « وإن قتل ما لم يأكل » . قلت : يا رسول الله ، وإن خالطت كلابنا كلاب غيرها ؟ قال : « فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك » . قال : قلت : إنا قوم نرمي ، فما يحل لنا ؟ قال : « ما ذكرت اسم الله عليه وخزقت فكل » .

فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ، ولم يشترط ذلك في البزاة ، فدل على التفرقة بينهما في الحكم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾ أي : عند الإرسال ، كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك » . وفي حديث أبي ثعلبة المخرج في الصحيحين أيضاً^(١٣) : « إذا أرسلت كلبك ، فاذكر اسم الله ، وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله » ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كأحمد - في المشهور عنه - التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث ، وهذا القول هو المشهور عن الجمهور : أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال ، كما قال السدي وغير واحد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ ، يقول : إذا أرسلت جارحك فقل : باسم الله ، وإن نسيت فلا حرج .

وقال بعض الناس : المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ علم ربيه عمر بن أبي سلمة فقال : « سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »^(١٤) . وفي صحيح البخاري ، عن عائشة أنهم قالوا : يا رسول الله ، إن قوماً يأتوننا - حديث عهدهم بكفر - بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا ؟ فقال : « سمو أنتم وكلوا »^(١٥) .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، عن هشام ، عن بديل ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه ، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين ، فقال النبي ﷺ : « أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم

(١٣) هذا في البخاري (ج ٩ ص ٦٠٤) . ومسلم (ج ٣ ص ٥٣٣) . وأبي داود (ج ٣ ص ٢٧٤) . والنسائي (٧ ص ١٨١) .

(١٤) صحيح البخاري (ج ٩ ص ٥٢١) . ومسلم (ج ٣ ص ١٥٩٩) ، عن عمر بن أبي سلمة .

(١٥) صحيح البخاري (ج ٩ ص ٦٣٤) .

تنبيه: حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمي أو لم يسم . ذكره ابن حجر في شرح هذا الحديث ونقل رحمه الله تعالى عن النووي قوله : هو مجمع على ضعفه . وقد أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وقال : منكر لا يحتج به . قال ابن حجر : وحديث أبي هريرة فيه مروان بن سالم وهو متروك .

[طعاماً] فليذكر اسم الله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله [في] أوله ، فليقل : باسم الله أوله وآخره ^(١٦) .

وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، به . وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن عمير وعائشة ، فإنه لم يسمع منها هذا الحديث ، بدليل ما رواه الإمام أحمد ، حدثنا عبد الوهاب ، أخبرنا هشام - يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي - عن بديل ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، أن امرأة منهم - يقال لها : أم كلثوم - حدثته ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعاماً في ستة من أصحابه ، فجاء أعرابي جائع فأكله بلقمتين ، فقال : « أما إنه لو ذكر اسم الله لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله ، فإن نسي اسم الله في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

رواه أحمد أيضاً ، وأبو داود والترمذي ، والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث آخر : وقال أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جابر بن صبح ، حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي - وصحبته إلى واسط ، فكان يسمى في أول طعامه ، وفي آخر لقمة يقول : باسم الله أوله وآخره .

[فقلت له : إنك تسمي في أول ما تأكل ، رأيت قولك في آخر ما تأكل : باسم الله أوله وآخره] فقال : أخبرك [عن ذلك] إن جدي أمية بن مخشي - وكان من أصحاب النبي ﷺ [سمعته يقول : إن رجلاً كان يأكل ، والنبي ينظر ، فلم يسم ، حتى كان في آخر طعامه لقمة ، فقال : باسم الله أوله وآخره . فقال النبي ﷺ] : « والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمى ، فلم يبق شيء في بطنه حتى قاءه » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي ، من حديث جابر بن صبح الراسبي أبي بشر البصري ، ووثقه

(١٦) مسند الإمام أحمد (ج ٦ ص ١٤٣) . قال : ثنا يزيد نا هشام عن عبد الله بن عبيد بن عمير وفي موضع آخر يزيد نا هشام عن بديل بن ميسرة ، وهذا الحديث في سنن أبي داود (ج ٤ ص ١٣٨) عن مؤمل بن هشام عن إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي عن بديل عن عبد الله بن عبيد الله وهو ابن عمير الليثي عن امرأة منهم يقال لها أم كلثوم به . وبديل هو العقيلي بن ميسرة البصري ، ثقة وهو في سنن الترمذي (ج ٤ ص ٢٨٨) باب ما جاء في التسمية على الطعام عن أم كلثوم نحوه ولم يقل عن امرأة منهم .

وقال الترمذي بعد ذكره للحديث : هذا حديث حسن صحيح وأم كلثوم هي بنت محمد بن أبي بكر الصديق . وأخرجه ابن ماجه أيضاً (ج ٢ ص ١٠٨٦) باب التسمية عند الطعام عن عبد الله بن عبيد الله عن عائشة فذكره .

وذكره الألباني في جامع الصحيح وخرجه في الإرواء برقم (١٩٦٥) ورمز له بالصحة وذكر له شواهد هناك فليرجع إليه من أراد المزيد من هذا .

ابن معين والنسائي ، وقال أبو الفتح الأزدي : لا تقوم به الحجة^(١٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن خيثمة ، عن أبي حذيفة - قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد : واسمه سلمة بن الهيثم بن صهيب ، من أصحاب ابن مسعود - عن حذيفة قال : كنا إذا حضرنا مع النبي [على طعام ، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده ، وإنا حضرنا معه] طعاماً فجاءت جارية ، كأنما تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، وجاء أعرابي كأنما يدفع فذهب يضع يده في الطعام ، فأخذ رسول الله بيده . فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده ، إن يده في يدي مع يدهما . يعني الشيطان ، وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث الأعمش ، به^(١٨) .

حديث آخر : روى مسلم وأهل السنن إلا الترمذي ، من طريق ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله [عن النبي ﷺ] قال : « إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء »^(١٩) .

لفظ أبي داود .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب ، عن أبيه ، عن جده أن رجلاً قال للنبي ﷺ : « إنا نأكل وما نشبع ؟ قال : فلعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله ، يبارك لكم فيه »^(٢٠) .

(١٧) جابر بن صبح ذكره الذهبي في الميزان ولم يزد على قول الحافظ هذا . أما الحافظ ابن حجر فاختر في التقريب أنه صدوق ومال إلى هذا القول في التهذيب ، والثني بن عبد الرحمن الخزاعي مستور هكذا قال فيه الحافظ في التقريب .

(١٨) الحديث في مسند أحمد (ج ٥ ص ٣٨٢) وصحيح مسلم (ج ٣ ص ١٥٩٧) . وسنن أبي داود (ج ٤ ص ١٣٩) . وأما النسائي فعزاه الحافظ المزني إليه في السنن الكبرى .

(١٩) صحيح مسلم (ج ٣ ص ١٥٩٨) . وسنن أبي داود (ج ٤ ص ١٣٨) باب التسمية على الطعام وعزاه الحافظ المزني في الأطراف إلى النسائي في الكبرى وفي اليوم والليلة عن يوسف بن سعيد عن حجاج بن محمد عن ابن جريج به وهو في ابن ماجه أيضاً (ج ٢ ص ١٢٧٩) .

(٢٠) (ج ٣ ص ٥٠١) . وأما أبو داود فأخرجه (ج ٤ ص ١٣٨) من طريق إبراهيم بن موسى الرازي وابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٩٣) من طريق محمد بن الصباح وهشام بن عمار وداود بن رشيد أربعتهم عن الوليد =

ورواه أبو داود ، وابن ماجه ، عن طريق الوليد بن مسلم :

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ وَالطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ
غَيْرُ مُسَفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث ، وما أحله لهم من الطيبات ، قال بعده : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ .

ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى ، فقال : ﴿ وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم ﴾ . قال ابن عباس ، وأبو أمامة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، ومكحول ، وإبراهيم النخعي والسدي ، ومقاتل بن حيان : يعني ذبائحهم .

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين ، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله ، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزّه عن قولهم ، تعالى وتقدس . وقد ثبت في الصحيح عن^(٢١) عبد الله بن مغفل قال : دلي بجراب من شحم يوم خير فاحتضنته وقلت : لا أعطي اليوم من هذا أحداً ، والتفت فإذا النبي ﷺ يتبسم .

فاستدل به الفقهاء على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنيمة قبل القسمة ، وهذا ظاهر . واستدل به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة على أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحه ، كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم ، فالملكية لا يجوزون للمسلمين أكله ، لقوله تعالى : ﴿ وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم ﴾ ، قالوا : وهذا ليس من طعامهم .

= ابن مسلم وهو ثقة لكنه يدلس بتدليس التسوية والشرط قبول روايته أن يصرح بالتحديث إلى نهاية السند وقد عنعن هنا إلى آخره ووحشي بن حرب هذا مستور وأبوه حرب مقبول فالحديث ضعيف لأن مداره على مدلس ومستور ومقبول .

(٢١) هذا في صحيح البخاري (ج ٦ ص ٢٥٥) و (ج ٧ ص ٤٨١) و (ج ٩ ص ٦٣٦) . ومسلم (ج ٣ ص ١٣٩٣) . وسنن أبي داود (ج ٣ ص ١٤٩) . والنسائي (ج ٧ ص ٢٣٦) . والدارمي (ج ٢ ص ٢٣٤) . وأحمد في مسنده (ج ٤ ص ٨٦) و (ج ٥ ص ٥٦) .

واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث ، وفي ذلك نظر ، لأنه قضية عين ويحتمل أنه كان شحماً يعتقدون حله ، كشحم الظهر والحوايا ونحوهما ، والله أعلم .

وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح^(٢٢) أن أهل خير أهدوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية ، وقد سمّوا ذراعها ، وكان يعجبه الذراع ، فتناوله فنهش منه نهشة ، فأخبره الذراع أنه مسموم ، فلفظه ، وأثر ذلك السم في ثنايا رسول الله ﷺ وفي أبيه ، وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور ، فمات ، فقتل اليهودية التي سمّتها ، وكان اسمها : زينب ، فقتلت ببشر بن البراء .

ووجه الدلالة منه أنه عزم على أكلها ومن معه ، ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا .

وفي الحديث الآخر : أن رسول الله ﷺ أضافه يهودي على خبز شعير وإهالة سنخة ، يعني : ودكاً زنجاً^(٢٣) .

وقال ابن أبي حاتم : قرىء على العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرنا محمد بن شعيب ، أخبرني النعمان بن المنذر ، عن مكحول قال : أنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ثم نسخها الرب عز وجل ، ورحم المسلمين ، فقال : ﴿ الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ، وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ ﴾ ، فنسخها بذلك ، وأحل طعام أهل الكتاب^(٢٤) .

وفي هذا الذي قاله مكحول ، رحمه الله ، نظر ، فإنه لا يلزم من إباحته طعام أهل الكتاب إباحة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم [وقرابينهم ، وهم متعبدون بذلك ، ولهذا لم يبيح ذبائح من عداهم من أهل الشرك ومن شابههم ، لأنهم لم يذكروا اسم الله على ذبائحهم] بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة ، بل يأكلون الميتة ، بخلاف أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ، ومن تمسك بدين إبراهيم وشيت وغيرهما من الأنبياء ، على أحد قولي العلماء ، ونصارى العرب كبنى تغلب وتنوخ وبهراء وجذام ولخم وعاملة ومن أشبههم ، لا تؤكل ذبائحهم عند الجمهور .

(٢٢) الحديث في صحيح البخاري (ج ٥ ص ٢٣٠) . وصحيح مسلم (ج ٤ ص ١٧٢١) . وسنن أبي داود (ج ٤ ص ٦٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢٣) هذا في البخاري (ج ٤ ص ٣٠٢) و (ج ٥ ص ١٤٠) . والنسائي (جزء ٧ ص ٢٨٨) . وابن ماجه (ج ٢ ص ٨١٥) والإمام أحمد (ج ٣ ص ١٣٣ و ٢٠٨ و ٢١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وقال المحقق لطبعة الشعب : والإهالة : كل شيء من الأدهان مما يؤتدم يسمى إهالة ، وقيل : هو ما أذيب من الألية والشحم وقيل : الدسم الجامد والسنخة : المتغيرة الريح ، والودك : دسم الدهن .

(٢٤) العباس هو العبيدي البيروتي ، صدوق عابد ، ومحمد بن شعيب هو ابن ثابور ، صدوق صحيح الكتاب ، والنعمان هو الغساني ، صدوق ، ومكحول هو الشامي ثقة فقيه كثير الإرسال .

قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة قال ، قال علي : لا تأكلوا ذبائح بني تغلب ، لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر^(٢٥) .

وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن : أنهما كانا لا يريان بأساً بذيحية نصارى بني تغلب^(٢٦) .

وأما المجوس ، فإنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعاً وإلحاقاً لأهل الكتاب ، فإنهم لا تؤكل ذبائحهم و لا تنكح نساؤهم ، خلافاً لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل ، ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء ذلك ، حتى قال عنه الإمام أحمد : أبو ثور كاسمه ! يعني في هذه المسألة ، وكأنه تمسك بعموم حديث رُوي مرسلاً عن النبي ﷺ أنه قال : « سَتُوا بِهِمْ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ »^(٢٧) ، ولكن لم يثبت بهذا اللفظ ، وإنما الذي في صحيح البخاري ، عن عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هَجَرَ^(٢٨) .

و لو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية : ﴿ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْ لَكُمْ ﴾ ، فدل بمفهومه - مفهوم المخالفة - على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل .

(٢٥) الأثر في ابن جرير (ج ٩ ص ٥٧٥) وأخرجه البيهقي في سننه (ج ٩ ص ٢٨٤) والشافعي في الأم (ج ٢ ص ١٩٦) وهو صحيح إلى علي رضي الله عنه .

(٢٦) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٧٣ و ٥٧٤) بأسانيد صحيحة .

(٢٧) قال المحقق لطبعة الشعب : الموطأ كتاب الزكاة (ج ١ ص ٢٧٨) . وأشار إليه صاحب المعجم المفهرس ب (ط) كتاب الزكاة (٤٣) . وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ٦ ص ٢٦١) ، وقال : وهذا منقطع مع ثقة رجاله وذكر له هناك تحريجات فليرجع إليها .

(٢٨) صحيح البخاري (ج ٦ ص ٢٥٧) ، وقال الحافظ عند شرحه لهذا الحديث : قلت إن كان هذا من جملة كتاب عمر فهو متصل وتكون فيه رواية عمر عن عبد الرحمن بن عوف وبذلك وقع التصريح في رواية الترمذي (ج ٤ ص ١٤٦ و ١٤٧) ولفظه : فجاءنا كتاب عمر : انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني فذكره ، لكن أصحاب الأطراف ذكروا هذا الحديث في ترجمة بجالة بن عبدة عن عبد الرحمن بن عوف وليس بجيد ، وقد أخرج أبو داود (ج ٢ ص ٤٣٣) من طريق قشير بن عمرو عن بجالة عن ابن عباس قال : جاء رجل من مجوس هجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج قلت له : ما قضى الله ورسوله فيكم ؟ قال : شر ، الإسلام أو القتل . قال : وقال عبد الرحمن بن عوف : قبل منهم الجزية . قال ابن عباس : فأخذ الناس بقول عبد الرحمن بن عوف وتركوا ما سمعت وعلى هذا فبجالة يرويه عن ابن عباس سماعاً وعن عمر كتابة كلاهما عن عبد الرحمن . اهـ المراد منه . وأخرجه أبو داود الطيالسي في المسند برقم (٢٢٥) وقال محققه حفظه الله : والحديث بهذا السند صحيح رجاله كلهم ثقات .

وقوله : ﴿ وَطَعَامَكُمْ حل لهم ﴾ ، أي : ويجل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، وليس هذا إخباراً عن الحكم عندهم ، اللهم إلا أن يكون خبراً عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه ، سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها . والأول أظهر في المعنى ، أي : ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، كما أكلتم من ذبائحهم . وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة ، كما ألبس^(٢٩) النبي ﷺ ثوبه لعبد الله بن أبي ابن سلول حين مات ودفنه فيه ، قالوا : لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه ، فجازاه النبي ﷺ ذلك بذلك ، فأما الحديث الذي فيه^(٣٠) : « لا تصحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » . فمحمول على الندب والاستحباب ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ، أي : وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات ، وذكر هذا توطئة لما بعده ، وهو قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، فقيل : أراد بالمحصنات : الحرائر دون الإماء ، حكاه ابن جرير عن مجاهد^(٣١) . وإنما قال مجاهد : المحصنات : الحرائر فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه ، ويحتمل أن يكون أراد بالحررة : العفيفة كما قاله مجاهد في الرواية الأخرى^(٣٢) عنه . وهو قول الجمهور هاهنا ، وهو الأشبه ، لثلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة ، فيفسد حالها بالكلية ، ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل : « حشفاً وسوء كيلة »^(٣٣) والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات : العفيفات عن الزنا ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أَحْدَانٍ ﴾ .

ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ : هل يعم [كل] كتابية عفيفة ، سواء كانت حرة أو أمة ؟ حكاه ابن جرير^(٣٤) عن طائفة

(٢٩) هذا مأخوذ من حديث ذكره البخاري مطولاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ وفي (ج ٣ ص ١٣٨) ، وفيه أيضاً (ص ٢١٤) . وأخرجه مسلم حديث رقم (٢٧٧٤) . والترمذي (ج ٥ ص ٢٧٩) . والإمام أحمد في مسنده (ج ١ ص ١٦) و (ج ٢ ص ١٨) . (٣٠) هذا أخرجه أبو داود (ج ٥ ص ١٦٧) . والترمذي (ج ٤ ص ٦٠٠) باب : ما جاء في صحبة المؤمن . وقال هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه ، وأخرجه الدارمي في سننه (ج ٢ ص ١٠٣) والإمام أحمد في مسنده (ج ٣ ص ٣٨) من طريق سالم بن غيلان عن الوليد بن قيس عن أبي سعيد أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، وسالم هذا لا بأس به والوليد مقبول ، وقد روي عن أبي سعيد ، وعن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، فالحديث من أجله ضعيف .

(٣١) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٨٢) من طريق ابن وكيع وهو سفيان ضعيف . (٣٢) وهذا فيه أيضاً (ص ٥٨٥) وهو من طريق ليث بن أبي سليم ، وقد تقدم أنه ضعيف . (٣٣) قال صاحب مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٠٧) رقم (١٠٩٨) : أحشفاً وسوء كيلة ، الكيلة : فعلة من الكيل وهي تدل على الهيعة والحالة نحو الركبة والجلسة ، والحشف : أردأ التمر . أي أنجمع حشفاً وسوء كيلة ويضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين اهـ . (٣٤) تفسير الطبري (ج ٩ ص ٥٨١ - ٥٩٠) .

من السلف ، ممن فسر المحصنة بالعفيفة . وقيل : المراد بأهل الكتاب هاهنا الإسرائيليات ، وهو مذهب الشافعي . وقيل : المراد بذلك : الذميات دون الحرييات ، لقوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ الآية .

وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية^(٣٥) ، ويقول : لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول : إن ربها عيسى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ... ﴾ الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - حدثنا إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك الغفاري ، عن ابن عباس قال^(٣٦) : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ ، قال : فحجز الناس عنهن حتى نزلت التي بعدها : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، فنكح الناس نساء أهل الكتاب .

وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأساً ، أخذاً بهذه الآية الكريمة : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، فجعلوا هذه مخصصة للآية التي [في سورة] البقرة : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها ، لأن أهل الكتاب قد يفصل في ذكرهم عن المشركين في غير موضع ، كما قال تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ، وكقوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ : أَسْلَمْتُمْ ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا ... ﴾ الآية . وقوله : ﴿ إِذَا آتَيْمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ ، أي : مهورهن ، أي : كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس . وقد أفتى جابر بن عبد الله ، وإبراهيم النخعي ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري بأن الرجل إذا نكح امرأة فزنت قبل دخوله بها أنه يفرق بينه وبينها ، وثُرِدَ عليه ما بذل لها من المهر . رواه ابن جرير^(٣٧) عنهم .

وقوله : ﴿ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَخَذِي أَخْدَانٍ ﴾ ، فكما شرط الإحصان في النساء - وهي العفة عن الزنا - كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضاً محصناً عفيفاً ، ولهذا قال : ﴿ غَيْرِ مُسَافِحِينَ ﴾ وهم : الزناة الذين لا يتردعون عن معصية ، ولا يردون أنفسهم

(٣٥) تقدم سنده في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ قال شيخنا حفظه الله : سنده صحيح إلى ابن عمر ، والصحيح خلاف ما ذهب إليه ابن عمر لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ، وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامِكُمْ حَلَّ لَهُمْ ، وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَخَذِي أَخْدَانٍ ﴾ . اهـ .

(٣٦) هذا الإسناد حسن .

(٣٧) هذه الآثار في الطبري (ج ٩ ص ٥٨٦) . الصحيح منها عن إبراهيم بن يزيد النخعي أما عن جابر وعامر الشعبي والحسن البصري فأسانيدها ضعيفة من طريق أشعث وهو ابن سوار ضعيف كما في التقريب .

عمن جاءهم ، ﴿ ولا متخذي أخذان ﴾ أي : ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن ، كما تقدم في سورة النساء سواء^(٣٨) . ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب ، وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف ، وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا ، لهذه الآية وللحديث الآخر : « لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله » .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لقد هممت أن لا أدع أحداً أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج محصنة فقال له أبي بن كعب : يا أمير المؤمنين ، الشرك أعظم من ذلك ، وقد يقبل منه إذا تاب^(٣٩) .

وسأني الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمْ تُمِسِّمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَا يَكُن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ⑥

قال كثيرون من السلف [في] قوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ معناه : وأنتم مُحَدِّثُونَ .
وقال آخرون : إذا قمتم من النوم إلى الصلاة ، وكلاهما قريب .

(٣٨) (ج ٢ ص ٢٢٧) .

(٣٩) الأثر في الطبري (ج ٩ ص ٥٨٤) وهو ضعيف فإن الحسن وهو البصري لم يسمع من عمر .

وقال آخرون : بل المعنى أعم من ذلك ، فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، ولكن [هو] في حق المحدث على سبيل الإيجاب ، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب . وقد قيل : إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجباً في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ .

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه ، وصلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر : يا رسول الله ، إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ؟ قال : « إني عمدأ فعلته يا عمر »^{(٤٠)(٤١)} .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد . ووقع في سنن ابن ماجه ، عن سفيان عن محارب بن دثار - بدل علقمة بن مرثد - كلاهما عن سليمان ابن بريدة ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال ابن جرير^(٤٢) : حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي ، حدثنا الفضل بن المبرقع قال : رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد ، فإذا بال أو أحدث ، توضأ ومسح بفضله طهوره الخفين . فقلت : أبا عبد الله ، شيء تصنعه برأيتك ؟ قال : بل رأيت النبي ﷺ يصنعه [فأنا أصنعه ، كما رأيت رسول الله يصنع] .

وكذا رواه ابن ماجه^(٤٣) ، عن إسماعيل بن توبة ، عن زياد البكائي ، به . وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال : [قلت له] : رأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهراً [كان] أو غير طاهر ، عَمَّن هو ؟ قال حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة [بن أبي عامر] بن الغسيل حدثها ، أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر ، فلما شق ذلك على رسول الله ﷺ أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء ، إلا

(٤٠) مسند أحمد (ج ٥ ص ٣٥٨) وهو في مسلم (ج ١ ص ٢٣٢) وأبي داود (ج ١ ص ١٢٠) . والترمذي (ج ١ ص ٨٩) ، وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه (ج ١ ص ١٧٠) .

(٤١) قال الترمذي في الجزء نفسه (ص ٩٠) : والعمل على هذا عند أهل العلم أنه يصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم يحدث .

(٤٢) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١١) وزياد بن عبد الله هذا صدوق ثبت في المغازي وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين . هكذا قال الحافظ فيه في التقريب فخره في هذا الموضع ضعيف لأمرين :

الأول : أن الخبر ليس من المغازي .

والثاني : أنه عن غير ابن إسحاق ، والفضل بن المبرقع هو الأنصاري أبو بكر المدني فيه لين وترجمتهما في التهذيب .

(٤٣) سنن ابن ماجه (ج ١ ص ١٧٠) .

من حدث . فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك ، كان يفعله حتى مات ^(٤٤) .

وكذا رواه أبو داود ^(٤٥) ، عن محمد بن عوف الحمصي ، عن أحمد بن خالد الذهبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر . ثم قال أبو داود : ورواه إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق فقال : عبيد الله [بن عبد الله] بن عمر ، يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد .

وأياً ما كان فهو إسناد صحيح ، وقد صرح ابن إسحاق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان ، فزال محذور التدليس . لكن قال الحافظ ابن عساكر : رواه سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، به . والله أعلم ، وفي فعل ابن عمر هذا ، ومدامته على إسباغ الوضوء لكل صلاة ، دلالة على استحباب ذلك ، كما هو مذهب الجمهور ^(٤٦) .

وقال ابن جرير ^(٤٧) : حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، حدثنا أزهر ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين : أن الخلفاء كانوا يتوضؤون لكل صلاة .

وقال ابن جرير ^(٤٨) : حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت مسعود بن علي الشيباني ، سمعت عكرمة يقول : كان علي رضي الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ، ويقرأ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... ﴾ الآية .

وحدثنا ابن المثني ^(٤٩) ، حدثني وهب بن جرير ، أخبرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة ، [عن] النزال بن سيرة قال : رأيت علياً صلى الظهر ، ثم قعد للناس في الرحبة ، ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه ، ثم مسح برأسه ورجليه ، وقال : هذا وضوء من لم يحدث .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ^(٥٠) ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أن علياً اكتال من

(٤٤) مسند أحمد (ج ٥ ص ٢٢٥) .

(٤٥) سنن أبي داود (ج ١ ص ٤١) .

(٤٦) قلت : ويؤيد فعل ابن عمر واستحباب الوضوء لكل صلاة أحاديث وردت تدل على فضل الوضوء على طهر منها الحديث الذي أخرجه البخاري وأهل السنن عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة ، ويكفي فيه فضلاً قوله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » . رواه مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤٧) هذا في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١٣) . وابن سيرين أحد أئمة التابعين ما أظنه أدرك أحداً من الخلفاء .

(٤٨) المصدر السابق . ومسعود بن علي هذا لا بأس به كما في ترجمته من الجرح والتعديل .

(٤٩) المصدر السابق والنزال هو ابن سيرة الهلالي الكوفي ثقة وقيل : له صحة . اهـ من التقريب .

(٥٠) المصدر المتقدم ولكنه ضعيف وسببه عنعنة هشيم بن بشير فإنه مشهور بالتدليس وأيضاً مغيرة يدلّس عن إبراهيم ، وإبراهيم لم يسمع من علي أما الحب بالضم فهي الجرة أو الضخمة منها أو الخشببات الأربع توضع عليها الجرة ذات العروتين ، والكرامة : غطاء الجرة ، ومنها حباً وكرامة . اهـ من ترتيب القاموس .

خب ، فتوضاً وضوءاً فيه تجوز فقال : هذا وضوء من لم يحدث . وهذه طرق جيدة عن علي يقوي بعضها بعضاً .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : توضأ عمر بن الخطاب وضوءاً فيه تجوز ، خفيفاً ، فقال : هذا وضوء من لم يحدث . وهذا إسناد صحيح .

وقال محمد بن سيرين : كان الخلفاء يتوضؤون لكل صلاة .

وأما ما رواه أبو داود الطيالسي ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب [أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء . فهو غريب عن سعيد بن المسيب] ، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد ، وأما مشروعيته استحباباً فقد دلت السنة على ذلك ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن عامر الأنصاري ، سمعت أنس بن مالك يقول^(٥١) : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ، قال : قلت : فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث .

وقد رواه البخاري وأهل السنن^(٥٢) من غير وجه عن عمرو بن عامر ، به .

وقال ابن جرير : حدثني أبو سعيد البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، عن هُرَيم ، عن عبد الرحمن بن زياد - هو الأفريقي - عن [أبي] غُطَيْف ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات . »^(٥٣)

ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس ، عن الأفريقي ، عن أبي غطيف ، عن ابن عمر ، فذكره ، وفيه قصة . وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه من حديث الأفريقي ، به نحوه . وقال الترمذي : وهو إسناد ضعيف .

قال ابن جرير^(٥٤) : وقد قال قوم : إن هذه الآية نزلت إعلماً من الله أن الوضوء لا يجب

(٥١) مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ١٣٢) .

(٥٢) أخرجه البخاري (ج ١٠ ص ٣١٥) وأبو داود (ج ١ ص ١٣٠) . والترمذي (ج ١ ص ٨٨) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٧٠) .

(٥٣) في الطبري (ج ١٠ ص ٢٢) . وأبي داود (ج ١ ص ٥٠) بذكر قصة وهي : أن أبا غطيف قال : كنت عند عبد الله بن عمر فلما نودي بالظهر توضأ فصلي فلما نودي بالعصر توضأ فقلت له فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكره . وهو في الترمذي (ج ١ ص ٨٧) بدون ذكر القصة وقال بعد ذكره : وهو إسناد ضعيف ، وابن ماجه (ج ١ ص ١٧١) ، والحديث ضعيف لأن مداره على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وعلي أبي غطيف والأول ضعيف والثاني مجهول .

(٥٤) (ج ١٠ ص ٢٢) .

إلا عند القيام إلى الصلاة ، دون غيرها من الأعمال ، وذلك لأنه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه قال^(٥٥) : كان رسول الله ﷺ إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا ، ونسلم عليه فلا يرد علينا ، حتى نزلت آية الرخصة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ... ﴾ الآية .

ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم ، عن أبي كريب ، به نحوه . وهو حديث غريب جداً ، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي ، ضعفه .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج^(٥٦) من الخلاء ، فقدم إليه طعام ، فقالوا : ألا نأتيك بوضوء فقال : « إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة » .

وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب ، عن إسماعيل وهو ابن علي ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن الحويرث ، عن ابن عباس قال : كنا^(٥٧) عند النبي ﷺ فأتى الخلاء ، ثم إنه رجع فأتي بطعام ، فقيل : يا رسول الله ، ألا تتوضأ ؟ فقال : « لم ؟ أصلي فأتوضأ ؟ » !

وقوله : ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ قد استدل طائفة من العلماء بقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ على وجوب النية في الوضوء ، لأن تقدير الكلام : إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها ، كما تقول العرب : إذا رأيت الأمير فقم . أي : له . وقد ثبت في الصحيحين حديث^(٥٨) : « الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

(٥٥) هذا أثره في الطبري (ج ١٠ ص ٢٢) بسند ضعيف لأن فيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف رافضي كما في التقريب ، قال فيه أبو حنيفة : ما رأيت أكذب منه .

(٥٦) الحديث أخرجه أبو داود (ج ٤ ص ١٣٦) . والترمذي (ج ٤ ص ٢٨٢) وقال : حديث حسن صحيح وهو كما قال .

(٥٧) الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٢٨٢ إلى ٢٨٣) .

(٥٨) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٩) ومسلم (ج ٣ ص ١٥١٥) . وأبو داود (ج ٢ ص ٦٥١) . والترمذي (ج ٤ ص ١٧٩) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٤١٢) . والإمام أحمد (ج ١ ص ٢٥) . قلت : وقد أخطأ من قال : إن حديث الأعمال بالنيات .. إلخ متواتر لأنه لم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص ولم يروه عن علقمة غير إبراهيم التيمي ولم يروه عن إبراهيم غير يحيى بن سعيد وقد ذكر هذا الحافظ السيوطي في تدريب الراوي (ج ١ ص ٢٣٤) وذكر كلاماً طويلاً ومثل بهذا الحديث للفرد ثم ذكر قول من قال : =

ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه ، لما ورد في الحديث من طرق جيدة ، عن جماعة من الصحابة ، عن النبي ﷺ أنه قال ^(٥٩) : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » .

ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء ، ويتأكد ذلك عند القيام من النوم ، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ^(٦٠) : « إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده ؟ » .

وحد الوجه عند الفقهاء : ما بين منابت شعر الرأس - ولا اعتبار بالصلع ولا بالقمم ^(٦١) - إلى منتهى اللحيين والذقن طولاً ، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ، وفي النزعتين والتحذيف خلاف ، هل هما من الرأس أو الوجه ، وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض قولان ، أحدهما : أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع به المواجهة . وروي في حديث : أن النبي ﷺ رأى رجلاً مغطياً لحيته ، فقال : « اكشفها ، فإن اللحية من الوجه » . وقال مجاهد : هي من الوجه ، ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام إذا نبتت لحيته : طلع وجهه .

ويستحب للمتوضيء أن يخلل لحيته إذا كانت كثرة ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عامر بن شقيق بن جمره [عن أبي وائل] قال : رأيت

= إنه لم يتفرد به عمر بل رواه ابن عمر وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأنس بن مالك وأبو هريرة وغيرهم وأجاب عن هذا القول بأن حديث الأعمال لم يصح إلا من طريق عمر وبأن الصحابة المذكورين لم يخرجوا لفظ هذا الحديث إنما أخرجوا أحاديث في مطلق النية كحديث : « يبعثون على نياتهم » وغيره . ومن أحب أن يراجع هذا فليرجع إلى تدريب الراوي في الموضع المشار إليه .

(٥٩) الحديث أخرجه أبو داود (ج ١ ص ٧٥) . والترمذي (ج ١ ص ٣٧) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٣٩) . والدارقطني (جزء ١ ص ٧١) . والحاكم (ج ١ ص ١٤٦) . ونقل الترمذي عن البخاري أنه قال : أحسن شيء في هذا الباب حديث رباح ، وهو حديث « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » . وقال محقق الترمذي / أحمد شاكر : إسناده حديث الباب إسناده جيد ، ونقل عن أبي بكر بن أبي شيبة أنه قال : ثبت لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله .

ونقل محقق الدارقطني / أبو الطيب : محمد شمس الحق عن إسحاق بن راهوية أنه قال : هو أصح ما في الباب ، وذكره الألباني في إرواء الغليل (ج ١ ص ١٢٢) وقال : حسن . قلت : فالظاهر والله أعلم أن الحديث وإن كانت كل طريق لا تخلو عن مقال يتقوى بمجموع طرقه ويصل إلى درجة الاحتجاج به والقبول . والله أعلم .

(٦٠) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٦٣ و ٣٣٩) . ومسلم (ج ١ ص ٢٣٣) . وأبو داود (ج ١ ص ٧٦) . والترمذي (ج ١ ص ٣٦) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٣٨) . والدارمي (جزء ١ ص ١٩٦) . والإمام أحمد (ج ٢ ص ٢٤ و ٢٥٣) .

(٦١) قال محققو طبعة الشعب : الغم أن يسيل الشعر من الرأس في الوجه والقفا حتى تضيق الجبهة ويصغر القفا .

عثمان توضاً - فذكر الحديث - قال : وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل الذي رأيتُموني فعلت^(٦٢) .

رواه الترمذي ، وابن ماجه من حديث عبد الرزاق ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وحسنه البخاري .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا أبو المليح ، حدثنا الوليد بن زوران ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكه ، يخلل به لحيته ، وقال : « هكذا أمرني به ربي عز وجل »^(٦٣) .

تفرد به أبو داود . وقد روي هذا من غير وجه عن أنس . قال البيهقي : وروينا في تحليل اللحية عن عمار ، وعائشة ، وأم سلمة عن النبي ﷺ ، ثم عن علي وغيره ، وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر ، والحسن بن علي ، ثم عن النخعي ، وجماعة من التابعين .

وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه في الصحاح وغيرها أنه كان إذا توضأ تغمض واستنشق فاختلف الأئمة في ذلك : هل هما واجبان في الوضوء والغسل ، كما هو مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ؟ أو مستحبان فيهما ، كما هو مذهب الشافعي ومالك ؟ لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة ، عن رفاع بن رافع الزرقاني أن النبي ﷺ قال للمسيء في صلاته : « توضأ كما أمرك الله » أو يجبان في الغسل دون الوضوء ، كما هو مذهب أبي حنيفة ؟ أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الإمام أحمد لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من توضأ فَلْيَسْتَنْثِرْ »^(٦٤) وفي رواية : « إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم ليتنثر » والانتثار : هو المبالغة في الاستنشاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أنه توضأ فغسل وجهه [ثم] أخذ غرفة من ماء

(٦٢) الأحاديث التي وردت في تحليل اللحية عند الوضوء منها الحسن كحديث عثمان الذي هو من طريق عامر بن شقيق وكحديث عائشة الذي من طريق زيد بن حباب وهو صدوق . عن عمر ابن أبي وهب قال أحمد : ما أعلم فيه بأساً ووثقه ابن معين وقال أبو حاتم : لا بأس به ، وقد حسن حديثها الحافظ ابن حجر ومنها الضعيف كحديث عمار الذي هو من طريق عبد الكريم ابن أبي المخارق وهو ضعيف فلعل الحديث يشتد إلى درجة أنه صحيح لغيره . أما قول الإمام أحمد : لم يثبت في تحليل اللحية شيء . فمحمول على أنها لم تبلغه لأن سبل العلم لم تكن ميسرة مثل عصرنا هذا ومن الذي قد أحاط بكل شيء علماً من البشر .

(٦٣) الحديث في سنن أبي داود (ج ١ ص ١٠١) . والوليد بن زوران هو الرقي قال الحافظ في التقریب إنه لين الحديث ، وجاء في التهذيب عن الآجري عن أبي داود أنه قال : لا ندرى أسمع من أنس أو لا .

(٦٤) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٦٢) . ومسلم (ج ١ ص ٢١٢) . والنسائي (جزء ١ ص ٦٦) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٤٣) .

فتمضمض بها واستنثر ، ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا ، يعني أضافها إلى يده الأخرى ، فغسل بهما وجهه . ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ، ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء ، ثم رش على رجله اليمنى حتى غسلها ، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله اليسرى ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ ، يعني يتوضأ .

ورواه البخاري^(٦٥) ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزازي ، به .

وقوله : ﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ أي : مع المرافق ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾

وقد روى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي ، من طريق القاسم بن محمد ، عن عبد الله ابن محمد بن عقيل ، عن جده ، [عن] جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه^(٦٦) . ولكن القاسم هذا متروك الحديث وجده ضعيف ، والله أعلم .

ويستحب للمتوضئ أن يشرع في العضد فيغسله مع ذراعيه ، لما روى البخاري ومسلم ، من حديث نعيم المجرم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أمتي يُدْعَوْنَ يوم القيامة غُرّاً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّتَه فليفعل »^(٦٧) .

وفي صحيح مسلم ، عن قتيبة ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : سمعت خليلي ﷺ يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »^(٦٨) .

(٦٥) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٤٠) . وأبو داود وقال في أوله : أتخبون أن أريكم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . والنسائي (جزء ١ ص ٧٤) .

(٦٦) الحديث أخرجه الدارقطني (جزء ١ ص ٨٣) بتحقيق أبي الطيب . والبيهقي (ج ١ ص ٥٦) ، بتعليق الترككاني ، ورجح المحققان لهما ضعفه ، ونقل محقق الدارقطني عن الحافظ ابن حجر أنه حسنه ونقل البيهقي عن المنذري وابن الجوزي وابن الصلاح والنووي وغيرهم ضعفه .

قلت : والذي يظهر هو ضعف هذا الحديث ، كما قال الحافظ ابن كثير ، أما غسل اليدين مع المرفقين فيمكن الاستدلال لذلك بما جاء في سنن الدارقطني بسند حسن من حديث عثمان في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : فغسل يديه إلى المرفقين حتى مس أطراف العضدين . والله أعلم .

(٦٧) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٣٥) . ومسلم (ج ١ ص ٢١٦) والجزء الآخر من الحديث من قول أبي هريرة وهو قوله : فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل ، ويسمى هذا مدرجاً في المتن وهو أن تزداد لفظة في الحديث من كلام الراوي فيحسبها السامع مرفوعة في الحديث فيزويها كذلك ، وقد بين الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ١ ص ٢٣٦) هذا البيان ووضحه .

(٦٨) (ج ١ ص ٢١٩) .

وقوله : ﴿ وَاَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ اختلفوا في هذه « الباء » هل هي للإلصاق ، وهو الأظهر ، أو للتبويض ، وفيه نظر ، على قولين . ومن الأصوليين من قال : هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة ، وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك ، عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه : أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو جد عمرو بن يحيى ، وكان من أصحاب النبي ﷺ - : هل [تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ] يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم ، فدعا بوضوء ، فأفرغ على يديه ، فغسل يديه مرتين [مرتين] ، ثم مضمض واستنشق ثلاثاً ، وغسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين [مرتين] إلى المرفقين ثم مسح بيديه ، فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ، ثم غسل رجله ^(٦٩) .

وفي حديث عبد خير ، عن علي في صفة وضوء رسول الله ﷺ نحو هذا ، وروى أبو داود ، عن معاوية والمقدام بن معد يكر ، في صفة وضوء رسول الله ﷺ مثله ^(٧٠) .

ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس ، كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل ، لا سيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن . وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ربع الرأس ، وهو مقدار الناصية .

وذهب أصحابنا إلى أنه إنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ، لا يتقدر ذلك بحّد ، بل لو مسح بعض شعره من رأسه أجزأه .

واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة ، قال : تخلف النبي ﷺ فتخلفت معه ، فلما قضى حاجته قال : « هل معك ماء ؟ » فأتيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه

(٦٩) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٩٤) بذكر السائل وهو عمرو بن أبي حسن ومسلم (ج ١ ص ٢١٠) . وأبو داود (ج ١ ص ٨٧) ، وفيه : أن أبا عمرو بن يحيى المازني هو الذي سأل عبد الله بن زيد . قال الحافظ في الفتح (ج ١ ص ٢٩٠) عند ذكره هذا الاختلاف على تعيين السائل : وقد اختلف رواة الموطأ على تعيين السائل وأما أكثرهم فأبهمه إلى أن قال : والذي يجمع هذا الاختلاف أن يقال اجتمع عند عبد الله بن زيد أبو الحسن الأنصاري وابنه عمرو وابن ابنه يحيى بن عمارة فسألوه عن صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى السؤال منهم له عمرو واستشهد لذلك بما في رواية الإسماعيلي من طريق وهب بن بقية عن خالد بلفظ : قلنا له .

(٧٠) هذه الأحاديث في أبي داود فأما حديث عبد خير عن علي ففي (ج ٤ ص ٨٢) بسند صحيح وأما حديث المقدم ففي الجزء نفسه (ص ٨٨) من طريق عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي عنه قال الحافظ في التقریب في عبد الرحمن هذا مقبول وقد أخرجه ابن ماجه (ج ١ ص ١٥٠) من طريقه أيضاً وأما حديث معاوية ففي الجزء نفسه (ص ٨٩) من طريق أبي الأزرع المغيرة بن فروة ويزيد بن أبي مالك عن معاوية فأما أبو الأزرع فمقبول وأما يزيد فلم يسمع من معاوية راجع ترجمته في يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك من جامع التحصيل : اهـ .

فضاق كم الجبة ، فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه ، فغسل ذراعيه ومسح بناصيته ، وعلى العمامة وعلى خفيه ... ، وذكر باقي الحديث ، وهو في صحيح مسلم . وغيره^(٧١) .

فقال لهم أصحاب الإمام أحمد : إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ، ونحن نقول بذلك ، وأنه يقع عن الموقع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة ، وأنه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين ، فهذا أولى ، وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل على العمامة ، والله أعلم .

ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثاً ، كما هو المشهور من مذهب الشافعي ، أو إنما يستحب مسحة واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين . فقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي عن حُمران بن أبان قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ، ثم مضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً ، ثم اليسرى ثلاثاً مثل ذلك ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه » .

أخرجه البخاري ومسلم^(٧٢) في الصحيحين من طريق الزهري به نحو هذا ، وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن عثمان في صفة الوضوء : ومسح برأسه مرة واحدة . وكذا من رواية عبد خير ، عن علي مثله .

واحتج من استحباب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن عثمان ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا عبد الرحمن بن وردان ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني حمران قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ ... ، فذكر نحوه ، ولم يذكر المضمضة والاستنشاق ، قال فيه : ثم مسح رأسه ثلاثاً ، ثم غسل رجليه ثلاثاً ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ هكذا ، وقال : « من توضأ [دون] هذا كفاه » .

تفرد به أبو داود ، ثم قال : وأحاديث عثمان الصحاح تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة .

وقوله ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ ، ﴿ قرء ﴾ ﴿ وأرجلكم ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿ فاغسلوا ﴾

(٧١) الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٢٣٠) .

(٧٢) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٦) و (ج ٤ ص ٢٥٩) و (ج ١١ ص ٢٥٠) . ومسلم

(ج ١ ص ٢٠٥) . وأبو داود (ج ١ ص ٧٨) . والنسائي (جزء ١ ص ٦٥) .

وجوهكم وأيديكم ﴿﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا وهيب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قرأها ﴿أرجلكم﴾ يقول : رجعت إلى الغسل .

وروي عن عبد الله بن مسعود ، وعروة ، وعطاء ، وعكرمة ، والحسن ، ومجاهد ، وإبراهيم ، والضحاك ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، والزهري ، وإبراهيم التيمي - نحو ذلك .

وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل ، كما قاله السلف ، ومن هاهنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب ، كما هو مذهب الجمهور ، خلافاً لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب ، بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه أجزأه ذلك ، لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء ، « والواو » لا تدل على الترتيب .

وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقتاً ، فمنهم من قال : الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة ، لأنه مأمور به بفاء التعقيب ، وهي مقتضية للترتيب ، ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً ثم لا يجب الترتيب بعده ، بل القائل اثنان ، أحدهما يوجب الترتيب ، كما هو واقع في الآية . والآخر يقول : لا يجب الترتيب مطلقاً ، والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء ، فوجب الترتيب فيما بعده بالإجماع ، حيث لا فارق . ومنهم من قال : لا نسلم أن « الواو » لا تدل على الترتيب ، بل هي دالة - كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء . ثم نقول - بتقدير [تسليم] كونها لا تدل على الترتيب اللغوي - : هي دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب ، والدليل على ذلك أنه ﷺ لما طاف بالبيت ، خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به » لفظ مسلم^(٧٣) ، ولفظ النسائي : « ابدؤا بما بدأ الله به » وهذا لفظ أمر ، وإسناده صحيح ، فدل على وجوب البداء بما بدأ الله به ، وهو معنى كونها تدل على الترتيب شرعاً ، والله أعلم .

ومنهم من قال : لما ذكر تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا الترتيب ، فقطع النظر عن النظر ، وأدخل الممسوح بين المغسولين ، دل ذلك على إرادة الترتيب .

ومنهم من قال : لا شك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ﷺ توضأ مرة مرة ، ثم قال : « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به »^(٧٤) . قالوا : فلا يخلو إما أن يكون توضأ مرتباً فيجب الترتيب ، أو يكون توضأ غير مرتب

(٧٣) الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٨٨٦) عن جابر مطولاً وأبو داود (ج ٢ ص ٤٥٩) . والنسائي (جزء

٥ ص ٢٣٩) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٢٣) .

(٧٤) الحديث أخرجه أبو داود (ج ١ ص ٩٤) بسند حسن .

فيجب عدم الترتيب ، ولا قائل به ، فوجب ما ذكره .

وأما القراءة الأخرى ، وهي قراءة من قرأ ﴿ وأرجلكم ﴾ بالخفض . فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين ، لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس ، وقد روي عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح ، فقال ابن جرير :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا حميد قال : قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده : يا أبا حمزة ، إن الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه ، فذكر الطهور فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، وإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيهما .

فقال أنس : صدق الله وكذب الحجاج ، قال الله : ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ﴾ . قال : وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما .

إسناد صحيح إليه^(٧٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس قال : نزل القرآن بالمسح ، والسنة الغسل .

وهذا أيضاً إسناد صحيح^(٧٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن قيس الخراساني ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الوضوء غسلتان ومسحتان^(٧٧) .

وكذا روى سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

(٧٥) (ج ١٠ ص ٥٨) ، وإسناده كما قال الحافظ .

(٧٦) (ج ١٠ ص ٥٨) ، وليس إسناده صحيحاً ، وأني يصح ، ومؤمل وهو ابن إسماعيل مقدوح في ضبطه بل قال البخاري : إنه منكر الحديث وترجمته تنبيك عن حاله في التهذيب وأحسن حاله أن يقال فيه : إنه صدوق سيء الحفظ كما قال ابن حجر ، ويبدو أنه أدنى من ذلك والله أعلم .

(٧٧) (ج ١٠ ص ٥٨) ، ومحمد بن قيس الخراساني لم أجده وقال المحقق لتفسير الطبري الشيخ / محمود شاكر : محمد بن قيس لم أجده له ذكراً ولم أعرف من يكون وعسى أن يكون محرفاً .

قلت : هذا الأثر جاء معناه في مسند ابن أبي أحمد (ج ٦ ص ٣٥٨) بسند حسن في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء وهي صحابية صغيرة أن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب سألها عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له صفته ثلاثاً ثلاثاً ثم قالت في آخر الحديث : قد جاءني ابن عم لك فسألني وهو ابن عباس فأخبرته فقال لي : ما أجد في كتاب الله إلا مسحتين وغسلتين ولعل قول ابن عباس يحمل على المسح على الخفين لوجود الأدلة الكثيرة التي وردت في غسل الرجلين كحديث أبي هريرة وغيره الذي هو في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أصحابه يمسحون على أرجلهم فنأدى بأعلى صوته : ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المنقري ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ قال : هو المسح^(٧٨) . ثم قال : وروي عن ابن عمر ، وعلقمة ، وأبي جعفر محمد بن علي ، والحسن - في إحدى الروايات - وجابر بن زيد ، ومجاهد - في إحدى الروايات - نحوه .
وقال ابن جرير^(٧٩) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا أيوب ، قال : رأيت عكرمة يمسخ على رجله ، قال : وكان يقوله .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، حدثنا ابن إدريس ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : نزل جبريل بالمسح . ثم قال الشعبي : ألا ترى أن « التيمم » أن يمسخ ما كان غسلاً ، ويلغي ما كان مسحاً^(٨٠) ؟ .

وحدثنا ابن أبي زياد ، حدثنا يزيد ، أخبرنا إسماعيل ، قلت لعامر : إن ناساً يقولون : إن جبريل نزل بغسل الرجلين ؟ فقال : نزل جبريل بالمسح^(٨١) .

فهذه آثار غريبة جداً ، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف ، لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين . وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام ، كما في قول العرب : جُحِرُ ضَبْ خَرِبٍ . وكقوله تعالى : ﴿ عاليهم ثيابٌ سندسٌ خضرٌ وإستبرقٌ ﴾ وهذا سائغ ذائع ، في لغة العرب شائع . ومنهم من قال : هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان ، قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله . ومنهم من قال : هي دالة على مسح الرجلين ، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف ، كما وردت به السنة . وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً ، لا بد منه للآية والأحاديث التي سنوردها ، ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ، حيث قال :

أخبرنا أبو علي الروذباري ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمية العسكري ، حدثنا جعفر بن محمد القلانسي ، حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عبد الملك بن ميسرة ، سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب : أنه صلى الظهر ، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أتى بكوز من ماء ، فأخذ منه حفنة واحدة ، فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ، ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناساً يكرهون الشرب قائماً ، وإن رسول الله صنع ما صنعت . وقال ، هذا وضوء من لم يحدث .

(٧٨) هذا الأثر فيه علي بن زيد المعروف بابن جدعان وهو ضعيف .

(٧٩) قال محققو طبعة الشعب : لم نجد هذا الأثر في تفسير الطبري . قلت : وهو بهذا السند صحيح إلى عكرمة .

(٨٠) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٥٩) وسنده صحيح .

(٨١) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٦٠) ، وابن أبي زياد هو عبد الله بن الحكم .

رواه البخاري في الصحيح ، عن آدم ، ببعض معناه ^(٨٢) .

ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يمسح الخف ، فقد ضل وأضل . وكذا من جوز مسحهما وجوز غسلهما فقد أخطأ أيضاً ، ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث ، وأوجب مسحهما للآية ، فلم يحقق مذهبه في ذلك ، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب ذلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء ، لأنهما يليان الأرض والطين وغير ذلك ، فأوجب ذلكهما ليذهب ما عليهما ، ولكنه عبر عن ذلك بالمسح ، فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما ، فحكاه من حكاه كذلك ، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء وهو معذور ، فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه ، وإنما أراد الرجل لما ذكرته ، والله أعلم . ثم تأملت كلامه أيضاً فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين ، في قوله : ﴿ وأرجلكم ﴾ خفصاً على المسح وهو الدلك ، ونصباً على الغسل ، فأوجبهما أخذاً بالجمع بين هذه وهذه .

ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه

قد تقدم في حديث أميري المؤمنين عثمان وعلي ، وابن عباس ومعاوية ، وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقدام بن معد يكرّب أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه ، إما مرة ، وإما مرتين ، أو ثلاثاً ، على اختلاف رواياتهم .

وفي حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ فغسل قدميه ثم قال : « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » .

وفي الصحيحين ، من رواية أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن ماهك ، عن عبد الله بن عمرو قال : تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : « أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » ^(٨٣) .

وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة . وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » .

وروى الليث بن سعد ، عن حيوة بن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عبد الله بن

(٨٢) هذا الحديث أخرجه البخاري بعض معناه (ج ١٠ ص ٨١) . وكذلك أبو داود (ج ٤ ص ١٠٨) . وهو في البيهقي (ج ١ ص ٧٥) .

(٨٣) الحديث أخرجه البخاري (ج ١ ص ١٤٣ و ٢٦٥) . ومسلم (ج ١ ص ٢١٤) . وأبو داود (ج ١ ص ٧٣) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٥٤) . والإمام أحمد (ج ٢ ص ٢١١ و ٢٢٦) .

الحارث بن جزء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار » . رواه البيهقي والحاكم ، وهذا إسناد صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق أنه سمع سعيد بن أبي كرب - أو شعيب بن أبي كرب - قال : سمعت جابر بن عبد الله وهو على جمل يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « [ويل] للعراقيب من النار » ^(٨٤) .

وحدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله قال : رأى النبي ﷺ في رجل رجل [منا] مثل الدرهم لم يغسله ، فقال : « ويل للعقب من النار » ^(٨٥) .

ورواه ابن ماجه ^(٨٦) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن الأحوص ، عن أبي إسحاق عن سعيد ، به نحوه . وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، مثله . ثم قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر : أن رسول الله ﷺ رأى قوماً يتوضؤون ، لم يصب أعقابهم الماء ، فقال : « ويل للعراقيب من النار » ^(٨٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب بن عتبة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن معيقب قال : قال رسول الله ﷺ : « ويل للأعقاب من النار » . تفرد به أحمد ^(٨٨) .

(٨٤) مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٣٦٩) بسند صحيح . وأخرجه الترمذي (ج ١ ص ٥٩) بصيغة التمريض قال : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال . وذكره . وأحمد (ج ٤ ص ١٩١) من طريق ابن لهيعة عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحارث بن جزء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والدارقطني (ج ١ ص ٩٥) قال : حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق حدثنا إبراهيم بن الهيثم عن الليث عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحارث به ، وعثمان الدقاق وشيخه يحتج بهما ، وذكره المناوي في فيض القدير وصححه ، ونقل عن الذهبي تصحيحه ، وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، وفي الروض النضر (١٣٠) . وهو كما قالوا .

(٨٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٣ ص ٣٦٩) وسعيد بن أبي كرب (ويقال ابن أبي كريب) هو الهمداني وثقه أبو زرعة وابن حبان ، قال الحافظ في التهذيب قلت : وقال ابن المديني : لم يرو عنه غير أبي إسحاق وهو مجهول .

(٨٦) (ج ١ ص ١٥٥) .

(٨٧) (ج ١٠ ص ٧١) . وأبو سفيان لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث ليس هذا منها .

(٨٨) (ج ٣ ص ٤٢٦) . وأيوب بن عتبة ضعيف ويحيى بن أبي كثير مدلس والحديث ثابت في الصحيحين عن غير معيقب كما تقدم .

وقال ابن جرير : حدثني علي بن عبد الأعلى ، حدثنا المحاربي ، عن مطروح بن يزيد ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ويل للأعقاب من النار . ويل للأعقاب من النار » . قال : فما بقى في المسجد شريف ولا وضع ، إلا نظرت إليه يقلب عُرقوبيه ينظر إليهما^(٨٩) .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن ليث ، حدثني عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي أمامة - أو عن أخي أبي أمامة - أن رسول الله ﷺ أبصر قوماً يتوضؤون وفي عقب أحدهم - أو كعب أحدهم - مثل موضع الدرهم - أو : موضع للظفر - لم يمسه الماء ، فقال : « ويل للأعقاب من النار » . قال : فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً لم يصبه الماء أعاد وضوءه^(٩٠) .

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة ، وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما ، أو أنه يجوز ذلك فيهما لما تواعد على تركه ، لأن المسح لا يستوعب جميع الرجل ، بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف ، وهكذا وجه الدلالة على الشيعة الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله .

وقد روى مسلم في صحيحه ، من طريق أبي الزبير ، عن جابر ، عن عمر بن الخطاب . أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي ﷺ فقال : « ارجع فأحسن وضوءك »^(٩١) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة بن دعامة قال : حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ قد توضأ ، وترك على قدمه مثل موضع الظفر ، فقال له رسول الله ﷺ : « ارجع فأحسن وضوءك »^(٩٢) .

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن معروف ، وابن ماجه ، عن حرملة بن يحيى ، كلاهما عن ابن وهب ، به . وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات ، لكن قال أبو داود : ليس هذا الحديث بمعروف ، لم يروه إلا ابن وهب .

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا يونس وحديد ، عن الحسن : أن رسول الله

(٨٩) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٧٣) وهو بسنده ضعيف لأن فيه مطروح بن يزيد ضعيف وشيخه وشيخه ضعيفان ولكن الحديث أصله في الصحيحين كما عرفت .

(٩٠) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف ، وعبد الرحمن بن سابط لم يسمع من أبي أمامة ولا من كثير من الصحابة .

(٩١) الحديث في مسلم (ج ١ ص ٢١٥) .

(٩٢) السنن الكبرى للبيهقي (ج ١ ص ٧٠) . وفي رواية جرير بن حازم عن قتادة ضعف ، لكن قد تقدم من

حديث عمر في صحيح مسلم .

ﷺ .. بمعنى حديث قتادة^(٩٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان ، عن بعض أزواج النبي ﷺ [أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء ، فأمره رسول الله ﷺ أن يعيد الوضوء^(٩٤)] .

ورواه أبو داود من حديث بقية ، وزاد : « والصلاة » . وهذا إسناد جيد قوي صحيح ، والله أعلم .

وفي حديث حُمران ، عن عثمان ، في صفة وضوء النبي ﷺ : أنه خلل بين أصابعه . وروى أهل السنن من حديث إسماعيل بن كثير ، عن عاصم بن لقيط بن صبرة ، عن أبيه قال ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن الوضوء . فقال : « أسبغ الوضوء ، واخلل بين الأصابع ، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً^(٩٥) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد ، أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي قال : قال أبو أمامة : حدثنا عمرو بن عبسة قال ، قلت : يا نبي الله ، أخبرني عن الوضوء . قال : « ما منكم من أحد يقرب وضوءه ، ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر ، إلا خرت خطاياهم من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ، إلا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه ، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله ، إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله ويثنى [عليه] بالذي هو له أهل ، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال أبو أمامة : يا عمرو ، انظر ما تقول ، سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ أيعطى هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن عبسة : يا أبا أمامة ، لقد كبرت سني ، ورق عظمي ، واقترب أجلي ، وما بي حاجة أن أكذب على الله ، وعلى رسول الله ﷺ ، لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك^(٩٦) » .

(٩٣) سنن أبي داود (ج ١ ص ١٢٠) والحسن تابعي فالحديث مرسل .

(٩٤) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٤٢٤) . وأبي داود (ج ١ ص ١٢١) بسند حسن لأن بقية وهو ابن الوليد بن صائب صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، لكنه قد صرح بالتحديث في المسند .

(٩٥) الحديث في أبي داود (ج ١ ص ٩٧) مطولاً وفي آخره قال : أسبغوا الوضوء .. إلخ . والترمذي (ج ١ ص ٥٦) بدون قوله : بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً و (ج ٣ ص ١٤٦) وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي (جزء ١ ص ٦٦) . وابن ماجه (ج ١ صفحة ١٤٢٠) بسند حسن .

(٩٦) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٢٢) . وأخرجه مسلم (ج ١ ص ٥٦٩) وهو حديث طويل في إسلام عمرو بن عبسة .

وهذا إسناد صحيح ، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر ، وفيه : « ثم يغسل قدميه كما أمره الله » فدل على أن القرآن يأمر بالغسل .

وهكذا روى أبو إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : اغسلوا القدمين إلى الكعبين ^(٩٧) كما أمرتم .

ومن هاهنا يتضح لك المراد من حديث « عبد خير » عن علي : أن رسول الله ﷺ رش على قدميه الماء وهما في النعلين فدلكنهما . إنما أراد غسلاً خفيفاً وهما في النعلين ولا مانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها ، ولكن في هذا رد على المتعمقين والمتنطعين من الموسوسين .

وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه ، وهو من روايته ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال [عليها] قائماً ، ثم دعا بماء فتوضأ ، ومسح على نعليه ^(٩٨) . وهو حديث صحيح . وقد أجاب ابن جرير عنه بأن الثقات الحفاظ رَوَوْه عن الأعمش عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : فبال قائماً ، ثم توضأ ومسح على خفيه .

قلت : ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون في رجليه خفان ، وعليهما نعلان .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى عن شعبة ، حدثني يعلى ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه ، ثم قام إلى الصلاة ^(٩٩) . وقد رواه أبو داود عن مسدد وعباد بن موسى كلاهما ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس قال : رأيت رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال ، وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه ^(١) .

وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن طريق هشيم ، ثم قال : وهذا محمول على أنه توضأ

(٩٧) هذا في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٥٤) من طريق ابن حميد وهو حافظ لكنه ضعيف وفيه الحارث الأعور وقد كذبه الشعبي ولم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا النادر وليس هذا منه .

(٩٨) تفسير ابن جرير (ج ١٠ ص ٧٥) وأصله في البخاري (ج ١ ص ٣٢٨) بدون ذكر المسح على الخفين ، قال الحافظ رحمه الله وفي رواية أحمد عن يحيى القطان أتى سباطة قوم فتباعدت منه فأدناني حتى صرت قريباً من عقبه فبال قائماً ودعا بماء فتوضأ ومسح على خفيه ، وكذا زاد مسلم وغيره فيه ذكر المسح على الخفين وهو ثابت أيضاً عند الإسماعيلي وغيره من طرق عن شعبة عن الأعمش .

(٩٩) (ج ٤ ص ٨) بسند صالح ، وفي السند يعلى بن أمية والصواب يعلى بن عطاء كما هو ظاهر من كلام الحافظ رحمه الله . وأبوه عطاء العامري مجهول راجع التهذيب .

(١) (ج ١ ص ١١٣) وهشيم بن بشير ثقة إلا أنه مدلس من الثالثة لكن لا يضر هنا تدليسه فقد توبع وفيه أتى النبي صلى الله عليه وسلم كظامة قوم ، قال أبو داود : يعني الميضأة ولم يذكر مسدد الميضأة والكظامة ثم اتفقا ، قال محققه : الكظامة بالكسر واحدة الكظام وهي آبار تحفر في الأرض متناسقة ويحرق بعضها إلى بعض تحت الأرض فتجتمع مياهها جارية ، ثم يخرج عند منتهائها فيسبح على وجه الأرض .

كذلك وهو غير محدث^(١) ، إذ كان غير جائز أن تكون فرائض الله وسنن رسوله متنافية متعارضة ، وقد صح عنه ﷺ الأمر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عُذْر من انتهى إليه وبلغه .

ولما كان القرآن آمراً بغسل الرجلين كما في قراءة النصب ، وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليها - توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين ، وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب ، ولكن لم يصح إسناده ثم الثابت عنه خلافه ، وليس كما زعموه ، فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجلي قال : أنا أسلمت بعد نزول المائدة ، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسخ بعد ما أسلمت^(٢) . تفرد به أحمد .

وفي الصحيحين ، من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام قال : قال جرير ، ثم توضأ ومسح على خفيه ، ف قيل : تفعل هذا ؟ فقال : نعم ، رأيت رسول الله ﷺ بال ، ثم توضأ ومسح على خفيه ، قال الأعمش : قال إبراهيم : فكان يعجبهم هذا الحديث ، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة^(٣) . لفظ مسلم .

(٢) (ج ١٠ ص ٧٤) من طريق الحارث وهو ابن محمد بن أبي أسامة ، قال الذهبي : كان حافظاً عارفاً بالحديث عالي الإسناد بالمرّة تكلم فيه بلا حجة ، وقال الدارقطني : قد اختلف فيه وهو عندي صدوق ، وقال ابن حزم : ضعيف ولينه بعض البغادة لكونه يأخذ على الرواية . قلت : فمن كان هذا حاله فحديثه يكون حسناً ، وإلى هذا فالحديث في المتابعات ، والله أعلم . (ج ٤ ص ٣٦٣) .

(٤) البخاري في الصلاة (ج ١ ص ٤٩٤) ، ومسلم (ج ١ ص ٢٢٨) . وأبو داود (ج ١ ص ١٠٧) . والترمذي (ج ١ ص ١٥٥) . والنسائي (جزء ١ ص ٨١) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٨٠) . وقال الترمذي : حديث جرير أصح ، إلى أن قال : وهذا حديث مفسر لأن بعض من أنكر المسح على الخفين تأول أن مسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الخفين كان قبل نزول المائدة وذكر جرير في حديثه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين بعد نزول المائدة ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عند كلامه على حديث سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين (ج ١ ص ٣٠٥) . وقال ابن المنذر اختلف : العلماء أيهما أفضل المسح على الخفين أم نزعهما وغسل القدمين . قال : والذي أختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض قال : وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه . اهـ . وقال الشيخ محيي الدين : وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر ، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثانين . ومنهم العشرة ، وفي ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن البصري : حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين إلى أن قال : كان البخاري اختار الرواية عنه أي عن شيخه أصبغ ابن الفرج المصري لهذا الحديث لقوله : المسح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أكابر الصحابة في الحضر أثبت عندنا وأقوى من أن تتبع مالكا على خلافه . اهـ .

وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلًا ، كما هو مقرر في كتاب « الأحكام الكبير » ، وما يحتاج إلى ذكره هناك ، من تأقيت المسح أو عدمه أو التفصيل فيه ، كما هو مبسوط في موضعه . وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا مستند ، بل بجهل وضلال ، مع أنه ثابت في صحيح مسلم ، من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كما ثبت في الصحيحين عنه ، عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة^(٥) وهم يستبيحونها . وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين ، مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله ﷺ على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة ، وهم مخالفون لذلك كله ، وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ، والله الحمد . وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين ، فعندهم أنهما في ظهر القدم ، فعندهم في كل رجل كعب ، وعند الجمهور أن الكعبين هما العظمان الناتئتان عند مفصل الساق والقدم . قال الربيع : قال الشافعي : لم أعلم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الناتئتان ، وهما مجمع مفصل الساق والقدم ، هذا لفظه ، فعند الأئمة رحمهم الله في كل قدم [كعبان] كما هو المعروف عند الناس ، وكما دلت عليه السنة ، ففي الصحيحين من طريق حُمران عن عثمان : أنه توضأ فغسل رجله اليمنى إلى الكعبين ، واليسرى مثل^(٦) ذلك .

وروى البخاري تعليقاً مجزوماً به ، وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه ، من رواية أبي القاسم الحسين بن الحارث الجدلي ، عن النعمان بن بشير قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال : « أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم » . قال : فرأيت الرجل يُلْزِق كعبه بكعب صاحبه ، وركبته بركبة صاحبه ، ومنكبه بمنكبه^(٧) . لفظ ابن خزيمة .

(٥) الحديث أخرجه البخاري (ج ٧ ص ٤٨١ و ج ٩ ص ١٦٦ و ص ٦٥٢ و ج ١٢ ص ٣٣٣) . ومسلم (ج ٩ ص ١٨٧) مع النووي . والترمذي في النكاح (ج ٣ ص ٤٢٠) ، وقال الترمذي : وفي الباب عن سيرة وأبي هريرة وقال : حديث علي حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة ثم رجع عن قوله ، حيث أخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق .

(٦) الحديث في البخاري (ج ١ ص ٢٦٦) . ومسلم (ج ١ ص ٢٠٤) ، قال ابن شهاب : وكان علماؤنا يقولون : هذا الوضوء أسغ ما يتوضأ به أحد للصلاة . هكذا جاء في صحيح مسلم بعد هذا الحديث . وأخرج أبو داود (ج ١ ص ٧٨) . والنسائي (جزء ١ ص ٦٤) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٠٥) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري (ج ٢ ص ٢٠٦) قال : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك به ، وإنما القدر المعلق منه هو قول النعمان ابن بشير : فقال : وقال النعمان بن بشير : رأيت الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه ، وذلك في (ج ٢ ص ٢١١) . وأخرجه مسلم (ج ١ ص ٣٢٤) وأبو داود (ج ١ ص ٤٣٢) . والترمذي (ج ١ ص ٤٣٨) ، وقال : حديث النعمان حديث حسن صحيح . والنسائي (جزء ٢ ص ٨٩) . وابن ماجه (ج ١ ص ٣١٨) . وأما ابن خزيمة فلم أجده في صحيحه ولكن هو في بن حبان كما في موارد الظمان رقم (٣٩٦) عن شيخه ابن خزيمة بسند حسن .

فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه إلا والمراد به العظم النائي في الساق ، حتى يجاذي كعب الآخر ، فدل ذلك على ما ذكرناه ، من أنهما العظمان الناتقان عند مفصل الساق [والقدم] كما هو مذهب أهل السنة .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا شريك ، عن يحيى [بن عبد الله] بن الحارث التيمي - يعني الجابر - قال : نظرت في قتلى أصحاب زيد ، فوجدت الكعب فوق ظهر القدم ، وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم ، تنكيلاً بهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه^(٨) .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ، أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ، فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ . كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء ، فلا حاجة بنا إلى إعادته ، لئلا يطول الكلام . وذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك ، لكن البخاري روى هاهنا حديثاً خاصاً بهذه الآية الكريمة ، فقال :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه ، عن أبيه ، عن عائشة : سقطت قلادة لي بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل ، فَنَتْنَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا ، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكَزَةً شَدِيدَةً ، وَقَالَ : حَبَسْتُ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ ، فَبَيَّ الْمَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ أَوْجَعَنِي ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقِظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ ، فَاتَّمَسَ الْمَاءَ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ هذه الآية ، فقال أسيد بن الحضير : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركة لهم^(٩) .

وقوله : ﴿ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ، أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر ، بل أباح التيمم عند المرض ، وعند فقد الماء ، توسعةً عليكم ورحمةً بكم ، وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء إلا من بعض الوجوه ، كما تقدم بيانه ، وكما هو مقرر في كتاب « الأحكام الكبير » .

= قال الحافظ ابن حجر عند تعليقه على كلام النعمان بن بشير ، وأنكر الأصمعي قول من زعم أن الكعب في ظهر القدم ، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة عقب ترجمة سنن متروكة يجب إحيائها وتكلم بكلام حول فقه الحديث . ومن ذلك قوله : إني أهيأ بالمسلمين وخاصة أئمة المساجد الحريصين على اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعملوا بهذه السنة ويحرصوا عليها ويدعوا الناس إليها حتى يجتمعوا عليها جميعاً وبذلك ينجوا من تهديد (أو ليخالفن الله بين قلوبكم) .

(٨) هذا الإسناد ضعيف لأن فيه شريك بن عبد الله القاضي وهو صدوق يخطيء كثيراً ، تغير حفظه بعد ما تولى القضاء .

(٩) هذا في كتاب التفسير (ج ٨ ص ٢٧٣) .

وقوله : ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [أي : لعلكم تشكرون] نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة ، وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء ، بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امثال هذه الآية الكريمة ، كما رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن ، عن عقبة بن عامر قال : كانت علينا رعاية الإبل ، فجاءت نوبتي فروحتها بعشي ، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس ، فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصل ركعتين مُقبلاً عليهما بقلبه ووجهه ، إلا وجبت له الجنة » . قال : قلت : ما أجود هذه ! فإذا قائل بين يدي يقول : التي قبلها أجود منها . فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه ، فقال : إني قد رأيتك جئت آنفاً ، قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ - الوضوء ، يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » . لفظ^(١١) مسلم .

وقال مالك : عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المسلم - أو : المؤمن - فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب »^(١٢) .

رواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن مالك ، به^(١٣) .

(١٠) مسند أحمد (ج ٤ ص ١٤٥) . وصحيح مسلم (ج ١ ص ٢٠٩) . وسنن أبي داود (ج ١ ص ١١٨ - ١١٩) . والترمذي (ج ١ ص ٧٨) . والنسائي (جزء ١ ص ٩٢ - ٩٣) . وابن ماجه في سننه (ج ١ ص ١٥٩) ، بلفظة : ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ... الحديث .

تنبيه: يظهر لنا جلياً من هذا الحديث أن السنة في الوضوء التسمية في أوله والتشهد في آخره . وعليه فما زاده المبتدعون من أذكار مخترعة مصنوعة محدثات في دين الله لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أنها لو كانت خيراً لسبقنا إليها فما من خير إلا وفعله ودلنا عليه وما من شر إلا واجتنبه ونهانا عنه ولست أدري ما للمبتدعين يتركون السنن الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويميلون إلى تراها العجائز وخرافاتهم فكمن بدع اصطنعها العجائز القاصون والخرفون ، والمبتدعون أقبلوا عليها بوجههم ووجهتهم وعضوا عليها بالنواجذ ، أيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أليس هذا الحديث فيه الفضل الكبير والأجر العظيم لمن فعل به ؟ بلى والذي نفسي بيده . فلماذا استبدلوا به قولهم عند غسل الوجه (اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه) وقولهم عند مسح الأذنين (اللهم سمعنا صوت المنادي في الجنة ولا تسمعنا صوت المنادي في النار وقولهم عند مسح الرأس (اللهم ظلني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك) وغير هذا . كل ذلك لم يكن إلا عن اتباعهم أهواءهم وبعدهم أو تباعدتهم عن الحق المستقيم . نسأل الله أن يوفقنا للعمل بالسنن والواجبات وأن يجنبنا البدع والمحدثات في أقوالنا وأفعالنا .

(١١) هذا في الموطأ مع تنوير الحوالك (ج ١ ص ٥٣) .

(١٢) صحيح مسلم (ج ١ ص ١١٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كعب بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه : أو ذراعيه - إلا خرجت خطاياهما ، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياهما من وجهه ، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياهما من رأسه ، فإذا غسل رجله خرجت خطاياهما من رجله » (١٣).

هذا لفظه ، وقد رواه الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم ، عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي ، عن النبي ﷺ قال : « وإذا توضأ العبد فغسل يديه ، خرجت خطاياهما من بين يديه ، وإذا غسل وجهه خرجت خطاياهما من وجهه ، وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياهما من ذراعيه ، وإذا غسل رجله خرجت خطاياهما من رجله » . قال شعبة : ولم يذكر مسح الرأس (١٤) . وهذا إسناد صحيح .

وروى ابن جرير من طريق شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة ، خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه » (١٥).

(١٣) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٨٧) وهذا منقطع . قال الحافظ ابن حجر : ابن أبي الجعد روى عن كعب بن مرة وقيل : لم يسمع منه وقال صاحب جامع التحصيل : سئل يحيى بن معين عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة البصري فقال : مرسل ، قد أدخل شعبة بينهما شرحبيل بن السمط . وقال أبو داود : لم يسمع سالم من شرحبيل ابن السمط .

(١٤) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٢٣٤ - ٢٣٥) إلا أنه قال : قال شعبة : قد حدثني به منصور وذكر ثلاثة بينه وبين مرة بن كعب ثم قال بعد : عن منصور عن سالم عن مرة أو عن كعب وهو أيضاً منقطع .

(١٥) الحديث في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٨٦) وهو من طريق شهر بن حوشب وإليك ترجمته : -
فأقول : هو شهر بن حوشب الأشعري أبو سعيد ويقال : أبو عبد الله اختلف أئمة الجرح والتعديل فيه وسوف أنقل بعض أقوال الفريقين ثم أرجح ما يظهر لي ويبين . قال حرب بن إسماعيل عن أحمد : ما أحسن حديثه ووثقه وقال عثمان الدارمي : بلغني أن أحمد كان يشني على شهر ، وقال الترمذي : قال أحمد : لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر ، وقال الترمذي أيضاً عن البخاري : شهر حسن الحديث وقوى أمره ، وقال ابن أبي خيثمة ومعاوية بن صالح عن ابن معين : ثقة ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقة على أن بعضهم قد طعن فيه . هذا بعض التعديل من معديه أما من جرحه فقال ابن عون : تركوه وهذه اللفظة مصحفة وصوابها : تركوه بنون ثم زاي كما في مقدمة صحيح مسلم أي طعنوا فيه وتكلموا بجرحه لكن قال يعقوب بن سفيان وشهر وإن قال ابن عون : تركوه فهو ثقة وقال ابن المديني : حدث ابن عون عن هلال بن أبي زينب عن شهر ، فسارته شعبة فلم يذكره ابن عون ، وقال معاذ بن معاذ : سألت ابن عون عن حديث هلال بن أبي زينب عن شهر عن أبي هريرة : لا يجف دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين فقال : ما تصنع بشهر ، إن شعبة ترك شهراً ، وقد طعن فيه الجوزجاني لكثرة حديثه بزم نامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم . وقال : كأنه مولع به ، وقال موسى بن هارون : ضعيف وذكروا أن شهراً كان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم فقبل فيه :
لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر =

وروى مسلم في صحيحه ، من حديث يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده مطور ، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان] وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء [والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها »^(١٦).

وفي صحيح مسلم ، من رواية سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله صدقة من غلول ، ولا صلاة بغير طهور »^(١٧).

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن قتادة ، سمعت أبا المليح الهذلي يحدث عن أبيه

= لكن قال الذهبي في السير : قلت : إسناده منقطع ولعلها وقعت وتاب منها أو أخذها متأولاً أن له في بيت المسلمين حقاً ، نسأل الله الصفح ، وذكر النووي في شرح مسلم أن العلماء المحققين حملوا هذا على محمل صحيح ، هذا مقتضب مختصر من التهذيب وقد ترجم له الذهبي في السير وأورد ما أنكر عليه من الحديث ثم قال : فهذا ما استنكر من حديث شهر في سعة روايته وما ذاك بالنكر جداً ثم قال : قلت : الرجل غير مدفوع عن صدق وعلم والاحتجاج به مترجح .

قلت : لا مرأ أن له أحاديث أنكرت عليه وليس إقرارنا بها يستلزم الطعن في سائر مروياته فإن الأخطاء اليسيرة القليلة لا يسلم منها سالم ولا يطهر منها عالم ، فكم يمر بنا من محدثين لهم أخطاء في الحديث وهم ثقات أثبات فنرى أنهم أنكروا عليهم أخطاءهم وقبلوا عامة ما يقولون فقد قيل : من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وقيل :

ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه

هذا وقد ذكر الذهبي صاحب الترجمة في جزء يختص بذكر من طعن فيه وهو موثق فذكره له في هذا الكتاب يدل على قبوله إياه أما النووي فيبدو أنه في مرتبة الثقة عنده فقد قال كما في شرح مسلم (ج ١ ص ٩٣) وثقه كثيرون من كبار أئمة السلف أو أكثرهم وذكر بعض موثقيه ثم رد فيما بعد طعن الطاعنين وقدر القادحين في شهر بن حوشب .

وبعد هذا النقل وهذا البيان يتبين لي ويظهر أن حديثه لا ينزل عن رتبة الحسن أما الشوكاني فهذه الرتبة أقل حديث شهر عنده فقد قال كما في نسخة له في تحريم كل مسكر ومفتر (إن صحت إليه) : وقد اختلف في شأنه (يعني شهراً) أئمة الجرح والتعديل فوثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وهما إماما الجرح والتعديل ما اجتماعاً على توثيق رجل إلا وكان ثقة ولا على تضعيف رجل إلا وكان ضعيفاً فأقل حديث شهر المذكور أن يكون حديثه حسناً ، والترمذي يصحح حديثه كما يعرف ذلك من له ممارسة في جامعه اهـ . هذا آخر ما ارتاح له صدري وانتهى إليه أمري وأرجو أن يكون حقاً وصواباً وهذه أول وآخر ترجمة لشهر بن حوشب وإن عاد أحلت إليها .

(١٦) (ج ١ ص ٢٠٣) ، والترمذي (ج ٥ ص ٥٣٥) ، وقال : هذا حديث صحيح . ومطور أبو سلام الحبشي .

قال صاحب جامع التحصيل ، روى عن حذيفة وأبي مالك الأشعري ، وذلك في صحيح مسلم وقال الدارقطني لم يسمع منهما . اهـ . لكن هذا الحديث ثابت صحيح موصولاً بطرق أخرى .

(١٧) صحيح مسلم (ج ١ ص ١٠٤) . والترمذي في الطهارة (ج ١ ص ٥) . وابن ماجه (ج ١ ص ١٠٠) .

قال : كنت مع رسول الله ﷺ في بيت ، فسمعتة يقول : « إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ، ولا صدقة من غلول » . وكذا رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث شعبة^(١٨) .

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ
إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم ، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ومناصرتة ومؤازرتة . والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه ، فقال : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ، إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ ، وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله ﷺ عليها عند إسلامهم ،

(١٨) الحديث أخرجه أبو داود (ج ١ ص ٤٩) . والنسائي (جزء ١ ص ٨٧) . وأحمد (ج ٥ ص ٧٤ - ٧٥) عن أبي المليح قال الحافظ في الفتح (ج ٣ ص ٢٧٨) : وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي (ج ١ ص ٥) عن ابن عمر .

وقال : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن وفي الباب عن أبي المليح عن أبيه وعن أبي هريرة وأنس ، وأبو المليح اسمه عامر ويقال : زيد بن أسامة بن عمير الهذلي وقال الشيخ أحمد شاكر : وسيأتي قريباً في الباب عن أبي هريرة وهو ما أخرجه البخاري ومسلم عنه مرفوعاً : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وهو أصح من حديث ابن عمر هذا فوصف الترمذي له بأنه أصح شيء في الباب فيه نظر . اهـ . وأخرجه ابن ماجه (ج ١ ص ١٠٠) وقال محققه رحمه الله : هذا حديث صحيح .

كما قالوا : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله^(١٩) ، وقال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله ، والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ؟ ﴾ ، وقيل : هذا تذكّار لليهود بما أخذ عليهم من الموائيق والعهود في متابعة محمد ﷺ والانقياد لشرعه ، رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وقيل : هو تذكّار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم : ﴿ ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا ﴾ ، قاله مجاهد ، ومقاتل بن حيان . والقول الأول أظهر ، وهو المحكي عن ابن عباس ، والسدي . واختاره ابن جرير^(٢٠) .

ثم قال تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾ تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال .

ثم أعلمهم أنه يعلم ما يتخالج في الضمائر والسرائر والأسرار والخواطر ، فقال : ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ .

وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴾ ، أي : كونوا قائمين بالحق لله ، عز وجل ، لا لأجل الناس والسمعة ، وكونوا ﴿ شهداء بالقسط ﴾ ، أي : بالعدل لا بالجور . وقد ثبت في الصحيحين ، عن النعمان بن بشير أنه قال : نخلني أبي نخلًا ، فقالت أمي عمرة بنت ربيعة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ . فجاءه ليشهده على صدقتي ، فقال : « أكل ولدك نخلت مثله ؟ » قال : لا . قال : « اتقوا الله ، واعدلوا في أولادكم » . وقال : « إني لا أشهد على جور » . قال فرجع أبي فرد تلك الصدقة^(٢١) .

وقوله : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ﴾ ، أي : لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد ، صديقاً كان أو عدواً ، ولهذا قال : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، أي : عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه . ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه ، كما في نظائره من القرآن وغيره ، كما في قوله : ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو

(١٩) هذا الحديث في البخاري (ج ١٣ ص ٥ و ١٩٢) وفي مسلم (ج ٣ ص ١٤٧٠) والنسائي (جزء ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨) وابن ماجه (ج ٢ ص ٩٥٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢٠) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٩٣) .

(٢١) هذا الحديث في البخاري (ج ٥ ص ٢١٠) و (٢٥٨) ومسلم (ج ٣ ص ١٢٤١ و ١٢٤٢) وأبي داود (ج ٣ ص ٨١١) والترمذي (ج ٣ ص ٦٤٠) وقال بعد ذكره : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن النعمان بن بشير ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، يستحبون التسوية بين الولد حتى قال بعضهم : يسوي بين ولده حتى في القبله ، وقال بعضهم : يسوي بين ولده في النحل والعطية يعني الذكر والأنثى سواء وهو قول سفيان الثوري . وقال بعضهم : التسوية بين الولد أن يعطي الذكر مثل حظ الأنثيين مثل قسمة الميراث وهو قول أحمد وإسحاق . اهـ . وأخرجه النسائي (جزء ٦ ص ٢٥٨ - ٢٦١) وابن ماجه (ج ٢ ص ٧٩٥) .

أزكى لكم ﴿٦﴾ .

وقوله : هو أقرب للتقوى ، من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء ، كما في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ وكقول بعض الصحابييات لعمر : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ^(٢٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ ، أي : وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . ولهذا قال بعده : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ أي : لذنوبهم ﴿ وأجر عظيم ﴾ ، وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده ، لا ينالونها بأعمالهم ، بل برحمة منه وفضل ، وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم ، وهو تعالى الذي جعلها أسباباً إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه ، فالكل منه وله ، فله الحمد والمنة .

ثم قال : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ ، وهذا من عدله تعالى ، وحكمته وحكمه الذي لا يجور فيه ، بل هو الحكم العدل الحكيم القدير .

وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ﴾ .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، ذكره عن أبي سلمة عن جابر : أن النبي ﷺ نزل منزلاً ، وتفرق الناس في العضاء يستظلون تحتها ، وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة ، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ فأخذه فسله ، ثم أقبل على النبي ﷺ فقال : من يمنك مني ؟ قال : « الله ! » قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً : من يمنك مني ؟ والنبي ﷺ يقول : « الله ! » قال : فشام الأعرابي السيف ، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي ، وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه - قال معمر : وكان قتادة يذكر نحو هذا ، وذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ ، فأرسلوا هذا الأعرابي ، وتأول : ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم ... ﴾ الآية^(٢٣) .

وقصة هذا الأعرابي - وهو غورث بن الحارث - ثابتة في الصحيح^(٢٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله

(٢٢) هذا في البخاري (ج ٧ ص ٤١) ومسلم (ج ٤ ص ١٨٦٣) وأشار الحافظ المزي في تحفته إلى السنن الكبرى للنسائي ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (ج ١ ص ١٨٢) من حديث سعد بن مالك بن أبي وقاص رضي الله

عنه .

(٢٣) الحديث في مصنف عبد الرزاق وهو في البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق بهذا السند .

(٢٤) تقدم تخريجه .

عليكم ، إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ﴿ وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولأصحابه طعاماً ، ليقتلوهم فأوحى الله تعالى إليه بشأنهم ، فلم يأت الطعام ، وأمر أصحابه [فلم يأتوه] ^(٢٥) .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال أبو مالك : نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه ، حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الأشرف .

رواه ابن أبي حاتم .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار ، ومجاهد وعكرمة ، وغير واحد : أنها نزلت في شأن بني النضير ، حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرّحى ، لما جاءهم يستعينهم في ذية العامرين ، ووكّلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك ، وأمره إن جلس النبي ﷺ تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقي تلك الرّحى من فوقه ، فأطلع الله رسوله على ما تمالأوا عليه ، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ^(٢٦) .

ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو إليهم فحاصرهم ، حتى أنزلهم فأجلاهم .

وقوله تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ : يعني : من توكل على الله كفاه الله ما أهمه ، وحفظه من شر الناس وعصمه .

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
وَوَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(٢٥) هذا السند تقدم في الجزء الأول عند قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾

(ص ٩٠) . وقد ترجم لرجاله شيخنا حفظه الله وحاصل ما قال إنه مسلسل بالضعفاء وبعضهم أشد ضعفاً من بعض .

(٢٦) هذا الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ١٠١) بسند ضعيف لأن فيه ابن حميد واسمه محمد وهو حافظ ضعيف وفي سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٩٠) لكنه معضل فيه لم يذكر ابن إسحاق أحداً بينه وبين هذه الواقعة إلا أن يكون تابعاً لسند قبله لكنه وإن كان كذلك فقد رأيت السند الذي قبله وفيه رجل مبهم مجهول لم يسم .

الْأَنهَرُفْنَ كَفَرَبَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۖ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه ، الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل ، وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة ، فيما هداهم له من الحق والهدى ، شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين : اليهود والنصارى ، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك [لعناً] منه لهم ، وطرداً عن بابه وجنابه ، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق ، وهو العلم النافع والعمل الصالح ، فقال تعالى : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ يعني : عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ، ولرسوله ولكتابه .

وقد ذكر ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبابرة ، فأمر بأن يقيم النقباء ، من كل سبط نقيب - قال محمد بن إسحاق : فكان من سبط روبيل : « شامون بن زكور » ، ومن سبط شمعون : « شافاط بن حرى » ، ومن سبط يهوذا : « كالب بن يوفنا » ومن سبط أيبين « فيخايل بن يوسف » ، ومن سبط يوسف ، وهو [سبط] أفرايم : « يوشع بن نون » ومن سبط بنيامين : « فلطمي بن رفون » ومن سبط زبلون : « جدى بن سودى » ومن سبط يوسف وهو منشا بن يوسف : « جدى بن سوسى » ومن سبط دان : « حملايل بن جمل » ومن سبط أسير : « ساطور بن ملكيل » ومن سبط نفتالى : « نحى بن وفسى » ومن سبط جاد : « جولایل بن ميكى » .

وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ، قال فيها : فعلى بني روبيل « الصونى بن سادون » ، وعلى بني شمعون : « شمواى بن صورشكى » وعلى بني يهوذا : « يحشون بن عميذاى » وعلى بني يساخر :

« شال بن صاعون » وعلى بني زبلون : « الياب بن حالوب » وعلى بني يوسف إفرام : « منشا بن عمهود » ، وعلى بني منشا : « حمليائيل بن يرصون » وعلى بني بنيامين : « أبيدن بن جدعون » وعلى بني دان : « جعيدر بن عميشدي » وعلى بني أسير : « نحليل بن عجران » وعلى بني حاز : « السيف ابن دعوايل » وعلى بني نفتالي : « أجزع بن عمينان » .

وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة ، كان فيهم اثنا عشر نقيباً ، ثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر - ويقال بدله : أبو الهيثم بن التيهان - رضي الله عنهم ، وتسعة من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عباد ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، والمنذر بن عمرو بن خنيس ، رضي الله عنهم . وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له ، كما أورده ابن إسحاق رحمه الله .

والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتذ عن أمر النبي ﷺ ، لهم بذلك ، وهم الذين ولوا المبايعة والمعاقدة عن قومهم للنبي ﷺ ، على السمع والطاعة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألت رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله ﷺ فقال : « اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل » ^(٢٧) .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » . ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي ، فسألت أبي : ماذا قال النبي ﷺ ؟ قال : « كلهم من قريش » ^(٢٨) .

وهذا لفظ مسلم ، ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً ، يقيم الحق ويعدل فيهم ، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم ، بل قد وجد منهم أربعة [على] نسق ، وهم الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم ، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة ، وبعض بني العباس . ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة ، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطىء اسمه اسم النبي ﷺ ، واسم أبيه اسم

(٢٧) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٩٨ و ٤٠٦) من طريقين كلاهما يلتقي في مجالد وهو ابن سعيد ضعيف كما في الميزان .

(٢٨) الحديث في البخاري (ج ١٣ ص ٢١١) ومسلم (ج ٣ ص ١٤٥٢) .

أبيه ، فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب « سَامَرًا » . فإن ذاك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية ، بل هو من هوس العقول السخيفة ، وتوهم الخيالات الضعيفة ، وليس المراد هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر الأئمة الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض ، لجهلهم وقلة عقلهم . وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام ، وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً ، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود ، وجابر بن سمرة . وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر ، فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً ، لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الله : إني معكم ﴾ أي : بحفظي وكلاءتي ونصري ﴿ لنن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي ﴾ أي : صدقتموهم فيما يحيئونكم به من الوحي ﴿ وعزرتوهم ﴾ أي : نصرتموهم وآزرتموهم على الحق ﴿ وأقرضتم الله قرضاً حسناً ﴾ وهو : الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿ لا تكفرون عنكم سيئاتكم ﴾ أي : ذنوبكم أحوها وأسترها ، ولا تؤاخذكم بها ﴿ ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي : أدفع عنكم المحذور ، وأحصل لكم المقصود .

وقوله : ﴿ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي : فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده ، وجحده وعامله معاملة من لم يعرفه ، فقد أخطأ الطريق الحق ، وعدل عن الهدى إلى الضلال .

ثم أخبر تعالى عما أحل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده ، فقال : ﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم ﴾ أي : فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم ، أي : أبعادناهم عن الحق وطردهناهم عن الهدى ، ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ ، أي : فلا يتعظون بموعظة لغلظتها وقساوتها ، ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ ، أي : فسدت فهمهم ، وساء تصرفهم في آيات الله ، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا عليه ما لم يقل . عياداً بالله من ذلك ، ﴿ ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ ، أي : وتركوا العمل [به] رغبة عنه .

قال الحسن : تركوا عرى دينهم ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها . وقال غيره : تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولا فطر مستقيمة ، ولا أعمال قويمية .

﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ يعني : مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك .

قال مجاهد وغيره : يعني بذلك تمالؤهم على الفتك بالنبي ﷺ .

﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ وهذا هو عين النصر والظفر ، كما قال بعض السلف : ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ، ولعل الله أن

يهديهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، يعني به : الصّفح عمن أساء إليك .

وقال قتادة : هذه الآية ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ منسوخة بقوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ ^(٢٩) الآية .

وقوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّا نَصَارَى ، أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ ، أي : ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى يتابعون المسيح ابن مريم عليه السلام ، وليسوا كذلك ، أخذنا [عليهم] العهود والمواثيق على متابعة الرسول ومناصرتة ومؤازرته واقتفاء آثاره ، والإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ، أي : ففعلوا كما فعل اليهود ، خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ، ولهذا قال : ﴿ فَنسوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، أي : فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضاً ، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة . وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها ، فالملكية تكفر يعقوبية ، وكذلك الآخرون ، وكذلك النسطورية والآريوسية ، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ . وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبه من الكذب على الله وعلى رسوله ، وما نسبوه إلى الرب عز وجل ، وتعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ، من جعلهم له صاحبة وولداً ، تعالى الواحد الأحد ، الفرد ^(٣٠) الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ
مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦

(٢٩) الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ١٣٤) . بغير سند .

(٣٠) قال الشيخ عبد الله بن يوسف في تحقيق تطهير الاعتقاد تسمية الله تعالى بالفرد مما شاع عند كثير من أفاضل العلماء ومن العلوم أن أسماء الباري تعالى توقيفية لا يمكن القول بزيادة الشيء إلا ببرهان على ما عليه المعتقد السلفي وهذا الاسم (الفرد) لم يرد فيه نص من القرآن وأما السنة فغاية ما استدلل به لإثباته حديث ضعيف الإسناد جداً من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر مرفوعاً والكلبي كذاب ساقط . اهـ .

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض ، عربهم وعجمهم ، أممهم وكتائبهم ، وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل - فقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ أي : يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه ، واقتروا على الله فيه ، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه .

وقد روى الحاكم في مستدركه ، من حديث الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ، قوله : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ ، فكان الرجم مما أخفوه . ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(٣١) .

ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ ، أي : طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ﴿ ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ ، أي : ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أبن المسالك ، فيصرف عنهم المحذور ، ويحصل لهم أنجب الأمور ، وينفي عنهم الضلالة ، ويرشدهم إلى أقوم حالة .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
قُلْ مَنْ مِلَّكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَالِيهِ الْمَصِيرُ ١٨

(٣١) هذا الأثر في مستدرك الحاكم (ج ٤ ص ٣٥٩) من طريق أبي العباس القاسم بن القاسم عن محمد بن موسى الباشاني ، قال تلميذه قاسم : أنا بريء من عهده ، ولكن الحديث أخرجه النسائي في التفسير عند قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ إلخ المائدة . والطبري (ج ١٠ ص ١٤١) بإسنادين أحدهما فيه أبو حميد واسمه محمد وهو حافظ لكنه ضعيف والآخر سنده صحيح وكذا صححه محققه الشيخ محمود شاكر .

يقول تعالى مخبراً وحاكماً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم - وهو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه - أنه هو الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه : ﴿ قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ﴾ ، أي : لو أراد ذلك ، فمن ذا الذي كان يمنعه ؟ أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ؟

ثم قال : ﴿ والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء ﴾ أي : جميع الموجودات ملكه وخلقها ، وهو القادر على ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل ، لقدرته وسلطانه ، وعدله وعظمته ، وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة .

ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافتراءهم : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ أي : نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية ، وهو يحبنا . ونقلوا عن كتابهم أن الله قال لعبده إسرائيل : « أنت ابني بكري » . فحملوا هذا على غير تأويله ، وحرفوه . وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم ، وقالوا : هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام ، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم : إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، يعني : ربي وربكم . ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوا في عيسى عليه السلام ، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده ، ولهذا قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه .

قال الله تعالى راداً عليهم : ﴿ قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ ﴾ أي : لو كنتم [كما تدعون أبناءه وأحباؤه ، فلم أعد لكم نار جهنم] على كفركم وكذبكم وافتراءكم ؟ . وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فلم يرد عليه ، فتلا الصوفي هذه الآية : ﴿ قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ ﴾ . وهذا الذي قاله حسن ، وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال :

حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه ، وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يُوطأ ، فأقبلت تسعى وتقول : ابني ابني ! وسعت فأخذته ، فقال القوم : يا رسول الله ، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال فخفضهم النبي ﷺ فقال : « لا ، والله ما يلقي حبيبه في النار » . تفرد به (٣٢) .

﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ أي : لكم أسوة أمثالكم من بني آدم ، وهو تعالى هو الحاكم في جميع عبادته ﴿ يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ﴾ ، أي : هو فعال لما يريد ، لا معقب لحكمه

(٣٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٣ ص ١٠٤) وسنده صحيح لكن حميد مدلس وقد عنعن وأصل الحديث ثابت في الصحيح .

وهو سريع الحساب . ﴿ والله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي : الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ، ﴿ وإليه المصير ﴾ ، أي : المرجع والمآب إليه ، فيحكم في عباده بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء ، وجرى بن عمرو ، وشأش بن عدي ، فكلّموه وكلّمهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته ، فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ! نحن والله أبناء الله وأحبّاءه . كقول النصارى ، فأنزل فيهم : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحبّاءه .. ﴾ .. إلى آخر الآية .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير^(٣٣) .

وروي أيضاً من طريق أسباط عن السدي في قول الله : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحبّاءه ﴾ : أما قولهم : ﴿ نحن أبناء الله ﴾ فإنهم قالوا : إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك - بكرك من الولد - فيدخلهم النار ، فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ، ثم ينادي مناد : أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل . فأخرجوهم ، فذلك قولهم : ﴿ لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴾^(٣٤) .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى
فَتْرٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى : إنه قد أرسل إليهم رسوله محمداً خاتم النبيين ، الذي لا نبي بعده ولا رسول ، بل هو المعقب لجميعهم ، ولهذا قال : ﴿ على فترة من الرسل ﴾ أي : بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم .

وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة ، كم هي ؟ فقال أبو عثمان النهدي وقتادة - في رواية عنه - كانت ستائة سنة .

ورواه البخاري عن سلمان الفارسي . وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة . وقال معمر ،

(٣٣) الحديث فيه محمد بن أبي محمد وهو مجهول . ومحمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث .

(٣٤) الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ١٥١) وفيه أسباط بن نصر وهو صدوق كثير الخطأ .

عن بعض أصحابه : خمسمائة وأربعون سنة . وقال الضحاك : أربعمائة وبضع وثلاثون سنة .

وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام ، عن الشعبي أنه قال : ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة .

والمشهور هو الأول ، وهو أنها ستائة سنة . ومنهم من يقول : ستائة وعشرون سنة . ولا منافاة بينهما ، فإن القائل الأول أراد ستائة سنة شمسية ، والآخر أراد قمرية ، وبين [كل مائة] سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين . ولهذا قال تعالى في قصة أصحاب الكهف : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ ، أي : قمرية ، لتكميل الثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب . وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن أولى الناس بابن مريم [لأنا] لأنه لاني بني بيني وبينه » ^(٣٥) . وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي ، يقال له « خالد بن سنان » كما حكاه القضاعي وغيره .

والمقصود أن الله بعث محمداً ﷺ ، على فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وتغير الأديان ، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان ، فكانت النعمة به أتم النعم ، والحاجة إليه أمر عمم ، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد ، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد ، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين ، من بعض أحبار اليهود وعباد النصراني والصابئين ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن مطرف ، عن عياض بن حمار المجاشعي ، رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : « وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا : كل مال نخلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان . ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً ، فقلت : يارب ، إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة . فقال : استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نُغْزِكَ ، وأنفق عليهم فسننق عليك ، وابعث جنداً نبعت خمسة أمثاله وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم ، ورجل عفيف فقير متصدق . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً أو تُبْعاء - شك يحيى - لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن

أهلك ومالك ، وذكر البخيل أو الكذب ، والشنظير : الفاحش^(٣٦) .

ثم رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والنسائي من غير وجه ، عن قتادة ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير . وفي رواية سعيد عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف . وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده : أن قتادة لم يسمعه من مطرف ، وإنما سمعه من أربعة ، عنه . ثم رواه هو ، عن روح ، عن عوف ، عن حكيم الأثرم ، عن الحسن قال : حدثني مطرف ، عن عياض بن حمار ، فذكره ، ورواه النسائي من حديث غندر ، عن عوف الأعرابي ، به .

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله : « وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم : عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل » . وفي لفظ مسلم : « من أهل الكتاب » . وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، وتركهم على المحجة البيضاء ، والشرية الغراء ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ ، أي : لئلا تحتجوا وتقولوا - يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيره - ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر . ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ ، يعني محمداً ﷺ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

قال ابن جرير : معناه : إني قادر على عقاب من عصاني ، وثواب من أطاعني^(٣٧) .

وَأَذَقَ آلَ مُوسَى لِقَوْمِهِمْ يَقَوْمَهُمْ

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَتَاكُمْ مَالًا زَوَّيْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَى آدُبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا
يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ

(٣٦) الحديث في مسلم (ج ٤ ص ٢١٩٧) وعزاه المزي في التحفة إلى النسائي في السنن الكبرى . وفي أبي داود

الطيالسي (ص ١٤٥) مع اختلاف في الألفاظ واتفاق في المعاني .

(٣٧) الطبري (ج ١٠ ص ١٥٨) .

فَنَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَّادَامُوا
فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقُلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ
فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام ، فيما ذكر به
قومه نعم الله عليهم وآلاءه لديهم ، في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة -
فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴾
أي : كلما هلك نبي قام فيكم نبي ، من لدن أبيكم إبراهيم وإلى ما بعده ، وكذلك كانوا ، لا يزال
فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته ، حتى ختموا بعبسى عليه السلام ثم أوحى الله إلى خاتم
الرسول والأنبياء على الإطلاق محمد بن عبد الله ، المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وهو
أشرف من كل من تقدمه منهم ، ﷺ .

وقوله : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ﴾ ، قال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن منصور ، عن الحكم
أو غيره ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ﴾ قال : الخادم والمرأة والبيت ^(٣٨) .

وروى الحاكم في مستدركه ، من حديث الثوري أيضاً ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن
ابن عباس قال : المرأة والخادم ﴿ وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قال : الذين هم بين ظهرانهم
يومئذ . ثم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة
والخادم والدار ، سمي ملكاً ^(٣٩) .

(٣٨) هذا الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ١٦٢) وهو مروي عن ابن عباس وعن الحكم ومجاهد وقادة بألفاظ مختلفة
ومعناها واحد ، والأثر في الحاكم (ج ٢ ص ٣١٢) وقال بعد ذكره له : هذا حديث صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي .

قلت : وفي سند الحديث مصعب بن المقدم وهو من رجال مسلم وليس من رجال البخاري ، فالحديث
على شرط مسلم والله أعلم .

(٣٩) الأثر في ابن جرير بسند ضعيف لأمرين : الأول : شيخ ابن جرير المثني ولم أعرف ترجمته ، والثاني : فيه
حجاج بن تميم وهو الجزري أو الواسطي ضعيف .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا أبو هانيء : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . فقال : إن لي خادماً . قال : فأنت من الملوك^(٤٠) .

وقال الحسن البصري : هل الملك إلا مركب وخادم ودار ؟ .

رواه ابن جرير . ثم روي عن منصور والحكم ، ومجاهد ، وسفيان الثوري نحواً من هذا . وحكاها ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران .

وقال ابن شاذب : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم ، واستؤذن عليه ، فهو ملك .

وقال قتادة : كانوا أول من ملك الخدم .

وقال السدي في قوله : ﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾ قال : يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : « كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة ، كتب ملكاً » . وهذا حديث غريب من هذا الوجه^(٤١) .

وقال ابن جرير : حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض ، سمعت زيد بن أسلم يقول : ﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾ ، فلا أعلم إلا أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له بيت وخادم فهو ملك » .

وهذا مرسل غريب .

وقال مالك : بيت وخادم وزوجة .

وقد ورد في الحديث : « من أصبح منكم معافى في جسده ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »^(٤٢) .

(٤٠) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٠ ص ١٦١) وهو في صحيح مسلم أيضاً (ج ٤ ص ٢٢٨٥) من طريق أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح عن ابن وهب به .

(٤١) هذا حديث ضعيف لأن ابن لهيعة ضعيف ، وإلى هذا لا ندري من ذكر لابن أبي حاتم ذلك عن ابن لهيعة ثقة هو أم ضعيف . ثم إن رواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد متكلم فيها .

(٤٢) الحديث في الترمذي (ج ٤ ص ٥٧٤) . وابن ماجه (ج ٢ ص ١٣٨٧) وهو في صحيح ابن حبان رقم (٢٥٠٣) وفي الأدب المفرد للبخاري (ج ١ ص ٤٠٠) من حديث عبيد الله بن محصن والحديث ضعيف =

وقوله : ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني عالمي زمانكم ، فكأنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم ، من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم ، كما قال : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ ، وقال تعالى إخباراً عن موسى لما قالوا : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال : أغير الله أبغيكم إلهاً ، وهو فضلكم على العالمين .

والمقصود : أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم ، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم ، وأفضل عند الله ، وأكمل شريعة ، وأقوم منهاجاً ، وأكرم نبياً وأعظم ملكاً ، وأغزر أرزاقاً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، وأوسع مملكة ، وأدوم عزاً قال الله : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وقال : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ ، وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها ، عند الله ، عند قوله عز وجل : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ من سورة آل عمران .

وروى ابن جرير عن ابن عباس ، وأبي مالك وسعيد بن جبيرة أنهم قالوا في قوله : ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني : أمة محمد ﷺ^(٤٣) وكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله : ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا﴾ مع هذه الأمة . والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه ، وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا .

وقيل : المراد ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني بذلك ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى ، وتظللهم من الغمام وغير ذلك ، مما كان تعالى يخصصهم به من خوارق العادات ، فالله أعلم .

ثم قال تعالى مخبراً عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس ، الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب ، لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر

لأنه يدور على عبد الرحمن بن أبي شيملة ، قال الحافظ في التقریب : مقبول ، أي إذا توبع ، وعبد الرحمن هذا يروي عن سلمة بن عبيد بن محسن . قال الحافظ في التقریب : مجهول ، وقد روي الحديث من طريق أخرى عن عبد الله بن هانيء بن أبي عبله عن إبراهيم بن أبي عبله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً ، وعبد الله بن هانيء قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : روى عن أبيه وعن ضمرة وروى عنه محمد بن عبد الله بن محمد بن مخلد عن أبيه عن إبراهيم بن أبي عبله أحاديث بواطيل ، وقال الحافظ الذهبي في الميزان في ترجمة سلمة : ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبي الدرداء بإسناد فيه لين ، اهـ . قلت : وقد روي الحديث عن صحابي ثالث وهو ابن عمر ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ١٠ ص ٢٨٩) بعد ذكره له عن ابن عمر : رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن عابس وهو ضعيف ، اهـ . فعلى هذا يكون الحديث ضعيفاً عن ثلاثهم . والله أعلم .

(٤٣) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١٦٤) من طريق ابن وكيع وهو ضعيف عن يحيى بن يمان العجلي صدوق عابد يخطئ كثيراً وقد تغير فالأثر ضعيف بهذا السند أما أثر ابن عباس فلم أجده .

أيام يوسف عليه السلام [ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى] فوجدوا فيها قوماً من العمالقة الجبارين ، قد استحذوا عليها وتملكوها ، فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول إليها ، وبقتال أعدائهم ، وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره ، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتماذي في سيرهم حائرين ، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد ، مدة أربعين سنة ، عقوبة لهم على تفریطهم في أمر الله . فقال تعالى مخبراً عن موسى أنه قال : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ أي : المطهرة .

قال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ قال : هي الطور وما حوله ^(٤٤) . وكذا قال مجاهد وغير واحد .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هي أريحا . وكذا ذكر غير واحد من المفسرين .

وفي هذا نظر ، لأن أريحا ليست هي المقصودة بالفتح ، ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر ، حين أهلك الله عدوهم فرعون ، إلا أن يكون المراد [بأريحا أرض بيت المقدس ، كما قاله السدي - فيما رواه ابن جرير ^(٤٥) عنه - لا أن المراد] بها هذه البلدة المعروفة في طرف القُور شرقي بيت المقدس .

وقوله تعالى : ﴿ التي كتب الله لكم ﴾ أي : التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل : أنه وراثة من آمن منكم ، ﴿ ولا تترددوا على أدباركم ﴾ أي : و لا تنكسوا عن الجهاد ﴿ فتقبلوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾ ، أي : اعتذروا بأن في هذه البلدة - التي أمرتنا بدخولها وقتل أهلها - قوماً جبارين ، أي : ذوي خلق هائلة ، وقوى شديدة ، وإنا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم ، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها ، فإن يخرجوا منها دخلناها ، وإلا فلا طاقة لنا بهم .

وقد قال ابن جرير : حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان قال : قال أبو سعيد ، قال عكرمة ، عن ابن عباس قال : أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين . قال : فسار موسى بمن معه حتى نزل قريباً من المدينة - وهي أريحا - فبعث إليهم اثني عشر عيناً ، من كل سبط منهم عين ، ليأتوه بخبر القوم . قال : فدخلوا المدينة - فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجشهم وعظمتهم ، فدخلوا حائطاً لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه ، فجعل يجتني الثمار وينظر إلى آثارهم ، فتتبعهم ، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كفه مع الفاكهة ، حتى التقط الاثنى عشر كلهم ، فجعلهم في كفه مع الفاكهة ، وذهب إلى ملكهم فنثرهم بين يديه . فقال

(٤٤) وهذا في ابن جرير أيضاً وسنده حسن .

(٤٥) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١٦٨) .

لهم الملك : قد رأيتم شأنا وأمرنا ، فاذهبوا فأخبروا صاحبكم . قال : فرجعوا إلى موسى ، فأخبروه بما عاينوا من أمرهم .

وفي [هذا] الإسناد نظر^(٤٦) .

وقال علي بن أبي طلحة^(٤٧) ، عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه ، بعث منهم اثني عشر رجلاً - وهم النقباء الذين ذكر الله - فبعثهم ليأتوه بخبرهم . فساروا ، فلقيهم رجل من الجبارين ، فجعلهم في كسائه ، فحملهم حتى أتى بهم المدينة ، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن قوم موسى ، بعثنا نأتيه بخبركم . فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل ، فقالوا لهم : اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم : اقدروا قدر فاكهتهم . فلما أتوهم قالوا : يا موسى ، ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي مریم ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن الهاد ، حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال : رأيت أنس بن مالك أخذ عصا ، فذرع فيها بشيء ، لا أدري كم ذرع ، ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمساً وخمسين ، ثم قال : هكذا طول العمالق .

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل ، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين ، وأنه كان فيهم عوج بن عنق ، بنت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلاث ذراع ، تحرير الحساب ! وهذا شيء يستحيى من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن »^(٤٨) .

ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب السفينة ،

(٤٦) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١ ص ١٧٣) وإليك ترجمة رجال سنده : - فعبد الكريم بن الهيثم هو ابن زياد بن عمران ثقة مأمون ترجمته في تاريخ بغداد ، وإبراهيم بن بشار هو الرمادي قال الحافظ في التقریب : حافظ له أوهام اهـ .

قلت : لم يذكر ابن عدي إلا حديثاً واحداً من أوهامه وقال : فهو مستقيم في غير ذلك وهو عندنا من أهل الصدق وسفيان هو ابن عيينة ، معروف ، وأبو سعيد هو عبد الكريم بن مالك الجزري ثقة متقن ، وعكرمة هو مولى ابن عباس قيل فيه : إنه إمام الدنيا ، وقال أبو عبد الله المروزي : قد أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة ، فقول الحافظ : في هذا الإسناد نظر ، لا أدري ما وجهة نظره ، فإن السند كما رأيت واضح كوضوح الشمس اللهم إلا أن يتكلم في نفس الخبر فنعم فلعله من الأخبار الإسرائيلية ، والله أعلم .

(٤٧) تقدم لك أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . ثم إن الظاهر عليه أنه من الكتب المتقدمة .

(٤٨) الحديث أخرجه البخاري (ج ٦ ص ٣٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته ، وهذا كذب واقتراء ، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين ، فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ ، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق ، فكيف يبقى عوج بن عنق ، وهو كافر وولد زنية ؟ ! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع . ثم في وجود رجل يقال له : « عوج بن عنق » نظر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ ، أي : فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عليه السلام حرصهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة ، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه .

وقرأ بعضهم : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون ﴾ ، أي : ممن لهم مهابة وموضع من الناس : ويقال : إنهما « يوشع بن نون » و « كالب بن يوفنا » ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطية ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وغير واحد من السلف والخلف ، رحمهم الله ، فقالا : ﴿ ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ أي : متى توكلتم على الله واتبعتم أمره ، ووافقتم رسوله ، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظهركم بهم ، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم . فلم ينفع ذلك منهم شيئاً . ﴿ قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ . وهذا نكول منهم عن الجهاد ، ومخالفة لرسولهم ، وتخلف عن مقاتلة الأعداء .

ويقال : إنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى بلادهم ، سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل ، إعظماً لما هموا به ، وشق « يوشع بن نون » و « كالب بن يوفنا » ثيابهما ولاما قومهما على ذلك ، فيقال : إنهم رجوهما ، وجرى أمر عظيم وخطر جليل .

وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم ، يوم بدر ، رسول الله ﷺ ، حين استشارهم في قتال النفير ، الذين جاءوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اقتناص العير ، واقترب منهم النفير ، وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الألف ، في العدة والبيض واليلب ، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، ثم تكلم [من تكلم] من الصحابة من المهاجرين ، ورسول الله ﷺ يقول : « أشيروا علي أيها المسلمون » . وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار ، لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ . فقال سعد بن معاذ : كأنتك تعرض بنا يا رسول الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر

بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا حميد ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين ، فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقالت الأنصار : يا معشر الأنصار ، إياكم يريد رسول الله ﷺ . قالوا : إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ [والذي بعثك بالحق لو ضريت أكبادها إلى « برك الغماد » لاتبعتك] .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبيدة بن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، به ، ورواه النسائي ، عن محمد بن المثني ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد به ، ورواه ابن حبان عن أبي يعلى ، عن عبد الأعلى بن حماد ، عن معمر بن سليمان ، عن حميد ، به^(٤٩) .

وقال ابن مردويه : أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن شعيب ، عن الحسن بن أيوب ، عن عبد الله بن ناسح ، عن عتبة بن عبد السلمي قال : قال النبي ﷺ لأصحابه : « ألا تقاتلون ؟ » قالوا : نعم ، و لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون^(٥٠) .

وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي ، رضي الله عنه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن مخارق بن عبد الله الأحمسي ، عن طارق - هو ابن شهاب - : أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

هكذا رواه أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه من طريق أخرى فقال : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه : لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به : أتى رسول الله وهو يدعو على المشركين ، فقال : . والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك . فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك ، وسره بذلك^(٥١) .

(٤٩) تقدم أن حميداً مدلس .

(٥٠) عبد الله بن ناسخ هو الحضرمي ذكره ابن حاتم في الجرح ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(٥١) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٨٩) بسند صحيح .

وهكذا رواه البخاري « في المغازي » وفي « التفسير » من طرق عن مخارق ، به ، ولفظه في « كتاب التفسير » عن عبد الله قال : قال المقداد يوم بدر : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ، ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله ﷺ .^(٥٢)

ثم قال البخاري : ورواه وكيع ، عن سفيان ، عن مخارق ، عن طارق : أن المقداد قال للنبي ﷺ

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية ، حين صد المشركون الهدي وحيل بينهم وبين مناسكهم : إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت . فقال له المقداد بن الأسود : أما والله لا نكون كالملا من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تنابعوا على ذلك^(٥٣) .

وهذا إن كان محفوظاً يوم الحديبية ، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر .

وقوله : ﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ ، يعني : لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام ، وقال داعياً عليهم : ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ ، أي : ليس أحد يطيعني منهم فيمثل أمر الله ، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون ، ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني اقض بيني وبينهم . وكذا قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . [وكذا قال الضحاك : اقض بيننا وبينهم . وافتح بيننا وبينهم^(٥٤) . وقال غيره : افرق] : افضل بيننا وبينهم ، كما قال الشاعر :

يا رب فافرق بينه وبينني أشد ما فرقت بين اثنين

وقوله تعالى : ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ... ﴾ الآية ، لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرأ مدة أربعين سنة ،

(٥٢) البخاري (ج ٧ ص ٢٨٧ و ج ٨ ص ٢٧٣) .

(٥٣) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١٨٦) بسند مرسل إذ أن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم لك أن هذا في حكم المرسل ، ومعروف أن مراسيل قتادة من أضعف المراسيل والحديث أصله في البخاري وغيره ، والصحيح أن هذا في غزوة بدر وليس في غزوة الحديبية لضعف حديث قتادة ، والله أعلم .

(٥٤) أثر الضحاك في الطبري (ج ١٠ ص ١٨٩) قال حدثت عن الحسين ولا ندري من حدثه عنه أمقبول حديثه أم مردود . ومع هذا فالحسين هو ابن الفرج وقد تقدم أنه كذاب .

فوقعوا في التيه يسرون دائماً لا يهتدون للخروج منه ، وفيه كانت أمور عجيبة ، وخوارق كثيرة ، من تظليلهم بالعمام وإنزال المن والسلوى عليهم ، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة ، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران . وهناك أنزلت التوراة ، وشرعت لهم الأحكام ، وعملت قبة العهد ، ويقال لها : قبة الزمان .

قال يزيد بن هارون ، عن أصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية . قال : فتأهوا في الأرض أربعين سنة ، يصبحون كل يوم يسرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه ، وأنزل عليهم المن والسلوى . وهذا قطعة من حديث « الفتون » ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بمدة ثلاث سنين مات موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله فيهم « يوشع بن نون » عليه السلام نبياً خليفه عن موسى بن عمران ، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة ، ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى « يوشع »^(٥٥) و « كالب » ، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ قَالَ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ : هذا وقف تام ، وقوله : ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ منصوب بقوله : ﴿ يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . فلما انقضت المدة خرج بهم « يوشع بن نون » عليه السلام ، أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني ، فقصدهم بيت المقدس فحاصرها ، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيفت الشمس للغروب ، وخشي دخول السبت عليهم قال : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي . فحبسها الله تعالى حتى فتحها ، وأمر الله « يوشع بن نون » أن يأمر بني إسرائيل ، حين يدخلون بيت المقدس ، أن يدخلوا بابها سجداً ، وهم يقولون : حطة ، أي : حط عنا ذنوبنا ، فبدلوا ما أمروا به ، قدخلوا يزحفون على استاهم ، وهم يقولون : حبة في شعرة ، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ قال : فتأهوا أربعين سنة ، فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة ، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم « يوشع بن نون » وهو الذي قام بالأمر بعد موسى ، وهو الذي افتتحها ، وهو الذي قيل له : « اليوم يوم الجمعة » فهموا بافتتاحها ، ودنت الشمس للغروب ، فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا ، فنادى الشمس : إني مأمور وإنك مأمورة فوقفت حتى افتتحها ، فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط ، فقربوه إلى النار فلم تأت ، فقال : فيكم الغلول . فدعا رؤوس الأسباط ، وهم اثنا عشر رجلاً فبايعهم ، والتصقت يد رجل منهم بيده ، فقال : الغلول عندك ، فأخرج رأس بقرة من ذهب ، لها عينان من ياقوت ، وأسنان من لؤلؤ ، فوضعه مع القربان

(٥٥) هذا الأثر حسن إلى ابن عباس . فأصبغ بن زيد صدوق كما في التقريب والظاهر أنه من القصص الإسرائيلية .

فأنت النار فأكلتها^(٥٦).

وهذا السياق له شاهد في الصحيح . وقد اختار ابن جرير^(٥٧) أن قوله ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ هو العامل في ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ، وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة ، وهم تائبون في البرية لا يهتدون لمقصد . قال : ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ، ففتح بهم بيت المقدس . ثم احتج على ذلك ، قال : بإجماع علماء أخبار الأولين أن « عوج بن عنق » قتله موسى عليه السلام ، قال : فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق ، فدل على أنه كان بعد التيه . قال : وأجمعوا على أن « بلعام بن باعورا » أعان الجبارين بالدعاء على موسى ، قال : وما ذاك إلا بعد التيه ، لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه . هذا استدلاله ، ثم قال :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، حدثنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فوثب فأصاب كعب « عوج » فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل سنة .

وروي أيضاً عن محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف البكالي قال : كان سرير « عوج » ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في السماء عشرة أذرع ، فضرب « عوجاً » فأصاب كعبه ، فسقط ميتاً ، وكان جسراً للناس يرون عليه^(٥٨).

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ تسلية لموسى عليه السلام عنهم ، أي لا تتأسف و لا تحزن عليهم فمهما حكمت عليهم به فإنهم يستحقون ذلك .

وهذه القصة تضمنت تقرير اليهود وبيان فضائحهم ، ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها ، فيما أمرهم به من الجهاد ، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ، ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان ، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم ، هذا وقد شاهدوا ما أحل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم ، وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدّة أهلها وعددهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام ، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ، ولا يسترها الذيل ، هذا وهم في جهلهم يعمهون ، وفي غيهم

(٥٦) هذا الإسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنه وأبو سعيد هو عبد الكريم الجزري كما في التهذيب .

(٥٧) (ج ١٠ ص ١٩٨) .

(٥٨) هذا الأثر والذي تقدم قبله في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ١٩٩) وقال المحقق له على هذين الأثرين وكل ما رواه أبو جعفر الطبري من أخبار عوج وما شابهه مما مضى في ذكر ضخامة هؤلاء الجبارين إنما هي مبالغات كانوا يتلقونها من أهل الكتاب الأول لا يرون بروايتها بأساً وهي أخبار زيوف لا يعتمد عليها .

يترددون ، وهم البغضاء إلى الله ، وأعداؤه ، ويقولون مع ذلك : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقبح الله وجوهمهم التي مسخ منها الخنازير والقرود ، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود ، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود ، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا أُقْبِلُكَ قَالَ إِنَّمَا يُنْقَبَلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَ ابْنَيْنَا وَلِنُنَكِّحَ لَهُمَا فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٠) ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَلِّئُنِي أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٣١)

يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه - في قول الجمهور - وهما هابيل وقايل كيف عدا أحدهما على الآخر ، فقتله بغياً عليه وحسداً له ، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه الله عز وجل ، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة ، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ ، أي : واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة ، إخوان الخنازير والقرود من اليهود وأمثالهم وأشباههم ، خبر ابني آدم ، وهما هابيل وقايل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف .

وقوله : ﴿بالحق﴾ أي : على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ، [ولا وهم] ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، كما قال تعالى : ﴿إن هذا هو القصص الحق﴾ وقال تعالى : ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ ، وقال تعالى : ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ .

وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى كان قد شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال ، ولكن [قالوا] : كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى ، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر ، وكانت أخت هابيل دميمة ، وأخت

قاييل وضيئة ، فأراد أن يستأثر بها على أخيه ، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً ، فمن تقبل منه فهي له ، فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قاييل ، فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه .

[ذكر أقوال المفسرين هاهنا]

قال السدي - فيما ذكر - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له ابنان يقال لهما : قاييل وهابيل ، وكان قاييل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب زرع ، وكان قاييل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل . وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قاييل ، فأبى عليه وقال : هي أختي ، ولدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوج بها . فأمره أبوه أن يزوجه هابيل ، فأبى . وأنها قربا قرباناً إلى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما ، أتى مكة ينظر إليها ، قال الله عز وجل : هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا . قال : إن لي بيتاً في مكة فأتته . فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبى . وقال للأرض ، فأبى . وقال للجبال ، فأبى ، فقال لقاييل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قربا قرباناً ، وكان قاييل يفخر عليه فقال : أنا أحق بها منك ، هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي . فلما قربا ، قرب هابيل جذعة سمينة ، وقرب قاييل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ، ففركها فأكلها . فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قاييل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي . فقال هابيل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ رواه ابن جرير^(٥٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن خثيم قال : أقبلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال : نهي أن تنكح المرأة أخاها تؤمها ، وأمر أن ينكحها غيره من إخوانها ، وكان يولد له في كل [بطن رجل] وامرأة ، فبينما

(٥٩) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٠٦) وتقدم كلام شيخنا أبي عبد الرحمن في الجزء الأول أن هذا إسناد لا يعتمد عليه .

قلت : وهذا الإسناد الذي أكثر منه ابن جرير وأكثر منه الحفاظ ابن كثير نقلاً لا يقصدون الاحتجاج به إنماذكرونه لعلمهم بأن أهل العلم مهتمون بمعرفة الصحيح من الضعيف ، ولا يقبلون شيئاً إلا بعد النظر في إسناده ، وقد تكلم الشيخ أحمد شاكر على هذا السند في تفسير الطبري (ج ١ ص ١٥٦) و (ص ٤٣٦) وقال الطبري نفسه في الجزء نفسه (ص ٣٥٤) على هذا السند : فإن كان صحيحاً ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت في إسناده مرتاباً . اهـ .

وكلام العلماء على هذا السند كثير ومن أحب الفائدة فليرجع إليه في الموضوع المذكور وهذه قصة من القصص الإسرائيلية .

[هم] كذلك ولد له امرأة وضيئة ، وولد له أخرى قبيحة دميمة ، فقال أخو الدميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي . قال : لا ، أنا أحق بأختي . فقربا قرباناً ، فتقبل من صاحب الكباش ، ولم يتقبل من صاحب الزرع ، فقتله . إسناده جيد .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِذْ قَرَّبَا قَرْبَانًا ﴾ فقربا قربانهما ، فجاء صاحب الغنم بكباش أعين أقرن أبيض ، وصاحب الحرث بصبرة من طعام ، فقبل الله الكباش فخرنه في الجنة أربعين خريفاً ، وهو الكباش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام . إسناده جيد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، وإنهما أمرا أن يقربا قرباناً ، وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وإن صاحب الحرث قرب أشر حرثه الكودن والزوان غير طيبة بها نفسه ، وإن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه . قال : وإيم الله ، إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن ييسط إلى أخيه ^(٦٠) .

وقال إسماعيل بن رافع المدني القاص : بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان ، كان أحدهما صاحب غنم ، وكان أنتج له حمل في غنمه ، فأحبه حتى كان يؤثره بالليل ، وكان يحمله على ظهره من حبه ، حتى لم يكن له مال أحب إليه منه . فلما أمر بالقربان قربه لله ، عز وجل ، فقبله الله منه ، فما زال يرتع في الجنة حتى فدي به [ابن] إبراهيم عليه السلام . رواه ابن جرير ^(٦١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الأنصاري ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال : قال آدم عليه السلام لهابيل وقابيل : إن ربي عهد إلي أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان ، فقربا قرباناً حتى تقرّ عيني إذا تقبل قربانكما ، فقربا . وكان هابيل صاحب

(٦٠) عوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي ثقة رمي بالقدر والتشيع وأبو المغيرة هو القواس . قال الذهبي في الميزان : ذكره سليمان التيمي ولينه ، وقال ابن المديني : لا أعلم أحداً روى عنه غير عوف . وقال ابن حجر في لسان الميزان : قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين ثقة وذكره ابن حبان في الثقات .

(٦١) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٠٢) وسنده قال : حدثنا الثنثي بن إبراهيم قال حدثنا إسحاق قال حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن هشام بن سعد عن إسماعيل بن رافع وذكره . وإسماعيل بن رافع ضعيف جداً . قال أبو حاتم : منكر الحديث . وكذا قال النسائي . وقال الدارقطني : متروك . وقال ابن المبارك : لم يكن به بأس لكنه يحمل عن هذا وعن هذا ويقول بلغني ونحو هذا .

غنم فقرب أكلة غنمه خير ماله ، وكان قابيل صاحب زرع ، فقرب مشاقة من زرعه ، فانطلق آدم معهما ، ومعهما قربانهما ، فصعدا الجبل فوضعا قربانهما ، ثم جلسوا ثلاثتهم : آدم وهما ، ينظران إلى القربان ، فبعث الله ناراً حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق ، فاحتمل قربان هابيل وترك قربان قابيل ، فانصرفوا . وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه ، فقال : ويلك يا قابيل رد عليك قربانك . فقال قابيل : أحببته فصليت على قربانه ، ودعوت له ، فتقبل قربانه ، ورد علي قرباني . وقال قابيل لهابيل : لأقتلنك فأستريح منك ، دعا لك أبوك فصلى على قربانك ، فتقبل منك . وكان يتواعده بالقتل ، إلى أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه ، فقال آدم : يا قابيل ، أين أخوك ؟ قال : وبعثني له راعياً ؟ لا أدري . فقال آدم : ويلك يا قابيل ، انطلق فاطلب أخاك . فقال قابيل في نفسه : الليلة أقتله ، وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو متقلب ، فقال : يا هابيل ، تقبل قربانك ورد علي قرباني ، لأقتلنك ، فقال هابيل : قربت أطيّب مالي ، وقربت أنت أخبث مالك ، وإن الله لا يقبل إلا الطيب ، إنما يتقبل الله من المتقين . فلما قالها غضب قابيل فرفع الحديدة وضربه بها ، فقال : ويلك يا قابيل . أين أنت من الله ؟ كيف يجزيك بعملك ؟ فقتله فطرحه في جوبة من الأرض ، وحشي عليه شيئاً من التراب .

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قيناً أن ينكح ثؤمة هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح ثؤمة قين ، فسلم لذلك هابيل ورضي ، وأبى ذلك قين وكره ، تكرماً عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال : نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختي . - ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه وأرادها لنفسه . فالله أعلم أي ذلك كان - فقال له أبوه : يا بني ، إنها لا تحل لك فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه فقال له أبوه : يا بني ، قرب قرباناً ، ويقرب أخوك هابيل قرباناً ، فأيكما تُقبل قربانه فهو أحق بها ، وكان قين على بذر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرب قين قمحاً ، وقرب هابيل أبقاراً من أبقار غنمه - وبعضهم يقول : قرب بقرة - فأرسل الله ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل ، وترك قربان قين ، وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله .

رواه ابن جرير (٦٢)

وقال العوفي ، عن ابن عباس قال : [كان] من شأنهما أنه لم يكن مسكين يُتصدق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل . فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا : لو قربنا قرباناً . وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله ، أرسل إليه ناراً فتأكله . وإن لم يكن رضيه الله حَبَت النار ، فقربا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً ، وكان الآخر حَرَّائاً ، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمها ، وقرب الآخر بعض

(٦٢) تفسير الطبري . وإليك سنده : قال حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم وذكره . وقد تقدم مراراً أن ابن حميد واسمه محمد ، ضعيف ، هذا بالنسبة لسند الطبري ، أما سند ابن إسحاق فيكفي فيه إبهام من حدثه فلسنا ندري ما حاله .

زرعه ، فجاءت النار فنزلت بينهما ، فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فَتَقْبَلُ منك وَرَدَّ علي ؟ فلا والله لا ينظر الناس إليك وإلي وأنت خير مني .. فقال : لأقتلك . فقال له أخوه : ما ذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .
رواه ابن جرير (٦٣) .

فهذا الأثر يقتضي أن تقرب القربان كان لا عن سبب ولا عن تداريء في امرأة ، كما تقدم عن جماعة من تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن : ﴿ وَإِذْ قَرَّبَا قَرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحدهما وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ، قَالَ : لِأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دونه .

ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هابيل ، وأن الذي قرب الطعام هو قابيل ، وأنه تُقْبَلُ من هابيل شاته ، حتى قال ابن عباس وغيره : إنه الكبش الذي فدي به الذبيح ، وهو مناسب ، والله أعلم [ولم يتقبل من قابيل] . كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف ، وهو المشهور عن مجاهد أيضاً ، ولكن روى ابن جرير ، عنه أنه قال : الذي قرب الزرع قابيل ، وهو المتقبل منه ، وهذا خلاف المشهور ، ولعله لم يحفظ عنه جيداً ، والله أعلم .

ومعنى قوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، أي : ممن اتقى الله في فعله ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء بن زبريق ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن تميم يعني ابن مالك المقرئ قال : سمعت أبا الدرداء يقول : لأن استيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها ، إن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٤) .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان - يعني الرازي - عن

(٦٣) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٠٣) وإليك سنده : قال حدثنا محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس .

قلت : ورجال هذا السند كلهم ضعفاء لا يعتمد على حديثهم فأما محمد فقال فيه الخطيب : لين الحديث ، وأما أبوه سعد فسل عنه الإمام أحمد فقال : ذاك جهمي . قال : ولم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك ، وأما عم أبيه وهو الحسين بن الحسن فقال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث ، وقال : لا يجوز الاحتجاج به ، وأما أبوه الحسين فقال ابن حبان في المجروحين أيضاً : منكر الحديث ، وأما جده فبعضهم يجعل حديثه صالحاً ، وبعضهم يضعفه ورجح الشيخ أحمد شاكر تضعيفه وكلامه على هذا السند العوفي في (ج ١ ص ٢٦٣) فليرجع إليه .

(٦٤) تميم بن مالك المقرئ مذكور في التاريخ الكبير للبخاري والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، ولم يذكر أحد روى عنه غير صفوان الذي بين أيدينا ، وذكر المعلق على الجرح والتعديل أن له ولداً روى عنه واسمه خلف ، والله أعلم .

الغيرة بن مسلم ، عن ميمون بن أبي حمزة^(٦٥) قال : كنت جالساً عند أبي وائل ، فدخل علينا رجل - يقال له : أبو عفيف ، من أصحاب معاذ - فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال : بلى ، سمعته يقول : يحبس الناس في بقيق واحد ، فينادي مناد : أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن ، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا العبادة ، فيمرون إلى الجنة .

وقوله : ﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ ، إني أخاف الله رب العالمين ﴿ يقول له أخوه الرجل الصالح ، الذي تقبل الله قربانه لتقواه حين تواعده أخوه بالقتل على غير ما ذنب منه إليه : ﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ ، أي : لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله ، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة ، ﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾ أي : من أن أصنع كما تريد أن تصنع ، بل أصبر وأحتسب .

قال عبد الله بن عمرو : وإيم الله ، إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج^(٦٦) ، يعني الورع .

ولهذا ثبت في الصحيحين ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » . قالوا : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه »^(٦٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث بن سعد ، عن عياش بن عباس ، عن بكير بن [عبد الله] عن بُسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال - عند فتنة عثمان - : أشهد أن رسول الله ﷺ قال : « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي » . قال : أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني قال : « كن كابن آدم » .

وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد وقال : هذا حديث حسن ، وفي الباب عن أبي هريرة ، وخبّاب بن الأرت ، وأبي بكرة ، وابن مسعود ، وأبي واقد ، وأبي موسى ، وخرشة .

(٦٥) ميمون بن أبي حمزة صوابه : ميمون أبو حمزة كما في التقريب والتهذيب والميزان ، قال الحافظ : ضعيف ، وقال الذهبي في الميزان : قال أحمد : متروك . وقال الدارقطني : ضعيف . فالأثر من أجله ضعيف .

(٦٦) هذا الأثر هو قطعة مما تقدم (ص ٧٧) من هذا الجزء والكلام عليه هناك .

(٦٧) الحديث في البخاري (ج ١ ص ٨٥) و (ج ١٢ ص ١٩٢) و (ج ١٣ ص ٣١) ومسلم (ج ٤ ص ٢٢١٣) إلى (ص ٢٢١٤) وأبي داود (ج ٤ ص ٤٦٢) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٣١١) والإمام أحمد (ج ٤ ص ٤٠١) و (ص ٤٠٣) و (٤١٨) عن أبي بكرة رضي الله عنه .

ورواه بعضهم عن الليث بن سعد ، وزاد في الإسناد رجلاً^(٦٨) .

قال الحافظ ابن عساكر : الرجل [هو] حسين الأشجعي .

قلت : وقد رواه أبو داود من طريقه^(٦٩) فقال : حدثنا يزيد بن خالد الرملي ، حدثنا المفضل ، عن عياش بن عباس ، عن بكير ، عن بُسر بن سعيد ، عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعي : أنه سمع سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال ، فقلت : يا رسول الله ، أرأيت إن دخل [علي] بيتي وبسط يده ليقبطني ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « كن كابن آدم » . وتلا [يزيد] : ﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ﴾ .

قال أيوب السخيتاني : إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة : ﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ لعُثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مَرْحُوم ، حدثني أبو عمران الجَوْنِي ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : ركب النبي ﷺ حماراً وأردفني خلفه ، وقال : « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك ، كيف تصنع ؟ » قال ، قال : الله ورسوله أعلم . قال « تعفف » . قال : « يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديد ، يكون البيت فيه بالعبد ، يعني القبر ، كيف تصنع ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « اصبر » . قال : « يا أبا ذر ، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً - يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء - كيف تصنع ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك » . قال : فإن لم أترك ؟ قال : « فأنت من أنت منهم ، فكن فيهم » . قال : فأخذ سلاحي ؟ قال : « إذا تشاركهم فيما هم فيه ، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك حتى ييؤء بإثمه وإثمك » .

رواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي ، من طرق ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ، به . ورواه أبو داود وابن ماجه ، من طريق حماد بن زيد ، عن أبي عمران ، عن المُشَعَّث بن طريف ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر ، بنحوه .

(٦٨) أما الإمام أحمد ففي (ج ١ ص ١٨٥) وأما الترمذي ففي (ج ٤ ص ٤٨٦) والحديث أصله في البخاري (ج ١٣ ص ٣٠) ومسلم (ج ٤ ص ٢٢١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بدون قوله : أفرأيت إن دخل علي بيتي ... إلخ .

(٦٩) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٣٥٦) .

قال أبو داود : ولم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد^(٧٠).

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا قبيصة ابن عقبة ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن ربعي قال : كنا في جنازة حُذيفة ، فسمعت رجلاً يقول : سمعت هذا يقول في ناس : مما سمعت من رسول الله ﷺ : « لئن اقتتلتم لأنظرون إلى أقصى بيت في داري ، فلا لجنّه ، فلئن دخل عليّ فلان لأقولن : ها ، بؤ بإثمّي وإثمك ، فأكون كخير ابني آدم^(٧١) . » وقوله : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمّي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، في قوله : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمّي وإثمك ﴾ ، أي : بإثم قتلي وإثمك الذي عليك قبل ذلك .
قال ابن جرير :

وقال آخرون : يعني ذلك أنني أريد أن تبوء بخطيئتي ، فتتحمل وزرها ، وإثمك في قتلك إياي . وهذا قول وجدته عن مجاهد ، وأخشى أن يكون غلطاً ، لأن الصحيح من الرواية عنه خلافة^(٧٢) .

يعني : ما رواه سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمّي ﴾ [قال : بقتلك إياي] ﴿ وإثمك ﴾ قال : بما كان منك قبل ذلك .

وكذا روى عيسى [عن] ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وروى شبل عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمّي وإثمك ﴾ ، يقول : إني أريد أن يكون عليك خطيئتي ودمي ، فتبوء بهما جميعاً^(٧٣) .

(٧٠) هذا الحديث لم أجده في مسلم ولم يذكر المزي في تحفة الأشراف هذا الحديث إلا من طريق المشعث بن طريف وذلك في أبي داود (ج ٤ ص ٤٥٨) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٣٠٨) . فعزو الحافظ هذا الحديث إلى مسلم وأهل السنن سوى النسائي من طريق أبي عمران وهم من أوهامه ، ولعله كتب ذلك من حفظه ولم يعد نظراً ، هذا ولم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد ، فخالف جمعاً منهم : معمر بن راشد كما في مصنف عبد الرزاق (ج ١١ ص ٣٥١) وحماد بن سلمة كما في موارد الظمان (ص ٤٦٠) ومرحوم بن عبد العزيز فيه أيضاً ، وكل هؤلاء ثقات فالقول قولهم ، والله أعلم .

(٧١) الحديث فيه رجل مبهم فيكون ضعيفاً من أجله ومحمد بن علي بن دحيم لم أقف له على ترجمة أما شيخه : أحمد بن حازم فذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان متقناً .

(٧٢) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢١٦) .

(٧٣) ابن أبي نجيح اسمه عبد الله بن أبي نجيح يسار ، قال الحافظ في التقریب : ثقة رمي بالقدر ربما دلس ، وفي التهذيب أن يحيى بن سعيد القطان قال : لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد ، وقال ابن حبان : ابن أبي نجيح نضير بن جريج في كتاب القاسم بن أبي برزة عن مجاهد في التفسير روي عن مجاهد من غير سماع .

قلت : وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له : ما ترك القاتل على المقتول من ذنب . وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً يشبه هذا ، ولكن ليس به ، فقال :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثنا يعقوب بن عبد الله ، حدثنا عتبة بن سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه » .

وهذا بهذا لا يصح ، ولو صح فمعناه أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه ، فأما إن تحمل على القاتل فلا . ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص ، وهو الغالب فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فإن نفذت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل ، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت على القاتل . وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها ، والقتل من أعظمها وأشدّها ، والله أعلم .

وأما ابن جرير فقال : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن تأويله : إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي - وذلك هو معنى قوله : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي ﴾ [وأما معنى] ﴿ وإثمك ﴾ فهو إثمه بغير قتله ، وذلك معصيته الله عز وجل في أعمال سواه .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ، لإجماع أهل التأويل عليه ، وأن الله عز وجل أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه ، وإذا كان هذا حكمه في خلقه ، فغير جائز أن تكون آثام المقتول مأخوذاً بها القاتل ، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما ركبه قتيله^(٧٤) .

هذا لفظه ثم أورد سؤالاً ، حاصله : كيف أراد هاييل أن يكون على أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه ، مع أن قتله له محرم ؟ وأجاب بما حاصله أن هاييل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه إن قاتله ، بل يكف يده عنه طالباً - إن وقع قتل - أن يكون من أخيه لا منه .

قلت : وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ ، وزجراً له لو انزجر ، ولهذا قال : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ﴾ أي : [تتحمل إثمي وإثمك] فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين .

وقال ابن عباس : خوفه النار فلم ينته ولم ينزجر .

وقوله تعالى : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ ، أي : فحسنت ووسّلت له نفسه ، وشجعته على قتل أخيه فقتله ، أي : بعد هذه الموعظة وهذا الزجر .

وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر ، وهو محمد بن علي بن الحسين أنه قتله بحديدة في يده .

وقال السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له ، وهو نائم فرفع صخرة ، فشدها بها رأسه فمات ، فتركه بالعراء .. رواه ابن جرير ^(٧٥) .

وعن بعض أهل الكتاب أنه قتله خنقاً وعضاً ، كما تقتل السباع ، وقال ابن جرير : لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه فأخذ إبليس دابة ووضع رأسها على حجر ، ثم أخذ حجراً آخر فضرب به رأسها حتى قتلها ، وابن آدم ينظر ، ففعل بأخيه مثل ذلك . رواه ابن أبي حاتم .

وقال عبد الله بن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(٧٦) ، عن أبيه قال : أخذ برأسه ليقتله ، فاضطجع له ، وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله ، فجاءه إبليس فقال : أتريد أن تقتله ؟ قال : نعم . قال : فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه . قال : فأخذها ، فألقاها عليه ، فشدها رأسه ، ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعاً ، فقال : يا حواء ، إن قابيل قتل هابيل . فقالت له : ويحك . أي شيء يكون القتل ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك . قالت : ذلك الموت . قال : فهو الموت . فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح ، فقال : ما لك ؟ فلم تكلمه ، فرجع إليها مرتين ، فلم تكلمه . فقال : عليك الصيحة وعلى بناتك ، وأنا وبني منها برآء . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة ، وأني خسارة أعظم من هذه ؟ . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو معاوية ووکیع قالا : حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كَقَتْلٍ مِنْ دَمِهَا ، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » .

وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود من طرق ، عن الأعمش ، به ^(٧٧) .

(٧٥) تقدم الكلام على هذا السند وأنه لا يعتمد عليه ، في (١٠٥) من هذا الجزء .

(٧٦) تقدم أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف .

(٧٧) الحديث في البخاري (ج ٦ ص ٣٦٤) و (ج ١٢ ص ١٩١) ومسلم (ج ٣ ص ١٣٠٤) . والترمذي

(ج ٥ ص ٤٢) وابن ماجه (ج ٢ ص ٨٧٣) وعزه المزي في تحفة الأشراف إلى النسائي في السنن الكبرى .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : عُلِّقَتْ إحدَى رجلِي القاتِل بِسَاقِهَا إلى فِخْذِهَا من يَوْمِئِذٍ [إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ، ووجهه في الشمس حيثما دارت دار ، عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج - قال : وقال عبد الله بن عمرو : إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب ، عليه شطر عذابهم ^(٧٨) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم : أنه حَدَّثَ عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول : إن أشقى أهل النار رجلاً ابن آدم الذي قتل أخاه ، ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة ، إلا لحق به منه شر ، وذلك أنه أول من سنَّ القتل ^(٧٩) .

وقال إبراهيم النخعي : ما من مقتول يقتل ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول والشیطان كِفْل منه .

رواه ابن جرير أيضاً ^(٨٠) .

وقوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ ، لِيَرِيهِ كَيْفَ يَوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ، قَالَ : يَا وَيْلَتَى . أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ؟ . فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

قال السدي بإسناده المتقدم إلى الصحابة : لما مات الغلام تركه بالعراء ، و لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين ، فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثى عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يا ويلى . أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ، فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ؟ ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء غراب إلى غراب ميت ، فبحث عليه من التراب حتى واره ، فقال الذي قتل أخاه : ﴿ يا ويلى . أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ﴾ ^(٨١) .

وقال الضحاک ، عن ابن عباس : مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة ، حتى بعث

(٧٨) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢١٨) والحسين هو ابن داود المعروف بسنيد تقدم أنه ضعيف .

(٧٩) تقدم لك أن ابن حميد ضعيف ، وحكيم بن حكيم هو ابن عباد بن حنيف ، قال ابن سعد : كان قليل الحديث ولا يحتجون بحديثه وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن القطان : لا يعرف حاله ووثقه العجلي وصحح له الترمذي وابن خزيمة وغيرهما ، هكذا قال الحافظ في التهذيب واختار في التقريب أنه صدوق .

(٨٠) لم أجد هذا الأثر في ابن جرير وقد يكون فيه ، إلا أننا لا نهتم بالبحث عن الآثار كثيراً ، كاهتمامنا بالحديث فإن تيسر الأثر بغير مشقة فذلك ما كنا نبغي وإن لم يتيسر فنرجو أن يقال : لا تتريب عليكم .

(٨١) تقدم أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

الله الغرابين ، فرآهما يبحثان ، فقال : ﴿ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ﴾ فدفن أخاه^(٨٢) .
وقال ليث بن أبي سليم^(٨٣) ، عن مجاهد : وكان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتاً ، لا يدري
ما يصنع به يحمله ، ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب ، فقال : ﴿ يا ويلتي ، أعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب ، فأواري سوءة أخي ، فأصبح من النادمين ﴾ . رواه ابن جرير وابن
أبي حاتم .

وقال عطية العوفي : لما قتله ندم ، فضمه إليه حتى أروح ، وعكفت عليه الطيور والسباع
تنتظر متى يرمي به فتأكله . رواه ابن جرير^(٨٤) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : لما قتله سُقط في يديه ،
ولم يدر كيف يواريه . وذلك أنه كان ، فيما يزعمون ، أول قتيل في بني آدم وأول ميت ، ﴿ فبعث الله
غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال : يا ويلتي . أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ - قال : وزعم أهل التوراة أن قيناً لما قتل أخاه هابيل ،
قال له الله ، عز وجل : يا قين ، أين أخوك هابيل ؟ قال : قال : ما أدري ما كنت عليه رقيباً . فقال
الله : إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض ، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهها فبلعت
دم أخيك من يدك ، فإن أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فرعاً
تأثماً في الأرض .

وقوله : ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ ، قال الحسن البصري : علاه الله بندامة بعد خسران .

فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة ، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه ، كما

(٨٢) هذا الأثر في تفسير الطبري وهذا سنده : قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا يحيى بن أبي روق الهمداني عن
أبيه عن الضحاك به ، وسفيان بن وكيع هو ابن الجراح ، قال البخاري : يتكلمون فيه لأشياء وسئل أبو زرعة :
هل كان سفيان يتهم بالكذب ؟ فقال : نعم ، وقال النسائي : ليس بثقة ، ويحيى بن أبي روق قال يحيى بن
معين : ليس بثقة ، قال أبو داود السجزي : ليس بشيء ، وذكره العقيلي في الضعفاء . اهـ . من لسان الميزان .
قلت : ومثل هذه التفاسير هي عين التكلف المذموم الذي وقع فيه المفسرون فما كل حرف يحتاج إلى
تفسير ولا كل قول يفتقر إلى تعبير فكف من آية مررنا بها واضحة لا تحتاج إلى مثل هذا التكلف وبالأخص
القصص القديمة في الأمم الماضية وسبب وقوعهم في ذلك هو الأخذ عن أهل الكتاب الأول فجعل ما ذكر
إن لم يكن كله قصص إسرائيلية لا يعتمد على شيء منها قط فلسنا نعتمد إلا على ما جاءنا من كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن اعتمد على ذلك فقد أفلح ونجا .

(٨٣) ليث بن أبي سليم الكوفي قال أحمد : مضطرب الحديث ، وقال يحيى والنسائي : ضعيف ، وقال الحافظ في
التقريب : صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك .

(٨٤) هذا الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٢٦) من طريق ابن وكيع ، وقد تقدم الكلام عليه قريباً وعطية
هو ابن سعد العوفي قال أحمد : ضعيف الحديث .

هو ظاهر القرآن ، وكما نطق به الحديث في قوله : « ... إلا كان على [ابن آدم] الأول كِفْل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل » . وهذا ظاهر جَلِّي ، ولكن قال ابن جرير :

حدثنا [ابن] وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن - هو البصري - قال : كان الرجلان اللذان في القرآن ، اللذان قال الله : ﴿ وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات . وهذا غريب جداً ، وفي إسناده نظر .

وقد قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلاً فخذوا بالخير منهما »^(٨٥) .

ورواه ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً ، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر »^(٨٥) .

وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني ، روى ذلك كله ابن جرير .

وقال سالم بن أبي الجعد : لما قتل ابن آدم أخاه ، مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ، ثم أتى فقيل له : حياك الله ويأك . - أي : أضحكك .

رواه ابن جرير^(٨٦) ، ثم قال : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق الهمداني قال : قال علي بن أبي طالب : لما قتل ابن آدم أخاه ، بكاه آدم فقال :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَوْنُ الْأَرْضِ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقُلُّ بَشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلَ جَمِيعاً وَصَارَ الْحَيُّ كَالْمَيْتِ الذِّيحِ
وَجَاءَ بَشَرَةً قَدْ كَانَ مِنْهَا عَلَى خَوْفٍ ، فَجَاءَ بِهَا يَصْبِيحُ^(٨٧)

(٨٥) الحسن تابعي ولم يدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالحديث مرسل ، وقد قال الشيخ محمود شاكر (ج ١٠ ص ٢٣٠) من تفسير الطبري في كلامه على ثلاثة آثار مرسله من ضمنها هذا : هذه الثلاثة أخبار مرسله لم أهتم إلى شيء منها في دواوين السنة .

(٨٦) (ج ١٠ ص ٢٠٩) من طريق حسام بن المصك بن ظالم بن شيطان قال أحمد : مطروح الحديث ، وقال ابن معين ليس بثقة وقال النسائي : ضعيف .

(٨٧) الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ٢٠٩) وفي سنده ابن حميد ، وقد تقدم أنه ضعيف وفيه أيضاً غياث بن إبراهيم وهو النخعي الكوفي قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال البخاري : تركوه . اهـ . وأبو إسحاق لم يسمع علياً رضي الله عنه .

والظاهر أن قابيل عُوجِل بالعقوبة ، كما ذكره مجاهد بن جبر : أنه علقت ساقه بفخذه يوم قتله ، وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتنكيلاً به . وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : « ما من ذنب أجد أن يُعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يُدخر لصاحبه في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم »^(٨٨) . وقد اجتمع [في] فعل قابيل هذا وهذا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ
فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ
فِي الْأَرْضِ لَسُفْرُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى : ﴿ من أجل ﴾ قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً : ﴿ كتبنا على بني إسرائيل ﴾ ، أي : شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ ، أي : ومن قتل [نفساً بغير سبب من قصاص ، أو فساد في الأرض ، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية ، فكأنما قتل] الناس جميعاً ، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ، ﴿ ومن أحياها ﴾ أي : حرم قتلها واعتقد ذلك ، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ، ولهذا قال : ﴿ فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ .

وقال الأعمش وغيره ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : دخلت على عثمان يوم الدار فقلت : جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين . فقال : يا أبا هريرة ، أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم ؟ قلت : لا . قال : فإنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً ،

(٨٨) الحديث في أبي داود (ج ٥ ص ٢٠٨) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٤٠٨) والحاكم (ج ٤ ص ١٦٢) إلى (١٦٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وهو كما قال .

فأنصرف مأذوناً لك ، مأجوراً غير مأزور . قال : فانصرفت ولم أقاتل :

وقال علي بن أبي طلحة^(٨٩) ، عن ابن عباس : هو كما قال الله تعالى : ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ وإحيائها : ألا يقتل نفساً حرمها الله ، فذلك الذي أحيا الناس جميعاً ، يعني : أنه من حرم قتلها [إلا] بحق ، حيي الناس منه .

وهكذا قال مجاهد : ﴿ ومن أحياها ﴾ أي : كف عن قتلها^(٩٠).

وقال العوفي عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ يقول : من قتل نفساً واحدة حرمها الله ، فهو مثل من قتل الناس جميعاً^(٩١).

وقال سعيد بن جبير : من استحل دمَ مُسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم [دماء] الناس جميعاً .

هذا قول ، وهو الأظهر ، قال عكرمة والعوفي ، عن ابن عباس : من قتل نبياً أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شدد على عضد نبي أو إمام عدل ، فكأنما أحيا الناس جميعاً . رواه ابن جرير^(٩٢).

وقال مجاهد في رواية أخرى عنه : من قتل نفساً بغير نفس .. فكأنما قتل الناس جميعاً وذلك لأنه من قتل النفس فله النار ، فهو كما لو قتل الناس كلهم .

وقال ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ : من قتل النفس المؤمنة متعمداً ، جعل الله جزاءه جهنم ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً ، يقول : لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك العذاب^(٩٣).

قال ابن جريج : قال مجاهد ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ قال : من لم يقتل أحداً فقد حيي الناس منه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : من قتل نفساً فكأنما قتل الناس ، يعني : فقد وجب عليه القصاص ، فلا فرق بين الواحد والجماعة ﴿ ومن أحياها ﴾ أي : عفا عن قاتل وليه ، فكأنما

(٨٩) علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٩٠) أثر مجاهد في الطبري (ج ١٠ ص ٢٣٦) من طريق ابن وكيع وهو سفيان وقد تقدم أنه ضعيف .

(٩١) تقدم الكلام على السند العوفي (ص ٧٨) وأنه مسلسل بالضعفاء .

(٩٢) أما عكرمة عن ابن عباس فسنده صحيح وأما العوفي عنه فلا ، وكلاهما في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٣٣) .

(٩٣) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠) (ص ٢٣٥) ورجاله كلهم ثقات إلا أن فيه المثني وهو ابن إبراهيم الآملي

ولم توجد له ترجمة .

أحيا الناس جميعاً . وحكى ذلك عن أبيه ، رواه ابن جرير .

وقال مجاهد - في رواية : ﴿ ومن أحيائها ﴾ أي : أنجأها من غرق أو حرق أو هلكة^(٩٤) .

وقال الحسن وقتادة في قوله : ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ هذا تعظيم لتعاطي القتل - قال قتادة : عَظُمَ والله وزرها ، وعظم والله أجرها .

وقال ابن المبارك ، عن سلام بن مسكين ، عن سليمان بن علي الربيعي قال : قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل ؟ فقال : إي والذي لا إله غيره ، كما كانت لبني إسرائيل . وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا^(٩٥) ؟ .

وقال الحسن البصري : ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ ، قال : وزراً ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً قال : أجراً .

وقال الإمام أحمد : [حدثنا حسن] ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حُيَيُّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبْلِيِّ ، عن عبد الله بن عمرو قال : جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، اجعلني على شيء أعيش به : فقال رسول الله ﷺ : « يا حمزة ، نفس تحيها أحب إليك أم نفس تميتها ؟ » قال : بل نفس أحيها . قال : « عليك بنفسك »^(٩٦) .

وقوله : ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ﴾ ، أي : بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة ﴿ ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ﴾ ، وهذا تقرير لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها ، كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قَيْنُقَاع ممن حول المدينة من اليهود ، الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ، ثم إذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروه ، وودوا من قتلوه . وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة ، حيث يقول : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم إخراجهم ، أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، أن

(٩٤) أثر مجاهد في ابن جرير (ج ١٠ ص ٢٣٨) من طريق ابن حميد وهو ضعيف .

(٩٥) هذا الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٣٩) . ورجاله كلهم ثقات إلا المثني فلم توجد له ترجمة .

(٩٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٧٥) وسنده ضعيف لسبب ابن لهيعة هذا فهو إلى الضعف أقرب .

والله أعلم . وحكي بن عبد الله قال البخاري : فيه نظر .

يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ... ﴿ الآية . المحاربة : هي المضادة والمخالفة ، وهي صادقة على الكفر ، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل ، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر ، حتى قال كثير من السلف ، منهم سعيد بن المسيب : إن قرض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

ثم قال بعضهم : نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين ، كما قال ابن جرير .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالوا : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ إلى : ﴿ إن الله غفورٌ رحيم ﴾ ، نزلت هذه الآية في المشركين ، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه ، لم يكن عليه سبيل ، وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد ، إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه ، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب^(٩٧) .

ورواه أبو داود والنسائي ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ﴾ : نزلت في المشركين ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصابه^(٩٨) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ﴾ ، قال : كان قوم من أهل الكتاب ، بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق ، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض ، فخير الله رسوله : إن شاء أن يقتل ، وإن شاء أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . رواه ابن جرير^(٩٩) .

وروى شعبه ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : نزلت في الحرورية^(١٠٠) : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ﴾ رواه ابن مردويه .

والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات ، كما رواه

(٩٧) الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ٢٤٤) من طريق ابن حميد وهو ضعيف وسوف يأتي أنه صحيح في سنن أبي داود والنسائي .

(٩٨) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٥٣٦) والنسائي (جزء ٧ ص ١٠١) بسند صحيح .

(٩٩) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٤٣) وقد تقدم أن علياً لم يسمع من ابن عباس .

(١٠٠) قال المحققون لابن كثير طبعة الشعب : الحرورية هم الخوارج الذين فارقوا علياً رضي الله عنه لقبوله التحكيم وقد كان بدء ظهورهم عقب معركة صفين . وعليه ؛ فلا يمكن أن تكون هذه الآية قد نزلت فيهم اللهم إلا أن يقال : إن أعمالهم كانت شبيهة بأعمال من نزلت فيهم هذه الآية .

البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي قلابة - واسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري - عن أنس بن مالك : أن نفرًا من عُكْل ثمانية ، قدموا على رسول الله ﷺ [فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض ، وسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ] ، فقال : « ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبوا من أبوالها وألبانها ؟ » فقالوا : بلى . فخرجوا ، فشربوا من أبوالها وألبانها ، فصحوا ، فقتلوا الراعي وطرّدوا الإبل . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث في آثارهم ، فأدركوا ، فجيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا .

لفظ مسلم . وفي لفظ لهما : « من عكل أو عرينة » وفي لفظ : « وألقوا في الحرة فجعلوا يَسْتَسْقُونَ فلا يُسْقَوْنَ » وفي لفظ لمسلم : « ولم يَحْسَمْهُمْ » . وعند البخاري : قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله . ورواه مسلم من طريق هُشَيْم ، عن عبد العزيز بن صُهَيْب وحيد ، عن أنس .. فذكر نحوه ، وعنده : « وارتدوا » . وقد أخرجاه من رواية قتادة عن أنس ، بنحوه . وقال سعيد عن قتادة : من عكل وعرينة . ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي ، عن أنس قال : إنما سَمَلَ النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاء . ورواه مسلم ، من حديث معاوية بن قرة عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ نفرٌ من عُرَيْنَة ، فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع بالمدينة الموم - وهو البرسام - ثم ذكر نحو حديثهم ، وزاد : وعنده شباب من الأنصار ، قريب من عشرين فارساً فأرسلهم ، وبعث معهم قائفاً يَقْتَصُّ أثرهم . وهذه كلها ألفاظ مسلم رحمه الله .

وقال حماد بن سلمة : حدثنا قتادة وثابت البناني وحيد الطويل ، عن أنس بن مالك أن ناساً من عرينة قدموا المدينة ، فاجتووها ، فبعثهم رسول الله ﷺ في إبل الصدقة ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها [وألبانها] ففعلوا ، فصحوا فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي - وساقوا الإبل ، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ، فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمر أعينهم وألقاهم في الحرة - قال أنس : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا ، ونزلت : ﴿ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ الآية .

وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه - وهذا لفظه - وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة ، عن أنس بن مالك ، منها ما رواه من طريقين ، عن سلام بن أبي الصهباء ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : ما ندمت على حديث ما ندمتُ على حديث سألني عنه الحجاج قال : أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت :

(١) صحيح البخاري (ج ٨ ص ٢٧٤) و (ج ١٢ ص ٢٣٠) ومسلم (ج ٣ ص ١٢٩٦) وسنن أبي داود (ج ٤ ص ٥٣١) وغيرهم .

قدم على رسول الله ﷺ قوم من عُرينة ، من البحرين ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما لقوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضُحمت بطونهم ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة ، فيشربوا من أبوالها وألبانها ، حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت بطونهم عَدّوا على الراعي فقتلوه ، واستاقوا الإبل ، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَر أعينهم ، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا . فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول : إن رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا لحال ذود ، وكان يحتج بهذا الحديث على الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد - يعني ابن مسلم - حدثني سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : كانوا أربعة نفر من عُرينة ، وثلاثة نفر من عكل ، فلما أتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، ولم يحسمهم ، وتركهم يتلقمون الحجارة بالحرّة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا أبو مسعود - يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج - حدثنا أبو سعد يعني البقال - عن أنس بن مالك قال : كان رهط من عُرينة أتوا رسول الله ﷺ وبهم جَهْد ، مُصَفَّرَة ألوانهم ، عظيمة بطونهم ، فأمرهم أن يلحقوا بالإبل فيشربوا من أبوالها وألبانها ، ففعلوا ، فصفت ألوانهم وخمضت بطونهم ، وسمنوا ، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل ، فبعث النبي ﷺ في طلبهم ، فأتي بهم ، فقتل بعضهم ، وسَمَر أعين بعضهم ، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، ونزلت : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ إلى آخر الآية .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن لهيعة^(٢) ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العُرنيين ، وهم من بجيلة . قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، وأخافوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام .

وقال : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي الزناد ، عن عبد الله بن عبيد الله ، [عن عبد الله] بن عمر - أو : عمرو ، شك يونس - عن رسول الله ﷺ بذلك - يعني بقصة العُرنيين - ونزلت فيهم آية المحاربة . ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد ، وفيه : عن ابن عمر ، من غير شك .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا الحسن بن حماد ، عن عمرو بن هاشم ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن جرير قال : قدم على رسول الله ﷺ قوم من عُرينة حفاة مضرورين ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فلما صحوا واشتدوا قتلوا رعاء اللقاح [ثم خرجوا باللقاح] عامدين بها إلى أرض قومهم .

(٢) ابن لهيعة ضعيف والأثر في تفسير ابن جرير (ج ١٠ ص ٢٥٠) .

قال جرير : فبعثني رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى أدركناهم بعد ما أشرفوا على بلاد قومهم ، فقد منا بهم على رسول الله ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسَمَل أعينهم ، فجعلوا يقولون : الماء . ورسول الله ﷺ يقول : « النار » ! حتى هلكوا . قال : وكره الله عز وجل سَمَل الأعين ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ ^(٣) إلى آخر الآية .

هذا حديث غريب ، وفي إسناده الرَبْذِي وهو ضعيف ، وفيه فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية ، وهو جرير بن عبد الله البجلي . وتقدم في صحيح مسلم أن السرية كانوا عشرين فارساً من الأنصار . وأما قوله : فكره الله سَمَل الأعين ، فأنزل الله هذه الآية ، فإنه منكر ، وقد تقدم في صحيح مسلم أنهم سَمَلُوا أعين الرعاء ، فكان ما فعل بهم قصاصاً ، والله أعلم .

وقال عبد الرزاق ، عن إبراهيم بن محمد الأسلمي ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة قال : قدم على رسول الله ﷺ رجال من بني فزارة قد ماتوا هزلاً ، فأمرهم النبي ﷺ إلى لقاحه فشربوا منها حتى صحوا ، ثم عمدوا إلى لقاحه فسرَقوها ، فطَلَبُوا ، فأُتِيَ بهم النبي ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَر أعينهم . قال أبو هريرة : ففيهم نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، فترك النبي ﷺ سَمَر الأعين بعد ^(٤) .

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا أبو القاسم محمد بن الوليد ، عن عمرو بن محمد المديني ، حدثنا محمد بن طلحة عن موسى ابن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان للنبي ﷺ غلام يقال له : يسار ، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه ، وبعثه في لقاح له بالحرّة ، فكان بها ، قال : فأظهر قوم الإسلام من عُربنة ، وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم ، قال : فبعث [بهم] النبي ﷺ إلى « يسار » فكانوا يشربون [من] ألبان الإبل حتى انطوت بطونهم ، ثم عدوا على « يسار » فذبجوه ، وجعلوا الشوك في عينيه ، ثم أطرَدُوا الإبل ، فبعث النبي ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين ، أميرهم كُرْزُ بن جابر الفهري ، فلحقهم فجاء بهم إليه ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم .

غريب جداً ، وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة ، منهم جابر وعائشة وغير واحد . وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً ، فرحمه الله ، وأثابه .

(٣) موسى بن عبيدة هو الربذي ضعيف .

(٤) سيأتي الكلام على إبراهيم وصالح قريباً إن شاء الله تعالى .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، سمعت أبي يقول : سمعت أبا حمزة ، عن عبد الكريم - وسئل عن أبوال إبل - فقال : حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين فقال : كان أناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : نبايعك على الإسلام . فبايعوه ، وهم كذبة ، وليس الإسلام يريدون . ثم قالوا : إنا نجتوي المدينة . فقال النبي ﷺ : « هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح ، فاشربوا من أبوالها وألبانها » ، قال : فينا هم كذلك ، إذ جاءهم الصريح ، فصرخ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : قتلوا الراعي ، واستاقوا النعم . فأمر النبي ﷺ فتودى في الناس : أن ياخيل الله اركبي . قال : فركبوا لا ينتظر فارس فارساً ، قال : وركب رسول الله ﷺ على أثرهم ، فلم يزلوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنهم ، فرجع صحابة رسول الله ﷺ وقد أسروا منهم ، فأتوا بهم النبي ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... ﴾ الآية . قال : فكان نفهم أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ، ونفوهم من أرض المسلمين . وقتل نبي الله ﷺ منهم ، وصلب ، وقطع ، وسمر الأعين . قال : فما مثل رسول الله ﷺ قبل ولا بعد . قال : ونهى عن المثلة ، قال : « ولا تمثلوا بشيء » قال : وكان أنس يقول ذلك ، غير أنه قال : أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم^(٥) .

قال : وبعضهم يقول : هم ناس من بني سليم ، ومنهم من غرينة ناس من بجيلة .

وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء الغرنيين : هل هو منسوخ أو محكم ؟ فقال بعضهم : هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتاباً للنبي ﷺ كما في قوله : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ . ومنهم من قال : هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المثلة . وهذا القول فيه نظر ، ثم صاحبه مطالب ببيان تأخر النسخ الذي ادعاه عن المنسوخ . وقال بعضهم : كان هذا قبل أن تنزل الحدود ، قاله محمد بن سيرين ، وفي هذا نظر ، فإن قصتهم متأخرة ، وفي رواية جرير بن عبد الله لقصتهم ما يدل على تأخرها ، فإنه أسلم بعد نزول المائدة . ومنهم من قال : لم يسمل النبي ﷺ أعينهم ، وإنما عزم على ذلك ، حتى نزل القرآن فبين حكم المحاربين . وهذا القول أيضاً فيه نظر ؛ فإنه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سَمَلَ - وفي رواية : سمر - أعينهم .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : ذكرت الليث بن سعد ما كان من سَمَلَ النبي ﷺ أعينهم ، وتركه حسمهم حتى ماتوا ، قال : سمعت محمد بن عجلان يقول : ^(٦) أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ معاتبه في ذلك ، وعلمه عقوبة مثلهم : من القتل والقطع والنفي ، ولم يسمل بعدهم غيرهم . قال : وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو - يعني

(٥) أبو حمزة هو محمد بن ميمون السكري فهو الذي يروي عن عبد الكريم الجزري وليس بميمون القصاب ، كما وهم المعلق على الطبري فإن ذلك أنزل من هذا طبقة ورتبة فإن هذا ثقة فاضل ومن السابعة وذلك ضعيف ومن السادسة وعلى كل فالحديث مرسل .

(٦) محمد بن عجلان لم يدرك رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فالأثر معضل .

الأوزاعي - فأنكر أن يكون نزلت معاتبه ، وقال : بل كانت عقوبة أولئك نفر بأعيانهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، ورفع عنهم السمل .

ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم إلى أن المحاربة في الأمصار وفي السبلان على السواء لقوله : ﴿ ويسعون في الأرض فساداً ﴾ . وهذا مذهب مالك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، حتى قال مالك - في الذي يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتاً فيقتله ، ويأخذ ما معه - : إن هذا محاربة ، ودمه إلى السلطان لا ولي المقتول ، ولا اعتبار بعفوه عنه في إنفاذ القتل .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلا في الطرقات ، فأما في الأمصار فلا ؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث ، بخلاف الطريق لبعده ممن يغيبه ويعينه .

وأما قوله : ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ... ﴾ الآية ، قال [ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية] : من شهر السلاح في قبة الإسلام ، وأخاف السبيل ، ثم ظفر به وقدر عليه ، فإمام المسلمين فيه بالخيار : إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده ورجله .

وكذا قال سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك . وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، وحكى مثله عن [مالك بن أنس] رحمه الله ^(٧) . ومستند هذا القول [أن] ظاهر « أو » للتخيير ، كما في نظائر ذلك من القرآن ، كقوله في جزاء الصيد : ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ﴾ وقوله في كفارة الترفة : ﴿ فمن كان منكم مريضاً ، أو به أذى من رأسه ، ففدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك ﴾ .

وكقوله في كفارة اليمين : ﴿ إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ﴾ . هذه كلها على التخيير ، فكذلك فلتكن هذه الآية . وقال الجمهور : هذه الآية منزلة على أحوال ، كما قال أبو عبد الله الشافعي : أنبانا إبراهيم - هو ابن أبي يحيى ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس - في قطاع الطريق : « إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض » ^(٨) .

(٧) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٦٢) فما بعد ، وكل هذه الآثار فيه سوى أثر الضحاك ومالك فلم أجدهما ولم يثبت من هذه الآثار بسند الطبري إلا أثر سعيد بن المسيب والحسن البصري ، والله أعلم .

(٨) إبراهيم بن أبي يحيى وهو ابن محمد الأسلمي متروك وصالح مولى التوأمة هو ابن نهبان ضعيف والسند الذي يلي هذا إلى ابن عباس ضعيف أيضاً فإن حجاج وهو ابن أرطاة كثير الخطأ والتدليس وعطية وهو العوفي ضعيف .

وقد رواه ابن أبي شيبة ، عن عبد الرحيم بن سليمان ، عن حجاج ، عن عطية ، عن ابن عباس ، بنحوه . وعن أبي مجلز ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني ، نحو ذلك . وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة .

واختلفوا : هل يصلب حياً ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب ، أو يقتله برمح ونحوه ، أو يقتل أولاً ثم يصلب تنكيلاً وتشديداً لغيره من المفسدين ؟ وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل ، أو يترك حتى يسيل صديده ؟ في ذلك كله خلاف محرر في موضعه ، وبالله الثقة وعليه التكلان .

ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره - إن صح سنده^(٩) - فقال :

. حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم [عن ابن لهيعة] عن يزيد بن أبي حبيب : أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك نفر العرنيين - وهم من بجيلة - قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، وأخافوا السبيل ، وأصابوا الفرج الحرام . قال أنس : فسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب ، فقال : من سرق [وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقة ، ورجله بإخافته ، ومن قتل فاقطع يده ، ومن قتل] وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام ، فاضلحه . وأما قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ، قال بعضهم : هو أن يطلب حتى يقدر عليه ، فيقام عليه الحد أو يهرب من دار الإسلام .

رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والزهري ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس^(١٠) .

(٩) قلت : لكنه لم يصح لأمر : أحدها عن الوليد فإنه مدلس ، الثانية : ضعف ابن لهيعة على الصحيح ، والثالثة : عدم سماع يزيد بن أبي حبيب من أنس بن مالك وهو في التفسير (ج ١٠ ص ٢٥٠ و ٢٦٧) مع حكمه عليه . فقال : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتصحيح ما قلنا في ذلك بما في إسناده نظر وذكره ، لكن أصل الحديث ثابت في الصحيح كما تقدم .

(١٠) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٦٨ - ٢٧٠) وإليك الحكم عليها بأسانيد ابن جرير ، فأما أثر ابن عباس فضعيف لأن فيه انقطاعاً فقد جاء عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يسمع علي منه ، وأما أثر أنس بن مالك فضعيف أيضاً لأن فيه ابن لهيعة وفيه انقطاع لأنه روى عن يزيد بن أبي حبيب عن أنس ولم يسمع يزيد من أنس كما تقدم . وأما أثر سعيد فحسن ، وأثر الضحاك ضعيف لأن فيه جوير بن سعيد الأزدي قال الحافظ في التقریب : ضعيف جداً .

وأما أثر الربيع بن أنس فشيوخ الطبري فيه المثني وهو ابن إبراهيم الأملي لم تعرف له ترجمة . وأثر الزهري فيه الحسن وهو ابن شبيب بن راشد بن مطر قال ابن عدي : حدث بالبواطيل عن الثقات وترجمته في ميزان الاعتدال ، وأثر الليث بن سعد صحيح ، وأما أثر مالك فلم أجده .

وقال آخرون : هو أن ينفي من بلده إلى بلد آخر ، أو يخرج السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية . وقال الشعبي : ينفيه [كما قال] ابن هبيرة ، من عمله كله . وقال عطاء الخراساني : ينفي من جُند إلى جند سنين ، و لا يخرج من أرض الإسلام . [وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو الشعثاء ، والحسن ، والزهرى ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، إنه ينفي و لا يخرج من أرض الإسلام] .

وقال آخرون : المراد بالنفي هاهنا : السجن ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ، واختار بن جرير أن المراد بالنفي هاهنا : أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه^(١١) .

وقوله : ﴿ ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ ، أي : هذا الذي ذكرته من قتلهم ، ومن صلبهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ونفيهم - خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا ، مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة ، وهذا قد يتأيد به من ذهب إلى أن هذه الآية نزلت في المشركين ، فأما أهل الإسلام فقد ثبت في الصحيح عند مسلم ، عن عبادة بن الصامت قال : أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء : ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ولا نَعْصَنَهُ بعضنا بعضاً ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له ، ومن ستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له^(١٢) .

وعن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من أذنب ذنباً في الدنيا ، [فعوقب به ، فאלله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ، ومن أذنب ذنباً في الدنيا] فستره الله عليه وعفا عنه ، فאלله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه » .

رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن غريب^(١٣) . وقد سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث ، فقال : روي مرفوعاً وموقوفاً - قال : ورفع صحیح .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ ذلك لهم خزي في الدنيا ﴾ ، يعني : شر وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة ، ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ ، أي : إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا - في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا ، والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها - ﴿ عذاب عظيم ﴾ ، يعني : عذاب جهنم^(١٤) .

وقوله : ﴿ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفورٌ رحيم ﴾ ،

(١١) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٧٤) .

(١٢) صحيح مسلم (ج ٣ ص ١٣٣) والحديث في صحيح البخاري (ج ٨ ص ٦٣٧ - ٦٣٨) .

(١٣) أما الإمام أحمد ففي مسنده (ج ١ ص ٩٩ و ١٥٩) وأما الترمذي ففي سننه (ج ٥ ص ١٦) وأما ابن

ماجة ففي سننه أيضاً (ج ٢ ص ٨٦٨) .

(١٤) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٧٦) .

أما على قول من قال : هي في أهل الشرك فظاهر ، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم انتقام القتل والصلب وقطع الرجل ، وهل يسقط قطع اليد أم لا ؟ فيه قولان للعلماء ، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع ، وعليه عمل الصحابة ، كما قال ابن أبي جاتم .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجاهد^(١٥) ، عن الشعبي قال : كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة ، وكان قد أفسد في الأرض وحارب ، فكلّم رجلاً من قريش منهم : الحسن بن علي ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فكلّموا علياً ، فلم يؤمنه . فأقى سعيد بن قيس الهمداني فخلفه في داره ، ثم أتى علياً فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ، فقرأ حتى بلغ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ﴾ . قال : فكتب له أماناً . قال سعيد بن قيس : فإنه حارثة بن بدر .

وكذا رواه ابن جرير من غير وجه ، عن مجاهد^(١٦) ، عن الشعبي ، به . وزاد : فقال حارثة بن بدر :

أَلَا أَبْلَعُنْ هَمْدَانِ إِمَّا لَقَيْتَهَا عَلَى النَّأْيِ لَا يَسْلُمُ عَدُو يَعِيبُهَا
لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّ هَمْدَانَ تَتَّقِي الدَّ إِلَهَ وَيَقْضِي بِالْكِتَابِ خَطِيئَهَا

وروى ابن جرير من طريق سفیان الثوري ، عن السدي - ومن طريق أشعث ، كلاهما عن عامر الشعبي قال : جاء رجل من مراد إلى أبي موسى ، وهو على الكوفة في إمارة عثمان ، رضي الله عنه ، بعد ما صلى المكتوبة فقال : يا أبا موسى ، هذا مقام العائذ بك ، أنا فلان بن فلان المرادي ، وإني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض فساداً ، وإني تبت من قبل أن يُقدّر عليّ . فقام أبو موسى فقال : إن هذا فلان بن فلان ، وإنه كان حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً ، وإنه تاب من قبل أن يُقدّر عليه ، فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير ، فإن يك صادقاً فسبيل من صدق ، وإن يك كاذباً تدركه ذنوبه ، فأقام الرجل ما شاء الله ، ثم إنه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله .

ثم قال ابن جرير : حدثني علي ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، قال الليث - وكذلك حدثني موسى بن إسحاق المدني ، وهو الأمير عندنا أن علياً الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال ، فطلبه الأئمة والعامّة ، فامتنع ولم يُقدّر عليه ، حتى جاء تائباً ، وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ، فوقف عليه فقال : يا عبد الله ، أعد قراءتها . فأعادها عليه ، فغمد سيفه ، ثم جاء تائباً . حتى قدم المدينة من السحر ، فاغتسل ، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلّى

(١٥)(١٦) مجاهد صوابه مجالد كما في النسخ الأخرى وكما في ابن جرير وهذا الأثر في الطبري (ج ١٠ ص ٢٨٠)
ومجالد هذا هو ابن سعيد ابن عمير فيه ضعف .

الصبح ، ثم قعد إلى أبي هريرة في غمار أصحابه ، فلما أسفروا عرفه الناس ، فقاموا إليه ، فقال : لا سبيل لكم عليّ . جئت تائباً من قبل أن تقدروا عليّ . فقال أبو هريرة : صدق . وأخذ بيده أبو هريرة حتى أتى مروان بن الحكم - وهو أمير على المدينة ، في زمن معاوية - فقال : هذا عليّ جاء تائباً ، ولا سبيل لكم عليه ولا قتل . قال ، فترك من [ذلك كله] قال : وخرج عليّ تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر ، فلقوا الروم ، ففربوا [سفينته إلى] سفينة من سفنهم ، فاقتحم على الروم في سفينتهم ، فهربوا منه إلى شقها الآخر ، فمالت به وبهم ، فغرقوا جميعاً^(١٧) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا
إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ
النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات . وقد قال بعدها : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ ، قال سفيان الثوري : [حدثنا أبي] عن طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أي القربة^(١٨) . وكذا قال مجاهد ، وأبو وائل ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدي ، وابن زيد .

وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه . وقرأ ابن زيد ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . وأنشد ابن جرير عليه قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عُدْنَا لَوْصَلْنَا وعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ^(١٩)

(١٧) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٨٤) وقال الشيخ محمود شاكر في تحقيقه له : موسى بن إسحاق المدني الأمير لم أعرف من يكون ، وعلي الأسدي لم أعرفه أيضاً .

(١٨) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٠ ص ٢٩١) عن عطاء ليس عن ابن عباس بالسند المذكور ، وليس سفيان هذا هو الثوري كما ذكر الحافظ لكنه ابن وكيع فليس ذلك في طبقة هذا وأما الأثر فصحيح فإن سفيان بن وكيع وإن كان ضعيفاً فقد توبع كما في ابن جرير .

(١٩) تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٢٩٠) .

والوسيلة : هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضاً : علم على أعلى منزلة في الجنة ، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش ، وقد ثبت في صحيح البخاري ، من طريق محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة »^(٢٠).

حديث آخر في صحيح مسلم ، من حديث كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه [بها] عشراً ، ثم سلوا [الله] لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة »^(٢١).

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صليتم عليّ فسلوا لي الوسيلة » . قيل : يا رسول الله ، وما الوسيلة ؟ قال : « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو »^(٢٢).

ورواه الترمذي ، عن بNDAR ، عن أبي عاصم ، عن سفيان - هو الثوري - عن ليث بن أبي سليم ، عن كعب قال : حدثني أبو هريرة ، به . ثم قال : غريب ، وكعب ليس بمعروف ، لا

(٢٠) الحديث في البخاري (ج ٤) وأبي داود (ج ١ ص ٣٦٢) والترمذي (ج ١ ص ٤١٣) ، وابن ماجه (ج ١ ص ٢٣٩) والمقام المحمود هو قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وأطلق عليه الوعد لأن عسى من الله واقع كما صرح عن ابن عيينة وغيره ، اهـ من تحقيق الترمذي للشيخ / أحمد شاكر .

(٢١) الحديث في صحيح مسلم (ج ١ ص ٢٨٨) وأبي داود (ج ١ ص ٣٥٩) والترمذي (ج ١ ص ٤٠٧) وقال الشيخ أحمد شاكر في الكلام عليه قوله : مثل ما يقول المؤذن يعني يقول كل ألفاظ الأذن التي يقول المؤذن وقد جاء في حديثين صحيحين أحدهما عن معاوية في صحيح البخاري والآخر عن عمر في صحيح مسلم أن السامع يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله عند قول المؤذن : حيّ على الصلاة وحيّ على الفلاح . قال الحافظ في الفتح (ج ٢ ص ٧٥) : قال ابن المنذر : يحتمل أن يكون ذلك من الاختلاف المباح فيقول تارة كذا وتارة كذا ، وحكى بعض المتأخرين عن بعض أهل الأصول أن الخاص والعام إذا أمكن الجمع بينهما وجب إعمالهما ، قال : لا يستحب للسامع أن يجمع بين الحيلة والحوقة (أي حيّ على الصلاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) وهو وجه عند الحنابلة ، ثم أجاب عن ذلك بكلام طويل والظاهر عندي ما ذهب إليه ابن المنذر أنه من الاختلاف المباح وأن السامع مخير بين هذا وذاك لأن الجمع بينهما عمل زائد لم تؤمر به ولا علمناه مأثوراً عن أحد يقتدي به وإنما هو تكلف ، اهـ .

(٢٢) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٢٦٥) وليث هو بن أبي سليم قال الحافظ في التقریب : صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك وكعب هو المدني قال الحافظ في التقریب أيضاً : مجهول .

نعرف أحداً روى عنه غير ليث بن أبي سليم^(٢٣).

طريق أخرى: عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا عبد الباقي بن قانع، حدثنا محمد بن نصر الترمذي، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب، عن ليث^(٢٤)، عن المعلی، عن محمد بن كعب، عن أبي هريرة رفعه قال: «صلوا علي صلاتكم، وسلوا الله لي الوسيلة». فسألوه وأخبرهم: «أن الوسيلة درجة في الجنة، ليس ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكونه».

حديث آخر، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا الوليد ابن عبد الملك الحراي^(٢٥)، حدثنا موسى بن أعين، عن ابن أبي حبيب^(٢٦)، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً - أو: شفيعاً - يوم القيامة».

ثم قال الطبراني: لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا موسى بن أعين. كذا قال، وقد رواه ابن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن عمرو بن عطاء - فذكر بإسناده نحوه.

حديث آخر: روى ابن مردويه بإسناده عن عماره بن غَزِيَّة، عن موسى بن وردان أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه»^(٢٧).

حديث آخر: روى ابن مردويه أيضاً من طريقين، عن عبد الحميد بن بحر: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ قال: «في الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألت الله فسلوا لي الوسيلة». قالوا: يا رسول الله، من يسكن معك؟ قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين»^(٢٨).

(٢٣) الحديث في سنن الترمذي (ج ٥ ص ٥٨٦) وقد تقدم الكلام على ليث وكعب.

(٢٤) ليث بن أبي سليم قد تقدم أنه ضعيف والحديث صحيح من غير هذا الوجه.

(٢٥) أحمد بن علي الأبار هو أبو مسلم النخشي ثقة متقن ترجمته في تاريخ بغداد والوليد بن عبد الملك الحراي هو ابن عبيد الله بن مسرح أبو وهب قال ابن أبي حاتم في الجرح: سألت أبي عنه فقال: صدوق.

(٢٦) ابن أبي حبيب صوابه ابن أبي ذئب.

(٢٧) عماره بن غزية هو ابن الحارث الأنصاري المازني، قال الحافظ في التقريب: لا بأس به، وروايته عن أنس مرسله وموسى بن مردان هو العامري قال في التقريب: صدوق ربما أخطأ فحديثهما حسن إلا أنه لم يبين لنا إسناده ابن مردويه إلى عماره حتى نحكم عليه.

(٢٨) عبد الحميد بن بحر البصري، قال ابن حبان: كان يسرق الحديث وقال أبو نعيم يروي عن شريك ومالك أحاديث منكورة.

هذا حديث غريب منكر^(٢٩). من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الحسن الدشتكي ، حدثنا أبو زهير ، حدثنا سعد بن طريف ، عن علي بن الحسين الأزدي - مولى سالم بن ثوبان - قال : سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة : يا أيها الناس ، إن في الجنة لؤلؤتين : إحداهما بيضاء ، والأخرى صفراء ، أما الصفراء فإنها إلى بطنان العرش ، والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة ، كل بيت منها ثلاثة أميال ، وغرفها وأبوابها وأسرتها وكأنها من عرق واحد ، واسمها : الوسيلة ، هي لحمد ﷺ وأهل بيته . [والصفراء فيها مثل ذلك ، هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته] .

وهذا أثر غريب أيضاً^(٣٠).

وقوله : ﴿ وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ ، لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات ، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم ، التاركين للدين القويم ، ورغبتهم في ذلك بالذي أعدده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة ، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبعد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة ، [الحسنة] مناظرها الطيبة مساكنها ، التي من سكنها ، ينعم لا ييأس ، ويحيى لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه .

ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة ، فقال : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ ، أي : لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً ، وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ، وتيقن وصوله إليه ، ما تُقبل ذلك منه ، بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص ، ولهذا قال : ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أي : موجه ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ... ﴾ الآية ، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ، كلما رفعهم الله فصاروا في أعالي جهنم ، ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد ،

= قلت وكان مولعاً بإطراء فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ولذلك أوردوا له عجائب في هذا الموضوع فكانه لولوعه بذلك يورد أحاديث يخترعها ويصطنعها من قبل نفسه فترك ، وترجمته في الميزان ولسان الميزان وشيخه شريك هو ابن عبد الله النخعي اختلف فيه ، والراجح أنه إلى الضعف أقرب ، وقد كان شيعياً كما قيل في التهذيب ، والحاثر هو ابن عبد الله الأعمور كذبه الشعبي في رأيه ، وقد كان شيعياً غالباً ضعيفاً . (٢٩) وجه نكارتة أنه يخالف للأحاديث الصحيحة المتقدمة ففي هذا الحديث أن علياً وفاطمة والحسن والحسين يسكنون معه في هذه الدرجة التي تدعى الوسيلة ، وقد تقدم في صحيح مسلم أنه قال : « لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو » .

(٣٠) سعد بن طريف هو الإسكاف الحنظلي الكوفي متروك ، ورماه ابن حبان بالوضع وكان رافضياً اهـ . من التقريب ..

فيردوهم إلى أسفلها ، ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ ، أي : دائم مستمر لا خروج لهم منها ، و لا محيد لهم عنها .

وقد قال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالرجل من أهل النار ، فيقول : يا ابن آدم ، كيف وجدت مضجعتك ؟ فيقول : شرٌّ مضجع ، فيقول : هل تفتدي بقراب الأرض ذهباً ؟ قال ، فيقول : نعم ، يا رب ! فيقول : كذبت ! قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل . فيؤمر به إلى النار » .

رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة ، بنحوه . وكذا رواه البخاري ومسلم^(٣١) ، من طريق معاذ بن هشام الدستوائي ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس ، به . وكذا أخرجه من طريق أبي عمران الجوني ، واسمه عبد الملك بن حبيب ، عن أنس بن مالك ، به . ورواه مطر الوراق ، عن أنس بن مالك . ورواه ابن مردويه من طريقه ، عنه .

ثم رواه ابن مردويه ، من طريق المسعودي ، عن يزيد بن صهيب الفقير ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » . قال ، فقلت لجابر بن عبد الله : يقول الله : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ ، قال : اتل أول الآية : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به ... ﴾ الآية ، ألا إنهم الذين كفروا .

وقد روى الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر ، عن يزيد الفقير ، عن جابر^(٣٢) ، وهذا أبسط سياقاً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسين بن محمد بن شنبه^(٣٣) الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا مبارك بن فضالة ، حدثني يزيد الفقير قال : جلست إلى جابر بن عبد الله ، وهو يحدث ، فحدث أن أناساً يخرجون من النار - قال : وأنا يومئذ أنكر ذلك ، فغضبت وقلت : ما أعجب من الناس ، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ! تزعمون أن الله يخرج [ناساً] من النار ، والله يقول : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ... ﴾ الآية . فأنتهرني أصحابه ، وكان أحلمهم فقال : دعوا الرجل ، إنما ذلك للكفار : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض

(٣١) صحيح البخاري (ج ١١ ص ٤١٥) إلى (ص ٤١٦) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٦) وسنن النسائي (جزء ٦ ص ٣٦) .

(٣٢) مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٣٥٥) وصحيح مسلم (ج ١ ص ٧٨) كلاهما من حديث أبي أحمد الزبيري عن قيس بن مسلم عن يزيد الفقير به ، وشيخ مسلم فيه حجاج بن الشاعر .

(٣٣) الحسين بن محمد بن شنبه صدوق كما في الجرح والتعديل وفي التعليق عليه قال : ضبطه أصحاب المشتبه وغيرهم ووقع في الأصلين شبيهة .

جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ﴿ حتى بلغ ﴾ : ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى قد جمعته . قال : أليس الله يقول : ﴿ ومن الليل فتعبد به نافلة لك عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ، فهو ذلك المقام ، فإن الله يحتبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء ، لا يكلمهم ، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم . قال : فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به ^(٣٤) .

ثم قال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا عمر بن حفص السدوسي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا العباس بن الفضل ، حدثنا سعيد بن المهلب ، حدثني طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة ، حتى لقيت جابر بن عبد الله ، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار . فقال : يا طلق ، أترأى أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني ؟ إن الذين قرأت هم أهلها ، هم المشركون ، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنباً فعدبوا ، ثم أخرجوا منها ، ثم أهوى بيديه إلى أذنيه ، فقال : صُمْتُما إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرجون من النار بعد ما دخلوا » . ونحن نقرأ كما قرأت ^(٣٥) .

وَالسَّارِقُ

وَالسَّارِقُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَانِ كَلَّا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

(٣٤) هذا أثر حسن لأن مبارك بن فضالة صدوق يدلّس ويسوي ، قال يحيى بن سعيد : ولم أقبل منه شيئاً إلا شيئاً يقول فيه حدثنا ، وقال الآجري : إذا قال حدثنا فهو ثبت .

قلت : وقد قال هنا حدثني فانتفى ما كنا نخشاه من تدليسه ، هذا وقد اختار الذهبي في سير أعلام النبلاء تحسين حديثه إن أمن من تدليسه فقد وثقه قوم وضعفه آخرون ولهذا اختار ابن حجر التوسط في أمره فقال : كما في التقريب : صدوق يدلّس ويسوي ، وقال ابن عدي في الكامل : وعامة أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة فقد احتمل من قد رمي بالضعف أكثر ما رمي مبارك به . اهـ . وأما يزيد الفقير فهو يزيد بن صهيب أبو عثمان الكوفي المعروف بالفقير ولم يكن فقيراً إنما كان يشكو فقار ظهره فعرف به وهو ثقة .

(٣٥) أما دعلج فثقة ثبت ، وأما شيخه ففي ترجمة عاصم أنه عمرو بن حفص السدوسي ولم أظفر به ، ووجد في الثقات لابن حبان عمر بن حفص بغير واو ، قال السدوسي من أهل البصرة يروي عن أبي الوليد الطيالسي والبصريين كتب عنه أصحابنا ، اهـ ، وأما العباس شيخ عاصم فصوابه : القاسم كما في ترجمة كل من شيخه وتلميذه وهو ثقة ، وأما سعيد بن المهلب فمقبول فالحديث ضعيف بسببه من هذا الوجه .

يقول تعالى حاكماً وأمرأً بقطع يد السارق والسارقة ، وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرأها : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٣٦) . وهذه قراءة شاذة ، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقاً لها ، لا بها ، بل هو مستفاد من دليل آخر . وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية ، فقرر في الإسلام وزيدت شروط أخر كما سنذكره ، إن شاء الله تعالى ، كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه ، وزيادات هي من تمام المصالح . ويقال : إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش ، قطعوا رجلاً يقال له : « دويك » ، مولى لبني مُليح بن عمرو من خزاعة ، كان قد سرق كنز الكعبة ، ويقال : سرقة قوم فوضعه عنده .

وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قطعت يده به ، سواء كان قليلاً أو كثيراً ، لعموم هذه الآية : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ . فلم يعتبروا نصاباً ولا حرزاً ، بل أخذوا بمجرد السرقة .

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن ، عن نجدة الحنفي قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ، أخاص أم عام ؟ فقال : بل عام^(٣٧) .

وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء ، ويحتمل غير ذلك ، فالله أعلم . وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده »^(٣٨) . وأما الجمهور فاعتبروا [النصاب في] السرقة ، وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره ، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول علي حدة ، فعند الإمام مالك بن أنس ، رحمه الله : النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة ، فمتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقها وجب القطع ، واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع في مِجَنٍّ ثمنه ثلاثة دراهم . أخرجاه في الصحيحين^(٣٩) .

(٣٦) أما جابر بن يزيد الجعفي فأحسن حاله أن يقال : إنه ضعيف فقد قال النسائي وغيره : متروك وقال يحيى لا يكتب حديثه ولا كرامة ، أما أبو حنيفة فقال : ما رأيت أكذب من جابر الجعفي ما أتيت به شيء إلا جاءني بحديث وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها ، هذا وقد وثقه بعضهم لكن الظاهر قول من ضعف ، والله أعلم .

(٣٧) أثر ضعيف من هذه الطريق فإن فيه مجهولاً وهو نجدة بن نفع وعبد المؤمن الذي روى عنه هو ابن خالد الحنفي قاضي مرو ، قال أبو حاتم : لا بأس به وقال السليماني : فيه نظر اهـ من الميزان .

(٣٨) صحيح البخاري (ج ١٢ ص ٨١ و ٩٧) ومسلم (ج ٣ ص ١٣١٤) .

(٣٩) صحيح البخاري (ج ١٢ ص ٩٧) ومسلم (ج ٣ ص ١٣١٣) .

قال مالك رحمه الله : وقطع عثمان رضي الله عنه في أترجة قُومت بثلاثة دراهم ، وهو أحب ما سمعت في ذلك . وهذا الأثر عن عثمان رضي الله عنه ، قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عُمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق في زمان عثمان أترجة ، فأمر بها عثمان أن تُقَوَّم ، فقُومت بثلاثة دراهم [من] صرف اثني عشر درهماً [بدينار] ، فقطع عثمان يده^(٤٠) .

قال أصحاب مالك : ومثل هذا الصنيع يشتهر ، ولم ينكر ، فمن مثله يحكى الإجماع السُّكُوتِي ، وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافاً للحنفية ، وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافاً لهم في أنه لا بد من عشرة دراهم ، وللشافعية في اعتبار ربع دينار ، والله أعلم .

وذهب الشافعي ، رحمه الله ، إلى أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار أو ما يساويه من الأثمان أو العروض فصاعداً . والحجة في ذلك ما أخرجه الشيخان : البخاري ومسلم ، من طريق الزهري ، عن عُمرة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً »^(٤١) .

ومسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عُمرة ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً » .

قال أصحابنا : فهذا الحديث فاصل في المسألة ونص في اعتبار ربع دينار لا ما ساواه . قالوا : وحديث ثمن المجن ، وأنه كان ثلاثة دراهم ، لا ينافي هذا ، لأنه إذ ذاك كان الدينار باثني عشر درهماً ، فهي ثمن ربع دينار ، فأمكن الجمع بهذه الطريق .

ويروى هذا المذهب عن عُمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم . وبه يقول عمر بن عبد العزيز ، والليث بن سعد ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه - في رواية عنه - وأبو ثور ، وداود بن علي الظاهري ، رحمهم الله .

وذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - في رواية عنه - إلى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مَرْدٌ شرعي ، فمن سرق واحداً منهما ، أو ما يساويه ، قطع عملاً بحديث ابن عمر ، وبحديث عائشة رضي الله عنهما . ووقع في لفظ عند الإمام أحمد ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « اقطعوا في ربع دينار ، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك »^(٤٢) . وكان ربع الدينار يومئذ

(٤٠) رواه الإمام مالك كما في الموطأ مع تنوير الحوالك (ج ٣ ص ٤٧) وسنده صحيح إلى عثمان رضي الله عنه ، والأثر جافكه من الفواكه تباع في الأسواق لها رائحة طيبة وطعم حلو وبها ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً للمؤمن الذي يقرأ القرآن كما في الحديث الصحيح ، وذكر ابن القيم أن له فوائد عديدة ومنافع مفيدة وذلك في زاد المعاد (ج ٤ ص ٢٨٣) .

(٤١) صحيح البخاري (ج ١٢ ص ٩٦) ومسلم (ج ٣ ص ١٣١٢) .

(٤٢) رواه الإمام أحمد (ج ٦ ص ٨٠) بسند ضعيف لأن فيه يحيى بن يحيى الغساني وهو ضعيف روى له البخاري =

ثلاثة دراهم ، والدينار اثني عشر درهماً . وفي لفظ للنسائي : لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن .
 قيل لعائشة : ما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار^(٤٣) .

فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم ، والله أعلم .

وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه : أبو يوسف ، ومحمد ، وزفر ، وكذا سفيان الثوري رحمهم الله ، فإنهم ذهبوا إلى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة . واحتجوا بأن ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله ﷺ ، كان ثمنه عشرة دراهم . وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا ابن نمير وعبد الأعلى عن محمد بن إسحاق ، عن [أيوب بن موسى ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم .

ثم قال : حدثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، عن [عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن . وكان ثمن المجن عشرة دراهم »^(٤٤) .

قالوا : فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفا ابن عمر في ثمن المجن فالاحتياط الأخذ بالأكثر ، لأن الحدود تدرأ بالشبهات .

وذهب بعض السلف إلى أنه تُقَطَّعُ يدُ السارق في عشرة دراهم ، أو دينار ، أو ما يبلغ قيمته واحداً منهما ، يحكى هذا عن علي ، وابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، وأبي جعفر الباقر ، رحمهم الله تعالى .

وقال بعض السلف : لا تقطع الخمس إلا في خمس ، أي في خمسة دنانير ، أو خمسين درهماً . وينقل هذا عن سعيد بن جبير ، رحمه الله .

وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة : « يَسْرُقُ الْبَيْضَةُ فَتَقْطَعُ يَدَهُ ، وَيَسْرُقُ الْحَبْلَ فَتَقْطَعُ يَدَهُ » ، بأجوبة .

أحدها : أنه منسوخ بحديث عائشة . وفي هذا نظر ؛ لأنه لا بد من بيان التاريخ .
 والثاني : أنه مؤول ببیضة الحديد وحبل السفن ، قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره .

عنه .

= حديثاً واحداً لكنه في المتابعات كما قال ابن حجر في التقریب وتغني عنه الأحاديث المتقدمة .

(٤٣) رواه النسائي (جزء ٨ ص ٨٠ - ٨١) .

(٤٤) هذا والذي تقدم اختلاف في ثمن المجن وقد قيل غير ما ذكر فهو اضطراب شديد ولضيق المجال هنا أحيل القارئ الكريم على أحسن مرجع اطلعت عليه في هذا وهو كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح (ج ١٢ ص ١٠٣) فقد جمع وأوعى .

والثالث : أن هذا وسيلة إلى التدرج في السرقة من القليل إلى الكثير .. الذي تقطع فيه يده ، ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الإخبار عما كان الأمر عليه في الجاهلية ، حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير ، فلعن السارق [الذي] يبذل يده الثمينة في الأشياء المهيئة .

وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري ، لما قدم بغداد ، اشتهر عنه أنه أورد إشكالاً على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ، ونظم في ذلك شعراً دل على جهله ، وقلة عقله ، فقال :

يَدٌ بِخَمْسٍ مِثْنِ عَسْجِدٍ وَدَيْتْ مَا بِهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعٍ دِينَارٍ
تَنَاقَضَ مَا لَنَا إِلَّا السَّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ .^(٤٥)

(٤٥) أبو العلاء المعري اسمه / أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ، زاد الذهبي على هذا السياق أكثر من أربع وثلاثين اسماً واكتفيت بهذا للاختصار ، وترجمته في كتب كثيرة من أحسنها : سير أعلام النبلا للذهبي ولسان الميزان لابن حجر والبداية والنهاية لابن كثير وهؤلاء ممن توسعوا فيه وأطالوا ، وسأذكر نبذاً من كلامهم فيه خشية الإطالة والإطناب ، فأما الذهبي فقال في السير : هو الشيخ العلامة شيخ الآداب أبو العلاء وذكر نسبه ثم قال : اللغوي الشاعر صاحب التصانيف السائرة والمتهم في نخلته ثم تكلم عن صفاته وأنه أصيب بالجدري صغيراً فآثر على عينيه فأصبح ضريراً ، وأما ابن حجر فقال في لسان الميزان بعد ذكر نسبه : اللغوي الشاعر المشهور وكان عجباً في الذكاء المفرط والاطلاع ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية : كان ذكياً ولم يكن زكياً .

قلت : أما من جهة ذكائه ودهائه فهذا أمر مسلم ويعرف ذلك من خلال قراءة أبياته فقد بلغت مكاناً عالياً ونظماً قوياً ، لكن المؤسف أن أبا العلاء المذكور كان متشككاً مرتاباً فسبب ذلك إلى شك الناس وارتباهم فيه فقد قال السيوطي في بغية الوعاة : وقد اختلف العلماء في شأنه أما الذهبي فحكم بزندقته ، وقال السلفي أظنه تاب وأناب ، وقال ابن العديم في كتابه : دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري : كان يرميه أهل الحسد بالتعطيل ويعملون على لسانه الأشعار ويضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وقد نقل عنه أشعار تتضمن صحة عقيدته وأن ما ينسب إليه كذب كقوله :

لَا أَطْلُبُ الْأَرْزَاقَ وَالْمَوَ لِي يَفِيضَ عَلَيَّ رِزْقِي
إِنْ أَعْطَى بَعْضُ الْقَوْتِ أَعْ لَمْ أَنْ ذَلِكَ فَوْقَ حَقِّي

قلت : هذا محتمل واحتماله فيه ضعف ومثله ما ذكره ابن حجر في لسان الميزان أن أبا نصر المنادي قال : التقيت بأبي العلاء المعري وقلت له : ما هذا الذي يروى عنك ويحكى ؟ قال : حسدوني وكذبوا علي ، فقلت : على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ؟

فقال : والآخرة أيضاً وتألم اهـ . وسبب ضعف هذا الاحتمال أنه قد أطبق المعتمد من المؤرخين على سياق أبيات له تقدح في دينه ولو كانت براءته منها حقاً لسبقونا إليه ، أما تألمه هو حين قيل له : تركت الدنيا والآخرة فليس ذلك ببرهان فإنه متخبط خبط عشواء ولعله تألم حياء ورياء ، وقد ذكر الذهبي في السير وابن كثير في البداية وابن حجر في اللسان أبياتاً تنبئ عن عدم استقرار فكره ، وثبوت أمره ، وكثرة شره ، ولا أريد نقلها خشية الإطالة والتثقل فحاصل قلبي فيه : أنه رجل ضال كذاب شاك مرتاب ، هذا ما تبين لي من أقواله ، ويخشى أن تكون أقواله كأفعاله فإن تاب في آخر أمره تاب الله عليه وإن لم يتب فإن الله سيعاقبه بما يستحق إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، هذا آخر ما اطمأن به فكري ، وانتهى إليه أمري ، ولولا =

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم . وقد أجابه الناس في ذلك ، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي ، رحمه الله ، أنه قال : لما كانت أمينة كانت ثمينة ، فلما خانت

= التردد في الحكم عليه قديماً واحتمال نفي ما قيل عنه لقلت إنه من الكفر وإن الكفر منه ، أما قول السيوطي في بغية الوعاة في ترجمته : غزير الفضل شائع الذكر وافر العلم غاية في الفهم عالماً باللغة حاذقاً بالنحو جيد الشعر جزل الكلام شهرته تغني عن صفته فإنه يعني بهذا علومه بالنحو واللغة والشعر وضروعه فيها وهذا أمر يسلم الجميع به طوعاً أو كرهاً ، وله ما له وعليه ما عليه ونحن نأخذ مثل هذه العلوم عنه وعن غير ونجني من كل واحد ثمرته كما قيل :

خذ من علمي ولا تنظر إلى عملي اجن الثمار وخل العود للنار
هذا وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن ابن الجوزي قال : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه :
الفصول والغايات في معارضة السور والآيات على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاقة والبرودة
فسبحان من أعمى بصره وبصيرته . اهـ .

وأقول أخيراً : إنه قد يبالغ بعض المدافعين عنه فينفي عنه كل لفظ ويبعد منه كل شطط بغير ما برهان
سوى قول القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
نسأل الله العافية والسلامة والنجاة يوم القيامة .

ولأبي العلاء أشعار تعد من حسناته لكنها وإن كانت كذلك فإنها كشعرات بيض في ثور أسود فمنها
قوله راجعاً تائباً معترداً راهباً كما قيل : -

يا من يرى مد البعوض جناحه
ويرى مناط عروقها في نحرها
امن علي بتوبة تحو بها
ومنها قوله من قصيدة طويلة :

صاح هذي قبورنا تملأ الأرض
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض
سر إن استطعت في الهواء رويداً
رب لحد قد صار لحداً مراراً
ودفين على بقايا دفين
فاسأل الفرقدين عمن أحسا
كم أقامنا على زوال نهار
تعب كلها الحياة فما أعجب
إن حزناً في ساعة الموت أضعاف
خلق الناس للبقاء فضلت
إنما ينقلون من دار أعمال

قيل إنه مات يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة وذكروا أنه رثي
بأشعار وقصائد وأحسن ذلك قول من قال راثياً :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة
فلقد أرتق اليوم من جفني دماً

هانت . ومنهم من قال : هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة ، فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لثلاث يُجنى عليها ، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لثلاث يتسارع الناس في سرقة الأموال ، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب . ولهذا قال : ﴿ جزاء بما كسبنا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ ، أي : مجازاة على صنيعهما السيء في أخذهما أموال الناس بأيديهم ، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك ﴿ نكالاً من الله ﴾ أي : تنكيلاً من الله بهما على ارتكاب ذلك ﴿ والله عزيز ﴾ ، أي : في انتقامه ﴿ حكيم ﴾ أي : في أمره ونهيه وشرعه وقدره^(٤٦) .

ثم قال تعالى : ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم ﴾ ، أي : من تاب بعد سرقة وأناب إلى الله ، فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه ، فأما أموال الناس فلا بد من ردّها إليهم أو بدلها عند الجمهور .

وقال أبو حنيفة : متى قطع وقد تلفت في يده فإنه لا يرد بدلها . وقد روى الحافظ أبو الحسن الدار قطني من حديث [محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى بسارق قد سرق ثملة ، فقال : ما إخاله سرق ! فقال السارق : بلى ، يا رسول الله . قال : « اذهبوا به فاقطعوه ، ثم احسموه ، ثم اتوني به » . فقطع فأتي به ، فقال : تب إلى الله . فقال : تب إلى الله . فقال : « تاب الله عليك »^(٤٧) .

وقد روى من وجه آخر مرسلًا ورَّجَّح إرساله علي بن المديني وابن خزيمة ، رحمهما الله . وروى ابن ماجه من حديث ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري ، عن أبيه أن عمرو بن سُمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني سرت رجلاً لبني فلان ، فطهرني ! فأرسل إليهم النبي ﷺ فقالوا : إنا افتقدنا رجلاً لنا . فأمر به فقطعت يده [قال ثعلبة : أنا أنظر إليه حين وقعت يده] وهو يقول : الحمد لله الذي طهرني منك ، أردت أن تُدخلني جسدي النار^(٤٨) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن حُبي بن

(٤٦) ومنهم من أجاب عليه بقوله .

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

(٤٧) أي في كتابه السنن (ج ٣ ص ١٠٢) ورواه الحاكم أيضاً وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قلت : والراجح إرساله كما قرره الحافظ ابن كثير .

(٤٨) الحديث ضعيف من هذا الوجه وسببه ضعف ابن لهيعة وجهالة عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري ولم أقف لهما على متابع وهو في ابن ماجه (ج ٢ ص ٨٦٣) وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة ثعلبة بن عمرو الأنصاري وعزاه إلى ابن أبي حاتم من هذه الطريق .

عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : سرت امرأة حُلياً ، فجاء الذين سرقتم فقالوا : يا رسول الله ، سرقتنا هذه المرأة . فقال رسول الله ﷺ : « اقطعوا يدها اليمنى » . فقالت المرأة : هل من توبة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك ! » قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظِلْمِهِ وَأَصْلَحَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤٩) .

وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ ، فجاء بها الذين سرقتم فقالوا : يا رسول الله ، إن هذه المرأة سرقتنا ! قال قومها : فنحن نفديها . فقال رسول الله ﷺ : « اقطعوا يدها » [فقالوا : نحن نفديها بخمسمائة دينار . قال : « اقطعوا يدها » . قال : فقطعت يدها اليمنى . فقالت المرأة : هل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » . فأنزل الله في سورة المائدة : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظِلْمِهِ وَأَصْلَحَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥٠) .

وهذه المرأة هي الخزومية التي سرت ، وحديثها ثابت في الصحيحين ، من رواية الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرت في عهد النبي ﷺ ، في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترأ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ؟ فأتى بها رسول الله ﷺ ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال : « أتشفع في حد من حدود الله عز وجل ؟ » فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب ، فأتى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطع يدها » . ثم أمر بتلك المرأة التي سرت فقطعت يدها . قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد ، وتزوجت ، وكانت تأتي بعد ذلك ، فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

وهذا لفظ مسلم . وفي لفظ له عن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحد ، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها^(٥١) .

(٤٩) (ج ١٠ ص ٢٩٩) وهو ضعيف من هذه الطريق لضعف ابن لهيعة وشيخه فقد قال البخاري : فيه نظر ، وقال أحمد : أحاديثه مناكير وحسبك بهما . أما الحافظ ابن حجر فقال في التقريب : صدوق يهم ، والذي يظهر لي أنه أدنى من ذلك راجع إن شئت ترجمته من التهذيب والميزان ، ولكن أصل الحديث آت في الصحيحين من غير ذكر سبب نزول .

(٥٠) وهذا كالذي قبله ، وهو في مسند أحمد (ج ٢ ص ١٧٧) إل (ص ١٧٨) .

(٥١) صحيح البخاري : (ج ١٢ ص ٨٧) ومسلم (ج ٣ ص ١٣١٥) .

وعن ابن عمر قال : كانت امرأة مخزومية تستعير متاعاً على السنة جاراتها وتجده ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها .

رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي^(٥٢) - وهذا لفظه - وفي لفظ له : أن امرأة كانت تستعير الحلي للناس ثم تمسكه ، فقال رسول الله ﷺ : [« لتب هذه المرأة إلى الله ورسوله وترد ما تأخذ على القوم » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قم يا بلال فخذ يديها فاقطعها » .

وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب « الأحكام » ، والله الحمد والمنة .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أي : هو المالك لجميع ذلك ، الحاكم فيه ، الذي لا معقب لحكمه ، وهو الفعال لما يريد ﴿ يعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، والله على كل شيء قدير ﴾ .

* يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَيْسَ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهِرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّعْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ

(٥٢) مسند أحمد (ج ٢ ص ١٥١) بسند صحيح عن ابن عمر ، وسنن أبي داود (ج ٤ ص ٥٣٨) بسند صحيح عن عائشة ، والنسائي (جزء ٨ ص ٧١) عن ابن عمر بسند ضعيف لأن فيه عمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي لين الحديث .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا
حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾

نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر ، الخارجين عن طاعة الله ورسوله ،
المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل ، ﴿ من الذين قالوا : آما بأفواههم . ولم تؤمن
قلوبهم ﴾ أي : أظهروا الإيمان بألسنتهم ، وقلوبهم خراب خاوية منه ، وهؤلاء هم المنافقون ﴿ ومن
الذين هادوا ﴾ أعداء الإسلام وأهله . وهؤلاء كلهم ﴿ سماعون للكذب ﴾ ، أي : يستجيبون له ،
منفعلون عنه ﴿ سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ﴾ أي : يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك
يا محمد . وقيل : المراد أنهم يتسمعون الكلام ، ويتهوّنونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك ، من
أعدائك ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ ، أي : يتأولونه على غير تأويله ، ويبدّلونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون ﴿ يقولون : إن أوتيم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ .

قيل : نزلت في أقوام من اليهود ، قتلوا قتيلاً ، وقالوا : تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد ، فإن
أفتانا بالدية فخذوا ما قال ، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه .

والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا ، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم ،
من الأمر برجم من أحصن منهم ، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة ، والتحميم
والإركاب على حمار مقلوبين . فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي ﷺ ، قالوا فيما بينهم :
تعالوا حتى نتحاكم إليه ، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه ، واجعلوه حجة بينكم وبين الله ،
ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك ، [وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك .

وقد وردت الأحاديث بذلك] ، فقال مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر أنه قال :
إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنيا ، فقال لهم رسول الله
ﷺ : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا : نفضحهم ويُجلدون . قال عبد الله بن
سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ

ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك . فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ! فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يَحْنِي على المرأة يقيها الحجارة ^(٥٣) .

وأخرجاه ^(٥٤) ، وهذا لفظ البخاري . وفي لفظ له : فقال لليهود : « ما تصنعون بهما ؟ » قالوا : نُسَخِّم وجوههما ونُخْزِيهما . قال : « ﴿ فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ » . فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعورَ : « اقرأ » ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه ، قال : « ارفع يدك » . فرفع ، فإذا آية الرجم تلوح ، قال : يا محمد ، إن فيها آية الرجم ، ولكننا نتكأته بيننا . فأمر بهما فرجما .

وعند مسلم أن رسول الله ﷺ أتى يهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يَهُودَ ، فقال : « ما تجدون في التوراة على من زنى ؟ » قالوا : نُسَوِّد وجوههما [ونُحْمَلهما ، ونُخَالف بين وجوههما] وَيُطَاف بهما ، قال : « ﴿ فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ » . قال : فجاءوا بها ، فقرأوها ، حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم ، وقرأ ما بين يديها وما وراءها . فقال له عبد الله بن سلام - وهو مع رسول الله ﷺ - : مَرَّةٌ فَلْيَرْفَع يده . فرفع يده . فإذا تحتها آية الرجم . فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما . قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه ، عن ابن عمر قال : أتى نفر من اليهود ، فدعوا رسول الله ﷺ إلى الْقَفِّ ^(٥٥) ، فأتاهم في بيت المدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم ، إن رجلاً منا زنى بامرأة ، فاحكم . قال : ووضعا لرسول الله ﷺ وسادة ، فجلس عليها . ثم قال : [« اتنوني بالتوراة » . فَأَتَى بها ، فنزع الوسادة من تحته ، ووضع التوراة عليها ، وقال : آمنت بك وبمن أنزلك . ثم قال :] « اتنوني بأعلمكم » . فَأَتَى بفتى شاب ، ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع .

وقال الزهري : سمعت رجلاً من مزينة ، ممن يتبع العلم ويعيه ، ونحن عند ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : زنى رجل من اليهود بامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا إلى هذا النبي ، فإنه بعث بالتخفيف ، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها ، واحتججنا بها عند الله ، قلنا : فتيا [نبي من أنبيائك] ، قال : فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على الباب فقال :

(٥٣) موطأ مالك مع تنوير الحوالك (ج ٣ ص ٣٨) .

(٥٤) صحيح البخاري (ج ٨ ص ٢٢٤) ومسلم (ج ٣ ص ١٣٢٦) .

(٥٥) القف بضم القاف وتشديد الفاء اسم واد بالمدينة كما في التعليق على أبي داود (ج ٤ ص ٥٩٧) .

أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ ؟ قَالُوا : يُحَمِّمُ ، وَيُجَبِّهِ وَيَجْلِدُ . وَالتَّجْبِيهِ ؛ أَنْ يَحْمِلَ الزَّانِيَانِ عَلَى حِمَارٍ ، وَتَقَابِلُ أَقْفَيْتَيْهِمَا ، وَيَطَافُ بِهِمَا ، قَالَ : وَسَكَتَ شَابٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَكَتَ أَلْظُّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّشْدَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِذْ نَشَدْتَنَا ، فَإِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَمَا أَوَّلُ مَا ارْتَخَصْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ ؟ قَالَ : زَنَى ذُو قَرَابَةٍ مِنْ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِنَا ، فَأَخْرَجْنَاهُ الرَّجْمَ ، ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ فِي أَثَرِهِ مِنَ النَّاسِ ، فَأَرَادَ رَجْمَهُ ، فَحَالَ قَوْمُهُ دُونَهُ وَقَالُوا : لَا يَرْجُمُ صَاحِبُنَا حَتَّى تَحْيَى بِصَاحِبِكَ فَرَجْمَهُ ! فَاصْطَلَحُوا هَذِهِ الْعُقُوبَةَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَإِنِّي أَحْكُمُ بِهَا فِي التَّوْرَةِ » فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجَمَا . قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَبَلَّغْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ .

رواه أحمد ، وأبو داود^(٥٦) - وهذا لفظه - وابن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مروة ، عن البراء بن عازب قال : مر على رسول الله ﷺ يهودي محمم مجلود ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ فقال : لا ، والله ، ولولا أنك تشدنتني بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيم على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد . فقال النبي ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه . قال : فأمر به فرجم ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ، لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيعَ هَذَا فَخَذُوهُ ﴾ ، يقولون : اتوا محمداً ، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ، إلى قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، قال : في اليهود إلى قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قال : في اليهود ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ قال : في الكفار كلها^(٥٧) .

انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من غير وجه ، عن الأعمش ، به . وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مجالد بن سعيد الهمداني ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله قال : زنى رجل من أهل

(٥٦) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٥٩٨) وتفسير الطبري (ج ١٠ ص ٣٠٥) وهو ضعيف لأننا لا نعرف من هذا الذي سمعه الزهري منه .

(٥٧) مسند أحمد (ج ٤ ص ٢٨٦) والحديث كما ذكر الحافظ في صحيح مسلم (ج ٣ ص ١٣٢٧) ، وسنن أبي داود (ج ٤ ص ٥٩٦) وعزاه المزي إلى النسائي في السنن الكبرى ، وابن ماجه (ج ٢ ص ٨٥٥) .

فَدَكَ ، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة : أن سلوا محمداً عن ذلك ، فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه ، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه ، فسألوه عن ذلك ، قال : أرسلوا إليّ أعلم رجلين فيكم . فجاءوا برجل أعور - يقال له : ابن سوريا - وآخر ، فقال لهما النبي ﷺ : أنتم أعلم من قبلكما . فقالا : قد دعانا قومنا لذلك ، فقال النبي ﷺ لهما : أليس عندكم التوراة فيها حكم الله ؟ قالا : بلى . فقال النبي ﷺ : فأنشدكم بالذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وظلل عليكم الغمام ، وأنجاكم من آل فرعون ، وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقال أحدهما للآخر : ما نُشِدْتُ بمثله قط . قالا : نجد تردد النظر زنية والاعتناق زنية ، والقبل زنية ، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يديء ويعيد ، كما يدخل الميل في المُكْحَلَة ، فقد وجب الرجم . فقال النبي ﷺ : هو ذاك . فأمر به فُرجِمَ ، فنزلت : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرُضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئاً ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث مجالد ، به نحوه^(٥٨) . ولفظ أبي داود عن جابر قال : جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا ، فقال : اثبوني بأعلم رجلين منكم . فاتوه بابني سوريا ، فنشدهما : كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المُكْحَلَة ، رجما . قال : فما يمنعكم أن ترجموها ؟ قالا : ذهب سلطاننا ، فكرهنا القتل . فدعا رسول الله ﷺ بالشهود ، فجاءوا أربعة ، فشهدوا أنهم رأوا ذكره في [فرجها] مثل الميل في المكحلة ، فأمر رسول الله ﷺ . برجمهما .

ثم رواه أبو داود ، عن الشعبي وإبراهيم النخعي ، مرسل^(٥٩) ، ولم يذكر فيه : فدعا بالشهود فشهدوا . فهذه أحاديث دالة على أن رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة ، وليس هذا من باب الإلزام لهم بما يعتقدون صحته ، لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة ، ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك ، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقرهم على ما بأيديهم ، مما تراضوا على كتابته وجحدته ، وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة . فلما اعترفوا به مع عملهم على خلافه ، بان زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم . وعدوهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم ، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ، ولهذا قالوا : ﴿ إِنْ أَوْتَيْتُمْ هَذَا ﴾ أي : الجلد والتحميم ﴿ فخذوه ﴾ ، أي : اقبلوه ﴿ وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ أي : من قبوله واتباعه .

(٥٨) الحديث في أبي داود (ج ٤ ص ٦٠٠) وابن ماجه (ج ٢ ص ٧٨٠) ولم يذكره ابن ماجه إلا مختصراً وهو ضعيف فقد تقدم أن مجالد بن سعيد هذا ضعيف وعليه يدور الحديث ، والصحيح إرساله كما يرويه الثقات عن الشعبي مرسلأ .

(٥٩) (ج ٤ ص ٦٠١) .

قال الله تعالى : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، سماعون للكذب ﴾ ، أي : الباطل ﴿ أكلون للسحت ﴾ ، أي : الحرام ، وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد . أي : ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له ؟ .

ثم قال لنبينه : ﴿ فإن جاؤوك ﴾ ، أي : يتحاكمون إليك ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ﴾ ، أي : فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق ، بل ما وافق هواهم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني : هي منسوخة بقوله : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ ، أي : بالحق والعدل ، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾^(٦٠) .

ثم قال تعالى - منكرأ عليهم في آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الزائغة ، في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً ، ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا إلى غيره ، مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم ، فقال : ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ، ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين ﴾ .

ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران فقال : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ ، أي : لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها ﴿ والربانيون والأخبار ﴾ أي : وكذلك الربانيون منهم وهم العباد العلماء ، والأخبار وهم العلماء ﴿ بما استُحفظوا من كتاب الله ﴾ أي : بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه ويعملوا به ﴿ وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ ، أي : لا تخافوا منهم وخافوني ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ فيه قولان سيأتي بيانها .

سبب آخر لنزول هذه الآيات الكريمة

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : إن الله أنزل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك

(٦٠) كل هذه الآثار بأسانيدھا في تفسير الطبري ولربما تركنا الحكم على بعض ما يمر بنا منها إما لوضوحه وإما لغرض التخفيف على الكتاب .

هم الكافرون . وأولئك هم الظالمون . وأولئك هم الفاسقون ﴿ قال : قال ابن عباس : أنزلها الله في الطائفتين من اليهود ، كانت إحداها قد قهرت الأخرى في الجاهلية ، حتى ارتضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة [فديته خمسون وسقاً ، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة ، فذلت الطائفتان كلتاها ، لمقدم رسول الله ﷺ ، ويومئذ لم يظهر ، ولم يوطئهما عليه ، وهو في الصلح ، فقتلت الذليلة] من العزيزة قتيلاً ، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة : أن ابعثوا لنا بمائة وسق . فقالت الذليلة : وهل كان [هذا] في حَيِّين [قط] دينهما واحد ، ونسبهما واحد ، وبلدهما واحد : دية بعضهم نصف دية بعض . إنما أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا ، وفرقاً منكم ، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم [ذلك] . فكادت الحرب تهبج بينهما ، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم ، ثم ذكرت العزيزة فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ، ولقد صدقوا ، ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم ، فدرسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه ، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه . فدرسوا إلى رسول الله ﷺ ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ ، فلما جاؤوا رسول الله ﷺ أخبر الله ﷻ رسوله ﷺ بأمرهم كله ، وما أرادوا ، فأنزل الله تعالى . ﴿ يا أيها الرسول ، لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ إلى قوله : ﴿ الفاسقون ﴾ ، ففهم - والله - أنزل ، وإياهم عنى الله عز وجل ^(٦١) .

ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، بنحوه .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا هناد بن السري وأبو كريب قالوا : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن الآيات في « المائدة » ، قوله : ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ إلى ﴿ المقسطين ﴾ ، إنما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة ، وذلك أن قتلى بني النضير ، كان لهم شرف ، ثودى الدية كاملة ، وأن قريظة كانوا يُودون نصف الدية . فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك ، فجعل الدية في ذلك سواء - والله أعلم أي ذلك كان ^(٦٢) .

ورواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من حديث ابن إسحاق .

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن علي بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت قريظة والنضير ، وكانت النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة [رجلاً من النضير] قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً

(٦١) مسند أحمد (ج ١ ص ٢٤٦) وإبراهيم بن العباس صوابه : ابن أبي العباس وهو ثقة ، وهذا الإسناد حسن فابن أبي الزناد ممن يحسن حديثه .

(٦٢) تفسير الطبري (ج ١٠) (ص ٣٢٦) وداود بن الحصين ثقة إلا في روايته عن عكرمة وهذا منها .

من قريظة ، ودي مائة وسق تمر . فلما بعث رسول الله ﷺ ، قتل رجل من النصير رجلاً من قريظة ، فقالوا : ادفعه إلينا . فقالوا : بيننا وبينكم رسول الله ﷺ . فنزلت : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾^(٦٣) .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم في المستدرک ، من حديث عبيد الله بن موسى ، بنحوه .

وهكذا قال قتادة ، ومقاتل بن حيان ، وابن زيد وغير واحد .

وقد روى العوفي ، وعلي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس : أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا ، كما تقدمت الأحاديث بذلك . وقد يكون اجتماع هذان السببان في وقت واحد ، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله ، والله أعلم .

ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ وكنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ٠٠٠ ﴾ إلى آخرها . وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصاص ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ، قال البراء بن عازب ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عباس ، وأبو مجلز ، وأبو رجاء العطاردي ، وعكرمة ، وعبيد الله بن عبد الله ، والحسن البصري ، وغيرهم : نزلت في أهل الكتاب - زاد الحسن البصري : وهي علينا واجبة^(٦٤) .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ، ورضي الله لهذه الأمة بها . رواه ابن جرير^(٦٥) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن علقمة ومسروق : أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة ، فقال : من السحت . قال : فقالا : وفي الحكم ؟ قال : ذاك الكفر . ! ثم تلا : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾^(٦٦) .

(٦٣) وهذا أيضاً من رواية سماك عن عكرمة وهي مضطربة ، وعلي بن صالح هو ابن صالح بن حي أخو حسن ثقة عابد .

(٦٤) انظر تفسير الطبري (ج ١٠ ص ٣٤٧ - ٣٥٥) .

فائدة : أثر حذيفة من رواية أبي البختري : سعيد بن فيروز يرسل كثيراً ولم يسمع من كثير من الصحابة .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : عن ابن سعد ما كان سماعاً فهو حسن وما كاف غيره فضعيف . انظر التهذيب .

(٦٥) وهذا فيه أيضاً وهو صحيح لكنه مرسل .

(٦٦) إسناده صحيح إلى ابن مسعود والأثر عند الطبري (ج ١٦٦/٦) طبعة دار المعرفة وحكمت على إسناده

بالصححة لأن عبد الملك بن أبي سليمان وثقه أحمد ويحيى بن معين والنسائي وابن عمار والعجلي وقبلهم سفيان =

وقال السدي : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ، يقول : ومن لم يحكم بما أنزلت ، فتركه عمداً ، أو جار وهو يعلم ، فهو من الكافرين .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ، قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر . ومن أقر به ولم يحكم ، فهو ظالم فاسق . رواه ابن جرير .

ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب ، أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب . وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن زكريا ، عن الشعبي : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ ، قال : للمسلمين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا شعبة ، عن ابن أبي السفر ، عن الشعبي : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله [فأولئك هم الكافرون] ﴾ ، قال : هذا في المسلمين ، ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ، قال : هذا في اليهود ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله [فأولئك هم الفاسقون] ﴾ ، قال : هذا في النصارى .

وكذا رواه هشيم والثوري ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي ^(٦٧) .

وقال عبد الرزاق أيضاً : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ ومن لم يحكم ... ﴾ الآية ، قال : هي به كفر - قال ابن طاوس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ^(٦٨) .

وقال الثوري ، عن ابن جريج عن عطاء أنه قال : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ^(٦٩) ، رواه ابن جرير .

وقال وكيع [عن سفيان] عن سعيد المكي ، عن طاوس : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله

= الثوري يقول : ثقة متقن فقيه . وقال الترمذي : ثقة مأمون لا نعلم أحداً تكلم فيه غير شعبة قلت : فالرجل ثقة وشعبة رحمه الله قد عرف عنه مثل هذا يقال له : لم لم ترو عن فلان ؟ فيقول : رأيته يركض على بردون أو سمعت في بيته طنبوراً ولعله تأثر بشيخه الحكم بن عتيبة فإنه قال له شعبة : لم لم ترو عن زاذان ؟ فقال : كان كثير الكلام .

وقد قصر الحفاظ في تقريب التهذيب وقال في عبد الملك : إنه صدوق له أوهام والذي يظهر لي أنه لا يتزل عن ثقة ، والله أعلم .

(٦٧) هذا فهم الشعبي رحمه الله ، والصحيح ما تقدم من أسباب النزول ، والله أعلم .

(٦٨) سنده صحيح إلى ابن عباس .

(٦٩) ابن جريج مدلس وقد عنعن .

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٧٠﴾ ، قال : ليس بكفر ينقل عن الملة^(٧٠) .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ قال : ليس بالكفر الذي يذهبون إليه^(٧١) .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث سفيان بن عيينة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٧٢) .

وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧١﴾

وهذا أيضاً مما وُجِّهَتْ به اليهود وقرعوا عليه ، فإن عندهم في نص التوراة : أن النفس بالنفس . وهم يخالفون حكم ذلك عمداً وعناداً ، ويُقيدون النصري من القرطي ، ولا يُقيدون القرطي من النصري ، بل يعدلون إلى الدية ، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن ، وعدلوا إلى ما اصطَلَحُوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ، ولهذا قال هناك : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً ، وقال هاهنا : ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم [في الأمر] الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه ، فخالفوا وظلموا ، وتعدى بعضهم على بعض .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن أبي علي بن يزيد - أخي يونس بن يزيد - عن الزهري ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ نصب النفس ورفع العين^(٧٣) .

(٧٠) كل هذه الآثار في تفسير الطبري (ج ١٠ / ٣٥٤ - ٣٥٧) تحقيق أحمد شاکر بأسانيدھا ، وسعيد المکی هو ابن حسان قاص أهل مكة صدوق له أوهام .

(٧١) سنده حسن هشام بن حجير صدوق له أوهام .

(٧٢) (ج ٢ / ٣١٣) وفيه أنه قال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ليس فيه على شرط الشيخين فلعل النسخة التي اطلع عليها الحافظ ابن كثير تخالف المطبوعة في الحكم على الحديث ، والله أعلم .

(٧٣) أبو علي بن يزيد أخو يونس بن يزيد الأيلي مجهول العين لم يرو إلا عن الزهري ولم يرو عنه غير أخيه . وأيضاً =

وكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن المبارك ، وقال الترمذي : حسن غريب

وقال البخاري : تفرد ابن المبارك بهذا الحديث .

وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا ، إذا حكمي مقررأ ولم ينسخ ، كما هو المشهور عن الجمهور ، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الإسفرايني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب ، بهذه الآية ، حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة .

وقال الحسن البصري : هي عليهم وعلى الناس عامة . رواه ابن أبي حاتم .

وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسألة ثلاثة أوجه ، ثالثها : أن شرع إبراهيم حجة دون غيره ، وصحح منها عدم الحجية ، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفرايني أقوالاً عن الشافعي ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا فإله أعلم .

وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ ، رحمه الله ، في كتابه « الشامل » إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه ، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة ، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره : أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم : أن الرجل يقتل بالمرأة^(٧٤) وفي الحديث الآخر : « المسلمون تتكافأ دماؤهم »^(٧٥) ، وهذا قول جمهور العلماء .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها ، إلا أن يدفع

= لم يوثقه معتبر . والحديث في المسند (ج ٣ / ٢١٥) وعند أبي داود في سننه (ج ٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣) وعند الترمذي (ج ٥ / ١٨٦) وعند الحاكم (ج ٢ / ٢٣٦) من طريق أبي علي الأيلي وهو مجهول فالحديث ضعيف لذلك ، والله أعلم .

(٧٤) هذا قطعة من حديث رواه النسائي (ج ٨ / ٥٨ ، ٥٩) وقال أبو عبد الرحمن النسائي وسليمان بن أرقم متروك الحديث ، وقد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلأ . انتهى .

قلت : وعلى كل فالحديث ضعيف لضعف سليمان ، والمرسل وإن صح سنده فهو من قسم الضعيف ، والله أعلم .

(٧٥) الحديث صحيح لغیره جاء من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وذلك عند أبي داود (ج ٤ / ٦٧٠) وابن ماجه (ج ٢ / ٨٩٥) وأحمد (ج ٢ / ٢١١) ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أبي داود (ج ١٢ / ١٦٠) من عون المعبود وعند النسائي (ج ٨ / ٢٤) وأحمد (ج ١ / ١٢٢) من طريق قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد عن علي ومن طريق قتادة أيضاً عن أبي حسان الأعرج واسمه مسلم بن عبد الله وهو صدوق رمي برأي الخوارج عن علي وجاء أيضاً من حديث ابن عباس ومعقل بن يسار وعائشة رضي الله عنهم أجمعين ولا تخلو طريق منها من مقال .

وليها إلى أوليائه نصف الدية ، لأن ديتها على النصف من دية الرجل ، وإليه ذهب أحمد في رواية [وحكي عن الحسن ، وعطاء ، وعثمان البتي . ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة] لا يقتل بها ، بل تجب ديتها .

وهكذا احتج أبو حنيفة ، رحمه الله تعالى ، بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر الذمي ، وعلى قتل الحر بالعبد ، وقد خالفه الجمهور فيهما ، ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقتل مسلم بكافر »^(٧٦) وأما العبد فعن السلف في آثار متعددة : أنهم لم يكونوا يُقيدون العبد من الحر ، ولا يقتلون حرّاً بعبد ، وجاء في ذلك أحاديث لا تصح ، وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك ، ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل مخصص للآية الكريمة .

ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، حدثنا حميد ، عن أنس بن مالك : أن الرُّبَّيعَ عَمَّةَ أنس كسرت ثنيةً جارية ، فطلبوا إلى القوم العفو ، فأبوا ، فأتوا رسول الله ﷺ فقال : « القصاص » . فقال أخوها أنس بن النضر : يا رسول الله ، تكسر ثنية فلانة ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : « يأانس ، كتاب الله القصاص » . قال : فقال : لا ، والذي بعثك بالحق ، لا تكسر ثنية فلانة . قال : فرضي القوم ، ففعلوا وتركوا القصاص ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره »^(٧٧) .

أخرجاه في الصحيحين^(٧٨) . وقد رواه محمد بن عبد الله بن المثني الأنصاري ، في الجزء المشهور من حديثه ، عن حميد ، عن أنس بن مالك : أن الرُّبَّيعَ بنت النضر عَمَّتُهُ لطمت جارية فكسرت ثنيتهما ، فعرضوا عليهن الأرض ، فأبوا فطلبوا الأرض والعفو فأبوا ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال : يا رسول الله ، أتكسر ثنية الربيع ؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما . فقال النبي ﷺ : « يا أنس ، كتاب الله القصاص » . فعفا القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » . رواه البخاري عن الأنصاري . فأما الحديث الذي رواه أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن

(٧٦) الحديث في البخاري (ج ١٢ / ٢٦٠) ولم أقف عليه في صحيح مسلم وأشار المزي في الأطراف بقوله (خ ت س ق) . يعني أن هذه القطعة من الحديث ليست عند مسلم ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر (٢٣١ / ١) من الفتح وقد وافقه مسلم على تخريجها إلا ستة عشر حديثاً إلى قوله : وحديث علي في الصحيفة . (ج ٣ / ١٢٨) من المسند .

(٧٨) عند البخاري (ج ١٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤) وعند مسلم (ج ٣ / ١٣٠٢) ورواه أبو داود (ج ٤ ص ٧١٧) والنسائي (ج ٨ / ٢٧) وابن ماجه (ج ٢ / ٨٨٤ - ٨٨٥) .

أبي نَضْرَةَ ، عن عمران بن حصين ، أن غلاماً لأناس فقراء قطع أذن غلام لأناس أغنياء ، فأقى أهله النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إنا أناس فقراء ، فلم يجعل عليه شيئاً^(٧٩) . وكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه ، عن معاذ بن هشام الدستوائي ، عن أبيه ، عن قتادة ، به . وهذا إسناد قوي رجاله كلهم ثقات ، فإنه حديث مشكل ، اللهم إلا أن يقال : إن الجاني كان قبل البلوغ ، فلا قصاص عليه ، ولعله تحمل أرش ما نقص من غلام الأغنياء عن الفقراء ، أو استعفاهم عنه .

وقوله تعالى : ﴿ والجروح قصاص ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : تقتل النفس بالنفس ، وتفقأ العين بالعين ، ويقطع الأنف بالأنف ، وتنزع السن بالسن ، وتقتص الجراح بالجراح .

فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم ، رجالهم ونسأؤهم ، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس ويستوي فيه العبيد رجالهم ونسأؤهم فيما بينهم إذا كان عمداً ، في النفس وما دون النفس ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

[قاعدة مهمة]

الجراح تارة تكون في مفصل ، فيجب فيه القصاص بالإجماع ، كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك ، [وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم ، فقال مالك رحمه الله : فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها ، لأنه مخوف خطر . وقال أبو حنيفة وصاحبه : لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السن . وقال الشافعي : لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقاً ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب ، وابن عباس . وبه يقول عطاء ، والشعبي ، والحسن البصري ، والزهري ، وإبراهيم النخعي ، وعمر بن عبد العزيز . وإليه ذهب سفيان الثوري ، والليث بن سعد . وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد .

وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على مذهبه أنه لا قصاص في عظم إلا في السن . وحديث الربيع لا حجة فيه ، لأنه ورد بلفظ : كَسَرَتْ ثَنِيَّةً جارية وجائز أن تكون سقطت من غير كسر ، فيجب القصاص - والحالة هذه - بالإجماع . وتمموا الدلالة بما رواه ابن ماجه ، من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن دَهْثَم بن قُرَّان ، عن نَمْران بن جارية ، عن أبيه جارية ابن ظفر الحنفي : أن رجلاً ضرب رجلاً على ساعده بالسيف من غير المفصل ، فقطعها ، فاستعدى النبي ﷺ ، فأمر له بالدية ، فقال : يا رسول الله ، أريد القصاص . فقال : « خذ [الدية] ، بارك الله

(٧٩) الحديث رواه أبو داود (ج ٤ ص ٧١٢) والنسائي (ج ٨/٢٥ - ٢٦) وقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا إسناد قوي رجاله كلهم ثقات ، صحيح أنهم ثقات لكن قتادة مدلس وقد عنعن فتصحيح الحديث متوقف على تصريح قتادة ، والله أعلم .

لك فيها » . ولم يقض له بالقصاص^(٨٠).

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : ليس لهذا الحديث غير هذا الإسناد ، وَدَهْنَمُ بْنُ قُرَّانِ الْعُكْلِي ضَعِيفٌ أَعْرَابِي ، ليس حديثه مما يحتج به ، وغمران بن جارية ضعيف أعراي أيضاً ، وأبوه جارية ابن ظفر مذكور في الصحابة .

ثم قالوا : لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تندمل جراحة المجني عليه ، فإن اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه ، فلا شيء له ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد [حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، فذكر حديثاً ، قال ابن إسحاق : وذكر [عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رجلاً طعن رجلاً بقرن في ركبته ، فجاء إلى النبي ﷺ فقال : أقدمني .] فقال رسول الله ﷺ : « لا تعجل حتى يبرأ جرحك » . قال : فأبى الرجل إلا أن يستقيد [فأقاده رسول الله ﷺ منه ، قال : فخرج المستقيد وبرأ المستقاد منه فأبى المستقيد إلى رسول الله ﷺ] فقال [له] : يا رسول الله ، عرجت [وبرأ صاحبي] . فقال : « قد نهيتك فعصيتني ، فأبعدك الله وبطل عرجك » . ثم نبى رسول الله ﷺ أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه . تفرد به أحمد^(٨١) .

[مسألة]

فلو اقتص المجني عليه من الجاني ، فمات من القصاص فلا شيء عليه عند مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال أبو حنيفة : تجب الدية في مال المقتص . وقال عامر الشعبي ، وعطاء ، وطاوس ، وعمرو بن دينار ، والحارث العُكْلِي ، وابن أبي ليلى ، وحماد بن أبي سليمان ، والزهرري ، والثوري : تجب الدية على عاقلة المقتص له . وقال ابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة ، وعثمان البتي : يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ، ويجب الباقي في ماله .

وقوله : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يقول : فمن عفا عنه ، وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب ، وأجر للطالب . وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ﴾

(٨٠) الحديث في سنن ابن ماجه (ج ٢ / ٨٨٠) وهو عند البيهقي (ج ٨ / ٦٥) قال محمد فؤاد عبد الباقي : (فاستعدي) أي طلب منه أن يحمل ليأخذ منه له حقه .

(٨١) الحديث من طريق محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد قال فيه وذكر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهي صيغة تدل على التدليس ، فالحديث ضعيف وهو في المسند (ج ٢ / ٢١٧) لكن قد جاء من حديث جابر ، انظر الديات لابن أبي عاصم (ص ٦٣) من طريق عبد الله بن عبد الله الأموي لين الحديث وفيه عن عنة أبي الزبير .

تصدق به فهو كفارة له ﴿ ١ ٢ ٣ ﴾ ، [قال : كفارة] للجراح ، وأجر المجروح على الله ، عز وجل ^(٨٢) .
رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : وروى عن خيثمة بن عبد الرحمن ، ومجاهد ، وإبراهيم - في أحد قوله -
وعامر الشعبي ، وجابر بن زيد نحو ذلك الوجه الثاني ، ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا حماد بن زاذان ، حدثنا حرمي - يعني ابن عمار - حدثنا شعبة ، عن عمار -
يعني ابن أبي حفصة - عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، في قول الله ، عز وجل : ﴿ فمن تصدق
به فهو كفارة له ﴾ ، قال : للمجروح ^(٨٣) . وروى عن الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي - في
أحد قوله - وأبي إسحاق الهمداني ، نحو ذلك .

وروى ابن جرير ، عن عامر الشعبي وقتادة ، مثله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ،
عن قيس - يعني ابن مسلم - قال : سمعت طارق بن شهاب يحدث ، عن الهيثم أبي العريان النخعي
قال : رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمر شبيهاً بالموالي ، فسألته عن قول الله : ﴿ فمن تصدق
به فهو كفارة له ﴾ ، قال : يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به ^(٨٤) .

وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم . وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان

وشعبة .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثني محمد بن علي ، حدثنا عبد الرحيم بن محمد الجاشعي ، حدثنا
محمد بن أحمد بن الحجاج المهري ، حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي ، حدثنا معلى - يعني ابن هلال -
أنه سمع أبان بن تغلب ، عن أبي العريان الهيثم بن الأسود ، عن عبد الله بن عمرو ، وعن أبان بن
تغلب ، عن الشعبي ، عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ فمن تصدق به فهو كفارة
له ﴾ ، قال : « هو الذي تكسر سنه ، أو تقطع يده ، أو يقطع الشيء منه ، أو يجرح في بدنه فيعفو
عن ذلك » ، قال : فَيَحِطُّ عنه قدر خطاياه ، فإن كان ربع الدية فربع خطاياه ، وإن كان الثلث فثلث
خطاياه ، وإن كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك ^(٨٥) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، حدثنا ابن فضيل ، عن يونس
ابن أبي إسحاق ، عن أبي السَّفَر قال : دفع رجل من قریش رجلاً من الأنصار ، فاندقت ثيته ، فرفعه
الأنصاري إلى معاوية ، فلما ألح عليه الرجل قال : شأئك وصاحبك . قال : وأبو الدرداء عند معاوية ،

(٨٢) سنده حسن إلى ابن عباس في الكواكب النيرات . أن شعبة وسفيان سمعا من عطاء قديماً .

(٨٣) أثر جابر ضعيف لأن فيه مبهماً . لكن عند الطبري (ج ١٠ / ٣٦٣) من طريق شعبة عن عمار بن

أبي حفصة عن أبي عقبة عن جابر بن زيد ، قال المعلق : وأبو عقبة لم أجد له ذكراً ولم أعرف من هو .

(٨٤) الهيثم بن الأسود لم يوثقه سوى العجلي وابن حبان .

(٨٥) ضعيف بهذا السند ، معلى بن هلال اتفق النقاد على تكذيبه .

فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يصاب بشيء في جسده ، فيهه ، إلا رفعه الله به درجة ، وحط عنه به خطيئة » . فقال الأنصاري : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعته أذناي ووعاه قلبي . فخلى سبيل القرشي ، فقال معاوية : مروا له بمال .

هكذا رواه ابن جرير^(٨٦) ، ورواه الإمام أحمد فقال : حدثنا وكيع ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السَّفر قال : كسر رجل من قريش سنَّ رجل من الأنصار ، فاستعدى عليه معاوية ، فقال [القرشي : إن هذا ذق سنِّي ؟] قال : معاوية : إنا سنرضيه . فألح الأنصاري ، فقال معاوية : شأنك بصاحبك ، وأبو الدرداء جالس ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يصاب بشيء في جسده ، فيتصدق به ، إلا رفعه الله به درجة وحط عنه بها خطيئة » . فقال الأنصاري : فإني . يعني قد عفوت^(٨٧) .

وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك ، وابن ماجه من حديث وكيع ، كلاهما عن يونس بن أبي إسحاق ، به . ثم قال الترمذي : غريب [لا نعرفه إلا] من هذا الوجه ، ولا أعرف لأبي السَّفر سماعاً من أبي الدرداء^(٨٨) .

وقال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا محمد بن علي بن زيد ، حدثنا سعيد ابن منصور ، حدثنا سفيان ، عن عمران بن ظبيان ، عن عدي بن ثابت : أن رجلاً هَتَمَ فمه رجل ، على عهد معاوية ، رضي الله عنه ، فأعطي دية ، فأبى إلا أن يقتص ، فأعطي ديتين ، فأبى ، فأعطي ثلاثاً ، فأبى . فحدث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من تصدق بدم فما دونه ، فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت »^(٨٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُريج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن الشعبي أن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن رجل يجرح من جسده جراحة ، فيتصدق بها ، إلا كفر الله عنه مثل ماتصدق به »^(٩٠) .

(٨٦) (ج ١٠ / ٣٦٤) وهو منقطع كما سيأتي عن الترمذي .

(٨٧) (ج ٦ / ٤٤٨) من المسند وفيه زيادة بعد قوله فقال الأنصاري : آلت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي يعني فعفا عنه .

(٨٨) وابن ماجه اقتصر على القدر المرفوع منه انظر (ج ٢ / ٨٩٨) وأبو السفر هو سعيد بن محمد بضم الياء وكسر الميم كما ضبطه الحافظ في التقريب وأصحاب الحديث يقولونه بفتح الياء كما في التهذيب قال وذكر أبو علي الجبائي أن كل ما في حمير من هذه الأسماء مثل محمد ويعفر فهو بالضم وما في الأزد وبقية العرب فهو بالفتح ، وقال الحافظ ابن حجر عقب ذكره لكلام الترمذي في سماع أبي السفر من أبي الدرداء : وما أظنه أدركه فإن أبا الدرداء قديم الموت . انتهى من التهذيب .

(٨٩) ضعيف من هذا الوجه لضعف عمران بن ظبيان .

(٩٠) الحديث في المسند (ج ٥ / ٣١٦) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ورواه ابن جرير (ج ٦ / ١٦٨) ط دار المعرفة . وهشيم بن بشير مدلس لكنه قد صرح بالإخبار عند الطبراني . وفي جامع التحصيل أن الشعبي =

ورواه النسائي ، عن علي بن حجر ، عن جرير بن عبد الحميد^(٩١) - ورواه ابن جرير ، عن محمود بن خدّاش ، عن هشيم - كلاهما عن المغيرة ، به^(٩٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن مجالد ، عن عامر ، عن المحرر بن أبي هريرة ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : من أصيب بشيء من جسده ، فتركه الله كان كفارة له^(٩٣) .

وقوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ، قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا : كُفّر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن
لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى : ﴿ وقفينا ﴾ ، أي : أتبعنا ﴿ على آثارهم ﴾ يعني . أنبياء بني إسرائيل ﴿ بعيسى ابن مريم ، مصدقاً لما بين يديه من التوراة ﴾ ، أي : مؤمناً بها حاكماً بما فيها ﴿ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ﴾ ، أي : هدى إلى الحق ، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات . ﴿ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ﴾ ، أي : متبعاً لها ، غير مخالف لما فيها ، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه ، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ . ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة . وقوله : ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ ، أي : وجعلنا الإنجيل ﴿ هدى ﴾ يهتدى به ، ﴿ وموعظة ﴾ أي : وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم ﴿ للمتقين ﴾ ، أي : لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه .

وقوله : ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾ ، قرئ ، ﴿ وليحكم ﴾ بالنصب ،

= أرسل عن عبادة ، وقال البيهقي عقب روايته لحديث أبي الدرداء : ولحديث عبادة كلاهما منقطع انظر (ج ٨ / ٥٥ - ٥٦) من السنن الكبرى .

(٩١) تقدم .

(٩٢) تقدم أيضاً كلاهما في حاشية (٤) .

(٩٣) مجالد فيه ضعف والمحرر مقبول والحديث في المسند (ج ٥ / ٤١٢) .

على أن اللام لام كي ، أي : وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم . وقرىء ﴿ وَلِيُخَكِّمَ ﴾ بالجزم واللام لام الأمر ، [أي : ليؤمنوا بجميع ما فيه ، وليقيموا مأمروا به فيه ، وبما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر] باتباعه وتصديقه إذا وجد ، كما قال تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب ، لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ... ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ... ﴾ إلى قوله : ﴿ المفلحون ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ ، أي : الخارجون عن طاعة ربهم ، المائلون إلى الباطل ، التاركون للحق . وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى ، وهو ظاهر السياق .

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِزُونَ شَاءَ اللَّهُ لِيُخَكِّمَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيُطْلِقَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨ وَأِنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَاحِذُهُمْ أَنْ يَفْشَوْكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها الله على موسى كليمه ، ومدحها وأثنى عليها ، وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع ، وذكر الإنجيل ومدحه ، وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه ، كما تقدم بيانه ، شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم ، الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم ، فقال : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ ، أي : بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ، ﴿ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾ ، أي : من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه ، وأنه سينزل من عند الله على عبده

ورسوله محمد ﷺ ، فكان نزوله كما أخبرت به ، مما زادها صدقاً عند حاملها من ذوي البصائر ، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله ، وصدقوا رسل الله ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ ، أي : إن كان ما وعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين ، من مجيء محمد عليه السلام ﴿ لَمَفْعُولًا ﴾ ، أي : لكائناً لا محالة ولا بد .

وقوله : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ، قال سفيان الثوري وغيره ، عن أبي إسحاق . عن التميمي^(٩٤) ، عن ابن عباس ، أي : مؤتمناً عليه .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : المهيمن : الأمين ، قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله .

وروي عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني والسدي ، وابن زيد ، نحو ذلك .

وقال ابن جريج : القرآن أمين على الكتب المتقدمة ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل .

وعن الوالبي ، عن ابن عباس : ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ أي : شهيداً . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ ، أي : حاكماً على ما قبله من الكتب .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم « المهيمن » يتضمن هذا كله ، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم ، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها ، أشملها وأعظمها وأحكمها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها . وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة ، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فأما ما حكاه ابن أبي حاتم ، عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وابن أبي نجيح عن مجاهد : أنهم قالوا في قوله : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ، يعني : محمداً ﷺ أمين على القرآن ، فإنه صحيح في المعنى ، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر ، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر . وبالجملته فالصحيح الأول ، قال أبو جعفر بن جرير ، بعد حكايته له عن مجاهد : وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب ، بل هو خطأ . وذلك أن « المهيمن » عطف على « المصدق » ، فلا

(٩٤) هو أريدة ويقال : أريد بدون هاء ، روى التفسير عن ابن عباس وروى عنه أبو إسحاق قال ابن البرقي : مجهول .

يكون إلا من^(٩٥) صفة ما كان « المصدق » صفة له . قال : ولو كان كما قال مجاهد لقال : « وأنزلنا إليك الكتاب مُصدقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه » . يعني من غير عطف .

وقوله : ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ ، أي : فاحكم يا محمد بين الناس : عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ، ﴿ بما أنزل الله ﴾ إليك في هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك . هكذا وجهه ابن جرير بمعناه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ مخيراً ، إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى أحكامهم ، فنزلت : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ﴾ فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا^(٩٦) .

وقوله : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ ، أي : آراءهم التي اصطلحوا عليها ، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله . ولهذا قال : ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ ، أي : لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء .

وقوله : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ﴾ قال : سيلاً .

وحدثنا أبو سعيد ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ ومنهاجاً ﴾ ، قال : وسنة .

وكذا روى العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ : سيلاً وسنة .

وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وأبي إسحاق السبيعي أنهم قالوا في قوله : ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ ، أي : سيلاً وسنة .

وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعطاء الخراساني عكسه : ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ ، [أي : سنة وسيلاً . والأول أنسب ، فإن الشرعة] وهي الشريعة أيضاً ، هي ما يتبدأ فيه إلى الشيء . ومنه يقال : شرع في كذا أي : ابتداء فيه . وكذا الشريعة وهي ما يشرع [منها] إلى الماء . أما « المنهاج » فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن : الطرائق . فتفسير قوله : ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ بالسييل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، والله أعلم .

(٩٥) كذا هو عند الطبري وفي بعض النسخ من تفسير ابن كثير فلا يكون إلا لما كان المصدق صفة له .

(٩٦) رجاله كلهم ثقات محمد بن عمار هو الرازي .

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان ، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام ، المتفقة في التوحيد ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد »^(٩٧) . يعني بذلك التوحيد ، الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ﴾ الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة .

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قوله : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ ، يقول : سبيلاً وسنة . والسنن مختلفة : هي في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي الفرقان شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ، ويحرم ما يشاء ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، والدين الذي لا يقبل الله غيره : التوحيد والإخلاص لله ، الذي جاءت به الرسل .

وقيل : المخاطب بهذا هذه الأمة ، ومعناه : ﴿ لكل جعلنا ﴾ القرآن ﴿ منكم ﴾ أيها الأمة ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ . أي : هو لكم كلكم ، تقتدون به . وحذف الضمير المنصوب في قوله : ﴿ لكل جعلنا منكم ﴾ ، أي : جعلناه ، يعني القرآن ، ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾ ، أي : سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة ، وسنة أي : طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً .

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله ، والصحيح القول الأول ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ ، فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ [وهم أمة واحدة] ، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم ، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها . ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة ، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده ، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ ، الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة ، وجعله خاتم الأنبياء كلهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليلوكم فيما آتاكم ﴾ ، أي : أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ، ليختبر عباده فيما شرع لهم ، ويشيهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته ، بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله .

وقال عبد الله بن كثير : ﴿ فيما آتاكم ﴾ ، يعني : من الكتاب .

(٩٧) الحديث في البخاري (ج ٦ / ٢٧٧) ومسلم (ج ٤ / ١٨٣٧) ورواه أبو داود (ج ٥ / ٥٥) وانظر تفسير قوله تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم ... ﴾ الآية .

ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها ، فقال : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ ، وهي طاعة الله واتباع شرعه ، الذي جعله ناسخاً لما قبله ، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله .

ثم قال تعالى : ﴿ إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ ، أي : معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ ، أي : فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق ، فيجزي الصادقين بصدقهم ، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق ، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان ، بل هم معاندون للبراهين القاطعة ، والحجج البالغة ، والأدلة الدامغة .

وقال الضحاك : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ ، يعني : أمة محمد ﷺ . والأظهر الأول .

وقوله : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ ، تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك ، والنهي عن خلافه . ثم قال : ﴿ واحذرهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ ، أي : احذر أعدائك اليهود أن يدلّسوا عليك الحق فيما يُنهونه إليك من الأمور ، فلا تغتر بهم ، فإنهم كذبة كفرة خونة . ﴿ فإن تولوا ﴾ ، أي : عما تحكم به بينهم من الحق ، وخالفوا شرع الله ﴿ فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ ، أي : فاعلم أن ذلك كائن عن قدر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذنوب السالفة ، التي اقتضت إضلالهم ونكالهم . ﴿ وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾ أي : أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم ، مخالفون للحق ناعون عنه ، كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ... ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد^(٩٨) بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ! فأتوه ، فقالوا : يا محمد إنك قد عرفت أننا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك ، فتقضي لنا عليهم ، ونؤمن لك ونصدقك ! فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك .. ﴾ إلى قوله : ﴿ لقوم يوقنون ﴾ .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكّم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وعدل

إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان ، الذي وضع لهم اليساق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ، قال الله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يغون ﴾ أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون . ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، أي : ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقَلَ عن الله شرعه ، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هلال بن فياض ، حدثنا أبو عبيدة الناجي ، قال : سمعت الحسن يقول : من حكم بغير حكم الله ، فحكم الجاهلية^(٩٩) .

وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح قال : كان طاوس إذا سأل رجل : أفضل بين ولدي في التَّحُلِّ ؟ قرأ : ﴿ أفحكم الجاهلية يغون ... ﴾ الآية^(١٠٠) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخوطي ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله عز وجل مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه » . وروى البخاري ، عن أبي اليمان بإسناده ، نحوه^(١) .

(٩٩) أبو عبيدة الناجي قال الدولابي في الكنى : صاحب الحسن يروي المواعظ ليس به بأس واسمه بكر بن الأسود .
(١٠٠) سنده صحيح إلى طاوس .

(١) (ج ٢١٠/١٢) ولفظ البخاري : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه » . انتهى قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث ، قال المهلب وغيره : والمراد بهؤلاء الثلاثة أنهم أبغض أهل المعاصي إلى الله فهو كقوله : أكبر الكبائر ، وإلا فالشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي : وقال أصل الملحد : هو المائل عن الحق . قال : وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره . قال : وسنة الجاهلية اسم جنس يعم ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ
مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُوا الَّذِينَ اقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى ، الذين هم أعداء الإسلام وأهله ،
[قاتلهم الله] ، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال : ﴿ ومن
يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .

[قال ابن أبي حاتم] حدثنا كثير بن شهاب ، حدثنا محمد - يعني ابن سعيد بن سابق -
حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك بن حرب ، عن عياض : أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن
يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد ، وكان له كاتب نصراني ، فرفع إليه ذلك ، فعجب عمر
وقال : إن هذا الحفيظ ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام ؟ فقال : إنه لا يستطيع .
فقال عمر : أجنب هو ؟ قال : لا ، بل نصراني . قال : فانتهرني وضرب فخذي ، ثم قال : أخرجوه ،
ثم قرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... ﴾ الآية ^(١) .

ثم قال الحسن بن محمد بن الصباح : حدثنا عثمان بن عمر ، أنبأنا ابن عون ، عن محمد
ابن سيرين قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً ، وهو لا يشعر .
قال : فظنناه يريد هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... ﴾
الآية ^(٢) .

(٢) عياض هو ابن عمرو الأشعري مختلف في صحبته وأبو حاتم على أنه تابعي أرسل عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وعمرو بن أبي قيس قال أبو دود : في حديثه خطأ ، وقال في موضع آخر : لا بأس به ، وقال
عثمان بن أبي شيبة : كان بهم في الحديث قليلاً ، وقال البزار : مستقيم الحديث فالذي يظهر لي أنه يصلح
من كان هذا وصفه .

(٣) الأثر سنده صحيح إلى عبد الله بن عتبة .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب ، فقال : كل ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منهم فإنه ﴾^(٤) .

وروي عن أبي الزناد ، نحو ذلك .

وقوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ ، أي : شك ، وريب ، ونفاق ﴿ يسارعون فيهم ﴾ ، أي : يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر ، ﴿ يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ ، أي : يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين ، فتكون لهم أباد عند اليهود والنصارى ، فينفعهم ذلك ، عند ذلك قال الله تعالى : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ ، قال السدي : يعني فتح مكة . وقال غيره : يعني القضاء والفصل ﴿ أو أمر من عنده ﴾ ، قال السدي : يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ فيصبحوا ﴾ ، يعني : الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين ﴿ على ما أسروا في أنفسهم ﴾ من الموالاة ﴿ نادمين ﴾ ، أي : على ما كان منهم ، مما لم يجد عنهم شيئاً ، ولا دفع عنهم محذوراً ، بل كان عين المفسدة ، فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين ، بعد أن كانوا مستورين لا يدرى كيف حالهم . فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم ، تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين ، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ، ويحلفون على ذلك ويتأولون ، فبان كذبهم وافتراؤهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم ، حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ .

وقد اختلف القراء في هذا الحرف ، فقرأه الجمهور بإثبات الواو في قوله : ﴿ ويقول الذين ﴾ ، ثم منهم من رفع ﴿ ويقول ﴾ على الابتداء ، ومنهم من نصب عطفاً على قوله : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴾ ، تقديره ﴿ أن يأتي ﴾ ﴿ وأن يقول ﴾ . وقرأ أهل المدينة : ﴿ يقول الذين آمنوا ﴾ بغير واو ، وكذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير ، قال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴾ ، حيثذ ، ﴿ يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات ، فذكر السدي أنها نزلت في رجلين ، قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد : أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي ، فأوي إليه وأتهود معه ، لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث ! وقال الآخر : وأما أنا فأذهب إلى فلان النصراني بالشام ، فأوي إليه وأت نصرته . فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... ﴾ الآيات .

وقال عكرمة : نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة ،

(٤) سنده حسن إلى ابن عباس بن فضيل هو محمد صدوق عارف رمي بالتشيع ..

فسألوه : ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه ، أي : إنه الذبح . رواه ابن جرير ^(٥) .

وقيل : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ، كما قال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس قال : سمعت أبي ، عن عطية بن سعد قال : جاء عبادة بن الصامت ، من بني الخزرج ، إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لي موالى من يهود كثير عددهم ، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ، وأتولى الله ورسوله . فقال عبد الله ابن أبي : إني رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولاية موالي . فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن أبي : « يا أبا الحباب ، ما بَخَلْتُ به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » . قال : قد قبلت ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... ﴾ إلى قوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ ^(٦) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بُكير ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري قال : لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من يهود : آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر ! فقال مالك بن الصيف : أغركم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال !! أما لو أمرزنا العزيمة أن نستجمع عليكم ، لم يكن لكم يدٌ بقتالنا . فقال عبادة : يا رسول الله ، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم ، كثيراً سلاحهم ، شديدة شوكتهم ، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود ، ولا مولى لي إلا الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبي : لكني لا أبرأ من ولاء يهود ، أنا رجل لا بد لي منهم . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الحباب ، أرايت الذي نفست به من ولاء يهود على عبادة بن الصامت ، فهو لك دونه ؟ » فقال : إذا أقبل ! قال : فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ إلى قوله : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ^(٧) .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ [بنو قينقاع . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ] حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى . وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى . قال : فأعرض عنه . فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ : فقال له رسول الله ﷺ :

(٥) الأثر ضعيف إلى عكرمة فيه سنيد ثم أنه مرسل . (ج ١٧٨/٦ ط دار المعرفة) .

(٦) الحديث ضعيف لضعف عطية بن سعد وهو العوفي وأيضاً لإرساله فإن عطية يذكر قصة لعبادة مع النبي

صلى الله عليه وآله وسلم وهو تابعي . انظر (ج ١٧٧/٦) من الطبري .

(٧) الحديث ضعيف من وجهين الأول : ضعف عثمان بن عبد الرحمن فإنه متروك وكذبه ابن معين ، وقال البخاري

في التاريخ : سكتوا عنه . والثاني : الإعضال فإن الزهري يذكر قصة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وسبب نزول .

« أرسلني » . وغضب رسول الله ﷺ حتى رُئي لوجهه ظللاً ، ثم قال : « ويحك أرسلني » . قال : لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن في مَوَالِي ، أربعمئة حاسر ، وثلاثمئة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ؟ ! إني امرؤ أخشى الدوائر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « هُم لك » ^(٨) .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج ، له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله ورسوله ﷺ من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، تبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم . ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن [سعيد] ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد قال : دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نعوذه ، فقال له النبي ﷺ : « قد كنت أنكأ عن حُب يهود » . فقال عبد الله : فقد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمات ^(١٠) .

وكذا رواه أبو داود ، من حديث محمد بن إسحاق ^(١١) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
عَنْ دِينِهِ فَمَا يَتَّخِذِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعَزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

(٨) عاصم بن عمر بن قتادة ثقة عالم بالمغازي من الطبقة الرابعة وقد أرسله إذ هو تابعي لم يشهد تلك الحادثة .

(٩) إسحاق بن يسار ثقة وعبادة بن الوليد ثقة أيضاً لكن الحديث مرسل فإن عبادة بن الوليد تابعي لم يدرك ذلك الزمان .

(١٠) الحديث في المسند (ج ٢٠١/٥) وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه .

(١١) (ج ٤٧٢/٣) وفيه فقد أبغضهم سعد بن زرارة . فمه ؟ بدل قوله فمات .

وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ
اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته ، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة وأقوم سبيلاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ، أي : بمتع ولا صعب . وقال تعالى هاهنا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ ، أي : يرجع عن الحق إلى الباطل .

قال محمد بن كعب : نزلت في الولاة من قريش . وقال الحسن البصري : نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . .

﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، [قال الحسن : هو والله أبو بكر وأصحابه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [: هم أهل القادسية . وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : هم قوم من سبأ . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن محمد بن عمرو ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال : ناس من أهل اليمن ، ثم من كندة ، ثم من السكون^(١٢) .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصفي ، حدثنا معاوية - يعني ابن حفص - عن أبي زياد الخلفاني ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال : « هؤلاء قوم من أهل اليمن ، ثم من كندة ، ثم من السكون ، ثم من تميم »^(١٣) .

(١٢) الأثر سنده حسن إلى ابن عباس من أجل محمد بن عمرو بن علقمة وسالم هو ابن عجلان الأقطس .

(١٣) محمد بن المصفي ، قال الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين : قال أبو حاتم بن حبان : سمعت أبا الحسن ابن جوصا يقول : سمعت أبا زرعة الدمشقي يقول : كان صفوان بن صالح ومحمد بن المصفي يسويان الحديث كبقية بن الوليد .

قلت : وشرط قبول خبر من وصف بهذا أن يصرح بالتحديث أو نحوه مما يدل على الحضور والمشافهة =

وهذا حديث غريب جداً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا عبد الصمد - يعني ابن عبد الوارث - حدثنا شعبة ، عن سماك ، سمعت عياضاً يحدث عن الأشعري قال : لما نزلت : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : هم قوم هذا . ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه ^(١٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ﴾ ، هذه صفات المؤمنين الكُمَّل ، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه ، متعزراً على خصمه وعدوه ، كما قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وفي صفة النبي ﷺ أنه : الضحوك القتال ^(١٥) ، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه .

وقوله : ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ ، أي : لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله ، وقاتل أعدائه ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يردهم عن ذلك راد ، ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ، ولا عدل عاذل .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا سلام أبو المنذر ، عن محمد بن واسع ، عن عبد الله ابن الصامت ، عن أبي ذر قال : « أمرني خليلي ﷺ بسبع ، أمرني بحب المساكين والدين منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوق ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني

= من أول السند إلى آخره وأبو زياد الخلقاني لم تذكر له رواية عن ابن المنكدر فهذا احتمال أن محمد بن المصفي قد أسقط شخصاً من السند ، والله أعلم .

قلت : وفي التهذيب عن أحمد أنه قال فيه : أما الأحاديث المشهورة التي يرويها فهو فيها مقارب الحديث صالح ولكن ينشر الصدر له ليس يعرف هكذا يريد بالطلب .

(١٤) تقدم القول في عياض وهو ابن عمرو وأنه أرسل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو إذاً مخضرم لكن لم أقف على توثيق له . وهو من رجال مسلم وروى عن جماعة وروى عنه جماعة فيكون حديثه صالحاً . والحديث عند الطبري (ج ٦ / ١٨٣ - ١٨٤) من طريق أبي الوليد عن شعبة فذكره مرفوعاً وجاء مرسلاً من طريق ابن إدريس ويزيد وهو ابن هارون عن شعبة عن سماك عن عياض الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره .

لكن جاء في المستدرک (ج ٢ / ٣١٣) من طريق وهب بن جرير وسعيد بن عامر الضبي قال ابن معين : حدثنا سعيد بن عامر الثقة المأمون وقال أبو حاتم : كان رجلاً صالحاً وكان في حديثه بعض الغلط وهو صدوق .

قلت : وهب ثقة وابن إدريس ثقة فقيه عابد ويزيد بن هارون ثقة متقن عابد يقابلهم اثنان أبو الوليد ثقة ثبت وعبد الصمد بن عبد الوارث صدوق ثبت في شعبة ، فالراجح المرسل ، والله أعلم .

(١٥) حديث : أنا الضحوك القتال . ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة التوبة وذكره شيخ الإسلام في السياسة الشرعية . ولم أجده في شيء من كتب السنة .

أن لا أسأل أحداً شيئاً ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأ ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنهم من كنز تحت العرش»^(١٦) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان عن أبي المثني أن أبا ذر قال : بايعني رسول الله ﷺ خمساً وواثقني سبعا ، وأشهد الله علي تسعاً ، أني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبو ذر : فدعاني رسول الله ﷺ فقال : « هل لك إلى بيعة ولك الجنة » قلت : نعم ، قال : وبسطت يدي ، فقال النبي ﷺ وهو يشترط علي : « أن لا تسأل الناس شيئاً ؟ » قلت : نعم . قال : « ولا سوطك وإن سقط منك » . يعني تنزل إليه فتأخذه^(١٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا جعفر ، عن المعلی القُردوسي ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شاهده ، فإنه لا يقرب من أجل ، ولا يُباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم » تفرد به أحمد^(١٨) .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن زبيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال ، فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس . فيقول : إياي أحق أن تخاف » .

ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، به^(١٩) .

(١٦) الحديث في المسند (ج ١٥٩/٥) وهو حديث حسن ، سلام أبو المنذر قال أبو حاتم : صدوق صالح الحديث ، ورواه أيضاً (ج ١٧٣/٥) من وجه آخر من طريق عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة وهو ضعيف كثير الإرسال عن ابن كعب وابناء كعب أربعة : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وهم ثقات ومعبود وهو مقبول ولم يتبين لي مَنْ شيخه فيما عندي من مراجع .

(١٧) الحديث ضعيف رواه أحمد (ج ١٧٢/٥) وفيه قال : حدثنا صفوان عن أبي اليمان وأبي المثني - وأبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله الهوزني - مقبول وفي التهذيب قال أبو الحسن بن القطان : لا يعرف له حال وأبو المثني اسمه ضمضم الأملوكي وثقه العجلي ، وقال ابن القطان : مجهول ، يعني مجهول الحال فإنهما قد رويا عن جماعة ، وروى عنهما جماعة كما في التهذيب .

(١٨) ضعيف بهذا السند لانقطاعه الحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري (ج ٥٠/٣) وقد جاء سالماً من هذه العلة فرواه ابن ماجه (ج ١٣٢٨/٢) وأحمد في المسند (ج ٥/٣) من طريق أبي نضرة وكذلك (ص ٤٤ - ٤٦ - ٤٧ و ٥٣ و ٩٢) ورواه عبد بن حميد في المنتخب (ج ٦٠/٢) ورواه أبو يعلى في مسنده (ج ٤١٩/٢) فصح الحديث والحمد لله .

(١٩) ضعيف من هذا الوجه لانقطاعه أيضاً أبو البخري سعيد بن فيروز لم يسمع من أبي سعيد والحديث في المسند (ج ٧٣/٣) وفي سنن ابن ماجه (ج ١٣٢٨/٢) وهو عند البيهقي (ج ٩٠/١٠) .

وروى أحمد وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة ، عن نهار بن عبد الله العبدى المدني ، عن أبي سعيد الخدرى ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة ، حتى إنه ليسأله يقول له : أي عبدى ، رأيت منكراً فلم تنكره ؟ فإذا لقن الله عبداً حجته ، قال : أي رب ، وثقت بك وخفت الناس »^(٢٠).

وثبت في الصحيح : « ما ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه » . قالوا : وكيف يُذل نفسه يا رسول الله ؟ قال : « يتحمل من البلاء ما لا يطيق »^(٢١).

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ، أي : من اتصف بهذه الصفات ، فإنما هو من فضل الله عليه ، وتوفيقه له . ﴿ والله واسع عليم ﴾ ، أي واسع الفضل ، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه .

وقوله : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ ، أي : ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين .

وقوله : ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ ، أي : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات ، من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام ، وهي له وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين .

وأما قوله : ﴿ وهم راكعون ﴾ ، فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله : ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ ، أي : في [حال] ركوعهم . ولو كان هذا كذلك ، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره ، لأنه ممدوح . وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى ، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب : أن هذه الآية نزلت فيه : أنه مر به سائل في حال ركوعه ، فأعطاه خاتمه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان المرادي ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن عتبة ابن أبي حكيم في قوله : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ قال : هم المؤمنون وعلى بن أبي طالب^(٢٢).

(٢٠) نهار بن عبد الله العبدى مجهول الحال فيصلح حديثه في الشواهد والمتابعات والحديث في المسند (ج ٣/٧٧) وعند ابن ماجه (ج ٢/١٣٣٢) والبيهقي (ج ١٠/٩٠) .

(٢١) إن كان عنى الصحيحين أو أحدهما فليس هو فيهما وإن عنى الحديث الصحيح فهو عند الترمذي (ج ٤/٥٢٢-٥٢٣) وابن ماجه (ج ٢/١٣٣١) وأحمد في المسند (ج ٥/٤٠٥) من حديث حذيفة بن اليمان وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٢٢) الأثر من طريق عتبة بن أبي حكيم وهو صدوق يخطيء كثيراً ، والحديث الذي روي في هذا ذكره الحافظ المفسر ابن كثير رحمه الله في تاريخه البداية والنهاية (٧/٣٧١-٧٢٢) من طريقين ثم قال : وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ولم ينزل في علي رضي الله عنه شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه =

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول ، حدثنا موسى بن قيس الحضرمي ، عن سلمة بن كهيل قال : تصدق علي بخاتمه وهو راع ، فنزلت : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٢٣) .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا غالب بن عبيد الله ، سمعت مجاهداً يقول في قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... ﴾ الآية ، نزلت في علي بن أبي طالب ، تصدق وهو راع ^(٢٤) .

وقال عبد الرزاق : حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... ﴾ الآية ، نزلت في علي بن أبي طالب .
عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به .

وروى ابن مردويه ، من طريق سفيان الثوري ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وقوله : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ وقوله : ﴿ أَجْعَلُمُ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها وأما قوله تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ فثبت في الصحيح أنه نزل في علي وحزرة وعبيدة من المؤمنين وفي عتبة وشيبة والوليد ابن عتبة من الكافرين إلى آخره .

قلت : وأهل السنة هم أحق وأولى بأهل البيت عموماً وبعلي وفاطمة والحسنين خصوصاً رضي الله عنهم أجمعين فالذي يقول فيهم الحق ويذب عنهم الكذب أولى بهم من الذي يكذب عليهم ويقول : إن علياً سلم على الشمس فردت عليه بقولها : وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن انظر عيون المعجزات (ص ١٤ - ١٥) وهذا لا يليق إلا بالله فوالله لو أدركهم علي رضي الله عنه وأرضاه لأحرقهم بالنار كما أحرق أسلافهم ، وجعل يقول حينذاك :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

وفي (ص ٣٢) أنه دعا ميتاً فنهض غلام وقال : لبيك يا محيي العظام وحجة الله في الأنعام والمنفرد بالفضل والإنعام لبيك يا علي يا غلام . وفي (ص ٣٩) قال : أيها الناس إن معاوية يزعم أنه أمير المؤمنين وأنه لا يكون إماماً حتى يحمي الموقى أو ينزل من السماء مطراً إلى أن قال وأشار - يعني علياً - بيده اليمنى إلى الجو فقدم وأقبلت غمامة وعلت سحابة سقت بيديها وسمعنا منها قائلاً يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبأسيد الوصيين ويا إمام المتقين ويا غياث المستغيثين ويا كنز الطالبين ويا معدن الراغبين . وانظر (ص ٥٧) أن فاطمة تخبر علياً عن قصة فيها قالت : فأودعني الله تعالى صلب أبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أودعني أبي خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) فوضعتني وأنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن يا أبا الحسن .

(٢٣) ضعيف لإرساله فإن سلمة بن كهيل لم يذكر سبب نزول لم يشهده .

(٢٤) ضعيف للإرسال أيضاً عبد العزيز بن أبان متروك وشيخه غالب ، قال الدارقطني وغيره : متروك أيضاً ، كما في الميزان والأثر عند الطبري (ج ٦ / ٢٨٦) دار المعرفة .

عباس قال : كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي ، فمر سائل وهو راعع ، فأعطاه خاتمه ، فنزلت : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... ﴾ الآية .

الضحاك لم يلق ابن عباس .

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي - وهو متروك - عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد ، والناس يصلون ، بين راعع وساجد وقائم وقاعد ، وإذا مسكين يسأل ، فدخل رسول الله ﷺ فقال : « أعطاك أحد شيئاً ؟ » قال : نعم . قال : « من ؟ » قال : ذلك الرجل القائم . قال : « على أي حال أعطاكه ؟ » قال : وهو راعع ، قال : وذلك علي بن أبي طالب قال : فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك ، وهو يقول : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴾ .

وهذا إسناد لا يفرح به .

ثم رواه ابن مردويه ، من حديث علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، نفسه ، وعمار بن ياسر ، وأبي رافع . وليس يصح شيء منها بالكلية ، لضعف أسانيدھا وجهالة رجالھا . ثم روي بسنده ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ . نزلت في المؤمنين ، وعلي بن أبي طالب أولهم .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن أبي جعفر قال : سألته عن هذه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راععون ﴾ [قلنا : من الذين آمنوا ؟] قال : الذين آمنوا ! قلنا : بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب ! قال : علي من الذين آمنوا^(٢٥) .

وقال أسباط ، عن السدي : نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ، ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راعع في المسجد ، فأعطاه خاتمه .

قال علي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس : من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا . رواه ابن جرير .

وقد تقدم في الأحاديث التي أوردنا أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، حين تبرأ من حلف يهود ، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ اللَّهُ

(٢٥) عبد الملك هو ابن جرير كما في التهذيب في ترجمة أبي جعفر وهو الباقر محمد بن علي بن الحسين .

في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴿٥٦﴾ .
فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿٥٧﴾ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿٥٨﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا
هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

وهذا تنفير من موالة أعداء الإسلام وأهله ، من الكتابيين والمشركين ، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون ، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي ، يتخذونها « هزواً » يستهزئون بها ، « ولعباً » يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد ، وفكرهم البارد ، كما قال القائل :

وَكَمْ مِنْ غَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتْهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وقوله : ﴿٥٦﴾ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار ﴿٥٧﴾ « من » هاهنا لبيان الجنس ، كقوله : ﴿٥٧﴾ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴿٥٨﴾ وقرأ بعضهم ﴿٥٨﴾ والكفار ﴿٥٩﴾ بالخفض عطفاً ، وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول ﴿٥٩﴾ لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴿٥٩﴾ تقديره : « ولا الكفار أولياء » ، أي : لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء .

والمراد بالكفار هاهنا المشركون ، وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود ، فيما رواه ابن جرير : ﴿٥٩﴾ لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا ﴿٥٩﴾ .

وقوله : ﴿٥٧﴾ واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿٥٨﴾ ، أي : اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء ﴿٥٨﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿٥٩﴾ بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزواً ولعباً ، كما قال تعالى : ﴿٥٩﴾ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴿٥٩﴾ .

وقوله : ﴿٥٨﴾ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ﴿٥٩﴾ : أي : وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب ﴿٥٩﴾ اتخذوها ﴿٥٩﴾ أيضاً ﴿٥٩﴾ هزواً

ولعباً ، ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلون ﴿ معاني عبادة الله وشرائعه ، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي : « إذا سمع الأذان أدبر وله حُصَّاص - أي : ضراط - حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضي التأذين أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة أدبر ، فإذا قضي الثوب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه ، فيقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل إن يدري كم صلى ، فإذا وجد أحدكم ذلك ، فليسجد سجدتين قبل السلام . متفق عليه ^(٢٦) .

وقال الزهري : قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال : ﴿ وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلون ﴾ رواه ابن أبي حاتم .

وقال أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿ وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ﴾ ، قال : كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : حُرِّقَ الكاذب ! فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام ، فسقطت شرارة فأحرقت البيت ، فاحترق هو وأهله .

رواه ابن جرير ^(٢٧) وابن أبي حاتم .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ، ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعُتَّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . وقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرت عني هذه الحصى . فخرج عليهم النبي ﷺ فقال : « قد علمتُ الذي قلتم » ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك ^(٢٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة : أن عبد الله بن مُحَيْرِيز أخبره - وكان يتيماً في حجر أبي محذورة - قال : قلت لأبي محذورة : يا عم ، إني خارج إلى الشام ، وأخشى أن أسأل عن تأذيتك ، فأخبرني أن أبا محذورة قال له : نعم خرجت في نفر ، وكنا ببعض طريق حنين ، مقفل ^(٢٩) رسول الله ﷺ من حنين ، فلقينا رسول الله ﷺ ببعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون ، فصرخنا نحكيه ونستهزيء به ، فسمع رسول الله ﷺ ،

(٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٧) (ج ١٠ / ٤٣٢) من تفسيره تحقيق أحمد شاكر ، وأسباط يصلح في الشواهد والمتابعات .

(٢٨) هذا في السيرة (ج ٤ / ٥٦) ط دار الكتب العلمية وهو معضل من هذا الوجه .

(٢٩) في المسند : فقفل رسول الله ﷺ

[الصوت] فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « أيكم الذي سمعتُ صوته قد ارتفع ؟ » فأشار القوم كلهم إليّ ، وصدقوا ، فأرسل كلهم وحسني . وقال : قم فأذن [بالصلاة] . فقامت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ، ولا مما يأمرني به ، فقامت بين يدي رسول الله ﷺ ، فألقى عليّ^(٣٠) رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه ، قال : قل : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال لي : « ارجع فامدد من صوتك » . ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله [حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . ثم دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ، ثم أمرها على وجهه ، ثم بين ثدييه ، ثم على كبده حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سرة أبي محذورة ، ثم قال رسول الله ﷺ : « بارك الله فيك وبارك عليك » . فقلت : يا رسول الله ، مَرَّني بالتأذين بمكة . فقال : « قد أمرتك به » . وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهة ، وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ . فقدمتُ على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ [بمكة] فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ ، وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة ، على نحو ما أخبرني عبد الله بن محيريز^(٣١) .

[هكذا رواه الإمام أحمد^(٣٢) ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، وأهل السنن الأربعة من

(٣٠) أيضاً فيه فألقى إلي .

(٣١) الحديث في المسند (ج ٤٠٩/٣) وعبد العزيز بن أبي محذورة مجهول الحال لكن الحديث ثابت في صحيح مسلم (ج ٢٨٧/١) وغيره من طريق عبد العزيز هذا .

وفي قوله : (ثم قال لي ارجع فامدد من صوتك) وفي صحيح مسلم قال : ثم يعود فيقول أشهد أن لا إله إلا الحديث ، هذه سنة غفل عنها كثير من مؤذني زمننا إلا من رحم الله أعني الترجيع في الأذان وهي أن يقول المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . ثم يعود فيقولهما ثانية كما ورد ذلك في الحديث الصحيح ، قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم (ج ٨١/٤) وفي هذا الحديث حجة بينة ودلالة واضحة لمذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء أن الترجيع في الأذان ثابت مرتين برفع الصوت بعد قولهما بخفض الصوت . وقال أبو حنيفة والكوفيون : لا يشرع الترجيع عملاً بحديث عبد الله بن زيد فإنه ليس فيه ترجيع ، وحجة الجمهور هذا الحديث الصحيح والزيادة مقدمة مع أن حديث أبي محذورة هذا متأخر عن حديث عبد الله بن زيد فإن حديث أبي محذورة سنة ثمان من الهجرة بعد حين ، وحديث عبد الله بن زيد في أول الأمر وانضم إلى هذا كله عمل أهل مكة والمدينة وسائر الأمصار وبالله التوفيق .

(٣٢) في المسند (ج ٤٠٨/٣ - ٤٠٩) ومسلم (ج ٢٨٧/١) ورواه أبو داود (ج ١٨٠/٢ - ١٨١) باب كيف الأذان . من عون المعبود . والنسائي (ج ٤/٢ - ٥) والترمذي (ج ٣٦٦/١) لكن من غير طريق ابن محيريز ، وابن ماجه (ج ٢٣٤/١) كرواية المتقدمين .

طريق ، عن عبد الله بن مُحَرِّيز] ، عن أبي محذورة - واسمه : سمرة بن مغير بن لوذان - أحد مؤذني رسول الله ﷺ الأربعة ، وهو مؤذن أهل مكة ، وامتدت أيامه ، رضي الله عنه وأرضاه .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ
وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً
عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ
وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾
وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْنُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَثَمِ
وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ
الرَّبَّنَا نُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثَمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى : قل يا محمد ، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من أهل الكتاب : ﴿ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ﴾ ، أي : هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا ؟ رخصاً ليس بعيب ولا مذمة ، فيكون الاستثناء منقطعاً ، كما في قوله : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ ، وكقوله : ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ . وفي الحديث المتفق عليه : « ما ينقم ابن جُمَيْل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله » (٣٣) .

وقوله : ﴿ وأن أكثركم فاسقون ﴾ معطوف على ﴿ أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ﴾ ، أي : وآمنا بأن أكثركم فاسقون ، أي : خارجون عن الطريق المستقيم .

(٣٣) البخاري (ج ٣ / ٣٣١) ومسلم (٦٧٦ / ٢) وأبو داود (ج ٢ / ٢٧٣) والنسائي (ج ٥ / ٣٣) وأحمد (ج ٢ / ٣٢٢) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم قال : ﴿ قل : هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ﴾ ، أي : هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونونه بنا ؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة : بقوله : ﴿ من لعنه الله ﴾ ، أي : أبعده من رحمته ﴿ وغضب عليه ﴾ ، أي : غضباً لا يرضى بعده أبداً ، ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ ، كما تقدم بيانه في سورة البقرة ، وكما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف .

وقد قال سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن المغيرة بن عبد الله ، عن المعمر بن سويد ، عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير ، أهى مما مسح الله فقال : إن الله لم يهلك قوماً - أو قال : لم يمسح قوماً - فيجعل لهم نسلًا ولا عقباً ، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك .

وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما ، عن مغيرة بن عبد الله الشكري ، به ^(٣٤) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن محمد بن زيد ، عن أبي الأعين العبدى عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال : سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير ، أهى من نسل اليهود ؟ فقال : « لا ، إن الله لم يلعن قوماً فيمسحهم فكان لهم نسل ، ولكن هذا خلق كان ، فلما غضب الله على اليهود فمسحهم ، جعلهم مثلهم » .
ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات ، به ^(٣٥) .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا الحسن بن محبوب ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الحيات مسح الجن ، كما مسحت القردة والخنازير » ^(٣٦) .
هذا حديث غريب جداً .

(٣٤) (ج ٤ / ٢٠٥١) من صحيحه .
(٣٥) (ج ١ / ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٤٢١) وأبو الأعين العبدى ضعفه بن معين وقال أبو حاتم : مجهول فالحديث ضعيف بسند أحمد لكن رواه مسلم (ج ٤ / ٢٠٥٠ - ٢٠٥١) من طريق المغيرة بن عبد الله الشكري عن المعمر بن سويد عن عبد الله ، فصح والحمد لله رب العالمين .
(٣٦) الحديث ، الراجح عندي أنه موقوف لقول ابن أبي حاتم ، قال أبو زرعة : هذا الحديث موقوف لا يرفعه إلا عبد العزيز بن المختار ولا بأس بحديثه .

قلت : وقد خالف معمر وهو أوثق منه فرواه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً . والحديث رواه ابن حبان (ج ٧ / ٤٦١) من كتاب الإحسان . ورواه الهيثمي (ج ٢ / ٧٢) من كشف الأستار . وقول الحافظ عندنا مقدم على قول الوراقين وكان استغراب الحافظ المؤلف له لهذه النكتة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ ، وقرئ : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ على أنه فعل ماض ، « والطاغوت » منصوب به . أي : وجعل منهم من عبد الطاغوت . وقرئ ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ بالإضافة على أن المعنى : وجعل منهم خدم الطاغوت ، أي : خدامه وعبده . وقرئ ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ على أنه جمع الجمع : عبد وعبيد وعبُد ، مثل ثمار وثمر . حكاه ابن جرير عن الأعمش . وحكى عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي أنه كان يقرأها : ﴿ وَعَابَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ ، وعن أبي ، وابن مسعود : ﴿ وَعَبَدُوا ﴾ ، وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القاري أنه كان يقرأها : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ على أنه مفعول مالم يسم فاعله ، ثم استبعد معناها . والظاهر أنه لا بعد في ذلك ، لأن هذا من باب التعريض بهم ، أي : وقد عبدت الطاغوت فيكم ، وكنتم أنتم الذين تعاطوا ذلك .

وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا ، والذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادة دون سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ؟ . ولهذا قال : ﴿ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ ، أي : مما تظنون بنا ﴿ وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة ، كقوله : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا : آمَنَّا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ ، وهذه صفة المنافقين منهم ، إنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر ، ولهذا قال : ﴿ وَقَدْ دَخَلُوا ﴾ ، أي : عندك يا محمد ﴿ بِالْكَفْرِ ﴾ ، أي : مستصحين الكفر في قلوبهم ، ثم خرجوا وهو كامن فيها ، لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم ، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر . ولهذا قال : ﴿ وَهُمْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ فخصهم به دون غيرهم .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ ، أي : والله عالم بسرائرهم وما تنطوي عليه ضمائرهم ، وإن أظهروا خلقه خلاف ذلك ، وتزينوا بما ليس فيهم ، فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم ، وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء .

وقوله : ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ ﴾ ، أي : يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، أي : لبئس العمل كان عملهم ، وبئس الاعتداء اعتدأؤهم .

وقوله : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ، يعني : هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار عن تعاطي ذلك . والربانيون منهم وهم : العلماء العمال أرباب الولايات عليهم ، والأحبار : وهم العلماء فقط .

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الربانيين ، أنهم : بئس ما كانوا يصنعون .. «
يعني : في تركهم ذلك .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال لهؤلاء حين لم يَنْهَوْا ، ولهؤلاء حين عملوا . قال :
وذلك الأركان ، قال : « ويعملون » و « يصنعون » واحد . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، حدثنا قيس ، عن العلاء بن
المسيب ، عن خالد بن دينار عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية : ﴿ لولا
ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾ ، قال : كذا
قرأ^(٣٧) .

وكذا قال الضحاك : ما في القرآن آية ، أخوف عندي منها : أنا لا ننهي . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : ذكره يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا [محمد بن] مسلم
ابن أبي الوضاح حدثنا ثابت بن سعيد الهمداني^(٣٨) ، قال : رأيته بالري فحدث عن يحيى بن يعمر
قال : خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم
بركوبهم المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار [فلما تهادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار]
أخذت العقوبات . فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم ، واعلموا
أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر
ابن جرير ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي
هم أعز منه وأمنع ، لم يغيروا ، إلا أصابهم الله منه بعذاب » .
تفرد به أحمد من هذا الوجه^(٣٩) .

(٣٧) ابن عطية هو الحسن بن عطية بن نجيح صدوق وقيس هو ابن الربيع وخالد هو أبو خلدة قال البخاري في
التاريخ : سمع أبا العالية ورأى أنساً ... إلخ ، وفي التعليق على الطبري قال : ولم يدرك ابن عباس .

(٣٨) ثابت بن سعيد صوابه ثابت أبو سعيد وهو مجهول كما في التهذيب فإنه قال : يروي عن يحيى بن يعمر عن
علي في الأمر بالمعروف وعنه أبو سعيد المؤدب .

قلت : واسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح فالأثر ضعيف لجهالة ثابت أبي سعيد .
وأيضاً الانقطاع فيما ظهر لي وهو أن يحيى بن يعمر ذكروا أنه لم يسمع من عائشة وكانت وفاتها سنة
سبع وخمسين على الصحيح ، كما في التقريب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه توفي سنة أربعين فهنا احتمال
أنه لم يسمع منه وأيضاً فهو يروي عن أبي الأسود ظالم بن عمرو وهو من أجل الرواة عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، ويحيى يرسل كثيراً وقد ذكر هذا الخبر بصيغة تدل على الانقطاع ، والله أعلم .

(٣٩) (ج ٤ / ٣٦١ - ٣٦٣) وهو حديث حسن ، المنذر بن جرير قد تابعه أخوه عبيد الله كما سترى إن شاء الله .

ورواه أبو داود^(٤٠) ، عن مسدد ، [عن] أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر ابن جرير ، عن جرير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، يقدر أن يغيروا . [عليه فلا يغيروا] إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا » .

وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ، به^(٤١) .

قال الحافظ المزي : وهكذا رواه شعبة ، عن أبي إسحاق^(٤٢) ، به .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ
وُلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا الْكُفْرَانَ عَنْهُمْ سِيَآتِهِمْ وَلَا دُخْلَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ
رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾

يخبر تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوا الله عز وجل وتعالى عن قولهم علواً كبيراً ، بأنه بخيل . كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء ، وعبروا عن البخل بقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم

(٤٠) (ج ٤ / ٥١٠ - ٥١١) وفيه أظنه عن ابن جرير بدل قوله هنا عن المنذر بن جرير .

(٤١) (ج ٢ / ١٣٢٩) ومن هذا الوجه رواه أحمد (ج ٤ / ٣٦٦) أعني من طريق وكيع به .

(٤٢) كذلك رواه أحمد (ج ٤ / ٣٦٤) .

ابن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : ﴿ مغلولة ﴾ ، أي : بخيلة^(٤٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ ، قال : لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ، ولكن يقولون ، بخيل أمسك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وكذا روي عن عكرمة ، وقتادة ، والسدي ، ومجاهد ، والضحاك وقرأ : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ، يعني : أنه ينهى عن البخل وعن التبذير ، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله ، وعبر عن البخل بقوله : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ .

وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله . وقد قال عكرمة : إنها نزلت في فنخاص اليهودي^(٤٤) ، عليه لعنة الله . وقد تقدم أنه الذي قال : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد^(٤٥) بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود ، يقال له : شأس بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق ، فأنزل الله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ .

وقد ردّ الله عز وجل عليهم ما قالوه ، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه واثفكوه ، فقال : ﴿ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ . وهكذا وقع لهم ، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم ، كما قال تعالى : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ... الآية ، وقال تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة ... الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ ، أي : بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما يخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا ، كما قال : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم

(٤٣) أبو عبد الله هو محمد بن حماد قال ابن أبي حاتم : صدوق ثقة ، وحفص بن عمر العدني الفرخ ضعيف قال ابن أبي حاتم مرة : ثقة ، وقال أخرى : لين الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة ، فالأثر ضعيف لضعف حفص ، والله أعلم .

(٤٤) ضعيف لأنه من طريق سنيد الحسين بن داود ، وأيضاً لإرساله فإن عكرمة تابعي يذكر سب نزول لم يشهده والأثر عند الطبري (ج ١٠ / ٤٥٣) .

(٤٥) محمد بن أبي محمد مجهول .

كفار ﴿﴾ ، والآيات في هذا كثيرة ، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن يمين الله ملاءى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه ، قال : « وعرشه على الماء ، وفي يده الأخرى القبض ، يرفع ويخفض »^(٤٦) قال : « وقال الله تعالى : أنفق أنفق عليك . أخرجاه في الصحيحين ، البخاري في « التوحيد » عن علي بن المديني ومسلم فيه ، عن محمد بن رافع - وكلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وقوله : ﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾ ، أي : يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقاً وعملاً صالحاً وعلماً نافعاً ، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك ﴿ طغياناً ﴾ ، وهو : المبالغة والمجازرة للحد في الأشياء ﴿ وكفراً ﴾ ، أي : تكديماً ، كما قال تعالى : ﴿ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ .

وقوله : ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ ، يعني : أنه لا تجتمع قلوبهم ، بل العداوة واقعة بين فريقهم بعضهم في بعض دائماً . لأنهم لا يجتمعون على حق ، وقد خالفوك وكذبوك .

وقال إبراهيم النخعي : ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ قال : الخصومات والجدال في الدين : رواه ابن أبي حاتم .

(٤٦) الحديث في صحيح البخاري (ج ١٣ / ٤٠٣) وصحيح مسلم (ج ٣ / ٦٩٠-٦٩١) وفي الآية الكريمة والحديث الصحيح صفة لله تبارك وتعالى وهي صفة اليد قال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكفوا شيئاً منها . انتهى .

قلت : وبسط أدلة هذه الصفة لا يحتملها الكتاب وأحسن مرجع في ذلك كتاب الأسماء والصفات للبيهقي والتوحيد لابن خزيمة وخلاصة كلام الأئمة من علماء أهل السنة قديماً وحديثاً هو أن نصف ربنا سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ غير أنا لا نشبه فنقول يده كيد شيء من خلقه أو نعطل فنقول سميع بلا سمع وبصير بلا بصر أو نؤول فنقول يده : رحمته أو نعمته . بل نقول : لربنا تبارك وتعالى يد تليق به سبحانه وتعالى وله جميع صفاته التي تليق به سبحانه من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكيف ولا تأويل لقوله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ونقول كما قال أئمتنا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أجوبتهم لمن سأله عن آية أو حديث فيه صفة من صفات الله تبارك وتعالى فنقول : صفات الله تعالى معلومة ، وكيفيتها مجهولة ، والإيمان بها كما جاءت واجب ، وجودها كفر ، والسؤال عن كيفيتها بدعة . وهذه الأجوبة أجاب بها مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

وقوله : ﴿ كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ ، أي : كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها ، وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها يبطئها الله ويرد كيدهم عليهم ، ويحقق مكرهم السيئ بهم .
﴿ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فساداً وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْئِدِينَ ﴾ ، أي : من سجيتهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض ، والله لا يحب من هذه صفته .

ثم قال جل وعلا : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ ، أي : لو أنهم آمنوا بالله ورسوله ، واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿ لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَأَدْخُلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ، أي : لأزلنا عنهم المحذور ولحصلناهم المقصود .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ قال ابن عباس ، وغيره : يعني القرآن .

﴿ لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي : لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء ، على ما هي عليه ، من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل ، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً ﷺ ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتماً لا محالة .

وقوله : ﴿ لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ، يعني ذلك : كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، يعني : لأرسل عليهم مدراراً ﴿ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ، يعني : يخرج من الأرض بركاتها .

وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، كما قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ الآية . وقال : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ... ﴾ الآية .

وقال بعضهم : معناه ﴿ لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ﴾ يعني : من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء .

وقال ابن جرير : قال بعضهم : معناه لكانوا في الخير ، كما يقول القائل : هو في الخير من قرنة إلى قدمه . ثم رد هذا القول لمخالفته أقوال السلف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم ، عند قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ حديث علقمة ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن يرفع العلم » . فقال زياد بن لبيد : يا رسول الله ، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا ؟ قال : « ثكلتك أمك يا ابن لبيد ! إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة ، أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله » . ثم قرأ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا

التوراة والإنجيل .

هكذا أورده ابن أبي حاتم حديثاً معلقاً من أول إسناده ، مرسلأ في آخره^(٤٧) . وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلاً موصولاً ، فقال : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن زياد بن ليبيد قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال : « وذلك عند ذهاب العلم » . قال قلنا : يا رسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا ويُقرئه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : « ثكلتك أمك يا ابن أم ليبيد ، إن كنت لأراك [من] أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء^(٤٨) .

وكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع بإسناده نحوه . وهذا إسناد صحيح^(٤٩) .

وقوله : ﴿ منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ . وكقوله عن أتباع عيسى : ﴿ فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ... ﴾ الآية . فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد ، وهو أوسط مقامات هذه الأمة ، وفوق ذلك رتبة السابقين ، كما في قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها ... ﴾ الآية . والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة يدخلون الجنة^(٥٠) .

(٤٧) والمعلق والمرسل من قسم الضعيف لكن قد صح من غير هذا الوجه كما سترى إن شاء الله .
(٤٨) ضعيف بهذا السند لكنه صح من غير هذا الوجه والحديث عند أحمد (ج ٤ / ١٦٠ و ٢١٨) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٤٤) وفيه عندهما الأعمش وهو مدلس وقد عنعنه أو سالم لم يسمع من زياد بن ليبيد قاله البخاري وتبعه الذهبي ورواه أحمد (ج ٤ / ٢١٩) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم به فارتفع بذلك ما كان يخشى من عنعنة الأعمش ، ورواه الترمذي (ج ٥ / ٣١) من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن أبي الدرداء ، وهذا إسناد صالح ورواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف قال : ثنا الربيع بن سليمان عن ابن وهب عن الليث بن سعد عن إبراهيم بن أبي عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عنه أي جبير بن نفير عن أبي الدرداء . ورواه أحمد (ج ٦ / ٢٦) فارتفع بهذه الطرق ما كان يخشى من الانقطاع بين سالم وزيد بن ليبيد والحديث لفظه عند الترمذي أحسن سياقاً وأتم لفظاً منه هاهنا ، والله أعلم .

وقال أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار (ج ١ / ١٢٤ - ١٢٥) بعد ذكر الحديث وشبه وردت عليه قال : جوابنا له في ذلك أن هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها إلى آخر جوابه رحمه الله تعالى .
(٤٩) رحم الله الحافظ ابن كثير وكثير من أمثاله ظاهر السند صحيح لكن مما تقدم يتضح الصواب .
(٥٠) قول المفسر رحمه الله والصحيح إلى آخره لأن هناك قولين آخرين وهما أن الظالم لنفسه هو الكافر والثاني أن الظالم لنفسه هو المنافق . قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى (ج ١٤ / ٣٤٧) من كتابه الجامع بعد ذكر الأقوال في الآية .

قلت: القول الوسط أولها وأصحها إن شاء الله لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا بمحمد الله ولا اصطفى دينهم . =

وقد قال أبو بكر بن مَرْثُويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أحمد بن يونس الضبي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا أبو معشر ، عن يعقوب بن يزيد بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة ، سبعون منها في النار وواحدة في الجنة ، وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة ، واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار . وتعلو أمتي على الفريقين جميعاً ، واحدة في الجنة ، وثلثان وسبعون في النار » . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « الجماعات الجماعات » .

قال يعقوب بن يزيد : كان علي بن أبي طالب إذا حدث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، تلا فيه قرآناً : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ منهم أمة مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون ﴾ ، وتلا أيضاً : ﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ، يعني أمة محمد ﷺ .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وبهذا السياق . وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مَرْثُوي من طرق عديدة ، وقد ذكرناه في موضع آخر^(٥١) ، والله الحمد والمنة .

* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة ، وأمرأً له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به . وقد امثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، وقام به أتم القيام .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حَدَّثَكَ أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب ، الله يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾ الآية^(٥٢) .

= وهذا قول ستة من الصحابة وحسبك ، وسنزيده بياناً وإيضاحاً في باقي الآية . انتهى المراد من كلامه رحمه الله .

(٥١) يعقوب بن يزيد صوابه يعقوب بن زيد كما في حلية الأولياء (ج ٣ / ٢٢٦) وتهذيب الكمال . وحديث افتراق الأمم تقدم في سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ . آية ١٠٥ .

(٥٢) الحديث في البخاري (ج ٨ / ٢٧٥) . وفيه والله يقول .

هكذا رواه هاهنا مختصراً ، وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولاً . وكذا رواه مسلم في « كتاب الإيمان »^(٥٣) ، والترمذي والنسائي في « كتابي التفسير » من سننهما من طرق ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق بن الأجدع ، عنها رضي الله عنها .

وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو كان محمد ﷺ كاتماً من القرآن شيئاً لكم هذه الآية : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾^(٥٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس ، فجاء رجل فقال له : إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يیده رسول الله ﷺ للناس . فقال : ألم تعلم أن الله تعالى قال : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ، والله ما ورنّا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء .

وهذا إسناد جيد^(٥٥) ، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جُحيفة وهب بن عبد الله السَّوَّائِي قال : قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكّك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر^(٥٦) .

(٥٣) قوله في مواضع أخر من صحيحه يعني البخاري فمنا في التفسير (ج ٦٠٦/٨) و (ج ٥٠٣/١٣) ومسلم (ج ١٥٩/١) والترمذي (ج ٢٦٢/٥) والنسائي في التفسير رقم الحديث (١٦٧) .

(٥٤) قوله وفي الصحيحين ، الذي في الصحيحين هو ما تقدم وأما هذا ففي صحيح مسلم (ج ١٦٠/١) ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر رحمه الله (ج ٥٢٤/٨) من الفتح يقول رحمه الله : وقد أخرج الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاتماً شيئاً لكم هذه الآية : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ إلى أن قال الحافظ : قال الترمذي : روي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة إلى قولها : لكم هذه الآية ، ولم يذكر ما بعده ، قال الحافظ : قلت : وهذا القدر أخرجه مسلم كما قال الترمذي إلى آخره ويؤيده أيضاً قول الحافظ (ج ٤١١/١٣) قلت قد ذكرت في تفسير سورة الأحزاب حديث عائشة قالت : لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاتماً شيئاً من الوحي . الحديث ، وأنه أخرجه مسلم والترمذي إلى آخره .

قلت : ولفظ الحديث عند مسلم قالت : ولو كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكم هذه الآية : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ .

(٥٥) رجاله كلهم ثقات عدا هارون بن عنترة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : لا بأس به وأبوه هو عنترة بن عبد الرحمن ذكر ابن أبي حاتم عن أبي زرعة أنه كوفي ثقة .

(٥٦) (ج ١ ص ٢٠٤) وقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هنا ، وهكذا في صحيح البخاري ، يؤيد ما تقدم في حاشية ٧٦ ص ١٥٣ من هذا الجزء أن مسلماً لم يخرج ، ورواه الترمذي (ج ١٧/٤) والنسائي (ج ٢٣/٨ - ٢٤) وابن ماجه (ج ٨٨٧/٢) .

وقال البخاري : قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلىنا التسليم^(٥٧) .

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل . في خطبته يوم حجة الوداع . وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « أيها الناس ، إنكم مسئولون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقبلها إليهم ويقول : « اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت »^(٥٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا فضيل - يعني ابن غزوان - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ » قالوا : يوم حرام . قال : « أي بلد هذا ؟ » قالوا : بلد حرام . قال : « فأأي شهر هذا ؟ » قالوا : شهر حرام . قال : « فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » . ثم أعادها مراراً ، ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال : « اللهم هل بلغت ! » مراراً - قال : يقول ابن عباس : والله لو صية إلى ربه عز وجل - ثم قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »^(٥٩) .

وقد روى البخاري ، عن علي بن المديني ، عن يحيى بن سعيد ، عن فضيل بن غزوان ، به نحوه^(٦٠) .

وقوله : ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ ، يعني : وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به ، ﴿ فما بلغت رسالته ﴾ ، أي : وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ ، يعني : إن كنتم آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد قال : لما نزلت : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ قال : « يا رب ، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي » . فنزلت : ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

(٥٧) في كتاب التوحيد من صحيحه (ج ١٣ / ٥٠٣) .

(٥٨) (ج ٢ / ٨٨٦ - ٨٩٢) والمؤلف رحمه الله رواه بالمعنى ، ورواه أبو داود (ج ٥ / ٣٦٠ - ٣٨٥) من عون المعبود والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف وابن ماجه (ج ٢ / ١٠٢٢ - ١٠٢٧) كلهم من حديث جابر في حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥٩) الحديث رواه أحمد في المسند (ج ١ / ٢٣٠) كذا فيه الوصية إلى ربه عز وجل وعند البخاري (لوصيته إلى أمته) .

(٦٠) (ج ٣ / ٥٧٣) وأخرجه الترمذي (ج ٤ / ٤٨٦) مختصراً .

ورواه ابن جرير ، من طريق سفيان - وهو الثوري - به ^(٦١).

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، أي : بلغ أنت رسالتي ، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك . وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يُحَرَّسُ ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، حدثنا يحيى ، سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة ، وهي إلى جنبه ، قالت : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ؟ » قالت : فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقال : « من هذا ؟ » فقال : أنا سعد بن مالك . فقال : « ما جاء بك ؟ » قال : جئت لأحرسك يا رسول الله . قالت : فسمعت غطيظ رسول الله ﷺ في نومه ^(٦٢) أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري ، به .

وفي لفظ : سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة مَقْدِمُهُ المدينة : يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها ، وكان ذلك في سنة ثنتين منها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عُبيد - يعني أبا قدامة - عن الجريري ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يُحَرَّسُ حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قالت : فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة ، وقال : « يا أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل » ^(٦٣).

وهكذا رواه الترمذي ، عن عبد بن حُميد وعن نصر بن علي الجهضمي ، كلاهما عن مسلم بن إبراهيم ، به . ثم قال : وهذا حديث غريب ^(٦٤).

وهكذا رواه ابن جرير ^(٦٥) والحاكم في مستدركه ، من طريق مسلم بن إبراهيم ، به . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(٦٦) . وكذا رواه سعيد بن منصور ^(٦٧) ، عن الحارث بن عُبيد أبي قدامة ، عن الجريري ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة ، به .

(٦١) ضعيف للإرسال ولأن فيه مبهماً انظر (ج ١٠ / ٤٦٨) من تفسير الطبري .

(٦٢) الحديث في المسند (ج ٦ / ١٤٠) وفي البخاري (ج ٦ / ٨١) ومسلم (ج ٤ / ١٨٧٥) .

(٦٣) الحديث ضعيف لعلتين فيه الحارث بن عبيد هو الأيادي ضعيف والجريري هو سعيد بن لباس مختلط .

(٦٤) (ج ٥ / ٢٥١) من سننه .

(٦٥) (ج ١٠ / ٤٦٩) من تفسيره .

(٦٦) (ج ٢ / ٣١٣) من المستدرک وليس صحيحاً لما رأيت .

(٦٧) لم أقف على رواية سعيد بن منصور .

ثم قال الترمذي : وقد روى بعضهم هذا عن الجُريري ، عن ابن شقيق قال : كان النبي ﷺ [يحرس] ولم يذكر عائشة .

قلت : هكذا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن علية ، وابن مردويه من طريق وهيب ، كلاهما عن الجُريري ، عن عبد الله بن شقيق مرسلًا ، وقد روي هذا مرسلًا عن سعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي ، رواهما ابن جرير^(٦٨) . والربيع بن أنس ، رواه ابن مردويه ، ثم قال :

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن رشد بن المصري ، حدثنا خالد بن عبد السلام الصديقي ، حدثنا الفضل بن المختار ، عن عبد الله بن موهب ، عن عصمة بن مالك الخطمي قال : كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، فترك الحرس^(٦٩) .

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا حمد بن محمد بن حمد أبو نصر الكاتب البغدادي ، حدثنا كردوس بن محمد الواسطي ، حدثنا يعلى بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : « كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ترك رسول الله ﷺ الحرس^(٧٠) .

حدثنا علي بن أبي حامد المدني ، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ، حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم الأشعري ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن معاوية بن عمار ، حدثنا أبي قال : سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه ، حتى نزلت : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، فذهب ليعث معه ، فقال : « يا عم ، إن الله عصمني ، لا حاجة لي إلى من تبعث »^(٧١) .

وهذا حديث غريب وفيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية .

ثم قال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحرس ، فكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه ، حتى نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، قال : فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه ، فقال : « إن الله قد عصمني من الجن

(٦٨) (ج ١٠/٤٦٨ - ٤٧٠) فتكون رواية الأباذي منكراً لأنه ضعيف وانضمت إليه المخالفة ، والله أعلم .

(٦٩) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الإصابة في ترجمة عصمة بن مالك الخطمي : له أحاديث أخرجه الدارقطني والطبراني وغيرهما مدارها على الفضل بن مختار وهو ضعيف جداً .

(٧٠) قال الهيثمي في المجمع (ج ٧/١٧) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عطية العوفي وهو ضعيف .

(٧١) الحديث ضعيف لضعف ابن عقدة وتلميذه ابن أبي حامد لا أدري من هو .

والإنس»^(٧٢).

ورواه الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني ، عن أبي كريب ، به .

وهذا أيضاً غريب . والصحيح أن هذه الآية مدنية ، بل هي من أواخر ما نزل بها ، والله أعلم .

ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً ، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة . فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب ، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش ، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً ، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم ، وهي المدينة ، فلما صار إليها حمّوه من الأحمر والأسود ، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، لما كاده اليهود بالسحر حمّاه الله منهم ، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء . ولما سم اليهود ذراع تلك الشاة بخير ، أعلمه الله به ، وحمّاه منه . ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها ، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة .

فقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً ، اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها . فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني ؟ فقال : « الله عز وجل » . فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه ، قال : وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾^(٧٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان . حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما غزا رسول الله ﷺ بني أُمّار ، نزل ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجله ، فقال [غَوْرَثُ بن الحارث] من بني النجار : لأقتلن محمداً . فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟ قال : أقول له : أعطني سيفك . فإذا أعطانيه قتلت به ، قال : فأتاه فقال : يا محمد ، أعطني سيفك أشيمه . فأعطاه إياه ، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده ، فقال رسول الله ﷺ : « حال الله بينك وبين ما تريد » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من »

(٧٢) الحديث ضعيف قال الهيثمي (ج ١٧/٧) رواه الطبراني وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف .

(٧٣) الحديث عند الطبري (ح ٤٧٠/١٠) وهو ضعيف لأنه مرسل وأيضاً لضعف عبد العزيز وهو ابن أبيان متروك وكذبه ابن معين وأبو معشر هو نجيع بن عبد الرحمن السندي قال البخاري : منكر الحديث .

ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ﴿٧٤﴾ .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقصة « غُورث بن الحارث » مشهورة في الصحيح ^(٧٥) .

وقال أبو بكر بن مَرْدُويه : حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : كنا إذا صحبنا رسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها ، فينزل تحتها ، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها ، فجاء رجل فأخذه فقال : يا محمد ، من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله يمنعني منك » ، ضع السيف . فوضعه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ^(٧٦) .

وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، عن عبد الله بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن المؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به ^(٧٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسرائيل - يعني الجُشَمي - سمعت جعدة - هو ابن خالد بن الصمة الجشمي - رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ ، ورأى رجلاً سميناً ، فجعل النبي ﷺ يومئذ إلى بطنه بيده ويقول : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك » . قال : وأتي النبي ﷺ برجل فقال : هذا أراد أن يقتلك . فقال له النبي ﷺ : « لم تُرْع ، [لم تُرْع] ولو أردت ذلك لم يسلطك الله علي » ^(٧٨) .

(٧٤) ضعيف بهذا السند لضعف موسى بن عبيدة الربذي ، قال البخاري وأبو زرعة : منكر الحديث وزيد بن أسلم : لم يسمع من جابر ، كما في التهذيب وجامع التحصيل .

(٧٥) يعني صحيح البخاري (ج ٧ / ٤٢٦) وهذا لفظه قال جابر : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال له : تخافني ، فقال له : « لا » قال : فمن يمنعك مني ، قال : « الله » فتهدده أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقيمت الصلاة فضلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين وكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أربع وللقوم ركعتان . وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر - اسم الرجل غورث بن الحارث .

(٧٦) شيخ ابن مردويه أبو عمرو وشيخه محمد بن عبد الوهاب لم أقف على تراجمهما وبقية رجال السند على شرط مسلم .

(٧٧) لم أجده والمؤمل بن إسماعيل يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات وقد تقدم أن الحديث عند البخاري (ج ٧ / ٤٢٦) من حديث جابر بن عبد الله وليس فيه سبب نزول الآية .

(٧٨) الحديث ضعيف لجهالة أبي إسرائيل إذ لم يرو عنه إلا شعبة ولم يوثقه معتبر كما في تهذيب التهذيب في الكنى ، والحديث في المسند (ج ٣ / ٤٧١) .

وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، أي : بلغ أنت ، والله هو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء . كما قال : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ، وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وقال : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى
تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿ ٦٨ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أُمَّةٍ أَمِنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ٦٩ ﴾

يقول تعالى : قل يا محمد : ﴿ يا أهل الكتاب لستم على شيء ﴾ . أي : من الدين ، ﴿ حتى تقيموا التوراة والإنجيل ﴾ ، أي : حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء ، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه ، والاعتداء بشريعته . ولهذا قال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿ وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ ، يعني : القرآن العظيم . وقوله : ﴿ وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ ، أي : فلا تحزن عليهم ولا يهيدنك^(٧٩) ذلك منهم .

ثم قال : ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ ، وهم : المسلمون ﴿ والذين هادوا ﴾ وهم : حملة التوراة ﴿ والصابئون ﴾ لما طال الفصل حسن العطف بالرفع . والصابئون : طائفة بين النصارى والمجوس ، ليس لهم دين . قاله مجاهد ، وعنه : بين اليهود والمجوس . وقال سعيد بن جبیر : بين اليهود والنصارى ، وعن الحسن : إنهم كالجموس . وقال قتادة : هم قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون إلى غير القبلة ، ويقرءون الزبور . وقال وهب بن منبه : هم قوم يعرفون الله وحده ، وليست لهم شريعة يعملون بها ، ولم يحدثوا كفرا .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : الصابئون قوم مما يلي العراق ، وهم بكوث ، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون كل سنة ثلاثين يوماً ، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات . وقيل غير ذلك^(٨٠) .

(٧٩) أي لا تنزعج أو لا يزعجك ذلك منهم .

(٨٠) الأثر سنده حسن إلى أبي الزناد ، وتقدم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى =

وأما النصارى فمعروفون ، وهم حملة الإنجيل .

والمقصود أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر ، وهو المعاد والجزاء يوم الدين ، وعملت عملاً صالحاً ، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقاً للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين . فمن اتصف بذلك ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ فيما يستقبلونه ، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم ، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ . وقد تقدم الكلام على نظيرتها في سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته .

لَقَدْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا
أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ
مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل ، على السمع والطاعة لله ولرسوله ، فنقضوا تلك العهود والمواثيق ، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع ، فما وافقهم منها قبلوه ، وما خالفهم ردوه . ولهذا قال : ﴿ كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فریقاً كذبوا وفریقاً يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة ﴾ ، أي : وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا ، فترتب ، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا ، فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه . ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ ، أي : مما كانوا فيه ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ ، أي : بعد ذلك ﴿ كثير منهم ، والله بصير بما يعملون ﴾ ، أي : مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهِ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا

مَنْ إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَهُوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا نَائِيًا كُلًّا نِظَامًا أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا
يُؤْفِكُونَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى ، من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، ممن قال
منهم : بأن المسيح هو الله ، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً .

هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير
في المهد أن قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ ، ولم يقل : أنا الله ، ولا ابن الله . بل قال : ﴿ إني عبد الله
أتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ .

وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته ، آمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك
له . ولهذا قال تعالى : ﴿ وقال المسيح : يا بني إسرائيل ، اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك
بالله ﴾ ، أي : فيعبد [معه] غيره ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ أي : فقد أوجب
له النار ، وحرم عليه الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما
رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث منادياً ينادي في الناس : « إن الجنة لا يدخلها إلا
نفس مسلمة » وفي لفظ : « مؤمنة » ^(٨١) .

وتقدم في أول سورة النساء عند قوله : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ حديث يزيد بن
بائبوس عن عائشة : الدواوين ثلاثة ، فذكر منهم ديواناً لا يغفره الله ، وهو الشرك بالله ، قال الله
تعالى : ﴿ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ ^(٨٢) . الحديث في مسند أحمد .

(٨١) صحيح البخاري (ج ٧/٤٧١) ومسلم (ج ١/١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه مسلم
أيضاً (ج ١/١٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٨٢) يزيد بن بائبوس قال الدارقطني : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : مجهول .
قلت : وهو كما قال فإنه لم يرو عنه سوى أبي عمران الجوني ، والحديث في المسند (ج ٦/٢٤٠) .

ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ ، أي : وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه .

وقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسن الهستنجاني ، حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، حدثنا الفضل ، حدثني أبو صخر في قول الله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ، قال : هو قول اليهود : ﴿ عزير ابن الله ﴾ ، وقول النصارى : ﴿ المسيح ابن الله ﴾ فجعلوا الله ثالث ثلاثة .

وهذا قول غريب في تفسير الآية : أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى . [والصحيح : أنها أنزلت في النصارى] خاصة ، قاله مجاهد وغير واحد .

ثم اختلفوا في ذلك فقليل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة ، وهو أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، قال ابن جرير وغيره : والطوائف الثلاث من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم . وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً ليس هذا موضع بسطه ، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى ، والحق أن الثلاث كافرة .

وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله ، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار ، قال السدي : وهي كقوله تعالى في آخر السورة : ﴿ وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال : سبحانك ... ﴾ الآية .

وهذا القول هو الأظهر ، والله أعلم . قال الله تعالى : ﴿ وما من إله إلا إله واحد ﴾ ، أي : ليس متعدداً ، بل هو وحده لا شريك له ، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات .

ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدداً : ﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ﴾ ، أي : من هذا الافتراء والكذب ﴿ ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ ، أي : في الآخرة من الأغلال والنكال .

ثم قال : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفورٌ رحيم ﴾ . وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه ، مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك ، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ، فكل من تاب إليه تاب عليه . ثم قال : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ ، أي : له سوية أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه ، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام ، كما قال : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ .

وقوله : ﴿ وأمه صديقة ﴾ ، أي : مؤمنة به مصدقة له ، وهذا أعلى مقاماتها ، فدل على أنها ليست بنبية ، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق ، ونبوة أم موسى ، ونبوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم ، وبقوله : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن

أرضعيه ﴿﴾ ، وهذا معنى النبوة ، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال ، قال الله تعالى : ﴿﴾ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ﴿﴾ ، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك .

وقوله : ﴿﴾ كانا يأكلان الطعام ﴿﴾ ، أي : يحتاجان إلى التغذية به ، وإلى خروجه منهما . فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة ، عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة .

ثم قال تعالى : ﴿﴾ انظر كيف نبين لهم الآيات ﴿﴾ ، أي : نوضحها ونظهرها ، ﴿﴾ ثم انظر أفى يؤفكون ﴿﴾ ، أي : ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون ؟ وبأي قول يتمسكون ؟ وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون ؟ .

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى منكرًا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ومبينًا له أنها لا تستحق شيئاً من الإلهية : ﴿﴾ قل ﴿﴾ أي : يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ، ودخل في ذلك النصارى وغيرهم : ﴿﴾ أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ﴿﴾ ، أي : لا يقدر على إيصال ضرر إليكم ، ولا إيجاد نفع ﴿﴾ والله هو السميع العليم ﴿﴾ أي : فلم عدلتم عن أفراد السميع لأقوال عباده ، العليم بكل شيء ، إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً ، ولا يملك ضرراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه .

ثم قال : ﴿﴾ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴿﴾ ، أي : لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تطرؤوا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه ، حتى تخرجه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، هو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله ، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ، ﴿﴾ وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ﴿﴾ ، أي : وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال ، إلى طريق الغواية والضلال .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : وقد كان قائمٌ قام عليهم ، فأخذ بالكتاب والسنة زماناً ، فأتاه

الشيطان فقال : إنما تركب أثراً أو أمراً قد عُمل قبلك ، فلا تَجُمَد عليه ، ولكن ابتدع أمراً من قبل نفسك وادعُ إليه وأجبر الناس عليه . ففعل ، ثم اذكر بعد فعله زماناً فأراد أن يتوب فخلع مُلكه ، وسلطانه وأراد أن يتعبد فلبث في عبادته أياماً ، فأقى فقيل له : لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك ، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة ، فكيف لك بهداهم ، فلا توبة لك أبداً . ففيه سمعنا وفي أشباهه هذه الآية : ﴿ يا أهل الكتاب ، لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾^(٨٣) .

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَسِّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَسِّ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ وَلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل ، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام ، وعلى لسان عيسى ابن مريم ، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور ، وفي الفرقان^(٨٤) .

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم ، فقال : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون ﴾ ، أي : كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم . ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يُركَّب مثل الذي ارتكبوا ، فقال : ﴿ لبس ما كانوا يفعلون ﴾ .

(٨٣) الأثر ضعيف ، أحمد بن عبد الرحمن هو حمدون صدوق وعبد الله بن جعفر هو الرازي صدوق يخطيء قال ابن حبان : يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه ، وأبوه هو عيسى بن أبي عيسى صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة وفي ترجمة شيخه الربيع بن أنس قال ابن حبان الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في حديثه عنه اضطراباً كثيراً .

(٨٤) ضعيف وهو عند الطبري (ج ٦ / ٢٠٤) دار المعرفة .

وقال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا يزيد ، حدثنا شريك بن عبد الله ، عن علي بن بزيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماءهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم - قال يزيد : وأحسبه قال : « وأسواقهم - وواكلوهم وشاربوهم . فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ » ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً »^(٨٥).

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن محمد الثقفي ، حدثنا يونس بن راشد ، عن [علي] ابن بزيمة ، عن [أبي عبيدة ، عن] عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ، ثم قال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ (إلى قوله) فاسقون ﴿ ، ثم قال : « كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً - أو تقصرنه على الحق قصراً »^(٨٦).

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من طريق علي بن بزيمة^(٨٧) ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب » . ثم رواه هو وابن ماجه ، عن بNDAR ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن علي بن بزيمة ، عن أبي عبيدة مرسلًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وهارون بن إسحاق الهمداني قالا : حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفطس ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً ، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه - وفي حديث هارون : وشريبه ، ثم اتفقا في المتن - فلما رأى الله ذلك منهم ، ضرب قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . ثم قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطراً ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أو ليلعنكم كما لعنهم » . والسياق لأبي سعيد . كذا قال في رواية هذا الحديث .

(٨٥) الحديث ضعيف لانقطاعه قال أبو حاتم وغير واحد في أبي عبيدة : لم يسمع من أبيه شيئاً ذكره عنهم العلاني في أحكام المراسيل ، والحديث عند أحمد (ج ٣٩١/١) من المسند .

(٨٦) (ج ٤٨٧/١١) من عون المعبود .

(٨٧) (ج ٢٣٥/٥ - ٢٣٦) وابن ماجه (ج ١٣٢٧/٢ - ١٣٢٨) وعلى كل حال فهو ضعيف سواء كان مرسلًا أو متصلًا لوجود الانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه عبد الله بن مسعود ، والله أعلم .

وقد رواه أبو داود أيضاً ، عن خلف بن هشام ، عن أبي شهاب الخياط ، عن العلاء بن المسيب ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم - وهو ابن عجلان الأفيطس - عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، بنحوه . ثم قال أبو داود : وكذا رواه خالد ، عن العلاء ، عن عمرو بن مرة ، به . ورواه المحاربي ، عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفيطس ، عن أبي عبيدة عن عبد الله^(٨٨) .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي ، عن العلاء ، عن عمرو بن مرة عن أبي موسى^(٨٩) .

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً ، ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام ، قد تقدم حديث جرير عند قوله : ﴿ لولا ينههم الربانيون والأحبار ﴾ ، وسيأتي عند قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ، حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا سليمان الهاشمي ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي ، عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »^(٩٠) .

ورواه الترمذي عن علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، به . وقال : هذا الحديث حسن^(٩١) .

(٨٨) (ج ٤٨٨/١١ - ٤٨٩) عون المعبود ونصه : رواه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو ابن مرة عن سالم الأفيطس عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه خالد الطحان عن العلاء عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة . انتهى كذا بغير ذكر أبي موسى لكن في تحفة الأشراف مذكور ولفظه : وخالفهم خالد بن عبد الله الواسطي فرواه عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى . قال ابن أبي حاتم (ج ١٠٣/٢) من العلل : سألت أبي يعني عن هذا الحديث قال : لا أعرف هذا الحديث من حديث عمرو بن مرة وإنما رواه علي بن بزيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرويه عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الأفيطس عن أبي عبيدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحديث من جمعه - أي من جميع طرقه - إلى أبي عبيدة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قلت : يريد أنه ليس من حديث أبي موسى وحديث عبد الله يرجع إلى ما تقدم أي أنه منقطع والله أعلم .
(٨٩) فائدة : عمرو بن مرة لم يسمع من الصحابة إلا من عبد الله بن أبي أوفى انظر جامع التحصيل وفتح الباري (ج ٣٦١/٣) ولعله حدث سقط ، والصواب ما تقدم ، والله أعلم .

(٩٠) الحديث ضعيف بهذا السند لجهالة عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي والحديث في المسند (ج ٣٨٨/٥) .

(٩١) (ج ٤٦٨/٤) من سننه .

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية ابن هشام ، عن هشام بن سعد ، عن عمرو بن عثمان ، عن عاصم بن عمر بن عثمان ، عن عروة ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مروا بالمعروف وانها عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » .

تفرد به ، وعاصم هذا مجهول^(٩٢) .

وفي الصحيح من طريق الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد - وعن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن أبي سعيد الخدري - قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »^(٩٣) . رواه مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا سيف - هو ابن أبي سليمان : سمعت عدي بن عدي الكندي يحدث عن مجاهد قال : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي - يعني : عدي بن عميرة رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه . فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة » .

ثم رواه أحمد ، عن أحمد بن الحجاج ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سيف بن أبي سليمان عن عدي بن عدي [الكندي] حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول : [سمعت] رسول الله ﷺ [يقول] [فذكره] هكذا رواه الإمام أحمد من هذين الوجهين^(٩٤) .

وقال أبو داود : حدثنا [محمد بن] العلاء ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا مغيرة بن زياد الموصلي ، عن عدي بن عدي ، عن العرس - يعني ابن عميرة - عن النبي ﷺ قال : « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها - وقال مرة : فأنكرها - كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »^(٩٥) .

تفرد به أبو داود . ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب ، عن مغيرة بن زياد ، عن عدي بن عدي ، مرسلًا .

(٩٢) (ج ٢ / ١٣٢٧) من سننه .

(٩٣) يعني في الصحيح (ج ١ / ٦٩) ورواه أبو داود (ج ١١ / ٤٩١) والترمذي (ج ٤ / ٤٠٧ - ٤٠٨) والنسائي (ج ٨ / ١١١ - ١١٢) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٣٠) وأحمد في المسند (ج ٣ / ١٠) وفي غيره .

(٩٤) الحديث ضعيف لأن فيه مبهماً وهو قوله حدثني مولى لنا والحديث في المسند (ج ٤ / ١٩٢) .

(٩٥) قوله وقال أبو داود في سننه (ج ٤ / ٥١٥) وعند البزار التصريح بسماع عدي من عمه العرس بن عميرة ، والحمد لله .

قال أبو داود : حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر قالا : حدثنا شعبة - وهذا لفظه - عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَحْتَرِيِّ قال : أخبرني من سمع النبي ﷺ - وقال سليمان : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ - قال : « لن يهلك الناس حتى يُعَذِّروا - أو يَعَذِّروا - من أنفسهم »^(٩٦).

وقال ابن ماجه : حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا علي بن زيد بن جُدعان ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيباً ، فكان فيما قال : « ألا لا يَمُنُّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه » . قال : فبكى أبو سعيد وقال : قد - والله - رأينا أشياء ، فَهَبْنَا^(٩٧).

وفي حديث إسرائيل : [عن محمد بن حجارة] ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه^(٩٨).

وقال ابن ماجه : حدثنا راشد بن سعيد الرملي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : عَرَضَ لرسول الله ﷺ رجلٌ عند الجمرة الأولى فقال : يا رسول الله ، أيُّ الجهاد أفضل ؟ فسكت عنه . فلما رمى الجمرة الثانية سأله ، فسكت عنه . فلما رمى جمره العقبة ، ووضع رجله في الغَرَزِ ليركب ، قال : « أين السائل ؟ » قال : أنا يا رسول الله ، قال : « كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر »^(٩٩) . تفرد به .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَحْتَرِيِّ ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقر أحدكم نفسه » . قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ . قال : « يرى أمراً لله فيه مقال ثم لا يقول

(٩٦) في سنن أبي داود والحديث على شرط الشيخين (ج ٤ / ٥١٥) .

(٩٧) ضعيف لأنه من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف والحديث في السنن (ج ٢ / ١٣٢٨) وقد تقدم الحديث من غير طريق علي بن زيد .

(٩٨) وعطية العوفي ضعيف والحديث عند أبي داود (ج ٤ / ٥١٤) والترمذي (ج ٤ / ٤٧١) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٢٩) لكن رواه أحمد (ج ٤ / ٣١٤ - ٣١٥) من طريق وكيع وابن مهدي عن سفيان عن علقمة عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أي الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند إمام جائر » . ورواه النسائي (ج ٧ / ١٦١) من طريق ابن مهدي فصح من هذا الوجه ، والحمد لله رب العالمين .

(٩٩) يعني ابن ماجه (ج ٢ / ١٣٣٠) ورواه أحمد في المسند (ج ٥ / ٢٥١) من طريق حماد ومن طريق يعلى ابن زياد كلاهما عن أبي غالب وهو حزور يحسن حديثه ، قال الحافظ في التقریب : صدوق يخطئ .

فيه . فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى ﴿^(١)﴾ تفرد به .

وقال أيضاً : حدثنا علي بن محمد ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة ، حدثنا نهار العبدى ، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة ، حتى يقول : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإذا لقن الله عبداً حجته ، قال : يا رب ، رجوتك وفرقت [من] الناس » تفرد به أيضاً ابن ماجه ، وإسناده لا بأس به^(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن عاصم ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن جندب ، عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه » . قيل : كيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء لما لا يطيق »^(٣) .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً ، عن محمد بن بشار ، عن عمرو بن عاصم ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وقال ابن ماجه : حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي ، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي ، حدثنا الهيثم بن حميد ، حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك قال : قيل : يا رسول الله ، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : « إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم » . قلنا : يا رسول الله ، وما ظهر في الأمم قبلنا ؟ قال : « الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رذالكم » . قال زيد : تفسير معنى قول النبي ﷺ : « والعلم في »

(١٠٠) يعني ابن ماجه (ج ٢ / ١٣٢٨) قال في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات وأبو البخري اسمه سعيد ابن فيروز الطائي .

قلت : وهنا تعثر فرسان كثير ممن تصدى للتصحيح والتضعيف جزاهم الله خيراً وبارك فيهم على ما بذلوا من خدمة للإسلام والمسلمين ، لكن في مثل هذا لا بد من التنبيه عليه والتنبيه له وهو الانقطاع في مثل ما بين أيدينا ، أبو البخري لم يسمع من أبي سعيد الخدري ، قاله أبو حاتم الرازي كما في جامع التحصيل وفيه أيضاً عننة الأعمش وهو مدلس وقد ذكروا أنه لم يسمع من أحد من الصحابة ومن جماعة آخرين من التابعين ، فالحديث إسناده ضعيف لأنه منقطع واحتمال التدليس .

(١) نهار العبدى يصلح حديثه في الشواهد والتابعات ، وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ الآية .

(٢) ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان والحديث في المسند (ج ٥ / ٤٠٥) وعند الترمذي (ج ٤ / ٤٥٣) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٣١ - ١٣٣٢) .

تنبيه : الحسن عن جندب في التهذيب عن أبي حاتم أنه لم يسمع منه لكن قد جاء في صحيح البخاري (ج ٦ / ٤٩٦) ومسلم (ج ١ / ١٠٧) قال الحسن : حدثنا جندب بن عبد الله فثبت سماعه ، والحمد لله .

رُذالكم» إذا كان العلم في الفساق^(٣).

تفرد به ابن ماجه^(٤). وسيأتي في حديث أبي ثعلبة، عند قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ شاهد لهذا، إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وقوله: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين.

وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالات المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم، ولهذا قال: ﴿أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فسر بذلك ما ذمهم به. ثم أخبر أنهم ﴿فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا مسلمة بن علي، عن الأعمش بإسناد ذكره قال: «يا معشر المسلمين، إياكم والزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر. وأما التي في الآخرة، فإنه يوجب سَخَطَ الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

هكذا ذكره ابن أبي حاتم، وقد رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عمار، عن مسلمة، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، فذكره. وساقه أيضاً من طريق سعيد ابن غفيرة، عن مسلمة، عن أبي عبد الرحمن الكوفي، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، فذكر مثله.

وهذا حديث ضعيف على كل حال^(٥)، والله أعلم، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والفرقان لما ارتكبوا ما ارتكبه من موالات الكافرين في الباطن، ومعاودة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه ﷺ ولكن كثيراً منهم فاسقون ﷻ، أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله، مخالفون لآيات وحيه وتنزيله.

لِتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلِتَجِدَنَّ

(٣) الحديث سنده حسن.

فائدة: مكحول الشامي الفقيه نفى سماعه من أنس البخاري وأثبت أبو مسهر وابن معين والترمذي والمثبت مقدم على النافي راجع التهذيب وجامع التحصيل.

(٤) (ج ٢/ ١٣٣١) من سننه.

(٥) ضعيف، مسلمة بن علي قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: سمع من الأعمش؟ قال: ما أرى سمع منه شيئاً وقال: سئل أبي عن سلمة بن علي فقال: ضعيف الحديث لا يشتغل به.

أَقْرَبُهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ
 وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ
 تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن
 يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبِتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْحُسَيْنِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه ، الذين
 حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أحضلوا لحاهم . وهذا القول فيه نظر ،
 لأن هذه الآية مدنية ، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة .

وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما : نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ ليسمعوا
 كلامه ، ويروا صفاته فلما قرأ عليهم النبي ﷺ القرآن أسلموا وبكوا وحشعوا ، ثم رجعوا إلى النجاشي
 فأخبروه .

قال السدي : فهاجر النجاشي فمات في الطريق .

وهذا من أفراد السدي ، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة ، وصلى عليه النبي ﷺ
 يوم مات ، وأخبر به أصحابه ، وأخير أنه مات بأرض الحبشة .

ثم اختلف في عدة هذا الوفد ، ف قيل : اثنا عشر ، سبعة قساوسة وخمسة رهبانين . وقيل
 بالعكس . وقيل : خمسون ، وقيل : بضع وستون . وقيل : سبعون رجلاً . ف الله أعلم .

وقال عطاء بن أبي رباح : هم قوم من أهل الحبشة ، أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة
 من المسلمين .

وقال قتادة : هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم ، فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن
 أسلموا ولم يتلعتنوا .

واختار ابن جرير أن هذه نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة ، سواء أكانوا من الحبشة أو غيرها .

فقوله : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهة للحق ، وغمط للناس وتنقص بحملة العلم . ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هموا بقتل الرسول ﷺ غير مرة وسحروه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية : حدثنا أحمد بن محمد بن السري ، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي ، حدثنا علي بن سعيد العلاف ، حدثنا أبو النضر ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن يحيى بن عبد الله عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما خلا يهودي قط بمسلم إلا هم بقتله » .

ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق الشكري ، حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي ، حدثنا فرج بن عبيد ، حدثنا عباد بن العوام ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما خلا يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله » . وهذا حديث غريب جداً^(٦) .

وقوله : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ﴾ ، أي : الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله ، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة ، وما ذاك إلا لما في قلوبهم ، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة ، كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ وفي كتابهم : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، وليس القتال مشروعاً في ملتهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ ، أي : يوجد فيهم القسيسون ، وهم خطبائهم وعلمائهم ، واحدهم : قسيس وقس أيضاً ، وقد يجمع على قسوس ، والرهبان : جمع راهب ، وهو : العابد . مشتق من الرهبة ، وهي الخوف ، كراكب وركبان ، وفارس وفرسان .

قال ابن جرير : وقد يكون الرهبان واحداً وجمعه رهايين ، مثل قربان وقرايين ، وجردان وجرداين ، وقد يجمع على رهابنة . ومن الدليل على أنه يكون عند العرب واحداً قول الشاعر :

لَوْ عَايَنْتَ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْقُلْلِ لَا تُحَدَّرَ الرُّهْبَانُ عَشِيٍّ وَتَزَلْ

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا نُصَيْرُ بْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ ، حدثني الصلت الدهان ، عن حامية بن رثاب قال : سألت سلمان عن قول الله : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ﴾ ، فقال : دع « القسيسين » في البيع والحرب ، أقرأني رسول الله ﷺ : « ذلك بأن منهم

(٦) ووجه الغرابة هو أن يحيى بن عبيد الله بن موهب قال البخاري فيه : تركه يحيى القطان وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث منكر الحديث جداً ونهاني أن أكذب حديثه وقال لا يشتغل به .

صديقين ورهباناً » .

وكذا رواه ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن نُصَيْر بن زياد الطائي ، عن صلت الدهان ، عن حامية بن رثاب ، عن سلمان ، به .

وقال ابن أبي حاتم : ذكره أبي ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا نُصَيْر بن زياد الطائي ، حدثنا صلت الدهان ، عن حامية بن رثاب قال : سمعت سلمان وسئل عن قوله : ﴿ ذَلِكَ بَأْنُ مِنْهُمْ قَيْسِيْنَ وَرَهْبَانًا ﴾ . قال : هم الرهبان الذين هم في الصوامع والحُرب ، فدعوههم فيها ، قال سلمان : وقرأت على النبي ﷺ : ﴿ ذَلِكَ بَأْنُ مِنْهُمْ قَيْسِيْنَ ﴾ ، فأقْرَأني : « ذَلِكَ بَأْنُ مِنْهُمْ صَدِيقَيْنِ وَرَهْبَانًا »^(٧) .

فقوله : ﴿ ذَلِكَ بَأْنُ مِنْهُمْ قَيْسِيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تضمن وصفهم بَأْنُ فيهم العلم والعبادة والتواضع ، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف ، فقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ ، أي : مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ، فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أي : مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به ،

وقد روى النسائي عن عمرو بن علي الفلاس ، عن عمر بن علي بن مقدم ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(٨) .

وقال الطبراني : حدثنا أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ، حدثنا أبي حدثنا العباس ابن الفضل ، عن عبد الجبار بن نافع الضبي ، عن قتادة وجعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ ، قال : إنهم كانوا كرايين - يعني : فلاحين - قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، فلما قرأ رسول الله ﷺ [عليهم] القرآن آمنوا وفاضت أعينهم ، فقال رسول الله ﷺ : « لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم » . فقالوا : لن نتقل عن ديننا . فأنزل الله ذلك من قولهم^(٩) .

(٧) قال الميمني في مجمع الزوائد (ج ١٧/٧) رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف .

(٨) عمر بن علي هو ابن عطاء المقدمي ثقة لكنه يدلّس تدليساً شديداً قال أبو حاتم : محله الصدق ولولا تدليسه لحكمنا له إذا جاء بزيادة غير أنا نخاف أن يكون أخذها عن غير ثقة وذكر في التهذيب أنه كان يدلّس تدليس السكوت وهو أن يقول : حدثنا أو سمعت ، ثم يسكت فيقول : هشام بن عروة أو الأعمش ، فخلاصة أمره أنه يتوقف في زياداته كما قال أبو حاتم رحمه الله ، والله أعلم .

والحديث عند النسائي في التفسير حديث رقم (١٦٨) .

(٩) قال الميمني في مجمع الزوائد (ج ١٧/٧ - ١٨) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف .

وروى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أي : مع محمد ﷺ ، وأُمته هم الشاهدون ، يشهدون لنبيهم أنه قد بلغ ، ولرسل أنهم قد بلغوا ، ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(١٠) .

﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ . وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ... ﴾ الآية ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لا نتبعي الجاهلين ﴾ . ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، أي : فجازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ، أي : ساكنين فيها أبداً ، لا يحولون ولا يزولون ، ﴿ وَذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، أي : في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان ، وأين كان ، ومع من كان . ثم أخبر عن حال الأشقياء فقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ، أي : جحدوا بها وخالفوها ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ، أي : هم أهلها والداخلون إليها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ ، قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأرسل إليهم ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : نعم . فقال النبي ﷺ : « لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني » رواه ابن أبي حاتم^(١١) .

وروى ابن مردويه من طريق العوفي ، عن ابن عباس نحو ذلك^(١٢) .

(١٠) رواية سماك عن عكرمة مضطربة ، قاله الحافظ في التقریب ، والحديث في المستدرک (ج ٢ / ٣١٣) .

(١١) علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ويغني عنه ما سيأتي في الصحيحين .

(١٢) تقدم أن العوفي ضعيف .

وفي الصحيحين ، عن عائشة ، رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا آكل اللحم . وقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : « ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ، لكنني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »^(١٣).

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، عن عثمان - يعني ابن سعد -^(١٤) أخبرني عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني إذا أكلت اللحم انتشرت للنساء ، وإني حرمت علي اللحم ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ .

وكذا رواه الترمذي^(١٥) وابن جرير جميعاً ، عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي عاصم النبيل ، به . وقال : حسن غريب . وقد روي من وجه آخر مرسلأ وروي موقوفاً على ابن عباس ، فآله أعلم .

وقال سفيان الثوري ووكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، وليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصي ؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك ، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ... ﴾^(١٦) الآية .

أخرجاه^(١٧) من حديث إسماعيل . وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة ، والله أعلم .

(١٣) الحديث رواه البخاري (ج ٩ / ١٠٤) ومسلم (ج ٢ / ١٠٢٠) من حديث أنس بن مالك وحديث عائشة إنما هو : صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمراً فترخص فيه فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتزهوا عنه فبلغه ذلك فقام خطيباً فقال : « ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكروه وتزهوا عنه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » . وهو في الصحيحين أيضاً عند البخاري (ج ١٣ / ٢٧٦) ومسلم (ج ٢ / ١٨٢٩) .

(١٤) عثمان بن سعد هو الكاتب ، ضعفه ابن معين والقطان وأبو زرعة وحسبك بهم .

(١٥) أما الترمذي ففي سننه (ج ٥ / ٢٥٥) وأما ابن جرير ففي تفسيره (ج ١٠ / ٥٢٠) ولفظه قال : حدثنا عمرو ابن علي قال : حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : هم أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بترك النساء والخصاء فأنزله الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا ما أحل الله لكم ﴾ الآية .

(١٦) لم أجده في تفسيره لكنه مخرج في الصحيحين كما أشار إليه الحافظ المفسر رحمه الله تعالى .

(١٧) يعني البخاري (ج ٩ / ١١٧) ومسلم (ج ٢ / ١٠٢٢) كلاهما في النكاح ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما في الفتح (ج ٩ / ١١٩) : وظاهر استشهاد ابن مسعود بهذه الآية هنا يشعر بأنه كان يرى بجواز المتعة فقال القرطبي : لعله لم يكن حينئذ بلغه الناسخ ثم بلغه فرجع بعد ، قال الحافظ رحمه الله : قلت : =

وقال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث ، عن عمرو بن شرحبيل قال : جاء معقل بن مَقْرَن إلى عبد الله بن مسعود فقال : إني حرمت فراشي . فتلا هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ... ﴾ ^(١٨) الآية .

وقال الثوري ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنا [عند] عبد الله ابن مسعود ، فجاء بضرع ، ففتح رجل ، فقال عبد الله : ادن . فقال : إني حرمت أن آكله ، فقال عبد الله : ادن فاطعم وكفر عن يمينك ، وتلا هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ... ﴾ ^(١٩) الآية .

رواهن ابن أبي حاتم . وروى الحاكم هذا الأثر الأخير في مستدركه ، من طريق إسحاق ابن راهويه ، عن جرير ، عن منصور ، به . ثم قال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه ^(٢٠) .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن ربيعة ضافه ضيف من أهله ، وهو عند النبي ﷺ ، ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يُطعموا ضيفهم انتظاراً له ، فقال لامرأته : حبست ضيفي من أجلي . هو علي حرام . فقالت امرأته : هو علي حرام . وقال الضيف : هو علي حرام . فلما رأى ذلك وضع يده ، وقال : كلوا باسم الله . ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم ، ثم أنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ . وهذا أثر منقطع ^(٢١) .

وفي صحيح البخاري ^(٢٢) في قصة الصديق مع أضيافه شبيه بهذا . وفيه ، وفي هذه القصة

= يؤيده ما ذكره الإسماعيلي أنه وقع في رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد ففعله ثم ترك ذلك ، وفي رواية لابن عيينة عن إسماعيل ثم جاء تحريمها بعد ، وفي رواية معمر ثم نسخ إلى آخره ، قال قاسم : وذكر الحافظ أيضاً (ص ١٧٣) من الجزء نفسه عن القرطبي قوله : الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض ، انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

قلت : ثم استقر الأمر على تحريمها لما روى مسلم في صحيحه (ج ٢/١٠٢٥) قال حدثنا محمد بن عبد الله بن غير حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً » . وفي الرواية بعدها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهي يوم الفتح عن متعة النساء .

(١٨) سنده صحيح إلى ابن مسعود . (١٩) وهذا أيضاً سنده صحيح إلى ابن مسعود .

(٢٠) أما ابن أبي حاتم فلم أقف على روايته لها وأما الحاكم فرواه (ج ٢/٣١٣) من المستدرک .

(٢١) وهو أن زيد بن أسلم يذكر شيئاً لعبد الله بن ربيعة مع ضيفه ومع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يذكر من حدثه بذلك ورواه الطبري (ج ٩/٧) ط دار المعرفة من طريق عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فذكره .

(٢٢) (ج ١٠/٥٣٤-٥٣٥) وفيما صح غنى عما لم يصح .

دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره إلى أن من حرم مأكلاً أو ملبساً أو شيئاً ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه ، ولا كفارة عليه أيضاً . ولقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . ولأن الذي حَرَّمَ اللحم على نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي ﷺ بكفارة . وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن من حرم مأكلاً أو مشرباً أو شيئاً من الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين ، كما إذا التزم تركه باليمين فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريمه على نفسه ، إلزاماً له بما التزمه ، كما أفتى بذلك ابن عباس ، وكما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، لَمْ تَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ الآية . وكذلك هاهنا لما ذكر هذا الحكم عقبه بالآية المبينة لتكفير اليمين ، فدل على أن هذا منزل منزلة اليمين في اقتضاء التكفير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أراد رجال ، منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو ، أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ، فنزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ قال ابن جريج ، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وسالماً مولى أبي حذيفة في أصحاب ، تبتلوا ، فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح ، وحرموا [طيبات] الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل ، وهما بالإخصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، يقول : لا تسيروا بغير سنة المسلمين ، يريد : ما حرّموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار وما هموا به من الإخصاء فلما نزلت فيهم بعث [إليهم] رسول الله ﷺ فقال : « إِنْ أَنْفُسَكُمْ حَقّاً . وَإِنْ لَأَعْيُنَكُمْ حَقّاً . صُومُوا وَأَفْطَرُوا ، وَصَلُّوا وَنَامُوا فَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنَا » . فقالوا : اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت » (٢٣) .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله ، ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة (٢٤) أم المؤمنين ، كما تقدم ذلك ، والله الحمد والمنة .

وقال أسباط عن السدي ، في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً فذكر الناس ،

(٢٣) ضعيف لثلاث علل فيه : ضعف الحسين وهو ابن داود سنيد ، وعنينة ابن جريج وهو مدلس وقد قال البرد يحى أنه لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً .

قلت : وما أظنه هذا لما روى العلاني عن ابن الجنيد سألت يحيى بن معين : سمع ابن جريج من مجاهد ؟ قال في حرف أو حرفين في القراءة لم يسمع غير ذلك .

قلت : والعللة الثالثة : الإرسال والحديث عند الطبري (ج ١٠ / ٥١٩) .

(٢٤) انظر عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية .

ثم قام ولم يزددهم على التخويف ، فقال ناس من أصحاب النبي ﷺ ، كانوا عشرة منهم على بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون : ماخفنا إن لم نحدث عملاً ، فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم ، فنحن نحرّم ، فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك ، وأن يأكل بنهار ، وحرم بعضهم النوم ، وحرم بعضهم النساء . فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا تدنو منه . فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها ، وكان يقال لها : الحولاء ، فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي ﷺ : ما بالك يا حولاء متغيرة اللون ، لا تمتشطين ولا تتطيبين ؟ قالت : وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع علي زوجي وما رفع عني ثوباً ، منذ كذا وكذا . قال : فجعلن يضحكن من كلامها ، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن ، فقال : « ما يضحكن ؟ » قالت : يا رسول الله ، إن الحولاء سألتها عن أمرها ، فقالت : ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا وكذا . فأرسل إليه فدعاه ، فقال : « ما لك يا عثمان ؟ » قال : إني تركته لله ، لكي أتخلى للعبادة . وقص عليه أمره ، وكان عثمان [قد] أراد أن يجب نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : « أقسمت [عليك] إلا رجعت فواقعت أهلك » . فقال : يا رسول الله ، إني صائم . فقال : « أفطر » . فأفطر ، وأتى أهله ، فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت ، فضحكت عائشة وقالت : ما لك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتاها أمس ، وقال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ؟ ألا إني أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، وأنكح النساء ، فمن رغب عني فليس مني » ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ﴾ يقول لعثمان : « لا تجب نفسك » ، فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا أيمانهم ، فقال : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ رواه ابن جرير^(٢٥) .

وقوله : ﴿ ولا تعتدوا ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه : ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم في تحريم المباحات عليكم ، كما قاله من قاله من السلف . ويحتمل أن يكون المراد : كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال ، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ، ولا تجاوزوا الحد فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ... ﴾ ... الآية . وقال : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجاهل عنه ، لا إفراط ولا تفريط . ولهذا قال : ﴿ لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ .

ثم قال : ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ﴾ أي : في حال كونه حلالاً طيباً ، ﴿ واتقوا الله ﴾ ، أي : في جميع أموركم ، واتبعوا طاعته ورضوانه ، واتركوا مخالفته وعصيانه ، ﴿ الذي أنتم به مؤمنون ﴾ .

(٢٥) (ج ١٠/٥١٧) وهو ضعيف من وجهين : أسباط حديثه أنزل من الحسن وأيضاً لإرساله فإن السدي تابعي .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ
مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَإِصْيَاءَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قد تقدم في سورة البقرة^(٢٦) الكلام على لغو اليمين ، وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد : لا والله ، وبلى والله ، وهذا مذهب الشافعي ، وقيل : هو في الهزل . وقيل : في المعصية . وقيل : على غلبة الظن وهو قول أبي حنيفة وأحمد . وقيل : اليمين في الغضب . وقيل : في النسيان . وقيل : هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك ، واستدلوا بقوله : ﴿ لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ .

والصحيح أنه اليمين من غير قصد ، بدليل قوله : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ أي : بما صمتم عليه من الأيمان وقصدتموها ، ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ ، يعني : محايج من الفقراء ، ومن لا يجد ما يكفيه .

وقوله : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : أي : من أعدل ما تطعمون أهليكم .

[وقال عطاء الخراساني : من أمثل ما تطعمون أهليكم قال] ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي قال : خبز ولبن ، خبز وسمن^(٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان - يعني ابن أبي المغيرة - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الرجل يقوت

(٢٦) عند قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

(٢٧) أبو إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث وأيضاً في جامع التحصيل عن ابن أبي حاتم يقال : إن أبا إسحاق لم يسمع من الحارث يعني الهمداني إلا أربعة أحاديث وبقي ما هو أعظم وأكبر : ضعف الحارث وهو ابن عبد الله الأعور قال الشعبي : حدثنا الحارث وأشهد بالله أنه كان كذاباً . قلت : فالأثر ضعيف لهاتين علتين .

[بعض] أهله قوت دون ، وبعضهم قوتاً فيه سعة ، فقال الله تعالى ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ [أي : من] الخبز والزيت^(٢٨) .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ . قال : من عسرهم ويسرهم^(٢٩) .

وحدثنا عبد الرحمن بن خلف الحمصي ، حدثنا محمد بن شعيب - يعني ابن شابور - حدثنا شيان بن عبد الرحمن التميمي ، عن لميث بن أبي سليم ، عن عاصم الأحول ، عن رجل يقال له : عبد الرحمن ، عن ابن عمر ، أنه قال : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ قال : الخبز واللحم ، [والخبز والسمن] والخبز واللبن ، والخبز والزيت ، والخبز والخل^(٣٠) .

وحدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر في قوله : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ قال : الخبز والسمن والخبز والزيت ، والخبز والتمر ، ومن أفضل ما تطعمون أهليكم : الخبز واللحم^(٣١) .

ورواه ابن جرير عن هناد وابن وكيع كلاهما عن أبي معاوية^(٣٢) ، ثم روى ابن جرير عن عبيدة ، والأسود ، وشرح القاضي ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، والضحاك ، و أبي رزين أنهم قالوا نحو ذلك^(٣٣) وحكاه ابن أبي حاتم عن مكحول أيضاً .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ ، أي : في القلة والكثرة .

ثم اختلف العلماء في مقدار ما يطعمهم ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن حصين الحارثي ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن علي في قوله : ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ ، قال : يغذيهم ويعشيم^(٣٤) .

(٢٨) سنده صحيح إلى ابن عباس سليمان بن أبي المغيرة قال الحافظ في التقریب : صدوق لكن إذا نظرت في التهذيب علمت أنه يستحق أن يكون ثقة والحديث رواه ابن ماجة من طريق محمد بن يحيى عن ابن مهدي عن سفيان ابن عيينة به فذكره .

(٢٩) الأثر ضعيف لضعف جابر وهو ابن زيد الجعفي وقوله عن عامر هو ابن شرحبيل الشعبي .

(٣٠) الأثر ضعيف لضعف لميث بن أبي سليم فإنه اختلط .

(٣١) الأثر سنده صحيح إلى ابن عمر وقد سمع ابن سيرين من ابن عمر كما في التهذيب وجامع التحصيل .

(٣٢) (ج ١٠ / ٥٣٢) وفيه أبو الأحوص بدل أبي معاوية .

(٣٣) الآثار بأسانيدھا (ج ١٠ / ٥٣١ - ٥٣٤) من تفسير الطبري وكلھا صحيحة إلا أثر الضحاك فلم أقف على سنده من تفسير الطبري ، والله المستعان .

(٣٤) تقدم قول الشعبي في الحارث وحجاج هو ابن أرطاة كما في التهذيب في ترجمة أبي خالد وحجاج صدوق كثير الخطأ والتدليس كما في التقریب .

وقال الحسن ومحمد بن سيرين : يكفيه أن يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزاً ولحماً ، زاد الحسن : فإن لم يجد فخبزاً وسمناً ولبناً ، فإن لم يجد فخبزاً وزيتاً وخلاً حتى يشبعوا .

وقال آخرون : يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بُرٍّ أو تمر ونحوهما . هذا قول عمر ، وعلي ، وعائشة ، ومجاهد ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، وميمون بن مهران ، و أبي مالك ، والضحاك ، والحاكم ، ومكحول ، و أبي قلابة ، ومقاتل بن حَيَّان .
وقال أبو حنيفة : نصف صاع بر ، وصاع مما عداه .

وقد قال أبو بكر بن مَرْدُويه : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الثقفي ، حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف ، حدثنا محمد بن معاوية ، حدثنا زياد بن عبد الله بن الطفيل بن سخبرة ابن أخي عائشة لأمه حدثنا عمر بن يعلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كَفَّرَ رسول الله ﷺ بصاع من تمر ، وأمر الناس به ، ومن لم يجد فنصف صاع من بر .
ورواه ابن ماجه ، عن العباس بن يزيد ، عن زياد بن عبد الله البكائي عن عُمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي ، عن المنهال بن عمرو ، به ^(٣٥) .

لا يصح هذا الحديث لحال عُمر بن عبد الله هذا فإنه مجمع على ضعفه ، وذكروا أنه كان يشرب الخمر ، وقال الدارقطني : متروك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ^(٣٦) ، عن داود - يعني ابن أبي هند - عن عكرمة عن ابن عباس : مُدٌّ من بُرٍّ - يعني لكل مسكين - ومعه إدامه .

ثم قال : وروي عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وأبي الشعثاء والقاسم ، وسالم ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسليمان بن يسار ، والحسن ومحمد بن سيرين ، والزهري - نحو ذلك .

وقال الشافعي : الواجب في كفارة اليمين مُدٌّ بمُدِّ النبي ﷺ لكل مسكين . ولم يتعرض للأدم . واحتج بأمر النبي ﷺ للذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكيناً من مكيل يسع خمسة عشر صاعاً لكل واحد منهم مد .

وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك ، فقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن علي بن الحسن المقرئ ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا النضر بن زُرَّارة الكوفي ، عن عبد الله بن عُمر العُمري ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة

(٣٥) (ج ١ / ٦٨٢) من سننه .

(٣٦) هو عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي وهو وأبوه وجده محدثون وعبد الله ثقة فقيه عابد وأبوه ثقة وجده مقبول .

اليمن مدأ من حنطة بالمد الأول .

إسناده ضعيف ، لحال النضر بن زرارة بن عبد الأكرم الذهلي الكوفي نزيل بلخ ، قال فيه

أبو حاتم الرازي : هو مجهول مع أنه قد روى عنه غير واحد ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال :
روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة ، فالله أعلم . ثم إن شيخه العمري ضعيف أيضاً .

وقال أحمد بن حنبل : الواجب مد من بر ، أو مدان من غيره . والله أعلم .

وقوله : ﴿ أو كسوتهم ﴾ ، قال الشافعي رحمه الله : لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مِقْنَعَة أجزأه ذلك . واختلف أصحابه في القلنسوة : هل تجزئ أم لا ؟ على وجهين ، فمنهم من ذهب إلى الجواز ، احتجاجاً بما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد الأشج وعمار بن خالد الواسطي قالا : حدثنا القاسم بن مالك ، عن محمد بن الزبير ، عن أبيه قال : سألت عمران بن حصين عن قوله : ﴿ أو كسوتهم ﴾ ، قال : لو أن وفداً قدموا على أميركم وكساهم قلنسوة قلنسوة ، قلم : قد كُسُوا .

ولكن هذا إسناده ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا ، والله أعلم . وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الإسفرايني في الخف وجهين أيضاً ، والصحيح عدم الإجزاء .

وقال مالك وأحمد بن حنبل : لا بد أن يدفع إلى كل واحد منهم من الكسوة ما يصح أن يصلي فيه ، إن كان رجلاً أو امرأة ، كل بحسبه ، والله أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس : عباءة لكل مسكين أو شملة .

وقال مجاهد : أدناه ثوب ، وأعلاه ما شئت .

وقال ليث ، عن مجاهد : يجزئ في كفارة اليمن كل شيء إلا الثبان^(٣٧) .

وقال الحسن ، وأبو جعفر الباقر ، وعطاء ، وطاوس ، وإبراهيم النخعي ، وحامد بن أبي سليمان ، وأبو مالك : ثوب ثوب .

وعن إبراهيم النخعي أيضاً : ثوب جامع كالمحفة والرداء ، ولا [يرى] الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعاً .

وقال الأنصاري^(٣٨) ، عن أشعث ، عن ابن سيرين والحسن : ثوبان .

(٣٧) قال في التعليق على طبعة الشعب : الثبان بضم التاء وتشديد الباء : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين .

(٣٨) هو محمد بن عبد الله الأنصاري كما في تفسير الطبري (ج ١٠ / ٥٤٧) .

وقال الثوري ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب : عمامة يلف بها رأسه ، وعباءة يلتحف بها . وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبي موسى : أنه حلف على يمين ، فكسا ثوبين من مُعَقَّدَةِ البحرين^(٣٩) .

وقال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن المولى ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن مقاتل بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن أبي عياض ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ أو كسوتهم ﴾ ، قال : « عباءة لكل مسكين » .
حديث غريب^(٤٠) .

وقوله : ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها . فقال : تحزىء الكافرة كما تحزىء المؤمنة : وقال الشافعي وآخرون : لا بد أن تكون مؤمنة . وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل ، لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ، ولحديث معاوية بن الحكم السلمي ، الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم^(٤١) : أنه ذكر أن عليه عتق رقبة ، وجاء معه بجزيرة سوداء ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أين الله ؟ » قالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال : « اعتقها فإنها مؤمنة » . الحديث بطوله .

فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين ، أيها فَعَلَ الحائِثُ أجزأ عنه بالإجماع . وقد بدأ بالأسهل فالأسهل ، فالإطعام أيسر من الكسوة ، كما أن الكسوة أيسر من العتق ، فَرَقِيَ فيها من الأدنى إلى الأعلى . فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما قال تعالى : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ﴾ .

وروى ابن جرير ، عن سعيد بن جبيرة والحسن البصري أنهما قالا : من وجد ثلاثة دراهم لزمه الإطعام وإلا صام^(٤٢) .

وقال ابن جرير حاكياً عن بعض متأخري متفقهة زمانه أنه قال : جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف [به] لمعاشه [ما يكفر به بالإطعام ، أن يصوم إلا أن يكون له كفاية ، ومن المال ما يتصرف به لمعاشه] ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه .

(٣٩) (ج ١٠ / ٥٤٨) من التفسير ورواه البيهقي (ج ١٠ / ٥٦) من السنن الكبرى .

(٤٠) لعل الحافظ المفسر رحمه الله تعالى أراد أن يشير إلى تضعيف مقاتل بن سليمان فإن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى يقول في التقریب : كذبوه وهجره ورمي بالتجسيم .

(٤١) انظر الموطأ (ج ٢ / ٧٧٧) دار إحياء التراث العربي بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي . ومسلم (ج ١ / ٣٨١-٣٨٢) .

(٤٢) هو من طريق هناد عن ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن عبد الكريم عن سعيد بن جبيرة بمعناه .

انظر (ج ١٠ / ٥٥٨) وعبد الكريم هو ابن أبي المخارق الضعيف وليس بعبد الكريم بن مالك الجزري الثقة وكلاهما يروي عن سعيد بن جبيرة لكن حماد بن سلمة لم يرو عن الجزري ، والحمد لله .

ثم اختار ابن جرير : أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين^(٤٣).

واختلف العلماء : هل يجب فيها التتابع ، أو يستحب ولا يجب ويجزىء التفريق ؟ على قولين : أحدهما أنه لا يجب التتابع ، هذا منصوص الشافعي في كتاب « الأيمان » ، وهو قول مالك ، لإطلاق قوله : ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ وهو صادق على المجموعة والمفرقة ، كما في قضاء رمضان ، لقوله : ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ .

ونص الشافعي في موضع آخر « في الأم » على وجوب التتابع ، كما هو قول الحنفية والحنابلة ، لأنه قد روي عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرؤونها : ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾ . قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب أنه كان يقرأها : ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾^(٤٤).

وحكاها مجاهد ، والشعبي وأبو إسحاق عن عبد الله بن مسعود .

وقال إبراهيم : في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾ .

وقال الأعمش : كان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك .

وهذه إذا لم يثبت كونها قرآناً متواتراً^(٤٥) ، فلا أقل من أن يكون خبر واحد ، أو تفسيراً من الصحابي ، وهو في حكم المرفوع .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن علي ، حدثنا محمد بن جعفر الأشعري ، حدثنا الهيثم بن خالد القرشي ، حدثنا يزيد بن قيس ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة : يا رسول الله ، نحن بالخيار ؟ قال : « أنت بالخيار ، إن شئت أعتقت ، وإن شئت كسوت ، وإن شئت أطعمت ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات »^(٤٦) .

(٤٣) (ج ١٠ / ٥٥٩) .

(٤٤) تقدم القول في رواية أبي جعفر عن الربيع عند تفسير قول الله تبارك وتعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾ الآية .

(٤٥) لم يثبت كونها قرآناً متواتراً ثم إن هذه الآثار لا تخلو من ضعف كلها وأما قوله : أو تفسيراً من الصحابي إلى آخره ، فإنه ذكر في كتابه اختصار علوم الحديث قال : وما قيل من أن تفسير الصحابي في حكم المرفوع فإنما ذلك فيما كان سبب نزول أو نحو ذلك .

(٤٦) يزيد بن قيس ما وجدت له ترجمة والحديث ضعيف لعل منها ضعف إسماعيل بن يحيى وهو ابن عبيد الله قال ابن عدي بعد أن ذكر له بضعاً وعشرين حديثاً : عامة ما يرويه بواسطيل .

قلت : وفي ترجمته أنه يروي عن ابن جريج فلعل في السند سقطاً ثم إن ابن جريج لم يدرك الرواية عن ابن عباس فإن بينه وبينه مفاوز ولذا عقبه الحافظ المؤلف بقوله : غريب جداً .

وهذا حديث غريب جداً .

وقوله : ﴿ ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ﴾ ، قال ابن جرير : معناه : لا تتركوها بغير تكفير . ﴿ كذلك بين الله لكم آياته ﴾ ، أي : يوضحها وينشرها . (لعلكم تشكرون) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَوْا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر ، وهو القمار .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : الشطرنج من الميسر . رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبيس بن مرحوم ، عن حاتم ^(٤٧) ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، به .

وقال ابن أبي حاتم . حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ^(٤٨) ، عن عطاء ومجاهد وطاوس - قال سفيان : أو اثنين منهم - قالوا : كل شيء من القمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز .

وروي عن راشد بن سعد وحمة بن حبيب ، و قالوا : حتى الكعاب ، والجوز ، والبيض

(٤٧) حاتم هو ابن إسماعيل المدني وتلميذه عبيس بن مرحوم هو ابن عبد العزيز العطار البصري كما في ترجمة حاتم وكما في الإكمال ولم أره في غير هذين الموضعين ، والله المستعان .

(٤٨) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف .

التي تلعب بها الصبيان .

وقال موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : الميسر هو القمار .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس قال : الميسر هو القمار ، كانوا يتقمارون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام ، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة .

وقال مالك ، عن داود بن الحصين ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالشاة والشاتين .

وقال الزهري ، عن الأعرج قال : الميسر : الضرب بالقداح على الأموال والثمار .

وقال القاسم بن محمد : كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر .

رواهن ابن أبي حاتم^(٤٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزر بها زجراً فإنها من الميسر » .

حديث غريب^(٥٠) .

وكان المراد بهذا هو النرد الذي ورد في الحديث [به] في صحيح مسلم ، عن بُريدة بن الحُصيب الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه »^(٥١) .

وفي موطأ مالك ومسنند أحمد ، وسنن أبي داود وابن ماجه ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله »^(٥٢) . وروي موقوفاً عن أبي موسى

(٤٩) لم أقف على سنديهما أعني راشداً وحمة ، وأثر ابن عمر عند الطبري (ج ٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥) جاء من طريقين : الأولى فيها المتن وهو ابن إبراهيم ، والثانية فيها الفضل بن سليمان ولم أقف على تراجمهما وأثر ابن عباس منقطع والضحاك هو ابن مزاحم ولم يسمع من ابن عباس رواه مالك (ج ٢ / ١٥٠) من تنوير الحوالك وهو صحيح إلى سعيد بن المسيب وأثر الزهري لم أجده بسنده وأثر القاسم ضعيف لأنه من طريق عمر ابن عبيد الله وهو مجهول كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم والحمد لله رب العالمين .

(٥٠) عثمان بن أبي العاتكة ضعفه في روايته عن علي بن زيد وهو ابن أبي زياد الألهاني وعلي ضعيف أيضاً .

(٥١) هو في كتاب الشعر باب تحريم اللعب بالنردشير (ج ٤ / ١٧٧٠) .

(٥٢) ضعيف من هذا الوجه وسببه الانقطاع بين سعيد بن أبي هند وبين أبي موسى فإنه لم يسمع منه كما في جامع التحصيل وغيره عن أبي زرعة وغيره ، والحديث أخرجه من هذا الوجه مالك في الموطأ (ج ٢ / ٩٥٨) =

من قوله^(٥٣)، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مكّي بن إبراهيم ، حدثنا الجعيد ، عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي ، أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول : أخبرني ، ما سمعت أباك يقول عن رسول الله ﷺ ؟ فقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل الذي يلعب بالنرد ، ثم يقوم فيصلي ، مثل الذي يتوضأ بالقئح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي »^(٥٤).

وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر : إنه شرّ من النرد . وتقدم عن علي أنه قال : هو من الميسر . ونص على تحريمه مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى .
وأما الأنصاب فقال ابن عباس : ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وغير واحد : هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها .

وأما الأزلام فقالوا أيضاً : هي قدام كانوا يستقسمون بها .

وقوله : ﴿ رجس من عمل الشيطان ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي سَخَط من عمل الشيطان .

وقال سعيد بن جبير : إثم ، وقال زيد بن أسلم : أي شر ، من عمل الشيطان .

﴿ فاجتنبوه ﴾ ، الضمير عائد على الرجس ، أي : اتركوه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ . وهذا ترغيب .

ثم قال تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ﴾ وهذا تهديد وترهيب .

[ذكر الأحاديث الواردة في تحريم الخمر]

قال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيْج ، حدثنا أبو معشر ، عن أبي وهب مولى أبي هريرة ، عن

= وأحمد (ج ٤/٣٩٧ و ٤٠٠) وأبو داود ج (٢٣٠/٥) وابن ماجه (ج ٢/١٢٣٧) كلهم من طريق سعيد ابن أبي هند عن أبي موسى ورواه أحمد أيضاً (ج ٤/٣٩٤) من طريق أسامة بن زيد وهو الليثي عن سعيد ابن أبي هند عن أبي موسى تارة وعن سعيد عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب - ويقول فيما أعلم - عن أبي موسى تارة أخرى ، فالحديث منقطع كما تقدم وهذه الزيادة شاذة لأنه لم يأت بها غير أسامة ثم إنه شك في أدائه واضطرب ، والله أعلم .

(٥٣) رواه كذلك البيهقي (ج ١٠/٢١٤) من سننه من طريق أيوب عن نافع عن سعيد عن أبي موسى موقوفاً عليه وقد عرفت أن سعيداً لم يسمع من أبي موسى فهو ضعيف سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً .

(٥٤) الحديث ضعيف ، موسى بن عبد الرحمن الخطمي مجهول ، قاله الحافظ في تعجيل المنفعة والحديث في المسند (ج ٥/٣٧٠) .

أبي هريرة قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما ، فأنزل الله : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ... ﴾ إلى آخر الآية . فقال الناس : ما حرم علينا ، إنما قال : ﴿ فيهما إثم كبير ﴾ . وكانوا يشربون الخمر ، حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين ، أم أصحابه في المغرب ، خلط في قراءته ، فأنزل الله آية أغلظ منها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ . وكان الناس يشربون ، حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفق : ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ ، قالوا : انتهينا ربنا . وقال الناس : يا رسول الله ، ناس قتلوا في سبيل الله ، وماتوا على سرفهم ، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... ﴾ إلى آخر الآية ، وقال النبي ﷺ : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم » .

انفرد به أحمد^(٥٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا . فنزلت هذه الآية التي في البقرة : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ ، فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في سورة النساء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ ، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى : [أن] لا يقربن الصلاة سكران . فدعي [عمر] فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا . فنزلت [الآية] التي في المائدة ، فدعي عمر ، فقرئت عليه فلما بلغ : ﴿ فهل أنتم متبهون ﴾ قال عمر : انتهينا^(٥٦) .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي من طرق عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عَمرو ابن عبد الله السبيعي وعن أبي ميسرة - واسمه عمرو بن شرحبيل الحمداني - عن عُمَر ، به . وليس له عنه سواه ، قال أبو زرعة : ولم يسمع منه . وصحح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي^(٥٧) .

وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ :

(٥٥) (ج ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢) وهو ضعيف لضعف أبي معشر هو نجيح بن عبد الرحمن وجهالة شيخه أبي وهيب ، بالتصغير ، كما في تعجيل المنفعة .

(٥٦) الحديث في المسند (ج ١/ ٥٣) وهو ضعيف لأنه منقطع بين أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل وبين عمر .

(٥٧) قال شيخنا حفظه الله تعالى في تعليقه على المسند بعد ذكره هذا الكلام : وعلى كل فتصحيحه متوقف على ثبوت سماعه - يعني سماع أبي ميسرة من عمر .

أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والخمر ما خامر العقل^(٥٨).

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، حدثني نافع ، عن ابن عمر قال : نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ الخمسة أشربة ما فيها شراب العنب^(٥٩).

حديث آخر ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن المصري - يعني أبا طعمة قاريء مصر - قال : سمعت ابن عمر يقول : نزلت في الخمر ثلاث آيات ، فأول شيء نزل : ﴿ يسألونك عن الخمر الميسر ... ﴾ الآية ، فقيل : حرمت الخمر . فقالوا : يا رسول الله ، ننتفع بها كما قال الله تعالى . قال : فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ . فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا لا نشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : « حرمت الخمر »^(٦٠).

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يعلى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن القعقاع بن حكيم أن عبد الرحمن بن وعلّة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر ، فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف - أو : من دوس - فلقية يوم الفتح براوية [خمر] يهديها إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا فلان ، أما علمت أن الله حرّمها ؟ » فأقبل الرجل على غلامه فقال : اذهب فبعها . فقال رسول الله ﷺ : « يا فلان ، بماذا أمرته ؟ » فقال : أمرته أن يبيعها . قال : « إن الذي حرم شربها حرم بيعها » . فأمر [بها] فأفرغت في البطحاء^(٦١).

رواه مسلم من طريق ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم . ومن طريق ابن وهب أيضاً ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد كلاهما - عن عبد الرحمن بن وعلّة - عن ابن عباس ، به - ورواه النسائي ، عن قتيبة ، عن مالك ، به^(٦٢).

(٥٨) البخاري (ج ٢٧٧/٨) ومسلم (ج ٢٣٢٢/٤) .

(٥٩) (ج ٢٧٦/٨) في التفسير من صحيحه ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح (٣٦/١٠) يحتمل أن ابن عمر نفى ذلك بمقتضى ما علم أو أراد المبالغة من أجل قلتها حينئذ بالمدينة فأطلق النفي كما يقال : فلان ليس بشيء مبالغة ويؤيده قول أنس المذكور في الباب : وما نجد خمر الأعناب إلا قليلاً ، ويحتمل أن يكون مراد ابن عمر : وما بالمدينة منها شيء ، أي يعصر .

(٦٠) الحديث ضعيف ، لضعف محمد بن أبي حميد قال البخاري فيه : منكر الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة وشيخه مقبول كما في التقريب والحديث في مسند الطيالسي برقم (١٩٥٧) .

(٦١) الحديث صحيح ، وهو في المسند (ج ٢٣٠/١ - ٢٤٤) .

(٦٢) قوله : رواه مسلم إلى آخره ، أي في كتاب البيوع (ج ١٢٠٦/٣) والنسائي (ج ٣٠٧/٧ - ٣٠٨) ومالك في الموطأ (ج ٨٤٦/٢) .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن شهر بن حوشب ، عن تميم الداري : أنه كان يهدي لرسول الله ﷺ راوية من خمر ، فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها ، فلما رآها رسول الله ﷺ ضحك وقال : « إنها قد حرمت بعدك » . قال : يا رسول الله ، فأبيعها وأنتفع بثمرها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لعن الله اليهود ، حرم عليهم شحوم البقر والغنم ، فأذابوهم وباعوه ، والله حرم الخمر وثمنها »^(٦٣).

وقد رواه أيضاً الإمام أحمد فقال : حدثنا روح ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال : سمعت شهر بن حوشب قال : حدثني عبد الرحمن بن غنم أن الداري كان يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية من خمر ، فلما كان عام حُرِّمت جاء براوية ، فلما نظر إليه ضحك فقال : « أشعرت أنها قد حرمت بعدك ؟ » فقال : يا رسول الله ، ألا أبيعها وأنتفع بثمرها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لعن الله اليهود ، انطلقوا إلى ما حُرِّم عليهم من شحم البقر والغنم فأذابوهم ، فباعوا به ما يأكلون . وإن الخمر حرام وثمنها حرام ، وإن الخمر حرام وثمنها حرام ، وإن الخمر حرام وثمنها حرام »^(٦٤).

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن سليمان ابن عبد الرحمن ، عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله ﷺ ، وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق ، يريد بها التجارة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني جئت بك بشراب طيب فقال رسول الله ﷺ : « يا كيسان ، إنها قد حرمت بعدك » . قال : فأبيعها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنها قد حرمت وحرمت ثمنها » . فانطلق كيسان إلى الزقاق ، فأخذ بأرجلها ثم هراقها »^(٦٥).

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن حميد ، عن أنس قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، وسهيل بن بيضاء ، ونفراً من أصحابه عند أبي طلحة وأنا أسقيهم حتى كاد الشراب يأخذ منهم ، فأتى آت من المسلمين فقال : أما شعرت أن الخمر قد حرمت ؟ فما قالوا : حتى ننظر ونسأل ، فقالوا : يا أنس أكف ما بقي في إنائك ، فوالله ما عادوا فيها ، وما هي إلا التمر والبسر ، وهي خمرهم يومئذ^(٦٦).

أخرجاه في الصحيحين - من غير وجه - عن أنس . وفي رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ،

(٦٣) الحديث ضعيف بهذا السند لضعف شهر بن حوشب وأبو بكر الحنفي اسمه عبد الكبير كما في ترجمة شيخه عبد الحميد بن جعفر ، والحمد لله .

(٦٤) وهو من طريق شهر أيضاً والحديث في المسند (ج ٤ / ٢٢٧) .

(٦٥) الحديث ضعيف من هذا الوجه لضعف ابن لهيعة وهو في المسند (ج ٤ / ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٦٦) الحديث صحيح وهو في المسند (ج ٣ / ١٨١) .

عن أنس قال : كنتُ ساقى القوم يوم حُرِّمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وما شراهم إلا الفُضيخ البُسْرُ والتَّمْرُ ، فإذا مناد ينادي ، قال : اخرج فانظر : فإذا مناد ينادي : ألا إن الخمر قد حُرِّمت ، فَجَرْتُ في سكك المدينة ، قال : فقال لي أبو طلحة : اخرج فأهرقها ، فهرقتها ، فقالوا - أو قال بعضهم - : قُتل فلان وفلان وهي في بطونهم . قال : فأنزل الله : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... ﴾^(٦٧) الآية .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد ، حدثنا عباد ابن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة ، وأبي عبيدة ابن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسهيل بن بيضاء ، وأبي دُجَّانة ، حتى مالت رؤوسهم من خلط بُسْرٍ وتمر . فسمعت منادياً ينادي : ألا إن الخمر قد حُرِّمت ! قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج ، حتى أهرقنا الشراب ، وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا ، وأصبنا من طيب أم سليم ، ثم خرجنا إلى المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ إلى قوله : ﴿ فهل أنتم متهون ﴾ . فقال رجل : يا رسول الله ، فما منزلة من مات وهو يشربها ؟ فأنزل الله : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... ﴾ الآية ، فقال رجل لقتادة : سمعته من أنس ابن مالك ؟ قال : نعم . وقال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم - أو : حدثني من لم يكذب ، ما كنا نكذب ، ولا ندري ما الكذب^(٦٨) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرني يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زُحر ، عن بكر بن سواده ، عن قيس بن سعد بن عبادَةَ أن رسول الله ﷺ قال : « إن ربي تبارك وتعالى حرم عليّ الخمر ، والكوبة ، والقنّين ، وإياكم والغبيراء فإنها ثلث خمر العالم »^(٦٩) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا فرج بن فضالة ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن رافع ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حرم على أمتي الخمر ، [والميسر] ، والمِزْر ، والكُوبة والقنّين . وزادني صلاة الوتر » قال يزيد :

(٦٧) البخاري (ج ٣٦/١٠ - ٣٧) ومسلم (ج ٣/١٥٧٠ - ١٥٧٢) .

(٦٨) الحديث في التفسير (ج ١٠/٥٧٨) وعباد بن راشد يحسن حديثه .

(٦٩) ضعيف من هذا الوجه يحيى بن أيوب هو الغافقي وهو وشيخه يصلح حديثهما في الشواهد والمتابعات والحديث في المسند (ج ٤٢٢/٣) وفي التعليق على طبعة الشعب قال: الكوبة بضم الكاف: الرد وقيل: الطبل، والقنّين: بكسر القاف والنون المشددة: لعبة للروم يقامرون بها وقيل: هو الطنبور بالحشية، والقنّين: الضرب بها، والغبيراء بضم الغين وفتح الباء: ضرب من الشراب يتخذة الحبش من الذرة وهي تسكر وتسمى السكركرة .

القنين: البرابط ^(٧٠).

تفرد به أحمد .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا أبو عاصم - وهو النبيل - أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم » قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغُبُرَاء ، وكل مسكر حرام » ^(٧١).

تفرد به أحمد أيضاً .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي طعمة - مولاهم - وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها ، وشاربها ، وساقها ، وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها » ^(٧٢).

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث وكيع ^(٧٣) ، به .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو طعمة ، سمعت ابن عمر يقول : خرج رسول الله ﷺ إلى المريد ، فخرجت معه فكنت عن يمينه ، وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه ، فكان عن يمينه وكنت عن يساره . ثم أقبل عمر فتنحيت له ، فكان عن يساره . فأثنى رسول الله ﷺ المريد ، فإذا بزقاق على المريد فيها خمر - قال ابن عمر - فدعاني رسول الله ﷺ بالمدينة - قال ابن عمر : وما عرفت المدينة إلا يومئذ - فأمر بالزقاق فشقت ، ثم قال : « لعنت الخمر ، وشاربها ، وساقها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وآكل ثمنها » ^(٧٤).

وقال أحمد : حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال :

(٧٠) ضعيف لضعف فرج بن فضالة وجهالة شيخه إبراهيم بن عبد الرحمن بن رافع وأبيه عبد الرحمن بن رافع والحديث في المسند (ج ٢ / ١٦٥ - ١٦٧) قال في طبعة الشعب : والبرابط : جمع بربط وهو ملهاة تشبه العود وهو فارسي معرب وأصله بربت لأن الضارب به يضعه على صدره واسم الصدر : بر وهذا التفسير القنين يشبه التفسير الثاني الذي قدمناه .

(٧١) ضعيف لجهالة عمرو بن الوليد السهمي ، والحديث في المسند (ج ٢ / ١٧١) .

(٧٢) الحديث حسن ، أبو طعمة وعبد الرحمن يصلح حديثهما في الشواهد والمتابعات ، وقد تابع أحدهما الآخر وهو في المسند (ج ٢ / ٢٥) .

(٧٣) أبو داود (ج ٤ / ٨٢) وفيه عن أبي علقمة مولاهم ، ولعله تصحيف ، وابن ماجه (ج ٢ / ١١٢١ - ١١٢٢) .

(٧٤) ضعيف لضعف ابن لهيعة والحديث في المسند (ج ٢ / ١٧) .

قال عبد الله بن عمر : أمرني رسول الله ﷺ أن آتية بمديّة وهي الشفرة فأتيته بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانها وقال : « اغد علي بها » ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المديّة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمشوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته^(٧٥).

حديث آخر ، قال عبد الله بن وهب : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، وابن لهيعة والليث ابن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن ثابت بن يزيد الخولاني أخبره : أنه كان له عم يبيع الخمر ، وكان يتصدق ، فنهته عنها فلم ينته ، فقدمت المدينة فتلقيت ابن عباس ، فسألته عن الخمر وثمنها ، فقال : هي حرام وثمنها حرام ، ثم قال ابن عباس رضي الله عنه : يا معشر أمة محمد ، إنه لو كان كتاب بعد كتابكم - ونبي بعد نبيكم ، لأنزل فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ، ولكن آخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ، ولعمري هو أشد عليكم - قال ثابت : فلقيت عبد الله بن عمر فسألته عن ثمن الخمر ، فقال : سأخبرك عن الخمر ، إني كنت عند رسول الله ﷺ في المسجد ، فبينما هو محتب حلّ حُبُونُهُ ثم قال : « من كان عنده من هذه الخمر شيء فليأتنا بها » . فجعلوا يأتونه ، فيقول أحدهم : عندي راوية . ويقول آخر : عندي زق ، أو : ما شاء الله أن يكون عنده ، فقال رسول الله ﷺ : « اجمعوا ببيع كذا وكذا ثم آذنوني » : ففعلوا ، ثم آذنه فقام وقمت معه ، فمشيت عن يمينه وهو متكئ علي ، فلحقنا أبو بكر رضي الله عنه ، فأخبرني رسول الله ﷺ . فجعلني عن شماله ، وجعل أبا بكر مكاني . ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرني وجعله عن يساره ، فمشى بينهما . حتى إذا وقف على الخمر قال للناس : « أتعرفون هذه ؟ » قالوا : نعم ، يا رسول الله ، هذه الخمر . قال : « صدقتم » . قال : « فإن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وشاربها وساقها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها » . ثم دعا بسكين فقال : « اشحذوها » . ففعلوا ، ثم أخذها رسول الله ﷺ يخرق بها الزقاق ، قال : فقال الناس : في هذه الزقاق منفعة ، قال : « أجل ، ولكني إنما أفعل ذلك غضباً لله عز وجل ، لما فيها من سخطه » . فقال عمر : أنا أكفيك يا رسول الله ؟ . قال : « لا »^(٧٦).

قال ابن وهب : وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث رواه البيهقي .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، أنبأنا إسماعيل

(٧٥) أبو بكر بن أبي مريم هو الشامي ضعيف والحديث في المسند (ج ٢ / ١٣٢ - ١٣٣) .

(٧٦) ثابت بن يزيد الخولاني ذكره الحافظ في تعجيل المنفعة وابن حبان في الثقات والبخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً والحديث لا أدري في أي كتب ابن وهب فإن له كتباً وليس في متناولي شيء منها .

وقوله : رواه البيهقي يعني في سننه (ج ٨ / ٢٨٧) .

ابن محمد الصفار ، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد [عن سعد] قال : أنزلت في الخمر أربع آيات - فذكر الحديث - قال : وصنع رجل من الأنصار طعاماً ، فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا ، فتفاخرنا ، فقالت الأنصار : نحن أفضل . وقالت قريش : نحن أفضل . فأخذ رجل من الأنصار لحي جزور ، فضرب به أنف سعد ففزره [وكان أنف سعد مفزوراً] فنزلت آية الخمر : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(٧٧) .

أخرجه مسلم من حديث شعبة^(٧٨) .

حديث آخر ، قال البيهقي : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو علي الرفاء ، حدثنا علي ابن عبد العزيز ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا ربيعة بن كلثوم ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار ، شربوا فلما أن ثمل القوم عيث بعضهم ببعض ، فلما [أن] صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته ، فيقول : صنع بي هذا أخي فلان - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - [والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع هذا بي ، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم] فأنزل الله هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ فقال ناس من المتكلفين : هي رجس ، وهي في بطن فلان ، وقد قتل يوم أحد ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا ... ﴾ إلى آخر الآية^(٧٩) .

ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة ، عن حجاج بن منهال^(٨٠) .

حديث آخر ، قال ابن جرير : حدثني محمد بن خلف ، حدثنا سعيد بن محمد الجزمي ، عن أبي غنيم ، عن سلام مولى حفص أبي القاسم ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : بينا نحن قعود على شراب لنا ، ونحن على رَمْلَةٍ ، ونحن ثلاثة أو أربعة ، وعندنا باطية لنا ، ونحن نشرب الخمر جلاً ، إذ قمت حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه ، إذ نزل تحريم الخمر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ ، إلى آخر الآيتين : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟ ﴾ فجئت إلى أصحابي فقرأتها إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟ ﴾ قال : وبعض القوم شربته في يده ، قد شرب بعضها وبقي بعض في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا ، كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا : انتبهنا ربنا^(٨١) .

حديث آخر ، قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ،

(٧٧) الحديث صحيح رواه البيهقي (ج ٨ / ٢٨٥) .

(٧٨) (ج ٤ / ١٨٧٨) من صحيحه .

(٧٩) ربيعة بن كلثوم هو أبو كلثوم البصري يحسن حديثه ، والحديث رواه البيهقي (ج ٨ / ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٨٠) حديث رقم (١٧١) .

(٨١) ضعيف بهذا السند لجهالة سلام .

عن جابر قال : صَبَّحَ ناس غداة أحد الخمر ، فَقُتِلُوا من يومهم جميعاً شهداء ، وذلك قبل تحريمها .

هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه^(٨٢) ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله يقول : اصطبغ ناس الخمر من أصحاب النبي ﷺ ، ثم قتلوا شهداء يوم أحد ، فقالت اليهود : فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم . فأنزل الله : ﴿ ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ ، ثم قال : وهذا إسناد صحيح . وهو كما قال ، ولكن في سياقه غرابة^(٨٣) .

حديث آخر ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : لما نزل تحريم الخمر قالوا : كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم ؟ فنزلت : ﴿ ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... ﴾ الآية^(٨٤) .

ورواه الترمذي ، عن بُنْدَار ، عن غُنْدَر عن شعبة ، به نحوه . وقال : حسن صحيح^(٨٥) .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا جعفر بن حميد الكوفي ، حدثنا يعقوب القمي ، عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال : كان رجل يحمل الخمر من خير إلى المدينة فيبيعها من المسلمين ، فحمل منها بمال فقدم بها المدينة ، فلقه رجل من المسلمين فقال : يا فلان ، إن الخمر قد حرمت فوضّعها حيث انتهى على ثلّ ، وسجّى عليها بأكسية ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، بلغني أن الخمر قد حرمت ؟ قال : « أجل » . قال : لي أن أردّها على من ابتعتها منه ؟ قال : « لا يصلح ردّها » . قال : لي أن أهديها إلى من يكافئني منها ؟ قال : « لا » . قال : فإن فيها مالاً ليتامى في حجري ؟ قال : « إذا أتانا مال البحرين فأتنا نعوّض أيتامك من ما هم » . ثم نادى بالمدينة ، فقال رجل : يا رسول الله ، الأوعية نتفع بها ؟ قال : « فحلّوا أوكيتها » . فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي ،

هذا حديث غريب^(٨٦) .

(٨٢) ج ٢٧٧/٨ من فتح الباري .

(٨٣) وكان وجه الغرابة هي أن القائل هم الصحابة كما في بعض الروايات منها رواية الترمذي التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وفيها : فقال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بأصحابنا الذين ماتوا الحديث ، فاتضح بهذه الرواية أن القائل الصحابة وليسوا اليهود .

(٨٤) برقم (٧١٥) من مسند الطيالسي والحديث صحيح على شرط الشيخين وعن عنة أبي إسحاق لا تضر لأن الراوي عنه شعبة وأيضاً قد ثبت سماع أبي إسحاق من البراء والحمد لله .

(٨٥) (ج ٢٥٤/٥) من سننه .

(٨٦) الحديث في مسند أبي يعلى (ج ٤٠٤/٣) وشيخه جعفر بن حميد هو القرشي ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وعيسى بن جارية قال الحافظ في التقریب : فيه لين .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي هبيرة - وهو يحيى بن عبّاد الأنصاري - عن أنس بن مالك : أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ عن أيتام في حجره ورثوا خمرأ ، فقال : « أهرقها » . قال : أفلا نجعلها خلا ؟ قال : « لا » ^(٨٧) .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، من حديث الثوري ، به نحوه ^(٨٨) .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا عبد العزيز ابن [أبي] سلمة ، حدثنا هلال بن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ ، قال : هي في التوراة : إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ، ويبتل به اللعب ، والمزامر ، والزفن ، والكبارات - يعني البرابط - والزمارات - يعني به الدف - والطناير - والشعر ، والخمر مرة لمن طعمها . أقسم الله يمينه وعزة [حيله] من شربها بعد ما حرمتها لأعطشته يوم القيامة ، ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس . وهذا إسناد صحيح .

حديث آخر ، قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عمرو بن شعيب حدثهم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة سكرأ مرة واحدة ، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها . ومن ترك الصلاة سكرأ أربع مرات ، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : « عصارة أهل جهنم » . ورواه أحمد ، من طريق عمرو بن شعيب ^(٨٩) .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال : سمعت النعمان - هو ابن أبي شيبة الجندي - يقول عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرأ بخست صلاته أربعين صباحاً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » . قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : « صديد أهل النار . ومن سقاه صغيرأ لا يعرف حلاله من حرامه ، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » . تفرد به أبو داود ^(٩٠) .

(٨٧) السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن قال الحافظ في التقریب : صدوق يهيم بالشيعة ، والحديث في المسند (ج ١١٩/٣) .

(٨٨) رواه مسلم (ج ١٥٧٣/٣) وأبو داود (ج ٨٢/٤) والترمذي (ج ٥٧٩/٣) .

(٨٩) (ج ١٧٨/٢) من المسند وسنده حسن .

(٩٠) (ج ٨٦/٤) وهو حسن أيضاً .

حديث آخر ، قال الشافعي رحمه الله : أنبأنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : « من شرب الخمر في الدنيا ، ثم لم يتب منها حُرّمها في الآخرة » .
أخرجه البخاري ومسلم ، من حديث مالك ، به ^(٩١) .

وروى مسلم عن أبي الربيع ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مُسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر فمات وهو يُذمّها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة » ^(٩٢) .

حديث آخر ، قال ابن وهب : أخبرني عمر بن محمد ، عن عبدالله بن يسار أنه سمع سالم ابن عبد الله يقول : قال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ينتظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى » .

ورواه النسائي ، عن عمرو بن علي ، عن يزيد بن زريع ، عن عمر بن محمد الثُمري ، به ^(٩٣) .

وروى أحمد ، عن غندر ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة ، منان ولا عاق ، ولا مدمن خمر » ^(٩٤) .

ورواه أحمد أيضاً : عن عبد الصمد ، عن عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ^(٩٥) ، به . وعن مروان بن شجاع ، عن خصيف ^(٩٦) ، عن مجاهد . به . ورواه النسائي عن القاسم بن زكريا عن الحسين الجعفي عن زائدة عن ابن أبي زياد ، عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد ، به ^(٩٧) .

حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابان ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ، ولا

(٩١) البخاري (ج ٣٠/١٠) مسلم (ج ٣/١٥٨٨) .

(٩٢) (ج ٣/١٥٨٧) .

(٩٣) (ج ٤/٨٠-٨١) وعبد الله بن يسار هو الأعرج مقبول يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات وهو هنا كذلك .

(٩٤) في المسند (ج ٤٤/٣) ويزيد بن أبي زياد هو الهاشمي ضعيف قال الحافظ في التقريب ضعيف كبير فتغير فصار يتلقن وكان شيعياً وقال البرديجي : روى عن مجاهد وفي سماعه منه نظر وليس بالقوي .

(٩٥) في المسند أيضاً (ج ٢٨/٣) .

(٩٦) خصيف مصغراً هو ابن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ خلط بآخره فهي متابعة جيدة ليزيد .

(٩٧) لعلها في سننه الكبرى وأما هذه التي بين أيدينا فإن الحديث فيها لكنه من حديث ابن عمر وهي أيضاً متابعة جيدة لما كان يخشى من قول البرديجي المتقدم .

مدمن خمر ، ولا منان ، ولا ولد زنية^(٩٨) .

وكذا رواه عن يزيد ، عن همام ، عن منصور ، عن سالم ، عن جابان ، عن عبد الله بن عمرو^(٩٩) ، به . وقد رواه أيضاً عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نُبَيْط بن شَرِيْط ، عن جابان ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق والديه ، ولا مدمن خمر »^(١٠٠) .

ورواه النسائي ، من حديث شعبة كذلك^(١) ، ثم قال : ولا نعلم أحداً تابع شعبة عن نبيط ابن شريط .

وقال البخاري : لا يعرف لجابان سماع من عبد الله ، ولا لسالم من جابان ولا نبيط . وقد روي هذا الحديث من طريق مجاهد ، عن ابن عباس ، ومن طريقه أيضاً ، عن أبي هريرة^(٢) ، فالله أعلم .

وقال الزهري : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن أباه قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعَلَّقته امرأة غَوِيَّة ، فأرسلت إليه جاريتها فقالت : إنا ندعوك لشهادة . فدخل معها ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقتة دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضئته عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة [ولكني] دعوتك لتقع عليّ أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر . فسقته كأساً ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها ، وقتل النفس . فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه .

(٩٨) الحديث في المسند (ج ٢/٢٠٣) وسيأتي قول المؤلف فيه .

(٩٩) يعني الإمام أحمد (ج ٢/١٦٤) من المسند .

(١٠٠) (ج ٢/٢٠١) من المسند .

(١) (ج ٨/٣١٨) من سننه .

(٢) وفي التهذيب أن مجاهداً قال : قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت . وفيه أيضاً عن القطب الحلبي عن نص كلام الترمذي في العلل ما نصه : مجاهد معلوم التدليس فنعنته لا تفيد الوصل ووقوع الوساطة بينه وبين ابن عباس قال : ولم أر من نسبته إلى التدليس . نعم إذا ثبت قول ابن معين أن قول مجاهد : خرج علينا علي ، ليس على ظاهره فهو عين التدليس إذ هو معناه . اللغوي وهو الإجهام والتغطية . انتهى .

قلت : وهذا إن ثبت فيكون في سماعه من علي وأما سماعه من ابن عباس فقد تقدم أنه قال : أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت ، فالذي يظهر أنه قد ثبت سماعه من ابن عباس وأما أبو هريرة فذكر الحافظ في التهذيب عن البرديجي قوله : روى مجاهد عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وقيل لم يسمع منهما إلى آخره .

رواه البيهقي ، وهذا إسناد صحيح^(٣) . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه « ذم المسكر » عن محمد بن عبد الله بن بزيع ، عن الفضيل بن سليمان التميمي ، عن عمر بن سعيد ، عن الزهري ، به مرفوعاً . والموقوف أصح ، والله أعلم .

وله شاهد في الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . ولا يسرق سارقة حين يسرقها وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »^(٤) .

وقال أحمد بن حنبل : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما حرمت [الخمر] قال أناس : يا رسول الله ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فأنزل الله : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية ، قال : ولما حُولت القبلة قال أناس : يا رسول الله ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾^(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا داود بن مهران الدباغ ، حدثنا داود - يعني العطار - عن ابن حُثَيْم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ، إن مات مات كافراً ، وإن تاب تاب الله عليه . وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » . قالت ، قلت : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : « صديد أهل النار »^(٦) .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال لما نزلت : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ﴾ ، فقال النبي ﷺ : « قيل لي : أنت منهم » .

وهكذا رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، من طريقه^(٧) .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : قرأت على أبي ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم وهاتان

(٣) قول المؤلف : رواه البيهقي : يعني في سننه (ج ٨ / ٢٨٧ - ٢٨٨) وقوله : وهذا إسناد صحيح ، نعم هو صحيح إلى عثمان بن عفان من قوله وليس من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) البخاري (ج ٥ / ١١٩) ومسلم (ج ١ / ٧٦ - ٧٧) وفيه زيادة وهي : والتوبة مغروضة بعد ، من حديث أبي هريرة . ورواه البخاري (ج ١٢ / ٨١ - ١١٤) من حديث ابن عباس .

(٥) رواية سماك عن عكرمة مضطربة والحديث في المسند (ج ١ / ٢٩٥) والحديث صحيح من غير طريق سماك عن عكرمة كما تقدم .

(٦) ضعيف من هذا الوجه لضعف شهر والحديث في المسند (ج ٦ / ٤٦٠) .

(٧) أما مسلم ففي الفضائل (ج ٤ / ١٩١) وأما الترمذي ففي التفسير (ج ٥ / ٢٥٥) ورواه النسائي في التفسير حديث (١٧٣) .

الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجراً ، فإنهما ميسر العجم ^(٨) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلِغْكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن
قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ
صِيَامًا لِّذُوقِ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ
مِنَهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٩٥

قال الوالبي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ لِيُبْلِغْكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ ﴾ ، قال : هو الضعيف من الصيد وصغيره ، يتتلى الله به عباده في إحرامهم ، حتى لو
شاءوا يتناولونه بأيديهم . فنهاهم الله أن يقربوه ^(٩) .

وقال مجاهد : ﴿ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، يعني : صغار الصيد وفراخه ﴿ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ ، يعني :
كباره ^(١٠) .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية في عُمره الحديبية ، فكانت الوحش والطيور والصيد
تغشاهم في رحالهم ، لم يروا مثله قط فيما خلا ، فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ^(١١) .

﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، يعني : أنه تعالى يتتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم ،
يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سراً وجهراً ، ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره . كما

(٨) ضعيف لضعف إبراهيم وهو ابن مسلم الهجري والحديث في المسند (ج ١ / ٤٤٦) .

تنبيه : جميع الأحاديث الواردة هنا في تحريم الخمر مما قيل فيه : ضعيف ، صالحة للاحتجاج بها بمجموع
طرقها وإلا فهناك أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما . والله أعلم .

(٩) الأثر ضعيف لأنه من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف رواه الطبري (ج ١٠ / ٥٨٤) .

(١٠) الأثر عند الطبري (ج ١٠ / ٥٨٣) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ولم يسمع منه التفسير وإنما أخذه
من القاسم بن أبي بزة . انتهى من جامع التحصيل .

قلت : والقاسم ثقة من رجال الجماعة كما في التقريب .

(١١) مقاتل بن حيان تابعي وقوله : أنزلت هذه الآية مرسل وهو من قسم الضعيف .

قال تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ .

وقوله هاهنا : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ ، قال السدي وغيره : يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي : لمخالفته أمر الله وشرعه .

ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ : وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ، ونهى عن تعاطيه فيه . وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول وما يتولد منه ومن غيره ، فأما غير المأكول من حيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها . والجمهور على تحريم قتلها أيضاً ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الغراب والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور »^(١٢) .

وقال مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور »^(١٣) . أخرجاه^(١٤) .

ورواه أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثله . قال أيوب : قلت لنافع : فالحية ؟ قال : الحية لا شك فيها ، ولا يختلف في قتلها .

ومن العلماء كمالك وأحمد - من ألحق بالكلب العقور الذئب ، والسبع ، والثمر ، والفهد ، لأنها أشد ضرراً منه ، فالله أعلم . وقال سفيان بن عيينة وزيد بن أسلم : الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها . واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله ﷺ لما دعا على عتبة بن أبي لهب قال : « اللهم سلط عليه كلبك بالشام » . فأكله السبع بالزرقاء^(١٥) ، قالوا : فإن قتل ما عداهن فداها كالضبع والثعلب وهـ البر ونحو ذلك .

قال مالك : وكذا يستثنى من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها ، وصغار الملحق بها من السباع العوادي .

(١٢) رواه البخاري (ج ٣٤/٤) ومسلم (ج ٨٥٧/٢) .

(١٣) رواه مالك في الموطأ (ج ٣٥٦/١) .

(١٤) البخاري (ج ٣٤/٤) ومسلم (ج ٨٥٨/٢) .

(١٥) ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَفَىٰ فَتَدَلَّى ﴾ من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان ابن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الأسود فذكره ، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن فيضعف لذلك وعزاه الحافظ المؤلف لابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب ورواه الحاكم في المستدرک (ج ٥٣٩/٢) من وجه آخر لكنه ضعيف فيه العباس بن الفضل الأنصاري قال النسائي وابن معين : ليس بثقة . وقال البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث .

وقال الشافعي : يجوز للمحرم قتل كل ما لا يؤكل لحمه ، ولا فرق بين صغاره وكباره .
وجعل العلة الجامعة كونها لا تؤكل .

وقال أبو حنيفة : يقتل المحرم الكلب العقور والذئب ، لأنه كلب بري ، فإن قتل غيرهما فده ، إلا أن يصل عليه سبع غيرهما فيقتله فلا فداء عليه ، وهذا قول الأوزاعي ، والحسن بن صالح ابن حي .

وقال زفر بن الهذيل : يفدي ما سوى ذلك وإن صال عليه .

وقال بعض الناس : المراد بالغراب هاهنا الأبقع - وهو الذي في بطنه وظهره بياض - دون الأدرع وهو الأسود ، والأعصم وهو الأبيض ، لما رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « خمس يقتلن المحرم : الحية ، والفأرة ، والحدأة ، والغراب الأبقع ، والكلب العقور »^(١٦) .

والجمهور على أن المراد به أعم من ذلك ، لما ثبت في الصحيحين من إطلاق لفظه .

وقال مالك رحمه الله : لا يقتل المحرم الغراب إلا إذا صال عليه وآذاه .

وقال مجاهد بن جبر وطائفة : لا يقتله بل يرميه . ويروى مثله عن علي .

وقد روى هشيم : حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ أنه سئل عما يقتل المحرم ، فقال : « الحية ، والعقرب ، والفويسقة ، ويرمي الغراب ولا يقتله ، والكلب العقور ، والحدأة ، والسبع العادي »^(١٧) .

رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، والترمذي عن أحمد بن منيع ، كلاهما عن هشيم - وابن ماجه ، عن أبي كريم ، عن محمد بن فضيل - كلاهما عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن^(١٨) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن قتلهم منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال ، نبئت عن طاوس قال : لا يحكم على من أصاب صيداً خطأ ، إنما يحكم على من أصابه متعمداً .

وهذا مذهب غريب عن طاوس ، وهو متمسك بظاهر الآية .

(١٦) الحديث في سنن النسائي (ج ٥ / ٢٠٨) وفيه قال : أخبرنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا النضر بن شميل قال : أنبأنا شعبة فذكره .

(١٧) ضعيف ، يزيد بن أبي زياد هو الهاشمي ضعيف وأرفع منه قليلاً يزيد بن أبي زياد الدمشقي متروك .

(١٨) أبو داود (ج ٢ / ٤٢٥) والترمذي (ج ٣ / ١٨٩) وابن ماجه (ج ٢ / ١٠٣٢) .

وقال مجاهد بن جبر : المراد بالمتعمد هنا القاصد إلى قتل الصيد ، الناسي لإحرامه . فأما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه ، فذاك أمره أعظم من أن يكفر ، وقد بطل إحرامه .

رواه ابن جرير عنه^(١٩) من طريق ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما ، عنه : وهو قول غريب أيضاً ، والذي عليه الجمهور أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه ، قال الزهري :

دل الكتاب على العامد ، وجرت السنة على الناسي ، ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله : ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ وجاءت السنة من أحكام النبي ﷺ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ ، كما دل الكتاب عليه في العمد ، وأيضاً فإن قتل الصيد إتلاف ، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان ، لكن المتعمد مأثوم والمخطيء غير ملوم .

وقوله : ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ وحكى ابن جرير أن ابن مسعود قرأها : ﴿ فجزاؤه مثل ما قتل من النعم ﴾ .

وفي قوله : ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ على كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك ، والشافعي ، وأحمد ، والجمهور من وجوب الجزاء من مثل ما قتله المحرم ، إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثلياً أو غير مثلي ، قال : وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه ، وإن شاء اشترى به هدياً . والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع ، فإنهم حكموا في النعامة بيدنة ، وفي بقرة الوحش ببقرة ، وفي الغزال بعنز . وذكر قضايا الصحابة وأسانيدهم مقرر في كتاب « الأحكام » ، وأما إذا لم يكن الصيد مثلياً فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه ، يحمل إلى مكة . رواه البيهقي .

وقوله : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ يعني أنه يحكم بالجزاء في المثل ، أو القيمة في غير المثل ، عدلان من المسلمين ، واختلف العلماء في القاتل : هل يجوز أن يكون أحد الحكمين ؟ على قولين :

أحدهما : لا ، لأنه قد يُتَّهم في حكمه على نفسه ، وهذا مذهب مالك .

والثاني : نعم ، لعموم الآية . وهو مذهب الشافعي ، وأحمد .

واحتج الأولون بأن الحاكم لا يكون محكوماً عليه في صورة واحدة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا جعفر - هو ابن برقان - عن ميمون بن مهران : أن أعرابياً أتى أبا بكر قال : قتلت صيداً وأنا محرم ، فما ترى علي

من الجزاء ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده : ما ترى فيما قال ؟ فقال الأعرابي : أتيتك وأنت خليفة رسول الله ﷺ أسألك ، فإذا أنت تسأل غيرك ؟ فقال أبو بكر : وما تنكر ؟ يقول الله تعالى : ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ فشاورت صاحبي [حتى] إذا اتفقنا على أمر أمرناك به .

وهذا إسناد جيد ، لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ، ومثله يحتمل هاهنا . فبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة ، لما رآه أعرابياً جاهلاً ، وإنما دواء الجهل التعليم ، فأما إذا كان المعارض منسوباً إلى العلم ، فقد قال ابن جرير :

حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قالا : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : خرجنا حجاجاً ، فكننا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلتنا نماشى نتحدث ، قال : فبينما نحن ذات غداة إذ سنع لنا ظبي - أو : برح - فرماه رجل كان معنا بحجر فما أخطأ لحشاه فركب رذعه ميتاً قال : فعظمنا عليه ، فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر رضي الله عنه ، قال : فقص عليه القصة قال : وإلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة - يعني عبد الرحمن ابن عوف - فالتفت عمر إلى صاحبه فكلمه قال : ثم أقبل على الرجل فقال : أعمداً قتلته أم خطأ ؟ قال الرجل : لقد تعمدت رميه ، وما أردت قتله . فقال عمر : ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ ، اعمد إلى شاة فاذبحها فتصدق بلحمها واستبق إهابها . قال : فقمننا من عنده ، فقلت لصاحبي : أيها الرجل ، عظم شعائر الله ، فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه . اعمد إلى ناقتك فانحرها ، ففعل ذاك [قال] قبيصة : ولا أذكر الآية من سورة المائدة : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ : قال فبلغ عمر مقالتي ، فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدرة . قال : فعلا صاحبي ضرباً بالدرة [وجعل يقول] : أقتلت في الحرم وسفّهت الحكم ؟ قال : ثم أقبل علي فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا أحل لك اليوم شيئاً يحرم عليك مني قال : يا قبيصة بن جابر ، إني أراك شاب السن ، فسيح الصدر ، بين اللسان ، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة ، فأياك وعترات الشباب^(٢٠) .

وقد روى هشيم هذه القصة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بنحوه . ورواها أيضاً عن حصين ، عن الشعبي ، عن قبيصة ، بنحوه . وذكرها مرسله عن عمر : بكر بن عبد الله المزني ، ومحمد بن سيرين^(٢١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن

(٢٠) الأثر في تفسير الطبري (ج ١١/٢٤ - ٢٥) ورواية وكيع عن المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله قبل الاختلاط كما في الكواكب النيرات عن أحمد .

(٢١) هذه الطرق عند الطبري (ج ١١/١٦ - ١٧ - ٢٣) وأما رواية ابن سيرين فلم أقف عليها .

أبي وائل ، أخبرني أبو جرير البجلي قال : أصبت ظيباً وأنا محرم ، فذكرت ذلك لعمر ، فقال : أئت رجلين من إخوانك فليحكما عليك . فأتيت عبد الرحمن وسعداً ، فحكما علي بتيس أعفر^(٢٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق قال : أوطأ أربد ظيباً فقتلته وهو محرم فأتي عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معي . فحكما فيه جدياً ، قد جمع الماء والشجر . ثم قال عمر : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾^(٢٣) .

وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين ، كما قاله الشافعي وأحمد ، رحمهما الله .

واختلفوا : هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيبه المحرم ، فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل ، وإن كان قد حكم من قبله الصحابة ، أو يكتفي بأحكام الصحابة المتقدمة ؟ على قولين ، فقال الشافعي وأحمد : يتبع في ذلك ما حكمت به الصحابة ، وجعله شرعاً مقررّاً لا يعدل عنه ، وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين . وقال مالك وأبو حنيفة : بل يجب الحكم في كل فرد فرد ، سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا ، لقوله تعالى : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ ، أي : واصلاً إلى الكعبة ، والمراد وصوله إلى الحرم ، بأن يذبح هناك ، ويفرق لحمه على مساكين الحرم . وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة .

وقوله : ﴿ أو كفارة طعام مساكين ، أو عذل ذلك صياماً ﴾ ، أي : إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من التعم ، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال ، أو قلنا بالتخيير في هذا المقام من الجزاء والإطعام والصيام ، كما هو قول مالك ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وأحد قولي الشافعي ، والمشهور عن أحمد رحمهم الله لظاهر الآية « أو » فإنها للتخيير . والقول الآخر : أنها على الترتيب .

فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة ، فيقوم الصيد المقتول عند مالك ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وحامد ، وإبراهيم . وقال الشافعي : يقوم مثله من النعم لو كان موجوداً . ثم يشتري به طعام ويتصدق به ، فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ، ومالك ، وفقهاء الحجاز ، واختاره ابن جرير .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : يطعم كل مسكين مدين ، وهو قول مجاهد .

وقال أحمد : مدّ من حنطة ، أو مدان من غيره .

فإن لم يجد ، أو قلنا بالتخيير ، صام عن إطعام كل مسكين يوماً .

(٢٢) (ج ٣٢/٧ - ٣٣) ط دار المعرفة ، وفيه ابن جرير البجلي وسنده صحيح .

(٢٣) الأثر عند الطبري (ج ٢٦/١١) وأريد هو ابن عبد الله البجلي وفيه ضباً بدل قوله هنا ظيباً .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الإصابة (ج ١٠٤/١) في ترجمة أربد بعد أن ذكره من طريق عبد الرزاق : إسناده صحيح . قلت : ومخارق وثقه جماعة ، وقال أحمد : ثقة .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع يوماً . كما في جزاء المترفة بالحلل ونحوه ، فإن الشارع أمر كعب بن عجرة أن يطعم فرقاً بين ستة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، والفرق : ثلاثة أصع .

واختلفوا في مكان هذا الإطعام ، فقال الشافعي : محله الحزم . وهو قول عطاء : وقال مالك : يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد ، أو أقرب الأماكن إليه . وقال أبو حنيفة : إن شاء أطعم في الحرم ، وإن شاء أطعم في غيره .

[ذكر أقوال السلف في هذا المقام]

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ﴾ قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن [وجد جزاءه ، ذبحه فتصدق به ، وإن لم يجد نظر كم ثمنه ، ثم قوم ثمنه طعاماً ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً ، قال : ﴿ أو كفارة طعام مساكين ﴾ أو عدل ذلك صياماً ﴾ ، قال : إنما أريد بالطعام الصيام ، إنه إذ وجد الطعام وجد جزاؤه .

ورواه ابن جرير ، من طريق جرير ^(٢٤) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ هدياً بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ﴾ . إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد ، حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد فأطعم ستة مساكين فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . فإن قتل أيلًا أو نحوه ، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً . فإن لم يجد صام عشرين يوماً . وإن قتل نعامة أو حماراً وحشاً أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل . فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وزاد : والطعام مُدٌّ مُدٌّ تشيعهم ^(٢٥) .

(٢٤) الأثر حسن ، يحيى بن المغيرة صدوق وجرير هو ابن حازم ومنصور هو ابن المعتمر والحكم هو ابن عتيبة ومقسم هو ابن بجرة بضم فسكون صدوق وكان يرسل ويقال له : مولى ابن عباس للزومه له وفي التهذيب عن أحمد وغيره : لم يسمع الحكم حديث مقسم كتاب إلا خمسة أحاديث وعددها يحيى القطان : حديث الوتر والقنوت وعزمة الطلاق وجزاء الصيد والرجل يأتي امرأته وهي حائض ، وفي جامع التحصيل وما عدا ذلك كتاب .

قلت : والأثر الذي بين أيدينا من هذه الخمسة التي سمعها الحكم من مقسم والحمد لله .

(٢٥) (ج ١١ / ٣١) من طريق الثني وهو ابن إبراهيم الأملي ولم نعثر له على ترجمة وشيخه فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف إضافة إلى ذلك علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

وقال جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾ ، قالوا : إنما الطعام لمن لا يبلغ الهدى ، رواه ابن جرير ^(٢٦) .

وكذا روى ابن جريج عن مجاهد ، وأسباط عن السدي أنها على الترتيب ^(٢٧) .

وقال عطاء ، وعكرمة ، ومجاهد - في رواية الضحاك - وإبراهيم النخعي : هي على الخيار . وهو رواية الليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . واختار ذلك ابن جرير رحمه الله تعالى ^(٢٨) .

وقوله : ﴿ليذوق وبال أمره﴾ ، أي : أوجبنا عليه الكفارة ليدوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة ﴿عفا الله عما سلف﴾ أي : في زمان الجاهلية ، لمن أحسن في الإسلام واتبع شرع الله ، ولم يرتكب المعصية .

ثم قال : ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ، أي : ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه ﴿فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام﴾ .

قال ابن جريج ، قلت لعطاء : ما ﴿عفا الله عما سلف﴾ ؟ قال : عما كان في الجاهلية . قال ، قلت : وما ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ؟ [قال : ومن عاد في الإسلام ، فينتقم الله منه] وعليه مع ذلك الكفارة . قال ، قلت : فهل في العود حَذَّ تعلمه ؟ قال : لا . قال ، قلت : فترى حقاً على الإمام أن يعاقبه ؟ قال : لا ، هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل ، ولكن يفتدي . رواه ابن جرير ^(٢٩) .

وقيل معناه : فينتقم الله منه بالكفارة . قاله ^(٣٠) سعيد بن جبير ، وعطاء .

ثم الجمهور من السلف والخلف ، على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ، ولا فرق بين الأولى والثانية ، وإن تكرر ما تكرر ، سواء الخطأ في ذلك والعمد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : من قتل شيئاً من الصيد خطأ ، وهو محرم ، يحكم عليه فيه كلما قتله وإن قتله عمداً يحكم عليه فيه مرة واحدة ، فإن عاد يقال له : ينتقم الله منك ، كما قال الله عز وجل ^(٣١) .

(٢٦) (ج ٣٢/١١) وفيه علتان سفيان بن وكيع وهو ضعيف وجابر بن يزيد وهو أضعف .

(٢٧) (ج ٣٣/١١) وابن جريج مدلس وأسباط فيه ضعف ولكن المحدثين يتساهلون في رواية الآثار ما لا يتساهلون في غيرها .

(٢٨) (ج ٣٥/١١ - ٣٧) .

(٢٩) (ج ٤٨/١١) وسنده صحيح إلى عطاء من طريق هناد عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج به .

(٣٠) رواهما الطبري (ج ٥٠/١١) وسنده صحيح إلى سعيد بن جبير وقول عطاء : سنده حسن .

(٣١) وإسناده منقطع .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي جميعاً ، عن هشام - هو ابن حسان - عن عكرمة ، عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً فحُكِمَ عليه ثم عاد ، قال : لا يحكم عليه ، ينتقم الله منه ^(٣٢) .

وهكذا قال شريح ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي . رواه ^(٣٣) ابن جرير ، ثم اختار القول الأول .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن زيد أبي المعل ، عن الحسن البصري أن رجلاً أصاب صيداً ، فتجوز عنه . ثم عاد فأصاب صيداً آخر ، فنزلت نار من السماء فأحرقته فهو قوله : ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه ﴾ ^(٣٤) .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ ، يقول عز ذكره : والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ، ولا يمنعه من الانتقام من انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة والمنعة .

وقوله : ﴿ ذو انتقام ﴾ ، يعني : أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته إياه .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ
مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(٩٧) أَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ^(٩٩)

(٣٢) وسنده صحيح إلى ابن عباس .

(٣٣) (ج ٥١/١١ - ٥٣) .

(٣٤) الأثر فيه زيد أبو المعل وقيل : ابن المعل وقيل ابن مرة وقيل ابن أبي ليل وثقه أبو داود الطيالسي وابن معين

وقال أبو حاتم صالح الحديث .

قلت : ولا يضره جهل من جهله .

قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس - في رواية عنه - وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم في قوله : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ ﴾ ، يعني : ما يصطاد منه طرياً ﴿ وَطَعَامَهُ ﴾ ما يتزود منه مليحاً يابساً .

وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه : صيده ما أخذ منه حياً ﴿ وَطَعَامَهُ ﴾ ما لفظه ميتاً .

وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم وعكرمة ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري . قال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : ﴿ طَعَامَهُ ﴾ كل ما فيه . رواه ابن جرير^(٣٥) وابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك قال : حَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خُطِبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ فَقَالَ : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ ﴾ وَطَعَامَهُ مَا قَذَفَ^(٣٦) .

قال : وَحَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ ﴾ ، قَالَ : ﴿ طَعَامَهُ ﴾ مَا قَذَفَ^(٣٧) . وقال عكرمة ، عن ابن عباس قال : ﴿ طَعَامَهُ ﴾ ما لفظ من ميتة . ورواه ابن جرير^(٣٨) أيضاً .

وقال سعيد بن المسيب : طَعَامَهُ ما لفظه حياً ، أو حسر عنه فمات رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ : إِنْ الْبَحْرَ قَدْ قَذَفَ حَيْثَانَا كَثِيراً مَيْتاً أَفْنَاكُلُهُ ؟ فَقَالَ : لَا تَأْكُلُوهُ . فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِهِ أَخَذَ الْمَصْحَفَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْمَائِدَةِ ، فَأَتَى هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ ﴾ . فَقَالَ : اذْهَبْ فَقُلْ لَهُ فَلْيَأْكُلْهُ ، فَإِنَّهُ طَعَامُهُ^(٣٩) .

(٣٥) الأثر ضعيف لأنه منقطع قال أبو زرعة : عكرمة عن أبي بكر الصديق وعن علي مرسل كما في جامع التحصيل والأثر عند ابن جرير (ج ٦٣/١١) .

(٣٦) الأثر ضعيف ، لضعف محمد بن حميد الرازي وسماك يقول : حدثت عن ابن عباس ، فلا أدري من حدثه وهو عند ابن جرير (ج ٦١/١١) .

(٣٧) نسنده صحيح إلى ابن عباس وهو عند الطبري (ج ٦٢/١١) .

(٣٨) (ج ٦٢/١١) من طريق ابن وكيع وهو ضعيف .

(٣٩) عبد الرحمن بن أبي هريرة لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع والأثر رواه الطبري (ج ٦٤/١١) .

وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه ، قال : قد روي في ذلك خبر ، وإن بعضهم يرويه موقوفاً .

حدثنا هناد بن السري قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال : رسول الله ﷺ : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ ﴾ ، قال : « طعامه ما لفظه ^(٤٠) ميتاً » .

ثم قال : وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة .

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ ﴾ قال : طعامه ما لفظه ^(٤١) ميتاً .

وقوله ﴿ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ ، أي : منفعة وقوتاً لكم أيها المخاطبون ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ ، وهو جمع سَيَّار . قال عكرمة : لمن كان بحضرة البحر [ولِلسَّيَّارَةِ : السَّفَر] .

وقال غيره : الطَّرِيقُ منه لمن يصطاده من حاضرة البحر ، « وطعامه » : ما مات فيه أو اصطيده منه وملح وقُدِّد زاداً للمسافرين والنائين عن البحر .

وقد روي نحوه عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي وغيرهم . وقد استدلل جمهور العلماء على حل ميتة البحر بهذه الآية الكريمة ، وبما رواه الإمام مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قَبْلَ السَّاحِلِ ، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمائة ، قال : وأنا فيهم . قال : فخرجنا ، حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله ، فكان مِزْوَدِي تَمْر ، قال فكان يُقَوِّئُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلاً قَلِيلاً حتى فني ، فلم يكن يُصَيِّنَا إِلَّا تَمْرَةً تَمْرَةً . [فقلت : وما تُعْنِي تَمْرَةٌ ؟] فقال : فقد وجدنا فَقْدَهَا حين فني ، قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الظَّرْبِ ، فأكل منه ذلك الجيش ثمانين ليلة . ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر بإحالة فرحلت ، ومرت تحتها فلم تصبهما . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ^(٤٢) ، وله طرق عن جابر .

وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير ، عن جابر فإذا على ساحل مثل الكَثِيبِ الضَخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا بَدَاةٌ يُقَالُ لَهَا : الْعَنَبَرُ قال : قال أبو عبيدة : مَيْتَةٌ ، ثم قال : لا ، نحن رسل رسول الله ﷺ [وفي سبيل الله] ، وقد اضطررتم فكلوا قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمننا . ولقد

(٤٠) رواه الطبري (ج ١١ / ٧٠) .

(٤١) وابن أبي زائدة هو يحيى وهو ثقة متقن وعبدة ثقة ثبت فيحمل على أنه روي على الوجهين والحديث رواه الطبري (ج ١١ / ٧٠) .

(٤٢) البخاري (ج ٥ / ١٢٨) ومسلم (ج ٣ / ١٥٣٥) ورواه أحمد في المسند (ج ٣ / ٣٠٦) .

رأيتنا نغترف من وَقْب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدر كالشور [أو : كقَدْر الشور] . قال :
ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في وَقْب عينه ، وأخذ ضِلْعاً من أضلاعه فأقامها ،
ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها . وتزودنا من لحمه وشائق . فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله
ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، هل معكم من لحمه شيء فنتطعمونا »
قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه ^(٤٣) فأكله وفي بعض روايات مسلم : أنهم كانوا مع النبي ﷺ
حين وجدوا هذه السمكة . فقال بعضهم : هي واقعة أخرى ، وقال بعضهم : بل هي قضية واحدة ،
ولكن كانوا أولاً مع النبي ﷺ ، ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة ، فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع
أبي عبيدة ، والله أعلم .

وقال مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن سعيد بن سلمة - من آل ابن الأزرق - أن
المغيرة بن أبي بردة - وهو من بني عبد الدار - أخبره ، أنه سمع أبا هريرة يقول : سأل رجل رسول الله
ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ،
أفتتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هو الطهور ماؤه الحَلّ ميتته » ^(٤٤) .

وقد روى هذا الحديث الإمامان الشافعي ^(٤٥) ، وأحمد بن حنبل ^(٤٦) ، وأهل السنن الأربعة ^(٤٧) ،
وصححه البخاري ، والترمذي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، وغيرهم . وقد روي عن جماعة من
الصحابة عن النبي ﷺ ، بنحوه .

وقد روى الإمام أحمد ^(٤٨) ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من طرق ، عن حماد بن
سلمة : حدثنا أبو المَهْزَم - هو يزيد بن سفيان - سمعت أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله ﷺ
في حج - أو : عمرة - فاستقبلنا رجل جراد ، فجعلنا نضربهن بعصينا [وسيطانا] فنقتلهن فأسقط
في أيدينا فقلنا : ما نصنع ونحن محرمون ؟ فسألنا رسول الله ﷺ ، فقال : « لا بأس بصيد البحر » .
أبو المَهْزَم ضعيف ، والله أعلم .

(٤٣) تقدم تخريجه .

(٤٤) الحديث صحيح بمجموع طرقه فإنه قد جاء من تسع طرق ذكره الشوكاني في نيل الأوطار عن ابن الملقن
في البدر المنير قاله : وسياقي تلخيصها . وحديث أبي هريرة تقدم تخريجه عند قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم
اليتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية من أوائل هذه السورة .

(٤٥) في الطهارة من كتابه الأم .

(٤٦) (ج ٣٦١/٢) من المسند .

(٤٧) أبو داود (ج ٦٤/١) والنسائي (ج ٥٠/١) والترمذي (ج ١٠٠/١ - ١٠١) وابن ماجه (ج ١٣٦/١)

كلهم عن مالك عن صفوان به .

(٤٨) (ج ٣٠٦/٢) وأبو المَهْزَم قال الحافظ في التقريب : متروك ورواه أبو داود (ج ٤٢٩/٢ - ٤٣٠) والترمذي

(ج ١٩٨/٣) وابن ماجه (ج ١٠٧٤/٢) .

وقال ابن ماجه : حدثنا هارون بن عبد الله الحَمَّال ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جابر وأنس بن مالك : أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال : « اللهم أهلك كبارَه ، واقتل صغاره ، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا ، إنك سميع الدعاء » . فقال خالد : يا رسول الله ، كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال : « إن الجراد نَثْرَةُ الحوت في البحر » . قال هاشم : قال زياد : فحدثني من رأى الحوت ينثره .
تفرّد به ابن ماجه^(٤٩) .

وقد روى الشافعي ، عن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم^(٥٠) .

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر ، ولم يستثن من ذلك شيئاً . وقد تقدم عن الصديق أنه قال : ﴿ طعامه ﴾ كل ما فيه .

وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها ، لما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من رواية ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن خالد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي : أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع^(٥١) .

والنسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع ، وقال : « نقيقتها تسبيح »^(٥٢) .

وقال آخرون : يؤكل من صيد البحر السمك ، ولا يؤكل الضفدع . واختلفوا فيما سواهما ، فقيل : يؤكل سائر ذلك . وقيل : لا يؤكل . وقيل : ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر ، وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل . وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله .

(٤٩) (ج ٢ / ١٠٧٣ - ١٠٧٤) وهو ضعيف موسى بن محمد بن إبراهيم منكر الحديث قاله الحافظ ابن حجر .
(٥٠) وابن جريج مدلس وقد عنعنه .

(٥١) الحديث صحيح سعيد بن خالد هو ابن قارظ قال في التقريب : صدوق ، رواه أحمد (ج ٣ / ٤٥٣) وأبو داود (ج ٥ / ٤٢٠) والنسائي (ج ٧ / ٢١٠) ورواه أحمد أيضاً (ج ٣ / ٤٩٩) من طريق سعيد بن جبير عن سعيد بن المسيب فذكره . وهناك أحاديث ضعيفة كحديث سهل بن سعد من طريق حفيده عبد المهيم وهو ضعيف وحديث أبي هريرة فيه إبراهيم بن الفضل الخزومي وهو ضعيف أيضاً . انتهى ملخصاً من إرواء الغليل .

(٥٢) قوله وللنسائي إلى آخره لم أجده عنده في سننه لكن قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٤ / ٤١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه المسيب بن واضح وفيه كلام وقد وثق وبقيّة رجاله رجال الصحيح . انتهى وقال ابن عدي بعد أن ذكر هذا الحديث من مناكيره : هذا بهذا الإسناد يرويه المسيب بن واضح ويرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحديث موقوف .

وقال أبو حنيفة رحمه الله : لا يؤكل ما مات في البحر ، كما لا يؤكل ما مات في البر ،
لعموم قوله : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ .

وقد ورد حديث بنحو ذلك ، فقال ابن مردويه :

حدثنا عبد الباقي - هو ابن قانع - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قالا : حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما صدتموه وهو حي فمات فكلوه ، وما ألقى البحر ميتاً طافياً فلا تأكلوه » .

ثم رواه من طريق إسماعيل بن أمية ، ويحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزبير عن جابر به . وهو منكر^(٥٣) .

وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، بحديث « العنبر » المتقدم ذكره ، وبحديث : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » ، وقد تقدم أيضاً^(٥٤) .

وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال »^(٥٥) .

ورواه أحمد وابن ماجه ، والدارقطني والبيهقي . وله شواهد ، وروي موقوفاً . والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صِيدَ الْبَرِّ مَا دُمِعَ حَرَمًا ﴾ ، أي : في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد . ففيه دلالة على تحريم ذلك ، فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمداً أثم وغرم ، أو مخطئاً غرم وحرم عليه أكله ، لأنه في حقه كالميتة ، وكذا في حق غيره من المحرمين والمحليين عند مالك والشافعي - في أحد قوليه - وبه يقول عطاء ، والقاسم ، وسالم ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وغيرهم . فإن أكله أو شياً منه ، فهل يلزمه جزاء ؟ فيه قولان للعلماء :

أحدهما : نعم ، قال عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : إن ذبحه ثم أكله فكفارتان ، وإليه ذهب طائفة .

والثاني : لا جزاء عليه بأكله . نص عليه مالك بن أنس .

(٥٣) أي مخالفته لما تقدم من الأحاديث الصحيحة المتكاثرة والحسين بن يزيد في الطريق الأولى لين الحديث ويحيى ابن أبي أنيسة في الثانية ضعيف كذاب فانضم إلى الضعف المخالفة فيسمونه منكراً .

(٥٤) وهو حديث صحيح صححه البخاري وغيره كما تقدم .

(٥٥) وهذا تقدم أيضاً وهو من رواية الإخوة الثلاثة أولاد زيد بن أسلم عبد الرحمن وعبد الله وأسامة .

قال أبو عمر بن عبد البر : وعلى هذا مذاهب فقهاء الأمصار ، وجمهور العلماء . ثم وجهه أبو عمر بما لو وطئ ثم وطئ ثم وطئ قبل أن يجذ ، فإنما عليه حد واحد .
وقال أبو حنيفة : عليه قيمة ما أكل .

وقال أبو ثور : إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه ، وحلال أكل ذلك الصيد ، إلا أنني أكرهه للذي قتله ، للخبر عن رسول الله ﷺ : « صيد البر لكم حلال ، ما لم تصيدوه أو يصد لكم » .
وهذا الحديث سيأتي بيانه . وقوله بإباحته للقاتل غريب ، وأما لغيره ففيه خلاف ، قد ذكرنا المنع عن تقديم .

وقال آخرون : بإباحته لغير القاتل ، سواء المحرمون والمحلون ، لهذا الحديث . والله أعلم .
وأما إذا صاد حلال صيداً فأهداه إلى محرم ، فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقاً ، ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده لأجله أم لا . حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر ، عن عمر بن الخطاب ، وأبي هريرة ، والزبير بن العوام ، وكعب الأحبار ، ومجاهد ، وعطاء - في رواية - وسعيد بن جبير . قال : وبه قال الكوفيون .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، أن سعيد بن المسيب حدثه ، عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال ، أياكله المحرم ؟ قال : فأقتاهم بأكله . ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره . فقال : لو أفتيتم بغير هذا لأوجعت لك رأسك^(٥٦) .

وقال آخرون : لا يجوز أكل الصيد للمحرم بالكلية ، ومنعوا من ذلك مطلقاً ، لعموم هذه الآية الكريمة .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس وعبد الكريم بن أبي أمية ، عن طاوس ، عن ابن عباس أنه كره أكل لحم الصيد للمحرم ، وقال : هي مبهمة . يعني قوله : ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ﴾^(٥٧) .

قال : وأخبرني معمر ، عن الزهري ، عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال .

قال معمر : وأخبرني أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثله^(٥٨) .

(٥٦) أثر أبي هريرة صحيح إليه وله طريق أخرى عند الطبري في التفسير (ج ١١ / ٧٩ - ٨٢) .
(٥٧) وسنده صحيح إلى ابن عباس وعبد الكريم بن أبي أمية ضعيف ولكنه متابع كما ترى .
(٥٨) صحيح إلى ابن عمر من هذا الوجه أما الطريق الأولى فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في الزهري : لم يسمع من ابن عمر شيئاً وقال علي بن المديني : سمع الزهري من ابن عمر حديثين فيما حدثنا به عبد الرزاق .

قال ابن عبد البر : وبه قال طاوس ، وجابر بن زيد . وإليه ذهب الثوري ، وإسحاق بن راهويه - في رواية - وقد روي نحوه عن علي بن أبي طالب ، رواه ابن جرير^(٥٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أن علياً كره لحم الصيد للمحرم على كل حال .

وقال مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه - في رواية - والجمهور : إن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد ، لم يجز للمحرم أكله ، لحديث الصعب بن جثامة أنه أهدى للنبي ﷺ حماراً وحشياً ، وهو بالأبواء - أو : بؤدان - فرده عليه ، فلما رأى ما في وجهه قال : « إنا لم نردّه عليك إلا أنا حُرْم »^(٦٠).

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ، وله ألفاظ كثيرة : قالوا : فوجهه أن النبي ﷺ ظن أن هذا إنما صاده من أجله ، فرده لذلك ، فأما إذا لم يقصده بالاصطياد فإنه يجوز له الأكل منه ، لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش ، كان حلالاً لم يحرم ، وكان أصحابه محرمين ، فتوقفوا في أكله . ثم سألوا رسول الله ﷺ فقال : « هل كان منكم أحد أشار إليها ، أو أعان في قتلها ؟ » قالوا : لا ، قال : « فكلوا » وأكل منها رسول الله ﷺ^(٦١).

وهذه القصة ثابتة أيضاً في الصحيحين بألفاظ كثيرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد قالا : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن . عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - وقال قتيبة في حديثه : سمعت رسول الله ﷺ - يقول : « صيد البر لكم حلال - قال سعيد : وأنتم حرم - ما لم تصيدوه أو يصد لكم »^(٦٢).

وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعاً^(٦٣) ، عن قتيبة . وقال الترمذي : لا نعرف للمطلب سماعاً من جابر . ورواه الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، من طريق عمرو بن أبي عمرو ، عن مولاة المطلب ، عن جابر ، ثم قال : وهذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقيس .

وقال مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : رأيت عثمان بن عفان بالعُرج ، وهو محرم في يوم صائف ، قد غطى وجهه بقطيفة أرجوان ، ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه : كلوا . فقالوا : أولاً تأكل أنت ؟ فقال : إني لست كهيتكم ، إنما صيد من أجلي^(٦٤).

(٥٩) (ج ٧٦/١١) .

(٦٠) رواه البخاري (ج ٢٠٢/٥) ومسلم (ج ٨٥٠/٢) من حديث ابن عباس .

(٦١) رواه البخاري (ج ٢٦/٤ - ٢٧) ومسلم (ج ٨٥١/٢ - ٨٥٢) من حديث أبي قتادة .

(٦٢) الحديث ضعيف لأنه منقطع بين المطلب وجابر والحديث في المسند (ج ٣/٣٦٢) ورواه (ص ٣٨٧) من طريق عمرو بن أبي عمرو عن رجل عن جابر فذكره وعلى كل حال فالحديث ضعيف .

(٦٣) أبو داود (ج ٤٢٧/٢ - ٤٢٨) والترمذي (ج ٣/١٩٤ - ١٩٥) والنسائي (ج ٥/١٨٧) .

(٦٤) الأثر صحيح إلى عثمان رواه في الموطأ (ج ١/٣٥٤) وفيه عبد الرحمن بن عامر بن ربيعة بدل قوله هنا عبد الله

[وقد نقل ابن جرير خلافاً في صفة الصيد الذي حرمه الله تعالى على المحرم ، فقال بعضهم : صيد البر : كل ما كان يعيش في البر والبحر ، وإنما صيد البحر ما كان يعيش في الماء دون البر وبأوي إليه] .

[روى عمران بن جرير ، عن أبي مجلز أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمت حُرماً ﴾ ، قال : ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصده ، وما كان حياته في الماء فذاك ^(٦٥)] .

[وعن عطاء قال : ما كان يعيش في البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاء ، والسرطان ، والضفادع وقال بعضهم : صيد البر ما كان كونه في البر أكثر من كونه في البحر] .
[روي عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن ابن الماء ، أصيد بر أم بحر ؟ وعن أشباهه . فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده] .

[وعن عطاء بن أبي رباح قال : أكثر ما يكون حيث يفرخ ، فهو منه] .

[وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾] .

[قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : واخشوا الله ، أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم ﷺ ، من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة صيد البر وقتله في حال إحرامكم وفي غيرها ، فإن لله مصيركم ومرجعكم ، فيعاقبكم بمعصيتكم إياه ، ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له] .

وقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ﴾ .

[يقول تعالى ذكره : صير الله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لا قوام لهم ، من رئيس يحجز قويعهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم - والشهر الحرام والهدي والقلائد - فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن له قيام غيره ، وجعلها معالماً لدينهم ، ومصالح أمورهم] .

= تنبيه : في التعليق على طبعة الشعب عقب هذا الأثر قول المعلق : لم يكمل الحافظ ابن كثير رحمه الله شرح هذه الآيات فقد وقف عند قوله تعالى : ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمت حُرماً ﴾ وقد تأكد ذلك بالرجوع إلى مخطوطة دار الكتب : تفسير فلم نجد فيها أيضاً تفسير بقية الآية ٩٦ والآيات (٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وما نحن بعون الله نكملها معتمدين الاعتماد كله على تفسير الإمام ابن جرير الطبري وبالله التوفيق . (٦٥) عمران بن جرير صوابه ابن حدير مصغراً كما في التفسير للطبري (ج ١١ / ٨٧) والتقريب وقال الحافظ فيه : ثقة ثقة فيكون صحيحاً إلى أبي مجلز لاحق بن حميد .

[وقد روي عن مجاهد قال : إنما سميت [الكعبة] لأنها مربعة . وروى مثله عن عكرمة^(٦٦)] .

قال ابن جرير : وأما (الكعبة) فالحرم كله . وسماها الله تعالى « حراماً » ، لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يختل خلها ، أو يعضد شجرها] .

[وقد فسر ابن جرير ﴿ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾ بالقوام . وروى في ذلك آثاراً منها] :

[حدثنا هناد قال : حدثنا ابن أبي زائدة قال : أخبرنا من سمع حُصَيْفًا يحدث ، عن مجاهد في : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾ ، قال : قواماً للناس^(٦٧)] .

[وقال سعيد بن جبير : ﴿ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾ ، قال : صلاحاً لدينهم . وعنه أيضاً : شدة لدينهم] .

[وعن ابن عباس قال : قيامها : أن يأمن من توجه إليها ، وعنه أيضاً : قياماً لدينهم ، ومعالم لحجهم وقال السدي : جعل الله هذه الأربعة قِيَاماً لِلنَّاسِ ، هو قوام أمرهم] .

[قال ابن جرير : وهذه الأقوال وإن اختلفت من ألفاظ قائلها ألفاظها ، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا من ذلك ، من أن « القوام » للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما أن الملك الأعظم ، قوام رعيته ومن في سلطانه ، لأنه مدبر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم . وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد ، قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم ، وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم] .

[ثم قال ابن جرير : وبنحو الذي قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التأويل] .

[حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا جامع بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾ ، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية ، فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يتناول ولم يقرب . وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرب . وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه ومنعته من الناس^(٦٨) ، حتى يأتي أهله ، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية] .

(٦٦) كلا الأثرين عند الطبري (ج ٩٠/١١) من طريق سفيان بن وكيع وهو ضعيف .

(٦٧) أثر مجاهد ضعيف لإبهام الراوي عن حصيف والأثر عند الطبري (ج ٩١/١١) .

(٦٨) جامع بن حماد لا أدري من هو .

[وروي نحوه عن ابن زيد ، وابن عباس] .

[وقد مضى في أول السورة ذكر ﴿ الشهر الحرام ﴾ و ﴿ الهدي ﴾ و ﴿ القلائد ﴾] .

[وقوله تعالى : ﴿ اعلّموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ﴾] .

[قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : اعلّموا ، أيها الناس ، أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلايتها ، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها ، شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه ، على معصيته إياه - وهو غفور لذنوب من أطاعه وأتاب إليه ، فسائر عليه وتارك فضيحتة بها رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه ، بعد إنابته وتوبته منها] .

[وقوله : ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾] .

[هذا من الله تعالى ذكره ، تهديد لعباده ووعيد ، يقول تعالى ذكره : ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم ، أيها الناس ، بإنذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد ، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم - إلا أن يؤدي إليكم رسالتنا ، ثم إلينا الثواب على الطاعة ، وإلينا العقاب على المعصية] .

[﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾] .

[يقول : وغير خفي علينا المطيع منكم ، القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به - من المعاصي الآتي رسالتنا ، التارك العمل بما أمرته بالعمل به ، لأننا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به لسانه . ﴿ وما تكتمون ﴾ ، يعني : وما تخفون في أنفسكم من إيمان وكفر ، أو يقين وشك ونفاق] .

[يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك ، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور ، وظواهر أعمال النفوس ، مما في السموات وما في الأرض ، ويده الثواب والعقاب - فحقيق أن يتقى ، وأن يطاع ، فلا يعصى] .

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أُعْجِبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٩٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَعُكُمْ
وَأِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ

غُفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ ، أي: يا أيها الإنسان (كثرة الخبيث). يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار، كما جاء في الحديث: «ما قل وكفى، خير مما كثر وألهى».

وقال أبو القاسم البغوي في معجمه: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا الحوطي، حدثنا محمد بن شعيب، حدثنا معان بن رفاعه، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أنه أخبره عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال النبي ﷺ: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» (٦٩).

﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي: يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة، وتجنبوا الحرام ودعوه، واقنعوا بالحلال واكتفوا به ﴿لعلكم تفلحون﴾ ، أي في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم﴾. هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا ﴿عن أشياء﴾ مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها، لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُبلغني أحد عن أحد شيئاً، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (٧٠).

وقال البخاري: حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي، حدثنا أبي، حدثنا

(٦٩) هذا الحديث ضعيف لا يثبت لما سيأتي إن شاء الله وهو حديث مشهور عند المؤرخين والمفسرين وهو كذلك عند المحدثين أيضاً فمن هؤلاء الذين روه: الطبري (ج ١٤/٣٧٠ - ٣٧٢) وابن الأثير في أسد الغابة (ج ١/٢٨٣ - ٢٨٤) والطبراني في الكبير (ج ٨/٢٦٠ - ٢٦١) والبيهقي في دلائل النبوة (ج ٥/٢٨٩ - ٢٩٢) وقال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف قلت: فمنها هذا السند الذي بين أيدينا فيه أحمد بن الأزهر عن مروان بن محمد عن محمد ابن شعيب كما في أسد الغابة. انتهى من التعليق على طبعة الشعب.

وبقية السند معان بن رفاعه قال في التقريب: لين الحديث. وعلي بن يزيد الألهاني قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة وقال الدارقطني: متروك. والقاسم: مختلف فيه. وجاء من حديث ابن عباس وهو من طريق العوفيين وهو سند معروف الضعف رواه كذلك ابن جرير الطبري كما تقدم (ج ١٤/٣٧٠). وأحسن من اعتنى بهذه القصة وبين ضعفها فيما أعلم الأخ الفاضل / عذاب الحمش جزاه الله خيراً فإنه جمع كتاباً أجاد فيه وأفاد سماه «ثعلبة بن حاطب المفترى عليه».

(٧٠) الحديث ضعيف وسيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم﴾ الآية.

شعبة ، عن موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . قال : فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين . فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية : ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾^(٧١) .

رواه النضر وروح بن عباد ، عن شعبة ، وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج ، به .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ... الآية ، قال : فحدثنا أن أنس بن مالك حدثنا أن رسول الله ﷺ سأله حتى أحفوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر ، فقال : « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » . فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالاً إلا وجدت كلاً لافاً رأسه في ثوبه يبيكي . فأنشأ رجل كان يلاحى فیدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله ، من أبي ؟ قال : « أبوك حذافة » ، قال : ثم قام عمر - أو قال : فأنشأ عمر - فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، عائداً بالله - أو قال : أعوذ بالله - من شر الفتن قال : وقال رسول الله ﷺ : « لم أر في الخير والشر كالיום قط ، صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط »^(٧٢) .

أخرجاه من طريق سعيد^(٧٣) .

ورواه معمر ، عن الزهري ، عن أنس بنحو ذلك - أو قريباً منه - قال الزهري : فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولداً أعق منك قط ، أكنت تأمن أن [تكون] أملك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رءوس الناس فقال : والله لو ألحقني بعد أسود للحقته^(٧٤) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمراً وجهه . حتى جلس على المنبر ، فقام إليه رجل فقال : أين أبي ؟ فقال : « في النار » . فقام آخر فقال : من أبي ؟ فقال : « أبوك حذافة » . فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ،

(٧١) رواه البخاري (ج ٨ / ٢٨٠) وقول ابن كثير : وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع يعني في الرقاق (ج ١١ / ٣١٩) ورواه مسلم (ج ٤ / ١٨٣٢) وأحمد (ج ٣ / ٢١٠) والترمذي (ج ٥ / ٢٥٦) والنسائي في التفسير حديث (١٧٤) .

(٧٢) (ج ١١ / ١٠٠) من تفسير الطبري .

(٧٣) البخاري (ج ١٣ / ٤٣ - ٤٤) ومسلم (ج ٤ / ١٨٣٤) .

(٧٤) أصل الحديث في الصحيحين : البخاري (ج ١٣ / ٢٦٥) ومسلم (ج ٤ / ١٨٣٣) .

وبالقرآن إماماً ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم من آباؤنا ، قال : فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ .
 إسناده جيد^(٧٥) ، وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد من السلف ، منهم أسباط عن السدي أنه قال في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ ، قال : غضب رسول الله ﷺ يوماً من الأيام ، فقام خطيباً فقال : « سلوني ، فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » ، فقام إليه رجل من قريش ، من بني سهم ، يقال له : عبد الله بن حذافة . وكان يُطعن فيه ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال : « أبوك فلان » . فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله ، وقال : يا رسول الله ، رضينا بالله رباً ، وبك نبياً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً ، فاعف عنا عفا الله عنك . فلم يزل به حتى رضي ، فيومئذ قال : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^(٧٦) .

ثم قال البخاري : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا أبو الجويرية ، عن ابن عباس قال : كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء ، فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ حتى فرغ من الآية كلها .
 تفرد به البخاري^(٧٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منصور بن وردان الأسدي ، حدثنا علي بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن أبي البختري - وهو سعيد بن فيروز - عن علي قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ قالوا : يا رسول الله ، في كل عام ؟ فسكت . فقالوا : أف في كل عام ؟ فسكت ، قال : ثم قالوا : أف في كل عام ؟ فقال : « لا ، ولو قلت نعم لوجبت » . فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ إلى آخر الآية^(٧٨) .
 وكذا رواه الترمذي وابن ماجه^(٧٩) ، من طريق منصور بن وردان ، به . وقال الترمذي :

(٧٥) الحديث ضعيف من هذا الوجه رواه الطبري (ج ١١ / ١٠٣) وقال المعلق عليه بعد ذكر تضعيفه بعض رواه : وإسناد هذا الخبر إلى قيس بن الربيع إسناد هالك ولكن ابن كثير في تفسيره (٢ : ٢٤٩) ساقه عن هذا الموضع من الطبري ثم قال : إسناده جيد وكيف وفيه عبد العزيز بن أبان ، إلى آخر كلامه ومما قيل في عبد العزيز قال ابن معين : كذاب خبيث يضع الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث وقال مرة : ليس بثقة ولا يكتب حديثه وهناك غير هذا مما قيل فيه .

(٧٦) رواه ابن جرير (ج ١١ / ١٠٢ - ١٠٣) وسيأتي أنه في الصحيح .

(٧٧) الحديث في التفسير من صحيح البخاري (ج ٨ / ٢٨٠) .

(٧٨) الحديث في المسند (ج ١ / ١١٣) وهو منقطع كما سيأتي .

(٧٩) الترمذي (ج ٥ / ٢٥٦) وابن ماجه (ج ٢ / ٩٦٣) .

غريب من هذا الوجه . وسمعت البخاري يقول : أبو البخري لم يدرك علياً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله كتب عليكم الحج » . فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : « من السائل ؟ » فقال : فلان . فقال : « والذي نفسي بيده ، لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ، حتى ختم الآية^(٨٠) .

ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة - وقال : فقام مخصن الأسدي - وفي رواية من هذه الطريق : عكاشة بن مخصن - وهو أشبه^(٨١) .

وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثني زكريا بن يحيى بن [أبان المصري قال : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى] ، عن صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام رسول الله ﷺ في الناس فقال : « كتب عليكم الحج » . فقام رجل من الأعراب فقال : أفي كل عام ؟ قال : فقلق كلام رسول الله ﷺ ، وأسكت واستغضب ، ومكث طويلاً ، ثم تكلم فقال : « من السائل ؟ » فقال الأعرابي : أنا ذا ، فقال : « ويحك . ماذا يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم . ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الخرج ، والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض ، وحرمت عليكم منها موضع خُفٍّ ، لوقعتم فيه » ، قال : فأنزل الله عند ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ إلى آخر الآية .

في إسناده ضعف^(٨٢) .

وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا أعلم بها الشخص ساءته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها ، وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا حجاج قال : سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هشام مولى الهمداني ، عن زيد بن زائد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ... » الحديث^(٨٣) .

(٨٠) (ج ١١/١٠٥) وهو ضعيف لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري .

(٨١) (ج ١١/١٠٧) وسنده صحيح وقوله : وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف هو على الحديث المتقدم .

(٨٢) وأكبر ظني أنه من أجل شيخ الطبري والله أعلم . والحديث عند الطبري (ج ١١/١٠٧-١٠٨) .

(٨٣) الحديث ضعيف من هذا الوجه الوليد بن أبي هشام لم يوثقه معتبر بل قال الأزدي : لا يصح حديثه وشيخه =

وقد رواه أبو داود والترمذي ، من حديث إسرائيل - قال أبو داود : عن الوليد - وقال الترمذي : عن إسرائيل ، عن السدي ، عن الوليد بن أبي هاشم - به . ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزِلُ الْقُرْآنَ تَبَدُّ لَكُمْ ﴾ ، أي : وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيت عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تُبَيِّنْ لَكُمْ ، وذلك يسير .

ثم قال : ﴿ عفا الله عنها ﴾ ، أي : عما كان منكم قبل ذلك ، ﴿ والله غفورٌ حلِيمٌ ﴾ .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزِلُ الْقُرْآنَ تَبَدُّ لَكُمْ ﴾ ، أي : لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها ، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضيق . وقد ورد في الحديث : « أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرِّمْ فحرم من أجل مسأله »^(٨٤) . ولكن إذا نزل القرآن بها جملة فسلتم عن بيانها حينئذ ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها . ﴿ عفا الله عنها ﴾ ، أي : ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه ، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها : وفي الصحيح ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ذروني منا تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم »^(٨٥) .

وفي الحديث الصحيح أيضاً : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »^(٨٦) .

= مقبول ، كما في التقريب ، والحديث رواه أحمد (ج ٣٩٦/١) وأبو داود (ج ٢٠٦/١٣) والترمذي (ج ٦٦٨/٦٤ باب ٦٤) .

(٨٤) الحديث في الصحيحين : البخاري (ج ٣٦٤/١٣) ومسلم (ج ١٨٣١/٤) وفي بعضها قال سفيان بن عيينة : أحفظه كما أحفظ بسم الله الرحمن الرحيم ، الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أعظم المسلمين » فذكره .

(٨٥) الحديث في الصحيحين : البخاري (ج ٢٥١/١٣) ومسلم (ج ٩٧٥/٢) والنسائي أيضاً (ج ١١٠/٥) وأحمد (ج ٢٥٨/٢) وله طرق وألفاظ كثيرة عن أبي هريرة .

(٨٦) الحديث وصفه الحافظ ابن كثير رحمه الله في موضعين من تفسيره بأنه صحيح هنا وفي تفسير سورة البقرة آية (٢٣٠) ولم يظهر لي وجه تصحيحه له وكذلك الإمام النووي يحسنه وهو ضعيف من جميع طرقه ففي جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي أن له علتين ، إحداهما أن مكحولاً لم يصح له السماع عن أبي ثعلبة والثانية : أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة قلت : رواه كذلك الدارقطني في سننه (ج ١٨٣/٤ - ١٨٤) والحاكم (ج ١١٥/٤) وجاء من حديث أبي الدرداء بلفظ : ما أحل الله في كتابه فهو حلال . رواه الدارقطني (ج ١٧٣/٢) من سننه والحاكم في مستدركه (ج ٣٧٥/٢) من طريق رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء فذكره ، وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وبعضهم يقول : حسن ، لأن ظاهر الإسناد يقتضي ذلك وليس الأمر كذلك فليس الحديث صحيحاً ولا حسناً بل هو ضعيف لانقطاعه بين رجاء ابن حيوة وأبي الدرداء ، ففي جامع التحصيل أنه يروى عن معاذ وأبي الدرداء وهو مرسل ، قال : ذكره شيخنا في التهذيب .

ثم قال : ﴿ قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ ، أي : قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قومٌ من قبلكم ، فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها ، فأصبحوا بها كافرين أي : بسببها ، أي : بينت ولم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد ، وإنما سألوا على وجه التعنت والعناد . قال العوفي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ . وذلك أن رسول الله ﷺ أذن في الناس فقال : « يا قوم ، كتب عليكم الحج » . فقام رجل من بني أسد فقال : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فأغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فقال : « والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذا لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهاوا عنه » . فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ . فنهى الله عن ذلك ، وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم نبيانه .

رواه ابن جرير (٨٧) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ﴾ ، قال : لما نزلت آية الحج ، نادى النبي ﷺ في الناس فقال : « يا أيها الناس ، إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا » . فقالوا : يا رسول الله ، أعاماً واحداً أم كل عام ؟ فقال : « لا ، بل عاماً واحداً » ، ولو قلت كل عام لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم » . ثم قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ... ﴾ إلى قوله :

= ورواه الدارقطني أيضاً (ج ٢٩٨/٤) من طريق نهشل بن سعيد ومن طريق أصرم بن حوشب قال الشيخ الألباني حفظه الله تعالى في غاية المرام : وكل من أصرم ونهشل كذاب وجاء من حديث سلمان الفارسي رواه الترمذي وابن ماجة والراجح الموقوف ، قال الترمذي : رواه سفيان يعني ابن عيينة عن سليمان عن أبي عثمان عن سلمان رضي الله عنه من قوله وكأنه أصح . وذكر عن البخاري أنه قال في الحديث المرفوع : ما أراه محفوظاً . وقال أحمد : هو - يعني المرفوع - منكر . قلت : والذي رواه مرفوعاً هو سيف بن هارون البرجمي ضعيف . انتهى ملخصاً من شرح الأربعين لابن رجب .

قلت : وله طريق أخرى عند البيهقي (ج ٣٢٠/٩) من طريق يونس بن خباب قال البخاري فيه : منكر الحديث ، وقال ابن معين : رجل سوء وكان يشتم عثمان ، وذكر ابن الترمذي عن الترمذي : كأن الموقوف أصح . وذكر ابن رجب رحمه الله أنه جاء من حديث ابن عمر وعائشة وابن عباس وذكر عن ابن عدي تضعيف الأول وحكم على الثاني بأن الراوي أخطأ في إسناده ، وقال في الثالث : إنه موقوف .

قلت : والمرفوع من طريق حسين بن قيس حنش وهو متروك .

(٨٧) (ج ١٠٩/١١ - ١١٠) وهو بالسند العوفي إلى ابن عباس وقد تقدم أنه سند ضعيف .

﴿ ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ .

رواه ابن جرير ^(٨٨) .

وقال خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ قال : هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ، ألا [ترى] أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا - قال : وأما عكرمة فقال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنهوا عن ذلك . ثم قال : ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ .

رواه ابن جرير ^(٨٩) .

يعني عكرمة رحمه الله : أن المراد بهذا النهي عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قریش أن يجري لهم أنهاراً ، وأن يجعل لهم الصفا ذهباً وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ .

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا تَوَلَّوْا أُولَٰئِكَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة : التي يُمنع دَرَّها للطواغيت ، فلا يحلبها أحد من الناس . و « السائبة » : كانوا يُسيئونها لأهتهم ، لا يحمل عليها شيء - قال : وقال أبو هريرة قال

(٨٨) وعلي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره ، عبارة ابن حجر في التقریب .
(٨٩) (ج ١١ / ١١) وسنده حسن ، خصيف هو ابن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ خلط بآخره ورمي بالإرجاء . التقریب .

رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب - و « الوصيلة » : الناقة البكر تُبكر في أول نتاج الإبل ، ثم تُثنى بعد أنثى ، وكانوا يُسييونها لطواغيتهم ، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر . و « الحام » : فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت ، وأعفوه عن الحمل ، فلم يُحمل عليه شيء ، وسموه : الحامي »^(٩٠).

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد ، به .

ثم قال البخاري : وقال لنا أبو اليمان : أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : سمعت سعيداً يخبر بهذا - وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ ، نحوه . ورواه ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

قال الحاكم : أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بُخت ، عن الزهري . كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزي في « الأطراف » وسكت ولم يبنه عليه . وفيما قاله الحاكم نظر ، فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير^(٩١) رواه من حديث الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن الزهري نفسه ، والله أعلم .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانى ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة أن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جهنم يخطم بعضها بعضاً ، ورأيت عمراً يجر قصبه ، وهو أول من سيب السوائب » . تفرد به البخاري^(٩٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأئكم بن الجون : « يا أئكم ، رأيت عمرو بن لُحي بن قَمعة بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ، ولا به منك » . فقال أئكم : تخشى أن يضرنى شبه يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا ، إنك مؤمن [وهو كافر ، إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمى الحامي] . ثم رواه عن [هناد ، عن عبدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه أو مثله .

(٩٠) الحديث في الصحيحين : البخاري (ج ٢٨٣/٨) ومسلم (ج ٢١٩١/٤ - ٢١٩٢) وأما قول الحافظ المؤلف والنسائي فلم أقف على الحديث في سنته لكن ذكر الحافظ المزي أن النسائي أخرجه كما في تحفة الأشراف وفيه أنه في التفسير ولم أقف عليه في التفسير ، فالحق أعلم .

(٩١) نعم رواه أحمد في المسند (ج ٣٦٦/٢) وأبو جعفر في التفسير (ج ١١٦/١١) .

(٩٢) في صحيحه (ج ٢٨٣/٨) .

ليس هذان الطريقان في الكتب^(٩٣).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن مجمع ، حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « إن أول من سيب السوائب ، وعبد الأصنام ، أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار » .
تفرد به أحمد من هذا الوجه^(٩٤).

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام » . قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : « عمرو بن لُحَيٍّ أخو بني كعب ، لقد رأيته يجر قُصْبَهُ في النار يُؤْذِي رِجْلَهُ أَهْلَ النار . وإني لأعرف أول من بحر البحائر » . قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : « رجل من بني مُذَلْج ، كانت له ناقتان ، فجدهن آذانهما ، وحرم ألبانها ، ثم شرب ألبانها بعد ذلك ، فلقد رأيته في النار وهما يعضّانه بأفواههما ويخبطانه بأخفافهما »^(٩٥).

فعمره هذا هو ابن لحي بن قَمْعَة ، أحد رؤساء خزاعة ، الذين ولّوا البيت بعد جُرْهم . وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل ، فأدخل الأصنام إلى الحجاز ، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها ، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها ، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام ، عند قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ إلى آخر الآيات في ذلك .

فأما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس ، فإن كان ذكراً ذبحوه ، فأكله الرجال دون النساء . وإن كان أنثى جدعوا آذانها ، فقالوا : هذه بحيرة .

وذكر السدي وغيره قريباً من هذا .

وأما السائبة فقال مجاهد : هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة ، إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كان على هيئتها ، فإذا ولدت السابع ذكراً أو ذكرين ، ذبحوه ، فأكله رجالهم دون نسائهم .

وقال محمد بن إسحاق : السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر ، سَيِّت فلم تتركب ، ولم يُجَزَّ وبرها ، ولم يحلب لبنها إلا الضيف .

وقال أبو روق : « السائبة » : كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته ، سَيَّب من ماله ناقة

(٩٣) الحديث صحيح لغيره وهو عند الطبري في التفسير (ج ١١/١١٧ - ١١٩) .

(٩٤) ضعيف بهذا السند لضعف إبراهيم هو ابن مسلم الهجري ، والحديث في المسند (ج ١/٤٤٦) .

(٩٥) أخرجه الطبري (ج ١١/١٢٠) هكذا مرسلًا فهو ضعيف لذلك .

أو غيرها ، فجعلها للطواغيت . فما ولدت من شيء كان لها .

وقال السدي : كان الرجل منهم إذا قُضيت حاجته أو عُوفي من مرض أو كثر ماله سبب شيئاً من ماله للأوثان ، فمن عرض له من الناس عُوقب بعقوبة في الدنيا .

وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظروا السابع ، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها ، وإن كان ذكراً و أنثى في بطن استحيوها وقالوا : وصلته أخته فحرمته علينا .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : ﴿ ولا وصيلة ﴾ ، قال : فالوصيلة من الإبل ، كانت الناقة تبتكر بأنثى ، ثم تنثي بأنثى ، فيسمونها الوصيلة ، ويقولون : وصلت أنثين ليس بينهما ذكر ، فكانوا يجدهونها لطواغيتهم^(٩٦) .

وكذا روي عن الإمام مالك بن أنس ، رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق : الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن ، توأمين توأمين في كل بطن ، سميت الوصيلة وتركت ، فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى ، جعلت للذكور دون الإناث . وإن كانت ميتة اشتركوا فيها .

وأما الحام فقال العوفي ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا لقح فحله عشراً ، قيل : حام ، فاتركوه .

وكذا قال أبو روق ، وقتادة . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : وأما الحام فالفحل من الإبل ، إذا وُلد لولده قالوا : حَمَى هذا ظهره ، فلا يحملون عليه شيئاً ، ولا يجزون له وبراً ، ولا يمنعون من حمى رعي ، ومن حوض يشرب منه ، وإن كان الحوض لغير صاحبه .

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : أما الحام فمن الإبل كان يضرب في الإبل ، فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه .

وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم ، من طريق أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص الجشمي ، عن أبيه مالك بن نضلة قال : أتيت النبي ﷺ في حَلَقان من الثياب ، فقال لي : « هل لك من مال ؟ » قلت : نعم . قال : « من أي المال ؟ » قال ، فقلت : من كل المال ، من الإبل والغنم والخيول والرقيق . قال : « فإذا آتاك الله مالاً

(٩٦) الأثر عند الطبري (ج ١١ / ١٣١) من طريق الحسن وهو ابن يحيى بن الجعد صدوق ، كما في التهذيب . فيكون حسناً إلى سعيد بن المسيب .

فَلْيَرَّ عَلَيْكَ . ثم قال : « تنتج إبلك وافية آذانها ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « وهل تنتج الإبل إلا كذلك ؟ » قال : « فعلك تأخذ موسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول : هذه بحير وتشق آذان طائفة منها ، وتقول : هذه حرم ؟ » قلت : نعم . قال : « فلا تفعل ، إن كل ما آتاك الله لك حل » ، ثم قال : « ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ » . أما البحيرة فهي التي يجدون آذانها ، فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها . وأما السائبة فهي التي يسيبون لآهتهم ، ويذهبون إلى آهتهم فيسيبونها ، وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن ، فإذا ولدت السابع ، جُدعت وقطع قرنها ، فيقولون : قد وصلت ، فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض . هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجاً في الحديث .

وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عوف بن مالك ، من قوله ، وهو أشبه .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة ، عن أبيه ، به ^(٩٧) . وليس فيه تفسير هذه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ ، أي : ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قرينة ، ولكن المشركون افتروا ذلك . وجعلوه شرعاً لهم وقرينة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم ، بل هو وبال عليهم .

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا : حسبننا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ ، أي : إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه ، قالوا : يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ ، أي : لا يفهمون حقاً ، ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه ، فكيف يتبعونهم والحالة هذه ؟ لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم ، وأضل سبيلاً .

(٩٧) الحديث صحيح لغيره قد صرح أبو إسحاق بالسماع كما في المسند (ج ٤/١٣٦) و (ج ٢/٤٧٣) وفي بعض الطرق شعبة عن أبي إسحاق وشعبة قد كفانا تدليس ثلاثة أبي إسحاق و قتادة والأعمش ، وأبو الزعراء : ثقة ، قاله ابن معين وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة . انتهى من التهذيب .

وعوف بن مالك بن نضلة وثقه ابن معين أيضاً كما في التهذيب . والحديث أيضاً عند الترمذي (ج ٥/١٢٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من رواية قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولولا عنعنة قتادة لكان حسناً .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ونخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريباً منه أو بعيداً .

قال العوفي عن ابن عباس عند تفسير هذه الآية : يقول تعالى : إذا ما العبد أطاعني فما أمرته به من الحلال والحرام ، فلا يضره من ضل بعده ، إذا عمل بما أمرته به ^(٩٨) .

وكذا روى الوالبي ^(٩٩) ، عنه . وهكذا قال مقاتل بن حيان . فقله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ نصب على الإغراء ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ، أي : فيجازي كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وليس في الآية مستدلل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا كان فعل ذلك ممكناً ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير - يعني ابن معاوية - حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، حدثنا قيس قال : قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنكم تفرعون هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ إلى آخر الآية ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ قال : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه » - قال : وسمعت أبا بكر يقول : يا أيها الناس ، إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب للإيمان ^(١٠٠) .

وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان في صحيحه ^(١) ، وغيرهم ، من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة ، عن إسماعيل بن [أبي] خالد ، به متصلاً مرفوعاً ، ومنهم من رواه

(٩٨) رواه ابن جرير (ج ١١ / ١٤٧) والعوفي : ضعيف .

(٩٩) الأثر عند الطبري في نفس التخرج الأول من طريق علي بن أبي طلحة ، والله أعلم .

(١٠٠) سنده صحيح رواه أحمد في المسند (ج ١ / ٥) .

(١) أبو داود (ج ٤ / ٥٠٩ - ٥١٠) والترمذي (ج ٤ / ٤٦٧) و (ج ٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧) وابن ماجه (ج

٢ / ١٣٢٧) وأما النسائي ففي تحفة الأشراف أنه أخرجه وفيها أنه في الكبرى فظرت في التفسير فظهر لي

أن فيه سقطاً فالله المستعان وأما ابن حبان ففي صحيحه كما في الإحسان (ج ١ / ٢٦١ - ٢٦٢) .

عنه به موقوفاً على الصديق . وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره ، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولاً في مسند الصديق رضي الله عنه .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، وحدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا عتبة بن أبي حكيم ، حدثنا عمرو بن جارية اللخمي ، عن أبي أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له : كيف تصنع في هذه الآية ؟ فقال : أية آية ؟ قلت : قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ فقال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم » - قال عبد الله بن المبارك : وزاد غير عتبة « قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلاً منهم أو منا ؟ قال : « بل أجر خمسين منكم » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح^(٢).

وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك . ورواه ابن ماجه ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن عتبة بن أبي حكيم^(٣) وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الحسن أن ابن مسعود سأل رجل عن قوله : ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ، فقال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة . ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانها ، تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا - أو قال : فلا يقبل منكم - فحيثئذ ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ﴾^(٤).

ورواه أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ... ﴾ الآية ، قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً ، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله يقول : ﴿ عليكم أنفسكم ... ﴾ الآية . قال : فسمعها

(٢) الحديث ضعيف لأن مداره على عمرو بن جارية وشيخه أبي أمية وهما مجهولا الحال وقول الترمذي في سننه (ج ٥ / ٢٥٧ - ٢٥٨) : هذا حديث حسن غريب ليس فيه صحيح فلعله من اختلاف النسخ ، والله أعلم .

(٣) وقوله وكذا رواه أبو داود إلى آخره أما أبو داود ففي الملاحم (ج ٤ / ٥١٢) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٣٠ - ١٣٣١) وابن جرير (ج ١١ / ١٤٥) من التفسير وأما ابن أبي حاتم فلم أقف على كتابه .

(٤) الأثر ضعيف وهو عند الطبري (ج ١١ / ١٤١) وسبب ضعفه رواية معمر عن الحسن البصري فإنه لم يسمع منه قال الحافظ في التهذيب : قال عبد الرزاق عن معمر طلبت : العلم سنة مات الحسن . وفي جامع التحصيل ، وقال أحمد بن حنبل : لم يسمع - يعني معمر - من الحسن ولم يره بينهما رجل ويقال : إنه عمرو بن عبدي .

ابن مسعود فقال : مه ، لم يجيء تأويل هذه بعد ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير ، [ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة] ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار . فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ، ولم يذق بعضكم بأس بعض [فأمرؤا وانها : فإذا اختلفت القلوب والأهواء ، والبست شيعاً ، وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه ، عند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية .

رواه ابن جرير^(٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا شابة بن سوار ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن سفيان بن عقال قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله قال : ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ؟ فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي إن رسول الله ﷺ قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم^(٦) .

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالوا : حدثنا عوف ، عن سوار بن شبيب قال : كنت عند ابن عمر ، إذا أتاه رجل جليد في العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ، وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغض إليه أن يأتي دناءة ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك : [فقال رجل من القوم : وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ؟] .

فقال الرجل : إني لست إياك أسأل ، إنما أسأل الشيخ ، فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله : لعلك ترى لا أبا لك ، إني سأمرك أن تذهب فتقتلهم ، عظمهم وانهم ، فإن عصوك فعليك نفسك ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ... ﴾ الآية^(٧) .

وقال أيضاً : حدثني أحمد بن المقدم ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا قتادة ، عن أبي مازن قال : انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قوم من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ﴾ فقال أكبرهم : لم يجيء

(٥) (ج ١١/١٤٣ - ١٤٤) من طريقين ضعيفين إلى أبي جعفر الرازي وهو صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة كما في التقريب ، وقد تقدم عند تفسير قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ﴾ الآية (٧٦) الكلام على رواية أبي جعفر عن الربيع بن أنس .

(٦) الأثر ضعيف لجهالة سفيان بن عقال والأثر في التفسير (ج ١١/١٣٩) .

(٧) الأثر سنده صحيح سوار بن شبيب ثقة ترجمته في الجرح والتعديل .

هذه الآية (١٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
 مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ
 مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اُرْتَبَتْ
 لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَنكِتُهُمْ شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا
 لَمِنَ الْأَثَمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
 مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ
 مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ
 يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْههَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز ، قيل : إنه منسوخ ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وقال حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم^(١٤) : إنها منسوخة ، وقال آخرون - وهم الأكثرون ، فيما قاله ابن جرير - : بل هو محكم ، ومن ادعى النسخ فعليه البيان .

فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ﴾ هذا هو الخبر لقوله : ﴿ شهادة بينكم ﴾ فقبل تقديره : « شهادة اثنان » حذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه . وقيل : دل الكلام على تقدير أن يشهد اثنان .
 وقوله : ﴿ ذوا عدل ﴾ وصف لاثنين ، بأن يكونا عدلين .

وقوله ﴿ منكم ﴾ ، أي : من المسلمين . قاله الجمهور ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن

(١٣) الأثر ضعيف لعننة الوليد بن مسلم في بقية السند لأنه يدلّس تدليساً شديداً وهو التسوية وأيضاً لضعف ابن لهيعة .

(١٤) الأثران ضعيفان وهما عند الطبري (ج ١١/٢٠٧) الأول من طريق العوفيين والثاني فيه مبهم .

عباس في قوله ﴿ذُوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ، قال : من المسلمين ، رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : روي عن عبيدة ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، ومجاهد ، ويحيى بن يعمر ، والسدي ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿ذُوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ، أي : من حي الموصي ، وذلك قول روي عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرها .

وقوله : ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عون ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، قال : من غير المسلمين ، يعني : أهل الكتاب^(١٥) .

ثم قال : وروي عن عبيدة ، وشريح ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، ويحيى بن يعمر ، وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، وأبي مجلز ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، نحو ذلك .

وعلى ما حكاه ابن جرير^(١٦) عن عكرمة وعبيدة في قوله : ﴿مِنْكُمْ﴾ أي : المراد من قبيلة الموصي ، يكون المراد هاهنا : ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، أي : من غير قبيلة الموصي ، وقد روي عن ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري ، والزهري ، رحمهما الله .

وقوله : ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، أي : سافرتم ، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ ، وهذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين ، أن يكون ذلك في سفر ، وأن يكون في وصية ، كما صرح بذلك شريح القاضي .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو معاوية ووكيعة قالا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر ، ولا تجوز في سفر إلا في وصية^(١٧) .

ثم رواه عن ابن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق السبيعي قال : قال شريح ، فذكر^(١٨) مثله .

وقد روي مثله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى . وهذه المسألة من أفرادها ، وخالفه الثلاثة فقالوا : لا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين ، وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضاً .

(١٥) الأثر سنده حسن ، سعيد بن عون هو القرشي صدوق وباقي رجال السند كلهم ثقات .

(١٦) (ج ١١/١٥٦) من تفسيره .

(١٧) الأثر سنده صحيح إلى شريح وهو عند الطبري (ج ١١/١٦٣) .

(١٨) (ج ١١/١٦٤ - ١٦٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري قال : مضت السنة أنه لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر ، إنما هي في المسلمين^(١٩).

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض ، وعمل الناس بها .

رواه ابن جرير^(٢٠) وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : اختلف في قوله : ﴿ شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ﴾ هل المراد أن يوصي إليهما ، أو يشهدهما ، على قولين . أحدهما : أن يوصي إليهما ، كما قال [محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : سئل ابن مسعود رضي الله عنه ، عن هذه الآية قال] : هذا رجل سافر ومعه مال ، فأدركه قدره ، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته ، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين . رواه ابن أبي حاتم ، وفيه انقطاع^(٢١).

والقول الثاني : أنهما يكونان شاهدين . وهو ظاهر سياق الآية الكريمة ، فإن لم يكن وصي ثالث معهم اجتمع فيهما الوصفان : الوصية والشهادة ، كما في قصة تميم الداري ، وعدي بن بداء ، كما سيأتي ذكرها آنفاً ، إن شاء الله وبه التوفيق .

وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين ، قال : لأننا لا نعلم حكماً يحلف في الشاهد .

وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته الآية الكريمة ، وهذا هو حكم مستقل بنفسه ، لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام ، على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص ، وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره ، فإذا قامت قرائن الريية حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة .

وقوله تعالى : ﴿ تحبسونهما من بعد الصلاة ﴾ قال : ابن عباس : يعني صلاة العصر .

(١٩) الأثر ضعيف ، صالح بن أبي الأخضر قال الحافظ : في التقريب : ضعيف يعتبر به .

(٢٠) (ج ١١/١٦٦) وقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : وفي هذا نظر ، فكأنه يريد والله أعلم أن عبد الرحمن بن زيد لم يدرك نزول القرآن ثم إن سورة المائدة مدنية ومن أواخر ما نزل من القرآن فلا يتجه هذا مع قول عبد الرحمن بن زيد وذلك في أول الإسلام ثم هو ضعيف شديد الضعف .

(٢١) قول المؤلف : وفيه انقطاع ، الذي يظهر أنه من أجل يزيد بن عبد الله بن قسيط فإنه لم تذكر له رواية عن ابن مسعود ثم إن ابن إسحاق يدلس وقد عنعن ، والله أعلم .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، وعكرمة ، ومحمد بن سيرين .
وقال الزهري : يعني صلاة المسلمين .

وقال السدي ، عن ابن عباس : يعني صلاة أهل دينهما .

والمقصود : أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم ، ﴿ فيقسمان بالله ﴾ ، [أي : فيحلفان بالله] ﴿ إن ارتبتم ﴾ أي : إن ظهرت لكم منهما ريبة ، أنهما قد خانا أو غلا ، فيحلفان حينئذ بالله ﴿ لا نشترى به ﴾ ، أي : بأيماننا . قاله مقاتل بن حيان ﴿ ثمناً ﴾ ، أي : لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ، ﴿ ولو كان ذا قرنى ﴾ ، أي : ولو كان المشهود عليه قريباً إلينا لا نحايه ، ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ ، أضافها إلى الله تشريفاً لها ، وتعظيماً لأمرها .
وقرأ بعضهم : ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ ، مجروراً على القسم ، رواه ابن جرير^(٢٢) ، عن عامر الشعبي ، وحكي عن بعضهم أنه قرأ : ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾^(٢٣) ، والقراءة الأولى هي المشهورة .

﴿ إنا إذاً لمن الآثمين ﴾ ، أي : إن فعلنا شيئاً من ذلك ، من تحريف الشهادة ، أو تبديلها ، أو تغييرها ، أو كتمانها بالكلية .

قال تعالى : ﴿ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً ﴾ ، أي : فإن اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين ، أنهما خانا أو غلا شيئاً من المال الموصى به إليهما ، وظهر عليهما بذلك ﴿ فأخبران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ﴾ . هذه قراءة الجمهور : ﴿ استحق عليهم الأوليان ﴾^(٢٤) . روي عن علي ، وأبي ، والحسن البصري أنهم قرعوها : ﴿ استحق عليهم الأوليان ﴾^(٢٥) .

وقد روى الحاكم في المستدرك من طريق إسحاق بن محمد الفروي ، عن سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ من الذين استحق عليهم الأوليان ﴾ .

ثم قال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(٢٦) .

[وقرأ بعضهم ، ومنهم ابن عباس : ﴿ من الذين استحق عليهم الأولين ﴾] . وقرأ

(٢٢) (ج ١١/ ١٧٧ - ١٧٨) من طريق سفيان بن وكيع .

(٢٣) وسندها صحيح إلى الشعبي .

(٢٤) ذكر أبو جعفر الطبري (ج ١١/ ١٩٤) أنه قرأ بذلك يعني بضم التاء الحجاز والعراق والشام .

(٢٥) يعني بفتح التاء .

(٢٦) الحديث في المستدرك (ج ٢/ ٢٣٧) وهو ضعيف لضعف إسحاق بن محمد الفروي وليس من رجال مسلم .

الحسن : ﴿ من الذين استحق عليهم الأولان ﴾ ، حكاه ابن جرير^(٢٧) .

فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى بذلك : أي متى تحقق [ذلك] بالخبر الصحيح على حياتهما ، فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا من أولى من يرث من ذلك المال ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ ، أي : لقولنا إنها خانا ، أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة ﴿ وما اعتدينا ﴾ ، أي : فيما قلنا من الخيانة ﴿ إنا إذا لمن الظالمين ﴾ ، أي : إن كنا قد كذبنا عليهما .

وهذا التحليف للورثة ، والرجوع إلى قولهما والحالة هذه ، كما يحلف أولياء المقتول إذا ظهر لوث في جانب القاتل ، فيقسم المستحقون على القاتل فيدفع برمته إليهم ، كما هو مقرر في باب « القسامة » من الأحكام .

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا الحسين بن زياد ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن [أبي] النضر ، عن باذان - يعني أبا صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب - عن ابن عباس ، عن تميم الداري في هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ﴾ ، قال : برىء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء ، وكنا نصرانيين ، يختلفان إلى الشام قبل الإسلام . فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم ، يقال له : بديل بن أبي مريم ، بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك ، وهو عظيم تجارته . فمرض فأوصى إليهما ، وأمرهما أن يلبغا ما ترك أهله - قال تميم : فلما مات أخذنا ذلك الجام ، فبعناه بألف درهم ، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء . فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا ، وفقدوا الجام فسألونا عنه ، فقلنا : ما ترك غير هذا ، وما دفع إلينا غيره - قال تميم : فلما أسلمت بعد قدوم النبي ﷺ المدينة ، تأثمت من ذلك ، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ، ودفعت إليهم خمسمائة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا إليه ، أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه ، فحلف فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ... ﴾ إلى وقوله : ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ . فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا ، فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء .

وهكذا رواه أبو عيسى^(٢٨) الترمذي وابن جرير كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، به فذكره ، وعنده : فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة ، فلم يجدوا ، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه ، فحلف فأنزل الله : ﴿ يا

(٢٧) (ج ١١/١٩٤) .

(٢٨) (ج ٥/٢٥٨ - ٢٥٩) من سننه وابن جرير (ج ١١/١٨٦ - ١٨٧) من تفسيره .

أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ﴿ إلى قوله : ﴿ أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ ، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر ، فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بدء .

ثم قال : هذا حديث غريب ، وليس إسناده بصحيح ، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي ، يكنى أبا النضر ، وقد تركه أهل العلم بالحديث ، وهو صاحب التفسير ، سمعت محمد بن إسماعيل يقول : محمد بن السائب الكلبي ، يكنى أبا النضر ، ثم قال : ولا نعرف لسالم أبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ ، وقد روى عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخصوصاً بالذهب ، فأحلفهما رسول الله ﷺ ، ووجدوا الجلام بمكة ، فقيل : اشتريناه من تميم وعدي : فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وإن الجلام تصاحبهم ، وفيهم نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾^(٢٩) .

وكذا رواه أبو داود^(٣٠) ، عن الحسن بن علي ، عن يحيى بن آدم ، به . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو حديث ابن أبي زائدة .

ومحمد بن أبي القاسم ، كوفي ، قيل : إنه صالح الحديث ، وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من التابعين ، منهم ، عكرمة ، ومحمد بن سيرين ، وقتادة ، وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر ، رواه ابن جرير . وكذا ذكرها مرسلة : مجاهد ، والحسن ، والضحاك ، وهذا يدل على اشتجارها في السلف وصحتها .

ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضاً ما رواه أبو جعفر بن جرير^(٣١) .

حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ، قال : فحضرته الوفاة ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب . قال : فقدما الكوفة ، فأتيا الأشعري - يعني أبا موسى الأشعري رضي الله عنه - فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي ﷺ . قال : فأحلفهما بعد العصر : بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا ، وإنها لوصية

(٢٩) رواه الترمذي (ج ٥/٢٥٩) وعبد الملك بن سعيد بن جبير لا بأس به كما في التقريب .

(٣٠) (ج ٤/٣٠) من سننه والحديث عند البخاري (ج ٥/٤٠٩) بقول البخاري وقال لي علي بن عبد الله .

وفي الفتح قال الحافظ ابن حجر : لكن أخرجه المصنف في التاريخ فقال حدثنا علي بن عبد الله إلى آخره .

(٣١) كلا السندين في تفسيره (ج ١١/١٦٥) .

الرجل وتركته . قال : فأمضى شهادتهما .

ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن مغيرة الأزرق^(٣٢) ، عن الشعبي : أن أبا موسى قضى بدقوقا .

وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي ، عن أبي موسى الأشعري .

فقوله : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ الظاهر - والله أعلم - أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء ، وقد ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان في سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخراً ، يحتاج مدعي نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام ، والله أعلم .

وقال أسباط ، عن السدي ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ ، قال : هذا في الوصية عند الموت ، يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ما له وما عليه ، قال : هذا في الحضر - ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ في السفر - ﴿ إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ﴾ ، هذا الرجل يدركه (الموت) في سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصي إليهما ، ويدفع إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فإن رضي أهل الميت الوصية وعرفوا تركوا الرجلين . وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان ، فذلك قوله تعالى : ﴿ تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم ﴾ ، قال عبد الله بن عباس : كأني أنظر إلى العلجين حين انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره ، ففتح الصحيفة ، فأنكر أهل الميت وخونوهما فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت له : إنهما لا يباليان صلاة العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما ، فيوقف الرجلان فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنًا قليلاً ولو كان ذا قربي ، ولا نكتم شهادة الله إن إذا لمن الآثمين ؛ أن صاحبهم لهذا أوصى ، وأن هذه لتركته فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن كنتم أو خنتما فضحتكما في قومكما ، ولم تجز لكما شهادة ، وعاقبتكما ، فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

رواه ابن جرير^(٣٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسين ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ... ﴾ الآية ، قالا : إذا حضر الرجل

(٣٢) مغيرة الأزرق هو ابن مسلم كما في الجرح والتعديل روى عن الشعبي وروى عنه الثوري وشعبة هكذا بدون جرح ولا تعديل ولم أقف على ترجمته في غير هذا الكتاب ، والله أعلم .

(٣٣) (ج ١١ / ١٧٥ - ١٧٦) وأسباط وثقه ابن معين وتوقف فيه أحمد وضعفه أبو نعيم وقال النسائي : ليس بالقوي ، لفظ الذهبي في الميزان بحروفيه .

الوفاة في سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب . فإذا قدما بتركته ، فإن صدقهما الورثة قبل قولهما ، وإن اتهموا أحلفا بعد صلاة العصر بالله ما كتمنا ولا كذبنا ولا خنا ولا غيرنا^(٣٤) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً . فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإننا لم نعتد ، فذلك قوله : ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ ، يقول : إن اطلع على أن الكافرين كذبا ﴿ فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإننا لم نعتد ، فترد شهادة الكافرين ، وتجاوز شهادة الأولياء .

وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس رواهما ابن جرير^(٣٥) .

وهكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من الأئمة التابعين والسلف ، رضي الله عنهم ، وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾ ، أي : شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي [من تخليف الشاهدين الذميين و [قد] استريب بهما ، أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي] .

وقوله : ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ، أي : يكون الحامل لهم على الإتيان بالشهادة على وجهها ، وهو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه وإجلاله ، والخوف من الفضيحة بين الناس إذا ردت اليمين على الورثة ، فيحلفون ويستحقون ما يدعون ، ولهذا قال : ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، أي : في جميع أموركم ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ، أي : وأطيعوا ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، أي : الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته .

يَوْمَ يَجْمَعُ

اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوَالَاَعْلَمُ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ

(٣٤) التخريج السابق لكن فيه حدثنا القاسم حدثنا الحسين وهو الصواب وقاسم هو ابن الحسن الصائغ الهمداني والحسين هو ابن داود سنيد الضعيف .

(٣٥) (ج ١١/ ١٨١ - ١٨٢) والأول منقطع والثاني سنده كله ضعيف .

الْغُيُوبِ ①٠٩

هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة ، عما أجيئوا به من أمهم الذين أرسلهم إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فوربك لنسألهم أجمعين ، عما كانوا يعملون ﴾ .

وقول الرسل : ﴿ لا علم لنا ﴾ ، قال مجاهد ، والحسن البصري ، والسدي ، إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم .

قال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن مجاهد : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ فيفزعون فيقولون : ﴿ لا علم لنا ﴾ رواه ابن جرير ^(٣٦) وابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، حدثنا عنبسة قال : سمعت شيخاً يقول : سمعت الحسن يقول في قوله : ﴿ يوم يجمع الله الرسل ... ﴾ الآية ، قال : من هول ذلك اليوم ^(٣٧) .

وقال أسباط ، عن السدي : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ﴾ ، ذلك : أنهم نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول ، فلما سئلوا قالوا : ﴿ لا علم لنا ﴾ ، ثم نزلوا منزلاً آخر ، فشهدوا على قومهم .

رواه ابن جرير ^(٣٨) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ ، ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا بعدكم ؟ قالوا : ﴿ لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ ^(٣٩) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ ، يقولون للرب عز وجل : لا علم لنا ، إلا علم أنت أعلم به منا .

رواه ابن جرير ^(٤٠) . ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة . ولا شك أنه قول حسن ، وهو من باب التأدب مع الرب عز وجل ، أي : لا علم لنا بالنسبة لعلكم المحيط بكل شيء ، فنحن وإن

(٣٦) سنده حسن ، وعن عنة الأعمش لا تضر لأنه في المتابعات انظر تفسير الطبري (ج ١١ / ٢١٠) وفيه مؤمل ثنا سفيان عن الأعمش وقد عد البخاري نحواً من ثلاثين حديثاً سمعها الأعمش من مجاهد .

(٣٧) وابن حميد هو محمد الرازي ضعيف .

(٣٨) (ج ١١ / ٢١٠) .

(٣٩) ضعيف إلى ابن جريج وسببه سنيد انظر (ج ١١ / ٢١١) من الطبري .

(٤٠) (ج ١١ / ٢١١) وهو منقطع .

كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء ، المطلع على كل شيء ، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم ، فإنك ﴿ أنت علام الغيوب ﴾ .

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى
وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا
وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ
عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَهُمُ الْبَنِيَّةَ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
﴿ ١١٠ ﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ
بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿ ١١١ ﴾

يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم مما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ ، أي : في خلقي إياك من أم بلا ذكر ، وجعلني إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء ﴿ وعلى والدتك ﴾ حيث جعلتك لها برهاناً على براءتها مما نسبته الظالمون الجاهلون إليها من الفاحشة ، ﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، وجعلتك نبياً داعياً إلى الله في صغرك وكبرك ، فأنطقتك في المهد صغيراً ، فشهدت ببراءة أمك من كل عيب ، واعترفت لي بالعبودية ، وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوتك إلى عبادتي ، ولهذا قال تعالى : ﴿ تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ ، أي : تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك ، وضمن « تكلم » تدعو ، لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب .

وقوله : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ، أي : الخط والفهم ﴿ والتوراة ﴾ ، وهي المنزلة على موسى بن عمران الكليم ، وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك .
وقوله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ ، أي : تصوره وتشكله على هيئة

الطائر بإذني لك في ذلك فيكون طائراً بإذني ، أي : فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك ، فتكون طيراً ذا روح بإذن الله وخلقه .

وقوله : ﴿ وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ وإذ تخرج الموتى بإذني ﴾ ، أي تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته ، وإرادته ومشئته .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن طلحة - يعني ابن مصرف - عن أبي بشر ، عن أبي الهذيل قال : كان عيسى ابن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ آلم ، تنزيل ﴾ السجدة ، فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ، ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم : يا خفي ، يا دائم ، يا فرد ، يا وتر ، يأحد ، يا صمد - وكان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة آخر : يا حي ، يا قيوم ، يا الله ، يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا نور السموات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم ، يا رب .

وهذا أثر عجيب جداً^(٤١) .

وقوله : ﴿ وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم : إن هذا إلا سحر مبين ﴾ ، أي : واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم ، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر ، وسعوا في قتلك وصلبك ، فنجيتك منهم ، ورفعتك إلي ، وطهرتك من دنسهم ، وكفيتك شرهم ، وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا ، أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة ، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة ، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها رسوله محمداً ﷺ .

وقوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ ، وهذا أيضاً من الامتنان عليه ، عليه السلام ، بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً ، ثم قيل : المراد بهذا الوحي : وحي إلهام ، كما قال : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ الآية ، وهذا وحي إلهام بلا خوف ، وكما قال تعالى :

(٤١) وكأن وجه العجب هو من أجل هذا السياق فمن أين هذا لأبي الهذيل فلعله أخذه من بعض الكتب المتقدمة وقوله : يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد كلها أسماء لم ترد في القرآن ولا في السنة الصحيحة وأسماء الله وصفاته توقيفية فلا نسميه إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك صفاته سبحانه وتعالى وأما قوله يا وتر فقد جاء في الحديث الصحيح أن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن وبقي الأسماء جاءت في القرآن فالأثر مقطوع .

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ... ﴾ الآية . وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية : ﴿ وإذا أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي ، قالوا ، آمنا ، واشهد بأننا مسلمون ﴾ ، أي : ألهموا ذلك فامثلوا ما ألهموا .

قال الحسن البصري : ألهمهم الله عز وجل ذلك .

وقال السدي : قذف في قلوبهم ذلك .

ويحتمل أن يكون المراد : وإذا أوحيت إليهم بواسطتك ، فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك ، فقالوا : ﴿ آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون ﴾ .

إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

هذه قصة المائدة ، وإليها تنسب السورة فيقال : « سورة المائدة » وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام لما أجاب دعاءه بنزولها ، فأنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة .

وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل ، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين ، فالله أعلم .

فقوله تعالى : ﴿ إذ قال الخواريون ﴾ ، وهم أتباع عيسى عليه السلام : ﴿ يا عيسى ابن

مريم ، هل يستطيع ربك ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ ، أي : هل تستطيع ربك ﴿ هل تستطيع ربك ﴾ .

والمائدة هي : الخوان عليه طعام ، وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقيرهم ، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ، ويتقوون [بها] على العبادة .

قال : ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ ، أي : فأجابه المسيح عليه السلام قائلاً لهم : اتقوا الله ، ولا تسألوا هذا ، فعساه أن يكون فتنة لكم ! وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين .

﴿ قالوا : نريد أن نأكل منها ﴾ ، أي : نحن محتاجون إلى الأكل منها ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء ﴿ ونعلم أن قد صدقتنا ﴾ ، أي : ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك ، ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ ، أي : ونشهد أنها آية من عند الله ، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به .

﴿ قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا : أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ﴾ .

قال السدي : أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا .

وقال سفيان الثوري : يعني يوماً نصلي فيه .

وقال قتادة : أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم .

وعن سلمان الفارسي : عظة لنا ولمن بعدنا .

وقيل : كافية لأولنا وآخرنا .

﴿ وآية منك ﴾ ، أي : دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء ، وعلى إجابتك دعوتي ، فيصدقوني فيما أبلغه عنك ﴿ وارزقنا ﴾ ، أي : من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب ﴿ وأنت خير الرازقين . قال الله : إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم ﴾ ، أي : فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها ﴿ فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ ، أي : من عالمي زمانكم ، كقوله : ﴿ ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، وكقوله : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ .

وقد روى ابن جرير ، من طريق عوف الأعرابي ، عن أبي المغيرة القواس ، عن عبد الله بن عمرو قال : أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة « المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل

(٤٢) منهم عائشة وسعيد بن جبير وكلا الأثرين ضعيف الأول من طريق ابن وكيع وسفيان والثاني من طريق حسان ابن المخارق رواهما الطبري (ج ٢١٩/١١) .

فرعون» (٤٣).

[ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الخواريين]

قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث عن عيسى ابن مريم أنه قال لبني إسرائيل : هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ، ثم تسألوه فيعطيكُم ما سألتُم ؟ فإن أجر العامل على من عمل له ، ففعلوا ، ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ، ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطلعنا حين نفرغ طعاماً ، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى : ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ * قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا ، أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله : إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴿ . قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ، عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم .

كذا رواه ابن جرير (٤٤) . ورواه ابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : كان ابن عباس يحدث ، فذكر نحوه (٤٥) .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، حدثنا عقيل بن خالد ، أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس ، أن عيسى ابن مريم قالوا له : ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال : فنزلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أحوات ، وسبعة أرغفة ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (٤٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن خلاص ، عن عمار بن ياسر ، عن النبي ﷺ قال : « نزلت المائدة من السماء ، عليها خبز ولحم ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد ، فخانوا وادخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير (٤٧) .

(٤٣) الأثر صحيح إلى عبد الله بن عمرو أبو المغيرة لينة سليمان التيمي ووثقه ابن معين كما في لسان الميزان .

(٤٤) (ج ٢٢٢/١١) وهو معضل عن ابن عباس لأن بين عقيل وابن عباس مفاوز .

(٤٥) وهو منقطع لأن بين ابن شهاب وابن عباس غالباً عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .

(٤٦) وعلة هذا علة ما قبله .

(٤٧) الحديث في النفس من رفعه شيء فقد خالف الحسن بن قزعة محمد بن بشار عند الطبري (ج ٢٢٨/١١) =

وكذا رواه ابن جرير ، عن الحسن بن قرعة . ثم رواه ابن جرير ، عن ابن بشار ، عن ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاص ، عن عمار ، قال : نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة ، فأمرُوا أن لا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدخروا . قال : فخان القوم وخبئوا وادخروا ، فمسخهم الله قردة وخنازير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المشي ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بني عجل ، قال : صليت إلى جنب عمار بن ياسر ، فلما فرغ قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال : قلت : لا . قال : إنهم سألوها عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد . قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تحبأوا ، أو تخونوا ، أو ترفعوا ، فإن فعلتم فإني معذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . قال : فما مضى يومهم حتى حبأوا ورفعوا وخانوا ، فعذبوا عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين : وإنكم - معشر العرب - كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاة ، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم أنكم ستظهرون على العجم ، ونهاكم أن تكتنزوا الذهب والفضة ، وإيم الله ، لا يذهب الليل والنهار حتى تكتنزوها ، ويعذبكم الله عذاباً أليماً^(٤٨) .

وقال : حدثنا القاسم ، حدثنا حسين ، حدثني ججاج ، عن أبي معشر ، عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة نزلت على عيسى ابن مريم ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ، يأكلون منها ما شاءوا . قال : فسرق بعضهم منها وقال : « لعلها لا تنزل غداً » فرفعت^(٤٩) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت على عيسى ابن مريم والحواريين ، خوان عليه خبز وسمك ، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا .

وقال خصيف ، عن عكرمة ومقسم ، عن ابن عباس كانت المائدة سمكة وأرغفة .

وقال مجاهد : هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

وقال عطية العوفي : المائدة سمك فيه طعم كل شيء .

= (٢٢٩) وحيد بن مسعدة عند الترمذي (ج ٥ / ٢٦٠) فروياه موقوفاً من قول عمار رضي الله عنه ، قال أبو عيسى الترمذي : وهذا أصح من حديث الحسن بن قرعة ، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً .

قلت : فالوقوف أصح أن سلم من تدليس قتادة قال الإمام أحمد : كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن قتادة عن خلاص يعني كأنه لم يسمع منه ، نص كلام العلائي في جامع التحصيل .

فائدة : قد صح سماع خلاص من عمار بن ياسر كما في التهذيب .

(٤٨) ضعيف لأن فيه رجلاً مبهماً فلو كان ثقة لأبرز ، والأثر رواه الطبري (ج ١١ / ٢٢٨) .

(٤٩) ضعيف لضعف سنيد .

وقال وهب بن منبه : أنزلها من السماء على بني إسرائيل ، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة ، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى ، فكان يقعد عليها أربعة آلاف ، فإذا أكلوا أبدل الله مكان ذلك مثلهم . فلبثوا بذلك ما شاء الله عز وجل .

وقال وهب بن منبه : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات ، وحشا الله بين أضعافهن البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ثم يجيئ آخرون فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكل جميعهم وأفضلوا .

وقال الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير أنزل عليها كل شيء إلا اللحم .

وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان وميسرة ، وجريز عن عطاء ، عن ميسرة قال : كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي بكل طعام إلا اللحم . وعن عكرمة : كان خبز المائدة من الأرز ، رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا جعفر بن علي فيما كتب إلي ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن إبراهيم بن عبيد الله بن مرداس العبدي - مولى بني عبد الدار - عن إبراهيم بن عمر ، عن وهب بن منبه ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الخير أنه قال : لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة ، كره ذلك جداً وقال : اقنعوا بما رزقكم الله في الأرض ، ولا تسألوا المائدة من السماء ، فإنها أنزلت عليكم كانت آية من ربكم ، وإنما هلكتم ثمود حين سألوا نبيهم آية ، فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها ، فأبوا إلا أن يأتيهم بها ، فلذلك قالوا : ﴿ نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ... ﴾ الآية .

فلما رأى عيسى أنهم قد أبوا إلا أن يدعوا لهم بها ، قام فألقى عنه الصوف ، ولبس الشعر الأسود ، وجبة من الشعر ، وعباءة من الشعر ، وتوضأ واغتسل ، ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله ، فلما قضى صلاته قام قائماً مستقبلاً القبلة وصف قدميه حتى استويا ، فألصق الكعب [بالكعب] وحاذى الأصابع ، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره ، وغض بصره ، وطأطأ رأسه خشوعاً ، ثم أرسل عينيه بالبكاء ، فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه ، فلما رأى ذلك دعا الله فقال : ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴾ ، فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين : غمامة فوقها وغمامة تحتها ، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي إليهم ، وعيسى يبكي خوفاً للشروط التي اتخذها الله عليهم - فيها : أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين - وهو يدعو الله من مكانه ويقول : اللهم اجعلها رحمة ، إلهي لا تجعلها عذاباً ، إلهي كم من عجيبة . سألتك فأعطيتني ، إلهي اجعلنا لك شكارين ، إلهي أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضباً وجزاء ، إلهي اجعلها سلامة وعافية ، ولا تجعلها فتنة ومثلة .

فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى ، والحواريين وأصحابه حوله ، يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط ، وخر عيسى والحواريون لله سجداً شكرياً بما رزقهم من حيث لم يحتسبوا ، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة ، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمراً عجيباً أورثهم كمداً وغماً ، ثم انصرفوا بغيط شديد ، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة ، فإذا عليها منديل مغطي . قال عيسى : من أجرؤنا على كشف المنديل عن هذه السفرة ، وأوثقنا بنفسه ، وأحسننا بلاء عند ربه ؟ فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ، ونحمد ربنا ، ونذكر باسمه ، ونأكل من رزقه الذي رزقنا . فقال الحواريون : يا روح الله وكلمته ، أنت أولانا بذلك ، وأحقنا بالكشف عنها ، فقام عيسى عليه السلام ، واستأنف وضوءاً جديداً ، ثم دخل مصلاه فصلّى كذلك ركعات ، ثم بكى [بكاء] طويلاً ، ودعا الله أن يأذن له في الكشف عنها ، ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقاً ، ثم انصرف فجلس إلى السفرة وتناول المنديل ، وقال : « باسم الله خير الرازيين » ، وكشف عن السفرة ، فإذا هو عليها سمكة ضخمة مشوية ، ليس عليها بواسير ، وليس في جوفها شوك ، يسيل السمن منها سيلاً ، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث ، وعند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح ، وحول البقول خمسة أرغفة ، على واحد منها زيتون ، وعلى الآخر ثمرات ، وعلى الآخر خمس رمانات .

فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى : يا روح الله وكلمته ، أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال : أما أن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات ، وتنتهوا عن تنقيير المسائل ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب هذه الآية : فقال شمعون : وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة . فقال عيسى عليه السلام : ليس شيء مما ترون من طعام الجنة ولا من طعام الدنيا ، إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة العالية القاهرة ، فقال له : كن ، فكان أسرع من طرفة عين ، فكلوا مما سألتكم باسم الله ، واحمدوا عليه ربكم بمدكم منه ويزدكم ، فإنه بديع قادر شاکر .

فقالوا : يا روح الله وكلمته : إنا نحب أن ترينا آية في هذه الآية . فقال عيسى : سبحان الله : أما اكتفيتم بما رأيتم في هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى ؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام على السمكة ، فقال : يا سمكة ، عودي بإذن الله حية كما كنت . فأحيها الله بقدرته ، فاضطربت وعادت بإذن الله حية طرية ، تلمظ كما يتلمظ الأسد ، تدور ، عينها لها بصيص ، وعادت عليها بواسيرها . ففرز القوم منها وانحازوا . فلما رأى عيسى ذلك منهم قال : ما لكم تسألون الآية ، فإذا أراكموها ربكم كرهتموها ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون : يا سمكة ، عودي بإذن الله كما كنت ، فعادت بإذن الله مشوية كما كانت في خلقها الأول .

فقالوا لعيسى : كن أنت يا روح الله الذي تبدأ بالأكل منها ، ثم نحن بعد . فقال عيسى : معاذ الله من ذلك : يبدأ بالأكل من طلبها ، فلما رأى الحواريون وأصحابهم امتناع نبهم منها ، خافوا أن يكون نزولها سخطة وفي أكلها مثلة ، فتحاموها ، فلما رأى ذلك عيسى دعا لها الفقراء والزماني ،

وقال : كلوا من رزق ربكم ، ودعوة نبيكم ، واحمدوا الله الذي أنزلها لكم ، فيكون مهنئها لكم ، وعقوبتها على غيركم ، وافتتحوا أكلكم باسم الله ، واختموا بحمد الله . فآكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة ، يصدرون عنها كل واحد منهم شعبان يتجشأ ، ونظر عيسى والحواريون فإذا ما عليها كهيئته إذ أنزلت من السماء ، لم ينتقص منها شيء ، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون ، فاستغنى كل فقير أكل منها ، وبرى كل زمن أكل منها ، فلم يزلوا أغنياء صحاحاً حتى خرجوا من الدنيا .

وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة ، سالت منها أشفارهم ، وبقيت حسرتها في قلوبهم إلى يوم الممات ، قال : فكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبلت بنو إسرائيل إليها من كل مكان يسعون يزاحم بعضهم بعضاً : الأغنياء والفقراء ، والصغار والكبار ، والأصحاء والمرضى ، يركب بعضهم بعضاً ، فلما رأى ذلك جعلها نواب ، تنزل يوماً ولا تنزل يوماً ، فلبثوا في ذلك أربعين يوماً ، تنزل عليهم غباً عند ارتفاع الضحى ، فلا تزال موضوعة يؤكل منها ، حتى إذا قاموا ارتفعت عنهم بإذن الله إلى جو السماء ، وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى توارى عنهم .

قال : فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه السلام أن اجعل رزقي المائدة ، لليتامى والفقراء والزمنى دون الأغنياء من الناس ، فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء من الناس ، وغمطوا ذلك ، حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس ، وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر وأدرك الشيطان منهم حاجته ، وقذف وسواسه في قلوب المرتابين ، حتى قالوا لعيسى : أخبرنا عن المائدة ، ونزولها من السماء أحق ، فإنه قد ارتاب بها بشر منا كثير ؟ فقال عيسى عليه السلام ، هلكنم وإله المسيح : طلبتم المائدة إلى نبيكم أن يطلبها لكم إلى ربكم ، فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقاً ، وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها ، وشككنتم فيها ، فأبشروا بالعذاب ، فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله ، وأوحى الله إلى عيسى : إني آخذ المكذبين بشرطي ، فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين : قال : فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين ، فلما كان في آخر الليل مسخهم الله خنازير ، فأصبحوا يتبعون الأقدار في الكناسات .

هذا أثر غريب جداً^(٥٠) ، قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة ، وقد جمعته أنا له ليكون سياقه أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٥٠) قلت : وسنده ضعيف جداً عبد القدوس بن إبراهيم وشيخه مجهولان وخلاصة القول في شأن المائدة ومن أي شيء هي نقول : يكفيننا ظاهر القرآن ونحن متعبدون بالإيمان به وبما فيه لا بالبحث عن معرفة مثل هذا ومثل عصا موسى ومن أي الشجر هي وما اسم امرأة إبليس فهذا وأشباهه مما لم يبينه لنا المعصوم الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل ذلك يرجع إلى ظاهر القرآن ولو كان في تبيينه لنا مصلحة لأمر الله تبارك وتعالى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبيان ولكن التعويل على بيانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه معدن البيان لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ والله الموفق .

وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل ، أيام عيسى ابن مريم ، إجابة من الله لدعوته ، وكما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم : ﴿ قال الله إني منزلها عليكم ... ﴾ الآية .

وقد قال قائلون : إنها لم تنزل ، فروى ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد في قوله : ﴿ أنزل علينا مائدة من السماء ﴾ ، قال : هو مثل ضرب ، ولم ينزل شيء .
رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير^(٥١) .

ثم قال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا القاسم - وهو ابن سلام - حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام ، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم^(٥٢) .

وقال أيضاً : حدثنا ابن المشي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن : أنه قال في المائدة : لم تنزل^(٥٣) .

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : لما قيل لهم : ﴿ فمن يكفر بعد منكم فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ ، قالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل^(٥٤) .

وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن ، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصراني وليس هو في كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوافر الدواعي على نقله ، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ، ولا أقل من الآحاد ، والله أعلم ، ولكن [الذي عليه] الجمهور أنها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، قال : لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله تعالى : ﴿ إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ قال : ووعد الله ووعيده حق وصدق .

وهذا القول هو - والله أعلم - الصواب ، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم ، وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب ، وجد المائدة هناك مرصعة بالآلي وأنواع الجواهر ، فبعث بها إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، باني جامع

(٥١) (ج ٢٣٠/١١) وهو ضعيف لضعف ليث .

(٥٢) سئل ابن معين : أسمع ابن جريج من مجاهد ، فقال : في حرف أو حرفين في القراءة لم يسمع غير ذلك . جامع التحصيل .

(٥٣) سنده صحيح إلى الحسن .

(٥٤) والقول فيه كالقول في الذي قبله وثلاثة الآثار عند الطبري (ج ٢٣١/١١) .

دمشق ، فمات وهي في الطريق ، فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده ، فرآها الناس وتعجبوا منها كثيراً لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر اليتيمة . ويقال : إن هذه المائدة كانت لسيلمان بن داود عليهما السلام ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن الحكم ، عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك ، أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : « وتفعلون ؟ » قالوا : نعم . قال ، فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ؟ قال : « بل باب التوبة والرحمة » . ثم رواه أحمد^(٥٥) ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث سفيان الثوري ، به .

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تُعَلِّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ⑪٦
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑪٧ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ
فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑪٨

هذا أيضاً مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله : ﴿ يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ ﴾ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد ، هكذا

(٥٥) (ج ٢٤٢/١) من المسند والحاكم (ج ٣١٤/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وهو كما قال رحمه الله لكن لا يلزم البخاري ومسلم أن يخرجا جميع ما صح من الأحاديث ولم يلتزما وإنما فتحا الباب لغيرهما ، فالله المستعان .

قاله قتادة وغيره ، واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ .

وقال السدي : هذا الخطاب والجواب في الدنيا .

قال ابن جرير : وهذا هو الصواب ، وكان حين رفعه الله إلى سماء الدنيا ، واحتج ابن جرير

على ذلك بمعنيين :

أحدهما : أن لفظ الكلام لفظ الماضي .

والثاني : قوله : ﴿ إن تعذبهم ﴾ و ﴿ إن تغفر لهم ﴾ .

وهذان الدليلان فيهما نظر ، لأن كثيراً من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ الماضي ، ليدل على الوقوع

والثبوت . ومعنى قوله : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ... ﴾ الآية : التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله ، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه ، كما في نظائر ذلك من الآيات .

والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر ، والله أعلم : أن ذلك كائن يوم القيامة ، ليدل على

تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة . وقد روى بذلك حديث

مرفوع ، رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان ثقة ،

قال : سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله

ﷺ : « إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأمهم ، ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه ، فيقر

بها ، فيقول : ﴿ يا عيسى ابن مريم ، اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ... ﴾ الآية ثم يقول :

﴿ أنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ ؟ فينكر أن يكون قال ذلك ، فيؤتى

بالنصارى فيسألون ، فيقولون : نعم ، هو أمرنا بذلك . قال : فيطول شعر عيسى عليه السلام ، فيأخذ

كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده ، فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف

عام ، حتى ترفع عليهم الحجة ، ويرفع لهم الصليب ، وينطلق بهم إلى النار .

وهذا حديث غريب عزيز^(٥٦) .

وقوله : ﴿ سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ هذا توفيق للتأدب في الجواب

الكامل ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاوس ، عن أبي هريرة

قال : يلقي عيسى حجته ، ولقاه الله في قوله : ﴿ وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت

للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ ؟ قال أبو هريرة ، عن النبي ﷺ : فلقيه الله :

﴿ سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ... ﴾^(٥٧) الآية إلى آخر الآية .

(٥٦) لم أجده في شيء من كتب السنة . ولم يذكر السند بتمامه حتى نحكم عليه .

(٥٧) سنده صحيح ، والحديث رواه الترمذي (ج ٥ / ٢٦٠) وقال : حسن صحيح . ورواه النسائي في التفسير

برقم (١٨٢) كلاهما من طريق سفيان بن عيينة به .

وقد رواه الثوري ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن طاوس^(٥٨) ، بنحوه .

وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ ، أي : إِنْ كَانَ صَدْرُ مَنِي هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَهُ يَا رَبِّ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِمَّا قُلْتَهُ وَلَا أَرَدْتَهُ فِي نَفْسِي [وَلَا أَضْمَرْتَهُ .] وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ بِإِبْلَاغِهِ : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ ، [أَي : مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَّا إِلَى الَّذِي أُرْسَلْتَنِي بِهِ وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاغِهِ : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أَي : هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتَ لَهُمْ ، ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ ، [أَي : كُنْتُ أَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ] ، ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة قال : انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملأه على سفيان وأنا معه ، فلما قام انتسخت من سفيان ، فحدثنا قال : سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِفَاةً [عَرَاةٌ] غَرَلًا ﴾ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ ﴾ ، وَأَنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يَكْسَى إِبْرَاهِيمَ ، أَلَا وَإِنَّهُ يَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخِذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ : أَصْحَابِي . فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، فَيَقَالُ : إِنْ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ^(٥٩) . ورواه البخاري^(٦٠) عند هذه الآية عن الوليد عن أبي شعبة - وعن محمد بن كثير ، عن سفيان الثوري ، كلاهما عن المغيرة بن النعمان ، به .

وقوله : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، هذا

(٥٨) رواه الطبري (ج ١١ / ٢٤٠) من طريق سفيان بن وكيع .

(٥٩) الحديث صحيح وهو عند الطيالسي برقم (٢٦٣٨) .

(٦٠) (ج ٨ / ٢٨٦) من صحيحه وهو عند مسلم أيضاً (ج ٤ / ٢١٩٤ - ٢١٩٥) وليس فيه دليل لبعض المبتدعة الضالين القائلين بأن الصحابة رضي الله عنهم ارتدوا وإنما هو خبر عن قوم ارتدوا وماتوا على ذلك وخبر عن قوم غيروا وبدلوا فهو شامل لمن ارتد من الصحابة ومات على الردة وهم قلة قليلة لا تكاد تذكر والذي يظهر أنهم من المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويطنون الكفر خوفاً على أنفسهم وأموالهم . وأيضاً هو شامل لكل من غير في الدين وبدل ،

والصحابة رضي الله عنهم ما غيروا وما بدلوا كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلاً ﴾ . قال النووي رحمه الله تعالى عن ابن عبد البر رحمه الله تعالى أنه قال : كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الخوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخير ، والله أعلم .

الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عز وجل ، فإنه الفعال لما يشاء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله ، وعلى رسوله ، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب . وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قام بها ليلة إلى الصباح يرددنها .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثني فليت العامري ، عن جسة العامرية ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ [ليلة] فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها : ﴿ **إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ ، فلما أصبح قلت : يا رسول الله ، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال : « **إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي ، فأعطانيها ، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً** » ^(٦١) .

طريق أخرى وسياق آخر : قال أحمد : حدثني يحيى ، حدثنا قدامة بن عبد الله ، حدثني جسة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة ، فانتهدت إلى الربرة ، فسمعت أبا ذر يقول : قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء ، فصلى بالقوم ، ثم تخلف أصحاب له يصلون ، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله . فلما رأى القوم قد أدخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى ، فجئت فقممت خلفه ، فأومأ إلي يمينه ، فقممت عن يمينه ، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه ، فأومأ إليه بشماله ، فقام عن شماله ، فقممتا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه ، ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو وقام بآية من القرآن يرددنها حتى صلى الغداة . فلما أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود : أن سله ما أراد ما صنع البارحة ؟ فقال ابن مسعود [بيده] : لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي ، فقلت : بأبي [أنت] وأمي ، قمت بآية من القرآن ومعك القرآن ، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه . قال : « **دعوت لأمتي** » . قلت : فماذا أجبت ؟- أو ماذا رد عليك ؟- قال : « **أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة** » . قلت : أفلا أبشر الناس ؟ قال : « **بلى** » . فانطلقت معنقاً قريباً من قذفة بحجر . فقال عمر : يا رسول الله ، إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة ... فناده أن ارجع . فرجع ، وتلك الآية : ﴿ **إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ ^(٦٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سودة حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول عيسى : ﴿ **إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ .

(٦١) الحديث ضعيف وهو في المسند (ج ٥/١٤٩) وعند النسائي في التفسير برقم (١٨١) من طريق جسة بنت دجاجة العامرية مقبولة .

(٦٢) رواه أيضاً في المسند (ج ٥/١٧٠) من طريقها .

فرفع يديه فقال : اللهم أمتي ، وبكى ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسأله : ما ييكه ؟ فأتاه جبريل ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك^(٦٣).

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا ابن هبيرة : أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول : حدثني سعيد بن المسيب ، سمعت حذيفة بن اليمان يقول : « غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج ، حتى ظننا أن لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال : « إن ربي عز وجل استشارني في أمتي : ماذا أفعل بهم ؟ فقلت : ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك . فاستشارني الثانية ، فقلت له كذلك ، فقال : لا أخزيك في أمتك يا محمد ، وبشرني [أن] أول من يدخل [الجنة] من أمتي معي سبعون ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي فقال : ادع تجب ، وسل تعط فقلت لرسوله : أو معطي ربي سؤلي ؟ قال : ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي ولا فخر ، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وأنا أمشي [حياً] صحيحاً ، وأعطاني ألا تجوع أمتي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر ، وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً ، وأعطاني [أي] أول الأنبياء يدخل الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج^(٦٤) ».

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى ابن مريم ، فيما أنباه إليه من التبري من النصارى الملحدين ، الكاذبين على الله وعلى رسوله ، ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل ، فعند ذلك يقول تعالى : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ .

قال الضحاك ، عن ابن عباس يقول : [يوم] ينفع الموحدين توحيدهم .

(٦٣) رواه مسلم (ج ١ / ١٩١) .

(٦٤) رواه أحمد (ج ٥ / ٣٩٣) من المسند وهو ضعيف لأنه من طريق ابن لهيعة .

﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ ، أي : ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، كما قال تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ .

وسياقي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث .

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً فقال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا الحاربي ، عن ليث ، عن عثمان - يعني ابن عمير أبو اليقظان - عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ثم يتجلى لهم الرب تعالى . فيقول : سلوني سلوني أعطكم . قال : فيسألونه الرضا فيقول : رضيي أحلكم داري ، وأنا لكم كرامتي ، فسلوني أعطكم . فيسألونه الرضا ، قال : فيشهدهم أنه قد رضي عنهم »^(٦٥) .

وقوله : ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ ، أي : هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه ، كما قال تعالى : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ ، وكما قال : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

وقوله : ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾ ، أي : هو الخالق للأشياء ، المالك لها ، المتصرف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ، ولا عدل ، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ، فلا إله غيره ولا رب سواه . قال ابن وهب : سمعت حبي بن عبد الله يحدث ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة أنزلت سورة المائدة^(٦٦) .

(٦٥) ضعيف لثلاث علل : ضعف ليث بن أبي سليم والثانية ضعف عثمان بن عمير أبي اليقظان ، والثالثة الإرسال

ففي التهذيب عن البخاري أنه قال : منكر الحديث ولم يسمع من أنس .

(٦٦) حبي بن عبد الله هو المعافري ضعيف ، وقد تقدم في أول السورة .



تفسير سورة الأنعام

قال العوفي وعكرمة وعطاء ، عن ابن عباس : أنزلت سورة الأنعام بمكة .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا حماد بن منهل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح^(١) .

وقال سفيان الثوري ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ [جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ] ، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة .

وقال شريك ، عن ليث ، عن شهر ، عن أسماء قالت : نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ [وهو في مسير في زجل^(٢) من الملائكة وقد نظموا ما بين السماء والأرض] .

وقال السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال : نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة .

وروي نحوه من وجه آخر ، عن ابن مسعود .

وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا : حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى ، أخبرنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ، ثم قال : « لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق » .

ثم قال : صحيح على شرط مسلم^(٣) .

(١) ضعيف بهذا السند لضعف علي بن زيد .

(٢) الرّجل : هو صوت رفيع عال كما في النهاية لابن الأثير والحديثان من طريق شهر بن حوشب وهو ضعيف وأيضاً ليث بن أبي سليم وهو مختلط .

(٣) المستدرک (ج ٢ / ٣١٤) وعقبه الذهبي رحمه الله بقوله : لا والله لم يدرك جعفر السدي وأظن هذا موضوعاً .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا إبراهيم بن درستويه الفارسي ،
حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني عمر بن طلحة الرقاشي ،
عن نافع بن مالك أبي سهيل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « نزلت سورة الأنعام
معها موكب من الملائكة ، سد ما بين الخافقين ، لهم زجل بالتسبيح ، والأرض بهم ترتج ، ورسول الله
يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان الله العظيم » (٤).

ثم روي عن ابن مردويه عن الطبراني ، عن إبراهيم بن نائلة ، عن إسماعيل بن عمرو ، عن
يوسف بن عطية ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « نزلت
علي سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد » (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ② وَهُوَ اللَّهُ
فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③

يقول تعالى مادحاً نفسه الكريمة ، وحامداً لها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده ،
وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم ، فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور ،
لكونه أشرف ، كما قال ﴿ عن اليمين والشمال ﴾ ، وكما قال في آخر هذه السورة : ﴿ وأن هذا صراطي
مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

وقوله : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ ، أي : ومع هذا كله كفر به بعض عباده ،
وجعلوا معه شريكاً وعدلاً ، واتخذوا له صاحبة وولداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ ، يعني : أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه
خرجوا ، فانتشروا في المشارق والمغارب .

(٤) محمد بن معمر وشيخه لم أقف لهما على ترجمة .

(٥) ضعيف جداً لأنه من طريق يوسف بن عطية الصفار وهو متروك . ورواه الطبراني في المعجم الصغير (ج

وقوله : ﴿ ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ﴾ ، قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : ﴿ ثم قضى أجلاً ﴾ ، يعني : الموت . ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ يعني الآخرة .

وهكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وعطية ، والسدي ، ومقاتل بن حیان ، وغيرهم .

وقول الحسن - في رواية عنه : ﴿ ثم قضى أجلاً ﴾ قال : ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ . ما بين أن يموت إلى أن يبعث - وهو يرجع إلى ما تقدم ، وهو تقدير الأجل الخاص ، وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها ، والمصير إلى الدار الآخرة .

وعن ابن عباس ومجاهد .

﴿ ثم قضى أجلاً ﴾ ، يعني : مدة الدنيا ، ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ ، يعني : عمر الإنسان إلى حين موته ، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ... ﴾ الآية .

وقال عطية ، عن ابن عباس : ﴿ ثم قضى أجلاً ﴾ ، يعني : النوم ، يقبض فيه الروح ثم يرجعه إلى صاحبه عند اليقظة ، ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ ، يعني : أجل موت الإنسان ؛ وهذا قول غريب .

ومعنى قوله : ﴿ عنده ﴾ أي : لا يعلمه إلا هو كقوله تعالى : ﴿ إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ ، وكقوله : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فیم أنت من ذكرها إلى ربك مثاها ﴾ .

وقوله : ﴿ ثم أنتم تموتون ﴾ ، قال السدي وغيره : يعني تشكون في أمر الساعة .

وقوله : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ . اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - في كل مكان ، حيث حملوا الآية على ذلك فأصح الأقوال أنه : المدعو الله في السموات وفي الأرض ، أي : يعبد ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه رغباً ورهباً ، إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ ، أي : هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ خبراً أو حالاً .

والقول الثاني : أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض ، من سر وجهركم فيكون قوله يعلم متعلقاً بقوله : ﴿ في السموات وفي الأرض ﴾ ، تقديره : وهو الله يعلم سركم

وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون .

والقول الثالث : أن قوله : ﴿ وهو الله في السموات ﴾ وقف تام ، ثم استأنف الخبر فقال :

﴿ وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ ، أي : جميع أعمالكم خيرا وشرها .

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ④
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
⑤ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
آخَرِينَ ⑥

يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين إنهم مهما أتتهم ﴿ من آية ﴾ ، أي : دلالة ومعجزة وحجة ، من الدلالات على وحدانية الرب عز وجل ، وصدق رسله الكرام ، فإنهم يعرضون عنها فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها - قال الله تعالى : ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم أنباء ما كانوا بهم يستهزئون ﴾ . وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق ، بأنه لا بد أن يأتهم خبر ما هم فيه من التكذيب ، وليجدن غبه ، وليذوقن وبالاه .

ثم قال تعالى واعظاً ومحذراً لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد [منهم] قوة ، وأكثر جمعاً ، وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلاً للأرض وعمارة لها ، فقال : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ ، أي : من الأموال والأولاد والأعمار ، والجاه العريض ، والسعة والجنود ﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ﴾ ، أي : شيئاً بعد شيء ، ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ أي : أكثرنا عليهم أقطار السماء وينابيع الأرض ، أي : استدراجاً وإملاء لهم ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ ، أي : بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾ ، أي : فذهب الأولون كأمس الذاهب وجعلناهم أحاديث ، ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾ ، أي : جيلاً آخر لنختبرهم ، فعللوا مثل أعمالهم ، فهلكوا كهلاكهم . فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم ما أصابهم ، فما أنتم بأعز على الله منهم ، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم ، فأنتم أولى بالعذاب

ومعالجة العقوبة منهم ، لولا لطفه وإحسانه .

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا أَلَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ
وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا
لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ رُسُلُ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبراً عن كفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم [ومنازعتهم] فيه : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم ﴾ ، أي : عاينوه ، ورأوا نزوله ، وباشروا ذلك ، لقال ﴿ الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للمحسوسات : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا : إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مكروم ﴾ .

﴿ وقالوا : لولا أنزل الله عليه ملك ﴾ ، قال الله : ﴿ ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴾ ، أي : لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق ، وما كانوا إذا منظرين ﴾ ، قال تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ ، أي : ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكاً ، أي : لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً ، لكان على هيئة رجل لتفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كما قال تعالى : ﴿ قل : لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم ، ليدعو بعضهم بعضاً ، ويمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال ، كما قال تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ... ﴾ الآية .

قال الضحاك ، عن ابن عباس في الآية : « يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة^(٦) من النور » وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، أي : ولخلطنا عليهم ما يخلطون » .

وقال الوالبي ، عنه : ولشبهنا عليهم^(٧) .

وقوله : ﴿ ولقد استهزئ برسلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، هذا تسلية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة .

ثم قال : ﴿ قل : سيروا في الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، أي : فكروا في أنفسكم ، وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه ، من العذاب والنكال ، والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة ، وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين .

قُلْ لِمَنْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ
مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ
وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

(٦) الضحاك هو ابن مزاحم لم يسمع من ابن عباس ، ذكر الحافظ في التهذيب عن أبي أسامة عن المعل عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قلت للضحاك : سمعت من ابن عباس ؟ قال : لا ، قلت : فهذا الذي تحدته عن أخذته ؟ قال : عن ذا وعن ذا .

(٧) قوله وقال الوالبي : الأثر عند الطبري ج (٢٧٠/١١) عن علي بن أبي طلحة وعن السدي أيضاً . يبقى أن سعيد بن جبير والبي ومن مشاهير أصحاب ابن عباس وأما علي بن أبي طلحة فلم أقف على من نسب هذه النسبة فيما اطلعت عليه من مراجع .

يخبر تعالى أنه ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة ، كما ثبت في الصحيحين ، من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش ، إن رحمتي تغلب غضبي »^(٨).

وقوله : ﴿ ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ ، هذه اللام هي الموطئة للقسم ، فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده لميقات يوم معلوم ، الذي لا ريب فيه ولا شك عند عباده المؤمنين ، فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون .

وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة ، حدثنا عباس بن محمد ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا محسن بن عقبة الجاني ، عن الزبير بن شبيب ، عن عثمان بن حاضر ، عن ابن عباس قال : « سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين ، هل فيه ماء ؟ قال : والذي نفسي بيده إن فيه ماء ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار ، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء »^(٩).

هذا حديث غريب . وفي الترمذي : « إن لكل نبي حوضاً [وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة] وأرجو أن أكون أكثرهم واردة »^(١٠).

ولهذا قال : ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ ، أي : لا يصدقون بالمعاد ، ولا يخافون شر ذلك اليوم .

ثم قال تعالى : ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار ﴾ ، أي : كل دابة في السموات والأرض ، الجميع عباده وخلقه ، وتحت قهره وتدبيره ، ولا إله إلا هو .

﴿ وهو السميع العليم ﴾ ، أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم .

ثم قال لعبده ورسوله محمد ﷺ ، الذي بعثه بالتوحيد العظيم والشرع القويم ، وأمره أن يدعو الناس إلى صراطه المستقيم : ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ﴾ كما قال : ﴿ قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ ، والمعنى : لا أتخذ ولياً إلا الله وحده لا شريك له ، فإنه فاطر السموات والأرض ، أي : خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق .

(٨) البخاري ج (٣٨٤/١٣) بزيادة - وهو يكتب على نفسه - وفي مسلم (ج ٤/٢١٠٧) بغيرها .

(٩) عبيد الله بن أحمد بن عقبة لم أجد له ترجمة .

(١٠) ضعيف من هذا الوجه من أجل سعيد بن بشر الشامي .

﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ ، أي : وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم ، كما قال تعالى :
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ... ﴾ الآية .

وقرأ بعضهم هاهنا ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾^(١١) ، أي : لا يأكل .

وفي حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ ، قال : فانطلقنا معه ، فلما طعم النبي ﷺ وغسل يديه قال : « الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ، ومن علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا ، الحمد لله غير مودع ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه ، الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام ، وسقانا من الشراب ، وكسانا من العري ، وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً . الحمد لله رب العالمين »^(١٢) .

﴿ قل : إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ ، أي : من هذه الأمة ﴿ ولا تكونن من المشركين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ من يصرف عنه ﴾ يعني : العذاب ﴿ يومئذ فقد رحمه ﴾ ، يعني : فقد رحمه الله ﴿ وذلك هو الفوز المبين ﴾ ، كما قال : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ والفوز : هو حصول الربح ونفي الخسارة .

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧ وَهُوَ الْقَاهِرُ
فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ١٨ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً
قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ

(١١) قال المحقق لنسخة طبعة الشعب : هذه قراءة مجاهد وابن جبير والأعمش وأبي حنيفة وعمرو بن عبادة وأبي عمرو في رواية عنه . ينظر البحر المحيط لأبي حيان (٨٥/٤ ، ٨٦) .

(١٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٣٠١) وابن السني كذلك برقم (٤٨٧) والحاكم في المستدرک

(ج ١ / ٥٤٦) وابن حبان كما في الإحسان (ج ٧ / ٣٢٦) كلهم من طريق بشر بن منصور - وهو بصري -

قال ابن مهدي : ما رأيت أحداً أخوف لله منه وكان يصلي في كل يوم خمسمائة ركعة وكان ورده ثلث

القرآن وقال أبو زرعة : ثقة مأمون عن زهير بن محمد قال البخاري : ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير

وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح . وفي رواية عن أحمد نحو ذلك .

قلت : وهذا الذي بين أيدينا من رواية أهل البصرة عنه عن سهيل به فيكون حسناً من أجل سهيل والله

أعلم .

وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَانِثُ هُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

﴿٢١﴾

يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ... ﴾ الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »^(١٣) ولهذا قال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ، أي : هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره .

﴿ وهو الحكيم ﴾ ، أي : في جميع ما يفعله ، : ﴿ الخبير ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها ، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق .

ثم قال : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ﴾ ، أي : من أعظم الأشياء ﴿ قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ ، أي : وهو العالم بما جئكم به ، وما أنتم قائلون لي . ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ، أي : وهو نذير لكل من بلغه ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد ، عن موسى ابن عبيدة ، عن محمد ابن كعب في قوله :

﴿ ومن بلغ ﴾ : من بلغه من القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ - زاد أبو خالد - : وكلمه^(١٤) .

ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه

(١٣) أي في البخاري (ج ١١ / ١٣٣) ومسلم (ج ١ / ٣٤٣) من حديث المغيرة بن شعبة وفي التعليق على صحيح مسلم قال : ولا ينفع ذا الجد منك الجد . أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه وإنما ينفعه العمل بطاعتك ومنك معناه عندك قاله الجوهري .

(١٤) موسى بن عبيدة بالضم قال أحمد : لا يكتب حديثه وقال النسائي : ضعيف .

محمد ﷺ^(١٥).

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿لَا تُذَكِّرْكُمْ أَوْ مِنْ بَلِّغْ﴾ : إن رسول الله ﷺ قال : « بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله »^(١٦).

وقال الربيع بن أنس : حق على من اتبع رسول الله ﷺ ، أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ ، أو ينذر كالذي أنذر .

وقوله : ﴿أَنْتُمْ لِتَشْهَدُونَ﴾ أيها المشركون ﴿أَنْ مَعَ اللَّهِ آلَهُ أُخْرَى؟ قُلْ : لَا أَشْهَدُ﴾ كما قال تعالى : ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ ، ﴿قُلْ : إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ .

ثم قال مخبراً عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم ، بما عندهم من الأخبار والأبناء [عن المرسلين المتقدمين والأنبياء] ، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺ وبيعته وصفته ، وبلده ومهاجره ، وصفة أمته ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ، أي : خسروا كل الخسارة ، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء ، ونوهت به في قديم الزمان وحديثه .

ثم قال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ ، أي : لا أظلم ممن تقول على الله ، فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ، ثم لا أظلم ممن كذب [بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته] ، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ ، أي : لا يفلح لا هذا ولا هذا ، لا المفترى ولا المكذب .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنُ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا

(١٥) ضعيف أيضاً أبو معشر السندي هو نجيح بن عبد الرحمن ضعيف من السادسة كما في التقريب وفي طبقته رجلان كلاهما يكنى أبا معشر زياد بن كليب ثقة ويوسف بن يزيد البراء صدوق ربما أخطأ .

(١٦) ضعيف لأنه مرسل وأيضاً في رواية معمر عن قتادة ضعف .

جَاءُواكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
 ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلاً : ﴿ أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ كما قال تعالى في سورة القصص : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ .

وقوله : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ ، أي : حجبتهم .

وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : أي معذرتهم ، وكذا قال قتادة .

وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : أي قيلهم . وكذا قال الضحاك .

وقال عطاء الخراساني : ثم لم تكن بليتهم حين ابتلوا : ﴿ إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ .

وقال ابن جرير : والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله ﴿ إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين ﴾^(١٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن مطرف ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : يا أبا عباس . سمعت الله يقول : ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ قال : أما قوله : ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة ، فقالوا : تعالوا فلنجد ، فيجحدون ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتُمون الله حديثاً^(١٨) ، فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا قد نزل فيه شيء ، ولكن لا تعلمون وجهه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : هذه في المنافقين .

وفي هذا نظر ، فإن هذه الآية مكية ، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة ، والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة : ﴿ يوم يعثمهم الله جميعاً فيحلفون له ... ﴾ الآية ، وهكذا قال في حق هؤلاء : ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ كما قال : ﴿ ثم قيل لهم : أين ما كنتم

(١٧) (ج ١١/٣٠٠) .

(١٨) الأثر ضعيف ورواه ابن جرير من طريق ابن حميد وهو ضعيف وأبو يحيى الرازي لا يدري من هو .

تشركون من دون الله ، قالوا : ضلوا عنا ... ﴿ الآية .

وقوله : ﴿ ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ ، أي : يحيثوك ليسمعوا قراءتك ، ولا تجزي عنهم شيئاً ، لأن الله جعل ﴿ على قلوبهم أكنة ﴾ ، أي : أغطية لئلا يفهموا القرآن ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ ، أي : صمماً عن السماع النافع ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ... ﴾ الآية .

وقوله ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ ، أي : مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات ، لا يؤمنوا بها ، فلا فهم عندهم ولا إنصاف ، كما قال تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ... ﴾ الآية .

وقوله ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك ﴾ ، أي : يحاجونك وينظرونك في الحق بالباطل ﴿ يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ ، أي : ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم .

وقوله : ﴿ وهم يبهون عنه وينأون عنه ﴾ ، وفي معنى ﴿ يبهون عنه ﴾ قولان : أحدهما أن المراد أنهم يبهون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول والانقياد للقرآن ، ولا يتركون أحداً ينتفع .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وهم يبهون عنه ﴾ قال : يبهون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به^(١٩) .

وقال محمد بن الحنفية : كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ ، ويبهون^(٢٠) عنه .

وكذا قال مجاهد وقتادة ، والضحاك ، وغير واحد ، وهذا القول أظهر ، والله أعلم ، وهو اختيار ابن جرير .

والقول الثاني رواه سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سمع ابن عباس يقول في قوله : ﴿ وهم يبهون عنه ﴾ ، قال : نزلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي ﷺ أن يؤذي^(٢١) .

وكذا قال القاسم بن مخيمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار : أنها نزلت في

(١٩) رواه ابن جرير (ج ١١/٣١١) من طريق كاتب الليث عبد الله بن صالح وهو ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٢٠) وهذا عند ابن جرير أيضاً وهو ضعيف لضعف سفيان بن وكيع والإرسال أيضاً .

(٢١) رواه الحاكم في مستدركه (ج ٣/٣١٥) والطبري (ج ١١/٣١٣) وفيه مبهمة لا يدري من هو .

أبي طالب^(٢٢).

وقال سعيد بن أبي هلال : نزلت في عمومة النبي ﷺ ، وكانوا عشرة ، فكأنوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر .

رواه ابن أبي حاتم^(٢٣).

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ وهم يهون عنه ﴾ ، أي : يهون الناس عن قتله .
قوله : ﴿ وينأون عنه ﴾ ، أي : يتباعدون منه . ﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ، أي : وما يهلكون بهذا الصنيع ، ولا يعود وباله إلا عليهم ، وما يشعرون .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا
نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا
يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا
عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار ، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال ، فعند ذلك قالوا : ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ ، يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا ، ليعملوا عملاً صالحاً ، ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ [أي : بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون] في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة ، وإن أنكروها

(٢٢) ذكر ابن جرير هذه الآثار (ج ١١/٣١٥) ثم قال بعدها : وأولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال تأويله

وهم يهون عنه : عن اتباع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سواهم من الناس وينأون عنه عن اتباعه .

(٢٣) هذا الأثر لم أجده يعزى إلا إلى تفسير ابن أبي حاتم وليس في متناولي ثم إن سعيداً هذا تابعي أعني فيكون

قوله مرسلأ : وليس كما قال فإن الظاهر أن أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في السر والعلانية

إلا الدخول في الإسلام فإن الكبير منعه من ذلك كما قال : لولا أن تعيرني قريش يقولون : إنما حملة على ذلك

الجزع لأقررت بها عينيك . وأما أبو هب فكان على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في السر والعلانية .

في الدنيا أو في الآخرة ، كما قال قبل هذا يسير : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ .

ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا ، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافة كما قال تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ... ﴾ الآية . قال تعالى مخبراً عن فرعون وقومه : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ .

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون للناس الإيمان ويطنون الكفر ، ويكون هذا إخبار عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ، ولا ينافي هذا كون هذه مكية ، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب . فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة [مكية] وهي العنكبوت ، فقال : ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ ؛ وعلى هذا فيكون هذا إخباراً عن حال المنافقين في الدار الآخرة ، حين يعاينون العذاب يظهر لهم حيث غب ما كانوا يطنون من الكفر والشقاق والنفاق ، والله أعلم .

وأما معنى الإضراب في قوله : ﴿ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ فهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة في الإيمان ، بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر ، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ، ولهذا قال : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ ، أي : في تمنيم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان .

ثم قال مخبراً عنهم : إنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا ، لعادوا لما نهوا عنه ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ ، أي : في قولهم : ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ . ﴿ وقالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ .

أي : لعادوا لما نهوا عنه ، إنهم لكاذبون ولقالوا : ﴿ إن هي إلا حياتنا ﴾ ، أي : ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ، ثم لا معاد بعدها ، ولهذا قال : ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ .

ثم قال : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ ، أي : أوقفوا بين يديه قال : ﴿ أليس هذا بالحق ؟ ﴾ ، أي : أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون ؟ ﴿ قالوا : بلى وربنا . قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ، أي : بما كنتم تكذبون به ، فذوقوا اليوم مسه ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ .

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ

عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءٌ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ
وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بقاء الله ، وعن خيبته إذا جاءت الساعة بغتة ، وعن ندامته على ما فرط من العمل ، وما أسلف من قبيح الفعال ، ولهذا قال : ﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا : يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ .

وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الأعمال ، وعلى الدار الآخرة ، أي : في أمرها .
وقوله : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ، ألساء ما يزررون ﴾ ، أي : يحملون .
وقال قتادة : يعملون .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي مرزوق قال : ويستقبل الكافر - أو : الفاجر - عند خروجه من قبره كأقبح صورة رآها وأنتن ريحاً ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أو ما تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قبح وجهك وتنت ريحك . فيقول : أنا عملك الخبيث ، هكذا [كنت] في الدنيا خبيث العمل منتنه ، طالما ركبتني في الدنيا ، هلم أركبك ، فهو قوله : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ ^(٢٤) ... الآية .

وقال أسباط عن السدي أنه قال : ليس من رجل ظالم [يموت] فيدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه ، أسود اللون ، متن الرائحة ، عليه ثياب دنسة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال : ما أقبح وجهك ! قال : كذلك كان لك قبيحاً ! قال : ما أنتن ريحك ! قال : كذلك كان عملك منتناً ! قال : ما أدنس ثيابك ، قال : فيقول : إن عملك كان دنساً . قال له : من أنت ؟ قال : أنا عملك ! قال : فيكون معه في قبره : فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات ، وأنت اليوم تحملني . قال : فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألساء ما يزررون ﴾ ^(٢٥) .

قوله : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو ﴾ ، أي : إنما غالبها كذلك ﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ

(٢٤) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور (ج ٩/٣) وعزاه لابن أبي حاتم وكيفما كان فهو من قول أبي مرزوق فيكون مقطوعاً وأيضاً قال ابن حجر : لا يعرف اسمه . لين .

(٢٥) رواه ابن جرير (ج ٣٢٨/١١) .

الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ لِلَّهِ يَمْجِدُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا وَاحْتَى
أَسْهُمُ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَهُ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي
الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْنِيهِمْ بَيِّنَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ﴾ ، أي : قد أخطأنا علماً بتكذيب قومك لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ .

وقوله : ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون ﴾ ، أي : لا يهتمونك بالكذب في نفس الأمر ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون ﴾ ، أي : ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم ، كما قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي [قال] : قال أبو جهل للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله : ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون ﴾ .

ورواه الحاكم ، من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ^(٢٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة ، حدثنا بشر بن المبرور الواسطي ، عن سلام بن مسكين ، عن أبي يزيد المدني : أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه ، فقال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصباي ؟ فقال : والله إني أعلم إنه لنبي ، ولكن متى كنا لبني عبد مناف

(٢٦) (ج ٢ / ٣١٥) وقال الذهبي بعد قول الحاكم صحيح إلخ .

قلت : ما أخرجا لناجية شيئاً . انتهى .

ورواه الترمذي (ج ٥ / ٢٦١) موصولاً ومرسلاً ثم قال : وهذا أصح يعني المرسل وأخرجه الطبري (ج

١١ / ٣٣٤) من طريقين إلى ناجية .

تبعاً؟! وتلا أبو يزيد: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾^(٢٧).

وقال أبو صالح وقادة ، يعلمون أنك رسول الله ويجحدون .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي ﷺ من الليل ، هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، والأخنس بن شريق ، ولا يشعر واحد منهم بالآخر ، فاستمعوها إلى الصباح ، فلما هجم الصبح تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال كل منهم للآخر : ما جاء بك ؟ فذكر له ما جاء له ، ثم تعاهدوا أن لا يعودوا ، لما يخافون من علم شباب قريش بهم ، لئلا يفتتنوا بمجيئهم ، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظناً منه أن صاحبيه لا يجيئان ، لما تقدم من العهود ، فلما أجمعوا جمعهم الطريق ، فتلاوموا ، ثم تعاهدوا ألا يعودوا ، فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً ، فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت عن محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن أبداً ولا نصدقه ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه^(٢٨) .

وروى ابن جرير ، من طريق أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ : لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة إن محمداً ابن أختكم ، فأنتم أحق من كف عنه . فإنه أن كان نبياً لم تقاتلوه اليوم . وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته ! قفوا [هاهنا] حتى ألقى أبا الحكم ، فإن غلب محمد رجعتهم سالمين ، فإن غلب محمد وإن قومكم لم يصنعوا بكم شيئاً - فيومئذ سمي الأخنس ، وكان اسمه «أبي» فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد : أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك ! والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجاب والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : ﴿فإنهم

(٢٧) مرسل ورواه السيوطي في الدر (ج ٣/١٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ ولم أفهم عليهما .

(٢٨) وهذا مرسل أيضاً انظر سيرة ابن هشام (ج ١/٣١٥ - ٣١٦) .

لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴿٣٣﴾ فآيات الله : محمد ﷺ (٣٩) .

وقوله : ﴿٣٤﴾ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴿٣٥﴾ . هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر ، كما نصروا ، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة ، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البالغ ، ثم جاءهم النصر في الدنيا ، كما لهم النصر في الآخرة ، ولهذا قال : ﴿٣٦﴾ ولا مبدل لكلمات الله ﴿٣٧﴾ ، أي : التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين ، كما قال : ﴿٣٨﴾ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم لمنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴿٣٩﴾ ، وقال تعالى : ﴿٤٠﴾ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴿٤١﴾ .

وقوله ﴿٤٢﴾ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴿٤٣﴾ ، أي : من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم ، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة .

ثم قال تعالى ﴿٤٤﴾ وإن كان كبر عليك إعراضهم ﴿٤٥﴾ ، أي : إن كان شق عليك إعراضهم عنك ﴿٤٦﴾ فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء ﴿٤٧﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « النفق » : السرب ، فتذهب فيه ﴿٤٨﴾ فتأتيهم بآية ﴿٤٩﴾ أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما آتيتهم به ، فافعل .

وكذا قال قتادة ، والسدي ، وغيرهما .

وقوله : ﴿٥٠﴾ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴿٥١﴾ كما قال تعالى : ﴿٥٢﴾ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴿٥٣﴾ الآية قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿٥٤﴾ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴿٥٥﴾ ، قال : إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول (٣٠) .

وقوله : ﴿٥٦﴾ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴿٥٧﴾ ، أي : إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه ، كقوله : ﴿٥٨﴾ لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴿٥٩﴾ ، وقوله : ﴿٦٠﴾ والموتى يعنهم الله ﴿٦١﴾ ، يعني بذلك الكفار ، لأنهم موتى القلوب ، فشبههم الله بموت الأجساد ، فقال : ﴿٦٢﴾ والموتى يعنهم الله ثم إليه يرجعون ﴿٦٣﴾ ، وهذا من باب التهكم بهم ، والإزاء عليهم .

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ

(٢٩) (ج ١١/ ٣٣٣) من تفسيره .

(٣٠) تقدم الكلام على هذا السند .

مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ
مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين أنهم كانوا يقولون: ﴿لولا نزل عليه آية من ربه﴾ ، أي : خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ، موما يتعتنون كما قالوا ، ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ...﴾ الآيات .

﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ، أي : هو تعالى قادر على ذلك ، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك ، لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا ، لعاجلهم بالعقوبة ، كما فعل بالأمم السالفة ، كما قال تعالى : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ ، وقال تعالى : ﴿إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ .

وقوله : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ .

قال مجاهد : أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها .

وقال قتادة : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة .

وقال السدي : ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ ، أي : خلق أمثالكم^(٣١) .

وقوله : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي : الجميع علمهم عند الله ، ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره ، سواء كان برياً أو بحرياً ، كما قال : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ ، أي : مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها ، وحاصر لحركاتها وسكناتها ، وقال تعالى : ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ .

(٣١) ثلاثها عند الطبري (ج ١١ / ٣٤٥) وقول مجاهد : حسن إليه ، وكذا قول قتادة وأما قول السدي فضعيف إليه .

وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد ، حدثني محمد بن عيسى بن كيسان ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قل الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها ، فسأل عنه فلم يجبر بشيء ، فاعتم لذلك . فأرسل راكباً إلى كذا ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى العراق يسأل : هل رأي من الجراد شيء أم لا ؟ فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة جراد ، فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبر ثلاثاً ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خلق الله عز وجل ألف أمة ، منها ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر . وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد . فإذا هلكت تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه » (٣٢) .

وقوله : ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ، قال : حشرها الموت (٣٣) .

وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : موت البهائم حشرها ، وكذا رواه العوفي ، عنه (٣٤) .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والضحاك ، مثله .

والقول الثاني : إن حشرها هو بعثها يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن منذر الثوري ، عن أشياخ لهم عن أبي ذر : أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان ، فقال : « يا أبا ذر ، هل تدري فيما تنتطحان ؟ » قال : لا . قال : « لكن الله يدري ، وسيقضي بينهما » (٣٥) .

ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن ذكره عن أبي ذر قال : بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون فيما انتطحتا ؟ » قالوا : لا ندري . قال : « لكن الله يدري ، وسيقضي بينهما » (٣٦) رواه ابن جرير ، [ثم رواه] من طريق

(٣٢) الحديث ضعيف لأنه من طريق عبيد بن واقد وهو ضعيف وشيخه هو الهلالي قال البخاري : منكر الحديث وقال أبو زرعة : لا ينبغي أن يحدث عنه . انتهى من ميزان الاعتدال .

(٣٣) الأثر رجاله رجال الصحيح .

(٣٤) (ج ١١ / ٣٤٦) وأما رواية العوفي فمن طريق السلسلة العوفية ، وقد تقدم كلام شيخنا حفظه الله عليها وأن بعضهم أضعف من بعض عند تفسير قوله تعالى : ﴿ حم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ الآية .

(٣٥) يتوقف في هذا لأننا لا نعرف ما حال هؤلاء الأشياخ وهل سمعوا من أبي ذر أم لم يسمعوا منه فالحديث ضعيف لهذه العلة .

(٣٦) وعلة هذا علة ما قبله .

منذر الثوري ، عن أبي ذر ، فذكره وزاد : قال أبو ذر : ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً^(٣٧) .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه : حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قالا : حدثنا حجاج بن نصير ، حدثنا شعبة ، عن العوام بن مزاحم - من بني قيس ثعلبة - عن أبي عثمان النهدي ، عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة »^(٣٨) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿إلا أُمّ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ ، قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والدواب والطيور وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء . قال : ثم يقول : كوني تراباً . قال : فذلك يقول الكافر : ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾^(٣٩) .

وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور .

وقوله : ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾ ، أي : مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم - وهو الذي لا يسمع - أبكم - وهو الذي لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلام لا يبصر ، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق ، أو يخرج مما هو فيه ؟ . كما قال تعالى : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ . وكما قال : ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ . ولهذا قال تعالى : ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ ، أي : هو المتصرف في خلقه بما يشاء .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ
أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ

(٣٧) منقطع لما تقدم في الرواية الأولى رواه الطبري (ج ١١ / ٣٤٧) .

(٣٨) هو في المسند (ج ١ / ٧٢) وحجاج بن نصر ضعيف .

(٣٩) رواه الحاكم (ج ٢ / ٣١٦) على شرط مسلم وأخرجه الطبري (ج ١١ / ٣٤٧) وهو صحيح إلى أبي هريرة ويزيد بن الأصم وثقه النسائي وأبو زرعة والعجلي كما في التهذيب والراوي عنه جعفر بن برقان وثقه أحمد وابن معين وأبو نعيم وابن عيينة ومروان بن محمد كما في التهذيب . إلا أنه ضعيف في روايته عن الزهري وليس هذا منها .

مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٤٥﴾

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، وأنه لا معقب لحكمه ، ولا
يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه ، بل هو وحده لا شريك له ، الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء ،
ولهذا قال : ﴿ قل : أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ﴾ ، أي : أتاكم هذا أو هذا ﴿ غير
الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ أي : لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواء ،
ولهذا قال : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ ، أي : في اتخاذكم آلهة معه ﴿ بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون
إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ أي : في وقت الضرورة لا تدعون أحداً سواه وتذهب عنكم
أصنامكم وأنذادكم كما قال : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء ﴾ ، يعني : الفقر والضيقة
في العيش (والضراء) وهي الأمراض والأسقام والآلام ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ ، أي : يدعون الله
ويتضرعون إليه ويخشعون ، قال الله تعالى : ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ ، أي : فهلا إذا
ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكنوا إلينا ﴿ ولكن قست قلوبهم ﴾ ، أي : ما رقت ولا خشعت
﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ أي : من الشرك والمعاصي .

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ ، أي : أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم
﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ ، أي : فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون : وهذا
استدراج منه تعالى وإملاء لهم ، عياداً بالله من مكروهه ولهذا قال : ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا ﴾ ،
أي : من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ أخذناهم بغتة ﴾ ، أي : على غفلة ﴿ فإذا هم مبلسون ﴾ ،
أي : آيسون من كل خير .

قال الوالبي ، عن ابن عباس : المبلس : الآيس .

وقال الحسن البصري : من وسع الله عليه فلم يرى أنه يكر به ، فلا رأي له . ومن قتر عليه فلم يرى أنه ينظر له ، فلا رأي له ، ثم قرأ : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ، قال الحسن : مكر بالقوم ورب الكعبة ؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قرماً قط إلا عند سكرتهم وغرثهم ونعيمهم .. فلا تغتروا بالله ، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون .

رواه ابن أبي حاتم أيضاً .

وقال مالك ، عن الزهري : ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ قال : إرخاء الدنيا وسترها .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين - يعني ابن سعد أبا الحجاج المهري - عن حرملة بن عمران التميمي ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج » . ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ^(٤٠) .

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث حرملة وابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ^(٤١) ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عراك بن خالد بن يزيد ، حدثني أبي ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله كان يقول : « إن الله إذا أراد ب قوم [بقاء ، أو : نناء - رزقهم القصد والعفاف ، وإذا أراد الله ب قوم] اقتطاعاً فتح لهم - أو : فتح عليهم - باب خيانة » .

﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ، كما قال : ﴿ فقطع

(٤٠) (ج ٤ / ١٤٥) من المسند وهو ضعيف لضعف رشدين بن سعد ورواه الدولابي في الكنى من طريق حجاج بن سليمان الرعيني وهو منكر الحديث .

(٤١) أخرجه الطبراني (ج ١٣ / ٣٣١) وأما الطبري فأخرجه (ج ١١ / ٣٦١) وللحديث طرق لا تخلو واحدة منها من مقال والذي يظهر أنه مجموعها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره ، والله أعلم .

وقال أبو سليمان جاسم الفهيد الدوسري في كتابه القيم النهج السديد ص ١٩٤ حديث ٣٩٤ : حسن وهو مروي من حديث عقبة بن عامر وله عنه خمس طرق إلى قوله وقد حسنه العراقي في تخريج الإحياء (١٣٢ / ٤) والناوي في التيسير (٩٩ / ١) .

دابِر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿٤٢﴾ .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ : قل لهؤلاء المكذبين المعاندين : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ﴾ أي : سلبكم إياها كما أعطاكموها . فإنه : ﴿ هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار ... ﴾ الآية .

ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما النفع الشرعي ، ولهذا قال : ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ ، كما قال : ﴿ أمن يملك السمع والأبصار ﴾ وقال : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ .

وقوله : ﴿ من إله غير الله يأتيكم به ﴾ ، أي : هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم ! لا يقدر على ذلك أحد سواه ، ولهذا قال : ﴿ انظر كيف نصرَفُ الْآيَاتِ ﴾ ، أي : نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله ، وأن من يعبدون من دونه باطل وضلال ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ ، أي : ثم هم مع هذا البيان يعرضون عن الحق ، ويصدون الناس عنه اتباعه . قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ يصدفون ﴾ يعدلون .

وقال مجاهد ، وقتادة : يعرضون .

وقال السدي : يصدون ﴿٤٣﴾ .

وقوله : ﴿ قل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً ﴾ ، أي : وأنتم لا تشعرون به حتى بقتكم

(٤٢) ضعيف عراك هذا لين الحديث .

(٤٣) أصحها أثر قتادة انظر الطبري (ج ١١ / ٣٦٧) .

وفجأكم ﴿أو جهرة﴾ ، أي : ظاهراً عياناً ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ ، أي : إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ، وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال تعالى : ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية .

وقوله ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ ، أي : مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات . ولهذا قال : ﴿فمن آمن وأصلح﴾ ، أي : فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح عمله باتباعه إياه ﴿فلا خوف عليهم﴾ ، أي : بالنسبة إلى ما يستقلونه ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي : بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها ، الله وليهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه .

ثم قال : ﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون﴾ ، أي : ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل ، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته ، وارتكبوا محارمه مناهيه وانتهاك حرماته .

قُلْ
لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءٌ أَبْجَهَلَةٌ ثُمَّ
تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَاِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ قل : لا أقول لكم : عندي خزائن الله ﴾ ، أي : لست أملكها ولا أتصرف فيها ، ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ ، أي : ولا أقول : إني أعلم الغيب إنما ذاك علم من الله ، عز وجل ، لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه ، ﴿ ولا أقول لكم : إني ملك ﴾ ، أي : ولا أدعي أنني ملك : إنما أنا بشر من البشر ، يوحى إلي من الله عز وجل ، شرفني بذلك ، وأنعم علي به ، ولهذا قال : ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ ، أي : لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه .

﴿ قل : هل يستوي الأعمى والبصير ﴾ ، أي : هل يستوي من اتبع الحق وهدى إليه ، ومن ضل عنه ولم ينقل له ؟ ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ .

وقوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ ، ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ ، أي : وأنذر بهذا القرآن يا محمد ﴿ الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ والذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

﴿ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ ليس لهم ﴾ ، أي : يومئذ ﴿ من دونه ولي ولا شفيع ﴾ ، أي : لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم ، ﴿ لعلهم يتقون ﴾ ، أي : أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل ﴿ لعلهم يتقون ﴾ ، فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه .

وقوله : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ ، أي : لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك ، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك ، كما قال : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ .

وقوله : ﴿ يدعون ربهم ﴾ ، أي : يعبدونه ويسألونه ﴿ بالغداة والعشي ﴾ ، قال سعيد ابن المسيب ، ومجاهد ، والحسن وقتادة : المراد بذلك الصلوات المكتوبات .

وهذا كقوله : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ ، أي : أقبل منكم .

وقوله ﴿ يريدون وجهه ﴾ ، أي : يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم ، فهم تخلصون فيه فيما هم فيه من العبادات والطاعات .

وقوله : ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ كما قال نوح عليه السلام في [جواب] الذين قالوا : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ : ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ ، أي : إنما حسابهم على الله ، عز وجل ،

وليس علي من حسابهم من شيء ، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء .

وقوله : ﴿ فطردهم فكون من الظالمين ﴾ ، أي : إن فعلت هذا والحالة هذه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أسباط - هو ابن محمد - حدثنا أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش على رسول الله ﷺ ، وعنده : خباب ، وصهيب ، وبلال ، وعمار . فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾^(٤٤) .

رواه ابن جرير^(٤٥) ، من طريق أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش برسول الله ﷺ ، وعنده : صهيب ، وبلال ، وعمار ، وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم [عنك] ، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك . فنزلت هذه الآية : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ - ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ إلى آخر الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى ، بن سعيد القطان ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي - وكان قارئاً الأزدي - عن أبي الكنود ، عن خباب في قول الله عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ ، قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتئك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعباء ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : « نعم » . قالوا : فاكذب [لنا] عليك كتاباً . قال : فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ، ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل فقال : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ ... الآية ، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ، ثم دعانا فأتيناه^(٤٦) .

ورواه ابن جرير ، من حديث أسباط ، به^(٤٧) .

وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة

بدهر .

(٤٤) أشعث هو ابن سوار ضعيف والحديث في المسند (ج ١ / ٤٢٠) .

(٤٥) (ج ١١ / ٢٥٤) .

(٤٦) أبو سعيد الأزدي وشيخه مقبولان .

(٤٧) (ج ١١ / ٣٧٦) .

وقال سفيان الثوري عن المقدم بن شريح ، عن أبيه قال : قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي ﷺ ، وندنو منه ونسمع منه ، فقالت قريش : يدني هؤلاء دوننا . فنزلت : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾^(٤٨) .

رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان ، وقال : على شرط الشيخين^(٤٩) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم بن شريح ، به^(٥٠) .

وقوله : ﴿ وكذلك فتننا بعضهم ببعض ﴾ ، أي : ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ﴿ ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ . وذلك أن رسول الله ﷺ كان غالب من اتبعه في أول البعثة ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل ، كما قال قوم نوح لنوح : ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ... ﴾ الآية ، وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله المسائل ، فقال له : فهل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم . فقال : هم أتباع الرسل^(٥١) .

والغرض أن مشركي قريش كان يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ، ويعذبون من يقدرهم عليه منهم ، وكانوا يقولون : هؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أي ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير - لو كان ما صاروا إليه خيراً - ويدعنا كما قالوا : ﴿ لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ . وكما قال تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خيراً مقاماً وأحسن ندياً ﴾ .

قال الله تعالى في جواب ذلك : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ ، وقال في جوابهم حين قالوا : ﴿ هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ ، أي : أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم ، فيوفهم ويهديهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً . كما قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ . وفي الحديث الصحيح : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »^(٥٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم : حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ... ﴾ الآية ، قال : جاء عتبة بن

(٤٨) أخرجه مسلم (ج ٤ / ١٨٧٨) من طريقين إلى المقدم .

(٤٩) (٣ / ٣١٩) وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد أخرجه مسلم كما رأيت .

(٥٠) (ج ٨ / ٦٩٠) من الإحسان .

(٥١) الحديث بطوله في البخاري في بدء الوحي (ص ٣١) .

(٥٢) الحديث في صحيح مسلم (ج ٤ / ١٩٨٧) ورواه ابن ماجه (ج ٢ / ١٣٨٨) .

ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل وقرظة بن [عبد] عمرو بن نوفل ، في أشراف [من] بني عبد مناف من أهل الكفر ، إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وعسفائونا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه ، وتصديقنا له . قال : فأق أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو فعلت ذلك ، حتى تنظر ما الذي يريدون ، وإلى ما يصيرون من قولهم ؟ ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . قال : وكانوا بلالاً ، وعمار بن ياسر ، وسالماً مولى أبي حذيفة ، وصبيحاً مولى أسيد - ومن الحلفاء ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاري ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد - وأبو مرثد من غني حليف حمزة بن عبد المطلب - وأشباهم من الحلفاء . ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّقَوْلِهِمْ أَهْوََاءُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ... ﴾ الآية ، فلما نزلت ، أقبل عمر رضي الله عنه فاعتذر من مقالته ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾^(٥٣) ... الآية .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي : فأكرمهم برد السلام عليهم ، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم . ولهذا قال : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ، أي : أوجبها على نفسه الكريمة ، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً . ﴿ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ أَجْهَالَةٌ ﴾ ، قال بعض السلف : كل من عصى الله فهو جاهل .

وقال معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ أَجْهَالَةٌ ﴾ ، قال : الدنيا كلها جهالة^(٥٤) . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ ، أي : رجع عما كان عليه من المعاصي ، وأقلع وعزم على أن لا يعود ، وأصلح العمل في المستقبل ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر بن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي .

(٥٣) ضعيف للإرسال ولضعف الحسين المعروف بسنيد فإنه كان يلحق شيخه حجاجاً انظر (ج ١١ / ٣٧٩) من تفسير الطبري ورواه الواحدي في كتابه أسباب النزول .

(٥٤) سنده حسن إلى عكرمة .

أخرجاه في الصحيحين . وهكذا رواه الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ورواه موسى ابن عقبة عن الأعرج ، عن أبي هريرة . وكذا رواه الليث وغيره ، عن محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي بذلك^(٥٥) .

وقد روى ابن مردويه ، من طريق الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق ، أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة أو قبضتين ، فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً ، مكتوب بين أعينهم ، عتقاء الله »^(٥٦) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان في قوله : ﴿ كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ ، قال : إنا نجد في التوراة عطفيتين : إن الله خلق السموات والأرض ، وخلق مائة رحمة - أو : جعل مائة رحمة - قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، قال : فيها يتراحمون ، وبها يتعاطفون ، وبها يتبذلون ، وبها يتزاورون ، وبها تحن الناقة ، وبها تنج البقرة ، وبها تنغو الشاة ، وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان في البحر . فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع^(٥٧) .

وقد روى هذا مرفوعاً من وجه آخر . وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضاً قوله ﷺ لمعاذ بن جبل : « أتدري ما حق الله

(٥٥) (ج ٢ / ٣١٣) في حديث طويل وقد تقدم تخريجه من الصحيحين والتنبيه على الزيادة التي في البخاري انظر تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ الآية ١٢ .

(٥٦) لم أقف على تفسير ابن مردويه ولكن الحديث في الصحيح بغير هذا السياق فحديث إن رحمتي سبقت غضبي من حديث أبي هريرة في البخاري (ج ١٣ / ٣٨٤) ورواه مسلم (ج ٤ / ٢١٠٧ - ٢١٠٨) وقوله : فيقبض قبضة ، أخرجاه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل .

(٥٧) الأثر صحيح إلى سلمان وأما المرفوع ففي مسلم (ج ٤ / ٢١٠٨) من طريق الحكم بن موسى ثنا معاذ بن معاذ ثنا سليمان التيمي به مرفوعاً ولفظه : إن لله مائة رحمة فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة .

وهذا الحديث من الأحاديث المنتقدة التي انتقدها الدارقطني ولكن لم يتم الانتقاد فإن السند الذي انتقده في المتابعات والمتن صحيح على كل حال قال شيخنا حفظه الله في التعليق على التتبع (ص ٣٠١) : فالحاصل أن متن الحديث من أرفع درجات الصحيح .

قلت : والمتن المشار إليه عند البخاري (ج ١٠ / ٤٣١) و (ج ١١ / ٣٠١) وعند مسلم (ج ٤ / ٢١٠٨) من حديث أبي هريرة ، والحمد لله رب العالمين .

على العباد ؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً » ، ثم قال : « أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم ^(٥٨) » وقد رواه الإمام أحمد ، من طريق كميل بن زياد ، عن أبي هريرة ^(٥٩) .

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْجُرْمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ نَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾
* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى : وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم
المجادلة والعناد ، ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ ، أي : التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ﴿ ولتستبين
سبيل المجرمين ﴾ أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرىء ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ ،
أي : ولتستبين يا محمد - أو يا مخاطب - سبيل المجرمين .

وقوله : ﴿ قل : إني على بينة من ربي ﴾ ، أي : على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها
إلي ﴿ وكذبتم به ﴾ ، أي : بالحق الذي جاءني من الله ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ ، أي :

(٥٨) هذا في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عند البخاري (ج ١١ / ٣٣٧) قال الحافظ في شرحه : هذا
من الأحاديث التي أخرجها البخاري في ثلاثة مواضع عن شيخ واحد بسند واحد . انتهى المراد من كلامه
والحديث عند مسلم أيضاً (ج ١ / ٥٨) .

(٥٩) صحيح فإن كميل بن زياد هذا يروي عن أبي هريرة وغيره من الصحابة كما في التهذيب وهو ثقة رمي بالتشيع
ورواه عنه أبو إسحاق السبيعي وبعد الرحمن بن عابس وهما ثقتان والحديث في المسند (ج ٢ / ٣٠٩) وص
(٥٢٥ و ٥٣٥) .

من العذاب ، ﴿ إِنَّ الْحَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، أي : إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سأتموه من ذلك ، وإن شاء أنظركم وأجلكم ، لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ، ولهذا قال ﴿ إِنَّ الْحَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقِصْ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ، أي : وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده .

وقوله : ﴿ قُلْ : لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ، أي : لو كان مرجع ما تستعجلون به إلي ، لأوقعت بكم [ما تستحقونه] من ذلك ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية ، وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال : « لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، [فنظرت] فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني قال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال وسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وقد بعثني ربك إليك ، لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ، لا يشرك به شيئاً » (٦٠) .

وهذا لفظ مسلم .

فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم ، فاستأنى بهم ، وسأل لهم التأخير ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً - فما الجمع بين هذا ، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ؟

فالجواب - والله أعلم - أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له ، لأوقعه بهم . وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوا وقوع العذاب بهم ، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبلا مكة [اللذان] يكتنفانها جنوباً وشمالاً ، فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم .

وقوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ، قال البخاري : حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ ، وينزل الغيث ،

ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير ﴿٦١﴾ .

وفي حديث عمر : أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، قال له رسول الله ﷺ فيما قال له : « خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ... ﴾ (٦٢) الآية .

وقوله : ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ ، أي : يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وما أحسن ما قال الصرصري :

فلا يخفى عليه الذر إما تراءى للنواظر أو تسوارى

وقوله : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ ، أي : ويعلم الحركات حتى من الجمادات ، فما ظنك بالحيوانات ، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم ، كما قال تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن ربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سعيد ابن مسروق ، عن حسان الثمري ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ ، قال : ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها ، يكتب ما يسقط منها (٦٣) .

وقوله : ﴿ ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

قال محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن النضر عن أبيه ، سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص

(٦١) انظر (ج ٨ / ٢٩١) و (٣٧٥ و ٥١٣) من صحيحه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وقد تقدم في الإيمان بيان جهة الحصر في قوله : « لا يعلمهن إلا الله » .

قلت : وذكر هناك قول القرطبي أنه قال : لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث إلى أن قال : فمن ادعى علم شيء منها غير مسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان كاذباً في دعواه قال : وأما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره إذا كان عن أمر عادي وليس ذلك بعلم وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها في ذلك . وجاء عن ابن مسعود قال : أوتي نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم كل شيء سوى هذه الخمس وعن ابن عمر مرفوعاً نحوه ، أخرجهما أحمد وأخرج ابن زنجويه عن بعض الصحابة أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأنكر عليه فقال : إنما الغيب خمس وتلا هذه الآية وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم . انتهى .

تنبيه : قوله وعن ابن عمر مرفوعاً هو في المسند (ج ٢ / ٨٥) بسند صحيح والله أعلم .

(٦٢) أخرجه مسلم (ج ١ / ٣٦) واتفقاً على حديث أبي هريرة ، البخاري (ج ١ / ١١٤) ومسلم (ج ١ / ٣٩)

وحديث عمر ليس فيه خمس لا يعلمهن إلا الله وهي في حديث أبي هريرة المتفق عليه .

(٦٣) حسان أئمري لا أعرفه .

يقول : إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهروا يعني لكم - لم تروا معهم نوراً ، على كل زاوية من زوايا [الأرض] خاتم من خواتيم الله ، عز وجل ، على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله ، عز وجل ، إليه في كل يوم ملكاً من عنده : أن احتفظ بما عندك^(٦٤) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري ، حدثنا مالك بن سكير ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها : رطوبتها إذا رطبت ، ويسها إذا ييس^(٦٥) .

وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني ، عن مالك بن سكير ، به .

ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي حذيفة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : خلق الله النون ، - وهي الدواة - وخلق الألواح ، فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق ، أو رزق حلال أو حرام ، أو عمل بر أو فجور ، وقرأ هذه الآية ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ إلى آخر الآية^(٦٦) .

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ يُرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّنَا وَهَمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَانِ ﴿٦٢﴾

يخبر تعالى أنه يتوفى عباده في منامهم بالليل ، وهذا هو التوفي الأصغر ، كما قال تعالى : ﴿ إذ قال الله : يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ، فذكر في

(٦٤) الذي يظهر على هذا الأثر أنه من الزامتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فإنه يعتبر من المكثرين ولكن زهد الناس في حديثه لأنه كان ربما حدث عن أهل الكتاب .

(٦٥) (ج ٤٠٤/١١) من الطبري وهو ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وهو الهاشمي ضعيف كبير فتغير فصار يتلقن وكان شيعياً كما في التقريب وهناك يزيد بن أبي زياد آخر الدمشقي أنزل منه طبقة ورتبة إذ هو متروك .

(٦٦) الأثر ضعيف لأن فيه مبهماً .

هذه الآية الوفايتين : الكبرى والصغرى ، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين الصغرى ثم الكبرى ، فقال : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ ، أي : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار . وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقهم في ليلهم ونهارهم ، في حال سكونهم وفي حال حركتهم ، كما قال : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ ، أي : في الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ ، أي : في النهار ، كما قال : ﴿ وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً ﴾ . ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ ، أي : ما كسبتم بالنهار ﴿ ثم يبعثكم فيه ﴾ ، أي : في النهار . قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي ^(٦٧) .

وقال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير : أي في المنام ^(٦٨) .

والأول أظهر . وقد روى ابن مردويه بسنده ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ، ويرد إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه ، وإلا رد إليه » فذلك قوله : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴾ ^(٦٩) .

وقوله : ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ ، يعني به أجل كل واحد من الناس ، ﴿ ثم إليه مرجعكم ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ ثم ينبئكم ﴾ ، أي : فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ ، أي : ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وقوله : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ، أي : هو الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء .

﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾ ، أي : من الملائكة يحفظون بدن الإنسان ، كما قال : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ . وحفظة يحفظون عمله ويحصونه ، كما قال : ﴿ وإن عليكم لحافظين ... ﴾ الآية ، وقال : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ .

وقوله : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت ﴾ ، أي : احتضر وحن أجله ﴿ توفته رسلنا ﴾ ، أي : ملائكة موكلون بذلك .

قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة ، يخرجون الروح من الجسد ،

(٦٧) ثلاثهما عند الطبري (ج ١١/٤٠٧ - ٤٠٨) والذي صح منها أثر قتادة .

(٦٨) وهذا فيه أيضاً وهو من طريق سنيد وهو ضعيف .

(٦٩) لم أقف على سنده لكن وجدت الحديث في الدر المنثور (ج ٣/١٥) معزواً إلى أبي الشيخ وابن مردويه وقد تقدم أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس فالحديث ضعيف لذلك .

فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم . وسيأتي عند قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ للأحاديث المتعلقة بذلك ، الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة .

وقوله : ﴿ وهم لا يفرطون ﴾ ، أي : في حفظ روح الموتى ، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل ، إن كان من الأبرار ففي عليين ، وإن كان من الفجار ففي سجين ، عياداً بالله من ذلك .

وقوله : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ : قال ابن جرير^(٧٠) : ﴿ ثم ردوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ إلى الله مولاهم الحق ﴾ .

ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : [من هذا فيقال : فلان . فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان . ورب غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء . فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر ، فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول ، ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول^(٧١) .

هذا حديث غريب .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ ثم ردوا إلى الله ﴾ ، يعني : الخلائق كلهم إلى يوم القيامة ، فيحكم فيهم بعدله ، كما قال : ﴿ قل : إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ وقال : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ إلى قوله : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ . ولهذا قال : ﴿ مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسين ﴾ .

(٧٠) (ج ١١/٤١٣) ونصه : ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحق .

(٧١) (ج ١٦/٣١٣) حديث رقم (٨٧٥٤) من المسند بتحقيق أحمد شاكر رحمه الله تعالى وقال : صحيح ،

وهو كما قال ، وقوله في الحديث : السماء التي فيها الله ، في بمعنى على ، أي في السماء التي عليها الله .

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ
 أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ
 كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ
 عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم
 بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ممتناً على عباده في إنجائهم المضطرين منهم ﴿من ظلمات البر والبحر﴾ ، أي :
 الحائرين الواقعين في المهامه البرية ، وفي اللجج البحرية إذا هاجت الريح العاصفة ، فحيثذا يفردون
 الدعاء له وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ...﴾
 الآية . وقال تعالى : ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح
 طية وفرحوا بها . جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ، دعوا
 الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه ل نكونن من الشاكرين ...﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿أمن
 يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، أإله مع الله ، تعالى الله
 عما يشركون﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة .

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية﴾ ، أي : جهراً وسراً
 ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ ، أي : من هذه الضائقة ﴿ل نكونن من الشاكرين﴾ ، أي : بعدها . قال
 الله : ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم﴾ ، أي : بعد ذلك ﴿تشركون﴾ ، أي :
 تدعونه معه في حال الرفاهية آلهة أخرى .

وقوله : ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ ،
 لما قال : ﴿ثم أنتم تشركون﴾ عقبه بقوله : ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً﴾ ، أي :
 بعد إنجائهم إياكم ، كما قال في سورة سبحان : ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من
 فضله إنه كان بكم رحيماً ، وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى
 البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفوراً . أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً
 ثم لا تجدوا لكم وكيلاً . أم أنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم
 بما كفرتم ، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هارون الأعور ، عم جعفر بن

سليمان ، عن الحسن في قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ ، قال : هذه للمشركين ^(٧٢) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ لأمة محمد ﷺ ، فعفا عنهم ^(٧٣) .

ونذكر هنا الأحاديث الواردة في ذلك والآثار ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، وبه الثقة .

قال البخاري رحمه الله في قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ : يلبسكم : يخلطكم ، من الالتباس ، يلبسوا : يخلطوا . شيعاً : فرقاً .

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « أعوذ بوجهك » . ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ ، قال : أعوذ بوجهك . ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « هذا أهون - أو قال - هذا أيسر » ^(٧٤) .

وهكذا رواه أيضاً في « كتاب التوحيد » عن قتبية عن حماد ، به .

ورواه النسائي في « التفسير » ، عن قتبية ، ومحمد بن النضر بن مساور ، ويحيى بن حبيب بن عربي أربعتهم ، عن حماد بن زيد ^(٧٥) ، به .

وقد رواه الحميدي في مسنده ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابراً عن النبي ﷺ ، به ^(٧٦) .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن أبي خيثمة ، عن سفيان بن عيينة

(٧٢) هذا معلق بصيغة التمريض والغالب عليها الضعف وسأتي في الحديث الصحيح ما يخالف قول الحسن رحمه الله .

(٧٣) حسن إلى مجاهد لأنه من طريق محمد بن عمرو بن جبلة وهو صدوق وهو عند الطبري (ج ١١ / ٤٢٢) وفيه : وأعفاكم منه .

(٧٤) (ج ٨ / ١٩١) من التفسير ورواه أيضاً (ج ١٣ / ٢٩٥ و ٣٨٨) .

قلت : وهذا الحديث فيه صفة من صفات الله عز وجل وهي صفة الوجه وفيه بحث نفيس أكتفي بالإشارة إليه لمن أراد الوقوف على الأدلة في ذلك وخلاصة القول فيها كباقي صفاته جل وعلا ، فلا يشبهه أحد من خلقه ولا يشبه أحداً كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأسماؤه الله وصفاته توقيفية لا تثبت شيئاً منها إلا بدليل صحيح صريح من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكليف ، انظر التوحيد لابن خزيمة والعقيدة الواسطية ومختصر الصواعق المرسلة .

(٧٥) حديث (١٨٤) من التفسير وفي تحفة الأشراف قال : وأعاده في النعوت أي النسائي عن قتبية أربعتهم عنه به .

(٧٦) (ج ٢ / ٥٣٠) حديث (١٢٥٩) .

به (٧٧)

ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع ، وسفيان بن وكيع كلهم ، عن سفيان بن عيينة به ^(٧٨) .

ورواه أبو بكر بن مردويه ، من حديث آدم بن أبي إياس ، ويحيى بن عبد الحميد ، وعاصم بن علي ، عن سفيان بن عيينة ، به .

ورواه سعيد بن منصور ، عن حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، كلاهما عن عمرو بن دينار ، به ^(٧٩) .

طريق أخرى ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا مقدم بن داود ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما نزلت : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « أعوذ بالله من ذلك » . [: ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال رسول الله ﷺ : « أعوذ بالله من ذلك »] ﴿ أو يلبسكم شيعاً ﴾ قال : « هذا أيسر » . ولو استعاذ لأعاده ^(٨٠) . ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة .

أحدها : قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا أبو بكر - هو ابن أبي مريم - عن راشد - هو ابن سعد المقرئ - عن سعد بن أبي وقاص قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ فقال : « أما [إنها] كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد » ^(٨١) .

وأخرجه الترمذي ^(٨٢) ، عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، به . ثم قال : هذا حديث غريب .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يعلى - وهو ابن عبيد - حدثنا عثمان بن حكيم ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ ، حتى مررنا على مسجد

(٧٧) (ج ٩ / ١٧٤) من الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .

(٧٨) (ج ١١ / ٤٢٢) .

(٧٩) لم أجده لعدم وجود سنن سعيد بن منصور تامة .

(٨٠) ضعيف لضعف مقدم بن داود واختلاط ابن لهيعة وعنعنة أبي الزبير محمد بن مسلم المكي وهو مدلس لكن العبرة بما تقدم والله أعلم .

(٨١) ضعيف أيضاً لأن فيه أبا بكر بن أبي مريم وهو ضعيف وراشد بن سعد عن سعد بن أبي وقاص مرسل كما في جامع التحصيل عن أبي زرعة والحديث في المسند (ج ١ / ١٧٠ - ١٧١) .

(٨٢) (ج ٥ / ٢٤٤) من سننه وفيها قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . فلعلها من اختلاف النسخ .

بني معاوية ، فدخل فصلى ركعتين ، فصلينا معه ، فناجى ربه عز وجل طويلاً . قال : « سألت ربي ثلاثاً : سألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطينها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطينها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » ^(٨٣) .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه في « كتاب الفتن » عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير [كلاهما عن عبد الله بن نمير] - وعن محمد بن يحيى بن أبي عمر ، عن مروان بن معاوية ، كلاهما عن عثمان بن حكيم ، به ^(٨٤) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك ، عن عبد الله ابن عبد الله بن جابر بن عتيك ، [عن جابر بن عتيك] أنه قال : جاءنا عبد الله بن عمر في بني معاوية - [قرية] من قرى الأنصار - فقال لي : هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا فقلت : نعم . فأشرت إلى ناحية منه ، فقال : هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه ؟ فقلت : نعم . فقال : وأخبرني بهن فقلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم ، ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما ، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها . قال : صدقت ، فلا يزال المهرج إلى يوم القيامة . ليس هو في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي ، والله الحمد والمنة ^(٨٥) .

حديث آخر ، قال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن علي بن عبد الرحمن ، أخبرني حذيفة بن اليمان قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية ، قال : فصلى ثماني ركعات ، فأطال فيهن ، ثم التفت إلي فقال : « حبستك ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « إني سألت الله ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم ، فأعطاني . وسألته أن لا يهلكهم بغرق ، فأعطاني . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعني » .

رواه ابن مردويه من حديث ابن إسحاق ^(٨٦) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد ^(٨٧) : حدثنا عبيدة بن حميد ، حدثني سليمان الأعمش ، عن رجاء الأنصاري ، عن عبد الله بن شداد ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ [أطلبه] فقيل لي : خرج قبل . قال : فجعلت لا أمر بأحد إلا قال : مر قبل . حتى مررت

(٨٣) صحيح رجاله كلهم ثقات وهو في المسند (ج ١ / ١٧٥) .

(٨٤) في الفتن من صحيحه (ج ٤ / ٢٢١٦) .

(٨٥) المسند (ج ٥ / ٤٤٥) وهو كما قال رحمه الله .

(٨٦) ابن إسحاق مدلس وقد عنعن ويتوقف فيما تفرد به لكنه هنا في المتابعات والله أعلم .

(٨٧) (ج ٥ / ٢٤٠) من المسند وهو ضعيف لجهالة رجاء الأنصاري فإنه لم يوثقه معتبر كما في التهذيب وأيضاً عننة الأعمش رحمه الله فإنه يخشى أن يكون قد دلس ، والله أعلم .

فوجدته قائماً يصلي ، قال : فجئت حتى قمت خلفه ، قال : فأطال الصلاة ، [فلما قضى] صلاته قلت : يا رسول الله لقد صليت صلاة طويلة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت الله عز وجل ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطاني ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها ، وسألته أنه لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي » .

ورواه ابن ماجه في « الفتن » عن محمد بن عبد الله بن نمير وعلي بن محمد كلاهما ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به ^(٨٨) .

ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة ، عن عبد الله بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ ، بمثله أو نحوه ^(٨٩) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه ، عن أنس ابن مالك أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات ، فلما انصرف قال : « إني صليت صلاة رغبة ورهبة ، سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة : سألته أن لا يتلي أمتي بالسنين ففعل ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل ، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى علي » ^(٩٠) .

رواه النسائي في الصلاة ، عن محمد بن سلمة ، عن ابن وهب ، به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال : قال الزهري : حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبيه خباب بن الأرت - مولى بني زهرة ، وكان قد شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ - أنه قال : راقبت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها ، حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته . قلت : يا رسول الله : لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها . فقال رسول الله : « أجل ، إنها صلاة رغب ورهب . سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة : سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا ، فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها . وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيعاً ، فمنعنيها » ^(٩١) .

(٨٨) (ج ٢ / ١٣٠٣) من سننه فالعلة باقية ، والله أعلم .

(٨٩) وهو ضعيف لأنه منقطع ، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ كما في جامع التحصيل .

(٩٠) الحديث في المسند (ج ٣ / ١٤٦) وهو ضعيف لجهالة الضحاك بن عبد الله القرشي وبقيه رجاله ثقات .

(٩١) رجاله رجال الشيخين وهو في المسند (ج ٥ / ١٠٨) ورواه الترمذي (ج ٤ / ٤٠٩) باب (١٤) من حديث

رواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة ، به . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه ، بإسناديهما عن صالح بن كيسان والترمذي في « الفتن » من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري ، به . وقال : حسن صحيح^(٩٢) .

حديث آخر ، قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره^(٩٣) : حدثني زياد بن عبيد الله المزني ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا أبو مالك ، حدثني نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه أن النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ، فقال : « قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، سألت الله عز وجل فيها ثلاثاً ، أعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم ، فأعطانيها . وسألت الله أن لا يسلط عدواً يستبيح بيضتكم ، فأعطانيها . وسألت أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من في رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : قال معمر ، أخبرني أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها ، وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر ، وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة ، و [أن] لا يلبسهم شيعاً ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض . فقال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً ممن سواهم فيهلكهم بعامة ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وبعضهم يقتل بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً » . قال : وقال النبي ﷺ : « [و] إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين ، فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » .

ليس في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي^(٩٤) . وقد رواه ابن مردويه من حديث

(٩٢) في سنن النسائي (ج ١١٦/٣) باب إحياء الليل .

والترمذي (ج ٤٧١/٤) إلا أنه قال : حسن غريب صحيح ، وهذا لا يدل على أن ما في التفسير خطأ لأن نسخ الترمذي تختلف .

(٩٣) (ج ٤٢٣/١١) من تفسير الطبري ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الإصابة في ترجمة خالد الخزاعي : روى الحسن بن سفيان وأبو يعلى والطبري في تفسيره وغيرهم من طريق أبي مالك الأشجعي حدثنا نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه ، وذكر الحديث ثم قال : رجاله ثقات وليس الأمر كما قال رحمه الله فإن نافعاً لم يرو إلا عن أبيه ولم يرو عنه إلا أبو مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق . ولم يوثقه معتبر ومن كان هذا حاله فهو مجهول العين لكن العبرة بما تقدم من الأحاديث الصحيحة والحمد لله .

(٩٤) (ج ١٢٣/٤) من المسند وأبو الأشعث الصنعاني هو شراحيل بن آدة وأبو أسماء الرحبي هو عمرو بن مرثد روى عن جماعة وروى عنه جماعة كذلك ولم يوثقه معتبر ، وقد خرج حديثه مسلم في صحيحه ويقولون فيمن خرج له الشيخان أو أحدهما : إنه قد جاوز القنطرة ، قال ابن دقيق العيد في كتابه الاقتراح في بيان =

حماد بن زيد وعباد بن منصور ، وقتادة ، ثلاثهم عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ ، بنحوه ، فالله أعلم^(٩٥) .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي قالا : حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه قال - وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان من أصحاب الشجرة - : كان رسول الله ﷺ إذا صلى والناس حوله ، صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود - قال : فجلس يوماً فأطال الجلوس حتى أوماً بعضنا إلى بعض : أن اسكتوا ، إنه ينزل عليه . فلما فرغ قال له بعض القوم : يا رسول الله ، لقد أطلت الجلوس حتى أوماً بعضنا إلى بعض أنه ينزل عليك . قال : « لا ، ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة ، سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم ، فأعطانيها وأن لا يسلط على أمتي عدواً يستبيحها ، فأعطانيها . وسألته أن لا يلبسكم شيعاً وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض ، فمنعنيها » . قال ، قلت له : أبوك سمعها من رسول الله ﷺ ؟ قال : سمعته يقول : إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي ، هذه عشر أصابع^(٩٦) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يونس - هو ابن محمد المؤدب - حدثنا ليث - هو ابن سعد - عن أبي وهب الخولاني ، عن رجل قد سماه ، عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ [أن رسول الله ﷺ] قال : « سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثاً ، ومنعني واحدة . سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة ، فأعطانيها . وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم ، فأعطانيها . وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم ، فأعطانيها . وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعنيها .

= الاصطلاح (ص ٣٢٧) : وكان شيخ شيوخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة - إلى أن قال - وهكذا نعتقد به نقول ولا نخرج عنه إلا ببيان شاف وحجة ظاهرة . قال الذهبي في الموقظة (ص ٨٠) من خرج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات ففهم من في حفظه شيء وفي توثيقه تردد فكل من خرج له في الصحيحين فقد قفز القنطرة فلا معدل عنه إلا ببرهان بين والأمر كما قالا رحمهما الله تعالى .

(٩٥) حديث ثوبان رواه مسلم (ج ٢٢١٥ / ٤) وأبو داود (ج ٤٥٠ / ٤) والترمذي (ج ٤٧٢ / ٤) باب (١٤) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (ج ١٣٠٤ / ٢) والإمام أحمد (ج ٢٧٨ / ٥ و ٢٨٤) من المسند كل هؤلاء من حديث حماد بن زيد عن أيوب به . ورواه ابن ماجه من طريق سعيد بن بشير الشامي وهو ضعيف عن قتادة عن أيوب به . وهو عند أبي داود وأحمد وغيرهما بزيادة : وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين الحديث ، ليست عند مسلم لكنها صحيحة .

(٩٦) أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف وقد مضى الكلام على حديث نافع بن خالد قبل قليل وأنه ضعيف .

لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة^(٩٧).

حديث آخر ، قال الطبراني^(٩٨) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا أبو حذيفة الثعلبي ، عن زياد بن علاقة ، عن جابر بن سمرة السوائي ، عن علي أن رسول الله قال : « سألت ربي ثلاث خصال ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، فقلت : يا رب ، لا تهلك أمتي جوعاً . فقال : هذه لك . قلت : يا رب ، لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم - يعني أهل الشرك - فيجتاحهم . قال : ذلك لك . قلت : يا رب ، لا تجعل بأسهم بينهم . قال : فمنعني هذه » .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا أبو الدرداء المروزي ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، حدثني أبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعاً ، فرفع الله عنهم ثنتين ، وأبي علي أن يرفع عنهم ثنتين . دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والفرق من الأرض ، [وأن لا يلبسهم شيعاً ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض . فرفع الله عنهم الرجم من السماء ، والفرق من الأرض] ، وأبى الله أن يرفع اثنتين : القتل ، والهرج »^(٩٩).

طريق أخرى عن ابن عباس أيضاً ، قال ابن مردويه : حدثني عبد الله بن محمد بن زيد ، حدثني الوليد بن أبان ، حدثنا جعفر بن منير ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ﴾ قال : فقام النبي ﷺ فتوضأ ، ثم قال : « اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم ، ولا تلبسهم شيعاً ، ولا تذق بعضهم بأس بعض » - قال - فأثاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله قد أجاز أمتك أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم »^(١٠٠).

حديث آخر ، قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزاز ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى ، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، حدثنا

(٩٧) ضعيف لأن فيه مبهماً والحديث في المسند (ج ٦ / ٣٩٦) .

(٩٨) في معجمه الكبير (ج ١ / ٦٥) وقال صاحب مجمع الزوائد (ج ٧ / ٢٢٢) بعد عزوه للطبراني : وفيه أبو حذيفة الثعلبي ولم أعرفه وبقي رجاله ثقات .

(٩٩) الحديث ضعيف بهذا السند محمد بن أحمد هو العسال ثقة مأمون وترجمته في السير للذهبي (ج ١٦ / ٦) وشيخه هو الكرماني قال ابن مردويه : ثقة مأمون مكثر وترجمته (ج ١٥ / ٤٠٣) من السير أيضاً وأبو الدرداء هو عبد العزيز بن منيب المروزي صدوق وإسحاق قال البخاري : في ترجمة أبيه - عبد الله بن كيسان - : له ولد يسمى إسحاق منكر الحديث . قلت : وأبوه ، قال أبو حاتم : ضعيف .

(١٠٠) فيه مبهم .

أسباط ، عن السدي ، عن أبي المنهال ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « سألت ربي لأمتي أربع خصال ، فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة : سألته أن لا تكفر أمتي واحدة ، فأعطانيها . وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها »^(١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، عن عمرو بن محمد العنقزي ، به نحوه :

طريق أخرى ، وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني ، حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذباب ، سمع أبا هريرة يقول : قال النبي ﷺ : « سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم . وسألته أن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطاني . وسألته أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعني »^(٢) .

ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه . ورواه البزار من طريق عمر بن سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه .

أثر آخر ، قال سفيان الثوري ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن جني أبي بن كعب قال : أربعة من هذه الأمة : قد مضت ثنتان ، وبقيت ثنتان : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ قال : الرجم ، ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : الخسف ، ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ﴾ ، قال سفيان : يعني الرجم والخسف .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ﴾ ، قال : فهي أربع خلال ، منها ثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين [سنة] ، ألبسوا شيعاً ، وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان : الرجم والخسف^(٣) .

ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن أبي جعفر . ورواه ابن أبي حاتم .

(١) أسباط إلى الضعف أقرب لكنه في الشواهد كما ترى وله عن أبي هريرة رضي الله عنه طرق كما ستأتي ورحم الله الحافظ ابن كثير فإنه يستفيض في ذكر الأحاديث وطرقها فانظر كيف ذكر هذا الحديث وذكر طرقه من أربعة عشر وجهاً وهذا عمل قل من يتعاطاه من المفسرين .

(٢) حسن بهذا السند الوليد بن رباح ترجمته في التهذيب قال البخاري : حسن الحديث .

(٣) أبو جعفر تقدم القول في روايته عن الربيع بن أنس والأثر عند الطبري (ج ١١ / ٤٣٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، في قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث ... ﴾ الآية ، قال : حسبت عقوبتها بتها حتى عمل ذنبها ، فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها .

وهكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو مالك ، ومجاهد ، والسدي وابن زيد في قوله : ﴿ عذاباً من فوقكم ﴾ يعني : الرجم ، ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ ، يعني : الخسف . وهذا هو اختيار ابن جرير ^(٤) .

وروى ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ ، قال : كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المجلس - أو : على المنبر - يقول : ألا أيها الناس ، إنه قد نزل بكم : إن الله يقول : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ ، لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحداً - ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ ، ولو خسف بكم الأرض أهلككم ، لم يبق منكم أحد ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ، ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث ^(٥) .

قول ثان ، قال ابن جرير وابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، سمعت خلاد بن سليمان يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ [فأما العذاب من فوقكم] فائمة السوء - ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ فخدم السوء ^(٦) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ عذاباً من فوقكم ﴾ يعني : أمراءكم ، ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ يعني : عبيدكم وسفلككم ^(٧) .

(٤) (ج ٤١٨/١١) وأثر الحسن حسن إليه ، المنذر صدوق وشيخه هو الحضرمي ثقة وأبو الأشهب هو جعفر بن حيان مشهور بكنيته .

(٥) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف وله أخوان عبد الله وأسامة ، وعبد الله أحسنهم حالاً ثم إن بين عبد الرحمن وابن مسعود المفاوز فهو معضل .

(٦) أما ابن جرير ففي التفسير (ج ٤١٧/١١) وأما ابن أبي حاتم ففي التفسير أيضاً وليس عندنا وهو ضعيف لأن فيه مجهولاً وهو عامر بن عبد الله اليحصبي قال المعلق على تفسير الطبري وأما عامر بن عبد الرحمن فإن البخاري وابن أبي حاتم ذكراه في ترجمة خلاد وذكر أنه سمع منه ولكني لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مراجع وهذا عجيب ؟؟؟ قلت : تصحف من عامر بن عبد الله فإنه كذلك في تهذيب الكمال وفيه أنه روى عن ابن عباس وعنه خلاد بن سليمان قال ابن أبي حاتم (ج ٣٢٦/٦) سمعت أبي يقول ذلك هكذا من غير جرح ولا تعديل وهكذا في الثقات لابن حبان ونبه المعلق هناك على أنه تصحف فالحمد لله رب العالمين .

(٧) في الطبري أيضاً من طريق كاتب الليث وهو ضعيف ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة .

وحكى ابن أبي حاتم ، عن أبي سنان وعمير بن هانيء ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير : وهذا القول وإن كان له وجه صحيح ، لكن الأول أظهر وأقوى .

وهو كما قال ابن جرير ، رحمه الله ، ويشهد له بالصحة قوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾ ، وفي الحديث : « ليكون في هذه الأمة قذف وخسف ومسح »^(٨) . وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراتها وظهور الآيات قبل يوم القيامة ، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ أو يلبسكم شيعاً ﴾ ، أي : يجعلكم ملتبسين شيعاً فرقاً متخالفين .

قال الوالبي ، عن ابن عباس : يعني الأهواء . وكذا قال مجاهد وغير واحد .

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة »^(٩) .

وقوله : ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : يعني يسلط بعضهم على بعض بالعذاب والقتل .

(٨) جاء هذا الحديث من طريق سبعة عشر صحابياً ولا تخلو طريق منها من مقال ولكن مجموعها يكون صالحاً وأكتفي بالإشارة إلى مواضع بعضها لمن أراد الوقوف عليها انظر سنن ابن ماجه (١٣٤٩/٢) والحبلى (ج ١٢١/٧) من حديث ابن مسعود وابن ماجه أيضاً والخطيب البغدادي في التاريخ (ج ٢٧٣/١٠) من حديث سهل بن سعد والترمذي (ج ٤٩٥/٤) من حديث عمران بن حصين وابن ماجه (ج ١٣٩٤/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص والترمذي (ج ٤٥٦/٤) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن طريق أخرى إليه (ص ٤٧٩) والإمام أحمد (ج ١٣٦/٢) من غير هذين الطريقين وأخرجه أحمد أيضاً (ج ٤٩٤/٤) من حديث علي بن أبي طالب والترمذي (ج ٤٩٥/٤) من حديث أبي هريرة وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (ج ١٤٥/٤) والطبراني في الكبير (ج ٨٣/٦) من حديث سعيد بن أبي راشد وهو في كشف الأستار أيضاً من حديث أنس بن مالك والطبراني في الكبير أيضاً (ج ٧٦/٢) من حديث أبي سعيد الخدري . والحمد لله رب العالمين .

(٩) الحديث بمجموع طرقه يصل إلى درجة الصحيح لغيره والله أعلم فقد رواه أبو داود (ج ٤/٥) والترمذي (ج ٢٥/٥) وابن ماجه (ج ١٣٢١/٢) وابن حبان كما في موارد الظمان (ص ٤٥٤) والإمام أحمد (ج ٣٣٢/٢) من المسند كلهم من حديث أبي هريرة وأخرجه أبو داود أيضاً (ج ٥/٥) من حديث معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين رضي الله عنه بسند حسن وأخرجه الترمذي (ج ٢٦/٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وفيه الألفي وهو ضعيف وأخرجه ابن ماجه (ج ١٣٢٢/٢) من حديث عوف بن مالك وفيه عباد بن يوسف وهو مقبول كما في التقريب قال في الزوائد : إسناده حديث عوف بن مالك فيه مقال إلخ .

قلت : ولا يضر لأنه في المتابعات والله أعلم .

وقوله : ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ ، أي : نبينها ونوضحها ونقرها ﴿ لعلهم يفقهون ﴾ ، أي : يفهمون ويتدبرون عن الله وآياته وحججه وبراهينه .

قال زيد بن أسلم : لما نزلت : ﴿ قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ ... الآية ، قال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف . » قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . قال : « نعم » . فقال بعض الناس : لا يكون هذا أبداً ، أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون .

فنزلت : ﴿ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون . وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل . لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾ ^(١) .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وَكَذَّبَ بِهِ
قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ٦٦ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٦٧ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٦٨ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ
مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذَكَرْتَهُمْ لَيَتَّقُونَ ٦٩

يقول تعالى : ﴿ وكذب به ﴾ ، أي : بالقرآن الذي جئتهم به ، والهدى والبيان . ﴿ قومك ﴾ يعني : قريشاً . ﴿ وهو الحق ﴾ ، أي : الذي ليس وراءه حق . ﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾ ، أي : لست عليكم بحفيظ ، ولست بموكل بكم كقوله : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ، أي : إنما على البلاغ ، وعليكم السمع والطاعة . فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة . ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال : ﴿ لكل نبأ مستقر ﴾ . قال ابن عباس وغير واحد : أي ، لكل نبأ حقيقة ، أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين ،

(١٠) مرسل وهو من قسم الضعيف لكن الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما - وهو قوله : « لا ترجعوا بعدي كفاراً » وليس فيه سبب نزول - من حديث جرير بن عبد الله البجلي ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما فالحمد لله .

كما قال ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ وقال : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ .

وهذا تهديد ووعيد أكيد ، ولهذا قال بعده ﴿ وسوف تعلمون ﴾ .

ثم قال : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ﴾ ، أي : بالتكذيب والاستهزاء ﴿ فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ ، أي : حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب ، ﴿ وإما ينسبك الشيطان ﴾ ، والمراد بهذا كل فرد من آحاد الأمة أن لا يجلسوا مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فإن جلس أحد منهم ناسياً ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ [بعد التذكر] ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ .

ولهذا ورد في الحديث : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »^(١١) .

وقال السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله : ﴿ وإما ينسبك الشيطان ﴾ ، قال : إن نسيته فذكرت فلا تجلس معهم . وكذا قال مقاتل بن حيان .

وهذه الآية هي المشار إليها في قوله : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ الآية : أي إنكم إذا جلستم معهم وأقررتهم على ذلك ، فقد ساويتهم في الذي هم فيه .

وقوله : ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ﴾ ، أي : إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك ، فقد برئوا من عهدهم ، وتخلصوا من إثمهم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، قوله : ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ﴾ ، قال : ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك ، أي : إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم .

وقال آخرون : بل معناه : وإن جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء . وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية ، وهي قوله : ﴿ إنكم إذا مثلهم ﴾ ، قاله مجاهد ، والسدي ، وابن جريج ، وغيرهم . وعلى قولهم يكون قوله : ﴿ ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ ، أي : ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حيثئذ تذكيراً لهم عما هم فيه ، لعلهم يتقون ذلك ، ولا يعودون إليه .

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا

(١١) الحديث صحيحه الألباني في إرواء الغليل وتقدم عند قوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ الآية وقال شيخنا حفظه الله : الحديث له طرق مجموعها يدل على ثبوته وأقل أحواله أن يكون حسناً والله أعلم .
تنبيه : هذا اللفظ ليس له ذكر في الأصول المعتمدة والذي فيها هو « إن الله وضع عن أمتي » .

وَلَهُوَ أَغْرَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ
لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا
أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى : ﴿ وذو الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ ، أي : دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلاً ، فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم . ولهذا قال : ﴿ وذكر به ﴾ ، أي : وذكر الناس بهذا القرآن ، وحذرهم نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة .

وقوله : ﴿ أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ ، أي : لتلا تبسل : قال الضحاك عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، والسدي : تبسل : تسلم .

وقال الوالي ، عن ابن عباس : تفضح .

وقال قتادة : تحبس . وقال مرة وابن زيد : تؤاخذ ، وقال الكلبي : تجازى .

وكل هذه العبارات متقاربة في المعنى ، وحاصلها الإسلام للهلكة ، والحبس عن الخير ، والارتهان عن درك المطلوب ، كما قال : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ إلا أصحاب اليمين .

وقوله : ﴿ ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ ، أي : لا قريب ولا أحد يشفع فيها ، كما قال : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ .

وقوله : ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ ، أي : ولو بذلت كل مبدول ما قبل منها كما قال : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ... ﴾ الآية . وهكذا قال هاهنا : ﴿ أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ .

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرْذِلْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعُونَ إِلَى الْهُدَىٰ وَإِنَّا لَنُؤْتِيهِمْ أَفْئِدَةً قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ
هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِلنُّسْكِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ

وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ عَمَامُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

قال السدي : قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا ، واتركوا دين محمد . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا ﴾ ، أي : في الكفر ﴿ بعد إذ هدانا الله ﴾ ، فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض ، يقول : مثلكم ، إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على طريق ، فضل الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته في الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون : « اتنا ، فإننا على الطريق » فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ ، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

رواه ابن جرير ^(١٢) .

وقال قتادة : ﴿ استهوته الشياطين في الأرض ﴾ ، أضلته في الأرض ^(١٣) ، يعني استهوته ، مثل قوله : ﴿ تهوي إليهم ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ... ﴾ الآية :

هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها ، والدعاة الذين يدعون إلى الله ، عز وجل ، كمثل رجل ضل عن الطريق تائهاً ضالاً ، إذ ناداه مناد : « يا فلان بن فلان ، هلم إلى الطريق » وله أصحاب يدعونه : « يا فلان ، هلم إلى الطريق » فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة ، وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق . وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان . يقول : مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله ، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت ، فيستقبل الهلكة والندامة . وقوله : ﴿ كالذي استهوته الشياطين في الأرض ﴾ ، هم «الغيلان» ، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده ، فيتبعها وهو يرى أنه في شيء ، فيصبح وقد ألقته في الهلكة ، وربما أكلته - أو تلقية في مضلة من الأرض ، يهلك فيها عطشاً ، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل ^(١٤) .

(١٢) (ج ٤٥٢/١١) وهو ضعيف إلى السدي فيه أسباط بن نصر مختلف فيه والراجح ضعفه .

(١٣) وهذا فيه أيضاً ورجاله ثقات وهو من قول قتادة .

(١٤) فيه علتان : ضعف أبي صالح كاتب الليث والانقطاع في رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم إنه مخالف =

رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : كالذي : ﴿ استهوته الشياطين في الأرض حيران ﴾ ، قال : رجل حيران يدعو أصحابه إلى الطريق ، وذلك مثل من يضل بعد أن هدى ^(١٥) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب ﴾ ، هو الذي لا يستجيب لهدى الله ، وهو رجل أطاع الشيطان ، وعمل في الأرض بالمعصية ، وجار على الحق وضل عنه ، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ، ويزعمون أن الذي يأمرونه هدى ، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس ، يقول : ﴿ إن الهدى هدى الله ﴾ ، والضلال ما يدعو إليه الجن ^(١٦) .

رواه ابن جرير ، ثم قال : وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه إلى ضلال ، ويزعمون أنه الهدى - قال : وهذا خلاف ظاهر الآية ، فإن الله أخبر أن أصحابه يدعونه إلى الهدى ، فغير جائز أن يكون ضلالاً ، وقد أخبر الله أنه هدى ^(١٧) .

وهو كما قال ابن جرير ، وكان سياق الآية يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، وهو منصوب على الحال ، أي : في حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة ، وله أصحاب على المحجة سائرون ، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثل وتقدير الكلام ، فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم ، ولو شاء الله لهداه ، ولرد به إلى الطريق . ولهذا قال : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ ، كما قال : ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾ ، وقال : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ﴾ ، وقوله : ﴿ وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ ، أي نخلص له العبادة وحده لا شريك له .

﴿ وأن أقيموا الصلاة واتقوه ﴾ ، أي : وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال ، وهو الذي إليه تحشرون ﴾ ، أي : يوم القيامة .

﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ﴾ ، أي : بالعدل ، فهو خالقهما ومالكهما ، والمدير لهما ولمن فيهما .

وقوله : ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ ، يعني يوم القيامة ، الذي يقول الله : « كن » فيكون عن أمره كلمح البصر ، أو هو أقرب .

= لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا غول » .

(١٥) سنده حسن ورواية ابن أبي نجيح للتفسير عن مجاهد من طريق القاسم بن أبي بزة وهو ثقة والأثر عند الطبري (ج ١١ / ٤٥٣) .

(١٦) ضعيف لأنه من طريق العوفيين وقد تقدم الكلام عليهم .

(١٧) (ج ١١ / ٤٥٤) .

« ويوم » منصوب إما على العطف على قوله : ﴿ واتقوه ﴾ ، وتقديره : واتقوا يوم يقول كن فيكون . وإما على قوله : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ ، أي : وأخلق يوم يقول كن فيكون . فذكر بدء الخلق وإعادته ، وهذا مناسب ، وإما على إضمار فعل تقديره : واذكر يوم يقول كن فيكون . وقوله : ﴿ قوله الحق ، وله الملك ﴾ جملتان محلها الجر ، على أنهما صفتان لرب العالمين . وقوله : ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من قوله : ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ ، ويحتمل أن يكون ظرفاً لقوله : ﴿ وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ ، كقوله : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ ، وكقوله : ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴾ وما أشبه ذلك .

واختلف المفسرون في قوله : ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ فقال بعضهم : المراد بالصور هاهنا جمع « صورة » أي : يوم ينفخ فيها فتحيا .

قال ابن جرير : كما يقال - لسور البلد - هو جمع سورة .

والصحيح أن المراد بالصور « القرن » الذي ينفخ فيه إسماعيل عليه السلام ، قال ابن جرير : والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن إسماعيل قد التقم الصور وحتى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ »^(١٨) .

وقال الإمام أحمد^(١٩) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أسلم العجلي ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » .

وقد روينا حديث الصور بطوله ، من طريق الخافض أبي القاسم الطبراني ، في

(١٨) الحديث رواه الترمذي (ج ٤ / ٦٢٠) و (ج ٥ / ٣٧٢) وابن ماجه (ج ٢ / ١٤٢٨) وأحمد (ج ٣ / ٧) و (ج ٤ / ٣٧٤) وعبد بن حميد حديث رقم (٨٨٦) وابن حبان (ج ٢ / ٩٥) من الإحسان والحميدي حديث (٧٥٤) والحاكم (ج ٤ / ٥٥٩) وأبو يعلى وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور والضيء في المختارة كما في تخریج أحاديث الإحياء (ج ٦ / ٢٦٦٦) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري من رواية عطية عند بعضهم ومن رواية أبي صالح عند آخرين وجاء من حديث ابن عباس وزيد بن أرقم وأنس وجابر والبراء كما في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني حفظه الله فالذي يظهر أن الحديث صحيح لغيره بمجموع هذه الطرق وفي بعض الروايات أن النافخ هو إسماعيل لكنها ضعيفة كما في تخریج أحاديث الإحياء أيضاً .

(١٩) في المسند (ج ١٠ / ٩) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله و (ج ١١ / ٥٨) من طريق يحيى بن سعيد عن التيمي به . وقال المحقق : صحيح وهو كما قال ورواه أبو داود (ج ٥ / ٥٠٧) من حديث مسدد عن معتمر عن أبيه به والترمذي (ج ٥ / ٣٧٣) من طريق أحمد بن منيع عن إسماعيل بن إبراهيم عن سليمان التيمي به .

كتابه « الطوالات » قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو في طائفة من أصحابه ، فقال : « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصور فأعطاه إسرافيل ، فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر » . قلت : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : « القرن » . قلت : كيف هو ؟ قال : « عظيم ، والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات : النفخة الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ . فينفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره فيدعيها ويطيئها ولا يفتر » ، وهي كقول الله : ﴿ ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴾ فيسير الله الجبال ، فتمر مر السحاب فتكون سراباً .

ثم ترتج الأرض بأهلها رجة فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش ، ترججه الرياح ، وهي التي يقول : ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة ﴾ ، فيميد الناس على ظهرها ، وتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة من الفزع ، حتى تأتي الأفطار ، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ، ينادي بعضهم [بعضاً] ، وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ يوم التناد ﴾ .

فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك [من] الكرب والهول ما الله به عليم ، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالملهل ، ثم انشقت فانثرت نجومها ، وانخسفت شمسها وقمرها . قال رسول الله ﷺ : « الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك » . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، من استثنى الله عز وجل حين يقول : ﴿ ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ؟ قال : « أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند الله يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم ، وآمنهم منه ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه » ، قال : وهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ ، فيكونون في ذلك العذاب ما شاء الله ، إلا أنه يطول .

ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ، فينفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا هم قد خمدوا ، وجاء ملك الموت إلى الجبار ، عز وجل ، فيقول : يا رب ، قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت . فيقول الله - وهو أعلم بمن بقي - : فمن بقي ؟ فيقول : يا رب ، بقيت أنت الحي الذي لا تموت ،

وبقيت حملة العرش ، وبقي جبريل وميكائيل ، [وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل] . فينطق الله العرش فيقول : يا رب ، يموت جبريل وميكائيل !! فيقول : اسكت ، فأني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي ، فيموتان . ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول : يا رب ، قد مات جبريل وميكائيل . فيقول الله - وهو أعلم بمن بقي - : فمن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحي الذي لا تموت ، وبقيت حملة عرشك [وبقيت أنا] . فيقول الله : ليمت حملة عرشي فيموتوا ، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرئيل ، ثم يأتي ملك الموت . فيقول : يا رب ، قد مات حملة عرشك . فيقول الله - وهو أعلم بمن بقي - : فمن بقي ؟ فيقول : يا رب ، بقيت أنت الحي الذي لا تموت ، وبقيت أنا . فيقول الله : أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما رأيت ، فمت . فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، كان آخراً كما كان أولاً ، طوى السموات والأرض طي السجل للكتب ، ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ، ثم يقول : أنا الجبار ، أنا الجبار ، أنا الجبار ، ثلاثاً . ثم هتف بصوته : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ، ثلاث مرات ، فلا يجيبه أحد ، ثم يقول لنفسه : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ ، يقول الله : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ ، فيسطهما ويسطحهما ، ثم يدهما مد الأديم العكاظي ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ .

ثم يزجر الله الخلق زجرة ، فإذا هم في هذه [الأرض] المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى ، من كان في بطنها كان في بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ، ثم ينزل الله عليه ماءً من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء [أن] تمطر ، فتمطر أربعين يوماً ، حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائث - أو : كنبات البقل - حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت ، قال الله عز وجل : ليحي حملة عرشي . فيحيون ، ويأمر الله إسرئيل فيأخذ الصور ، فيضعه على فمه ، ثم يقول : ليحي جبريل وميكائيل . فيحييان ، ثم يدعو الله الأرواح ، فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً ، وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقها في الصور .

ثم يأمر الله إسرئيل أن ينفخ نفخة البعث ، [فينفخ نفخة البعث] ، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول : وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ، فتدخل في الحياشيم ، ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللدغ ، ثم تنشق الأرض عنكم ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون ، ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ حفاة عراة غرلاً ، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً ، لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم [العرق] ، أو يبلغ الأذقان ، وتقولون : من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا ؟ فتقولون : من أحق بذلك من أيكم آدم ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلاً ، فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه فيأبى ، ويقول : ما أنا بصاحب ذلك . فيستقرئون

الأنبياء نبياً نبياً ، كلما جاءوا نبياً أبي عليهم قال رسول الله ﷺ : حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجداً قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الفحص ؟ قال : « قدام العرش حتى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدي ، فيرفعني ، فيقول لي : يا محمد ، فأقول : نعم يا رب . فيقول الله عز وجل : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، فأقول : يا رب ، وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك ، فاقض بينهم . قال : قد شفعتك ، أنا آتيكم أقضي بينكم .

قال رسول الله ﷺ : فأرجع فأقف مع الناس ، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً ، فها لنا فنزل أهل السماء [الدنيا] بمثلي من في الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربنا قالوا : لا ، [وهو آت . ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة ، وبمثلي من فيها من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا ، وهو آت] .

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ، ويحمل عرشه يومئذ ثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم في تخوم الأرض السفلى ، والأرض والسموات إلى حوزتهم ، والعرش على مناكبهم ، لهم زجل في تسبيحهم ، يقولون : سبحان ذي العرش والجبروت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبحان قدوس قدوس قدوس ، سبحان ربي الأعلى ، رب الملائكة والروح ، سبحان ربي الأعلى ، الذي يميت الخلائق ولا يموت . فيضع الله كرسیه حيث يشاء من أرضه ، ثم يهتف بصوته : يا معشر الجن والإنس ، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا ، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم ، [فأنصتوا إلي ، فإنما هي أعمالكم] وصحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ثم يأمر الله جهنم ، فيخرج منها عنق ساطع . ثم يقول : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ [أو : بها تكذبون -] شك أبو عاصم [﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فيميز الله الناس وتجثوا الأُمم يقول الله تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ فيقضي الله عز وجل بين خلقه ، إلا الثقلين الجن والإنس ، فيقضي بين الوحش والبهائم ، حتى إنه ليقضي للجما من ذات القرن ، فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله : كوني تراباً . فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ يا ليتني كنت تراباً ﴾ .

ثم يقضي الله بين العباد ، فكان أول ما يقضي فيه الدماء ، ويأتي كل قتيل في سبيل الله

عز وجل ، ويأمر الله كل قتيل فيحمل رأسه تشخب أوداجه يقول : يا رب ، فم قتلني هذا ؟ فيقول وهو أعلم - : فم قتلتم ؟ فيقول : قتلتم لتكون العزة لك . فيقول الله له : صدقت . فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة .

ويأتي كل من قتل غير ذلك يحمل رأسه تشخب أوداجه ، فيقول : يا رب ، قتلني هذا . فيقول - وهو أعلم - : لم قتلتم ؟ فيقول : يا رب ، قتلتم لتكون العزة لك ولي . فيقول : تعست . ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها . وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه .

ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها للمظلوم من الظالم ، حتى أنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه إلى إن يخلص اللبن من الماء .

فإذا فرغ الله من ذلك ناد مناد يسمع الخلائق كلهم . إلا ليلحق كل قوم بآلهم [وما كانوا يعبدون من دون الله . فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز ، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم . ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصراني ، ثم قادتهم آلهتهم] إلى النار . وهو الذي يقول : ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون ﴾ .

فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون ، جاءهم الله فيما شاء من هيئته ، فقال : يا أيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله ، وما كنا نعبد غيره [فينصرف عنهم ، وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره [فيكشف لهم عن ساقه ، ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه زبهم ، فيخرون سجداً على وجوههم ، ويخر كل منافق على قفاه ، ويجعل الله أصلاهم كصياصي البقر . ثم يأذن الله لهم فيرفعون ، ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة - أو : كحد السيف - عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان ، دونه جسر دحض مزلة ، فيمرون كطرف العين ، أو كلمح البرق ، أو كمر الريح ، أو كجياذ الخيل ، أو كجياذ الركاب ، أو كجياذ الرجال . فجاج سالم ، ونجاج مخدوش ، ومكردس على وجهه في جهنم .

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة فيقولون : من أحق بذلك من أيكم آدم عليه السلام ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلاً ؟ فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بنوح ، فإنه أول رسل الله . فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه . فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول : عليكم إبراهيم ، فإن الله اتخذ خليلاً . فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب

ذلك ، ويقول : عليكم بموسى فإن الله قربه نجياً ، وكلمه وأنزل عليه التوراة . فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : لست بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم . فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه ، فيقول : ما أنا بصاحبكم ، ولكن عليكم بمحمد - قال رسول الله ﷺ : « فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات فأنتلق فآتي الجنة ، فأخذ بحلقة الباب ، فأستفتح [فيفتح] لي فأحیی ويرحب بي . فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجداً ، فيأذن الله لي بحمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول : ارفع [رأسك] ، يا محمد ، واشفع تشفع ، وسل تعطه . فإذا رفعت رأسي يقول الله - وهو أعلم - : ما شأنك ؟ فأقول : يارب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة » .

وكان رسول الله ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله عز وجل ، واثنتين آدميتين من ولد آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، لعبادتهما الله في الدنيا . فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة ، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق ، ثم إنه يضع يده بين كتفها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها ، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر [أحدكم إلى] السلك في قصبة الياقوت ، كبدها له امرأة وكبدها لها امرأة . فيينا هو عندها لا يملها ولا تمل ، ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره ، وما تشتكي قبلها . فيينا هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن لك أزواجاً غيرها . فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما أتى واحدة قالت : والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك .

وإذا وقع أهل النار في النار ، وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز [ذلك] ، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من تأخذ جسده كله ، إلا وجهه حرم الله صورته عليها - قال رسول الله ﷺ : [فأقول] : يا رب ، من وقع في النار من أمتي . فيقول : أخرجوا من عرفتم ، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد . ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع ، فيقول الله : أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيماناً . فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد . ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من في قلبه إيماناً ثلثي دينار . ثم يقول : ثلث دينار . ثم يقول : ربع دينار . ثم يقول : قيراطاً . ثم يقول : حبة من خردل . فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم [أحد] ، وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيراً قط ، ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع - حتى إن إبليس ليتناول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له - ثم يقول : بقيت وأنا أرحم الراحمين . فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره ، كأنهم حمم ، فيلقون على نهر يقال له : نهر الحيوان ،

فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ما يلقي الشمس منها أخضر ، وما يلي الظل منها أصفر ، فينبتون كنبات الطرائث ، حتى يكونوا أمثال الذر ، مكتوب في رقابهم : « الجهنميون عتقاء الرحمن » يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ، ما عملوا خيراً لله قط . فيمكثون في الجنة ما شاء الله ، وذلك الكتاب في رقابهم ، ثم يقولون : ربنا امح عنا هذا الكتاب . فيمحوه الله عز وجل عنهم ^(٢٠) .

هذا حديث ، وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة . تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة ، وقد اختلف فيه ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة ، كأحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وعمر بن علي الفلاس ، ومنهم من قال فيه : هو متروك . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها فيها نظر ، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء .

قلت : وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ، قد أفردتها في جزء على حدة ، وأما سياقه فغريب جداً ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة ، وجعله سياقاً واحداً ، فأنكر عليه بسبب ذلك . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول : إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ، فالله أعلم .

* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

لِأَبِيهِ إِذْ رَأَيْتَنِي أَخَذْتُ صَنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٧٤
وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَهُدْيِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٧٧
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقِيمُ رَبِّي بِرِيٍّ مِمَّا تَشْكُرُونَ ٧٨

(٢٠) الحديث أخرجه الطبراني (ج ٢٥ / ٢٦٦) من معجمه الكبير وفيه أحمد بن الحسن النحوي الأبلبي وأخرجه الطبري في عدة مواضع من تفسيره مختصراً ومطولاً وكذا المؤلف أيضاً في كتابه النهاية (ج ١ / ٤١٣ - ٢٢٤) ورواه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص ٣٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (ج ٣ / ٨٢١) و (٨٣٧) كلهم من طريق إسماعيل بن رافع ، والحافظ ابن كثير قد شفى وكفى في حكمه على هذا الحديث فرحمه الله وأكثر من أمثاله .

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(٧٩)

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، إنما كان اسمه تارح .
رواه ابن أبي حاتم .

وقال أيضا : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو عاصم شبيب ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ يعني بآزر : الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تارح وأمه اسمها مثاني وامرأته اسمها سارة ، وأم إسماعيل اسمها هاجر ، وهي سرية إبراهيم .

وهكذا قال غير واحد من علماء النسب : إن اسمه تارح .

وقال مجاهد والسدي : آزر : اسم صنم .

قلت : كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم ، فالله أعلم .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : هو سب وعيب بكلامهم ، ومعناه : معوج ، ولم يسنده ولا حكاه عن أحد .

وقد قال ابن أبي حاتم : ذكر عن معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقرأ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ [قال] : بلغني أنها أعوج ، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام .

ثم قال ابن جرير : والصنوب أن اسم أبيه آزر . ثم أورد عن نفسه قول النساين أن اسمه تارح ، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان ، كما لكثير من الناس ، أو يكون أحدهما لقباً . وهذا الذي قاله جيد قوي ، والله أعلم .

واختلف القراء في أداء قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ ، فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني أنهما كانا يقرآن : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرُ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ ، معناه : يا آزر أتتخذ أصناماً آلهة .

وقرأ الجمهور بالفتح ، إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف ، وهو بدل من قوله ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ ، أو عطف بيان ، وهو أشبه .

وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كأحمر وأسود .

فأما من زعم [أنه] منصوب لكونه معمولاً لقوله : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ﴾ ، تقديره : يا أبت ، أتتخذ آزر أصناماً آلهة - فإنه قول بعيد في اللغة ، لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما

قبله ، لأن له صدر الكلام ، كذا قرره ابن جرير وغيره . وهو مشهور في قواعد العربية . والمقصود أن إبراهيم عليه السلام وعظ أباه في عبادة الأصنام ، وزجره عنها ، ونهاه فلم ينته ، كما قال : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة ؟ ﴾ ، أي : أتأله لصنم تعبد من دون الله ، ﴿ إني أراك وقومك ﴾ ، أي : السالكين مسلكك ﴿ في ضلال مبين ﴾ ، أي : تائهين لا يهتدون أين يسلكون ، بل في حيرة وجهل ، وأمركم في الجهالة والضلال [بين واضح] لكل [ذي] عقل صحيح .

وقال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيّاً . إذ قال لأبيه : يا أبت ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً . يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً . قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً . قال : سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً ﴾ ، فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته ، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له ، وتبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .

وثبت في الصحيح : أن إبراهيم يلقي أباه آزر يوم القيامة فيقول له أبوه : يا بني ، اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : أي رب ، ألم تعدني أنك لا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أي الأبعد ؟ فيقال : يا إبراهيم ، انظر ما وراءك .

فإذا هو بذبح متلطف فيؤخذ بقوائمه ، فيلقى في النار^(٢١) .

وقوله : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ ، أي : نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه ، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه ،

(٢١) أي صحيح البخاري (ج ٣٨٧/٦) من حديث أبي هريرة وهو أيضاً عنده في التفسير (ج ٤٩٩/٨) تعليقاً قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وصله النسائي عن أحمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان وساق الحديث بتمامه إلى آخره .

قلت : وهو من الأحاديث المنتقدة لكن لم يتم الانتقاد وهو أنه روى عن سعيد المقبري عن أبي هريرة وعن سعيد المقبري أيضاً عن أبيه عن أبي هريرة وذكر شيخنا حفظه الله تعالى في التعليق على الإلزامات والتبعية عن الحافظ في الفتح قوله : وسعيد قد سمع من أبي هريرة وسمع من أبيه عن أبي هريرة فلعل هذا مما سمعه من أبيه عن أبي هريرة ثم سمعه من أبي هريرة أو سمعه من أبي هريرة مختصراً ومن أبيه عنه تاماً إلى آخره . قال صاحب النهاية في غريب الحديث والأثر : الذبح : ذكر الضباع والأنتى ذبيحة وأراد بالتلطخ : التلطيح برجعية أو بالطين كما في الحديث الآخر وبذبح أمدر أي متلطيخ بالمدر .

كقوله : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ .

فأما ما حكاه ابن جرير وغيره ، عن مجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وغيرهم قالوا - واللفظ لمجاهد - : فرجت له السموات ، فنظر إلى ما فيهن ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع ، فنظر إلى ما فيهن - وزاد غيره - : فجعل ينظر إلى العباد على المعاصي فيدعو عليهم ، فقال الله له : إني أرحم بعبادي منك ، ولعلهم أن يتوبوا ويراجعوا . وقد روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين ، عن معاذ ، وعلي ، ولكن لا يصح إسنادهما والله أعلم . وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمَوْقِنِينَ ﴾ فإنه تعالى جَلَّ لَهُ الْأَمْرُ سره وعلا نيته ، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق ، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب^(٢٢) قال الله : إنك لا تستطيع هذا . فردده كما كان من قبل ذلك - فيحتمل أن يكون هذا كشف له عن بصره ، حتى رأى ذلك عياناً ، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه ، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة ، كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام : « أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملائ الأعلی ؟ فقلت : لا أدري يارب ، فوضع كفه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين يدي ، فتجلى لي كل شيء وعرفت ... » وذكر الحديث^(٢٣) .

وقوله : ﴿ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمَوْقِنِينَ ﴾ ، قيل : « الواو » زائدة ، تقديره : وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين ، كقوله : ﴿ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

وقيل : بل هي على بابها ، أي : نريد ذلك ليكون عالماً وموقناً .

(٢٢) قوله فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ظاهره يخالف كثيراً من أدلة الكتاب والسنة فمن ذلك قول إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (ج ٤ / ٢٠٠٥) : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً » . وهو في مسند أحمد (ج ٢ / ٣٣٧) و (ص ٣٦٦) .

(٢٣) ذكر المصنف هذا الحديث بسنده عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ثم قال الحافظ المصنف فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط .

قلت : وللحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك جزء قيم جداً سماه اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائ الأعلی وعليها تعليق مفيد للأخ الفاضل جاسم الفهيد الدوسري وجزى الله الجميع خيراً .

وقوله : ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ ، أي : تغشاه وستره ﴿ رأى كوكباً ﴾ ، أي : نجماً ، ﴿ قال هذا ربي فلما أفل ﴾ ، أي : غاب . قال محمد بن إسحاق بن يسار : « الأفول » الذهاب . وقال ابن جرير : يقال : أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً وأفلاً : إذا غاب ، ومنه قول ذي الرمة :

مصاييح ليست باللواقى تقودها نُجُومٌ ، ولا بالآفلات الدَّوالك
ويقال: أين أفلت عنا ؟ ، بمعنى : أين غبت عنا ؟ .

قال : ﴿ لا أحب الأفلين ﴾ ، قال قتادة : علم أن ربه دائم لا يزول ، ﴿ فلما رأى القمر بازغاً ﴾ ، أي : طالماً ﴿ قال : هذا ربي . فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ﴾ ، أي : هذا المنير الطالع ربي ﴿ هذا أكبر ﴾ ، أي : جرمًا من النجم ومن القمر ، وأكثر إضاءة ﴿ فلما أفلت ﴾ ، أي : غابت ﴿ قال : يا قوم : إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهي ﴾ ، أي : أخلصت وأفردت عبادتي ﴿ للذي فطر السموات والأرض ﴾ ، أي : خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿ حنيفاً ﴾ ، أي : في حال كوني حنيفاً ، أي : مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام ، هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن [أبي] طلحة ، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله : ﴿ لئن لم يهدي ربي ... ﴾ الآية .

وقال محمد بن إسحاق : قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه ، حين تخوف عليه الثرود بن كنعان ، لما أن قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكك على يديه ، فأمر بقتل الغلمان عامئذ . فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ، ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد ، فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك . وذكر أشياء من خوارق العادات ، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف .

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه ، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية ، التي هي على صورة الملائكة السماوية ، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر ، وغير ذلك مما يحتاجون إليه . وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل ، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة ، وهي : القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل . وأشدن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ، ثم القمر ، ثم الزهرة . فبين أولاً أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية ، لأنها مسخرة مقدرة بسير معين ، لا تزيف عنه مبيناً ولا شمالاً ، ولا تملك لنفسها تصرفاً ، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة ، لما له في ذلك من الحكم العظيمة ، وهي تطلع من المشرق ، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال .

ومثل هذه لا تصلح للإلهية . ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما تقدم في النجم . ثم انتقل إلى الشمس كذلك ، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار ، وتحقق ذلك بالدليل القاطع ﴿ قال : يا قوم إني بريء مما تشركون ﴾ ، أي : أنا بريء من عبادتهم ومولاتهم ، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعاً ثم لا تنظرون ، ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ ، أي : إنما أعبد خالق الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وخالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه ، كما قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ . وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً في هذا المقام ، وهو الذي قال الله في حقه : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ الآيات ، وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إني هداي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين^(٢٤) ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل مولود يولد على الفطرة » . وفي صحيح مسلم^(٢٥) عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء » . وقال الله في كتابه العزيز : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ﴾ . ومعناه على أحد القولين ، كقوله : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ كما سيأتي بيانه .

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله الله ﴿ أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ - ناظراً في هذا المقام ؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة ، والسجدة المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب . ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً قوله تعالى :

(٢٤) البخاري (ج ٣ / ٢١٩) و (ج ٨ / ٥١٢) و (ج ١١ / ٤٩٣) ومسلم (ج ٤ / ٢٠٤٧) ورواه الترمذي (ج ٤ / ٤٤٧) وأبو داود (ج ٥ / ٨٦) والإمام أحمد في مسنده (ج ٢ / ٢٣٣ و ٢٧٥ و ٢٨٢ و ٢٩٣ و ٤١٠ و ٤٨١) وأبو داود الطيالسي حديث (٢٣٥٩) ورواه أحمد أيضاً (ج ٣ / ٣٥٣) من حديث جابر بن عبد الله بسند حسن .

(٢٥) (ج ٤ / ٢١٩٧) من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض به وعزاه الحافظ المزي إلى النسائي في الكبرى عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه ، ورواه أحمد (ج ٤ / ١٦٢) من المسند ، وأبو داود الطيالسي حديث (١٠٧٩) .

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَنُفِكَ جَحِشُهَا إِنْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى : وجادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد ، وناظروه بشبهه من القول - قال : ﴿ أتُحاجوني في الله وقد هدان ﴾ ، أي : تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو ، وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه ؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة !؟ .

وقوله : ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ﴾ ، أي : ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً ، وأنا لا أخافها ولا أباليها ، فإن كان لها صنع فكيدوني بها ولا تنظرون ، بل عاجلوني بذلك .

وقوله : ﴿ إلا أن يشاء ربي شيئاً ﴾ استثناء منقطع ، أي : لا يضر ولا ينفع إلا الله ، عز وجل .

﴿ وسع ربي كل شيء علماً ﴾ ، أي : أحاط علمه بجميع الأشياء ، فلا تخفى عليه خافية .

﴿ أفلا تذكرون ﴾ ، أي : فيما بينته لكم فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة ، فتزجروا عن عبادتها ؟ وهذه الحجة نظير ما احتج به نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد ، فيما قص عنهم في كتابه ، حيث يقول : ﴿ قالوا : يا هود ، ما جئنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال : إني أشهد الله ، واشهدوا أي بريء مما تشركون من دونه ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ ، أي : كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدون من دون الله ﴿ ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ﴾ ؟ قال ابن عباس

وغير واحد من السلف : أي حجة . وهذا كما قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ . وقال : ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ . وقوله : ﴿ فأبي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ ، أي : فأبي الطائفتين أصوب ؟ الذي عبد من يده الضر والنفع ، أو الذي عبد ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل ، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة ؟ قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ، أي : هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة ، المهتدون في الدنيا والآخرة .

قال البخاري^(٢٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ ، قال أصحابه : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على الناس ، وقالوا : يا رسول الله ، فأينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « إنه ليس الذي تعنون ! ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ يا بني ، لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ، إنما هو الشرك »^(٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ليس كما تظنون ، إنما قال لابنه : ﴿ يا بني ، لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ »^(٢٨) .

وحدثنا عمر بن شبة الثمري ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ ، قال : « بشرك »^(٢٩) .

قال : وروي عن أبي بكر الصديق ، وعمر ، وأبي بن كعب ، وسلمان ، وحذيفة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعمر بن شرحبيل ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، ومجاهد ، وعكرمة ، والنخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي نحو ذلك .

(٢٦) (ج ٢٩٤/٨) من صحيحه ومسلم (ج ١١٤/١) .

(٢٧) صحيح وهو في المسند (ج ٣٧٨/١) .

(٢٨) صحيح أيضاً وابن إدريس هو عبد الله الأودي وربما التبس بابن إدريس الشافعي محمد بن إدريس .

(٢٩) عمر بن شبة يحسن حديثه وشيخه ثقة إلا أنه يخطيء في حديث الثوري ولا ضير هنا لأنه قد وافق الثقات ، والله أعلم .

وقال ابن مردويه : حدثنا الشافعي ، حدثنا محمد بن شداد المسمعي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « قيل لي : أنت منهم »^(٣٠) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا أبو جناب ، عن زاذان ، عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله ﷺ : « كأن هذا راكب إياكم يريد » فأنتهى إلينا الرجل ، فسلم فرددنا عليه ، فقال له النبي ﷺ : « من أين أقبلت ؟ » قال : من أهلي وولدي وعشيرتي . قال : « فأين تريد ؟ » قال : أريد رسول الله . قال : « فقد أصبته » . قال : يا رسول الله ، علمني ما الإيمان ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » . قال : قد أقررت . قال : ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جردان^(٣١) ، فهوى بعيره وهوى الرجل ، فوقع على هامته فمات . فقال النبي ﷺ : « علي بالرجل » . فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه ، فقالا : يا رسول الله ، قبض الرجل ! قال : فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ : « أما رأيكما إعراضي عن الرجل ، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعاً » . ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا من الذين قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾ الآية » . ثم قال : « دونكم أخاكم » . قال : فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه ، وحملناه إلى القبر ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال : « ألدوا ولا تشقوا ، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا »^(٣٢) .

ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر ، عن عبد الحميد بن جعفر الفراء ، عن ثابت ، عن زاذان ، عن جرير بن عبد الله ، فذكر نحوه - وقال فيه : هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً^(٣٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا مهزبان بن أبي عمر ، حدثنا علي بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره ، إذ عرض له أعرابي فقال : يا رسول الله : والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك ، وآخذ من قولك ، وما بلغت حتى ما لي طعام إلا من خضر الأرض ، فأعرض علي . فعرض عليه رسول الله ﷺ ، فقبل . فازدحمتا حوله ، فدخل خف بكره في بيت جردان ، فتردى الأعرابي ، فانكسرت عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « صدق والذي بعثني بالحق » ، لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي ، وما بلغني

(٣٠) ضعيف من هذا الوجه لضعف المسمعي فإنه جمع بين الضعف والاعتزال وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣١) الجرذان يقول ابن الأثير : جمع جرد وهو الذكر الكبير من الفأر . النهاية .

(٣٢) الحديث في المسند (ج ٤ / ٣٥٩) وهو ضعيف لضعف أبي جناب وهو يحيى بن أبي حية الكلبي .

(٣٣) في المسند أيضاً وثابت هو ابن أبي صفية أبو حمزة ضعيف . رافضي .

حتى ما له طعام إلا من خضر الأرض ، أسمعتم بالذي عمل قليلاً وأجر كثيراً ؟ هذا منهم ! أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم ^(٣٤) .

وقوله : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ ، أي : وجهنا حجته على قومه .

قال مجاهد وغيره : يعني بذلك قوله : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن ... ﴾ الآية ، وقد صدقه الله ، وحكم له بالأمن والهداية فقال : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ، ثم قال بعد ذلك كله : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾ .

قرئء بالإضافة وبلا إضافة ، كما في سورة يوسف ، وكلاهما قريب في المعنى .

وقوله : ﴿ إن ربك حكيم عليم ﴾ ، أي : حكيم في أفعاله وأقواله ﴿ عليم ﴾ ، أي بمن يهديه ومن يضلّه ، وإن قامت عليه الحجج والبراهين ، كما قال : ﴿ إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ إن ربك حكيم عليم ﴾ .

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ
مِّنَ الصَّالِحِينَ ٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا
عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٧ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨
أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْتِمْ الْكُتُبُ وَالْحُكْمُ وَالنُّبُوَّةُ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ

(٣٤) ضعيف من هذا الوجه لأن فيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وفي الجرح عن أحمد ضعيف الحديث وقال ابن معين : ليس بذلك .

فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق ، بعد أن طعن في السن ، وأيس هو وامرأته « سارة » من الولد ، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط ، فبشروهما بإسحاق ، فتعجبت المرأة من ذلك ، وقالت : ﴿ يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ . وبشروه مع وجوده بنبوته ، وبأن له نسلًا وعقبًا ، كما قال : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين ﴾ وهذا أكمل في البشارة ، وأعظم في النعمة . وقال : ﴿ وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ ، أي : ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما ، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده ، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب . ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم « يعقوب » ، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية ، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض ، فعوضه الله عز وجل ، عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه ، تقر بهم عينه ، كما قال : ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ، وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ﴾ .

وقوله : ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾ ، أي : من قبله ، هديناه كما هديناه ، ووهبنا له ذرية صالحة ، وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به - وهم الذين صحبوه في السفينة - جعل الله ذريته هم الباقين ، فالناس كلهم من ذرية نوح ، وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام لم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته ، كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجبيننا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ .

وقوله في هذه الآية الكريمة : ﴿ ومن ذريته ﴾ ، أي : وهدينا من ذريته ﴿ داود وسليمان ... ﴾ الآية . وعود الضمير إلى « نوح » لأنه أقرب المذكورين ، ظاهر . وهو اختيار ابن جرير ، ولا إشكال عليه . وعوده إلى « إبراهيم » لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل على ذلك « لوط » ، فإنه ليس من ذرية « إبراهيم » ، بل هو ابن (أخيه) ماران بن آزر ؛ اللهم إلا أن يقال : إنه دخل في الذرية تغليباً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً

واحداً ونحن له مسلمون ﴿٨٤﴾ ، فإسماعيل عمه ، ودخل في آبائه تغليياً .

وفي ذكر « عيسى » عليه السلام في ذرية « إبراهيم » أو « نوح » على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال ، لأن « عيسى » عليه السلام إنما ينسب إلى « إبراهيم » عليه السلام بأمه « مريم » عليها السلام ، فإنه لا أب له .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا سهل بن يحيى العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا علي بن عباس ، عن عبد الله بن عطاء المكي ، عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ ، تجده في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ ، حتى بلغ ﴿ ويحيى وعيسى ﴾ ؟ قال : بلى . قال : أليس [عيسى] من ذرية إبراهيم ، وليس له أب ؟ قال : صدقت ^(٣٥) .

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته ، أو وقف على ذريته أو وهبهم ، دخل أولاد البنات فيهم ، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه ، واحتجوا بقول الشاعر العربي :

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنات فيهم [أيضاً] ، لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين » ^(٣٦) فسماه ابناً ، فدل على دخوله في الأبناء .

وقال الآخرون : هذا تجوز .

وقوله : ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴾ ذكر أصولهم وفروعهم . وذوي طبقتهم ، وأن الهداية والاجتماع شملهم كلهم ، ولهذا قال ﴿ واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴾ .

ثم قال : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ أي : إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم ، ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ ، تشديد لأمر الشرك ، وتغليظ لشأنه ، وتعظيم لملاسته ، كما قال : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ... ﴾ الآية . وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع ، كقوله : ﴿ قل :

(٣٥) ضعيف لضعف علي بن عباس وشيخه صدوق يخطيء ويدلس .

(٣٦) (ج ٣٠٦/٥) و (ج ٦٢٨/٦) و (٩٤/٧) و (ج ٦١/١٣) ورواه أبو داود (ج ٤٨/٥) والترمذي (ج ٦٥٨/٥) كلهم من حديث أبي بكرة نفع بن الحارث وقال البخاري عقب الحديث : قال لي علي بن عبد الله : إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث .

إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ، كقوله : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ، وكقوله : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

وقوله : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾ ، أي : أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد ، ولطفاً منا بالخلقة ، ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ ، أي : بالنبوة . ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الأشياء الثلاثة : الكتاب ، والحكم ، والنبوة .

وقوله : ﴿هُؤُلَاءِ﴾ يعني : أهل مكة ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والضحاك وقتادة ، والسدي ، ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾ ، أي : إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض ، من عرب وعجم ، ومليين وكتائبين - فقد وكلنا بها قوماً آخرين ، يعني : المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ، ﴿لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾ ، أي : لا يمجّدون شيئاً منها ، ولا يردون منها حرفاً واحداً ، بل يؤمنون بها جميعاً : محكمها ومتشابهها ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه .

ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ : ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ، يعني : الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ ، أي : هم أهل الهداية لا غيرهم ، ﴿فَبَهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ ، أي : اقتد واتبع . وإذا كان هذا أمر للرسول ﷺ ، فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به .

قال البخاري عند هذه الآية (٣٧) : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني سليمان الأحول ، أن مجاهداً أخبره ، أنه سأل ابن عباس : أفي (ص) سجدة ؟ فقال : نعم ، ثم تلا : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ...﴾ إلى قوله : ﴿فَبَهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ ، ثم قال : هو منهم - زاد يزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد ، وسهل بن يوسف ، عن العوام ، عن مجاهد قال : قلت لابن عباس ، فقال : نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم .

وقوله : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ، أي : لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن ﴿أَجْرًا﴾ ، أي : أجره ، ولا أريد منكم شيئاً ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ، أي : يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الكفر إلى الإيمان .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن
أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ

قِرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مِمَّا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَلَا
 ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ شَمَّ ذَرَّهُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ
 أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى : وما عظموا الله حق تعظيمه ، إذ كذبوا رسله إليهم .

قال ابن عباس ومجاهد ، وعبد الله بن كثير : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير ^(٣٨) .

وقيل : نزلت في طائفة من اليهود ؛ وقيل : في فنخاص رجل منهم .

وقيل : في مالك بن الصيف .

﴿ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ ، والأول هو الأظهر ، لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش - والعرب قاطبة - كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر ، كما قال : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ﴾ ؟ أي : قل يا محمد هؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله ، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة : ﴿ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ يعني التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نوراً وهدى للناس ، أي : ليستضاء بها في كشف المشكلات ، ويتهدى بها من ظلم الشبهات .

وقوله : ﴿ يجعلونه ^(٣٩) قِرَاطِيسَ يبدونها ويخفون كثيراً ﴾ ، أي : يجعلها حملتها قِرَاطِيسَ ، أي : قطعاً يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويخفون فيها ما يخفون ويبدلون ويتأولون ، ويقولون ﴿ هذا من عند الله ﴾ ، أي : في كتابه المنزل ، وما هو من عند الله . ولهذا قال : ﴿ يجعلونه قِرَاطِيسَ يبدونها ويخفون كثيراً ﴾ .

(٣٨) ثلاثها ضعيفة أما الأول فمن طريق كاتب الليث وأما الاثنان الآخران فمن طريق الحسين بن داود سنيد وهو ضعيف واختيار ابن جرير في التفسير (ج ١١ / ٥٢٤) .

(٣٩) قرأ بها أبو عمرو وقراءة التاء للخطاب هي قراءة الجمهور كما في البحر المحيط (ج ٤ / ١٧٨) .

وقوله : ﴿ وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ ، أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ، ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آبائكم .

قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب . وقال مجاهد : هذه للمسلمين .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ أي قل : الله أنزله . وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة (لا ما قاله بعض المتأخرين) ، من أن معنى ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ، أي : لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة : « الله » .

وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها .

وقوله : ﴿ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ، أي : ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون ، حتى يأتيهم من الله اليقين ، فسوف يعلمون : ألهم العاقبة ، أم لعباد الله المتقين ؟ .

وقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ ، يعني القرآن ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكاً مُصَدِّقاً لِّذِي بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ ، يعني : مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ من أحياء العرب ، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ،

وقال : ﴿ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ ، وقال : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَاسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » وذكر منهن : « وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة »^(٤٠) ، ولهذا قال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي : كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن ، ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، أي : يقومون بما افترض عليهم ، من أداء الصلوات في أوقاتها .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

(٤٠) سيأتي تخريج هذا الحديث إن شاء الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ الآية ١٥٨ الأعراف . وله هناك عدة طرق .

الْمُوتِ وَالْمَلَائِكَةِ بَاسْطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
 الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾
 وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ
 ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
 لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ ، أي : لا أحد أظلم ممن كذب
 على الله ، فجعل له شريكاً أو ولداً ، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن أرسله ولهذا قال تعالى :
 ﴿ أو قال : أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ﴾ .

قال عكرمة وقتادة : نزلت في مسيلمة الكذاب ^(٤١) .

﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ ، يعني : ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله
 من الوحي مما يفتره من القول ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
 لقلنا مثل هذا ... ﴾ الآية ، قال الله : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ﴾ ، أي : في
 سكراته وغمراته وكرباته ، ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ ، أي : بالضرب ، كما قال : ﴿ لئن بسطت
 إلي يدك لتقتلني ... ﴾ الآية ، وقال : ﴿ ويسطوا إليكم أيديهم وألستهم بالسوء ... ﴾ الآية .

وقال الضحاك ، وأبو صالح ^(٤٢) : باسطوا أيديهم ، أي : بالعذاب . وكما قال : ﴿ ولو ترى
 إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ والملائكة باسطوا
 أيديهم ﴾ ، أي : بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لهم : ﴿ أخرجوا
 أنفسكم ﴾ ، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال ، والأغلال والسلاسل ،
 والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه في جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ،
 فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : ﴿ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون
 عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ... ﴾ الآية ، أي : اليوم تهانون غاية الإهانة ، كما
 كنتم تكذبون على الله ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانقياد لرسله .

(٤١) أثر عكرمة عند الطبري (ج ١١ / ٥٣٣) من طريق سنيد وهو ضعيف وأثر قتادة سنده صحيح إليه . رواه
 الطبري أيضاً .

(٤٢) أثر الضحاك عند الطبري (ج ١١ / ٥٣٩) وهو ضعيف لضعف جوير بن سعيد فإنه متروك وأثر أبي صالح
 من طريق المثني وهو ابن إبراهيم الأملي ولم نجد له ترجمة .

وقد وردت أحاديث في كيفية احتضار المؤمن والكافر ، وهي مقررة عند قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

وقد ذكر ابن مردويه هاهنا حديثاً مطولاً جداً من طريق غريبة ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعاً ، قاله أعلم .

وقوله : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ ، أي : يقال لهم يوم معادهم هذا ، كما قال : ﴿ وعرضوا على ربك صفاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ ، أي : كما بدأناكم [أعدناكم] ، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه ، فهذا يوم البعث .

وقوله : ﴿ وتركتم ما خولناكم ﴾ ، أي : من النعم والأموال التي اقتنيتوها في الدار الدنيا ﴿ وراء ظهوركم ﴾ ، وثبت في الصحيح أن رسول الله قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس »^(٤٣) .

وقال الحسن البصري : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج [فيقول الله عز وجل : أين ما جمعت] ؟ فيقول : يا رب ، جمعته وتركته أوفر ما كان . فيقول : فأين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئاً ، وتلا هذه الآية : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم^(٤٤) .

وقوله : ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ ، تقرير لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد ، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب ، وانزاح الضلال ، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ويناديهم الرب ، عز وجل ، على رعوس الخلائق : ﴿ أين شركائي الذين كنتم ترعمون ؟ ﴾ ، وقيل لهم : ﴿ أين ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴾ ؟ ولهذا قال هاهنا :

(٤٣) أي صحيح مسلم (ج ٤ / ٢٢٧٣) من حديث عبد الله بن الشخير ومن حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي (ج ٤ / ٥٧٢) وقال : حسن صحيح من حديث عبد الله بن الشخير ، وعزاه المزني للنسائي في الكبرى من حديثه أيضاً وهو عند أحمد في المسند (ج ٢ / ٢٦٨) من حديث أبي هريرة و (ج ٤ / ٢٤ و ٢٦) من حديث عبد الله بن الشخير وذكره المصنف عند تفسير سورة التكاثر .

(٤٤) الأثر ضعيف من هذا الوجه لأنه مقطوع ورواه الترمذي (ج ٤ / ٦١٨) من حديث أنس مرفوعاً وقال : وقد روى هذا الحديث غير واحد عن الحسن ، قوله ولم يسندوه وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث من قبل حفظه .

قلت : فيكون مرفعه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منكراً والله أعلم .

﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ أي : في العبادة ، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم .

ثم قال تعالى : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ ، قرىء بالرفع ، أي : شملكم . وقرىء بالنصب ، أي : لقد انقطع ما بينكم من الوصلات والأسباب والوسائل ﴿ وضل عنكم ﴾ ، أي : وذهب عنكم ﴿ ما كنتم تزعمون ﴾ من رجاء الأصنام .

كما قال : ﴿ إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ، وقال : ﴿ إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ ، وقال : ﴿ وقيل : ادعوا شركاءكم ، فدعوهم ، فلم يستجيبوا لهم ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

* إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ

وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى ، أي : يشقه في الثرى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب ، والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها من النوى ، ولهذا فسر ﴿ فالق الحب والنوى ﴾ بقوله : ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ ، أي : يخرج النبات الحي من الحب والنوى ، الذي [هو] كالجماد الميت ، كما قال : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن أنفسهم وما لا يعلمون ﴾ .

وقوله : ﴿ ومخرج الميت من الحي ﴾ معطوف على ﴿ فالق الحب والنوى ﴾ ، ثم فسرته ثم عطف عليه قوله : ﴿ ومخرج الميت من الحي ﴾ .

وقد عبروا عن هذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل : يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة .

ومن قائل : يخرج الولد الصالح من الكافر ، والكافر من الصالح ، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها .

ثم قال : ﴿ ذلكم الله ﴾ ، أي : فاعل هذه الأشياء هو الله وحده لا شريك له ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ ، أي : فكيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون مع الله غيره .

وقوله : ﴿ فالتق الإصباح وجاعل^(٤٥) الليل سكناً ﴾ ، أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ ، فهو سبحانه يخلق [ظلام] الليل عن غرة الصباح ، فيضيء الوجود ، ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بدآئته^(٤٦) وظلام رواقه ، ويحيى النهار بضياءه وإشراقه ، كما قال : ﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ ، فيبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه . فذكر أنه فالتق الإصباح وقابل ذلك بقوله : ﴿ وجاعل الليل سكناً ﴾ ، أي : ساجياً مظلماً تسكن فيه الأشياء ، كما قال : ﴿ والضحي ، والليل إذا سجي ﴾ ، وقال : ﴿ والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى ﴾ ، وقال : ﴿ والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها ﴾ .

وقال صهيب الرومي لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكناً إلا لصهيب ، إن صهيياً إذا ذكر الجنة طال شوقه ، وإذا ذكر النار طار نومه^(٤٧) .

رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ والشمس والقمر حسباناً ﴾ ، أي : يجريان بحساب مقنن مقدر ، لا يتغير ولا يضطرب ، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً ، كما قال : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ، وقدره منازل ... ﴾ الآية ، وكما قال : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ ، وقال : ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ .

وقوله : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ ، أي : الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثير

(٤٥) قال ابن مجاهد في كتابه : القراءات : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وجاعل الليل سكناً) بالألف وقرأ عاصم وحزمة والكسائي : ﴿ وجعل الليل سكناً ﴾ بغير ألف .

(٤٦) أي بظلمته ففي النهاية في غريب الحديث : والدادى : المظلمة لاختفاء القمر فيها . أو بسرعه أيضاً فيها وبر تدأداً من قدوم ضأن : أي أقبل علينا مسرعاً وهو من الددءاء : أشد عدو البعير .

(٤٧) ما وقفت على مثله .

ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، يختم الكلام بالعزة والعلم ، كما ذكر في هذه الآية ، وكما في قوله : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيمن في أول سورة (حم) السجدة ، قال : ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

وقوله : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾ ، قال بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله : إن الله جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر .

وقوله : ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ ، أي : قد بينها ووضحناها ﴿ لقوم يعلمون ﴾ : أي : يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ
نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ
الْخَلِّ مِنْ طَلْعِهَا قُتُونٌ وَدَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩

يقول تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ﴾ ، يعني : آدم عليه السلام ، كما قال : ﴿ يا أيها الناس ، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ .

وقوله : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ ، اختلفوا في معنى ذلك . فعن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وقيس بن أبي حازم ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني : ﴿ فمستقر ﴾ ، أي : في الأرحام . قالوا - أو أكثرهم - : ﴿ ومستودع ﴾ . أي : في الأصلاب .

وعن ابن مسعود وطائفة عكس ذلك .

وعن ابن مسعود أيضاً وطائفة : فمستقر : في الدنيا ، ومستودع : حيث يموت .
 [وقال سعيد بن جبير : ﴿ فمستقر ﴾ في الأرحام وعلى ظهر الأرض ، وحيث يموت] .
 وقال الحسن البصري : المستقر الذي مات فاستقر به عمله .

وعن ابن مسعود : ومستودع : في الدار الآخرة .

والقول الأول هو الأظهر ، والله أعلم^(٤٨) .

وقوله : ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ ، أي : يفهمون ويعون كلام الله ومعناه .

وقوله : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء ﴾ أي بقدر مباركاً ، رزقاً للعباد وغيثاً للخلائق ، رحمة من الله لخلقه ﴿ فأخرجنا به نبات كل شيء ﴾ ، كما قال : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

﴿ فأخرجنا منه خضراً ﴾ ، أي : زرعاً وشجراً أخضر ، ثم بعد ذلك .. يخلق فيه الحب والثمر ، ولهذا قال : ﴿ نخرج منه حباً متراكباً ﴾ ، أي : يركب بعضه بعضاً ، كالسنابل ونحوها .
 ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان ﴾ ، أي : جمع قنو ، وهي عذوق الرطب ﴿ دانية ﴾ ، أي : قرية من المتناول ، كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس ، ﴿ قنوان دانية ﴾ ، يعني بالقنوان الدانية : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض . رواه ابن جرير .

قال ابن جرير : وأهل الحجاز يقولون : قنوان . وقيس يقولون : قنوان ، وقال امرؤ القيس :

فأثت أعاليه ، وآدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمر

قال : وتميم يقولون : قنيان بالياء - قال : وهي جمع قنو ، كما أن صنوان جمع صنو .

وقوله : ﴿ وجنات من أعناب ﴾ أي : ونخرج منه جنات من أعناب ، وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز ، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا ، كما امتن تعالى بهما على عباده ، في قوله : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً ﴾ ، وكان ذلك قبل تحريم الخمر .

(٤٨) قال المفسر الحافظ أبو جعفر الطبري رحمه الله بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عم بقوله : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقراً ومستودعاً ولم يخص من ذلك معنى دون معنى ولا شك أن من بني آدم مستقراً في الرحم ومستودعاً في الصلب ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ومستودع في أصلاب الرجال ومنهم مستقر في القبر مستودع على ظهر الأرض فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ ومراد به إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معني به معنى دون معنى وخاص دون عام . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

وقال : ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ﴾ .

وقوله : ﴿ والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ﴾ ، قال قتادة وغيره : يتشابه في الورق ، قريب الشكل بعضه من بعض ، ويتخالف في الثمار شكلاً وطعماً وطبعاً .

وقوله : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ ، أي : نضجه ، قاله البراء بن عازب ، وابن عباس ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وقاتدة ، وغيرهم . أي : فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود ، بعد أن كان حطباً صار عنباً ورتباً وغير ذلك ، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، كما قال تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ... ﴾ الآية ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ إن في ذلكم لآيات ﴾ ، أي : دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ ، أي : يصدقون به ، ويتبعون رسله .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ
بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن ، فجعلوهم شركاء الله في العبادة ، تعالى الله عن شركهم وكفرهم .

فإن قيل : فكيف عبدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : أنهم إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً . لعنه الله ، وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً . ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ، ولأمرنهم فليغيرون خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يعدهم وعينهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أفستخذونه وذريته أولياء من دوني ... ﴾ الآية ، وقال إبراهيم لأبيه : ﴿ يا أبت ، لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ . وتقول الملائكة يوم القيامة : ﴿ سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ﴾ ، أي : وقد خلقهم ، فهو الخالق وحده لا شريك له ، فكيف يعبد معه غيره ، كما قال إبراهيم : ﴿ أتعبدون ما تحتون . والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

ومعنى الآية : أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده ، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في العزيز ، ومن قال من النصارى في المسيح وكما قال المشركون من العرب في الملائكة : إنها بنات الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
ومعنى قوله : ﴿ وَخَرَقُوا ﴾ ، أي : واختلقوا واثقفوا ، وتخروصوا وكذبوا ، كما قاله علماء السلف .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ وَخَرَقُوا ﴾ ، يعني أنهم تخروصوا^(٤٩) .
وقال العوفي ، عنه : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، قال : جعلوا له بنين وبنات^(٥٠) .

وقال مجاهد ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ ، قال : كذبوا . وكذا قال الحسن : وقال الضحاك : وضعوا ، وقال السدي : قطعوا^(٥١) .

قال ابن جرير : فتأويل الكلام إذا : وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير - ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ ، [يقول : وتخروصوا لله كذباً ، فافتعلوا له بنين وبنات] بغير علم بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلاً بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغي إن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه في خلقه شريك .

ولهذا قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ، أي : تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد ، والنظراء والشركاء .

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أي : مبدع السموات والأرض وخالقهما ومنشئهما على غير مثال سبق ، كما قال مجاهد ، والسدي . ومنه سميت البدعة بدعة ، لأنه لا نظير لها فيما سلف .
﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ، أي : كيف يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ؟ . أي :

(٤٩) منقطع .

(٥٠) ضعيف .

(٥١) أثر مجاهد صحيح إليه وأثر الحسن لم أقف عليه والآخران ضعيفان رواها الطبري (ج ٨/١٢ - ٩) .

والولد إنما يكون متوالداً عن شيئين متناسبين ، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه ، لأنه خالق كل شيء ، فلا صاحبة له ولا ولد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾ .

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء ، وأنه بكل شيء عليم ، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه ؟ . وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ ، أي : الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ أي : فاعبدوه وحده لا شريك له ، وأقروا له بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي : حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ، ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار .

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، فيه أقوال للأئمة من السلف :

أحدها : لا تدركه في الدنيا ، وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت : من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب . فإن الله يقول : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي الضحى ، عن مسروق . ورواه غير واحد [عن مسروق] وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه .

وقد خالفها ابن عباس ، فعنه إطلاق الرؤية ، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين . والمسألة تذكر في أول « سورة النجم » إن شاء الله .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر محمد بن مسلم ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيى بن معين قال : سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول الله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الأبصار ﴿﴾ ، قال : هذا في الدنيا^(٥٢) - قال : وذكر أبي ، عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك . وقال آخرون : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ، أي : جميعها ، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الآخرة .

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية : أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة . فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك ، مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾^(٥٣) وقال تعالى عن الكافرين : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ .

قال الإمام الشافعي : فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى .

(٥٢) سنده صحيح إلى ابن عليه .

(٥٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية : أي تراه عياناً ، إلى قوله : وهذا بحمد الله جمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام ومن تأول ذلك بأن المراد بالي مفرد الآلاء وهي النعم لما قاله الثوري عن منصور عن مجاهد ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ قال : تنتظر الثواب من ربها رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه وأين هو من قوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ قال : حسنة ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ : قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق . انتهى ما أردنا نقله .

قلت : الأثر من طريق مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن وقال أبو الحسن الأشعري نسبة إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي يقول عن نفسه في كتابه الإبانة عن أصول الديانة (ص ١٧) قولنا : الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إلى أن قال في الباب الثالث (ص ٣١) فما بعدها ومما يطل قول المعتزلة أن الله عز وجل أراد بقوله : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ نظر الانتظار أنه قال إلى ربها ناظرة ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بقوله إلى لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى) ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة ﴾ ولم يقل إلى إذ كان معناه الانتظار وقال عن بلقيس ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ فلما أرادت الانتظار لم تقل إلى وقال امرؤ القيس :

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل إلى فلما قال الله عز وجل : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار وإنما أراد نظر الرؤية . انتهى باختصار ولولا خشية الإثقال على الكتاب لذكرت الباب برمته وقد ألف العلماء كتباً كثيرة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في الآخرة وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (حادي الأرواح) جملة طيبة في هذه المسألة .

وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأنس ، وجابر ، وصهيب ، وبلال ، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات ، وفي روضات الجنات . جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ، أي : العقول رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين ، عن الفلاس ، عن ابن مهدي ، عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارىء أهل مكة أنه قال ذلك . وهذا غريب جداً ، وخلاف ظاهر الآية ، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية ، والله أعلم .

وقال آخرون : لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك ، فإن الإدراك أخص من الرؤية ، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ، ما هو ؟ فقيل : معرفة الحقيقة ، فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون . كما أن من رأي القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته ، فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى .

وقال آخرون : المراد بالإدراك : الإحاطة . قالوا : ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم قال الله تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ ، وفي صحيح مسلم : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »^(٥٤) ولا يلزم من هذا عدم الثناء ، فكذا هذا .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ قال : لا يحيط [بصر] أحد بالملك^(٥٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدثنا أسباط عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قيل له : ﴿ لا تدركه الأبصار ؟ ﴾ قال : ألسنت ترى السماء ؟ قال : بلى . قال : فكلها ترى ؟^(٥٦) .

(٥٤) (ج ٣٥٢/١) من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود (ج ٥٤٧/١) والنسائي - في الكبرى - كما في تحفة الأشراف .

(٥٥) الأثر عند الطبري (ج ١٣/١٢) وهو من طريق العوفيين وهم محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي قال الخطيب : لين الحديث ، وقال الدارقطني لا بأس به .
عن أبيه وهو سعد بن محمد بن الحسن قال أحمد : جهمي ولم يكن هذا أيضاً فمن يتساهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك .

عن عمه الحسين بن الحسن بن عطية قال أبو حاتم : ضعيف الحديث وضعفه ابن معين .

عن أبيه الحسن بن عطية وهو ضعيف كما في التقريب .

عن أبيه عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف ويدلس ويسوي . هذه هي السلسلة العوفية .

(٥٦) فيه علتان ضعف أسباط وهو ابن نصر واضطراب رواية سماك عن عكرمة كما في التقريب .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبو عرفة ، عن عطية العوفي في قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ، قال : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم ، وبصره محيط بهم . فذلك قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾^(٥٧) .

وقد رُود في هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم هاهنا ، فقال :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث السهمي ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ، قال : « لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً » .

غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة ، والله أعلم^(٥٨) .

وقال آخرون في : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ بما رواه الترمذي في جامعه^(٥٩) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة له ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن مردويه أيضاً ، والحاكم في مستدركه ، من حديث الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأي محمد ربه تبارك وتعالى . فقلت : أليس الله يقول : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ... ﴾ الآية ؟ فقال لي : لا أم لك . ذاك نوره ، الذي هو نوره . إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي رواية : لا يقوم له شيء .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه^(٦٠) .

وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :

(٥٧) (ج ١٢/١٣ - ١٤) وأبو عرفة لم أقف على ترجمته فيما عندي من مراجع وأياً ما كان فشيخه ضعيف والحمد لله .

(٥٨) أبو روق صدوق واسمه عطية بن الحارث وشيخه وتلميذه ضعيفان .

(٥٩) رواه الترمذي (ج ٥/٣٩٥) وفيه محمد بن عمرو بن نهان مقبول ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٦٠) في التفسير (ج ٢/٣١٦) من المستدرک وقال الذهبي عقبه : قلت : بل إبراهيم متروك . قلت : وإبراهيم هو ابن الحكم بن أبان قال أحمد : وقد رحل إلى عدن من أجل السماع من إبراهيم بن الحكم فلما لم يجده أهلاً للرواية قال : في سبيل الله دراهم أنفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم .

قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور - أو : النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »^(٦١) .

وفي الكتب المتقدمة : إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده . أي تدعثر . وقال تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال : سبحانك ، تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين ﴾^(٦٢) .

ونفي هذا [الأثر] الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة ، يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء . فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه - تعالى وتقدس وتنزه - فلا تدركه الأبصار . ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا^(٦٣) ، وتحتج بهذه الآية : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ - فالذي نفتته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فإن ذلك غير ممكن للبشر ، ولا للملائكة ، ولا لشيء .

وقوله : ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ أي : يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه ، لأنه خالقها كما قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ .

وقد يكون عبر بالأبصار عن المبصرين كما قال السدي في قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ : لا يراه شيء وهو يرى الخلائق .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ : اللطيف باستخراجها ، الخبير بمكانها . والله أعلم .

وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه : ﴿ يا بني ، إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ﴾ .

(٦١) هو عند مسلم فقط (ج ١/١٦١ - ١٦٢) ورواه ابن ماجه (ج ١/٧٠) وأحمد في المسند (ج ٤/٣٩٥ و ٤٠١ و ٤٠٥) ويستفاد من الحديث أن الله في جهة العلو لأنه قال : يرفع إليه ولم يقل يذهب إليه أو يتجه وفيه أيضاً أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وفيه أيضاً أن الله سبحانه وجهاً وسبحات وبصراً وكلها لاثقة به سبحانه وتعالى .

(٦٢) والكتب المتقدمة لا يعتمد على تفاصيلها لما دخلها من التحريف والتبديل وتؤمن بها إجمالاً .

(٦٣) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (حادي الأرواح) في الباب الخامس والستين (ص ٢٣١) حديث عائشة رضي الله عنها في ذلك وهو أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لجابر بن عبد الله : « يا جابر ألا أبشرك » الحديث والشاهد منه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وكلم أباك كفاحاً » أي : مواجهة بغير حجاب .

قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

البصائر : هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن ، وما جاء به الرسول ﷺ . ﴿ فمن أبصر فلنفسه ﴾ مثل قوله : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ .
ولهذا قال : ﴿ ومن عمي فعليها ﴾ ، لما ذكر البصائر قال : ﴿ ومن عمي فعليها ﴾ أي :
فإنما يعود وبال ذلك عليه ، كقوله : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ .

﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ، أي : بحافظ ولا رقيب ، بل أنا مبلغ والله يهدي من يشاء
ويضل من يشاء .

وقوله : ﴿ وكذلك نصرف الآيات ﴾ أي : وكما فصلنا الآيات في هذه السورة ، من بيان
التوحيد وأنه لا إله إلا هو ، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين ،
وليقول المشركون والكافرون والمكذبون : دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت
منهم .

هكذا قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير والضحاك ، وغيرهم ^(٦٤) .

وقد قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن
عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، سمعت ابن عباس يقرأ : ﴿ دارست ﴾ تلوت ، خاصمت ،
جادلت ^(٦٥) .

وهكذا قال تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم : ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك
افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ... ﴾

(٦٤) الآثار عند ابن جرير (ج ١٢/٢٧ - ٢٩) وهي صحيحة إلا أثر الضحاك فإنه من طريق جوير بن سعيد
وهو متروك .

(٦٥) ضعيف لجهالة عمرو بن كيسان فإنه لم يرو عنه غير عمرو بن دينار ولم يرو هو إلا عن ابن عباس ولم
يوثقه معتبر والأثر عند الطبري (ج ١٢/٢٨) من طريق الحسن بن يحيى وهو بن الجعد عن عبد الرزاق
عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان به .
وقوله : دارست هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما في القراءات لابن مجاهد .

الآية . وقال تعالى إخباراً عن زعيمهم وكاذبهم : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَنَبِيْنَهُ لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه ، والباطل فيجتنبونه . فله تعالى الحكمة [البالغة] في إضلال أولئك ، وبيان الحق هؤلاء . كما قال تعالى : ﴿ يَضِلُّ بِهِ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرٌ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، لِيَسْتَقِينَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا ، وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ : مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وقال : ﴿ وَنَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى أنزل القرآن هدي للمتقين ، وأنه يضل به من يشاء ويهدي من يشاء . ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا : دَارِست وَلَنَبِيْنَهُ لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرِست ﴾ . قال التيمي^(٦٦) ، عن ابن عباس : درست ، أي : قرأت وتعلمت . وكذا قال مجاهد ، والسدي ، والضحاك ، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٦٧) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، قال الحسن : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرِست ﴾ ، يقول : تقادمت وانمحت^(٦٨) .

وقال عبد الرزاق أيضاً : أنبأنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمعت [ابن] الزبير يقول : إن صبياناً يقرءون هاهنا : ﴿ دَرِست ﴾ ، وإنما هي ﴿ دَرِست ﴾^(٦٩) .

(٦٦) هو أريد قال ابن البرقي : مجهول .

(٦٧) قول عبد الرحمن : لم أقف عليه وبقيتها ضعاف رواها الطبري (ج ١٢ / ٢٧) .

(٦٨) رواه الطبري (ج ١٢ / ٣٠) من طريق بشر بن معاذ عن يزيد عن سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقرأ فذكره ومن طريق محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن فذكره ورواية معمر عن الحسن فيها ضعف لأنه لم يسمع منه كما في التهذيب .

(٦٩) سنده حسن رواه الطبري (ج ١٢ / ٣٠) من طريق الحسن بن يحيى وهو صدوق عن عبد الرزاق فذكره .

وقال شعبة : حدثنا أبو إسحاق الهمداني قال : في قراءة ابن مسعود ﴿ دَرَسْتُ ﴾ ، بغير ألف ، بنصب السين ، ووقف على التاء .

وقال ابن جرير : ومعناه : انمحت وتقادمت ، أي : إن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديماً ، وتناولت مدته .

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أنه قرأها : ﴿ دُرُسْتُ ﴾ ، أي : قُرئت وتُعَلِّمت .

وقال معمر ، عن قتادة : ﴿ دُرُسْتُ ﴾ : قُرئت . وفي حرف ابن مسعود ﴿ دَرَسَ ﴾ .

وقال عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا حجاج ، عن هارون قال : هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود : ﴿ وليقولوا دَرَسَ ﴾ ، قال : يعنون النبي ﷺ أنه قرأ^(٧٠) .

وهذا غريب ، فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا ، قال أبو بكر بن مردويه :

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن الليث ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا أحمد ابن أبي بزة المكي ، حدثنا وهب بن زمعة ، عن أبيه ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : أقرأني رسول الله ﷺ : ﴿ وليقولوا دَرَسْتُ ﴾^(٧١) .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث وهب بن زمعة ، وقال : يعني بجزم السين ، ونصب التاء ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٧٢) .

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى آمراً لرسوله ﷺ ولن اتبع طريقه : ﴿ اتبع ما أوحى إليك من ربك ﴾ ، أي : اقتد به ، واقتف أثره ، واعمل به ، فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه ، لأنه لا إله إلا هو .

(٧٠) القاسم بن سلام أبو عبيد الإمام المشهور ثقة فاضل مصنف كما في التقريب وحجاج هو ابن محمد المصيصي كما في ترجمة تلميذه وهارون هو ابن موسى الأزدي صاحب القراءات وثقه أبو زرعة وابن معين وأبو داود وغيرهم كما في التهذيب .

(٧١) الحسن بن الليث ضعيف وكذا زمعة والد وهب .

(٧٢) (ج ٢/٢٣٩) وقال الذهبي : صحيح وليس كما قالوا رحمهما الله فإن زمعة بن صالح ضعيف .

﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ ، أي : اعف عنهم واصفح ، واحتمل أذاهم ، حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم . واعلم أن الله حكمة في إضلالهم . فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعاً . ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ ، أي : بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقوله : ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظاً ﴾ ، أي : حافظاً تحفظ أعمالهم وأقوالهم . ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ ، أي : موكل على أرزاقهم وأمورهم . ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر ﴾ ، وقال : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ .

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ
كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين ، وإن كان فيه مصلحة ، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين ، وهو الله لا إله إلا هو . كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : قالوا : يا محمد ، لتنتهين عن سبك آلهتنا ، أو لنهجون ربك . فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، ﴿ فیسبوا الله عدواً بغیر علم ﴾ (٧٣) . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدواً بغیر علم ، فأُنزل الله : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ﴾ .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم ، عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية : لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش : انطلقوا فلندخل على هذا الرجل ، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ، فإننا نستحي أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمنعه فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأمّية ، وأبي ابنا خلف ، وعقبة ابن أبي معيط ، وعمر بن العاص ، والأسود بن البختري ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له : «المطلب» ، قالوا : استأذن لنا على أبي طالب . فأقْبى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم عليه ، فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحب أن تدعوه فتنهاه

(٧٣) ضعيف لأنه من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث مختلف فيه والراجح ضعفه وأيضاً انقطاع رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

عن ذكر آهتنا ، ولدعه وإله . فدعاه فجاء النبي ﷺ ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك . قال رسول الله ﷺ : « ما تريدون ؟ » قالوا : نريد أن تدعنا وآهتنا ، ولدعك وإلهك . [قال له أبو طالب : قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم] فقال النبي ﷺ : « أرايتم إن أعطيتكم هذا . هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم بها العجم ، [وأدت لكم] الخراج ؟ » قال أبو جهل : وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي ؟ قال : « فولوا : لا إله إلا الله » . فأبوا واشمأزوا . قال أبو طالب : يا ابن أخي ، قل غيرها . فإن قومك قد فرعوا منها . قال : « ياعم ، ما أنا أقول غيرها ، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها » ، إرادة أن يؤيسهم ، فغضبوا فقالوا : لتكفن عن شتم آهتنا ، أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك . فذلك قوله : ﴿ فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾^(٧٤) .

ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها - ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ملعون من سب والديه » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال : « يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه »^(٧٥) . أو كما قال عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ ، أي : وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار ، كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه ، والله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره . ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ ، أي : معادهم ومصيرهم ، ﴿ فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ ، أي : يجازيهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

(٧٤) الطبري (ج ١٢/٢٤) من طريق أسباط وأما ابن أبي حاتم فليس كتابه في متناولي ثم إنه مرسل لم يسنده السدي .

(٧٥) الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . البخاري (ج ١٠/٤٠٣) وهذا لفظه : إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه « قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » . ورواه مسلم (ج ١/٩٢) وأبو داود (ج ٥/٣٥٢) والترمذي (ج ٤/٣١٢) .

تنبيه : سب هذا هو الإهمال من الأبوين غالباً وأيضاً في زماننا هذا عدم وجود المدرس المرابي القدوة فهذا متأثر بحزبية وذاك جاهل مادي إلى غير ذلك وأعرضوا عن تعاليم هذا الدين إلا من رحم الله .

يقول تعالى إخباراً عن المشركين : إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، أي : حلفوا أيماناً مؤكدة ﴿لئن جاءتهم آية﴾ أي : معجزة وخارق ﴿ليؤمنن بها﴾ ، أي : ليصدقنها ، ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ ، أي : قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعتناً وكفراً وعناداً ، لا على سبيل الهدى والاسترشاد : إنما مرجع هذه الآيات إلى الله ، إن شاء أجابكم ، وإن شاء ترككم ، كما قال ، قال ابن جرير :

حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي قال : كلم رسول الله ﷺ قريشاً ، فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا من الآيات حتى نصدقك . فقال رسول الله ﷺ : «أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟» قالوا : تجعل لنا الصفا ذهباً . قال لهم : «فإن فعلت تصدقوني ؟» قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لتتبعنكم أجمعين . فقام رسول الله ﷺ يدعو . فجاءه جبريل عليه السلام فقال له [لك] ما شئت ، إن شئت أصبح الصفا ذهباً ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم . [فقال : «بل يتوب تائبهم» . فأنزل الله ﴿وأقسموا بالله﴾ إلى قوله : ﴿يجهلون﴾] . وهذا مرسل ، وله شواهد من وجوه أخر^(٧٦) ، وقال الله تعالى : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ...﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ ، قيل : المخاطب بـ ﴿وما يشعركم﴾ المشركون . وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم : وما يدريك بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها . وعلى هذا فالقراءة : ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ ، بكسر «إنها» على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها ، وقراءة بعضهم ﴿أنها إذا جاءت لا تؤمنون﴾ بالتاء المثناة من فوق .

وقيل : المخاطب بقوله ﴿وما يشعركم﴾ المؤمنون أي : وما يدريك أيها المؤمنون ، وعلى هذا فيجوز في : ﴿إنها﴾ الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم . وعلى هذا فتكون «لا» في قوله : ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ صلة كما في قوله : ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ وقوله : ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ .

أي : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ، وحرام أنهم يرجعون . وتقديره في هذه الآية : وما

(٧٦) من ذلك ما رواه أحمد (ج ٢٥٨/١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف والحاكم (ج ٣٦٢/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح ورواه الطبري (ج ٣٨/١٢ - ٣٩) كلهم من حديث ابن عباس وذكره شيخنا حفظه الله تعالى في كتابيه أسباب النزول (ص ٩٢) ودلائل النبوة (ص ٢٥٢) عن مسند أحمد وقال : هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

يدريككم - أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم - أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون .
وقال بعضهم : « أنها » بمعنى لعلها .

قال ابن جرير : وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب - قال : وقد ذكر عن العرب سماعاً : اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئاً ، بمعنى : لعلك تشتري .
قال : وقد قيل : إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا :

أعاذل ، ما يُدريك أن مَنِّيَني إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله أعلم^(٧٧) .

وقوله تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ . قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر^(٧٨) .

وقال مجاهد : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ : ونحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية ، فلا يؤمنون ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة .
وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنه قال : أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعلمه قبل أن يعملوه . قال : ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ إلى قوله : ﴿ لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ ، فأخبر سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى ، وقال : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ وقال : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ ، قال : لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى ، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا .

وقوله : ﴿ ونذرهم ﴾ ، أي : نتركهم ﴿ في طغيانهم ﴾ . قال ابن عباس والسدي : في كفرهم .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة : في ضلالهم .

﴿ يعمهون ﴾ قال الأعمش : يلعبون . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والربيع ،

(٧٧) (ج ١٢/٤١ - ٤٣) .

(٧٨) ضعيف لضعف العوفي .

تنبيه : ربما نترك الكلام على بعض الآثار وتخريجها خشية الإملال وأيضاً لأن بعضها قد صار معلوماً عند بعض المهرة من طلبة الحديث .

وأبو مالك ، وغيره : في كفرهم يترددون .

* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ
وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالى : ولو أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم : ﴿لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها﴾ ، فنزلنا عليهم الملائكة ، أي تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل ، كما سألوا فقالوا : ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ و ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴿ .

﴿وكلمهم الموتى﴾ ، أي : فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل ، ﴿وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً﴾ - قرأ بعضهم ﴿قبلاً﴾ ، بكسر القاف وفتح الباء ، من المقابلة ، والمعينة . [وقرأ آخرون : بضمها ، قيل : معناه من المقابلة والمعينة] أيضاً ، كما رواه علي بن أبي طلحة والعمري ، عن ابن عباس . وبه قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد ﴿قبلاً﴾ أفواجاً ، قبلاً قبلاً ، أي : تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ ، أي : إن الهداية إليه ، لا إليهم . بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته ، وسلطانه وقهره وغلبته . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى
إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى : وكما جعلنا لك - يا محمد - أعداء يخالفونك ، ويعادونك ، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء فلا يبيدك ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلُ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلَ مِنْ قَبْلِكَ ، فَصَبِرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ، إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ... ﴾ الآية .

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ : « لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي »^(٧٩) .

وقوله : ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ بدل من ﴿ عَدُوًّا ﴾ ، أي : لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، من هؤلاء وهؤلاء ، فيحهم الله ولعنهم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ ، قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحى بعضهم إلى بعض - قال قتادة : وبلغني أن أبا ذر كان يوماً يصلي ، فقال النبي ﷺ : « تَعُوذُ يَا أبا ذَرٍّ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » . فقال : أو إن من الإنس (شياطين) ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نَعَمْ » .

وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر . وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر ، رضي الله عنه ،

قال ابن جرير :

حدثني المثني ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطلال فيه الجلوس ، قال : فقال : « يَا أبا ذَرٍّ ، هَلْ صَلَّيْتَ ؟ » قال : لا ، يا رسول الله . قال : « قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ » . قال : ثم جئت فجلست إليه ، فقال : « يَا أبا ذَرٍّ ، هَلْ تَعُوذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؟ » قال : قلت : لا ، يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : « نَعَمْ ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ » .

وهذا أيضاً فيه انقطاع^(٨٠) ، وروي متصلاً كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، أنبأنا أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد ، فجلست فقال : « يَا أبا ذَرٍّ ، هَلْ صَلَّيْتَ ؟ » قلت : لا . قال : « قُمْ فَصَلِّ » . قال : فقممت فصليت ، ثم جلست فقال : « يَا أبا ذَرٍّ ، تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ »

(٧٩) قوله : (لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي) هو قطعة من حديث طويل رواه البخاري (ج ٢٢/١)

ومسلم (ج ١٣٩/١) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٨٠) قوله : وهذا فيه انقطاع .

قلت هو أن ابن عائذ واسمه عبد الرحمن ذكر الحافظ العلائي قول أبي حاتم أنه لم يدرك معاذاً إلى قوله

قلت : روي أيضاً عن عمر وأبي ذر رضي الله عنهما والظاهر أنه مرسل .

[شر] شياطين الإنس والجن . قال : قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : « نعم » وذكر تمام الحديث ^(٨١) بطوله .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى ، ثلاثتهم عن المسعودي ، به ^(٨٢) .

طريق أخرى عن أبي ذر : قال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا ذر ، هل تعوذت بالله من [شر] شياطين الإنس والجن ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : « نعم » ^(٨٣) .

طريق أخرى للحديث ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاع ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ، تعوذت من شياطين الجن والإنس ؟ » قال : يا رسول الله ، وهل للإنس شياطين ؟ قال : « نعم » ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ^(٨٤) .
فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته ، والله أعلم ^(٨٥) .

وقد روي ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ ، قال : ليس في الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .

(٨١) ولا يلزم من كونه متصلاً أن يكون صحيحاً فهذا رواه أحمد (ج ١٧٨/٥) وهو ضعيف لضعف أبي عمر الدمشقي واسمه محمد بن موسى بن فضالة قال الدارقطني : متروك .

قلت : وشيخه لين الحديث كما في التقريب ورواه النسائي (ج ٢٤٢/٨) من طريقهما ورواه أحمد أيضاً (ج ٢٦٥/٥) من طريق معان بن رفاع وهو لين الحديث كثير الإرسال وشيخه علي بن يزيد هو الأثاني ضعيف عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال جاء أبو ذر الحديث .

(٨٢) المسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله صدوق اختلط قبل موته والخلاصة فيه أن من روى عنه قبل الاختلاط كوكيع والثوري ومعاذ العنبري وغيرهم فحديثه مقبول ومن روى عنه بعد الاختلاط فيكون حديثه ضعيفاً يصلح في الشواهد والمتابعات وأما رواية جعفر بن عون عنه فصحيحة لأنه ممن سمع منه قديماً وأما يعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى فهما كوفيان ومن روى عنه بالبصرة أو الكوفة فسماعه منه قبل الاختلاط وإنما اختلط بعد أن قدم بغداد بيسير . انتهى ملخصاً من الكواكب النيرات .

والحديث يضعف من أجل شيخ المسعودي وشيخه كما تقدم ، والله أعلم .

(٨٣) فيه مهم وهو عند الطبري (ج ٥٣/١٢) وشيخ الطبري فيه المثنى بن إبراهيم ولم نعثر له على ترجمة .

(٨٤) تقدمت الإشارة إليه وأنه رواه النسائي من طريق معان بن رفاع وهو وشيخه ضعيفان .

(٨٥) وهذا على أن رواية المجهول جهالة العين والمتروك والمنقطع تصلح في الشواهد والمتابعات وعمل المحدثين يقتضي ذلك فإنهم يذكرون ما في الباب ولا يفصلون .

قال : وحدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . قال : للإنسي شيطان ، وللجني شيطان ، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

وقال أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض ﴾ في تفسير هذه الآية : أما شياطين الإنس ، فالشياطين التي تضل الإنس - وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : أني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضاً^(٨٦) .

ففهم ابن جرير من هذا [أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدي : الشياطين من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه [شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى ، وهو محتمل ، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك ، عنه - قال : إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا : أضلله بكذا ، أضلله بكذا . فهو قوله : ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ .

وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء مارده ، ولهذا جاء في صحيح مسلم ، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « الكلب الأسود شيطان^(٨٧) » . ومعناه - والله أعلم - شيطان في الكلاب .

وقال ابن جريج : قال مجاهد في تفسير هذه الآية : كفار الجن شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ، زخرف القول غروراً^(٨٨) .

وروى ابن أبي حاتم ، عن عكرمة قال : قدمت على المختار^(٨٩) فأكرمني وأتزلني حتى كاد يتعاهد مبيتى بالليل ، قال : فقال لي : اخرج إلى الناس فحدث الناس . قال : فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى : ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . قال : فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت : ما لكم ذلك ، إني مفتيكم وضيغكم . فتركوني .

(٨٦) سيأتي القول فيها للمؤلف رحمه الله تعالى .

(٨٧) والحديث رواه الجماعة إلا البخاري ، مسلم (ج ١/ ٦٥) وأبو داود (ج ١/ ٤٥٠) والترمذي (ج ٢/ ١٦٢) والنسائي (ج ٢/ ٦٣) وابن ماجه (ج ١/ ٣٠٦) .

(٨٨) هو من طريق الحسين بن داود سنيد وهو ضعيف وهو عند الطبري (ج ١٢/ ٥٥) .

(٨٩) أكتفي بما قاله الحافظ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى : المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب لا ينبغي أن يروى عنه شيء لأنه ضال مضل كان يزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه وهو شر من الحجاج أو مثله . انتهى من ميزان الاعتدال .

وإنما عرض عكرمة بالختار - وهو ابن أبي عبيد - قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، أي : يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوق [الذي] يغتر سامعه من الجهلة بأمره .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ ، أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء .

﴿ فَذَرِهِمْ ﴾ ، أي : فدعهم ، ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ، أي : يكذبون . أي : دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم ، فإن الله كافيك وناصرك عليهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَتَصْغِي إِلَيْهِ ﴾ ، أي : ولتميل إليه - قاله ابن عباس^(٩٠) - ﴿ أَفْتَدَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ ، أي : قلوبهم وعقولهم وأسماعهم .

وقال السدي : قلوب الكافرين ، ﴿ وَلَيَرْضَوْهُ ﴾ ، أي : يحبوه ويريدوه . وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ . يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : وليكتسبوا ما هم مكتسبون .

وقال السدي : وابن زيد : وليعملوا ما هم عاملون^(٩١) .

أَفْخِرُ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ
مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَانَتْ لَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝١١٤ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١١٥

يقول تعالى لنبه محمد ﷺ : قل هؤلاء المشركين بالله غيره الذين يعبدون غيره :

(٩٠) رواه الطبري من طريق سنيد (ج ١٢ / ٥٨) .

(٩١) كل هذه الآثار في تفسير الطبري (ج ١٢ / ٥٩ - ٦٠) وهي ضعيفة إلا أثر ابن زيد فإن السند إليه صحيح .

﴿ أَفَغِيرَ اللَّهِ أَبْغْيَى حَكْماً ﴾ ، أي : بيني وبينكم ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾ ، أي : مبيناً : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ، أي : من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، أي : بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين ، : ﴿ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ، كقوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ، فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ . وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي وقوعه ، ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ »^(٩٢) .

وقوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ ، قال قتادة : صدقاً فيما قال : وعدلاً فيما

حكم .

يقول : صدقاً في الأخبار وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مرية [فيه] ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة ، كما قال : ﴿ يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ إلى آخر الآية .

﴿ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ ، أي : ليس أحد يُعَقِّبُ حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال عباده ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحركاتهم وسكناتهم ، الذي يجازي كل عامل بعمله .

وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ - وَلَوْ حَرَصْتَ - مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم ، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل ، ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ ، فإن الخرص هو الحزر ، ومنه خرص النخل ، وهو خزر ما عليها من الثمر . وذلك كله عن قدر الله ومشيتته ، و ﴿ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ فيفسره لذلك ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ فيفسره لذلك ، وكل ميسر لما خلق له .

(٩٢) لم أجده مستنداً موصولاً إلا أنني وجدته في تفسير الطبري عند قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس/ ٩٤] . بسند صحيح إلى قتادة قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال فذكره فيكون مرسلًا وهو من قسم الضعيف والله أعلم .

فَكُلُوا مِنَّمَا
ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا
مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ
إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ

﴿١١٩﴾

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ، ومفهومه : أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه ، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات ، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها . ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه ، فقال : ﴿ وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ ، أي : قد بين لكم ما حرم عليكم ووضحه . وقرأ بعضهم ﴿ فصل ﴾ بالتشديد ، وقرأ آخرون بالتخفيف ، والكل بمعنى البيان والوضوح .

﴿ إلا ما اضطررتم إليه ﴾ ، أي : إلا في حال الاضطرار ، فإنه يباح لكم ما وجدتم . ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة ، في استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى : فقال : ﴿ وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ ، أي : هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم .

وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٠﴾

قال مجاهد : ﴿ وذرّوا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ : معصيته في السر والعلانية ^(٩٣) - وفي رواية عنه : هو ما ينوي مما هو عامل .

وقال قتادة : ﴿ وذرّوا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ ، أي قليله وكثيره ، سره وعلانيته ^(٩٤) .

وقال السدي : ظاهره : الزنا مع البغايا ذوات الرايات ، وباطنه مع الخلية والصدائق

(٩٣) أثر مجاهد فيه ضعف وكذا الرواية الثانية الأولى من طريق المثني والثانية من طريق سنيد .

(٩٤) أثر قتادة صحيح إليه .

والأخذان^(٩٥).

وقال عكرمة : ظاهره نكاح ذوات المحارم .

والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالى : ﴿ قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... ﴾ الآية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقتربون ﴾ ، أي : سواء كان ظاهراً أو خفياً ، فإن الله سيجزيهم عليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن النواس بن سميان قال : سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال : « الإثم ما حاك في صدرك ، وكهرت أن يطلع الناس عليه »^(٩٦) .

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَذْكُرَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أُولِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ
وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى إنه لا تحل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها ، ولو كان الذابح مسلماً ، وقد اختلف الأئمة - رحمهم الله - في هذه المسألة على ثلاثة أقوال : فمنهم من قال : لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة ، وسواء متروك التسمية عمداً وسهواً . وهو مروي عن ابن عمر ، ونافع مولاة ، وعامر الشعبي ، ومحمد بن سيرين . وهو رواية عن الإمام مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين ، وهو اختيار أبي ثور ، وداود الظاهري ، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي ، من متأخري الشافعية في كتابه « الأربعين » واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية ، بقوله في آية الصيد : ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾ ، ثم قد أكد في هذه الآية بقوله : ﴿ وإنه لفسق ﴾ . والضمير قيل : عائد على الأكل ، وقيل : عائد على الذبح لغير الله - وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد ، كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » . وهما في الصحيحين - وحديث رافع بن خديج :

(٩٥) أثر السدي فيه ضعف روى جميعها الطبري (ج ١٢ / ٧٤) وأما أثر عكرمة فلم أقف عليه .

(٩٦) الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ / ١٩٨٠) والترمذي (ج ٤ / ٥٩٧) وأحمد (ج ٤ / ١٨٢) من المسند ثلاثتهم

من حديث معاوية بن صالح به ورواه الدارمي (ج ٢ / ٣٢٢) كذلك .

« ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه »^(٩٧) . وهو في الصحيحين أيضاً - وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن : « لكم كل عظم فذكر اسم الله عليه »^(٩٨) رواه مسلم . وحديث جُنْدَب بن سفيان البجلي قال : قال رسول الله ﷺ : « من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله »^(٩٩) . أخرجاه - وعن عائشة رضي الله عنها أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري : أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ قال : « سمو عليه أنتم وكلوا » - قالت : وكانوا حديثي عهد بالكفر . رواه البخاري^(١٠٠) .

ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها ، وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك ، لحدائث إسلامهم ، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل . لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت ، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد ، والله أعلم .

والمذهب الثاني في المسألة : أنه لا يشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تركت عمداً أو نسياناً لم تضر . وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ، ورواية عن الإمام أحمد . نقلها عنه حنبل . وهو رواية عن الإمام مالك ، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه ، وحكي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعطاء بن أبي رباح ، والله أعلم .

(٩٧) تقدم تخرج هذه الأحاديث عند تفسير قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية . (٩٨) قطعة من حديث رواه مسلم (ج ٤ / ١٦٨) بشرح النووي وهي مرسل على ما سألته إن شاء الله . قال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال : سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الجن فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الجن قال : لا ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا : استطير أو اغتيل قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال : فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بكرة علف لدوابكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فلا تستجمروا بهما فإنها طعام إخوانكم » .

وحدثني علي بن حجر السعدي حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد إلى قوله وآثار نيرانهم ، قال الشعبي : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلاً من حديث عبد الله . انتهى المراد من صحيح مسلم ، قال شيخنا حفظه الله تعالى في تعليقه على الإلزامات والتبعية للدارقطني (ص ٣٤٤) ولكن الذي تطمئن إليه النفس هو ما حكم به هؤلاء الحفاظ كالترمذي والدارقطني وأقره النووي من أن آخره من قول الشعبي على أن مسلماً رحمه الله قد أشار إلى ذلك ولم يخف عليه ، والله أعلم . (٩٩) ألبخاري (ج ٩ / ٦٣٠) ومسلم (ج ٣ / ١٥٥١) ورواه النسائي (ج ٧ / ٢٢٤) وابن ماجه (ج ٢ / ١٠٥٣) .

(١٠٠) تقدم عند تفسير قول الله عز وجل : ﴿ يستلونك ماذا أحل لهم ﴾ الآية .

وحمل الشافعي الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ على ما ذبح لغير الله ، كقوله تعالى : ﴿ أَوْ فَسْقاً أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ، قال : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش عن الأوثان وينهى عن ذبائح المجوس . وهذا المسلك الذي طرده الإمام الشافعي قوي ، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل « الواو » في قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ حالية ، أي : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون قد أهل به لغير الله ، ثم ادعى أن هذا متعين ، ولا يجوز أن تكون « الواو » عاطفة . لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية . وهذا ينتقض عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، فإنها عاطفة لا محالة ، فإذا كانت « الواو » التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه غليها ، فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره ، وإن لم تكن « الواو » حالية بطل ما قاله من أصله ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أنبأنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ، قال : هي الميتة^(١) .

ثم رواه ، عن أبي زرعة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء - وهو ابن السائب - به .

وقد استدلل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل ، من حديث ثور بن يزيد ، عن الصلت السدوسي - مولى سويد بن منجوف ، أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات - : قال : قال رسول الله ﷺ : « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » .

وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال : إذا ذبح المسلم - ولم يذكر اسم الله - فليأكل ، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله .

واحتج البيهقي أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم أن [ناساً قالوا : يا رسول الله ، إن] قوماً حديثي عهد بجاهلية يأتونا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : « سموا أنتم وكلوا » . قال : فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرخص لهم إلا مع تحققها ، والله أعلم .

المذهب الثالث في المسألة : إن ترك البسملة على الذبيحة نسياناً لم يضر ، وإن تركها عمداً

(١) عطاء هو ابن السائب صدوق اختلط وجرير هو ابن عبد الحميد وهو ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط فتصلح روايته في الشواهد والمتابعات والله أعلم .

لم تحل .

هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك ، وأحمد بن حنبل ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه .

وهو محكي عن علي ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وطاوس ، والحسن البصري ، وأبي مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد ، وربيعه بن أبي عبد الرحمن . ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه « الهداية » الإجماع - قبل الشافعي - على تحريم متروك التسمية عمداً ، فلماذا قال أبو يوسف والمشايخ : لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإجماع .

وهذا الذي قاله غريب جداً ، وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي ، والله أعلم . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : من حرم ذبيحة الناسي ، فقد خرج من قول جميع الحجة ، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك .

يعني ما رواه الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عباس الأصم ، حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « المسلم يكفيه اسمه ، إن نسي أن يسمي حين يذبح ، فليذكر اسم الله وليأكله » .

وهذا الحديث رفعه خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزيري^(١) ، فإنه - وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور ، وعبد الله بن زبير الحميدي رواه عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن أبي الشعثاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، من قوله . فرادا في إسناده « أبا الشعثاء » ، ووفقا ، والله أعلم ، وهذا أصح ، نص عليه البيهقي .

وقد نقل ابن جرير وغيره . عن الشعبي ومحمد بن سيرين ، أنهما كرها متروك التسمية نسياناً ، والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيراً والله أعلم ؛ إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفاً لقول الجمهور ، فيعده إجماعاً ، فليعلم هذا ، والله الموفق .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن جهير بن يزيد قال : سئل الحسن ، سأله رجل : أتيت بطير كرى^(٢) . فمعه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه ، ومنه من نسي

(٢) وهو صدوق يخطئ كما في التقريب .

(٣) ابن وكيع هو سفيان فيه ضعف وعند الطبري حميد بن يزيد وهو أبو الخطاب قال ابن القطان : مجهول الحال . كما في التهذيب وقوله : بطير كرى هو بفتحين وفي التعليق على تفسير الطبري قال جمع الكروان وهو طائر بين الدجاجة والحمامة حسن الصوت يؤكل لحمه . وذكر صاحب لسان العرب أنه يدعى الخجل والقيج =

أن يذكر اسم الله عليه ، واختلط الطير ، فقال الحسن : كله ، كله . قال : وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه ، عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي ذر ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » - وفيه نظر ، والله أعلم^(٤) .

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي ، من حديث مروان بن سالم القرقيساني ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، رأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي ؟ فقال النبي ﷺ : « اسم الله على كل مسلم » .

ولكن هذا إسناد ضعيف ، فإن مروان بن سالم القرقيساني أبا عبد الله الشامي ، ضعيف ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، والله أعلم^(٥) .

وقد أفردت هذه المسألة على حدة ، وذكرت مذاهب الأئمة وما أخذهم وأدلتهم ، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية : هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم : لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به . وعلى هذا قول عامة أهل العلم .

وروي عن الحسن البصري وعكرمة . ما حدثنا به ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن بن واقد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال الله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ، فنسخ واستثنى من ذلك ، فقال : ﴿ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْ لَهُمْ ﴾^(٦) .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على العباس بن الوليد بن مزيد ، حدثنا محمد بن شعيب ، أخبرني النعمان - يعني ابن المنذر - عن مكحول قال : أنزل الله في القرآن : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ

= والصحيح أنه ضرب من الطير شبيه به . ويقال له عند صيده : أطرق كرى ، أطرق كرى ، أن النعام في القرى فيجبن ويلتصق في الأرض فيلقي عليه ثوب فيصاد .

(٤) الحديث صحيح لغيره فقد جاء من طريق بشر بن بكر التنيسي رواه ابن حزم في المحلى (ج ٧ / ٢١٠) وفي الزوائد كما في تحفة الأشراف ، وأشارت إلى رواية بشر بن بكر دون غيرها لأن ابن حزم نقل عن أحمد أنه قال في رواية الوليد بن مسلم : هذا كذاب ، ثم قال ابن حزم : ومن بدل الإسناد فقد أخطأ أو كذب إن تعدد ذلك .

(٥) والحديث أخرجه ابن عدي ، الكامل (ج ٦ / ٢٣٨١) .

(٦) ابن حميد اسمه محمد وهو ضعيف والخبر عند الطبري (ج ١٢ / ٧٨) .

اسم الله عليه ﷻ ، ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ ، فنسخها الله بذلك وأحل طعام أهل الكتاب^(٧) .

ثم قال ابن جرير : والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب ، وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه .

وهذا الذي قاله صحيح ، ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق قال : قال رجل لابن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ؟ قال : صدق ، وتلا هذه الآية : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾^(٨) .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل قال : كنت قاعداً عند ابن عباس ، وحج المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، وزعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة ؟ . فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت وقلت : يقول ابن عباس صدق . فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ﷺ ، ووحى الشيطان إلى أوليائه ، ثم قرأ : ﴿ وإن الشيطان ليوحون إلى أوليائهم ﴾^(٩) .

وقد تقدم عن عكرمة في قوله : ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ نحو هذا .

وقوله ﴿ ليجادلوك ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : خاصمت اليهود النبي ﷺ ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ﴾^(١٠) .

هكذا رواه مرسلأ ، ورواه أبو داود متصلاً فقال :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن

(٧) سنده صحيح إلى مكحول وهو الشامي ثقة فقيه كثير الإرسال وليس هذا من النسخ في شيء بل هو تخصيص وبعضهم ربما سمي التخصيص نسخاً .

(٨) منقطع ففي جامع التحصيل قال أبو حاتم لم يسمع - يعني أبا إسحاق - من ابن عمر إنما رآه رؤية .

(٩) أبو زميل مصغراً هو سماك بن الوليد ليس به بأس .

(١٠) مرسل وهو من قسم الضعيف وعطاء صدوق اختلط ، كما في التقريب وعمران بن عيينة صدوق له أوهام وله أربعة إخوة سفيان وآدم وإبراهيم ومحمد قال الحاكم أبو عبد الله : سمعت أبا علي النيسابوري غير مرة يقول : كلهم حدثوا عن آخرهم .

جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ... الآية^(١١).

وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة ، به .

ورواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي ، عن عمران بن عيينة ، به . وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا .

الثاني : أن الآية من الأنعام ، وهي مكية .

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الحرشي ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، [عن ابن عباس . ورواه الترمذي بلفظ : أتى ناس النبي ﷺ .. ، فذكره وقال : حسن غريب ، وروي عن سعيد بن جبير [مرسل^(١٢)] .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ، أرسلت فارس إلى قريش : أن خاصموا محمداً وقولوا له : كما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام . فنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ قال : الشياطين من فارس ، وأوليائهم قريش^(١٣) .

(١١) أخرجه في كتاب الأضاحي (٢٤٦/٣) وهكذا أهل الباطل يهرجون باطلهم فيأخذهم عنهم رعا ع الناس وجهلتهم .

(١٢) (ج ٥/٢٦٣ - ٢٦٤) وكلها من طريق عطاء بن السائب وتقدم أنه صدوق اختلط وذكروا في ترجمته أن من روى عنه من الأكابر كشعبة وسفيان الثوري فسماعه منه صحيح قال الحافظ في التهذيب وقال أحمد ابن أبي نجيح عن ابن معين : ليث بن أبي سليم ضعيف مثل عطاء بن السائب وجميع من سمع من سمع من سمع منه في الاختلاط إلا شعبة والثوري .

قلت : فالذي يظهر أن عمران ممن سمع من عطاء في الاختلاط فيصلح حديثه في الشواهد والمتابعات . وزيد بن عبد الله البكائي في التهذيب عن أبي داود عن ابن معين زياد البكائي في ابن إسحاق ثقة كأنه يضعفه في غيره .

قلت : فيصلح حديثه أيضاً ففي التهذيب أن البخاري أخرج له حديثاً مقروناً بغيره وذلك حديث أنس : غاب عمي أنس بن النضر عن بدر

(١٣) شيخ الطبراني لم أجد له ترجمة غير أنني وجدته في ترجمة شيخه زيد بن المبارك الصنعاني قال في التهذيب ويروي عنه ابن أخيه علي بن محمد بن المبارك الصنعاني . اهـ .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه . وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(١٤) .

ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد الله ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به . وهذا إسناد صحيح ^(١٥) .

ورواه ابن جرير من طرق متعددة ، عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ ، والله أعلم ^(١٦) .

وقال ابن جريج : قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة : إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبهم فارس وكتبت فارس إلى مشركي قريش : إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله [محمد وأصحابه - للميتة] وما ذبحوا هم يأكلون . فكتب بذلك المشركون أصحاب محمد ﷺ ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين [من ذلك شيء ، فأنزل الله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ ﴾] الآية ونزلت : ﴿ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُوراً ﴾ ^(١٧) .

وقال السدي في تفسير هذه الآية : إن المشركين قالوا للمؤمنين : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله ، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله : ﴿ لَنْ أُطْعِمَهُمْ ﴾ فأكلتم الميتة ، ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهكذا قاله مجاهد ، والضحاك ^(١٨) ، وغير واحد من علماء السلف ، رحمهم الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أُطْعِمَهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ، أى : حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره ، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾

= وزيد وموسى يحسن حديثهما . وهو عند الطبري (ج ١٢ / ٧٧) من طريق عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري وهو ثقة مترجم له في الجرح عن موسى بن عبد العزيز به . فعلى هذا يكون الحديث حسناً ، والحمد لله .

(١٤) (ج ٥ / ٢٤٥) من سننه ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب كما في التقريب لكنه هنا في المتابعات .
(١٥) (ج ٢ / ١٠٥٩) وأما ابن أبي حاتم فلم أقف على كتابه وأما قول المؤلف : وهذا إسناد صحيح . نعم لو سلم من العلة المتقدمة ، والله أعلم .

(١٦) قوله : رواه ابن جرير من طرق متعددة .
قلت : هي في التفسير (ج ١٢ / ٧٦ إلى ٨٧) فالذي يظهر لي أن مجموع ما تقدم وما سيأتي من الأحاديث والآثار تدل على ثبوت ذلك ، والله أعلم .

(١٧) ضعيف لأنه من طريق سنيد .
(١٨) وهذه الآثار عند الطبري أيضاً (ج ١٢ / ٧٨ إلى ٨٢) وصح منها أثر مجاهد وبقيتها فيها ضعف .

أرباباً من دون الله ... ﴿ الآية ، وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال : يا رسول الله ، ما عبدوهم ، فقال : « بل إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » ^(١٩).

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ
مِّنْهَا كَذَلِكَ نُزِّنُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

هذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي كان ميتاً ، أي : في الضلالة ، هالكاً حائراً ، فأحياه الله ، أي : أحيا قلبه بالإيمان ، وهداه له ووفقه لاتباع رسله . ﴿ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ ، أي : يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به . والنور هو : القرآن ، كما رواه العوفي وابن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وقال السدي : الإسلام . والكل صحيح .

﴿ كمن مثله في الظلمات ﴾ ، أي : الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة ، ﴿ ليس بخارج منها ﴾ ، أي : لا يهتدي إلى منفذ ، ولا مخلص مما هو فيه ، كما قال تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوي الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير ﴾ . والآيات في هذا كثيرة ، ووجه المناسبة في ضربه المثلين هاهنا بالنور والظلمات ، ما تقدم في أول السورة : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ .

وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان ، فقيل : عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتاً فأحياه الله ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس . وقيل : عمار بن ياسر : وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها : أبو جهل عمرو بن هشام ، لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة ، يدخل فيها كل مؤمن وكافر .

(١٩) نعم رواه (ج ٥ / ٢٧٨) وهو ضعيف الحسين بن يزيد شيخ الترمذي لين الحديث وكذا غطيف بن أعين ضعيف ، قال الحافظ في التهذيب : روى له الترمذي حديثاً واحداً وقال : ليس بمعروف في الحديث قال الحافظ : قلت : وضعفه الدارقطني .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، أي : حسناً لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة ، قدرأ من الله وحكمة بالغة ، لا إله إلا هو .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي

كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرٍ مَجْرِمٍ مِثْلَ مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ
مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى : وكما جعلنا في قريتك - يا محمد - أكبر من المجرمين ، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله ، وإلى مخالفتك وعداوتك ، كذلك كانت الرسل من قبلك يتلون بذلك ، ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها ﴾ الآية ، قيل : معناه أمرناهم بالطاعات ، فخالفوا ، فدمرناهم . وقيل : أمرناهم أمراً قديراً ، كما قال هاهنا : ﴿ يَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ أكبر مجرميها ﴾ ، قال : سلطنا شرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب^(٢٠) .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ أكبر مجرميها ﴾ ، قال : عظماءها^(٢١) .

قلت : وهذا كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ . والمراد بالمرح هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال ، كما قال تعالى إخباراً عن قوم نوح : ﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنكم مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين .

(٢٠) منقطع .

(٢١) كلاهما صحيح رواها الطبري (ج ٩٤/١٢) .

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ... ﴿ الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان قال : كل مكر في القرآن فهو عمل^(٢٢) .

وقوله : ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ ، أي : وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ ، وقال : ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ .

وقوله : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ ، أي : إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة ، قالوا : ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ ، أي : حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة ، كما تأتي إلى الرسل ، كقوله جلا وعلا : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾^(٢٣) ، أي : هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أ هم يقسمون رحمة ربك ﴾ الآية ، يعنون : لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في أعينهم ﴿ من القريتين ﴾ ، أي : مكة والطائف . وذلك لأنهم - قبحهم الله - كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً ، وعناداً واستكباراً ، كما قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً ، أهذا الذي يذکر آهتكم ، وهم يذکر الرحمن هم كفرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ، أهذا الذي بعث الله رسولاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ . هذا وهم يعترفون بفضلته وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومرباه ومنشئه ، حتى إنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه : « الأمين » ، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار « أبو سفيان » حين سأله « هرقل » ملك الروم : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، الحديث بطوله ، استدل به ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام

(٢٢) الأثر في تفسير ابن عيينة (ص ٢٧٢) وذكر المعلق عليه أنه عند ابن أبي حاتم مخطوط (٢/٢١١) .

(٢٣) قوله رسالاته قرأ بها السبعة إلا ابن كثير وحفصاً فإنهما قرآ رسالته .

والقراء السبعة هم : أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم . وعبد الله بن كثير المدني . وابن عامر هو عبد الله بن عامر اليحصبي . والكسائي هو علي بن حمزة وأبو عمرو هو ابن العلاء بن عمار . وحمزة هو ابن حبيب الزيات . وأبو بكر هو عاصم بن أبي النجود . وأما حفص بن سليمان فهو مشهور بالرواية عن عاصم .

على صدقه ونبوته وصحة ما جاء به ^(٢٤).

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، عن شداد أبي عمار ، عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » ^(٢٥).

انفرد بإخراجه مسلم من حديث الأوزاعي - وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام - به نحوه ^(٢٦).

وفي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » ^(٢٧).

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ، فصعد المنبر فقال : « من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله . قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة . وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » ^(٢٨).

صدق صلوات الله وسلامه عليه .

وفي الحديث أيضاً المروي عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقتها ومغاربها فلم أجد [رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقتها

(٢٤) الحديث تقدم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ الآية وأنه في الصحيحين .

(٢٥) الحديث حسن بهذا السند محمد بن مصعب صدوق كثير الغلط والحديث في المسند (ج ٤ / ١٠٧) .

(٢٦) مسلم (ج ٤ / ١٧٨٢) يعني دون البخاري وأخرجه الترمذي (ج ٥ / ٥٨٣) وقال : حسن صحيح غريب . وأحمد في المسند (ج ٢ / ٣٧٣ و ٤١٧) .

(٢٧) في الجزء السادس (ص ٥٦٦) .

(٢٨) ضعيف وهو في ج (١٢٠ / ١) من المسند وأخرجه الترمذي (ج ٥ / ٥٨٤) والنسائي - في الكبرى - كما في تحفة الأشراف عن قتبية عن أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد إلى قوله : ورواه جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن ربيعة وهو الصواب . انتهى .

قلت : وأياً ما كان فهو يدور على يزيد بن أبي زياد الهاشمي وهو ضعيف وقد تقدم أن هناك يزيد بن أبي زياد آخر وهو الدمشقي المتروك .

ومغارها فلم أجد [بني أب أفضل من بني هاشم]^(٢٩).

رواه الحاكم والبيهقي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر ، حدثنا عاصم ، عن زر بن حبیش ، عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد . فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه فابتعته برسائله . ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئاً^(٣٠).

وقال أحمد : حدثنا شعاع بن الوليد قال : ذكره قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن سلمان قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك » . قلت : يا رسول الله ، كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ قال : « تبغض العرب فتبغضني »^(٣١).

وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية : ذكر عن محمد بن منصور الجواز ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حسين قال : أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ . قال : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾^(٣٢).

وقوله تعالى : ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد ... ﴾ الآية ، هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد ، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاءوا به ، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله ﴿ صغار ﴾ وهو الذلة الدائمة ، لما أنهم استكبروا وأعقبهم ذلك ذلاً كما قال

(٢٩) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية (ج ٢ / ٢٤٠) وروى الحاكم والبيهقي أيضاً من حديث موسى ابن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة وأبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وقال عقبه : قال الحافظ البيهقي : وهذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع ، والله أعلم .

(٣٠) هذا موقوف على ابن مسعود وسنده حسن وهو في المسند (ج ١ / ٣٧٩) وعند أبي داود الطيالسي برقم (٢٤٦) من طريق المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله وهو مختلط وأبو داود ممن سمع منه بعد الاختلاط كما في الكواكب النيرات ، ورواه الحافظ الخطيب البغدادي في التاريخ (ج ٤ / ١٦٥) من حديث أنس مرفوعاً ولا يثبت ففي سنده أبو داود النخعي واسمه سليمان بن عمرو وهو كذاب كما أفادني به الأخ الفاضل أبو المنذر أحمد بن سعيد جزاه الله خيراً .

(٣١) الحديث ضعيف ، قابوس بن أبي ظبيان هو حصين بن جندب وثقه ابن معين والنسائي وأبو زرعة والدارقطني والعجلي وقال أحمد بن حنبل : كان شعبة ينكر أن يكون سمع من سلمان . انتهى ملخصاً من تهذيب التهذيب . وفي طبقته أبو ظبيان آخر قرشي وهو مجهول .

(٣٢) ضعيف لأنه معلق بصيغة التريض والغالب عليها الضعف وابن أبي حسين هو عبد الله بن عبد الرحمن ، قال الحافظ في التقریب : ثقة عالم بالمناسك .

تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، أي : صاغرين ذليلين حقيرين .

وقوله : ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ ، لما كان [المكر] غالباً إنما يكون خفياً ، وهو التلطف في التحيل والخديعة ، قوبلوا بالعذاب الشديد جزاء وفاقاً ، ﴿ وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ، أي : تظهر المستترات والمكنونات والضمائر . وجاء في الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة ، فيقال : هذه غدره فلان بن فلان » (٣٣) .

والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعل .

فَمَنْ

يُرِدُّ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّ أَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ، أي : ييسره له وينشطه ويسهله لذلك ، فهذه علامة على الخير كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ، يقول : يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به وكذا قال أبو مالك ، وغير واحد . وهو ظاهر .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : سئل النبي ﷺ : أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم ذكراً للموت ، وأكثرهم لما بعده استعداداً » . قال : وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ، قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال : « نور يُقَدِّفُ فِيهِ ، فينشرح له

(٣٣) البخاري في الفتن (ج ١٣/٦٨) ومسلم في الجهاد (ج ٣/١٣٥٩) بالفاظ متقاربة من حديث أبي سعيد ورواه الترمذي (ج ٤/٤٨٣) من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وينفسح . قالوا : فهل لذلك من أمانة يُعرف بها ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت »^(٣٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان - يعني الثوري - عن عمرو ابن مرة ، عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ ، فذكر نحو ما تقدم^(٣٥) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات القزاز ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح » . قالوا : يا رسول الله ، هل لذلك من أمانة ؟ قال : « نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت » .

وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن المسور قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ ، قالوا : يا رسول الله ، ما هذا الشرح ؟ قال : « نور يقذف به في القلب » . قالوا : يا رسول الله ، فهل لذلك من أمانة ؟ قال : « نعم » . قالوا : وما هي ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت » .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » . قالوا : فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتنجي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت »^(٣٦) .

(٣٤) هذا الأثر وما بعده عند الطبري (ج ٩٨/١٢ - ١٠٠) وهي ضعيفة لأنها من طريق أبي جعفر وهو الذي يقال فيه : كان يسكن المدائن ويقال أيضاً : كان من بني هاشم وترجمته عند ابن أبي حاتم في الجرح واسمه عبد الله بن المسور كان يضع الحديث يشبه حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحملها الناس وروايتها عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرسلة وهو ضعيف كذاب قال الذهبي : ليس بثقة .

(٣٥) هو عبد الله بن المسور أبو جعفر الوضاع المتقدم ذكره .

(٣٦) ضعيف لعلتين فيه أحدهما : ضعف سعيد بن عبد الملك قال أبو حاتم : يتكلمون فيه روى أحاديث كذب والثانية : الانقطاع بين أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وأبيه فإنه لم يسمع منه كما في جامع التحصيل وغيره .

وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلاً مرفوعاً فقال : حدثني ابن سنان القزاز ، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة ، عن عبد الله ابن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يشرح صدره ؟ قال : « يدخل فيه النور فينفسح » . قالوا : وهل لذلك علامة يا رسول الله ؟ قال : « التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت » ^(٣٧) .

فهذه طرق للحديث مرسله ومتصلة ، يشد بعضها بعضاً ^(٣٨) ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ ، [قرىء] بفتح الضاد وتسكين الياء ، والأكثر : ﴿ ضيقاً ﴾ بتشديد الياء وكسرها ، وهما لغتان : كَهَيْنَ وَهَيْنَ . وقرأ بعضهم ﴿ حرجاً ﴾ بفتح الحاء وكسر الراء ، قيل : بمعنى آثم . وقال السدي . وقيل : بمعنى القراءة الأخرى ﴿ حَرَجاً ﴾ بفتح الحاء والراء ، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه .

وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً من الأعراب من أهل البادية من مُدَلِّج : ما الحرجة ؟ قال : هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ، ولا وحشية ، ولا شيء . فقال عمر رضي الله عنه : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير ^(٣٩) .

وقال العوفي عن ابن عباس : يجعل الله عليه الإسلام ضيقاً ، والإسلام واسع . وذلك حين يقول : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ، يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق . وقال مجاهد والسدي : ضيقاً حرجاً : شاكاً .

وقال عطاء الخراساني : ﴿ ضيقاً حرجاً ﴾ : ليس للخير فيه منفذ ^(٤٠) .

وقال ابن المبارك ، عن ابن جريح ﴿ ضيقاً حرجاً ﴾ : بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع

(٣٧) قوله عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة والذي عند الطبري (ج ١٢ / ١٠٠ - ١٠٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة وهو الصواب إن شاء الله ، ومحبوب بن الحسن شيخ الطبري صدوق فيه لين رمي بالقدر وذكر الشيخ الألباني حفظه الله أن الوهم منه كما في الضعيفة حديث (٩٦٥) .

(٣٨) الذي يظهر لي أنه لا يشد بعضها بعضاً لأن الضعف فيها شديد فالحديث الأول من طريق أبي جعفر المدائني وحديث ابن مسعود منقطع بين أبي عبيدة وأبيه والطريق الأخرى فيها المسعودي وهو مختلط ومحبوب بن الحسن صدوق فيه لين وذكر الألباني أنه أخطأ فيه كما تقدم فالطريق الأخيرة هي التي تصلح إن جاء ما يعضدها من أشباهها .

(٣٩) رواه الطبري بسند فيه عبد الله بن عمار عن أبي الصلت : مجهول عن مقبول .

(٤٠) كل هذه الآثار عند ابن (جرير ج ١٢ / ١٠٤ - ١٠٥) وأصحها أثر قتادة وعطاء وأضعفها أثر ابن عباس إذ هو من طريق العوفيين .

أن تدخله ، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه^(٤١) .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ ، قال : لا يجد فيه مسلماً إلا ضعداً .

وقال السدي : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ من ضيق صدره^(٤٢) .

وقال عطاء الخراساني : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ ، يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى السماء^(٤٣) .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ ، يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء ، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه ، حتى يدخله الله قلبه^(٤٤) .

وقال الأوزاعي : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ ، كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقاً أن يكون مسلماً .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن الوصول الإيمان إليه يقول : فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته^(٤٥) .

وقال في قوله : ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ ، يقول : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً ، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أوى الإيمان بالله ورسوله ، فيغويه ويصده عن سبيل الله .

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الرجس : الشيطان . وقال مجاهد : الرجس : كل ما لا خير فيه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس : العذاب^(٤٦) .

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا

(٤١) الثنئي بن إبراهيم لا ندري ما حاله وهو عند الطبري (ج ١٢ / ١٠٦) .

(٤٢) أثر سعيد والسدي فيهما ضعف .

(٤٣) أثر عطاء صحيح إليه .

(٤٤) أثر ابن عباس ذكره السيوطي في الدر المنثور (ج ٣ / ٤٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤٥) (ج ١٢ / ١٠٩) .

(٤٦) ثلاثها عند الطبري (ج ١٢ / ١١١) وسند الأول : ضعيف والثاني : حسن والثالث : صحيح .

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

لما ذكر تعالى طريقة الضالين عن سبيله ، الصادين عنها ، نبه على أشرف ما أُرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، فقال : ﴿ وهذا صراط ربك مستقيماً ﴾ - منصوب على الحال ، أي : هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن ، هو صراط الله المستقيم ، كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن : « هو صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم » . رواه أحمد والترمذي ^(٤٧) بطوله .

﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ ، أي : وضحناها وبينناها وفسرناها ، ﴿ لقوم يذكرون ﴾ ، أي : لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله .

﴿ لهم دار السلام ﴾ ، وهي الجنة ، ﴿ عند ربهم ﴾ ، أي : يوم القيامة . وإنما وصف الله الجنة هاهنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلوكه من الصراط المستقيم ، المقتني أثر الأنبياء وطرائقهم ، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام .

﴿ وهو وليهم ﴾ ، أي : والسلام - وهو الله - وليهم ، أي حافظهم وناصرهم ومؤيدهم ، ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ ، أي : جزاء أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة ، بمنه وكرمه .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعُرُ الْجَنَّةَ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ
مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مُثُولُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا
شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى : واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتذكرهم به ﴿ يوم يحشرهم جميعاً ﴾ ، يعني الجن وأولياءهم ﴿ من الإنس ﴾ الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ، ويعوذون بهم ويطيعونهم ، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ ، أي : ثم يقول : يا معشر الجن . وسياق الكلام يدل على المحذوف .

ومعنى قوله : ﴿ قد استكثرتم من الإنس ﴾ ، أي : من إضلالهم وإغوائهم ، كما قال : ﴿ ألم

(٤٧) (ج ١/٩١) والذي رواه بطوله هو الترمذي (ج ٥/١٧٢) وفيه أبو المختار الطائي وهو مجهول والحارث هو ابن عبد الله الأعور ضعيف بل كذبه الشعبي .

أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم .
ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴿ ١٢٨ ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يا معشر الجن ، قد استكثرتم من الإنس ﴾ ،
يعني : أضللتهم منهم كثيراً . وكذلك قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة .

﴿ وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ ، يعني : أن أولياء الجن من
الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي : حدثنا أبو الأشهب هوزة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن
الحسن في هذه الآية قال : استكثر ربكم أهل النار يوم القيامة ، فقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع
بعضنا ببعض . قال الحسن : وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت ، وعملت
الإنس ^(٤٨) .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ ، قال : الصحابة في
الدنيا ^(٤٩) .

وقال ابن جريج : كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض ، فيقول : «أعوذ بكبير هذا
الوادي» . فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة .

وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان - فيما ذكر - ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم
إياهم في استعازتهم بهم ، فيقولون : قد سدننا الإنس والجن .

﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ قال السدي : أي الموت ^(٥٠) .

قال : ﴿ النار مثواكم ﴾ ، أي : مأواكم ومنزلكم أنتم وأولياؤكم . ﴿ خالدين فيها ﴾ ، أي :
ماكنين مكناً مخلداً إلا ما شاء الله .

قال بعضهم : يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ . وقال بعضهم : هذا رد إلى مدة الدنيا .
وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود : ﴿ خالدين فيها ما
دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ﴾ .

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح - كاتب

(٤٨) الأثر حسن أبو الأشهب هوزة بن خليفة صدوق كما في التقريب وهناك أبو الأشهب آخر أرفع منه طبقة
• ورتبة اسمه جعفر بن حيان ثقة . وعوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي من رجال الجماعة .

(٤٩) لم أقف على سند .

(٥٠) قول ابن جريج وقول السدي عند الطبري (ج ١١٧/١٠٢) وفيهما ضعف الأول من طريق سنيد والثاني من
طريق أسباط .

الليث - : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : ﴿ النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ ، قال : إن هذه الآية : آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ، لا ينزلهم جنة ولا ناراً^(٥١) .

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

قال سعيد ، عن قتادة في تفسيرها : إنما يؤي الله الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان ، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان . ليس الإيمان بالتبني ولا بالتحلي^(٥٢) . واختاره ابن جرير .

وقال معمر عن قتادة في تفسيرها : ﴿ نولي بعض الظالمين بعضاً ﴾ ، في النار ، يتبع بعضهم بعضاً^(٥٣) .

وقال مالك بن دينار : قرأت في الزبور : إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ، ثم أنتقم من المنافقين جميعاً ، وذلك في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً ﴾^(٥٤) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً ﴾ ، قال : ظالمي الجن وظالمي الإنس ، وقرأ : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيص له شيطاناً فهو له قرين ﴾ ، قال : ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس^(٥٥) .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد ، من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرايسي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود مرفوعاً : « من أعان ظالماً سلطه الله عليه »^(٥٦) .

وهذا حديث غريب ، وقال بعض الشعراء :

(٥١) وهو ضعيف ثم إنه منقطع رواه الطبري (ج ١٢ / ١١٨) .

(٥٢) سنده صحيح إلى قتادة رواه الطبري (ج ١٢ / ١١٩) .

(٥٣) ضعيف لضعف رواية معمر عن قتادة والأثر عند الطبري (ج ١٢ / ١١٩) .

(٥٤) لم أقف على سنده .

(٥٥) سنده صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رواه الطبري (ج ١٢ / ١١٩) .

(٥٦) قال المناوي رحمه الله تعالى : ابن عساكر في التاريخ - أي رواه - من جهة الحسن بن زكرياء عن سعيد ابن عبد الجبار إلى أن قال : قال السخاوي : ابن زكرياء هو العدوي متهم بالوضع فهو آفته . انتهى المراد من فيض القدير .

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بظالم
ومعنى الآية الكريمة : كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن ،
كذلك نفعل بالظالمين ، نسلط بعضهم على بعض ، ونهلك بعضهم ببعض ، ونتقم من بعضهم ببعض ،
جزاء على ظلمهم وبغيهم .

يَمْعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

وهذا أيضاً مما يقرع الله به سبحانه وتعالى كافري الجن والإنس يوم القيامة ، حيث يسألهم -
وهو أعلم - : هل بلغتكم الرسل رسالاته ؟ وهذا استفهام تقرير : ﴿ يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم
رسل منكم ﴾ ، أي : من جملتكم . والرسل من الإنس فقط ، وليس من الجن رسل ، كما نص على
ذلك مجاهد ، وابن جريج^(٥٧) وغير واحد من الأئمة ، من السلف والخلف .
وقال ابن عباس : الرسل من بني آدم ، ومن الجن نُذِرُ^(٥٨) .

وحكى ابن جرير ، عن الضحاك بن مزاحم^(٥٩) أنه زعم أن في الجن رسلاً ، واحتج بهذه
الآية الكريمة وفي الاستدلال بها على ذلك نظر ، لأنها محتملة وليست بصريحة ، وهي - والله أعلم -
كقوله : ﴿ مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ إلى أن قال : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان ﴾ ، ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من الملح لا من الحلو . وهذا واضح ، والله
الحمد . وقد نص على هذا الجواب بعينه ابن جرير^(٦٠) .

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى أن قال : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ﴾ ،

(٥٧) أثر ابن جريج من طريق سنيد .

(٥٨) أثر ابن عباس فيه انقطاع ، روى جميعها الطبري (ج ١٢ / ١٢١ - ١٢٢) .

(٥٩) أثر الضحاك عند الطبري أيضاً وهو ضعيف ، لأنه من طريق ابن حميد .

(٦٠) (ج ١٢ / ١٢١) من التفسير .

وقال تعالى عن إبراهيم : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ - فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس : إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ، ثم انقطعت عنهم بيعته . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ ، وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ ؛ ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ، ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجزئكم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين ﴾ .

وقد جاء في الحديث - الذي رواه الترمذي وغيره - أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى : ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ^(٦١) .

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٣٢)

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ﴾ ، أي : أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك ، وأنذرونا لقائك ، وأن هذا اليوم كائن لا محالة .

قال تعالى : ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ ، أي : وقد فرطوا في حياتهم الدنيا [وهلكوا بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم للمعجزات ، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا] وزينتها وشهواتها ، ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ أنهم كانوا كافرين ﴾ ، أي : في الدنيا ، بما جاءتهم به الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم .

يقول تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ ، أي : إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، لئلا يعاقب أحد بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ، ولكن أعذرنا إلى الأمم ، وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا

(٦١) ضعيف من هذا الوجه ، فقد رواه الترمذي (ج ٣٩٩/٥) من حديث جابر بن عبد الله ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد إلى قوله : وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير ، وأهل العراق يروون أحاديث مقاربة . انتهى المراد . والوليد بن مسلم مدلس ، وقد عتقنا ثم إنه شامي ، وقد سمعت ما قال البخاري .

خلا فيها نذير ﴿﴾ ، وقال تعالى : ﴿﴾ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴿﴾ ، وقال تعالى : ﴿﴾ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴿﴾ ، وقال تعالى : ﴿﴾ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير فكذبنا ﴿﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : ويحتمل قوله تعالى ﴿﴾ بظلم ﴿﴾ وجهين :

أحدهما : ذلك من أجل ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه ، وهم غافلون ، يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم من ينههم على حجج الله عليهم ، وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا : ﴿﴾ ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴿﴾ .

والوجه الثاني أن ﴿﴾ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ﴿﴾ ، يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلام لعبيده .

ثم شرع يرجع الوجه الأول ، ولا شك أنه أقوى ، والله أعلم .

وقال : وقوله : ﴿﴾ ولكل درجات مما عملوا ﴿﴾ ، أي : ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها ، ويشبه بها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

قلت : ويحتمل أن يعود قوله : ﴿﴾ ولكل درجات مما عملوا ﴿﴾ من كافري الجن والإنس ، أي : ولكل درجة في النار بحسبه ، كقوله : ﴿﴾ قال : لكل ضعف ﴿﴾ وقوله : ﴿﴾ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴿﴾ .

﴿﴾ وما ربك بغافل عما يعملون ﴿﴾ ، قال ابن جرير : أي وكل ذلك من عملهم ، يا محمد ، بعلم من ربك ، يحصيا ويشتها لهم عنده ، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه .

وَرَبُّكَ

الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَا تِلْكَ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

يقول : ﴿﴾ وربك ﴿﴾ يا محمد ﴿﴾ الغني ﴿﴾ ، أي : عن جميع خلقه من جميع الوجوه ، وهم

الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، ﴿ ذُو الرِّحْمَةِ ﴾ ، أي : وهو مع ذلك رحيم بهم رءوف ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ ، أي : إذا خالفتم أمره ﴿ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴾ أي : قومًا آخرين ، أي : يعملون بطاعته ، ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ ، أي : هو قادر على ذلك ، سهل عليه ، يسير لديه ، كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها ، كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة قال : سمعت أبا نبيس بن عثمان يقول في هذه الآية : ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ : الذرية : الأصل ، والذرية : النسل^(٦٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَوَعْدُونَ لَأَتِ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ، أي : أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة ، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ، أي : لا تعجزون الله ، بل هو قادر على إعادتكم ، وإن صرتم تراباً رفاتاً وعظاماً هو قادر لا يعجزه شيء .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها : حدثني أبي ، حدثنا محمد بن المصفي ، حدثنا محمد بن حمير ، عن أبي بكر بن أبي مریم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « يا بني آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموت . والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمُعْجِزِينَ »^(٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ : يَا قَوْمِ ، اْعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [هذا تهديد شديد ، ووعد أكيد] ، أي : استمروا على طريقكم وناحياتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى ، فأنا مستمر على طريقي ومنهجي ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ : اْعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ . وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ ، أي : ناحياتكم .

(٦٢) ابن إسحاق صدوق وهو مدلس وقد عنعن .

(٦٣) ضعيف بهذا السند لضعف أبي بكر بن أبي مریم ، قال أبو زرعة : ضعيف منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، طرقه لصوص فأخذوا متاعه فاختلط . وقال يزيد بن هارون : كان من العباد المجتهدين ، وقال بقية بن الوليد : خرجنا إلى زيتون أبي بكر بن أبي مریم في ضيعته فقال لنا نبطى من أهلها : ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام إليها ليلته جميعها . انتهى المراد من التهذيب .

﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون ﴾ ، أي : أتكون لي أو لكم . وقد أنجز موعده له صلوات الله عليه ، فإنه تعالى مكن له في البلاد ، وحكمه في نواصي مخالفه من العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوؤه ، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب ، وكذلك اليمن والبحرين ، وكل ذلك في حياته . ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق^(٦٤) بعد وفاته في أيام خلفائه ، رضي الله عنهم أجمعين ، كما قال الله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ ، وقال : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وله اللعنة وهم سوء الدار ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ ، وقال تعالى إخباراً عن رسله : ﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ... ﴾ الآية ، وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة ، وله الحمد والمنة أولاً وآخراً ، باطناً وظاهراً .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ

مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا

فَمَا كَانَ لَشُرِكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى

شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعاً وكفراً وشركاً ، وجعلوا لله جزءاً من خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ ﴾ ، أي : مما خلق وبرأ ﴿ من الحرث ﴾ ، أي : من الزروع والثمار ﴿ والأنعام نصيباً ﴾ ، أي : جزءاً وقسماً ، ﴿ فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ﴾ .

وقوله : ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، والعوفي ، عن ابن عباس^(٦٥) أنه قال في تفسير هذه الآية : إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً ، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً ، جزءاً ، فما كان من حرث أو

(٦٤) هي القرى كما في التعليق على طبعة الشعب .

(٦٥) وكلاهما ضعيف رواهما ابن جرير ج ١٢/١٣١ - ١٣٢ .

ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه . وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد رده إلى ما جعلوه للوثن . وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن ، فسقى شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن ، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله ، فاختلط بالذي جعلوه للوثن ، قالوا : هذا فقير . ولم يردوه إلى ما جعلوه لله . وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله ، فسقى ما سمي للوثن ، تركوه للوثن ، وكانوا يجرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يجرمونه لله ، فقال الله عز وجل : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ... ﴾ الآية . وهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وغير واحد ^(٦٦) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيره : كل شيء جعلوه لله من ذبح يذبحونه ، لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة . وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ : ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ ^(٦٧) .

أي : ساء ما يقسمون ، فإنهم أخطئوا أولاً في القسمة ، فإن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وله الملك ، وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيقته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه . ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة ، بل جاروا فيها ، كما قال تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى ﴾ .

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُؤُهُمْ لِيُرُدُّوَهُمْ وَوَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

يقول تعالى : وكما زينت الشياطين هؤلاء المشركين أن جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ، وواد البنات خشية العار . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ﴾ ، زينوا لهم قتل أولادهم ^(٦٨) .

(٦٦) أثر قتادة صحيح وأثر مجاهد حسن وأثر السدي ضعيف رواها الطبري ج ١٢/١٣١ - ١٣٣ .

(٦٧) صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

(٦٨) منقطع .

وقال مجاهد : شركاؤهم : شياطينهم ، يأمرونهم أن يقدوا أولادهم خشية العيلة^(٦٩) .

وقال السدي : أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات . وإما ﴿ ليردوهم ﴾ فيهلكوهم ، وإما ﴿ ليلبسوا عليهم دينهم ﴾ . أي : فيخلطوا عليهم دينهم^(٧٠) .

ونحو ذلك قال قتادة ، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٧١) .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ... ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت ﴾ . وقد كانوا أيضاً يقتلون الأولاد من الإملاق ، وهو : الفقر ، أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تاني المال ، وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك . وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان وترزيهه لهم ذلك .

قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه ﴾ ، أي : كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كوناً ، وله الحكمة التامة في ذلك ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ﴿ فذرهم وما يفترون ﴾ ، أي : فدعهم واجتنبهم ما هم فيه ، فسيحكم الله بينك وبينهم .

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ

وَحَرِّثُ جُرٌّ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا
وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « الحجر » الحرام ، مما حرموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرموا . وكذلك قال مجاهد ، والضحاك ، والسدي ، و قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٧٢) .

وقال قتادة : ﴿ وقالوا هذا أنعام وحرث حجر ... ﴾ الآية : تحريم كان عليهم من الشياطين [في أموالهم ، وتغليظ وتشديد ، وكان ذلك من الشياطين] ولم يكن من الله تعالى .

(٦٩) سنده حسن إلى مجاهد .

(٧٠) ضعيف إلى السدي رواها الطبري ج ١٢/ ١٣٧ .

(٧١) كلاهما صحيح إليهما رواهما الطبري أيضاً .

(٧٢) أثر الضحاك والسدي ضعيفان إليهما وبقيتها صحاح رواه الطبري (ج ١٢/ ١٤٣ - ١٤٤) .

وقال ابن زيد بن أسلم : ﴿ حجر ﴾ ، إنما احتجروها لآلهم .

وقال السدي :

﴿ لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ﴾ ، يقولون : حرام أن نطعم إلا من شئنا .

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلم منه حراماً وحلالاً ، قل الله أذن لكم ؟ أم على الله تفترون ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ .

وقال السدي : أما « أنعام حرمت ظهورها » ، فهي البحيرة والسائبة والحام - وأما « الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : إذا أولدوها ، ولا إن نحروها .

وقال أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود : قال لي أبو وائل : تدري ما في قوله : ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴾ ؟ . قلت : لا . قال : هي البحيرة ، كانوا لا يحجون عليها^(٧٣) .

وقال مجاهد : كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء من شأنها ، لا إن ركبوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن سحبوا ، ولا إن عملوا شيئاً^(٧٤) .

﴿ افترأ عليه ﴾ ، أي : على الله ، وكذباً منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه ؛ فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم . ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ : أي : عليه ، ويسندون إليه .

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ نَبِيَّةً فَمَا فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ
إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(١٣٩)

قال أبو إسحاق السبيعي ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس : ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ... ﴾ الآية ، قال : اللبن^(٧٥) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ﴾ ،

(٧٣) رواه ابن جرير ج ١٢/١٤٥ وأبو بكر هو المقرئ الكوفي ثقة .

(٧٤) ضعيف لأنه من طريق سنيد .

(٧٥) هذا مروى عن ابن عباس من غير وجه كما في تفسير الطبري (ج ١٢/١٤٦ - ١٤٧) .

فهو اللبن ، كانوا يحرمونه على إناثهم ، ويشربه ذكراهم . وكانت الشاة إذا ولدت ولداً ذكراً بنحوه ، وكان للرجال دون النساء . وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح . وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء . فنهى الله عن ذلك . وكذا قال السدي .

وقال الشعبي : « البحيرة » : لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء^(٧٦) . وكذا قال عكرمة ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٧٧) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ ، قال : هي السائبة والبحيرة .

وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وقتادة : ﴿ سيجزيهم وصفهم ﴾ ، أي : قولهم الكذب في ذلك^(٧٨) - يعني قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع ... ﴾ الآية .

إنه ﴿ حكيم ﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه [وقدره] ﴿ عليم ﴾ بأعمال عباده من خير وشر ، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء .

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا
مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالى : قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم ، وضيقوا عليهم في أموالهم ، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم - وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافتراءهم ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ، ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله

(٧٦) أثر الشعبي من طريق سنيد .

(٧٧) أثر عكرمة لم أقف على سنده والآخران صحيحان وأثر مجاهد حسن .

(٧٨) سند الأول ضعيف لأنه من طريق أبي جعفر الرازي والثاني حسن والثالث صحيح رواها الطبري (ج ١٢ / ١٥٢) .

افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿٧٩﴾ .

وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه ، عن أبي النعمان محمد ابن الفضل عارم ، عن أبي عوانة - واسمه الوضاح بن عبد الله الشكري عن أبي بشر - واسمه جعفر بن أبي وحشية بن إياس ، به ^(٨٠) .

﴿١٤١﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤٢﴾ وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٣﴾

يقول تعالى بياناً لأنه الخالق لكل شيء ، من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وجزئوها ، فجعلوها حراماً وحلالاً ، فقال : ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « معروشات » مسموكات . وفي رواية : ف « المعروشات » : ما عرش الناس « وغير معروشات » : ما خرج في البر والجبال من الثمرات ^(٨١) . وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « معروشات » : ما عرش من الكرم - « وغير معروشات » : ما لم يعرش من الكرم ^(٨٢) . وكذا قال السدي .

وقال ابن جريج : ﴿ متشابهاً وغير متشابه ﴾ ، قال : متشابهاً في المنظر ، وغير متشابه في الطعم .

وقال محمد بن كعب : ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ ، قال : من رطبه وعنبه .

(٧٩) سنده صحيح إلى ابن عباس .

(٨٠) نعم في قصة زمزم (ج ٦ / ٥٥٠) .

(٨١) ضعيف لأنه منقطع وهذا والذي بعده عند الطبري (ج ١٢ / ١٥٦) .

(٨٢) ضعيف كذلك قال الدارقطني في عطاء ثقة في نفسه لكنه لم يلق ابن عباس وقال أبو داود لم يدرك ابن عباس ولم يره .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال ابن جرير : قال بعضهم : هي الزكاة المفروضة .

حدثنا عمرو ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا يزيد بن درهم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : الزكاة المفروضة ^(٨٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، يعني : الزكاة المفروضة ، يوم يكال ويعلم كياله . وكذا قال سعيد بن المسيب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده ، لم يخرج مما حصد شيئاً فقال الله : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، وذلك أن يعلم ما كياله وحقه ، من كل عشرة واحداً ، وما يلقط الناس من سنبله .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سنته من حديث محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن يحيى بن حبان ، [عن عمه واسع بن حبان] ، عن جابر بن عبد الله . أن النبي ﷺ أمر من كل جاد عشرة أوسق من التمر ، بقنو يعلق في المساجد للمساكين ^(٨٤) .

وهذا إسناد جيد قوي .

وقال طاوس ، وأبو الشعثاء . وقتادة ، والحسن ، والضحاك ، وابن جريج : هي الزكاة ^(٨٥) .

وقال الحسن البصري : هي الصدقة من الحب والثمار . وكذا قال ابن زيد بن أسلم ^(٨٦) .
وقال آخرون : هي حق آخر سوى الزكاة .

وقال أشعث ، عن محمد بن سيرين ، ونافع عن ابن عمر في قوله : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة . رواه ابن مردويه ^(٨٧) .

(٨٣) ضعيف لضعف يزيد بن درهم انظر (ج ١٢ / ١٥٨) من تفسير الطبري وهو أيضاً في الكامل لابن عدي والضعفاء للعقيلي في ترجمة يزيد .

(٨٤) (ج ٣ / ٣٥٩) من المسند وهو عند أبي داود (ج ٢ / ٣٠٥) . وسنده حسن لأنه من طريق ابن إسحاق وهو صدوق مدلس ولكنه قد صرح هنا فلا يضر والله أعلم .

(٨٥) كل هذه الآثار صحيحة إلا أثر الضحاك فإنه من طريق الحسين بن الفرج كذبه ابن معين .

(٨٦) وكلاهما صحيح إليه .

(٨٧) أشعث هو ابن سوار كما في تهذيب الكمال ذكر الحافظ المزني أنه روي عن ابن سيرين ونافع مولى ابن عمر وفي جامع التحصيل أن ابن سيرين من ابن عمر ويقي النظر في السند من ابن مردويه إلى أشعث ونافع والله أعلم .

وروى عبد الله بن المبارك وغيره ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : يعطي من حضره يومئذ ما تيسر ، وليس بالزكاة^(٨٨) .

وقال مجاهد : إذا حضرك المساكين ، طرحت لهم منه^(٨٩) .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : عند الزرع يعطى القبض ، وعند الصرام يعطى القبض ، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام^(٩٠) .

وقال الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : يعطى مثل الضغث^(٩١) .

وقال ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : كان هذا قبل الزكاة : للمساكين ، القبض الضغث لعلف دابته^(٩٢) .

وفي حديث ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد مرفوعاً : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال : ما سقط من السنبل^(٩٣) . رواه ابن مردويه .

وقال آخرون : هذا كله شيء كان واجباً ، ثم نسخ الله بالعشر ونصف العشر . حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، والسدي ، وعطية العوفي . واختاره ابن جرير رحمه الله^(٩٤) .

قلت : وفي تسمية هذا نسخاً نظر ، لأنه قد كان شيء واجباً في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته . قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة ، فالله أعلم .

وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة « ن » : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمْنَهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ ، أي : كالليل المدهم سوداء محترقة ﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَغَدُوا

(٨٨) سنده صحيح إلى عطاء فإنه مروي عنه من غير وجه عند الطبري (ج ١٢/١٦٢ - ١٦٣) .

(٨٩) وهذا كذلك مروي عن مجاهد عن غير وجه عند الطبري (ج ١٢/١٦٣) .

(٩٠) حسن لأنه من طريق الحسن بن يحيى بن الجعد . وهو صدوق .

(٩١) حسن أيضاً لأنه من طريق حماد وهو ابن أبي سليمان صدوق له أوهام كما في التقريب والأثر عند الطبري (ج ١٢/١٦٥) من طريق ابن بشار عن يحيى بن سعيد عن سفيان به .

(٩٢) هو عند الطبري (ج ١٢/١٧٧) من طريق الثني وهو ابن إبراهيم الآملي ولم أقف على ترجمته .

(٩٣) ضعيف لضعف ابن لهيعة وشيخه دراج .

(٩٤) صح منها أثر إبراهيم وبقيتها فيها ضعف رواه الطبري (ج ١٢/١٦٩ - ١٧٠) .

على حرد ﴿﴾ ، أي : قوة وجلد وهمة ﴿﴾ قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ولينا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿﴾ .

وقوله ﴿﴾ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴿﴾ ، قيل : معناه : ولا تسرفوا في الإعطاء ، فتعطوا فوق المعروف .

وقال أبو العالية : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تباروا فيه وأسرفوا ، فأنزل الله : ﴿﴾ ولا تسرفوا ﴿﴾ .

وقال ابن جريج : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جد نخلأ . فقال : لا يأتييني اليوم أحد إلا أطعمته . فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فأنزل الله : ﴿﴾ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴿﴾ . رواه ابن جرير ، عنه .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : ينهى عن السرف في كل شيء .

وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سرف .

وقال السدي في قوله : ﴿﴾ ولا تسرفوا ﴿﴾ ، قال : لا تعطوا أموالكم ، فتقعوا فقراء .

وقال سعيد بن المسيب ، ومحمد بن كعب ، في قوله : ﴿﴾ ولا تسرفوا ﴿﴾ ، قال : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا^(٩٥) .

ثم اختار ابن جرير قول عطاء : إنه نهي عن الإسراف في كل شيء . ولا شك أنه صحيح ، لكن الظاهر - والله أعلم - من سياق الآية حيث قال تعالى : ﴿﴾ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ﴿﴾ أن يكون عائداً إلى الأكل ، أي : ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، كما قال تعالى : ﴿﴾ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴿﴾ الآية . وفي صحيح البخاري تعليقاً : « كلوا واشربوا [والبسوا وتصدقوا] في غير إسراف ولا مخيلة »^(٩٦) . وهذا من هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿﴾ ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴿﴾ ، أي : وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش ، قيل : المراد بالحمولة : ما يحمل عليه من الإبل ، والفرش : الصغار منها . كما قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : ﴿﴾ حمولة ﴿﴾ : ما حمل عليه من الإبل ،

(٩٥) كل هذه الآثار عند الطبري (ج ١٢/ ١٧٤ - ١٧٥) ولا يخلو أثر منها من مقال حاشى قول أبي العالية فإنه

صحيح وكذا قول إياس بن معاوية ولكنهم يتساهلون في الآثار مالا يتساهلون في غيرها والله أعلم .

(٩٦) قوله وفي صحيح البخاري تعليقاً نعم هو في (٢٥٢/ ١٠) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وصله أبو داود الطيالسي والحرث بن أبي أسامة في مسنديهما من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

﴿ فرشاً ﴾ وقال : الصغار من الإبل .

رواه الحاكم ، وقال : صحيح ، ولم يخرجاه^(٩٧) .

وقال ابن عباس : الحمولة هي الكبار ، والفرش : الصغار من الإبل ، وكذا قال مجاهد^(٩٨) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ فأما الحمولة فالإبل والخيول والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ، وأما الفرش فالغنم^(٩٩) .

واختاره ابن جرير ، قال : وأحسبه إنما سمي فرشاً لدنوه من الأرض .

وقال الربيع بن أنس ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة : الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الغنم^(١٠٠) .

وقال السدي : أما الحمولة فالإبل ، وأما الفرش فالفصلاان والعجاجيل والغنم . وما حمل عليه فهو حمولة^(١) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحمولة : ما تركبون ، والفرش : ما تأكلون وتحلبون شاة لا تحمل ، تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافاً وفرشاً^(٢) .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ إلى أن قال : ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى

(٩٧) قوله عن أبي الأحوص هو عوف بن مالك .

وقوله رواه الحاكم نعم (ج ٣١٧/٢) وقوله وقال صحيح ولم يخرجاه كذا في التفسير وفي المستدرک هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قلت : ورواه الطبري (ج ١٢/١٧٨) من طريق سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان الثوري به ، وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن فيصلح حديثه في الشواهد والمتابعات .

(٩٨) عند الطبري من طريق سفيان بن وكيع وهو ضعيف .

(٩٩) ضعيف لأنه منقطع .

(١٠٠) صح من ذلك أثر قتادة وقول الحسن من طريق ابن وكيع وأثر الربيع والضحاك ضعيفان الأول من طريق

ابن وكيع وفيه أيضاً أبو جعفر الرازي والثاني من طريق الحسين بن الفرج كذبه ابن معين فقال كذاب يسرق

الحديث وكان أحمد ويحيى لا يرضيانه وقال أبو زرعة ذهب حديثه . انتهى ملخصاً من لسان الميزان .

(١) فيه ضعف لأنه من طريق أسباط .

(٢) صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

حين ﴿ ، وقال تعالى : ﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع وتلبغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأَيُّ آيات الله تنكرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ ، أي : من الثمار والزرورع والأنعام ، فكلها خلقها الله وجعلها رزقاً لكم ، ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ ، أي طرائقه وأوامره ، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله ، أي : من الثمار والزرورع افتراء على الله ، ﴿ إنه لكم ﴾ ، أي : إن الشيطان - أيها الناس - لكم ﴿ عدو مبین ﴾ ، أي : بين ظاهر العداوة ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة في القرآن .

ثَمْنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ
أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزَاتَيْنِ قُلَّةَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ
أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرَاتَيْنِ قُلَّةَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاء وأنواعاً : بحيرة ، وسائبة ، ووصيلة وحاماً ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزرورع والثمار ، فبين أنه تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات . وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن ، وسواد وهو المعز ، ذكره وأنثاه ، وإلى إبل ذكورها وإناثها . وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها ، بل كلها مخلوقة لبني آدم ، أكلاً ، وركوباً ، وحلباً ، وغير ذلك من وجوه المنافع ، كما قال : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ ، ردّ عليهم في قولهم : ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ :

وقوله : ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ ، أي : أخبروني عن يقين : كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ؟ .

وقال العوفي عن ابن عباس ، قوله : ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ فهذه أربعة أزواج ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكركن حرم أم الأنثيين﴾ ، يقول : لم أحرم شيئاً من ذلك ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ ، يقول : كله حلال^(٣) .

وقوله : ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ ، تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله ، من تحريم ما حرموه من ذلك ، ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾ ، أي : لا أحد أظلم منه ، ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

وأول من دخل في هذه الآية : عمرو بن لحي بن قمعة ، فإنه أول من [غير دين الأنبياء ، وأول من] سيب السوائب ، ووصل الوصيلة ، وحمل الحامي ، كما ثبت ذلك في الصحيح^(٤) .

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

يقول تعالى آمراً عبده ورسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه : قل لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله : ﴿لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾ ، أي : آكل يأكله . قيل : معناه : لا أجد شيئاً مما حرمت حراماً سوى هذه . وقيل : معناه : لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه . فعلى هذا يكون ما رود من التحريمات بعد هذا في سورة « المائدة » ، وفي الأحاديث الواردة ، رافعاً لمفهوم هذه الآية .

ومن الناس من يسمي ذلك نسخاً ، والأكثر من المتأخرين لا يسمونه نسخاً ، لأنه من باب رفع مباح الأصل ، والله أعلم .

(٣) ضعيف لضعف عطية .

(٤) تقدم عن قوله تعالى : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ الآية وهو هناك بعدة طرق كما هو دأب ابن كثير رحمه الله تعالى .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ ، يعني : المهرق .

وقال عكرمة في قوله : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ : لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العروق ، كما تتبعه اليهود .

وقال حماد ، عن عمران بن حدير قال : سألت أبا مجلز عن الدم ، وما يتلطح من الذبح من الرأس ، وعن القدر يرى فيها الحمرة ، فقال : إنما نهى الله عن الدم المسفوح .

وقال قتادة : حرم من الدماء ما كان مسفوحاً ، فأما لحم خالطه دم فلا بأس به .

وقال ابن جرير : حدثنا المثني ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم ، عن عائشة أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً ، والحمرة والدم يكونان على القدر بأساً ، وقرأت هذه الآية^(٥) .

صحيح غريب .

وقال الحميدي : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن عبد الله : إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ، فقال : قد كان يقول ذلك « الحكم بن عمرو » عن رسول الله ﷺ ، ولكن أرى ذلك البحر - يعني ابن عباس - وقرأ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ الآية .

وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني ، عن سفيان ، به . وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج ، عن عمرو بن دينار . ورواه الحاكم في مستدركه [مع أنه في صحيح البخاري^(٥)] ، كما

(٥) كل هذه الآثار عند الطبري (ج ١٢ / ١٩٣) وأصحها أثر قتادة وهذا من طريق المثني كما ترى .

(*) قوله مع أنه في صحيح البخاري ... إلخ نعم هو فيه (ج ٩ / ٦٤٨) عن عمرو بن دينار عن محمد ابن علي عن جابر بن عبد الله وهو فيه أيضاً (ص ٩٥٤) قال عمرو قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن حمر الأهلية فذكره . وأما أبو داود فأخرجه (ج ٤ / ١٦١) عن عمرو بن دينار أخبرني رجل عن جابر بن عبد الله قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أن نأكل لحوم الحمر وأمرنا أن نأكل لحوم الخيل . قال عمرو وأخبرت هذا الخبر أبا الشعثاء فقال : قد كان الحكم الغفاري فينا يقول هذا وأرى ذلك البحر يريد ابن عباس . انتهى .

وأما الحاكم فرواه (ج ٢ / ٣١٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . قلت : ولاضير فسياقة البخاري أصح والحمد لله ثم إن في هذه الرواية وهماً وهو قوله : قلت لجابر بن عبد الله والصواب إنما هو « قلت لجابر بن زيد » كرواية البخاري (ج ٩ / ٦٥٤) ورواية الحميدي (ج ٢ / ٣١٧) نبه عليه شيخنا حفظه الله تعالى في تعليقه على المستدرک ثم قال : وراجع ما كتبت في مقدمة الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين . اهـ

قال الحافظ في الفتح (ج ٩ / ٦٤٩) : وعلى تقدير وجود التعارض من كل جهة فللحديث طرق أخرى عن جابر غير هذه فهو صحيح على كل حال .

رأيت ، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه [: حدثنا محمد بن علي [بن] دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الشعثاء ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً ، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، وتلا هذه الآية : ﴿ قل : لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه ﴾ ^(٦) إلى آخر الآية .

وهذا لفظ ابن مردويه ، ورواه أبو داود منفرداً به ، عن محمد بن داود بن صبيح ، عن أبي نعيم ^(٧) ، به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ماتت شاة لسودة بنت زمعة ، فقالت : يا رسول الله ، ماتت فلانة - تعني الشاة - قال : « فلم لا أخذتم مسكها ؟ » قالت : نأخذ مسك شاة قد ماتت ؟! فقال لها رسول الله ﷺ : « إنما قال الله : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾ ، وإنكم لا تطعمونه ، أن تدبغوه فتنتفعوا به » ، فأرسلت فسلخت مسكها فدبغته ، فاتخذت منه قرية ، حتى تحرق عندنا ^(٨) .

ورواه البخاري والنسائي ، من حديث الشعبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن سودة بنت زمعة ، بذلك أو نحوه ^(٩) .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عيسى بن نائلة الفزاري ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر ، فسأله رجل عن أكل القنفذ ، فقرأ عليه : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه ... ﴾ الآية .

فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة يقول : ذكر عند النبي ﷺ فقال : « خبيثة من الخبائث » . فقال ابن عمر : إن كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال ^(١٠) .

(٦) أما ابن مردويه فلم أف على تفسيره وأما الحاكم ففي المستدرک (ج ١١٥/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : صحيح .

(٧) قوله « ورواه أبو داود » أي في سننه (ج ١٥٧/٤) وسنده صحيح إلى ابن عباس .

(٨) ضعيف من هذا الوجه لضعف رواية سماك عن عكرمة والعبارة بما سيأتي والحديث في المسند (ج ٣٢٧/١ و ٣٢٨) والحمد لله .

(٩) البخاري (ج ٥٦٩/١١) والنسائي (ج ١٧٣/٧) باب جلود الميتة .

(١٠) عيسى بن نائلة الفزاري عن أبيه مجهول عن مجهول فالحديث ضعيف لذلك .

ورواه أبو داود ، عن أبي ثور ، عن سعيد بن منصور ، به ^(١١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ، أي : فمن اضطر إلى أكل شيء مما حرم في هذه الآية الكريمة ، وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان ، ﴿ فَإِنْ رِبَكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، أي : غفور له ، رحيم به .

وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية .

والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه ، من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم ، وإنما حرم ما ذكر في الآية ، من الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به . وما عدا ذلك فلم يحرم ، وإنما هو عفو مسكوت عنه ، فكيف تزعمون أنه حرام ، ومن أين حرمتوه ولم يحرمه ؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء آخر فيما بعد هذا ، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، على المشهور من مذاهب العلماء .

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

قال ابن جرير ^(١٢) : يقول تعالى : وحرمنا على اليهود ﴿ كل ذي ظفر ﴾ ، وهو [من] البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع ، كالإبل والنعام والإوز والبط .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ ، وهو البعير والنعامة .

وكذا قال مجاهد ، والسدي في رواية ^(١٣) .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي ليس بمنفرج الأصابع - وفي رواية عنه : كل شيء متفرق

(١١) قوله « ورواه أبو داود » أي في الأطعمة (ج ٤ / ١٥٧) من طريق إبراهيم بن خالد الكلبي أبي ثور عن سعيد ابن منصور به وهو في المسند (ج ٢ / ٣٨١) من طريق سعيد بن منصور به ولم تزل العلة وهي جهالة عيسى ابن نميلة وأبيه .

(١٢) (ج ١٢ / ١٩٨) والآثار كلها هناك بأسانيدها .

(١٣) أثر ابن عباس منقطع وأثر مجاهد حسن وأثر أسباط فيه ضعف .

الأصابع ، ومنه الديك^(١٤) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ . وكان يقال : البعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان - وفي رواية : البعير والنعامة ، وحرم عليهم من الطير البط وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع^(١٥) .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ كل ذي ظفر ﴾ ، قال : النعامة والبعير ، شقاً شقاً . قلت للقاسم بن أبي بزة وحديثه : ما « شقاً شقاً » ! قال : كل ما لا يفرج من قوائم البهائم . قال : وما انفرج أكلته [اليهود] قال : انفرجت قوائم البهائم والعصافير ، قال : فيهود تأكلها . قال : ولم تنفرج قائمة البعير ، خفه ، ولا خف النعامة ولا قائمة الوز ، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوز ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ، ولا تأكل حمار وحش^(١٦) .

وقوله : ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ ، قال السدي : الثرب وشحم الكلبيين . وكانت اليهود تقول : إنه حرمه إسرائيل ، فنحن نحرمه . وكذا قال ابن زيد^(١٧) .

وقال قتادة : الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم^(١٨) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إلا ما حملت ظهورهما ﴾ : يعني ما علق بالظهر من الشحوم .

وقال السدي وأبو صالح : الآية ، مما حملت ظهورهما^(١٩) .

وقوله : ﴿ أو الحوايا ﴾ ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير : الحوايا جمع ، واحدها حاوية ، وحاوية [وحاوية] وهو ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار ، وهي بنات اللبن ، وهي « المباعر » وتسمى « المرباض » ، وفيها الأمعاء .

قال : ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أو الحوايا ، وهي المبر .

وقال مجاهد : الحوايا : المبر ، والمربض ، وكذا قال سعيد بن جبير ، والضحاك ، وقاتدة ،

(١٤) سنده فيه ضعف إلى سعيد .

(١٥) أثر قتادة صحيح إليه .

(١٦) ضعيف لأنه من طريق سنيد والأثر وما بعده عند الطبري (ج ١٢ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

(١٧) أثر السدي ضعيف وأثر ابن زيد صحيح إليه .

(١٨) ضعيف لأنه من طريق سنيد .

(١٩) في سنده ضعف وانقطاع أعني قول ابن عباس وكذا أثر السدي وأبي صالح فيهما ضعف .

وأبو مالك ، والسدي .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ الحوايا ﴾ ، المراض التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهي بنات اللبن ، وهي في كلام العرب تدعى المراض^(٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ ، أي : وإلا ما اختلط من الشحوم بالعظام فقد أحلله لهم .

وقال ابن جريج : شحم الآية اختلط بالعُصْصُ ، فهو حلال . وكل شيء في القائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم ، فهو حلال . ونحوه قال السدي^(٢١) .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناكم ببغيم ﴾ ، أي : هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به ، مجازة لهم على بغيم ومخالفتهم أوامرنا ، كما قال تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ .

وقوله : ﴿ وإنا لصادقون ﴾ ، أي : وإنا لعادلون فيما جازيناكم به .

وقال ابن جرير^(٢٢) : وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم ، لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه [على نفسه] والله أعلم .

وقال عبد الله بن عباس : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن « سمره » باع خمرًا ، فقال : قاتل الله سمره ! ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها » .

أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، به^(٢٣) .

وقال الليث : حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : قال عطاء بن أبي رباح : سمعت جابر بن عبد الله يقول : [سمعت رسول الله ﷺ يقول] عام الفتح : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » . فقيل : يا رسول الله ، رأيت شحوم الميتة ، فإنه يدهن بها الجلود ويطلى بها السفن ويستصبح بها الناس . فقال : « لا ، هو حرام » . ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « قاتل الله ويستصبح بها الناس » .

(٢٠) صح منها أثر مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأما أثر أبي مالك فلم أقف على سند وبقيتها فيها ضعف .

(٢١) كلاهما عند الطبري وفيهما ضعف .

(٢٢) (ج ٢٠٦/١٢) .

(٢٣) قوله « أخرجاه » أي البخاري (ج ٤١٤/٤ و ج ٤٩٦/٦) ومسلم (ج ٣/١٢٠٧) وهو عند النسائي (ج ١٧٧/٧) وابن ماجه (ج ١١٢٢/٢) من حديث سفيان به .

اليهود ، إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ، ثم باعوه وأكلوا ثمنه .
رواه الجماعة من طرق ، عن يزيد بن أبي حبيب به ^(٢٤) .

وقال الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم ، فباعوها وأكلوا ثمنه » .
ورواه البخاري ومسلم جميعاً ، عن عبدان ، عن ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ،
به ^(٢٥) .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق ، حدثنا
سليمان بن حرب ، حدثنا وهيب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن بركة أبي الوليد ، عن ابن عباس أن
رسول الله ﷺ كان قاعداً خلف المقام ، فرفع بصره إلى السماء فقال : « لعن الله اليهود - ثلاثاً -
إن الله حرم عليهم الشحوم ، فباعوها وأكلوا ثمنها . وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم
ثمنه » ^(٢٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، أنبأنا خالد الحذاء ، عن بركة أبي الوليد ، أنبأنا
ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ قاعداً في المسجد مستقبلاً الحجر ، فنظر إلى السماء فضحك ،
[ثم] قال : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ، وإن الله إذا حرم على
قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ^(٢٧) .

ورواه أبو داود ، من حديث خالد الحذاء ^(٢٨) .

وقال الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن كلثوم ، عن أسامة بن زيد قال : دخلنا على
رسول الله ﷺ وهو مريض نعوذ ، فوجدناه نائماً قد غطى وجهه ببرد عدني ، فكشف عن وجهه
وقال : « لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون ثمنها » ^(٢٩) ، وفي رواية : « حرمت عليهم

(٢٤) قوله « رواه الجماعة » أي البخاري (ج ٤/٢٤٤ وج ٨/٢٠ و ٢٩٥) ومسلم (ج ٣/١٢٠٧) وأبو داود
(ج ٣/٧٥٦) والترمذي (ج ٣/٥٨٢) والنسائي (ج ٧/٣٠٩) وابن ماجه (ج ٢/٧٣٢) .

(٢٥) قوله ورواه البخاري ومسلم جميعاً البخاري (ج ٤/٤١٤) ومسلم (ج ٣/١٢٠٨) .

(٢٦) الحديث صحيح شيخ ابن مردويه لم أقف على ترجمته وبقية رجاله ثقات وسيأتي أنه عند أبي داود وأحمد .

(٢٧) قوله « وقال الإمام أحمد » أي في المسند (ج ١/٢٤٧) وهو فيه أيضاً ورقة (٢٩٣) من طريق شريح عن
هشيم عن خالد به وورقة (٣٢٢) من طريق محبوب بن الحسن عن خالد الحذاء به .

(٢٨) قوله رواه أبو داود أي في سننه (ج ٣/٧٥٨) من طريق مسدد عن بشر بن المفضل وخالد الحذاء عن بركة
به ، وبركة هو المجاشعي قال أبو زرعة ثقة كما في التهذيب فالحديث صحيح وقد تقدمت الإشارة إليه والحمد لله .

(٢٩) قوله « وقال الأعمش » ذكره السيوطي في الدر المنثور (ج ٣/٥٣) وعزاه إلى ابن مردويه ورجاله من
الأعمش إلى آخره ثقات وذكره الهيثمي (ج ٢/٢٧) من مجمع الزوائد مختصراً وقال رواه أحمد والطبراني
في الكبير ورجاله موثقون .

الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها» (٣٠).

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ

وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

يقول تعالى : فإن كذبك - يا محمد - مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم ، فقل ، ﴿ ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة ، واتباع رسوله ، ﴿ ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾ ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين . وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن ، كما قال تعالى في آخر هذه السورة : ﴿ إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم ﴾ ، وقال : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ نبيء عبادي أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ ، وقال : ﴿ إن بطش ربك لشديد . إنه هو يديء ويعيد ، وهو الغفور الودود ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْ شُهِدَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

= قلت : رواه (ج ٢٠٣/٥ - ٣٠٤) من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم - يعني عبد الرحمن بن عبد الله - عن قيس بن الربيع عن جامع بن شداد فذكره وقيس بن الربيع صدوق تغير لما كبر أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به كما في التقريب . فتصلح روايته مع رواية الأعمش المذكورة والله أعلم .
(٣٠) تقدم تخريجه قبل قليل .

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى ، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا ، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر ، فلم يغيره ، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ، ولهذا قال : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء ﴾ .

كما في قوله : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ... ﴾ الآية ، وكذلك الآية التي في « النحل » مثل هذه سواء ، قال الله تعالى : ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ ، أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء . وهي حجة داحضة باطلة ، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام .

﴿ قل : هل عندكم من علم ﴾ ، أي : بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿ فتخرجوه لنا ﴾ ، أي : فظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ، ﴿ إن تتبعون إلا الظن ﴾ ، أي : الوهم والخيال . والمراد بالظن هاهنا : الاعتقاد الفاسد ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ أي : تكذبون على الله فيما ادعيتموه .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ولو شاء الله ما أشركنا ﴾ ، وقال : ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ ، ثم قال : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ ، فإنهم قالوا : عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى ، فأخبرهم الله أنها لا تقر بهم ، وقوله : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ ، يقول تعالى : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

وقوله : ﴿ قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ ، يقول لنبيه ﷺ : ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد : ﴿ فله الحجة البالغة ﴾ ، أي : له الحكمة التامة ، والحجة البالغة في هداية من هدى ، وإضلال من أضل ، ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ ، وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ، ويغض الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض ﴾ .

وقوله : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

قال الضحاك : لا حجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده^(٣١) .

وقوله تعالى : ﴿ قل هلم شهداءكم ﴾ ، أي : أحضروا شهداءكم ﴿ الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ ، أي : هذا الذي حرمتموه وكذبتكم واقرتكم على الله فيه ، ﴿ فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ ، أي : لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً ، ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾

(٣١) هذا القول عند الطبري (ج ١٢ / ٢١٢) من قول الربيع بن أنس وليس من قول الضحاك وفيه ضعف لأنه من طريق أبي جعفر الرازي .

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴿١٥١﴾ ، أي : يشركون به ، ويجعلون له عديلاً .

* قُلْ تَعَالَوْا

أَتُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفُؤْحَ حَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قال داود الأودي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه ، فليقرأ هؤلاء الآيات : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٣) .

وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو ، حدثنا عبد الصمد بن الفضل ، حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة قال : سمعت ابن عباس يقول : في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ، ثم قرأ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... ﴾ الآيات .

ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (٣٣) .

قلت : ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس ، به (٣٤) . والله أعلم .

وروى الحاكم أيضاً في مستدركه من حديث يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : «أيكم يباعدني على ثلاث ؟» ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ ، حتى فرغ من الآيات .

(٣٢) ضعيف لأنه من طريق داود الأودي وهو ضعيف رواه الترمذي (ج ٦٤/٥) .

(٣٣) (ج ٣١٧/٢) من المستدرک وقال الذهبي : صحيح .

قلت : وعبد الله بن خليفة من رجال ابن ماجة ثم إنه مقبول تصلح روايته في الشواهد والمتابعات .

(٣٤) عبد الله بن قيس قال الذهبي : لا يدرى من هو تفرد عنه أبو إسحاق .

قلت : ولا أدري من رواه كذلك لكن رواه الطبري (ج ٢٢٦/١٢) من طريق ابن وكيع عن أبيه عن

علي بن صالح - هو ابن حي الهمداني - عن أبي إسحاق به .

سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، وإن شرب الخمر » - وفي بعض الروايات أن القائل ذلك إنما هو أبو ذر لرسول الله ﷺ ، وأنه عليه السلام قال في الثالثة : « وإن رغم أنف أبي ذر » . فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث : وإن رغم أنف أبي ذر .

وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني فأني أغفر لك على ما كان منك ولا أبالي ، ولو أتيتني بقراب الأرض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً . وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك » (٣٧) .

ولهذا شاهد في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود : « من مات لا يشرك بالله شيئاً ، دخل الجنة » (٣٨) . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء : « لا تشركوا بالله شيئاً ، وإن قطعت أو صلبتم أو حرقتم » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، حدثني سيار بن عبد الرحمن ، عن يزيد بن قوذر ، عن سلمة بن شريح ، عن عبادة بن الصامت قال : أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال : « ألا تشركوا بالله شيئاً ، وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم » (٣٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ ، أي : وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحساناً ، أي : أن تحسنوا إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ .

(٣٧) الحديث حسن وأصله في صحيح مسلم (ج ٤ / ٢٠٦٨) ورواه الدارمي (ج ٢ / ٣٢٢) والإمام أحمد (ج ٥ / ١٦٧ و ١٧٢) من حديث أبي ذر وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف ورواه الترمذي (ج ٥ / ٥٤٨) من حديث أنس بن مالك وفيه كثير بن فائد رمز له الحافظ في التقريب بقوله : مقبول يعني إن توبع وإلا فلين ، وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير (ج ٢ / ٢٠ - ٢١) من حديث ابن عباس وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيني قال فيه الدارقطني : متروك ورواه أبو نعيم في الحلية (ج ٤ / ٣٠١) من طريقه وأيضاً ورمز له السيوطي بالصحة والشيخ الألباني بالحسن كما في الجامع الصغير فجزى الله الجميع خيراً .

(٣٨) قوله : « وفي صحيح مسلم » نعم (ج ١ / ٩٤) وهو عند البخاري أيضاً (ج ٣ / ١١٠) ورواه أحمد (ج ١ / ٤٤٣) وعزاه الحافظ المزني إلى النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ورواه مسلم (ج ١ / ٩٤) من حديث جابر بن عبد الله قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (ج ٣ / ١١١) من الفتح : وفي الحديث أن أصحاب الكباير لا يخلدون في النار وأن الكباير لا تسلب اسم الإيمان وأن غير الموحدين لا يدخلون الجنة . (٣٩) ضعيف بهذا السند يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح مجهول عن مجهول وحديث عبادة وأبي الدرداء سيأتي الحكم عليهما للحافظ المصنف رحمه الله تعالى .

وقرأ بعضهم : «ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» .

والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين ، كما قال : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . فأمر بالإحسان إليهما ، وإن كانا مشركين بحسبهما ، وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً ... ﴾ الآية . والآيات في هذا كثيرة . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قال ابن مسعود : حدثني بهن رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادني ^(٤٠) .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء ، وعن عبادة بن الصامت ، كل منهما يقول : أوصاني خليلي ﷺ : «أطع والديك ، وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا ، فافعل» . ولكن في إسناديهما ضعف ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ لما أوصى تعالى ببر الآباء والأجداد ، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد . فقال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ ، وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يبدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار . ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » . ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ... ﴾ ^(٤١) الآية .

وقوله : ﴿ من إملاق ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي : هو الفقر . أي : ولا تقتلوه من فقركم الحاصل وقال في سورة « سبحان » : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ أي : خشية حصول فقر ، في الآجل ، ولهذا قال هناك : ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ ، فبدأ برزقهم للاهتمام

(٤٠) قوله : « وفي الصحيحين » أي البخاري (ج ٩/٢) ومسلم (ج ٨٨/١) ورواه الترمذي (ج ٣٢٥/١) و (ج ٣١٠/٤) والنسائي (ج ٢٩٢/١) والدارمي (ج ٢٧٨/١) مختصراً والإمام أحمد (ج ٤٠٩/١) و (٤٣٩ و ٤٣٨) من المسند .

(٤١) قول المؤلف رحمه الله : « وفي الصحيحين » البخاري (ج ١٦٣/٨) ومسلم (ج ٩٠/١) والحديث عند أبي داود (ج ٧٣٣/٢) والترمذي (ج ٣٣٦/٥) والنسائي (ج ٨٩/٧) وهو عنده أيضاً في التفسير برقم (٣٨٦) .

هم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسببهم ، فرزقهم على الله وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلًا ، قال : ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ ، لأنه الأهم هاهنا ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

وقد تقدم تفسيرها في قوله : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ .

وفي الصحيحين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »^(٤٢) .

وقال عبد الملك بن عمير ، عن وراذ ، عن مولاة المغيرة قال : « قال سعد بن عباد : لو رأيت مع امرأتي رجلاً لضربته بالسيف غير مُصَفَّح . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أتعجبون من غيرة سعد ! فوالله لأنا أغير من سعد ، والله أغير مني ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

أخرجاه .

وقال كامل أبو العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، إنا نغار . قال : « والله إني لأغار ، والله أغير مني ، ومن غيرته نهي عن الفواحش » .

رواه ابن مردويه ، ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة^(٤٣) ، وهو على شرط

(٤٢) الحديث في البخاري ج (٢٩٥/٨ و ج ٣١٩/٩) وفي غيرهما وفي مسلم (ج ٢١١٣/٤) وهو عند الترمذي (ج ٥٤٢/٥) .

(٤٣) لم أقف على كتاب ابن مردويه وقول ابن كثير رحمه الله تعالى : ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة . لعله أراد بهذا السند وبهذا السياق وإلا فأصل الحديث عند مسلم (ج ٢١١٤/٤) و (ج ١١٣٥/٢) من غير حديث أبي هريرة .

تنبيه : ثلاثة هذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل غيرة فهي تليق به سبحانه وتعالى لا كما يقول بعضهم الغيرة مثلاً هي الحمية والأنفة وهذا مستحيل على الله تعالى . نقول : نعم التشبيه مستحيل لكنها غيرة في حق ربنا تبارك وتعالى صفة لا ثقة به سبحانه وهكذا القول في باقي الصفات من سمع وبصر ورضى وغضب وبغض وعجب وضحك إلى غير ذلك من الصفات فهي في حق ربنا سبحانه وتعالى على حد قوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهو السميع البصير ﴿ فإن اتصف بصفة من هذه أحد المخلوقين فهي في حقه لا ثقة بضعفه وعجزه ، والفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق كالفرق بين الخالق والمخلوق . وزبدة القول هو ما قاله السلف الصالح من أن الأسماء والصفات تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ، وهذا معتقدنا ونحن فيه تبع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة والتابعين وأئمة الإسلام وهداة الأنام وهو ماض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا عبرة بمن خرج عن الصراط المستقيم ، ولكي تكون على =

الترمذي ، فقد روي بهذا السند : «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» ^(٤٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ، وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيداً ، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فقد جاء في الصحيحين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» .

وفي لفظ لمسلم : «والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم ...» وذكره ، قال الأعمش : فحدثت به إبراهيم فحدثني عن الأسود ، عن عائشة ، بمثله .

وروى أبو داود والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال : زان محصن يرجم ، ورجل قتل [رجلاً] متعمداً فيقتل ، ورجل يخرج من الإسلام حارب الله ورسوله ، فيقتل أو يصلب أو ينفي من الأرض» . وهذا لفظ النسائي ^(٤٥) .

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه أنه قال وهو محصور : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس» . فوالله ما زنت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تمنيت إن لي بديني

= بينة من أمرك اقرأ كتاب التوحيد من صحيح البخاري وكتاب التوحيد لابن خزيمة وخلق أفعال العباد للبخاري أيضاً والرد على الجهمية للدارمي وابن مندة أيضاً وعامة مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله الطبري اللالكائي وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد الحاشدي وباختصار عامة كتب أهل السنة فإنه ما من قول إلا وله دليل من القرآن أو من السنة الصحيحة ، والله أعلم .

(٤٤) الحديث حسن رواه الترمذي (ج ٥/٥١٧) وابن ماجه (ج ٢/١٤١٥) والحاكم (ج ٢/٤٢٧) وابن حبان كما في الإحسان (ج ٤/٢٧٦) والبيهقي في سننه (ج ٣/٣٧٠) والخطيب البغدادي (ج ٦/٣٩٧) و (ج ١٢/٢٤) كلهم من طريق الحسن بن عرفة عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهذا سند لا ينزل عن درجة الحسن وله طريق أخرى عند أبي يعلى ذكرها الألباني حفظه الله تعالى في الصحيحة من طريق محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ : عمر أمتي ما بين الستين سنة إلى السبعين .

قال : قلت : وهذا إسناد حسن أيضاً رجاله موثقون رجال مسلم غير محمد بن ربيعة وهو الكلبي وهو صدوق كما في التقريب .

قلت : وجاء من حديث أنس رواه أبو يعلى وفيه شيخ هشيم لم يسم وجاء أيضاً من حديث حذيفة رواه البزار (ج ٤/٢٢٥) قال الهيثمي : وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف مجمع الزوائد (ج ١٠/٢٠٦) باختصار .

(٤٥) انظر تخریج حديث ابن مسعود المتقدم .

بدلاً منه بعد إذ هداني الله ، ولا قتلت نفساً ، فبم تقتلونني ؟ رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ^(٤٦) .

وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد - وهو المستامن من أهل الحرب - كما رواه البخاري ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً » ^(٤٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » . رواه ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح ^(٤٨) .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، أي : هذا ما وصاكم به لعلكم تعقلون عنه أمره ونهيه .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلُفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

قال عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ ، وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ... الآية ، فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد . فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ، وَإِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَأَخْوَانَكُمْ ﴾ قال : فخلطوا طعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم .

(٤٦) قوله : « رواه الإمام أحمد » إلى آخره . نعم ، رواه (ج ٦٣/١) من مسنده والترمذي (ج ٤٦٠/٤) والنسائي (ج ٩١/٧ - ٩٢) وابن ماجه (ج ٨٤٧/٢) .

(٤٧) قوله « كما رواه البخاري » أي في الجزية (ج ٢٦٩/٦) ورواه النسائي (ج ٢٥/٨) وهو عنده أيضاً من حديث أبي بكره نفيح بن الحارث .

(٤٨) ابن ماجه (ج ٨٩٦/٢) بسند صحيح وأما الترمذي فرواه (ج ٢٠/٥) من طريق معدي بن سليمان وهو ضعيف .

رواه أبو داود^(٤٩) .

وقوله : ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ ، قال الشعبي ، ومالك ، وغير واحد من السلف : يعني حتى يحتلم .

وقال السدي : حتى يبلغ ثلاثين سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وقيل : ستون سنة . قال : وهذا كله بعيد هاهنا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ ، يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء ، كما تواعد على تركه في قوله تعالى : ﴿ ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ . وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان .

وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي ، من حديث الحسين بن قيس أبي على الرحبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان : « إنكم وليتم أمراً هلك فيه الأمم السالفة قبلكم » . ثم قال : لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسين ، وهو ضعيف في الحديث ، وقد روي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً^(٥٠) .

قلت : وقد رواه ابن مردويه في تفسيره ، من حديث شريك ، عن الأعمش ، عن سالم ابن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة . المكيال والميزان »^(٥١) .

وقوله تعالى : ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ ، أي : من اجتهد في أداء الحق وأخذه ، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه .

(٤٩) قوله رواه أبو داود أي في سننه (ج ٣ / ٢٩١) من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن عطاء به وهو عند النسائي (ج ٦ / ٢٥٦) من طريق أبي كدينة وعمران بن عيينة كلاهما عن عطاء وعطاء بن السائب ضعيف لاختلاطه فحديثه يصلح في الشواهد والمتابعات ورواه المؤلف (ج ١ / ٤٥٤) من تفسيره ثم قال : وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب به وكذا رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بمثله وهكذا ذكر غير واحد .

قلت : فهي متابعات جيدة لرواية عطاء بن السائب ، والله أعلم .
وهنا مسألة وهي هل أقوال الصحابة والتابعين يشملها قولهم يصلح في الشواهد والمتابعات وقولهم يعضد بعضها بعضاً أم ذاك خاص بحديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دون غيره ؟ الصحيح أنه يشملها لكنها ليست بحجة وإنما يستأنس بها في فهم الكتاب والسنة ، والله أعلم .

(٥٠) قوله : « وفي كتاب الجامع لأبي عيسى » أي في البيوع (ج ٣ / ٥١٢) من جامعه .

(٥١) شريك هو ابن عبد الله القاضي وهو ضعيف .

وقد روى ابن مردويه من حديث بقية ، عن مبشر بن عبيد ، عن عمرو بن ميمون بن مهران ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، فقال : « من أوفى على يده في الكيل [والميزان] ، والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما ، لم يؤاخذ . وذلك تأويل ﴾ وسعها ﴾ .
هذا مرسل غريب .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ وكذا التي تشبهها في سورة النساء - يأمر تعالى بالعدل [في الفعال والمقال ، على القريب والبعيد ، والله تعالى يأمر بالعدل] لكل أحد ، في كل وقت ، وفي كل حال .

وقوله : ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ ، قال ابن جرير : يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا . وإيفاء ذلك : أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم ، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله ، وذلك هو الوفاء بعهد الله .
﴿ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، يقول تعالى : هذا وصاكم به ، وأمركم به ، وأكد عليكم فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، أي : تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا ، وقرأ بعضهم بتشديد « الذال » ، وآخرون بتخفيفها .

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ، ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله .

ونحو هذا قاله مجاهد ، وغير واحد (٥٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر : شاذان ، حدثنا أبو بكر - هو ابن عياش - عن عاصم - هو ابن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي

(٥٢) أثر ابن عباس ضعيف وأثر مجاهد صحيح إليه رواهما الطبري (ج ١٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠) .

الله عنه - قال : خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » . وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » . ثم قرأ : ﴿ وأَنْ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٥٣) .

وكذا رواه الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي بكر بن عياش ، به . وقال : صحيح ولم يخرجاه (٥٤) .

وهكذا رواه أبو جعفر الرازي ، وورقاء وعمر بن أبي قيس ، عن عاصم ، عن أبي وائل شقيق ابن سلمة ، عن ابن مسعود به مرفوعاً نحوه .

وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد والنسائي ، عن يحيى بن حبيب بن عري - وابن حبان ، من حديث ابن وهب - أربعهم عن حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، به . وكذا رواه ابن جرير ، عن المثني ، عن الحماني ، عن حماد بن زيد ، به .

ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق ، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، به كذلك ، وقال : صحيح ولم يخرجاه .

وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم ، من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، به مرفوعاً .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحماني ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، به .

فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقتين ، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود ، عن زر - وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود ، به . والله أعلم .

قال الحاكم : وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر ، ومن وجه غير معتمد .

يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد ، وعبد بن حميد جميعاً - واللفظ لأحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - وهو أبو بكر بن أبي شيبة - أنبأنا أبو خالد الأحمر ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، فخط خطأ هكذا أمامه ، فقال : « هذا سبيل الله » . وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : « هذه سبيل الشيطان » . ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وأَنْ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم »

(٥٣) قوله : « وقال الإمام أحمد بن حنبل » أي في مسنده (ج ١/٤٦٥) وهو عند البخاري (ج ١١/٢٣٥) والترمذي (ج ٤/٦٣٥) والنسائي في التفسير حديث (١٩٤) وابن ماجه (ج ٢/١٤١٤) والحاكم (ج ٢/٣١٨) .

(٥٤) تقدم .

عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿٥٥﴾ .

ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه واليزار عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن [أبي] خالد الأحمر^(٥٦) . به .

قلت : ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين ، عن أبي سعيد الكندي ، حدثنا أبو خالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : خط رسول الله ﷺ خطأ ، وخط عن يمينه خطأ ، وخط عن يساره خطأ ، ووضع يده على الخط الأوسط ، وتلا هذه الآية : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾^(٥٧) .

ولكن العمدة على حديث ابن مسعود ، مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثراً ، وقد روي موقوفاً عليه .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان : أن رجلاً قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد ﷺ في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جَوَادٌ ، وعن يساره جَوَادٌ ، وثم رجال يدعون من مر بهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... ﴾^(٥٨) الآية .

وقال ابن مردويه : حدثنا أبو عمرو ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا أبان بن أبي عياش ، عن مسلم بن أبي عمران ، عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم ، فقال ابن مسعود : تركنا محمد ﷺ في أدناه ، وطرفه في الجنة ... ، وذكر تمام الحديث كما تقدم ، والله أعلم^(٥٩) .

وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه ، قال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدثنا ليث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير حدثه ، عن أبيه ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ، ادخلوا الصراط المستقيم [جميعاً] ، ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك . لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه

(٥٥) مجالد بن سعيد ضعيف والحديث في المسند (ج ٣ / ٣٩٧) .

(٥٦) قوله « عن أبي خالد الأحمر به » أي عن مجالد به فلم يزل الضعف فيه والحديث عند ابن ماجه (ج ١ / ٦) .

(٥٧) وهو من طريقه أيضاً ولكن العبرة بحديث ابن مسعود كما قال الحافظ المصنف رحمه الله تعالى .

(٥٨) قوله « وقال ابن جرير » أي في التفسير (ج ١٢ / ٢٣٠) وأبان هو ابن أبي عياش متروك .

(٥٩) من طريقه أيضاً ثم إنه موقوف على ابن مسعود .

تلقه ، فالصراط : الإسلام ، والصوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعي من فوق [الصراط] واعظ الله في قلب كل مسلم »^(٦٠).

ورواه الترمذي والنسائي ، عن علي بن حجر - زاد النسائي - وعمرو بن عثمان ، كلاهما عن بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن النواس بن سميان ، به . وقال الترمذي : حسن غريب^(٦١).

وقوله : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ﴾ ، إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ، ولهذا جمع لتفرقها وتشعبها ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سفيان ابن حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله : « أَيْكُمْ يَبَايَعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ؟ » ثم تلا : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ حتى فرغ من ثلاث الآيات ، ثم قال : « وَمَنْ وَفَى بِهِنَ أُجِرَهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئاً أَدْرَكَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عِقَابُهُ ، وَمَنْ أَخْرَجَهُ إِلَى الْآخِرَةِ كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ »^(٦٢).

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾
وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا عَذَابَكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

قال ابن جرير : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ، تقديره : ثم قل يا محمد مخبراً عنا بأننا آتينا موسى الكتاب ، بدلالة قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٦٠) قوله : « قال الإمام أحمد » هو في مسنده (ج ٤ / ١٨٢) وسنده حسن .

(٦١) قوله : « رواه الترمذي » أي في الأمثال من سننه (ج ٥ / ١٤٤) ورواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف وبقية بن الوليد صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ولا يضر هنا لأنه يرويه عن بحير بن سعيد وهو حمصي وفي التهذيب عن ابن عدي : إذا روى - يعني بقية - عن أهل الشام فهو ثبت وقال ابن المديني : صالح فيما روى عن أهل الشام وفي شرح علل الترمذي : فإنما يكون حديثه جيداً عن أهل الشام كبخير بن سعيد ومحمد بن زياد وغيرهما .

(٦٢) ضعيف لأن رواية سفيان بن حسين عن الزهري ضعيفة والحديث رواه الحاكم كما تقدم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ الآية وأن علته ضعف رواية سفيان بن حسين عن الزهري .

قلت : وفي هذا نظر ، وثم هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر ، لا للترتيب هاهنا ، كما قال الشاعر :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ [قد] سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ
 وهاهنا لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ ،
 عطف بمدح التوراة [ورسولها ، فقال : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ . وكثيراً ما يقرن سبحانه بين
 ذكر القرآن والتوراة] ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابُ مُصَدِّقٍ
 لِسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ . وقوله أول هذه السورة : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
 لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ... ﴾ الآية ، وبعدها : ﴿ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ
 مَبَارَكٌ ... ﴾ الآية ، وقال تعالى مخبراً عن المشركين : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ، قَالُوا : لَوْلَا
 أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ ، قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ ، قَالُوا :
 سَاحِرَانِ ^(٦٣) تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا : إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴾ وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا : ﴿ يَا
 قَوْمَنَا ، إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ... ﴾ الآية .
 وقوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا ﴾ ، أي : آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه
 تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته ، كما قال : ﴿ وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ، أي : جزاء على إحسانه في العمل ، وقيامه بأوامرنا
 وطاعتنا ، كقوله : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ، وكقوله : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
 بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
 صَبَرُوا ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
 أَحْسَنَ ﴾ ، يقول : أحسن فيما أعطاه الله ^(٦٤) .

وقال قتادة : من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة ^(٦٥) .

واختار ابن جرير أن تقدير الكلام : ﴿ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا ﴾ على إحسانه . فكأنه
 جعل « الذي » مصدرية ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَخَضِعْ كَعَنْقِ خَاضُوا ﴾ أي : كخوضهم .
 وقال ابن رَوَاحَةَ :

(٦٣) قوله : ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ ﴾ هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأما قراءة من قرأ قالوا سحران فهي
 قراءة عاصم وحزمة والكسائي انظر القراءات لابن مجاهد (ص ٤٩٤) .

(٦٤) ضعيف لضعف أبي جعفر .

(٦٥) سنده صحيح إلى قتادة رواه الطبري (ج ١٢ / ٢٣٥) .

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصَرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

وقال آخرون : الذي هاهنا بمعنى « الذين » .

قال ابن جرير : وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود : أنه كان يقرأها : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾^(٦٦) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ، قال : على المؤمنين والمحسنين^(٦٧) .. وكذا قال أبو عبيدة .

قال البغوي : والمحسنون : الأنبياء والمؤمنون ، يعني : أظهرنا فضله عليهم .

قلت : كما قال تعالى : ﴿ قَالَ : يَا مُوسَى : إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ ، ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل عليهما السلام ، لأدلة أخر .
قال ابن جرير : وروى [أبو] عمرو بن العلاء ، عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأها : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ، رفعاً - بتأويل : (على الذي هو أحسن) ، ثم قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح^(٦٨) .

وقيل : معناه : تماماً على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن إليه . حكاه ابن جرير والبغوي .
ولا منافاة بينه وبين القول الأول ، وبه جمع ابن جرير كما بيناه ، والله الحمد .

وقوله : ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً ﴾ ، فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه ،
﴿ لَعَلَّهُمْ بَلْقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة .

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

(٦٦) ذكره الطبري تعليقاً بقوله وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وهذه الصيغة الغالب عليها الضعف فالله أعلم .

(٦٧) سنده حسن إلى مجاهد .

(٦٨) سنده صحيح إلى يحيى بن يعمر رواهما الطبري (ج ١٢ / ..) .

يَصْدُقُونَ ﴿١٥٧﴾

قال ابن جرير : معناه : وهذا كتاب أنزلناه لئلا يقولوا : ﴿ إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ . يعني : لينقطع عذرهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ على طائفتين من قبلنا ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هم اليهود والنصارى ^(٦٩) . وكذا قال مجاهد ، والسدي ، وقتادة ، وغير واحد ^(٧٠) .

وقوله : ﴿ وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ ، أي : وما كنا نفهم ما يقولون ، لأنهم ليسوا بلساننا ، ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عما هم فيه .

وقوله : ﴿ أو تقولوا : لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ ، أي : وقطعنا تعللكم أن تقولوا : لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيما أوتوه ، كقوله : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ... ﴾ الآية ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ ، يقول : فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم ، فيه بيان للحلال والحرام ، وهدى لما في القلوب ، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه .

وقوله : ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ﴾ ؛ أي : لم ينتفع بما جاء به الرسول ، ولا اتبع ما أرسل به ، ولا ترك غيره ، بل صدف عن اتباع آيات الله ، أي : صرف الناس وصدفهم عن ذلك ، قاله السدي ^(٧١) .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : ﴿ وصدف عنها ﴾ : أعرض عنها .

وقول السدي هاهنا فيه قوة ، لأنه قال : ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ﴾ ، كما تقدم في أول السورة : ﴿ وهم يهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ .

وقد يكون المراد فيما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ﴾ ، أي : لا آمن بها ولا عمل بها ، كقوله تعالى : ﴿ فلا صدق ولا صلى . ولكن

(٦٩) فيه ضعف وانقطاع .

(٧٠) قول مجاهد والسدي فيهما ضعف وأثر قتادة صحيح إليه رواها الطبري (ج ١٢ / ٢٤٠) .

(٧١) رواه الطبري (ج ١٢ / ٢٤٤) وفيه ضعف وكذا أثر ابن عباس ومجاهد وصح أثر قتادة .

كذب وتولى ﴿ ونحو ذلك من الآيات الدالة على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه . ولكن المعنى الأول أقوى وأظهر ، والله أعلم .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ
ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ لَنْظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى متوعدا للكافرين به ، والمخالفين رسله والمكذبين بآياته ، والصادقين عن سبيله :
﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ﴾ ، وذلك كائن يوم القيامة . ﴿ أو يأتي بعض
آيات ربك ﴾ ، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراتها كما قال البخاري في تفسير
هذه الآية :

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عمارة ، حدثنا أبو زرعة ، حدثنا
أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ،
فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين ﴾ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ .
حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا
أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها » ، ثم قرأ هذه الآية (٧٢) .

هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين . ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في
كتبهم إلا الترمذي ، من طرق ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ،
عن أبي هريرة ، به (٧٣) .

وأما الطريق الثاني فرواه عن «إسحاق» ، غير منسوب ، فقييل : هو ابن منصور الكوسج ،
وقييل : إسحاق بن نصر ، والله أعلم .

وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجنديسابوري ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

(٧٢) قوله « كما قال البخاري » أي في صحيحه (ج ٢٩٦/٨) .

(٧٣) قوله : « هكذا روى هذا الحديث إلى آخره » يعني البخاري ورواه مسلم (ج ١٣٧/١) وأبو داود (ج

٤/٤٩٢) والنسائي - في الكبرى - كما في تحفة الأشراف وهو عنده أيضاً في التفسير برقم (١٩٧) وابن

ماجة (ج ٢/١٣٥٢) وأحمد (ج ٢/٢٣١) من المسند .

وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر عن أبي هريرة ، كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، به ^(٧٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ^(٧٥) » .

ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم سلمان ، عن أبي هريرة به . وعنده : « والدخان » .

ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، عن وكيع .

ورواه هو أيضاً والترمذي ، من غير وجه ، عن فضيل بن غزوان ، به .

ورواه إسحاق بن عبد الله الفروي ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . ولكن لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لضعف الفروي ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن جعفر ابن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، وذلك ﴿ حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ^(٧٦) ﴾ ... الآية » .

ورواه ابن لهيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، به . ورواه وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، به .

أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، [عن أيوب] عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، قبل منه » لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة ^(٧٧) .

حديث آخر عن أبي ذر الغفاري ، في الصحيحين وغيرهما ، من طرق ، عن إبراهيم بن يزيد

(٧٤) تقدم تخريجه .

(٧٥) سنده صحيح وهو في التفسير له (ج ١٢ / ٢٦٥) .

(٧٦) وهذا كالذي قبله وهو فيه أيضاً (ج ١٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦) .

(٧٧) قوله : « لم يخرج له أحد إلخ » أي من هذه الطريق التي رواه منها أحد (ج ٢ / ٢٧٥) وإلا فقد رواه

مسلم (ج ٤ / ٢٠٧٦) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وفيه : تاب عليه ، بدل : قبل منه .

ابن شريك التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر جُنْدَب بن جُنَادَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تدري أين تذهب الشمس إذا غابت ؟ » قلت : لا أدري . قال : « إنها تنتهي دون العرش ، ثم تحر ساجدة ، ثم تقوم حتى يقال لها : ارجعي ، فيوشك يا أبا ذر يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، وذلك حين : ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت به من قبل ﴾ » (٧٨).

حديث آخر عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري ، رضي الله عنه :

قال الإمام أحمد بن حنبل (٧٩) : حدثنا سفيان ، عن فرات ، عن أبي طفيل ، عن حذيفة ابن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ، ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال . وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب . ونار تخرج من قعر عدن تسوق - أو : تحشر - الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا » .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة ، من حديث فرات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر ابن واثلة ، عن حذيفة [بن أسيد به . وقال الترمذي : حسن صحيح (٨٠)] .

(٧٨) قوله : « في الصحيحين وغيرهما » أي البخاري (ج ٨ / ٥٤١) ومسلم (ج ١ / ١٣٨) والنسائي في التفسير برقم (٤٤٦) .

(٧٩) (ج ٤ / ٧) وفيه حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان .

(٨٠) قوله : « وهكذا رواه مسلم.. إلخ » يعني في صحيحه (ج ٤ / ٢٢٢٥) ورواه أبو داود : (ج ٤ / ٤٩١) والترمذي (ج ٤ / ٤٧٧) وابن ماجه (ج ٢ / ١٣٤١) .

تنبيه : هذه الأحاديث وأمثالها مما فيه ذكر علامات الساعة وغيرها ينكرها بعض الناس ممن تأثر بالمستشرقين من أصحاب المدرسة العقلية مثل : جمال الدين الأفغاني الذي هو في الحقيقة إيراني الأصل وتلميذه : محمد عبده المصري الذي رمى بنفسه في أحضان الإنجليز وكان يفتي بأكل اللحوم المذبوحة على الطريقة الأوروبية وكان يتشبه بالكفار في ملبسه بل ذكروا عنه أنه لم يحج بيت الله الحرام ولا مرة في عمره مع قدرته على ذلك فإنه كان يتجول من بلد إلى آخر وذكر شيخنا في تعليقه على تفسير ابن كثير (ج ١ / ٥٥٩) عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية . أنه غير سليم الفكرة .

قلت : ومحمد رشيد رضا الذي ينكر مثل هذه الأحاديث المتواترة وغيرها يعتبر من أبرز تلاميذ محمد عبده المصري فهذه الخبزة من تلك العجينة والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج فتجد هذا الرجل يؤول ويضعف ويشكك وما ذلك إلا لما أشرب في قلبه من حب أصحاب المدرسة العقلية الذين جعلوا الأدلة ونصوص الكتاب والسنة تبعاً لعقولهم فما وافقها وقبلته أخذوه وما لم ردوه وأولوه وضعفوه إلى غير ذلك فرشيد رضا يأتي بتبليس وتعمية حول أحاديث طلوع الشمس من مغربها خصوصاً وأحاديث علامات الساعة عموماً فيقول (ج ٨ / ٢١١) من كتابه المنار : إن الأحاديث الواردة في أشراط الساعة فيها مشكلات وأن أهم أسبابها فيما صحت أسانيده واضطربت المتون =

= وتعارضت أو أشكلت من وجوه أخرى . هكذا يقول ، والعلماء الجهابذة المتجردون عن اتباع الأهواء يصفون هذه الأحاديث بالتواتر فالحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى يقول (ص ١٤٤) من كتابه النهاية : فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة ، إلى آخر كلامه ، ثم يبدأ رشيد رضا في نقد أسانيد الصحيحين فيقول : وحديث أبي هريرة الذي هو أقواها .

قلت : صحيح أنه أقواها فقد رواه عن أبي هريرة جمع كبير من أعيان التابعين مثل عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة وأبي زرعة بن عمرو بن جرير وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وهمام بن منبه وأبي حازم سلمان الأشجعي وهؤلاء عند مسلم فقط في كتاب الإيمان ولولا خشية الإثقال على الكتاب لتبعت طرق الرواة له عن أبي هريرة . فيقول في حديث أبي هريرة الذي هو أقواها : رواه البخاري في التفسير عن إسحاق غير منسوب . انتهى .

أقول : إما أن يكون عالماً يليس بعلمه على رعاك الناس وهيات أن يدوم التلبس وإما أن يكون جاهلاً بعلم الحديث فقد نبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (ج ٢٩٧/٨) على هذا فقال : جزم خلف بأنه ابن نصر وأبو مسعود بأنه ابن منصور وقول خلف أقوى . انتهى .

قلت : فهو ابن نصر وكل منهما ثقة فلا يضر عدم معرفتنا له على التعيين فكيف وقد عرفناه والحمد لله ثم إن الحديث لا يدور عليه كما رأيت من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ثم يقول : وعبد الرزاق على إمامته في هذه الصناعة وقد جرحه بعض أئمتها حتى بالكذب . انتهى .

قلت : يشير إلى قول العباس بن عبد العظيم أنه اتهم عبد الرزاق بالكذب قال الذهبي عقب هذه الحكاية قلت : هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى . اهـ من ميزان الاعتدال .

فكيف ينقل رشيد رضا التكذيب والتضعيف ولا يذكر الرد فليس هذا من الأمانة العلمية وذكر الذهبي أيضاً في الميزان قال : قال أبو صالح محمد بن إسماعيل الضاري : بلغنا ونحن بصنعاء عند عبد الرزاق أن أحمد وابن معين وغيرهما تركوا حديث عبد الرزاق أو تركوه فدخلنا من ذلك غم شديد وقلنا : قد أنفقتنا ورحلنا وتعبنا ثم خرجت مع الحجيج إلى مكة ، فلقيت بها يحيى فسألته فقال : يا أبا صالح لو ارتد عبد الرزاق عن الإسلام ما تركنا حديثه . ثم قال رشيد رضا : ومن رواة هذه الأخبار وهب بن منبه وقد جرحه بعضهم . قلت : لم يتكلم فيه إلا عمرو بن علي الفلاس فقال : كان ضعيفاً وقال أبو زرعة والنسائي ثقة فقول من تأخذ يا رشيد رضا ، ثم إن الجرح لا يقدم على التوثيق إلا إذا كان مفسراً وقوله : كان ضعيفاً غير مفسر ولكنه التلبس وعدم الأمانة في النقل فتعوز بالله من الخذلان واتباع الأهواء ثم إن الحديث لا يدور على وهب كما رأيت ثم لم يقف عند حد بل أخذ يتناول الصحابي الجليل أكثر المكثرين عن النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله وسلم ويتهمة بالتدليس فيقول : وإن أبا هريرة رضي الله عنه لم يصرح في هذه الأحاديث بالسماع من النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله وسلم . اهـ ففسألك هل كان أبو هريرة رضي الله عنه مدلساً يوماً من الدهر لأن التصريح بالسماع أو الإخبار أو غير ذلك لا يطالب به الراوي إلا إذا كان مدلساً .

ثم يقول : فيخشى أن يكون روى بعضها عن كعب الأخبار وأمثلة فتكون روايته مرسلة . اهـ ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في اختصار علوم الحديث أن الأمة تلقت الكتاتين بالقبول وأن الأصول الخمسة اتفق على صحة أصولها علماء المشرق والمغرب . قلت : ورشيد رضا تلقاها بالتشكيك فلو فتح هذا الباب لتعطلت كثير من المسائل عن الدلائل وهكذا النقد والتحليل لما لا يوافق الهوى عند أصحاب المدرسة العقلية وأنا لا =

حديث آخر عن حذيفة [بن اليمان رضي الله عنه :

قال الثوري : عن منصور ، عن ربيعي ، عن حذيفة قال : سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبي ﷺ : « تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فبينما الذين كانوا يصلون فيها ، يعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا تسري ، قد قامت مكانها ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيظل عليهم جنوبهم ، حتى يتناول عليهم الليل ، فيفزع الناس ولا يصبحون . فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا ، ولا ينفسهم إيمانهم » .

رواه ابن مردويه^(٨١) ، وليس في الكتب الستة من هذا الوجه ، والله أعلم .

حديث آخر عن أبي سعيد الخدري - واسمه : سعد بن مالك بن سنان - رضي الله عنه وأرضاه .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ابن أبي ليلى ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : « طلوع الشمس من مغربها »^(٨٢) .

ورواه الترمذي ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، به . وقال : غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه^(٨٣) .

= أشك أن وراء هذه الطوائف - ممن يلبسون لباس العلم والعلماء - اليهود بالأمس جمال الدين الأفغاني واسمه محمد صفدر ومعناه مفرق الصفوف ودعوته وصيته الذي ملأ الجرائد والمجلات واليوم أصحاب التجديد وأصحاب الحداثة والنقد ولعلي قد أثقلت على التفسير بهذا التعليق غير أنني أشير على من أراد المزيد من المعرفة لهؤلاء واتجاههم بقراءة كتاب منهج المدرسة العقلية في التفسير ، وكتاب دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، وكتاب الحداثة في ميزان الإسلام .

والذي جعلني أذكرهم هنا هو السر العجيب في تمكينهم من الجرائد والمجلات وتموينهم بالأموال الضخمة في سبيل ذلك وإذا كان هناك رد عليهم أو قول لعالم من العلماء الذي ينتفع الناس بعلمهم أخمد قوله ووضع في سلة المهملات بل ربما تكلموا فيه وتناولوا عليه إلى غير ذلك ، وإني لأرجو أن الله يقيض من قراء الجرائد والمجلات من يتتبع أقوالهم ومطاعنهم وتهتكهم في الدين وأهله وإنه ليسير على من يسره الله عليه وما ذلك على الله بعزيز والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(٨١) قوله : « رواه ابن مردويه إلى آخره » وذكره كذلك في النهاية عن سفيان عن منصور وذكره السيوطي في الدر المنثور (ج ٥٧/٣) ولم يزد على أن نسبه لابن مردويه ولم أقف على سنده لأنني لم أقف على تفسيره . فالله أعلم .

(٨٢) ضعيف لضعف العوفي وهو في المسند (ج ٣١/٣) .

(٨٣) وسفيان بن وكيع ضعيف يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات والحديث عند الترمذي (ج ٥/٢٦٤) .

وفي حديث طالوت بن عباد ، عن فضال بن جبير ، عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال : قال رسول الله ﷺ : « أن أول الآيات : طلوع الشمس من مغربها » ^(٨٤) .

وفي حديث عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله فتح باباً قبل المغرب عرضه سبعون عاماً للتوبة ، قال : لا يغلق حتى تطلع الشمس منه » .

رواه الترمذي ، وصححه النسائي ، وابن ماجه في حديث طويل ^(٨٥) .

حديث آخر عن عبد الله بن أبي أوفى .

قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا ضرار بن صرد ، حدثنا ابن فضيل ، عن سليمان بن زيد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ، ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ، ثم ينام . فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت ، [من مغربها ، فضج الناس ضجة واحدة] حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها - قال : حينئذ : لا ينفع نفساً إيمانها » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ^(٨٦) .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو حيان ، عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير : قال : جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعه يقول - وهو يحدث في الآيات : إن أولها خروج الدجال . قال : فانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو ، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات ، فقال : لم يقل مروان شيئاً .

قد حفظت من رسول الله ﷺ [في مثل ذلك حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ]

(٨٤) قوله وفي حديث طالوت بن عباد إلى آخره « الحديث رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (ج ١٥٦/٢) و (ج ٢٤/٥) وقال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه فضال بن جبير الغدائي صاحب أبي أمامة قال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة وهي نحو عشرة أحاديث منها أول الآيات : طلوع الشمس من مغربها وقال ابن حبان ، لا يحل الاحتجاج به بحال ، يروي أحاديث لا أصل لها .

(٨٥) الترمذي في الدعوات (ج ٥٤٦/٥) وابن ماجه (ج ١٣٥٣/٢) وهو عند النسائي في التفسير برقم (١٩٨) وسنده حسن لأن عاصماً صدوق له أوهام .

(٨٦) ضعيف لضعف سليمان بن زيد وهو المخاري قال فيه ابن معين ليس بثقة كذاب ليس يساوي حديثه فلساً . قلت : والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (ج ٥٨/٣) وعزاه لابن مردويه وعبد بن حميد .

يقول : « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ضحى ، فأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها » . ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب - : وأظن أولها خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فأذن لها في الرجوع حتى إذا بدا^(٨٧) الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فلم يرد عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يرد عليها شيء [ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء] حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق ، قالت : ربي ، ما أبعد المشرق . من لي بالناس . حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع ، فيقال لها : من مكانك فاطلعي . فطلعت على الناس من مغربها ، ثم تلا عبد الله هذه الآية : ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾^(٨٨) ... الآية .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، وأبو داود وابن ماجه ، في سننهما ، من حديث أبي حيان التيمي - واسمه يحيى بن سعد بن حيان - عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، به^(٨٩) .
حديث آخر ، عنه :

قال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان الرقي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم - [ابن] زريق الحمصي - حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ابن لهيعة ، عن حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبي ﷺ : « إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر : إلهي ، مرني أن أسجد لمن شئت . قال : فيجتمع إليه زبائنه فيقولون : يا سيدهم ، ما هذا التضرع ؟ فيقول : إنما سألت ربي أن ينظر إلى الوقت المعلوم ، وهذا الوقت المعلوم . قال : ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا - قال : فأول خطوة تضعها بأنطاكيا ، فتأتي إبليس فتخطمه » .

هذا حديث غريب جداً وسنده ضعيف ، ولعله من الزامتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك ، فأما رفعه فمكرر ، والله أعلم .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ،

(٨٧) أي قضى كما في حديث الأقرع والأبرص والأعمى « بدا الله أن يبتليهم » أي قضى بذلك قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : وهو معنى البداء هاهنا لأن القضاء سابق والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله تعالى غير جائز .

(٨٨) الحديث في المسند (ج ٢/٢٠١) والمرفوع منه إلى قوله : « فأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها » كما هو عند مسلم وستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى وأما بقية الحديث فمن كلام عبد الله بن عمرو ولعله أخذه من الكتب المتقدمة أعني كتب اليهود ، والله أعلم .

(٨٩) مسلم (ج ٤/٢٢٦٠) إلى قوله على أثرها ورواه أبو داود (ج ٤/٤٩٠ - ٤٩١) وابن ماجه (ج ٢/١٣٥٣) كلاهما بلفظ إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها . انتهى .

رضي الله عنهم أجمعين .

قال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر ، عن ابن السعدي أن رسول الله ﷺ قال : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » .

فقال معاوية ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبي ﷺ قال : [إن الهجرة] خصلتان : إحداهما تهجر السيئات ، والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل » .

هذا الحديث حسن الإسناد ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، والله أعلم^(٩٠) .
حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه .

قال عوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، حدثني أبو عبيدة ، عن ابن مسعود أنه كان يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ، وخروج يأجوج ومأجوج - قال : وكان يقول : الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ... ﴾ الآية كلها ، يعني طلوع الشمس من مغربها^(٩١) .

(٩٠) الحديث حسن بهذا السند وكله حمصيون سوى ابن السعدي - واسمه عبد الله بن عمرو بن وقدان - وإسماعيل ابن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده مخطط عن غيرهم والحديث أخرجه أحمد (ج ١/ ١٩٢) وأخرجه النسائي (ج ٧/ ١٤٦ - ١٤٧) من طريقين الأولى فيها الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعنه ويخشى أن يكون قد أسقط حسان الضمري لأن مروان بن محمد - وهو ثقة - يذكره وحسان الضمري قال الحافظ فيه : ثقة مخضرم وفي الميزان والتهذيب : روى عن ابن السعدي حديث وفادته إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنه أبو إدريس الخولاني وأيضاً لم يوثقه معتبر فهو مجهول . روى له النسائي وقال : ليس بالمشهور . انتهى ملخصاً منهما ويسمى هذا الإسقاط تسوية : وتجويداً فيقولون سواه فلان وجوده فلان . والحديث عزاه الحافظ المزني رحمه الله في التحفة (ج ٦/ ٤٠٢) للنسائي أيضاً في الكبرى من طريق عبد الله بن محرز ثم قال : وكذلك رواه ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن مالك بن يخامر عن عبد الله بن السعدي . قلت : وبعض الرواة يدخل محمد بن حبيب البصري في بعض طرقه قال أبو زرعة : الحديث صحيح مثبت عن عبد الله بن السعدي كذا رواه الثقات الأثبات منهم مالك وغيرهم ومحمد بن حبيب زيادة لا أصل له . انتهى المراد من كلام المزني رحمه الله بتصريف يسير وأما حديث معاوية وهو ابن أبي سفيان فأخرجه أبو داود (ج ٣/ ٧) من طريق أبي هند البجلي وهو مجهول وأما حديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن عمرو فهو هذا الذي رواه أحمد بسند حسن والحمد لله رب العالمين .

(٩١) فيه انقطاع وهو أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود ، قاله أبو حاتم الرازي وقال ابن أبي حاتم في المراسيل : ثنا صالح بن أحمد بن حنبل ثنا علي بن المديني سمعت مسلم بن قتيبة قال : قلت لشعبة بن الحجاج : =

حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، رواه الحافظ أبو بكر بن مروديه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس مرفوعاً - فذكر حديثاً طويلاً غريباً منكراً رفعه ، وفيه : أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ مقرونين ، وإذا نصف السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه . وهو حديث غريب جداً ، بل منكر ، بل موضوع إن ادعي أنه مرفوع ، فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه - وهو الأشبه - فغير مدفوع ، والله أعلم^(٩٢) .

وقال سفيان ، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة قالت : إذا خرج أول الآيات ، طرحت [الأفلام] ، وحبست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال . رواه ابن جرير^(٩٣) .

فقوله : ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ ، أي : إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه ، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك ، فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم ، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته ، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة ، وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ ، أي : ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك .

وقوله : ﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ ، تهديد شديد للكافر ، ووعد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك . وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها ، لا اقتراب وقت القيامة . وظهور أشراطها ، كما قال : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ، فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ... ﴾ الآية .

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ
إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي : نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى^(٩٤) .

= ابن السري يحدثننا عن أبي إسحاق أنه سمع أبا عبيدة يحدث أنه سمع ابن مسعود قال : أوه كان أبو عبيدة ابن سبع سنين وجعل يضرب جبهته . اهـ .

(٩٢) آفته عبد المنعم بن إدريس قال الذهبي في الميزان : ليس يعتمد عليه وذكر عن أحمد أنه قال « كان يكذب على وهب بن منبه ، وعن ابن حبان أنه قال : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره .

(٩٣) (ج ٢٦٥/١٢) وهو ضعيف لأنه من طريق سفيان بن وكيع وأيضاً للانقطاع بين الشعبي وعائشة ففي جامع التحصيل والتهذيب أنه لم يسمع من عائشة ولا من جماعة من الصحابة .

(٩٤) كلها في تفسير الطبري (ج ٢٦٩/١٢ - ٢٧٠) والأولان منهما صحيحان والآخرا ضعيفان .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ فَارَقُوا^(٩٥) دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً ﴾ ، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد ﷺ ، ففرقوا . فلما بعث محمد ﷺ أنزل : ﴿ إِنْ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴾ الآية .

وقال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد كتب إلي عباد ابن كثير ، حدثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » ، وليسوا منك ، هم أهل البدع ، وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة ، من هذه الأمة .

لكن هذا الإسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث ، ولم يخلق هذا الحديث ، ولكنه وهم في رفعه ، فإنه رواه سفيان الثوري ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاوس ، عن أبي هريرة ، في قوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً ﴾ ، قال : نزلت في هذه الأمة . وقال أبو غالب ، عن أبي أمامة ، في قوله : ﴿ وَكَانُوا شِعْياً ﴾ ، قال : هم الخوارج^(٩٦) . وروى عنه مرفوعاً ، ولا يصح .

وقال شعبة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن شريح ، عن عمر أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : ﴿ إِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً ﴾ ، قال : « هم أصحاب البدع^(٩٧) » . وهذا رواه ابن مردويه ، وهو غريب أيضاً ، ولا يصح رفعه .

والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله ، وكان مخالفاً له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اختلف فيه ﴿ وَكَانُوا شِعْياً ﴾ ، أي : فرقاً كأهل الملل والنحل - وهي الأهواء والضلالات - فالله قد برأ رسوله مما هم فيه . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... ﴾ الآية . وفي الحديث : « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد »^(٩٨) .

(٩٥) هي قراءة حمزة والكسائي فعلى القراءة الأولى تكون شاملة للمبتدعة على اختلافهم وعلى القراءة الثانية تكون شاملة كل من فارق دينه فهو في الدنيا حلال الدم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) . وفي الآخرة مأواه جهنم وبئس المصير .

(٩٦) نسبة السيوطي في الدر المنثور لابن أبي جاتم والنحاس وابن مردويه .

(٩٧) قال الميمني في مجمع الزوائد (ج ٢٢/٧) رواه الطبراني في الصغير وإسناده جيد .

وكأن قول ابن كثير رحمه الله هو الصواب ، والله أعلم .

وأيضاً في السند مجالد فلا يقال في إسناده جيد ، والله أعلم .

(٩٨) رواه البخاري (ج ٤٧٧/٦) ومسلم (ج ١٨٣٧/٤) وأبو داود (ج ٥٥/٥) قال العلماء في شرح هذا

الحديث : أولاد علات يفتح العين وتشديد اللام هم الأخوة لأب من أمهات شتى قال جمهور العلماء : معنى

الحديث : أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة . انتهى من شرح النووي على صحيح مسلم (ج ١١٩/١٥) .

فهذا هو الصراط المستقيم ، وهو ما جاءت به الرسل ، من عبادة الله وحده لا شريك له ،
والتمسك بشريعة الرسول المتأخر ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء ، الرسل بُرّاء
منها ، كما قال : ﴿ لست منهم في شيء ﴾ .

وقوله : ﴿ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ ، كقوله : ﴿ إن الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ... ﴾
الآية ، ثم بين فضله يوم القيامة في حكمه وعدله فقال :

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

وهذا الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الأخرى ، وهي قوله : ﴿ من جاء بالحسنة
فله خير منها ﴾ ، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :
حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا الجعد أبو عثمان ، عن أبي رجاء العطارى ،
عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يروي عن ربه ، عز وجل ، قال : قال
رسول الله ﷺ : « إن ربكم رحيم ، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت
له عشرًا إلى سبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيسة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها
كتبت له واحدة ، أو يحوها الله عز وجل ، ولا يهلك على الله إلا هالك » .
ورواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، من حديث الجعد أبي عثمان ^(٩٩) به .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المعمر بن سويد ، عن أبي
ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : من عمل حسنة فله عشر
أمثالها ^(١٠٠) وأزيد . ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر . ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني
لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ، ومن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، ومن اقترب إلي
ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

ورواه مسلم عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، به . وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ،
عن الأعمش ، به . ورواه ابن ماجه ، عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع ^(١) ، به .

(٩٩) الحديث في المسند (ج ١ / ٢٧٩) وهو عند البخاري (ج ١١ / ٣٢٣) ومسلم (ج ١ / ١١٧) .

(١٠٠) لفظ المسند : أو أزيد (ج ٥ / ١٥٣) .

(١) مسلم (ج ٤ / ٢٠٦٨) وابن ماجه (ج ٢ / ١٢٥٥) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا شيبان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا . ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة »^(١) .

واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام : تارة يتركها لله ، فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى ، وهذا عمل ونية . ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة ، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح : « فإنما تركها من جرأتي » ، أي : من أجلي . وتارة يتركها نسياناً وذهولاً عنها ، فهذا لا له ولا عليه ، لأنه لم ينو خيراً ولا فعل شراً . وتارة يتركها عجزاً وكسلاً بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها ، فهذا يتنزل منزلة فاعلها ، كما جاء في الحديث ، في الصحيحين : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » . قالوا : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريضاً على قتل صاحبه »^(٢) .

قال الإمام أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا علي - وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة - قالوا : حدثنا إسحاق بن سليمان ، كلاهما عن موسى بن عبيدة ، عن أبي بكر ابن عبيد الله بن أنس ، عن جده أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من هم بحسنة كتب الله له حسنة ، فإن عملها كتبت عليه عشرًا . ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإن عملها كتبت له سيئة ، فإن تركها كتبت له حسنة . يقول الله تعالى : إنما تركها من مخافتي » .

هذا لفظ حديث مجاهد - يعني ابن موسى^(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن الركين ابن الربيع ، عن أبيه ، عن عمه فلان بن عميلة ، عن خريم بن فاتك الأسدي : أن النبي ﷺ قال : « الناس أربعة والأعمال ستة فالناس : موسع له في الدنيا والآخرة ، وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ، ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة ، وشقي في الدنيا والآخرة . والأعمال : موجبتان ، ومثل ويمثل ، وعشرة أضعاف ، وسبعمائة ضعف ، فالموجبتان : من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ، ومن مات كافراً وجبت له النار . ومن هم بحسنة فلم يعملها ، فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها ، كتبت له حسنة . ومن هم بسيئة لم تكتب عليه . ومن

(٢) (ج ١٧٠/٦) الطبعة الأولى وسنده صحيح على شرط مسلم بل قد أخرجه في حديث الإسراء والمراج (ج ١٤٧/١) .

(٣) رواه البخاري (ج ٨٤/١ - ٨٥) ومسلم (ج ٢٢١٣/٤) وأبو داود (ج ٤٦٢/٤) من حديث أبي بكر .

(٤) ضعيف بهذا السند لضعف موسى بن عبيدة ، وقد تقدم أنه أخرجه مسلم من غير هذا الوجه .

عملها كبت واحدة ولم تضاعف عليه . ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها . ومن أنفق نفقة في سبيل الله عز وجل كانت له بسبعمائة ضعف ^(٥) .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث الركين بن الربيع ، عن أبيه ، عن بشير بن عميلة ، عن خريم بن فاتك ، به ببعضه ، والله أعلم ^(٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يزيد ابن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « يحضر الجمعة ثلاثة نفر : رجل حضرها بلغو فهو حظه منها ، ورجل حضرها بدعاء ، فهو رجل دعا الله ، فإن شاء أعطاه ، وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحداً ، فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام ، وذلك لأن الله يقول : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ ^(٧) » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هاشم بن مرثد ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ ^(٨) » .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » .

رواه الإمام أحمد - وهذا لفظه - والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وزاد : « فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ اليوم بعشرة أيام » ، ثم قال : هذا حديث حسن ^(٩) .

(٥) (ج ٤ / ٣٤٥) من المسند وهو ضعيف لما سيأتي .

(٦) الحديث مما ألزم الدارقطني البخاري ومسلماً أن يخرجاه لكن في سنده يسير بالتصغير والمهملة مجهول قال الذهبي : لا يعرف .

(٧) اختلفوا في هذا السند والذي يظهر لي أنه يحسن ، والله أعلم . قال الذهبي رحمه الله في الميزان بعد أن ذكر أقوال الناس في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قلت : قد أجبتنا عن رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بأنها ليست بمرسلة ولا منقطعة أما كونها وجادة أو بعضها سماع وبعضها وجادة فهذا محل نظر ولسنا نقول : إن حديثه من أعلى أقسام الصحيح بل هو من قبيل الحسن .

(٨) ضعيف من هذا الوجه محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه .

(٩) (ج ٥ / ١٤٥) من المسند وهو عند الترمذي (ج ٣ / ١٢٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح والنسائي (ج ٤ / ٢١٩) كلاهما من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عبد الرحمن بن مل عن أبي ذر به . وابن ماجه كذلك رواه (ج ١ / ٥٤٥) وسنده عند أحمد صحيح على شرط الشيخين .

وقال ابن مسعود : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ ، من جاء به « لا إله إلا الله » ومن جاء بالسيئة ، يقول : بالشرك^(١٠) .

وهكذا ورد عن جماعة من السلف^(١١) .

وقد ورد في حديث مرفوع - الله أعلم بصحته ، لكنني لم أره من وجه يثبت - والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً ، وفيما ذكر كفاية ، إن شاء الله ، وبه الثقة .

قُلْ

إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَنَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

يقول تعالى آمراً نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف : ﴿ دِينًا قِيمًا ﴾ ، أي : قائماً ثابتاً ، ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وما كان من المشركين ﴿ كقوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ ، وقوله : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ﴾ ، وقوله : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

وليس يلزم من كونه أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها ، لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً ، وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال . ولهذا كان خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم على الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يهرب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل عليه السلام .

وقد قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص ، حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، أنبأني سلمة بن كهيل ، سمعت ذر بن عبد الله الهمداني ، يحدث عن ابن أبيزى ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال : « أصبحنا على ملة الإسلام ،

(١٠) سنده صحيح إلى ابن مسعود رواه الطبري (ج ١٢ / ٢٧٦) .

(١١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٢ / ٢٧٦ - ٢٧٩) .

وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين »^(١٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الأديان أحب إلى الله ؟ قال : « الحنيفة السمحة »^(١٣) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : وضع رسول الله ﷺ [ذقني] على منكبيه ، لأنظر إلى زفن الحبشة ، حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه .

قال عبد الرحمن ، عن أبيه : قال لي عروة : إن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يومئذ : « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ، إني رأيت بحنيفة سمحة »^(١٤) .

أصل الحديثين مخرج في الصحيحين ، والزيادة لها شواهد من طرق عدة ، وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري ، والله الحمد والمنة .

(١٢) حسن لأن مداره على عبد الله وسعيد ابني عبد الرحمن بن أبيزى وكلاهما حسن الحديث قاله أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الله بن حفص صوابه ابن أحمد بدل ابن حفص الصفار الأصبهاني كما في ترجمة كل من شيخه وتلميذه انظر (ج ١٣ / ٤١) و (ج ١٥ / ٤٣٧) و (ج ١٧ / ٣٠٨) من سير أعلام النبلاء والحديث في المسند (ج ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧) ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣٤) حديث (٣) والدارمي ج ٢ / ٢٩٢ وجاء من حديث أبي بن كعب لكنه من طريق إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه وهو وأبوه ضعيفان .

فائدة : سلمة بن كهيل روى عن سعيد وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزى بواسطة - هو ذر ابن عبد الله المرهبي - وروى عنهما أيضاً بغير واسطة فذكر ذر في هذا السند يعتبر من المزيد في متصل الأسانيد ، والله أعلم .

(١٣) الحديث رواه البخاري تعليقاً (ج ١ / ٩٣) بصيغة الجزم فقال : وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الشرح (ص ٩٤) : وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب لأنه ليس على شرطه ، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن استعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصراً عن شرطه وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة والتيسير .

قلت : لكن في رواية داود بن الحصين عن عكرمة نكارة كما في التهذيب عن ابن المديني وأبي داود . (١٤) الحديث حسن ، عبد الرحمن بن أبي الزناد اختلف فيه لكن قال علي بن المديني وقد نظرت فيما روى عنه سليمان بن داود الهاشمي فرأيتها مقاربة وقال يحيى بن معين : أثبت الناس في هشام بن عروة عبد الرحمن بن أبي الزناد .

قلت : والسند الذي بين أيدينا من هذا الضرب ، والحمد لله ، والحديث رواه أحمد (ج ٦ / ١١٦) من المسند .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ ، يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويدبحون لغير اسمه ، أنه مخالف لهم في ذلك ، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له . وهذا كقوله تعالى : ﴿ فصل ربك وانحر ﴾ ، أي : أخلص له صلاتك وذبيحتك ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويدبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى .

قال مجاهد في قوله : ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ ، قال : « النسك » : الذبح في الحج والعمرة^(١٥) . وقال الثوري ، عن السدي ، عن سعيد بن جبير ، ﴿ ونسكي ﴾ ، قال : ذبحي . وكذا قال السدي والضحاك^(١٦) . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، عباس^(١٧) ، عن جابر بن عبد الله قال : ضحى رسول الله ﷺ في يوم عيد بكشين ، وقال حين ذبحهما : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وقوله ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ ، قال قتادة : أي من هذه الأمة^(١٨) .

وهو كما قال ، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام ، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفي مسلماً وأخفني بالصالحين ﴾ ، وقال موسى ﴿ يا قوم ، إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ .

(١٥) سنده حسن إلى مجاهد رواه الطبري (ج ٢٨٤/١٢) .

(١٦) أثر سعيد حسن إليه وأثر السدي والضحاك فيهما ضعف رواها الطبري (ج ٢٨٤/١٢ - ٢٨٥) .

(١٧) الحديث ضعيف رواه أبو داود (ج ٢٣١/٣) وابن ماجه (ج ١٠٤٣/٢) من طريق محمد بن إسحاق به وعندهما أبو عياش عن جابر وهو الصواب وأبو عياش ذكره الحافظ في التهذيب وأنه روى عن جماعة منهم جابر وروى عنه جماعة منهم يزيد بن أبي حبيب ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً لكن قال في التلخيص الحبير عقب الحديث : وأبو عياش لا يعرف .

(١٨) سنده صحيح إلى قتادة رواه الطبري (ج ٢٨٥/١٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام ، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً ، إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبد الآبدين ، ولا تزال قائمة منصوره ، وأعلامها مشهورة إلى قيام الساعة . ولهذا قال عليه السلام : « نحن معاصر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »^(١٩) ، فإن أولاد العلات هم الأخوة من أب واحد وأمهات شتى ، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما إن أخوة الأخياض عكس هذا ، بنو الأم الواحدة من آباء شتى ، والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون ، حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي ، عن الأعرج ، عن عبيد بن أبي رافع ، عن علي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا كبر استفتح ، ثم قال ﴿ وَجْهٌ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، لا يغفر الذنوب إلا أنت . واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك^(٢٠) . ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد . وقد رواه مسلم في صحيحه^(٢١) .

قُلْ

أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

(١٩) تقدم هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ الآية .
(٢٠) (ج ٩٤/١) من المسند وفيه حدثنا عبد الله بن الفضل والماجشون عن الأعرج به وفيه أيضاً : وأنا من المسلمين ، قال أبو النضر : وأنا أول المسلمين اللهم لا إله إلا أنت أنت ربي الحديث .
(٢١) (ج ٥٣٤/١ - ٥٣٥) وأبو داود (ج ٤٨١/١) ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود الطيالسي مختصراً ومطولاً .

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه : ﴿ أغير الله أبغي رباً ﴾ ، أي : أطلب رباً سواه ، [وهو رب كل شيء ^(٢٢)] يربني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري . أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه ، لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر .

هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له . وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيراً ، كما قال تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، وقوله : ﴿ فاعبدوه وتوكل عليه ﴾ وقوله : ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ ، وقوله : ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ ، وأشبه ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ، أن النفوس إنما تجازي بأعمالها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد . وهذا من عدله تعالى ، كما قال : ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ ، وقوله : ﴿ فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ ، قال علماء التفسير : فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين ﴾ ، معناه : كل نفس مرتنة بعلمها السيء إلا أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذرايعهم [كما قال في سورة الطور : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريعتهم بإيمان أحقنا بهم ذريعتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ ، أي : أحقنا بهم ذريعتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، ﴿ وما ألتناهم ﴾ ، أي : أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئاً حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منازل الآباء ببركة أعمالهم ، بفضلهم ومنته . ثم قال : ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ ، أي : من شر .

وقوله : ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ ، أي : اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه ، فستعرضون ونعرض عليه ، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ قل : لا تسألون عما أجرنا ولا نسأل عما يعملون . قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ

(٢٢) يقال : ربه يربه أي كان له رباً والكلاءة : الحفظ والحراسة يقال : كالأته أكلؤه كلاءة فأنا كاليء وهو مكلؤ . انتهى من النهاية لابن الأثير .

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

يقول تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ ، أي : جعلكم تعمرون الأرض جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره ، كما قال : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ .

وكقوله تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ ، وقوله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقوله : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ . وقوله : ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ ، أي : فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق ، والمحاسن والمساوي ، والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك ، كقوله : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ ، وقوله : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ .

وقوله : ﴿ ليلوكم فيما آتاكم ﴾ ، أي : ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتنحكم به ، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره .

وقد روى مسلم في صحيحه ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » (٢٣) .

وقوله : ﴿ إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ ، ترهيب وترغيب ، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله . ﴿ وإنه لغفور رحيم ﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خير وطلب .

وقال محمد بن إسحاق : يرحم العباد على ما فيهم . رواه ابن أبي حاتم .

وكثيراً ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين ، كما قال ، وقوله : ﴿ نبيء عبادي أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب ﴾ وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة

(٢٣) (ج ٤ / ٢٠٩٨) باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء ، من كتاب الرقاق والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف وهو عند الترمذي أيضاً في حديث طويل .

يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكأها وعذابها والقيامة وأهوالها ، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه . جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء ، جواد كريم وهاب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد . ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد . خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها ، وعند الله تسعة وتسعون^(٢٤) » .

ورواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن العلاء به . وقال : حسن^(٢٥) . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ، ثلاثهم عن إسماعيل بن جعفر ، عن^(٢٦) العلاء .

(٢٤) (ج ٢ / ٢٨٤) من المسند وفيه « رحمة » بعد قوله تسعة وتسعون ورواه في موضعين آخرين بإسنادين إلى العلاء وهو ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقى به انظر (ص ٣٣٤ و ٣٩٧) .

(٢٥) (ج ٥ / ٥٤٩) من السنن .

(٢٦) (ج ٤ / ٢١٠٩) عن يحيى بن أيوب وليس بيحيى بن يحيى إلى قوله : ما قنط من جنته أحد .



تفسير سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 المص ① كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
 وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا
 مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③

قد تقدم الكلام في أول « سورة البقرة » على ما يتعلق بالحروف وبسطه ، واختلاف الناس

فيه .

وقال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : ﴿ المص ﴾ ، « أنا الله أفصل » . وكذا قال سعيد بن جبیر ^(١) .

﴿ كتاب أنزل عليك ﴾ ، أي : هذا كتاب أنزل إليك ، أي : من ربك ، ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : شك منه .

وقيل : لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به وكما صبر أولو العزم من الرسل . ولهذا قال : ﴿ لتنذر به ﴾ ، أي : أنزل إليك لتنذر به الكافرين ، ﴿ وذكري للمؤمنين ﴾ .

ثم قال تعالى مخاطباً للعالم : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ ، أي : اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل من رب كل شيء ومليكه ، ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ ، أي :

(١) هذان الأثران ضعيفان وإليك سبب ذلك ، فأما أثر ابن عباس ففيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف ، وشريك هو ابن عبد الله النخعي ساء حفظه لما ولي القضاء ، وعطاء بن السائب صدوق مختلط روى عنه تلميذه هذا بعد الاختلاط ، وأما أثر سعيد بن جبير فمن طريق عمار بن محمد عن عطاء بن السائب وهو ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط .

لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره ، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره .
﴿ قليلاً ما تذكرون ﴾ كقوله : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ ، وقوله :
﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ ، وقوله : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ .

وَكَمِّنْ قَرْيَةً أَهْلَكَ بُجَاءَهَا
بِأَسْنَابَيْتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ④ فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا
إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ⑤ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ⑥ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ⑦

يقول تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ : أي : بمخالفة رسلنا وتكذيبهم ، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فذلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ، وكنا نحن الوارثين ﴾ .

وقوله : ﴿ فجاءها بأسنا بيّاتاً أو هم قائلون ﴾ ، أي : فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿ بيّاتاً ﴾ ، أي : ليلاً . ﴿ أو هم قائلون ﴾ ، من القيلولة ، وهي : الاستراحة وسط النهار . وكلا الوقتين وقت غفلة وهو ، كما قال : ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيّاتاً وهم نائمون ، أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ﴾ ، وقال : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين . أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ .

وقوله : ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ، أي : فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم ، وأنهم حقيقون بهذا . كما قال تعالى : ﴿ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة ﴾ إلى قوله : ﴿ خامدين ﴾ .

وقال ابن جرير : في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله : « ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم » - حدثنا بذلك ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم » - قال قلت لعبد الملك : كيف يكون ذاك ؟

قال : فقرأ هذه الآية : ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ... ﴾ الآية كقوله : ﴿ وَيَوْمَ يناديهم فيقول : ماذا أجبت المرسلين ﴾ ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فيقول : ماذا أجبت ﴾ قالوا : لا علم لنا : إنك أنت علام الغيوب ﴾ ، فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاته . ولهذا قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، [وقال : يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين] عما بلغوا .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا أبو سعيد الكندي ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام يسأل عن الرجل ، والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده » - قال الليث : وحدثني ابن طاوس ، مثله ، ثم قرأ : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة^(٢) .

وقال ابن عباس : ﴿ فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ : يوضع الكتاب يوم القيامة ، فيتكلم بما كانوا يعملون^(٣) .

﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ ، يعني أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا ، من قليل وكثير ، وجليل وحقير ، لأنه تعالى شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يغفل عن شيء ، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مبین ﴾ .

(٢) الحديث في ابن جرير (ج ١٢ ص ٣٠٤) وهو ضعيف بالطريق التي بين أيدينا لضعف ابن حميد لكن أخرج أبو داود (ج ٤ ص ٥١٥) عن أبي البخري سعيد بن فيروز قال : أخبرني من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم » وسند ما أخرجه أبو داود صحيح وإبهام الصحابي لا يضر فكلهم عدول .

(٣) صحيح البخاري (ج ١٣ ص ١١١) ومسلم (ج ٣ ص ١٤٥٩) بدون هذه الزيادة والزيادة هذه شاذة مخالفة من زادها الثقات الأثبات ، والله أعلم .

(٤) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٠٨) قال ابن جرير فيه : وروى عن ابن عباس معلقاً بصيغة التريض ، ولم أقف على سند له وأتبع ابن جرير هذا الأثر بكلام أحببت نقله حيث أحسن فيه قوله فقال : - (وهذا قول غير بعيد من الحق غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فيقول له : أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا حتى يذكره ما فعل في الدنيا » والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى من التسليم لغيره » ، اهـ .

وَالْوِزْنَ

يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى : ﴿ والوزن ﴾ ، أي : للأعمال يوم القيامة ﴿ الحق ﴾ ، أي : لا يظلم تعالى أحداً ، كما قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فأما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ .

فصل

والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال وإن كانت أعراضاً ، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً .

قال البغوي : يروى هذا عن ابن عباس ، كما جاء في الصحيح من أن « البقرة » و « آل عمران » يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو : غيايتان - أو فرقان من طير صواف^(٥) . ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون ، فيقول : من أنت . فيقول : « أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك »^(٦) ، وفي حديث البراء ، في قصة سؤال القبر : « فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عمك الصالح » ، وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق^(٧) .

وقيل : يوزن كتاب الأعمال ، كما جاء في حديث البطاقة ، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مد البصر ، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها : « لا إله إلا الله »

(٥) رواه مسلم (ج ١ ص ٥٥٣) من حديث أبي أمامة الباهلي وقد مضى الحديث وشرحه (ج ١ ص ٦٨) بتحقيق شيخنا أبي عبد الرحمن .

(٦) هذا قطعة من حديث طويل وقد تقدم الحديث وكلام الحافظ نفسه عليه في (ج ١ ص ٦٨) بتحقيق شيخنا حفظه الله من حديث عبد الله بن بريد عن أبيه .

(٧) سيأتي تخریج هذا الحديث (ص ٥٠٦) من هذا الجزء إن شاء الله وهو مذكور هناك بطوله .

فيقول : يا رب ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى : إنك لا تظلم . فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان - قال رسول الله ﷺ : « فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة » . رواه الترمذي بنحو من هذا ، وصححه ^(٨) .

وقيل : يوزن صاحب العمل ، كما في الحديث : « يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ثم قرأ : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ ^(٩) . وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من دقة ساقه ، فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد ^(١٠) » . وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً ، [فتارة] توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم .

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

⑩

يقول تعالى ممتناً على عبيده فيما مكن لهم من [أنه] جعل الأرض قراراً ، وجعل لها رواسي وأنهاراً ، وجعل لهم فيها منازل وبيوتاً ، وأباح لهم منافعها ، وسخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها ، وجعل لهم فيها معاش ، أي : مكاسب وأسباباً يتجرون فيها ، ويتسببون أنواع الأسباب ، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ .

وقد قرأ الجميع ﴿ معاش ﴾ بلا همز ، إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها . والصواب الذي عليه الأكثر بلا همز ، لأن معاش جمع معيشة ، من عاش يعيش عيشاً ، ومعيشة أصلها « مَعِيشَة » ، فاستثقلت الكسرة على الياء ، [فنقلت] إلى العين فصارت معيشة ، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال ، فقليل : معاش ، ووزنه مفاعل ، لأن الياء أصلية في الكلمة . بخلاف مدائن وصحائف وبصائر ، جمع مدينة وصحيفة وبصرة من مدن وصحف وأبصر ، فإن

(٨) هذا الحديث رواه الترمذي (ج ٥ ص ٢٤) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٤٣٧) وهو حديث صحيح .

(٩) الحديث في صحيح البخاري (ج ٨ ص ٤٢٦) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٠) هذا حديث حسن فإن فيه عاصماً وهو ابن بهدلة ويقال : ابن أبي النجود ، صدوق له أوهام والحديث في مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٤٢٠) وأوله : أن ابن مسعود كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... الحديث .

الياء فيها زائدة ، ولهذا تجمع على فعائل ، وتهمز لذلك ، والله أعلم ^(١١) .

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

ينبه تعالى بني آدم في هذا [المقام] على شرف أبيهم آدم ، ويبين لهم [عداوة] عدوهم إبليس ، وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ، وليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ . وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب ، وصوره بشراً ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لشأن الرب تعالى وجلاله ، فسمعوا كلهم وأطاعوا ، إلا إبليس لم يكن من الساجدين . وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير « سورة البقرة » . وهذا الذي قرناه هو اختيار ابن جرير أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام .

وقال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ، قال : خلقوا في أصلاب الرجال ، وصوروا في أرحام النساء . رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ^(١٢) .

ونقله ابن جرير عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم : الذرية ^(١٣) .

(١١) إضافة إلى ما قال الحافظ فقد رجعت إلى كتاب القراءات السبع لابن مجاهد فوجدته قال في معاني : روى خارجة عن نافع معاني ممدودة مهموزة . ثم قال : وهو غلط ، وقال المحقق للكتاب : مرجع الغلط أن الياء في معيشة أصلية والهمز إنما يكون في الياء الزائدة مثل صحيفة وصحائف لأن فعلها صحف والياء زائدة بخلاف معيشة ففعلها عاش والياء فيها أصلية . اهـ . ومن أراد زيادة في الموضوع فليرجع إلى كلام الطبري (ج ١٢ ص ٣١٦) فإنه شبيه بما تقدم ، والله أعلى وأعلم .

(١٢) الأثر في مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ٣١٩) وسكت الذهبي على قول الحاكم : بأنه صحيح على شرط الشيخين وليس كذلك لأن المنهال بن عمرو لم يرو له مسلم فالصواب أنه على شرط البخاري .

(١٣) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣١٨) نقل ذلك عن ابن عباس من طريقين إحداهما عن علي عن ابن عباس ، ولم تصح ، والأخرى سلسلة بالعوفيين ولم تصح أيضاً ، وخلاصة القول أن ما سيذكر عن الربيع بن أنس والسدي وقادة والضحاك غير صحيح إلا أثر قتادة وإليك التفصيل : فأما أثر الربيع فضعفناه لأمرين : الأول : أنه يدور على أبي جعفر الرازي وهو متكلم فيه وأحسن أحواله أنه يصلح في الشواهد والمتابعات ، ولا شاهد له ولا متابع فيما أعلم وروايته عن الربيع مضطربة فقد كان الناس يتقون ما روى الرازي عن الربيع ، راجع ترجمة الربيع من تهذيب التهذيب . والثاني : شيخ ابن جرير فيه المثني ولم أعرف ترجمته وتابعه ابن حميد وهو حافظ لكنه ضعيف ، وأما أثر السدي فعنه أسباط وأسباط لا يحتج به ، وأما أثر الضحاك فقد جاء من طريقين إلا أن شيخ الطبري في الأولى : سفيان بن وكيع وفي الثانية مبهم غير مسمى عن الحسين بن الفرج ، وقد تقدم حال الحسين وسفيان وأنه لا يحتج بهما ولا يستشهد .

وقال الربيع بن أنس ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك في هذه الآية : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ ، أي : خلقنا آدم ثم صورنا الذرية .

وهذا فيه نظر ، لأنه قال بعده : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ ، فدل على أن المراد بذلك آدم ، وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر ، كما يقول تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ، والمراد آبائهم الذين كانوا في زمان موسى ، ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء . وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ... ﴾ [الآية ، فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة] ، وذريته مخلوقون من نطفة ، وصح هذا لأن المراد من (خلقنا الإنسان) الجنس ، لا معيناً . والله أعلم .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ

إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝١٢

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى : ﴿ أن لا تسجد إذ أمرتك ﴾ : لا هاهنا زائدة .

وقال بعضهم : زيدت لتأكيد الجحد ، كقول الشاعر :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله

فأدخل « إن » ، وهي للنفي ، على « ما » النافية لتأكيد النفي ، قالوا : وكذلك هاهنا :

﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ ، مع تقدم قوله : ﴿ لم يكن من الساجدين ﴾ .

حكاهما ابن جرير^(١٤) ، وردهما واختار أن « منعك » تضمن معنى فعل آخر تقديره : ما

أحوجك والزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ، ونحو ذلك .

وهذا القول قوي حسن ، والله أعلم .

وقول إبليس لعنه الله : ﴿ أنا خير منه ﴾ ، من العذر الذي هو أكبر من الذنب ، كأنه

امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني ، لعنه الله : وأنا خير منه ، فكيف

تأمرني بالسجود له ؟ ثم بين أنه خير منه ، بأنه خلق من نار ، والنار أشرف مما خلقته منه ، وهو

الطين ، فنظر اللعين إلى أصل العنصر ، ولم ينظر إلى التشريف العظيم . وهو أن الله تعالى خلق آدم

بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى : ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ ،

فشد من بين الملائكة بترك السجود ، فلهذا أبلس من الرحمة [أي : أيس من الرحمة] ، فأخطأ قبحة الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضاً ، فإن الطين من شأنه الرازنة والحلم والأناة والتثبت ، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح . والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة . ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره في الرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله ، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة .

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وُخِلِقَ إبليس من نار ، وُخِلِقَ آدم مما وصف لكم » . هكذا رواه مسلم^(١٥) .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل عن عبد الله بن مسعود ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » - قلت لنعيم بن حماد : أين سمعت هذا من عبد الرزاق ؟ قال : باليمن - وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح : « وخلق الحور العين من الزعفران »^(١٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن الحسن في قوله : ﴿ خَلَقْتِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ، قال : قاس إبليس ، وهو أول من قاس .
إسناده صحيح^(١٧) .

وقال : حدثني عمرو بن مالك ، حدثني يحيى بن سليم الطائفي ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس^(١٨) .

(١٥) صحيح مسلم (ج ٤ / ص ٢٢٩٤) .

(١٦) إسماعيل عن عبد الله بن مسعود صوابه : إسماعيل بن عبد الله بن مسعود كما في النسخ الأخرى ، وقد ذكروا في ترجمة نعيم بن حماد أنه روى عنه وأما ترجمته فمذكورة في تهذيب تاريخ دمشق وفي الجرح والتعديل ، قال أبو حاتم : سمعنا منه وهو ثقة صدوق . وقال أبو نعيم : الحافظ كان من الحفاظ الفقهاء .
وأما نعيم بن حماد فقد قبله قوم وضعفه آخرون ، قال الحافظ في التقریب : صدوق يخطئ كثيراً ، ثم قال : وقد تبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال : باقي حديثه مستقيم اهـ .

قلت : وقد رجعت إلى كتاب ابن عدي فلم أجد هذا من أخطائه فأظنه مستقيماً إلا أن الزيادة التي ذكر الحافظ أنها في غير الصحيح زيادة شاذة لمخالفتها ما هو أصح .
(١٧) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٢٨) وليس ما قال الحافظ صواباً لأن في السند الحسين كما ترى وهو ابن داود المعروف بسنيد ، وقد تقدم ضعفه ، فهذا بهذا السند ضعيف .

(١٨) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٢٨) .

إسناد صحيح أيضاً .

قَالَ

فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
 ١٣ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ١٥

يقول تعالى مخاطباً لإبليس بأمر قدرتي كوني : ﴿ فاهبط منها ﴾ ، أي : بسبب عصيانك لأمري ، وخروجك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها .

قال كثير من المفسرين : الضمير عائد إلى الجنة ، ويحتمل أن يكون عائداً على المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى .

﴿ فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ ، أي : الذليلين الحقيرين ، معاملة له بنقيض قصده ، مكافأة لمراده بضده . فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة إلى يوم الدين ، قال : ﴿ أنظرنني إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين ﴾ ، أجابه تعالى إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشئمة التي لا تخالف ولا تمنع ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب .

قَالَ فِيمَا

أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَا تَتَبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ
 أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
 شَاكِرِينَ ١٧

يخبر تعالى أنه لما أنذر إبليس ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ ، واستوثق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال : ﴿ فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ ، أي : كما أغويتني .

قال ابن عباس : كما أضللتني^(١٩) . وقال غيره : كما أهلكني لأقعدن لعبادك - الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه - على ﴿ صراطك المستقيم ﴾ أي : طريق الحق وسبيل النجاة ، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك ببسبب إضلالك إياي .

(١٩) ، أثر ابن عباس في الطبري (ج ١٢ ص ٣٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة عنه وقد تقدم أنه لم يسمع منه .

وقال بعض النحاة : الباء هاهنا قسمية ، كأنه يقول : فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

قال مجاهد : ﴿ صراطك المستقيم ﴾ ، يعني : الحق ^(٢٠) .

وقال محمد بن سوقة ، عن عون بن عبد الله : يعني طريق مكة ^(٢١) .

قال ابن جرير : والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك .

قلت : لما روى الإمام أحمد :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل - يعني الثقفى عبد الله بن عقيل - حدثنا موسى ابن المسيب ^(٢٢) أخبرني سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة بن أبي فاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ . قال : فعصاه وأسلم . قال : وقعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماؤك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول ؟ فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد - وهو جهاد النفس والمال - فقال : تقاتل فتقتل ، فتتكح المرأة ويقسم المال ؟ . قال : فعصاه فجاهد » - قال رسول الله ﷺ : « فمن فعل ذلك منهم فمات ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة » ، [أو قتل كان حقاً على الله ، عز وجل ، أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة] أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ^(٢٣) .

وقوله : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ... ﴾ الآية .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ﴾ : أشكهم في آخرتهم - ﴿ ومن خلفهم ﴾ ، أرغبهم في دنياهم - ﴿ وعن أيمنهم ﴾ ، أشبه عليهم أمر دينهم - ﴿ وعن شمائلهم ﴾ ، أشهي لهم المعاصي .

وقال ابن أبي طلحة - في رواية - والعوفي ، كلاهما عن ابن عباس : أما ﴿ من بين أيديهم ﴾ ، فمن قبل دنياهم ، وأما ﴿ من خلفهم ﴾ ، فأمر آخرتهم ، وأما ﴿ عن أيمنهم ﴾ ، فمن قبل حسناتهم ، وأما ﴿ عن شمائلهم ﴾ ، فمن قبل سيئاتهم .

(٢٠) أثر مجاهد في ابن جرير (ج ١٢ ص ٣٣٦) من طريق ابن أبي نجيح عنه وقد تقدم أن ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد ، راجع إن شئت جامع التحصيل .

(٢١) وهذا في ابن جرير أيضاً من طريق ابن وكيع وقد تقدم أنه ضعيف .

(٢٢) في المسند موسى بن المثنى وهو خطأ وقد وهم محققو طبعة الشعب فقالوا : إنه في المسند عبد الله بن المثنى وهو خطأ والصواب : عبد الله بن المسيب .

قلت : نقلوا عن المسند خطأ وصوبوا خطأ آخر فإن في المسند : موسى بن المثنى والصواب :

موسى بن المسيب ، وانظر التهذيب .

(٢٣) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٤٨٣) بسند حسن . قال محققو طبعة الشعب : والوقص : كسر العنق .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : أتاهم ﴿ من بين أيديهم ﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار - ﴿ ومن خلفهم ﴾ ، من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها - ﴿ وعن أيمانهم ﴾ من قبل حسناتهم بطأهم عنها - ﴿ وعن شمائلهم ﴾ ، زين لهم السيئات والمعاصي ، ودعاهم إليها ، وأمرهم بها . أتاك يا ابن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله ^(٢٤) .

وكذا روي عن إبراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة ، والسدي ، وابن جرير ، إلا أنهم قالوا : ﴿ من بين أيديهم ﴾ الدنيا ﴿ ومن خلفهم ﴾ الآخرة .

وقال مجاهد : « من بين أيديهم وعن أيمانهم » : حيث يصرون - « ومن خلفهم وعن شمائلهم » : حيث لا يصرون .

واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر ، فالخير يصدهم عنه ، والشر يحبيه لهم . وقال ابن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ ، ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ، قال : موحدين .

وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق في هذا الواقع ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ ﴾ .

ولهذا ورد في الحديث [الاستعاذة] من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده :

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا عمرو بن مجمع ، عن يونس بن خباب ، عن ابن جبير بن مطعم - يعني نافع بن جبير - عن ابن عباس - وحدثنا عمر بن الخطاب - يعني السجستاني - حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يونس بن خباب - عن ابن جبير بن مطعم - عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي . اللهم استر عورتي وآمن روعتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي » ^(٢٥) .

(٢٤) هذا الأثر في الطبري (ج ١٢ ص ٣٣٩) بسند حسن .

(٢٥) أما طريق هذا الحديث الأول ففيها عمرو بن مجمع وهو أبو المنذر الكوفي قال صاحب الجرح والتعديل : سألت أبي عنه فقال : ضعيف الحديث ، وفيه أيضاً يونس بن خباب وستأتي ترجمته عند قوله تعالى : ﴿ إن =

تفرد به البزار ، وحسنه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري ، حدثني [جُبَيْر] بن أنس سليمان بن جبير بن مطعم ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة . اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي . اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي . اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » قال وكيع : يعني الخسف ^(٢٦) .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وابن حبان ، والحاكم من حديث عبادة بن مسلم ، به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

قَالَ أَخْرَجُ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَا مُلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ①٨

أكد تعالى اللعنة والطرود والإبعاد والنفي عن محل الملأ الأعلى بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ .

قال ابن جرير : أما « المذموم » فهو المعيب ، والذام غير مشدد : العيب . يقال : « ذامه يذامه ذاماً فهو مذموم » ، ويتركون الهمز فيقولون : ذمته أذيمه ذيماً وذاماً ، والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم .

قال : والمدحور : المقصى . وهو المبعد المطرود .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما نعرف « المذموم » « والمذموم » إلا واحداً ^(٢٧) .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ .

= الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴿ لكن للحديث طرق أخرى بها يكون صحيحاً وقد صححه الألباني في صحيح الجامع .

قلت : وهو مروى عن ابن عمر وذلك في أبي داود (ج ٥ ص ٣١٤) بسند رجاله كلهم ثقات ،

وابن ماجه (ج ٢ ص ١٢٧٣) ومسنده الإمام أحمد (ج ٢ ص ٢٥) وسياقي سنده منه قريباً .

(٢٦) تقدمت الإشارة لموضع هذا الحديث وأنه صحيح .

(٢٧) أثر عبد الرحمن بن زيد أثر صحيح هو في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٤٤) .

مدحوراً ﴿٢٨﴾ ، قال : مقيتاً^(٢٨) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : صغيراً مقيتاً . وقال السدي : مقيتاً مطروداً .
وقال قتادة : لعيناً مقيتاً .

وقال مجاهد : منفيماً مطروداً . وقال الربيع بن أنس : مذعوماً : منفيماً ، والمدحور : المصغر .

وقوله تعالى : ﴿ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . كقوله : ﴿ قال : اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾ .

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا
مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا
رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾

يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام ولزوجته الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة . وقد تقدم الكلام على ذلك في « سورة البقرة » ، فعند ذلك حسدهما الشيطان ، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن ، ﴿ وقال ﴾ - كذباً وافتراء : « ما نهاكما ربكما عن أكل الشجرة إلا لتكونا ملكين [أي : لكلا تكونا ملكين ، أو خالدين هاهنا . ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكم ذلكما] ، كقوله : ﴿ قال : يا آدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ أي ، لكلا تكونا ملكين ، كقوله : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي : لكلا تضلوا .

(٢٨) هذا الأثر في تفسير الطبري رواه عن سفيان أبو عمر القرقيساني عثمان بن يحيى وعنه الطبري ، ولكن أبا عمر هذا لم يعرف فيه جرح ولا تعديل ، وقد قال محقق الطبري : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب ثم تكلم كلاماً فيه زيادة إشكال ومضمونه أنه وجد في التاريخ للطبري يحدث عن عثمان بن يحيى عن عثمان القرقيساني عن سفيان فجعل بين عثمان وسفيان ، القرقيساني .

قلت : ولعل ما في التاريخ هو الصحيح لأن الطبري متأخر وما عهدنا بينه وبين سفيان أقل من اثنين . أما التميمي فهو أربدة قال ابن البرقي : مجهول وقال الذهبي : لم يرو عنه سوى أبي إسحاق ووثقه العجلي وابن حبان وذكره العقيلي في الضعفاء ، راجع التهذيب .

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي : لئلا تميد بكم .

وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مُلْكَيْنِ﴾ ، بكسر اللام .
وقرأه الجمهور بفتحها .

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ ، أي : حلف لهما بالله : ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ، فإني من قبلكما هاهنا ، وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين ، كما قال خالد بن زهير ،
ابن عم أبي ذؤيب :

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لَأَنْتُمْ أَلَذَّ مِنْ السُّلُوبِ إِذَا مَا نَشُورُهَا

أي : حلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله ، فقال : إني خلقت قبلكما ،
وأنا أعلم منكما ، فاتبعاني أرشدكما : وكان بعض أهل العلم يقول : من خادعنا بالله خدعنا له .

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا
الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال :
كان آدم رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحوق ، كثير شعر الرأس . فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت
له عورته عند ذلك ، وكان لا يراها . فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ،
فقال لها : أرسليني . فقالت : إني غير مرسلتك . فناداه ربه عز وجل : يا آدم ، أمني تفر ؟ قال :
رب إني استحييتك .

وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، عن النبي
ﷺ ، والموقوف أصح إسناداً^(٢٩) .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمار ، عن المنهال

(٢٩) روى الحديث ابن جرير (ج ١٢ ص ٣٥٤) موقوفاً و (ص ٣٥٢) مرفوعاً ووقفه أصح كما قال الحافظ
ابن كثير وهو من القصص الإسرائيلية .

ابن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كانت الشجرة التي نبى الله عنها آدم وزوجته ، السنبلة . فلما أكلتا منها بدت لهما سوآتهما ، وكان الذي وارى عنهما [من سوآتهما] أظفارهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة : ورق التين ، يلزقان بعضه إلى بعض . فانطلق آدم عليه السلام مولياً في الجنة ، فعلفت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه : يا آدم ، أمني تفر ؟ قال : لا ، ولكنني استحييتك يارب ، قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة ، عما حرمت عليك ، قال : بلى يارب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً . قال : وهو قوله عز وجل : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ . قال : فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض . ثم لا تنال العيش إلا كدأ . قال : فاهبط من الجنة ، وكانا يأكلان منها رغداً ، فاهبط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ^(٣٠) .

وقال الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ، قال : ورق التين . صحيح إليه^(٣١) .

وقال مجاهد : جعلوا يخصفان عليهما من ورق الجنة كهيئة الثوب .

وقال وهب بن منبه في قوله : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ ، قال : كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا . فلما أكلتا من الشجرة بدت لهما سوآتهما .

رواه ابن جرير^(٣٢) بإسناد صحيح إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال آدم : أي رب ، أرايت إن تبت

(٣٠) الحسن بن عمار قال الإمام أحمد : متروك الحديث وقال مرة : ليس بشيء ، وحاله أشد مما ذكرت وقد تواتر جرحه على أفواه العلماء ومن أراد الزيادة فليرجع إلى التهذيب . وقد أخرج الأثر الطبري (ج ١٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٣) لكنه من طريق الحسن هذا .

(٣١) قلت : ليس ما قال الحافظ صواباً فابن أبي ليلى في السند كما ترى وهو ضعيف ، وقد أخرجه سفيان الثوري في تفسيره معضلاً فقال : عن سفيان عن ابن عباس فأسقط ثلاثة نفر بينهما ، هذا وقد أخرجه الحاكم في مستدركه (ج ٢ ص ٣١٩) من طريق عبد العزيز بن أبان عن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال بن عمرو به ، وعبد العزيز بن أبان قال فيه ابن معين : كذاب خبيث كان يضع الحديث ، فعلى هذا ، فالأثر ضعيف .

(٣٢) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٥٥) من طريق المثني وهو ابن إبراهيم الآملي لم تعرف ترجمته فيما أعلم فينبغي التوقف في أثر جاء من طريقه لاحتمال الجرح فيه والتعديل وتصحيح الحافظ له يحمل على معرفته للمثني أو على تساهله فإنه يتساهل في مثل هذا .

واستغفرت ؟ قال : إذا أدخلك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأله النظرة ، فأعطى كل واحد منهما الذي سأله ^(٣٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال : حواء أمرتني . قال : فأني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ، ولا تضع إلا كرهاً . قال : فرنت عند ذلك حواء ، فقليل لها : الرنة عليك وعلى ولدك ^(٣٤) .

وقال الضحاك بن مزاحم في قوله : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ^(٣٥) .

قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ
وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

قيل : المراد بالخطاب في ﴿ اهبطوا ﴾ : آدم ، وحواء ، وإبليس ، والحية . ومنهم من لم يذكر الحية ، والله أعلم .

والعمدة في العداوة آدم وإبليس ، ولهذا قال تعالى في سورة « طه » قال : ﴿ اهبطا منها جميعاً ... ﴾ الآية ، وحواء تبع لآدم . والحية - إن كان ذكرها صحيحاً - فهي تبع لإبليس .

وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها . ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم ، أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه ، أو رسوله ﷺ .

وقوله : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ، أي : قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة ، قد جرى بها القلم ، وأحصاها القدر ، وسطرت في الكتاب الأول .

(٣٣) الأثر في تفسير ابن جرير (ج ١٢ ص ٣٥٧) بسند ظاهره الصحة وليس كذلك فإن معمرأ ضعف في روايته عن قتادة .

(٣٤) تفسير الطبري بسند ضعيف لضعف الحسين هذا وهو ابن داود المعروف بسنيد .

(٣٥) الأثر في تفسير الطبري من طريق جوير وهو ابن سعيد متروك وفيه أيضاً المثني شيخ الطبري لم أعرف حاله .

وقال ابن عباس : ﴿ مستقر ﴾ : القبور . وعنه : وجه الأرض وتحتها . رواهما ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ - يخبر تعالى أنه يجعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا ، فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ، ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، ويجازي كلاً بعمله .

يَبْنِيَّاءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُؤَارِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ
لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾

يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات - وهي السوآت - والرياش والريش : هو ما يتجمل به ظاهراً ، فالأول من الضروريات ، والريش من التكملات والزيادات .

قال ابن جرير : « الرياش » في كلام العرب : الأثاث ، وما ظهر من الثياب .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - وحكاية البخاري - عنه ، الريش : المال^(٣٦) .
وكذا قال مجاهد ، وعروة بن الزبير ، والسدي والضحاك .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : « الرياش » : اللباس ، والعيش ، والنعيم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « الرياش » الجمال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصعب ، عن أبي العلاء الشامي قال : لبس أبو أمامة ثوباً جديداً ، فلما بلغ ترقوته قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي ، وأتجمل به في حياتي . ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « من استجد ثوباً فلبسه ، فقال حين يبلغ ترقوته : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي ، وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الذي خلق ، أو ألقى فتصدق به ، كان في ذمة الله ، وفي جوار الله ، وفي كنف الله حياً وميتاً » .

(٣٦) أخرجه البخاري (ج ٦ ص ٣٦١ وج ٨ ص ٢٩٧) معلقاً ، قال الحافظ في الموضع الأول : وصله ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طلحة عنه ، وفي الموضع الثاني قال : وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه . قلت : لكنه منقطع لأن علياً لم يسمع من ابن عباس .

ورواه الترمذي ، وابن ماجه ، من رواية يزيد بن هارون ، عن أصبع - هو ابن زيد الجهني - وقد وثقه يحيى بن معين وغيره ، وشيخه « أبو العلاء الشامي » لا يعرف إلا بهذا الحديث ، ولكن لم يخرج أحد^(٣٧) ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مختار بن نافع التمار^(٣٨) ، عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدثاً ، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ، ولبسه [إلى] ، ما بين الرسغين إلى الكعبين ، يقول ولبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي ، فقيل : هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن نبي الله ﷺ ؟ قال : هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة : « الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي » .

وقوله تعالى : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ - قرأ بعضهم : ﴿ ولباس - التقوى ﴾ ، بالنصب . وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ، و ﴿ ذلك خير ﴾ خبره .

واختلف المفسرون في معناه ، فقال عكرمة : يقال : هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة . رواه ابن أبي حاتم .

وقال زيد بن علي ، والسدي ، وقتادة ، وابن جريج : ﴿ ولباس التقوى ﴾ : الإيمان . وقال العوفي ، عن ابن عباس : العمل الصالح .

وقال زياد بن عمرو^(٣٩) ، عن ابن عباس : هو السميت الحسن في الوجه .

وعن عروة بن الزبير ﴿ لباس التقوى ﴾ : خشية الله .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ ولباس التقوى ﴾ : يتقي الله ، فيواري عورته ، فذلك لباس التقوى .

وكل هذه متقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال :

حدثني المثني ، حدثنا إسحاق بن حجاج ، حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قوهي محلول الزر ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس ،

(٣٧) أبو العلاء الشامي ، قال الحافظ في التقريب : مجهول ، وقد ذكر الحديث الألباني في ضعيف الجامع وفي السلسلة الضعيفة .

(٣٨) مختار بن نافع التمار ويقال التميمي أبو إسحاق قال في التقريب : ضعيف .

(٣٩) زياد بن عمرو ويقال : عمرو بن زياد قال في اللسان عن ابن عباس رضي الله عنهما : مجهول .

اتقوا الله في هذه السرائر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والذي نفس محمد بيده ، ما عمل أحد قط سراً إلا ألبسه الله رداء علانية ، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً ». ثم تلا هذه الآية : ﴿ ورياشاً - ولم يقرأ : وريشاً - ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله ﴾ ، قال : السمّت الحسن .

هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم ، وفيه ضعف . وقد روى الأئمة : الشافعي ، وأحمد ، والبخاري في « كتاب الأدب » من طرق صحيحة ، عن الحسن البصري : أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام ، يوم الجمعة على المنبر^(٤٠) .

وأما المرفوع منه ، فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهداً من وجه آخر ، حيث قال : « حدثنا ... »^(٤١) .

يٰۤاِبْنِيۤ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَاۤ اَخْرَجَ
اٰوٰىكَم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَۤاَتَهُمَا اِنَّهُۥ يَرٰكُمْ هُوَ
وَقَبِيْلُهُۥ مِّنۡ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ اَوْلِيَاۡ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى محذراً بني آدم من إبليس وقبيله ، ومبيناً لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام ، في سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار النعيم ، إلى دار التعب والعناء ، والتسبب في هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه ، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ أفتخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو ، ينس للظالمين بدلاً ﴾ .

(٤٠) مسند الإمام أحمد في زوائد عبد الله (ج ١ ص ٧٢) والبخاري في الأدب المفرد (ج ٢ ص ٦٨٤) وإليك سنده من المسند : قال : حدثنا شيبان بن أبي شيبة حدثنا مبارك بن فضالة حدثنا الحسن قال : شهدت عثمان وذكره . وشيخان ومبارك كلاهما صدوق إلا أن مباركاً قال الحافظ فيه في التقريب : بدلس ويسوي ، ومعروف لدى طلبة العلم أن المدلس لا يقبل حديثه إلا إن صرح بالتحديث وقد صرح كما ترى ولكن في الحديث علة وهي : رواية الحسن عن عثمان فإنها مرسلة صرح بذلك أئمة الجرح والتعديل كما في التهذيب وجامع التحصيل وإن صرح بالسماع هنا فقول أئمة الجرح أولى لطول معرفتهم بهذا الفن ولعل تصريحه بالسماع من فعل مبارك ، ومبارك نفسه مختلف فيه وإن كنا نرى تحسين حديثه إذا صرح بالتحديث .
تنبيه : - يحمل أثر عثمان على رأي من صححه على أحد أمرين : الأول : أن المقصود بالكلاب الكلاب السود لورود الأمر بقتلها والنهي عن غيرها ، الثاني : لعل عثمان لم يبلغه حديث النهي عن قتل الكلاب ، والله أعلم بالصواب .

(٤١) هكذا في جميع النسخ بين يديّ وقد ذكر محققو طبعة الشعب أن في المخطوطة نحو سبعة أسطر هكذا ، فأظن الحافظ عزم على نقل ما أراد فنسي .

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

قال مجاهد : كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا . فتضع المرأة على فرجها النسعة ، أو الشيء وتقول :

اليوم يئدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله^(٤٢)

فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا : وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ... ﴾ الآية .

قلت : كانت العرب - ما عدا قريشاً - لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش ، وهم الحُمس - يطوفون في ثيابهم ، ومن أعاره أحمسي ثوباً طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يملكه أحد ، فمن لم يجد ثوباً جديداً ولا أعاره أحمسي ثوباً ، طاف عرياناً ، وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على فرجها شيئاً يستره بعض الشيء وتقول :

اليوم يئدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأكثر ما كان النساء يظفن بالليل ، وكان هذا شيئاً قد ابتدعه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، فقال : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ ، فقال تعالى رداً عليهم : ﴿ قُلْ : أَي : قل يا محمد لمن ادعى ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ، أي : هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة ، والله لا يأمر بمثل ذلك . ﴾ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ، أي :

(٤٢) هذا الأثر أخرجه ابن جرير (ج ١٢ ص ٣٧٧) بسند حسن وأخرج مسلم (ج ٤ ص ٢٣٢٠) نحوه من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكره شيخنا مقبل حفظه الله في الصحيح المسند من أسباب النزول عند قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ وقال : أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٣١٩) من طريق شعبة به وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ مِنْ حَرَمِ زِينَةِ اللَّهِ ﴾ ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي فلعن الآيتين نزلتا معاً لهذا السبب ، والله أعلم ، اهـ .

أتَسْنَدُونَ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْأَقْوَالِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صَحْتَهُ .

وقوله : ﴿ قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ ، أي : بالعدل والاستقامة ، ﴿ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ، أي : أَمْرُكُمْ بِالْإِسْتِقَامَةِ فِي عِبَادَتِهِ فِي مَحَالِّهَا ، وَهِيَ مُتَابَعَةُ الْمُرْسَلِينَ الْمُؤَيَّدِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ ، وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ ، وَبِالْإِخْلَاصِ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ الْعَمَلَ حَتَّى يَجْمَعَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ : أَنْ يَكُونَ صَوَاباً مُوَافِقاً لِلشَّرِيعَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ خَالِصاً مِنَ الشَّرِكِ .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ الضَّلَالَةَ ﴾ - اِخْتَلَفَ فِي مَعْنَى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ : يَحْيِيكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ .

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَمَا بَدَأَكُمْ فِي الدُّنْيَا ، كَذَلِكَ تَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءً ^(٤٣) .

وَقَالَ قَتَادَةُ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، قَالَ : بَدَأَ فَخَلَقَهُمْ وَلَمْ يَكُنُوا شَيْئاً ، ثُمَّ ذَهَبُوا ، ثُمَّ يَعِيدُهُمْ ^(٤٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ : كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّلاً ، كَذَلِكَ يَعِيدُكُمْ آخِرًا ^(٤٥) .

وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ ، وَأَيَّدَهُ بِمَا رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ ابْنِ الْحَجَّاجِ كِلَاهُمَا ، عَنْ الْمُعْبِرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حِفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ ، وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

وَهَذَا الْحَدِيثُ مَخْرُجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ ^(٤٦) بِهِ .

وَقَالَ وَقَاءُ بْنُ إِيَّاسٍ أَبُو يَزِيدٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، قَالَ : يَبْعَثُ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا ، وَالْكَافِرَ كَافِرًا ^(٤٧) .

(٤٣) الْأَثَرُ فِي ابْنِ جَرِيرٍ (ج ١٢ ص ٣٨٥) بِسَنَدٍ فِيهِ ابْنُ وَكَيْعٍ .

(٤٤) الْأَثَرُ فِي ابْنِ جَرِيرٍ (ج ١٢ ص ٣٨٥) رَوَاهُ عَنْ قَتَادَةَ مَعْمَرٍ فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ ضَعْفٌ .

(٤٥) هَذَا فِي الطَّبْرِيِّ (ج ١٢ ص ٣٨٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

(٤٦) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (ج ٨ ص ٢٨٦) وَ (ج ٦ ص ٣٨٦) وَقَدْ وَهَمَ مُحَقِّقُو طَبْعَةِ الشَّعْبِ حَيْثُ قَالُوا :

إِنَّ الْبُخَارِيَّ أَخْرَجَهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ وَالصَّوَابُ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

خَلِيلًا ﴾ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ وَمُسْلِمٌ (ج ٤ ص ٢١٩٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (ج ٤ ص ٦١٦) .

(٤٧) وَقَاءُ بْنُ إِيَّاسٍ قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ : لَيْنَ الْحَدِيثِ .

وقال أبو العالية : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ : ردوا إلى علمه فيهم^(٤٨) .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ : كما كتب عليكم تكونون - وفي رواية : كما كنتم تكونون عليه تكونون .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ : من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة [كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه] . ومن ابتدئ عليه خلقه على السعادة ، صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ، ثم صاروا إلى ما ابتدئوا عليه .

وقال السدي : ﴿ كما بدأكم تعودون . فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ ، يقول : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ كما خلقناكم ، فريق مهتدون وفريق ضلال ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ كما بدأكم تعودون . فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ ، قال : إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ، كما قال : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأهم ، مؤمناً وكافراً .

قلت : ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري : «فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخل الجنة^(٤٩)» .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو [غسان] ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار ، وإنه ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم » .

هذا قطعة من حديث رواه البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني ، في

(٤٨) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٨٣) بسند ضعيف لأن شيخ الطبري فيه سفيان بن وكيع وقد تقدم أنه ضعيف وفي سنده أيضاً أبو جعفر الرازي وقد قال ابن حبان يتفرد بالمناكير عن المشاهير ولا يعجبني الاحتجاج بحديثه إلا فيما وافق الثقات .

(٤٩) صحيح البخاري (ج ٦ ص ٣٠٣) و (ص ٣٦٣) و (ج ١٣ ص ٤٤٠) و (ج ١١ ص ٤٧٧) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٦) .

قصة « قرمان » يوم أحد^(٥٠).

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي ﷺ أنه قال : « تبعث كل نفس على ما كانت عليه » . وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه ، عن الأعمش ، به - ولفظه : « يبعث كل عبد على ما مات عليه »^(٥١).

قلت : ولا بد من الجمع بين هذا القول - إن كان هو المراد من الآية - وبين قوله تعالى : ﴿ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ ، وما جاء في الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه »^(٥٢) . وفي صحيح مسلم ، عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... » الحديث^(٥٣) - ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر ، في ثاني الحال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده ، والعلم بأنه لا إله غيره ، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق ، وجعله في غرائزهم وفطرهم ، ومع هذا قدر أن منهم شقياً ومنهم سعيداً : ﴿ هو الذي خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ، وفي الحديث : « كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها »^(٥٤) . وقدر الله نافذ في بريته ، فإنه هو ﴿ الذي قدر فهدى ﴾ و ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ - وفي الصحيحين : « فأما من كان منكم من أهل السعادة ، فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان منكم من أهل الشقاوة فسييسر لعمل [أهل] الشقاوة »^(٥٥) - ولهذا قال تعالى : ﴿ فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ ، ثم علل ذلك فقال : ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ... ﴾ الآية .

قال ابن جرير : وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عناداً منه لربه فيها .

(٥٠) صحيح البخاري (ج ١١ ص ٤٩٩) .

(٥١) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٠٦) .

(٥٢) صحيح البخاري (ج ٣ ص ٢٤٥ - ٢٤٦) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٧) وسنن أبي داود (ج ٥ ص ٧٦) والترمذي (ج ٤ ص ٤٤٧) وأحمد (ج ٢ ص ٢٣٣) .

(٥٣) الحديث في مسلم (ج ٤ ص ٢١٩٧) ومسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٢٦) .

(٥٤) الحديث في مسلم (ج ١ ص ٢٠٣) وهو جزء من حديث طويل أوله : « الطهور شطر الإيمان » ، وفي مسند الإمام أحمد (ج ٥ ص ٣٤٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

(٥٥) الحديث في صحيح البخاري (ج ٣ ص ٢٣٥) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد ، وفريق الهدى ، فرق. وقد فرق الله تعالى بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية .

يٰۤاَيُّهَا اٰدَمُ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا
اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عرا ، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير - واللفظ له - من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عرا [الرجال والنساء] : الرجال بالنهار ، والنساء بالليل . وكانت المرأة تقول :

اليوم يئذو بعضه أو كله
وما بدأ منه فلا أحله
فقال الله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ ^(٥٦) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ... ﴾ الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عرا ، فأمرهم الله بالزينة - والزينة : اللباس ، وهو ما يوارى السوءة ، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع - فأمرُوا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد . وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك ، ومالك عن الزهري ، وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها : أنها [نزلت] في طواف المشركين بالبيت عرا .

وقد روى الحافظ ابن مردويه ، من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً : أنها أنزلت في الصلاة في النعال . ولكن في صحته نظر ، والله أعلم . ولهذه الآية ، وما ورد في معناها من السنة ، يستحب التجميل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة ، والسواك لأنه من تمام ذلك ، ومن أفضل الثياب البياض ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن من خير أكمالكم الإثم ، فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر» ^(٥٧) .

(٥٦) راجع (ص ٤٩٢) من هذا الجزء فقد تقدم الكلام على هذا الأثر هناك .

(٥٧) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٢٤٧) .

هذا حديث جيد الإسناد ، رجاله على شرط مسلم . ورواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح ^(٥٨) .

ولالإمام أحمد أيضاً ، وأهل السنن بإسناد جيد ، عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالثياب البياض فالبسوها ؛ فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم ^(٥٩) » .

وروى الطبراني بسند صحيح ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين أن تيمماً الداري اشترى رداء بألف فكان يصلي فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ... ﴾ الآية ، قال بعض السلف : جمع الله الطب كله في نصف آية : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ .

وقال البخاري : قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة ^(٦٠) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب ، ما لم يكن سرفاً أو مخيلة ^(٦١) .
إسناده صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا [في] غير مخيلة ولا سرف ، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده ^(٦٢) » .

ورواه النسائي وابن ماجه ، من حديث قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « كلوا وتصدقوا والبسوا ، في غير إسراف ولا مخيلة ^(٦٣) » .

(٥٨) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٣٣٢) والترمذي (ج ٣ ص ٣١٠) وابن ماجه (ج ٢ ص ١١٨١) .
(٥٩) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٥ ص ١٢ و ١٣ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢١) وهو حديث صحيح .
(٦٠) صحيح البخاري (ج ١٠ ص ٢٥٢ معلقاً ، وقال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي شيبة في مصنفه والدينوري في المجالسة من رواية ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس ، أما ابن أبي شيبة فذكره بلفظه وأما الدينوري فلم يذكر السرف ، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه بلفظ : أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة ، وكذا أخرجه الطبري من رواية محمد بن ثور عن معمر به ، اهـ المراد منه .

قلت : وسند الطبري الذي عناه هو الذي سيذكره الحافظ بعد قليل ، وقال بعد ذكره : إسناده

صحيح .

(٦١) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٩٤) .

(٦٢) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٨٢) بسند حسن .

(٦٣) سنن النسائي (جزء ٥ ص ٨٩) وابن ماجه (ج ٢ ص ١١٩٢) والذي يظهر لي أن هذه الطريق أعني =

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا سليمان بن سليم الكناي ، حدثنا يحيى بن جابر الطائي ، سمعت المقدام بن معديكرب الكندي قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه ، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلاً لا محالة ، فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه »^(٦٤) .

رواه النسائي والترمذي ، من طرق ، عن يحيى بن جابر ، به . وقال الترمذي : حسن - وفي نسخة : حسن صحيح^(٦٥) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا بقية ، عن يوسف بن أبي كثير ، عن نوح بن ذكوان ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت »^(٦٦) .

ورواه الدارقطني في الأفراد ، وقال : هذا حديث غريب تفرد به بقية .

وقال السدي : كان الذين يطوفون بالبيت عراة ، يحرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم ؛ فقال الله لهم : ﴿ كلوا واشربوا ... ﴾ الآية ، يقول : لا تسرفوا في التحريم .

وقال مجاهد : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ ولا تسرفوا ﴾ ، يقول : ولا تأكلوا حراماً ، ذلك الإسراف .

وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ ، إنه لا يجب

= عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده تحسن .

(٦٤) يحيى بن جابر الطائي ، قال الحافظ في تهذيب التهذيب : أرسل عن عوف بن مالك وأبي ثعلبة النهدي والنواس ابن سمعان وعبد الله بن جواله والمقدام بن معديكرب ، وذكر المزي في تهذيب الكمال في ترجمته : أن حديثه عن هؤلاء كلهم مراسلاً لم يلقيهم .

قلت : والمرسل من قسم الضعيف ، هذا وقد صحح الحديث قوم لسبب قول يحيى : سمعت المقدام لكن أئمة الجرح والتعديل أعرف من غيرهم بسماعه منه أو بعدمه فلا يمكن أن ينفوا شيئاً أو يشتبهوا إلا عن تأكد أكيد وفحص شديد ولعل لفظة (سمعت) وقعت عن غير قصد من كاتبها أو تصحفت لأنها ما وجدت فيما أعلم إلا في المسند أما في غيره فروى يحيى عن المقدام بصيغة العنعنة فلا ينبغي أن يرفض قول العلماء السابقين والحفاظ المتقنين لأجل تلك اللفظة مع أنها محتملة لما أسلفت وقدمت ، والله المستعان وعليه التكلان .

(٦٥) سنن الترمذي (ج ٤ ص ٥٩٠) .

(٦٦) الحديث فيه سويد بن عبد العزيز وهو لين الحديث وشيخه بقية هو ابن الوليد بن صائد صدوق كثير التدليس عن الضعفاء وشيخ بقية : يوسف بن أبي كثير مجهول ونوح بن ذكوان ضعيف ، هكذا قال فيهم الحافظ في التقریب .

المسرفين ﴿﴾ ، في الطعام والشراب ^(٦٧) .

وقال ابن جرير : وقوله : ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْرِفِينَ﴾ ، يقول الله : إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام ، الغالين فيما أحل [أو حرم] ، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال ، ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ، ويحرم ما حرم ، وذلك العدل الذي أمر به .

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى رداً على من حرم شيئاً من المآكل والمشارب ، والملابس ، من تلقاء نفسه ، من غير شرع من الله : ﴿قُلْ﴾ يا محمد ، لهؤلاء المشركين الذين يجرمون ما يجرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم : ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ...﴾ الآية ، أي : هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبدته في الحياة الدنيا ، وإن شركهم فيها الكفار حساً في الدنيا ، فهي لهم خاصة يوم القيامة ، لا يشركهم فيها أحد من الكفار ، فإن الجنة محرمة على الكافرين .

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة ، يصفرون ويصفقون ، فأنزل الله : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ ، فأمرُوا بالثياب ^(٦٨) .

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي
الْفُجُوشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ
تُشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

(٦٧) أثر ابن عباس في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٣٩٤) بسند فيه الحسين وهو ابن داود المعروف بسنيد وهو ضعيف كما تقدم مراراً ، وعطاء لم يسمع من ابن عباس .

(٦٨) الحديث ضعيف فيه يحيى الحماني وهو ابن عبد الحميد قال الذهبي في الميزان : قال أحمد كان يكذب جهاراً وجعفر بن أبي المغيرة قال ابن مندة ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير ، راجع الميزان . ويغني عن هذا ما تقدم في (ص ٤٩٢ من هذا الجزء فراجعه) .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : لا أحد أغير من الله [فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من ^(٦٩) الله] .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن شقيق أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، وتقدم الكلام في سورة الأنعام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن . وقوله : ﴿ والإثم والبغي بغير الحق ﴾ ، قال السدي : أما الإثم فالمعصية - والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق .

وقال مجاهد : الإثم : المعاصي كلها ، وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه ^(٧٠) .

وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه ، والبغي هو التعدي إلى الناس ، فحرم الله هذا وهذا .

وقوله : ﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ ، أي : تجعلوا له شريكاً في عبادته ، وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك ، مما لا علم لكم به كما قال تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ... ﴾ الآية .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
 ﴿٣٤﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَتَّبِعُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ أَيْتِي فَمَنِ اتَّقَا
 وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

(٦٩) تقدم تخرج هذا الحديث ص (٤٤٢) من هذا الجزء .

(٧٠) أثر مجاهد في الطبري (ج ١٢ ص ٤٠٣) وإليك سنده : قال حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو سعد سمعت مجاهداً وذكره ، والحارث هو ابن أبي أسامة ثقة ، وعبد العزيز هو ابن أبان أبو خالد قال الذهبي في الميزان : أخذ المتروكين وقال يحسب : كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة وقال البخاري : تركوه وأبو سعد المدني قال الشيخ محمود شاكر في تحقيق الطبري (ج ١٢ ص ٣٠٦) : لم أعرف منه ولم أجد له ترجمة اهـ .

قلت : ذكر الدولابي في الكنى أبا سعد روح بن جناح المدني وذكر الذهبي في الميزان في ترجمة روح بن جناح أنه يروي عن مجاهد ، قال النسائي : ليس بالقوي وقال أبو حاتم هو أخو مروان يكتب حديثهما ولا يحتج بهما فلعله هو . هذه فائدة أخذتها عن شيخني حال مراجعة الكتاب فجزاه الله خيراً .

يقول تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ ، أي : قرن وجيل ﴿ أَجَلٌ ﴾ ، فإذا جاء أجلهم ﴿ ﴾ ، أي : ميقاتهم المقدر لهم ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ - عن ذلك - ولا يستقدمون ﴿ ﴾ .

ثم أنذر تعالى بني آدم بأنه سيبعث إليهم رسلاً ، يقصون عليهم آياته ، وبشر وحذر فقال : ﴿ فَمَنْ أَتَقَى ﴾ ، أي : ترك المحرمات وفعل الطاعات ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴿ ﴾ ، أي : كذبت بها قلوبهم ، واستكبروا عن العمل بها ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، أي : ماكنون فيها مكثاً مخلداً .

فَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ
الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُنَفِّثُهُمْ قَالُوا آئِنَّا مَا كُنْتُمْ نَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

(٢٧)

يقول : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ ، أي : لا أحد أظلم من افترى الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله المنزلة ^(٧١) .

﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ، اختلف المفسرون في معناه ، فقال العوفي عن ابن عباس : ينالهم ما كتب عليهم ، وكتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيراً جزى به ، ومن عمل شراً جزى به .

وقال مجاهد : ما وعدوا فيه من خير وشر ^(٧٢) .

(٧١) فائدة : الآيات المشابهة لهذه الآية - أعني فمن أظلم - تكرر في القرآن الكريم كثيراً فمن ذلك قوله : ﴿ ومن أظلم ممن كذب على الله أو كذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ وقوله ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه .. ﴾ الآية وقوله ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وما أشبهن كثير ، قد يلتبس هذا على الجاهل فلا يدري أي هؤلاء أظلم ووجه الجمع بينهن أن كلاً في حدود فعله ظالم فكل كاذب قد ظلم وأعلى الكاذبين ظلماً من كذب على الله ، وكل مانع بغير حق قد ظلم وأعلى المانعين ظلماً من منع مساجد الله وعلى هذا فقس ، والله أعلم .

(٧٢) الأثر في الطبري بسند فيه ابن وكيع ، وقد تقدم كثيراً أنه ضعيف .

وكذا قال قتادة ، والضحاك ، وغير واحد . واختاره ابن جرير .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ ، قال : عمله ورزقه وعمره^(٧٣) .

وكذا قال الربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وهذا القول قوي في المعنى ، والسياق يدل عليه ، وهو قوله : ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ ويصير المعنى في هذه الآية كما في قوله : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ ، وقوله : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلاً ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ... ﴾ الآية ، يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار ، يقولون لهم : أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله ؟ ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه . قالوا : ﴿ ضلوا عنا ﴾ أي : ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ، ولا خيرهم . ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ ، أي : أقروا واعترفوا على أنفسهم ﴿ أنهم كانوا كافرين ﴾ .

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّ قَدْ خَلْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ
كَلَّمَادْخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ
لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين به ، المفترين عليه المكذبين بآياته : ﴿ ادخلوا في أم ﴾ ، أي : من أشكالكم وعلى صفاتكم ، ﴿ قد خلت من قبلكم ﴾ ، أي : من الأمم السالفة الكافرة .

﴿ من الجن والإنس في النار ﴾ ، يحتمل أن يكون بدلاً من قوله : ﴿ في أم ﴾ ، ويحتمل أن يكون : ﴿ في أم ﴾ ، أي : مع أم :

(٧٣) أثر القرظي في الطبري (ج ١٢ ص ٤١٣) بسند فيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

وقوله : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ، كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ... ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرزوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ .

وقوله : ﴿ حتى إذا اداركوا فيها جميعاً ﴾ ، أي : اجتمعوا فيها كلهم ، ﴿ قالت أхраهم لأولاهم ﴾ ، أي : أхраهم دخولاً - وهم الأتباع - لأولاهم - وهم المتبعون - لأنهم أشد جرمًا من أتباعهم ، فدخلوا قبلهم ، فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة ، لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل ، فيقولون : ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ ، أي : أضعف عليهم العقوبة ، كما قال تعالى : ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون : ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً * وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ ، أي : قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه ، كما قال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ ، وقال : ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ... ﴾ الآية .

﴿ وقالت أولاهم لأحراهم ﴾ ، أي : قال المتبعون للأتباع : ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾ ، قال السدي : فقد ضللتكم كما ضللنا .

﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ ، وهذا هو الحال كما أخبر تعالى عنهم في حال محشرهم ، في قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكننا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ٤١ لَهُمْ
مِنْ جَهَنَّمَ مَا كَادُوا مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَّاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٤٢

قوله : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ ، قيل : المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا

دعاء .

قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير . ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وكذا رواه الثوري ، عن ليث ، عن عطاء ، عن ابن عباس^(٧٤) .

وقيل : المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء .

رواه الضحاك ، عن ابن عباس . وقاله السدي وغير واحد ، ويؤيده ما قال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال - هو ابن عمرو - عن زاذان ، عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، [قال] : « فيصعدون بها ، فلا تمر على ملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون بابها له فلا يفتح له » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ... ﴾ الآية .

هكذا رواه ، وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، من طرق ، عن المنهال بن عمرو ، به . وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال^(٧٥) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد . فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال إلى الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر . ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان .

قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط . ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملائكة

(٧٤) أثر مجاهد في الطبري (ج ١٢ ص ٤٢٣) من طريق ابن وكيع وأثر سعيد بن جبير في الموضع نفسه من طريقين إحداهما : عن الحماني وهو كذاب والأخرى من طريق ابن وكيع وهو ضعيف ، وأثر ابن عباس الذي هو عن الثوري عن ليث عن عطاء عنه فيها ابن وكيع وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعيف كما تقدم وعطاء هو الخراساني لم يسمع من ابن عباس وأما رواية علي بن أبي طلحة والعوفي عنه فقد تقدم ضعفها .
(٧٥) سنن أبي داود (ج ٥ ص ١١٤) والنسائي (جزء ٤ ص ٧٨) وابن ماجه (ج ٢ ص ٤٩٤) .

إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح له ، يشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعاد روحه ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء ، أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره .

قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعده . فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير . فيقول : أنا عمك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر ، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرق في جسده ، فينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض . فيصعدون بها ، فلا يبرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح - ثم قرأ رسول الله ﷺ - : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى . فتطرح روحه طرْحاً ، ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير ، أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

فتعاد روحه في جسده . ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري . فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، متتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك . هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر . فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم

الساعة» (٧٦)

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة - فذكر نحوه (٧٧) .

وفيه : « حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم » . وفي آخره : « ثم يقيض له أعمى أصم أبكم ، في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً ، ثم يعيده الله عز وجل كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين - قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ، ويمهد له من فرش النار » .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه وابن جرير - واللفظ له - من حديث محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان ، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى ينتهي به إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم وعساق ، وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان . فيقولون : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب

(٧٦) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٢٨٧ - ٢٨٨) وزاذان هو أبو عمرو الكندي البزاز صدوق يرسل وفيه شيعية .
(٧٧) المسند (ج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦) ويونس بن خباب هو الأسدي كذبه يحيى القطان ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه اهـ .

قلت : وكان شيعياً وليته اكتفى بها بلية بل ازداد وهناً على وهنه لرفضه فإنه كان رافضياً ، وقد ذكر الذهبي في الميزان العجب العجيب من رفضه وكيدته فمن ذلك : أنه قال لعباد بن عباد : عثمان قتل بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت له : قتل واحدة فلم أنكحه الأخرى ، ومنه أيضاً : أن عباد ابن عباد قال : أتيت يونس بن خباب فسألته عن حديث عذاب القبر فحدثني به فقال : هنا كلمة أخفوها الناصبة ، قلت ما هي ؟ قال : إنه ليسأل : من وليك فإن قال علي نجا ، فقلت : والله ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، فقال لي : من أين أنت ؟ قلت : من أهل البصرة قال : أنت عثمان خبيث أنت تحب عثمان اهـ . وهذه خرافات وهراءات تضحك المحزون وتبكي المسرور وهذا شأن كل من تخلف عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نسأل الله التوفيق للعمل بما فيها ، أما هذا الحديث فلا يضره هذا الرافضي فإنه مروي من طرق عن المنهال بن عمرو كما تقدم .

السماء ، فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلى القبر ^(٧٨) .

وقد قال ابن جريج في قوله : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ ، قال : لا تفتح لأعمالهم ، ولا لأرواحهم ^(٧٩) .

وهذا فيه جمع بين القولين ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ هكذا قرأه الجمهور ، وفسروه بأنه البعير .

قال ابن مسعود : هو الجمل ابن الناقة - وفي رواية : زوج الناقة .

وقال الحسن البصري : حتى يدخل البعير في خرق الإبرة .

وكذا قال أبو العالية ، والضحاك ، وكذا روى علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأها ﴿ يلج الجمل في سم الخيام ﴾ ، بضم الجيم ، وتشديد الميم - يعني الحبل الغليظ في خرم الإبرة .

وهذا اختيار سعيد بن جبير . وفي رواية أنه قرأ ﴿ حتى يلج الجمل ﴾ يعني قلوس السفن ، وهي الحبال الغلاظ .

وقوله : ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ ، قال محمد بن كعب القرظي : ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ ، قال : الفرش ، ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ ، قال : اللحف .

وكذا قال الضحاك بن مزاحم ، والسدي ، ﴿ وكذلك نجزي الظالمين ﴾ .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْفِيْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا
أَنْ فَلَكَمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(٧٨) تقدم تخريج هذا الحديث (ص ٣٢٩) من هذا الجزء .

(٧٩) تفسير الطبري من طريق الحسين بن داود المعروف بسنيد فالأثر ضعيف من أجله .

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ، عطف بالذكر حال السعداء ، فقال : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ، ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله ، واستكبروا عنها .

وينبه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل ، لأنه تعالى قال : ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ ، أي : من حسد وبغضاء ، كما جاء في الصحيح للبخاري ، من حديث قتادة ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا [خلص المؤمنون من النار] حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا ، أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفسي بيده ، إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا » ^(٨٠) .

وقال السدي في قوله : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار ... ﴾ الآية : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة [فبلغوا] ، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحدهما ، فينزع ما في صدورهم من غل ، فهو « الشراب الطهور » ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم « نضرة النعيم » ، فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبداً .

وقد روى أبو إسحاق [عن عاصم] عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحواً من ذلك ، كما سيأتي في قوله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقال قتادة : قال علي رضي الله : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال تعالى فيهم : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ . رواه ابن جرير ^(٨١) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل قال : سمعت الحسن يقول : قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ ^(٨٢) .

(٨٠) صحيح البخاري (ج ٥ ص ٩٦) .

(٨١) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٣٨) وهو منقطع لأن قتادة لم يسمع من علي رضي الله عنه . راجع إن شئت جامع التحصيل وتهذيب الكمال .

(٨٢) هذا الأثر في الطبري بسندين أحدهما من طريق ابن حميد عن ابن المبارك ولا يحتج بابن حميد ، والأخرى من طريق الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق به ، والحسن بن يحيى له شريك آخر شاركه في الطبقة والاسم والرواية عن عبد الرزاق وأحدهما صدوق والآخر قال النسائي : لا بأس به وقال في موضع آخر لا شيء ضعيف خفيف الدماغ ، ولعل الأقرب أن الحسن بن يحيى بن الجعد الذي قيل فيه : صدوق ، هو هذا إذ أنه أشهر من ذاك فعلى هذا فحديثه حسن إلا أن رواية الحسن عن علي مرسلة ، ذكر هذا صاحب جامع التحصيل في أحكام المراسيل في ترجمة الحسن .

وروى النسائي وابن مردويه واللفظ له - من حديث أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني ، فيكون له شكراً ، وكل أهل النار يرى مقعده في الجنة فيقول : لو أن الله هداني . فيكون له حسرة »^(٨٣) .

ولهذا لما أورشوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا : أن تلکم الجنة أورشتموها بما كنتم تعملون . أي : بسبب أعمالکم [نالتکم الرحمة فدخلتم الجنة ، وتبوأتم منازلکم بحسب أعمالکم] . وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ : « واعلموا أن أحدکم لن يدخله عمله الجنة » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل »^(٨٤) .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ
حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

﴿٤٥﴾

يخبر تعالى بما يخاطب أهل الجنة أهل النار إذا استقروا في منازلهم ، وذلك على وجه التقرير والتوبيخ : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ﴾ ، « أن » هاهنا مفسرة للقول المحذوف ، « وقد » للتحقيق ، أي : قالوا لهم : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا : نعم . كما أخبر تعالى في سورة « الصافات » عن الذي كان له قرين من الكفار : ﴿ فاطلع فرآه في

(٨٣) الحديث في التفسير للنسائي عند قوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ سورة [الزمر/ ٦٧] ، وأخرجه الإمام أحمد (ج ٢ ص ٥١٢) من طريق أبي بكر بن عياش به ، وذكر الألباني الحديث في صحيح الجامع وحسنه ، وهو كما قال . وقد وردت أحاديث غير هذا فيها أن العبد الكافر يرى في قبره مقعده في الجنة ، وأن العبد المؤمن يرى مقعده في النار فيألفها من فرحة لهذا ويألفها من حسرة لذاك ، وفي الحديث رد على من زعم أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين وهذا القول لا حجة لقائله البتة إلا أشياء أوهمى من بيت العنكبوت ، وقد قال الله عن إعداد النار ﴿ أعدت للكافرين ﴾ وقال الله في إعداد الجنة كما في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وقد رأي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على منبره الجنة والنار ، والأدلة على رد قولهم وأباطيلهم كثيرة لا سعة لذكرها . (٨٤) صحيح البخاري (ج ١١ ص ٢٩٤) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

سواء الجحيم * قال :تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المخضرين * أفما نحن بميتين ، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴿ ﴾ ، أي : ينكر عليه مقابلته التي يقولها في الدنيا ، ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال ، وكذا تفرعهم الملائكة يقولون لهم : ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ . وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتل القليب يوم بدر ، فنادى : « يا أبا جهل ابن هشام ، ويا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة - وسمى رءوسهم - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً » . وقال عمر : يا رسول الله ، تخاطب قوماً قد جيفوا ؟. فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا »^(٨٥) .

وقوله : ﴿ فأذن مؤذن بينهم ﴾ ، أي : أعلم معلم وناذى مناد : ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ ، أي : مستقرة عليهم .

ثم وصفهم بقوله : ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً ﴾ ، أي : يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ، ويغونها أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة ، حتى لا يتبعها أحد . ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ ، أي : وهم بقاء الله في الدار الآخرة كافرون ، أي : جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به ، فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل ، لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً ، فهم شر الناس أعمالاً وأقوالاً .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يُطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾
* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار ، نبه أن بين الجنة والنار حجاباً ، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة .

قال ابن جرير : وهو السور الذي قال الله تعالى : ﴿ فضرِب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ . وهو الأعراف الذي قال الله تعالى : ﴿ وعلى الأعراف

(٨٥) الحديث في صحيح البخاري (ج ٧ ص ٣٠١) ومسلم (ج ٤ ص ٢٢٠٣) عن أبي طلحة و (ص ٢٢٠٤) عن أنس رضي الله عنهما .

رجال^(٨٦).

ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله : ﴿ وبينهما حجاب ﴾ وهو « السور » ، وهو « الأعراف » .

وقال مجاهد : الأعراف ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

قال ابن جرير : و « الأعراف » جمع « عرف » وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى « عرفاً » ، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه .

وحدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، سمع ابن عباس

يقول :

الأعراف : هو الشيء المشرف .

وقال الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :

« الأعراف » ، سور كعرف الديك^(٨٧) .

وفي رواية عن ابن عباس : « الأعراف » ، تل بين الجنة والنار ، حبس عليه ناس من أهل

الذنوب بين الجنة والنار .

وفي رواية عنه : هو سور بين الجنة والنار . وكذلك قال الضحاك وغير واحد من علماء

التفسير .

وقال السدي : إنما سمي « الأعراف » أعرافاً ، لأن أصحابه يعرفون الناس .

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ، وكلها قرينة ترجع إلى معنى

واحد ، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . نص عليه حذيفة ، وابن عباس ، وابن مسعود ،

وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله ، وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن

مدرويه .

حدثنا عبد الله بن إسماعيل ، حدثنا عبيد بن الحسين ، حدثنا سليمان بن داود^(٨٨) ، حدثنا

(٨٦) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٤٩) .

(٨٧) أثر ابن عباس في ابن جرير (ج ١٢ ص ٤٥٠ - ٤٥١) وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي تقدم قول أبي

حنيفة : ما رأيت أكذب منه .

(٨٨) سليمان بن داود هو الشاذكوني البصري الحافظ أبو أيوب ، قال البخاري : فيه نظر ، وكذبه ابن معين في

حديث ذكر له عنه وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة وقال صالح بن محمد الحافظ : =

النعمان بن عبد السلام ، حدثنا شيخ لنا يقال له : أبو عباد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته ، فقال : « أولئك أصحاب الأعراف ، لم يدخلوها وهم يطمعون » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورواه من وجه آخر ، عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام^(٨٩) ، عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف ، فقال : « إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم ، فقتلوا في سبيل الله » .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معشر ، حدثنا يحيى بن شبيل ، عن يحيى بن عبد الرحمن المزني ، عن أبيه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال : « هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله » .

هكذا رواه ابن مردويه ، وابن جرير^(٩٠) ، وابن أبي حاتم من طرق ، عن أبي معشر به . وكذلك رواه ابن ماجه مرفوعاً ، من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري ، والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصارها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال : فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلفت بهم حسناتهم عن النار . قال : فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم .

= ما رأيت أحفظ من الشاذكوني وكان يكذب في الحديث ، وقيل : كان يتعاطى المسكر ويتأجن وقال عباس العنبري : ما مات حتى انسلخ من العلم انسلخ الحية من قشرها .

قلت : فحديثه مطروح منبوذ ولا ينكر حفظه الذي أعطيه لكنه وإن كان حافظاً فهو كذاب يضع الأسانيد ومتهم في دينه وساءت خاتمته كما عرفت وإن أردت التوسع في ترجمته فراجعها من الميزان ، وإن أردت أوسع من ذلك فانظر : لسان الميزان . نسأل الله أن يحسن خاتمتنا وأن يثبت قلوبنا على الحق وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه .

(٨٩) سعيد بن سلمة بن أبي الحسام بصري اعتمده مسلم وخرج له النسائي وضعفه فقال : شيخ ضعيف إنما أخرجنا له للزيادة في الحديث ، وقال أبو حاتم : سألت ابن معين عنه فلم يعرفه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، هذه ترجمته من الميزان .

(٩٠) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٥٨) وضعفه الشيخ / محمود شاكر وتكلم عنه وأطال ، وقال في آخر كلامه : وهذا الخبر ذكره جميعاً من طرق مختلفة وكلها مضطرب وقد جمع الكلام فيه الحافظ ابن حجر في الإصابة في الموضعين ولكنه لم يستوفه ومهما يكن من شيء فهو حديث ضعيف لضعف أبي معشر ولما يحيط به من الجهالة اهـ المراد منه ، ويعني بالموضعين في ترجمة عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن الهلالي وعبد الرحمن المزني وذلك في الإصابة .

وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال : قال الشعبي ، أرسل إلي عبد الحميد بن عبد الرحمن - وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش - وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكراً ليس كما ذكرا ، فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ، فقالا : هات . فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ ، فبينما هم كذلك ، اطلع عليهم ربك فقال لهم : اذهبوا فادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال : يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله : ﴿ فمن ثقلت موازينه ... ﴾ الآيتين ، ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ، وقال : ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : ﴿ سلام عليكم ﴾ ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا : ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ ، فتعوذوا بالله من منازلهم . قال : فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً ، وكل أمة نوراً ، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة . فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا : ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ ، وأما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان في أيديهم فلم ينزع ، فهناك يقول الله تعالى : ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ ، فكان الطمع دخولاً . قال : وقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة . ثم يقول : هلك من غلبت واحدة أعشاره^(٩١) .

رواه ابن جرير ، وقال أيضاً :

حدثني ابن وكيع وابن حميد قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : « الأعراف » : السور الذي بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بدا الله أن يعافهم ، انطلق بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » ، حافاه قصب الذهب ، مكلل باللؤلؤ ، ترابه مسك ، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ، وتبدو في نحرهم شامة بيضاء يعرفون بها ، حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال : تمنوا ما شئتم فيتمنون ،

(٩١) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٥٤) قال المحقق : أبو بكر الهذلي ليس بثقة ولا يحتج بحديثه وقال غندر : كان إمامنا وكان يكذب .

حتى إذا انقطعت أمنيته قال لهم : لكم الذي تمنيت ومثله سبعون ضعفاً . فيدخلون الجنة وفي نحرهم شامة بيضاء يعرفون بها ، يسمون مساكين أهل الجنة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن يحيى بن المغيرة ، عن جرير ، به . وقد رواه سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث ، من قوله . وهذا أصح ، والله أعلم . وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال سنيد بن داود : حدثني جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أنى زرة بن عمرو ابن جرير قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال : « هم آخر من يفصل بينهم من العباد ، فإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلوا الجنة ، فأنتم عتقائي ، فارعوا من الجنة حيث شئتم » . وهذا مرسل حسن^(٩٢) .

وقيل : هم أولاد الزنا . حكاه القرطبي .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة « الوليد بن موسى » عن شيبه بن عثمان ، عن عروة ابن رويم ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ : أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب ، فسألناه عن ثوابهم ، فقال : « على الأعراف ، وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ » . فسألناه : وما الأعراف ؟ فقال : « حائط الجنة تجري فيه الأنهار ، وتنبت فيه الأشجار والثمار^(٩٣) » .

رواه البيهقي ، عن ابن بشران ، عن علي بن محمد المصري ، عن يوسف بن يزيد ، عن الوليد بن موسى ، به .

وقال سفيان الثوري ، عن خصيف^(٩٤) ، عن مجاهد قال : أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : ﴿ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ﴾ ، قال : هم

(٩٢) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٦١) ولا أدري كيف يكون حسناً وسنيد بن داود فيه وهو ضعيف كما تقدم فالأولى أن يقال : إنه مرسل ضعيف إلا أن يكون الحافظ يرى تحسين حديثه فله ما رأى والذي ظهر لنا هو ضعفه بعد القراءة والاطلاع فيه نعمل وبسببه نضعف ، والله أعلم .

(٩٣) الوليد بن موسى ذكر في لسان الميزان : الوليد بن موسى الدمشقي ، قال الدارقطني : منكر الحديث وقواه أبو حاتم ، وقال غيره : متروك وهو في هذه الطبقة ولم أجد أحداً يسمى بهذا الاسم ويحتمل أن يكون هو الذي بين أيدينا سوى من ذكرته فلعله هو ، وأما شيبه بن عثمان فلم أجد من يسمى بشيبه بن عثمان إلا واحداً لكن له صحبة فلا يمكن أن يكون هذا ، وأما عروة بن رويم فقال الحافظ في التقریب : صدوق يرسل كثيراً .

(٩٤) خصيف هو ابن عبد الرحمن ضعيف .

رجال من الملائكة ، يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال : ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، ونادى أصحاب الأعراف رجالاً ﴾ في النار ﴿ يعرفونهم بسيماهم ، قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم إلا ينالهم الله برحمة ﴾ ، قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة : ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ .

وهذا صحيح إلى أبي مجلز، لاحق بن حميد أحد التابعين ، وهو غريب من قوله ، و خلاف الظاهر من السياق . وقول الجمهور مقدم على قوله ، بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه . وكذا قول مجاهد : إنهم قوم صالحون علماء فقهاء ، فيه غرابة أيضاً . والله أعلم .

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً منها : أنهم شهدوا أنهم صلحاء تفرعوا من فرع الآخرة ، دخلوا يطلعون على أخبار الناس . وقيل : هم أنبياء ، وقيل : ملائكة .

وقوله تعالى : ﴿ يعرفون كلاً بسيماهم ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه ، وأهل النار بسواد الوجوه . وكذا روى الضحاك ، عنه .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : أنزلهم الله بتلك المنزلة ، ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ، ويتعوزوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين ، وهم في ذلك يحبون أهل الجنة بالسلام ، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله » .

وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، والسدي ، والحسن ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال معمر ، عن الحسن ، إنه تلا هذه الآية : ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ ، قال : والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم ، إلا لكرامة يريد بها .

وقال قتادة : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

وقوله : ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ، قالوا : ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ .

وقال السدي : وإذا مروا بهم - يعني بأصحاب الأعراف - بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا : ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ .

وقال عكرمة : تحدد وجوههم في النار ، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ﴾ ، فرأوا وجوههم مسودة ، وأعينهم مزرقة ﴿ قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ
بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم ، يعرفونهم في النار بسيماهم : ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ أي : كثرتكم ، ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ ، أي : لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله ، بل صرتم إلى ما صرتم فيه من العذاب والنكال .
﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني أصحاب الأعراف ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد ، حدثني أبي ، حدثني عمي حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ... ﴾ الآية قال : فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا - يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار - قال الله لأهل التكبر والأموال : ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ .

وقال حذيفة : « إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم ، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة ، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار ، فجعلوا على الأعراف ، يعرفون الناس بسيماهم . فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة ، فأتوا آدم فقالوا : يا آدم ، أنت أبونا ، فاشفع لنا عند ربك . فقال : هل تعلمون أن أحداً خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسبقت رحمته إليه غضبه ، وسجدت له الملائكة غيري فيقولون : لا . فيقول : ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابني إبراهيم . فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم ، فيقول : تعلمون من أحد اتخذ الله خليلاً ؟ هل تعلمون أن أحداً أحرقه قومه في النار غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم . ولكن ائتوا ابني موسى . فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليماً وقربه نبياً غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما عملت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا عيسى . فيأتونه عليه السلام فيقولون له : اشفع لنا عند ربك . فيقول : هل تعلمون أحداً خلقه الله من غير أب [غيري] ؟ فيقولون : لا . فيقول : هل تعلمون من أحد كان يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري ؟ قال : فيقولون : لا . فيقول : أنا حجيج نفسي . ما عملت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم . ولكن ائتوا محمداً صلوات الله عليه .

فيأتونني ، فأضرب بيدي على صدري ، ثم أقول : أنا لها . ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش ، فأتي ربي عز وجل ، فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ، ثم أسجد فيقال لي : يا محمد : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ؛ فأرفع رأسي ، فأقول : ربي أمتي ، فيقول : هم لك ؛ فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب ، إلا غبطني بذلك المقام ، وهو المقام المحمود . فأتي بهم الجنة ، فأستفتح فيفتح لي ولهم ، فيذهب بهم إلى نهر يقال له : « نهر الحيوان » ، حافته قصب مكلل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، وحصابؤه الياقوت . فيغتسلون منه ، ف تعود إليهم ألوان أهل الجنة ، وريح ، فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ، ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها ، يقال [لهم] : مساكين أهل الجنة ^(٩٥) .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
بِجَدُّونَ ﴿٥١﴾

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شراهم وطعامهم ، وأنهم لا يجابون إلى ذلك .

قال السدي : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ ، يعني : الطعام .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يستطعمونهم ويستسقونهم .

وقال الثوري ، عن عثمان الثقفي ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال : ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول : قد احترقت ، أفض علي من الماء . فيقال لهم : أجيئوهم . فيقولون : ﴿ إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ .

(٩٥) الأثر في ابن جرير (ج ١٢ ص ٤٧٠) من طريق السدي عن حذيفة وقد تقدم أن تفسير السدي غير معتمد ولم يذكروا له سماعاً ولا رواية عن حذيفة وأما كون شفاعاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تسمى العظمي وأنه لا يشفع بها نبي غيره فقد ثبت هذا عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما وانظر كتاب شيخنا (الشفاعاة) فقد جمع وأوعى ، فجزاه الله خيراً .

وروي من وجه آخر عن سعيد ، عن ابن عباس ، مثله .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ إن الله حرهما على الكافرين ﴾ : يعني طعام الجنة وشرابها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، أخبرنا موسى بن المغيرة ، حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال : سألت ابن عباس -أو : سئل - أي الصدقة أفضل ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصدقة الماء ، ألم تسمع إلى أهل النار [لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا] : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ^(٩٦) .

وقال أيضاً : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال : لما مرض أبو طالب قالوا له : لو أرسلت إلى ابن أخيك هذا ، فيرسل إليك بعنقود من الجنة ، لعله أن يشفيك به . فجاءه الرسول وأبو بكر عند النبي ﷺ ، فقال أبو بكر : إن الله حرهما على الكافرين ^(٩٧) .

ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا من اتخاذهم الدين هوأ ولعباً ، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروه به من العمل للدار الآخرة .

قوله : ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا ﴾ ، أي : نعاملهم معاملة من نسيم ، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه ، كما قال تعالى : ﴿ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ . وإنما قال تعالى من باب المقابلة ، كما قال : ﴿ نسأ الله فنسيم ﴾ ، وقال : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وقيل : اليوم ننسأكم كما نسيم لقاء يومكم هذا ﴾ .

وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا ﴾ قال : نسيم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : نتركهم ، كما تركوا لقاء يومهم هذا . [وقال مجاهد : نتركهم في النار . وقال السدي : نتركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا] .

وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : « ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر

(٩٦) هذا حديث ضعيف فإن موسى بن المغيرة وهو الرقاق أو الدقاق وشيخه أبا موسى الصفار مجهولان هكذا قال الذهبي في الميزان في ترجمة كل واحد منهما وذكر هذا الحديث في ترجمة موسى بن المغيرة .

(٩٧) أبو صالح هو ذكوان السمان تابعي حكى قصة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي مرسلة .

لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا : فيقول الله : فاليوم أنساك كما نسيتني ^(٩٨) .

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن إعداده إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول ، وأنه كتاب مفصل مبين ، كما قال تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ فصلناه على علم ﴾ ، أي : على علم منا بما فصلناه به ، كما قال تعالى ﴿ أنزله بعلمه ﴾ .

قال ابن جرير : وهذه الآية مردودة على قوله : ﴿ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ... ﴾ الآية ، ﴿ ولقد جئناهم بكتاب ... ﴾ الآية .

وهذا الذي قاله فيه نظر ، فإنه قد طال الفصل ، ولا دليل على ذلك ، وإنما لما أخبر عما صاروا إليه من الخسار في الدار الآخرة ، ذكر أنه قد أراح عللمهم في الدار الدنيا ، بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، كقوله : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ ، أي : ما وعد من العذاب والنكال والجنة والنار .

قاله مجاهد وغير واحد .

وقال مالك : ثوابه .

وقال الربيع : لا يزال يجيء من تأويله أمر ، حتى يتم يوم الحساب ، حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فيتم تأويله يومئذ .

﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ ، أي : يوم القيامة ، قاله ابن عباس ﴿ يقول الذين نسوه من

(٩٨) الحديث في صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قبل ﴿ ، أي : تركوا العمل به ، وتناسوه في الدار الدنيا : ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴾ ، أي : في خلاصنا مما نحن فيه ، ﴿ أو نرد ﴾ إلى الدار الدنيا ﴿ فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ ، كما قال هاهنا : ﴿ قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ، أي : خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها ، ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ، أي : ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا ينصرونهم ، ولا يشفعون لهم ، ولا ينقذوهم مما هم فيه .

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى
الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالى بأنه خلق هذا العالم : سمواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام ، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ، والستة الأيام هي : الأحد ، والإثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، وفيه اجتمع الخلق كله ، وفيه خلق آدم عليه السلام . واختلفوا في هذه الأيام . هل كل يوم منها كهذه الأيام ، كما هو المتبادر إلى الأذهان ، أو كل يوم كآلف سنة ؟ كما نص على ذلك مجاهد ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس . فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق ، لأنه اليوم السابع ، ومنه سمي السبت ، وهو القطع .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا حجاج ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ^(٩٩) » .

فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه ، عن حجاج - وهو ابن

محمد الأعور - عن ابن جريج به . وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال في ستة أيام . ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة ، عن كعب الأخبار ، ليس مرفوعاً ، والله أعلم^(١٠٠) .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهو السميع البصير ، بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري « من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر » . وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى .

وقوله تعالى : ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ ، أي : يذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، أي : سريعاً لا يتأخر عنه ، بل إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

كما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ فقله : ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ ، أي : لا يفوته بوقت يتأخر عنه ، بل هو في أثره لا واسطة بينهما ، ولهذا قال : ﴿ يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ منهم من نصب ، ومنهم من رفع ، وكلاهما قريب المعنى ، أي : الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيتته ، ولهذا قال منها :... ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ، أي : له الملك والتصرف ، ﴿ تبارك الله رب العالمين ﴾ ، كما قال : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ... ﴾ الآية .

(١٠٠) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢١٤٩) وقد ذكره الحافظ رحمه الله في سورة السجدة وفي سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ وذكر قول البخاري : في هذا الحديث ، فقال : قال البخاري : وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعب الأخبار وهو أصح ، وأفاد ابن كثير أن هذا من غرائب مسلم ، وأن علي بن المديني تكلم عليه . قلت : ولو قال قائل : إن هذا الحديث ضعيف بنفسه بسبب أيوب بن خالد الذي في سنده وهو ابن صفوان بن أوس إلى الضعف أقرب لما أبعد عن الصواب فكيف وقد عارض الآية القرآنية التي بين أيدينا فالذي يبدو أنه منكرو ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني المثني ، حدثنا إسحاق ، حدثنا هشام أبو عبد الرحمن ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري ، عن عبد العزيز الشامي ، عن أبيه - وكانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح ، وحمد نفسه ، فقد كفر وحبط عمله . ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً ، فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه ، لقوله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ » ^(١) .

وفي الدعاء المأثور ، عن أبي الدرداء - وروي مرفوعاً - : « اللهم لك الملك كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله » ^(٢) .

أَدْعُوا رَبَّكُمْ

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ

﴿٥٦﴾

أرشد تعالى عباده إلى دعائه ، الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم ، فقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ، معناه : تذلاً واستكانة ، و﴿ خُفْيَةً ﴾ ، كما قال : ﴿ واذكر ربك في نفسك ... ﴾ الآية ، وفي الصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ، إن الذي تدعونه سميع قريب ... » الحديث ^(٣) .

(١) تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٨٤) وعبد الغفار صوابه : عبد الغفور ذكره ابن حجر في لسان الميزان ونقل عن يحيى بن معين أنه قال ليس حديثه بشيء وعن ابن حبان : كان يضع الحديث ، وعن البخاري : تركوه ، وعن ابن عدي : ضعيف منكر الحديث ، ونقل الذهبي في الميزان عنهم ذلك ، وقد بحث عن عبد الغفار فلم أجده بهذا الاسم حتى رأيت في تحقيق الطبري لمحمود شاکر أن الذي طبقت عليه التراجم أنه عبد الغفور أبو الصباح الواسطي ، وهكذا ذكروه . أما عبد العزيز الشامي وهو أبوه فقال الشيخ محمود شاکر : لم أجده له ذكراً إلا في أثناء هذه الأسانيد ثم قال : هذا خبر ضعيف هالك الإسناد ، وبقية بن الوليد كما قال ابن المبارك : كان صدوقاً ولكنه يكتب عن أقبل وأدبر ونقل عن أبي زرعة أنه قال : بقية عجب إذا روى عن الثقة فهو ثقة .

(٢) لم أجده هذا الحديث فيما بين يدي من الكتب وقد بحثت عنه كثيراً إلا أن لبعض أجزائه أصلاً في كتب السنة ، والله المستعان .

(٣) الحديث أخرجه البخاري (ج ٦ ص ١٣٥) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٧٦) وفي أمثال هذا الحديث ، والآيات المتقدمة والآثار الآتية دليل صريح على أن رفع الصوت بالذكر فعل مبتدع إلا فيما خصصه الدليل كرفع الصوت =

وقال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ تضرعاً وخفية ﴾ ، قال : « السر »^(٤) .

وقال ابن جرير : ﴿ تضرعاً ﴾ : تذلاً واستكانة لطاعته - ﴿ وخفية ﴾ ، يقول : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين بوحدايته وربوبيته فيما بينكم وبينه ، لا جهاراً ومراءة .

قال عبد الملك بن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن ، وما يشعر به الناس . وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ، وما يشعر به الناس . وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به . ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوا في السر ، فيكون علانية أبداً . ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ ، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال : ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾^(٥) .

وقال ابن جريج : يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة - ثم روي عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إنه لا يحب المعتدين ﴾ : في الدعاء ولا في غيره .

وقال أبو مجلز : ﴿ إنه لا يحب المعتدين ﴾ : لا يسأل منازل الأنبياء .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن زياد بن مخرق ، سمعت أبا نعمة ، عن مولى لسعد أن سعداً سمع ابناً يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ، ونحواً من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها . فقال : لقد سألت الله خيراً [كثيراً] وتعوذت بالله من شر كثير ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء » وقرأ هذه الآية : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً ﴾ الآية - وإن بحسبك أن تقول : « اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب

= بالتكبير عند الانصراف من الصلاة فلا بأس به ، أما فيما لم يثبت رفع الصوت فيه فإنه داخل في قوله تعالى : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ فالأصل في الذكر الخفية وعدم الجهر إلا فيما خصصه الدليل .

(٤) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٤٨٦) من طريق الحسين وهو ابن داود وقد تقدم أنه ضعيف ، ورواية

ابن جريج عن عطاء الخراساني ضعيفة وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس ويغني عن هذا ما تقدم . (٥) الأثر في الطبري (ج ١٢ ص ٤٨٥) والمبارك بن فضالة هو ابن أبي أمية أبو فضالة البصري قال الحافظ

في التقریب : صدوق يدلّس ويسوي ، وذكر في تهذيب التهذيب عن ابن مهدي أنه قال : كنا نتبع من حديث مبارك ما قال فيه حدثنا الحسن .

قلت : ولم يقلها هنا وإلى هذا فشيخ الطبري في هذا الأثر المثني وهو ابن إبراهيم الآملي لم نعرفه .

إليها من قول أو عمل^(٦) .

ورواه أبو داود ، من حديث شعبة ، عن زياد بن مخرقا ، عن أبي نعامة عن ابن لسعد ، عن سعد ... فذكره ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الجريري ، عن أبي نعامة : أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم ، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها . فقال : يا بني ، سل الله الجنة ، وعذبه من النار ، فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور . »

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان به . وأخرجه أبو داود ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نعامة - واسمه : قيس بن عباية الحنفي البصري - وهو إسناده حسن لا بأس به ، والله أعلم^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ ، ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض ، وما أضربه بعد الإصلاح ! فإنه [إذا كانت] الأمور ماشية على السداد ، ثم وقع الإفساد بعد ذلك ، كان أضرب ما يكون على العباد . فنهى تعالى عن ذلك ، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه ، فقال : ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾ ، أي : خوفاً مما عنده من وبيل العقاب ، وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب .

ثم قال : ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ ، أي : رحمته مرصدة للمحسنين ، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره ، كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ ، فسأكتبها للذين يتقون ... ﴿ الآية .

وقال : ﴿ قريب ﴾ ، ولم يقل : « قريبة » ، لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب ، أو لأنها مضافة إلى الله ، فلهذا قال : قريب من المحسنين .

وقال مطر الوراق : تنجزوا موعود الله بطاعته ، فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين . رواه ابن أبي حاتم .

(٦) هذا في مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ١٧٢) وهو كما تراه عن مولى لسعد أن سعداً سمع ابناً له يدعوه وهو يقول : ... إلخ . وأبو نعامة المذكور هو قيس بن عباية قال الحافظ في التقریب : ثقة .

قلت : إلا أنه لم تذكر له رواية عن مولى لسعد ولست أدرى من مولاه ، وقد جاء في أبي داود (ج ٢ ص ١٦١) خلاف ما في أحمد فقد روى أبو نعامة عن ابن لسعد أنه قال : سمعني أبي ، وسعد هذا هو ابن أبي وقاص وأما ابنه فقال المنذري في مختصر أبي داود : لم يسم ، فإن كان عمر فلا يحتج به .

(٧) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٥ ص ٥٥) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٢٧١) وأبي داود (ج ١ ص ٧٣) وهو حديث صحيح .

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ
بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض ، وأنه المتصرف الحاكم المدير المسخر ، وأرشد إلى دعائه لأنه على ما يشاء قادر ، نبه تعالى على أنه الرزاق ، وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح نشراً ﴾ ، أي : ناشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ، ومنهم من قرأ ﴿ بشراً ﴾ ، كقوله : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ .

وقوله : ﴿ بين يدي رحمته ﴾ ، أي : بين يدي المطر ، كما قال : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ ، وقال : ﴿ فانظر إلى أثر^(٨) رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لنحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير ﴾ .

وقوله : ﴿ حتى إذا أقلّت سحَابًا ثِقَالًا ﴾ ، أي : حملت الرياح سحَابًا ثِقَالًا ، أي : من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدهمة ، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرا ثقالا

وقوله : ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ ، أي : إلى أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها ، كما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ... ﴾ الآية ، ولهذا قال : ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى ﴾ ، أي : كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها ، كذلك نحى الأجساد بعد صيرورتها رميماً يوم القيامة ، ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء ، فتمطر الأرض أربعين يوماً ، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض ، وهذا المعنى كثير في القرآن ، يضرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها ، ولهذا قال : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ .

وقوله : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ ، أي : والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً

(٨) قال محققو طبعة الشعب : كذا في مخطوطة الأزهر (أثر) بالإفراد وهي قراءة الحرمين وأبي عمرو وأبي بكر وقرأ باقي السبعة بالجمع ، البحر المحيط (١٧٩/٧) .

حسناً ، كما قال : ﴿ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

﴿ والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ﴾ ، قال مجاهد وغيره : كالسباخ ونحوها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا حماد بن أسامة ، عن بريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب [أرضاً] ، فكانت منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلاء والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي [قيعان] لا تمسك ماءً ولا تنبت فذلك [مثل] من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » ^(٩) .

رواه مسلم والنسائي من طرق ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٦٠ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِضَلَالَةٍ
وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٦١ أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة ، وما يتعلق بذلك ويتصل به ، وفرغ منه ، شرع الله تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول ، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام ، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام ، وهو « نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ - وهو إدريس عليه السلام - فيما يزعمون ، وهو أول من خط بالقلم - ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام .

هكذا نسبه ابن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب . قال محمد بن إسحاق : ولم يلق نبي من قومه من الأذي مثل نوح إلا نبي قتل .

وقال زيد الرقاشي : إنما سمي نوحاً لكثرة ما ناح على نفسه .

وقد كان بين آدم إلى زمان نوح عليهما السلام عشرة قرون ، كلهم على الإسلام .

قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير : وكان أول ما عبدت الأصنام أن قوماً صالحين ماتوا ، فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صورة أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتهم ، فيتشبهوا بهم . فلما طال الزمان جعلوا تلك الصور أجساداً على تلك الصور . فلما تمدى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين : ودأ وسواعاً ويعوق ونسراً ، فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - رسوله نوحاً يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، فقال : ﴿ يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ ، أي : من عذاب يوم القيامة إن لقيتم الله وأنتم مشركون به . ﴿ قال الملأ من قومه ﴾ ، أي : الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم : ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ ، أي : في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا . وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون ﴾ ، وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ ، إلى غير ذلك الآيات .

﴿ قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ ، أي : ما أنا ضال ، ولكن أنا رسول من رب كل شيء ومليكه ، ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ . وهذا شأن الرسول أن يكون بليغاً فصيحاً ناصحاً بالله ، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات ، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة ، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً : « أيها الناس ، إنكم مسئولون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك [قد] بلغت وأدبت [ونصحت] ، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها عليهم ويقول : « اللهم اشهد ، اللهم اشهد »^(١٠) .

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

(١٠) الحديث في صحيح مسلم (ج ٢ ص ٨٩٠) وهو جزء من حديث طويل في باب حجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن جابر رضي الله عنه .

يقول تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ ...﴾ الآية، أي: لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفًا وإحساناً إليكم، لإلذاركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، أي: فتمادوا على تكذيبه ومخالفته، وما آمن معه منهم إلا قليل، كما نص عليه تعالى في موضع آخر، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾، وهي السفينة، كما قال: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، كما قال: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً﴾، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، أي: عن الحق، لا يصرونه ولا يهتدون له. فبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه، وأنجى رسوله والمؤمنين، وأهلك أعداءهم من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ...﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ سَاءُ الدَّارُ﴾.

وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة، أن العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم، كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى نوحاً وأصحابه المؤمنين.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما عذب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم، وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز.

وقال ابن وهب: بلغني عن ابن عباس أنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً، أحدهم «جرهم» وكان لسانه عربياً، رواه ابن أبي حاتم. وقد روي هذا الأثر الأخير من وجه آخر متصلاً عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

وَالِإِلَٰهَ عَادٍ أَخَاهُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُودِرُكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ

رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذِّنْكُمْ لِذِكْرِهِ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْرَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

يقول تعالى : وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً ، كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً .

قال محمد بن إسحاق : هم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

قلت : وهؤلاء هم عاد الأولى ، الذين ذكرهم الله ، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون [إلى] العمدة في البر ، كما قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ وذلك لشدة بأسهم وقوتهم ، كما قال تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ .

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف ، وهي جبال الرمل .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، سمعت علي بن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيراً أحمر تخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . والله إنك لتنتعته نعت رجل قد رآه . قال : لا ، ولكني قد حدثت عنه . فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود عليه السلام ^(١١) .

رواه ابن جرير . وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن ، وأن هوداً عليه السلام دفن هناك ، وقد كان من أشرف قومه نسباً ، لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم ، وكانوا من أشد الأمم تكذيباً للحق ، ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتقواه .

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ والملأ هم : الجمهور والسادة والقادة منهم - : ﴿ إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ ، أي : في ضلالة حيث دعوتنا إلى ترك عبادة الأصنام ، والإقبال إلى عبادة الله وحده ، كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلى إله واحد فقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ... ﴾ الآية .

(١١) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٥٠٧) ومحمد بن عبد الله هذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وفيه أيضاً ابن حميد واسمه محمد وهو حافظ إلا أنه ضعيف وقد كذبه أبو زرعة ، وأما مساكنهم وموتاهم فقد تداول الناس أنها في اليمن وبقيت لهم آثار ، والله أعلم .

﴿ قال : يا قوم ، ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ ، أي : لست كما تزعمون ، بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء ، فهو رب كل شيء ومليكه ﴾ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ . وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل : البلاغة والنصح والأمانة .

﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾ ، أي : لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقائه ، بل احمداوا الله على ذاكم ، ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ ، أي : واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم من ذرية نوح ، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته ، لما خالفوه وكذبوه ، ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ ، أي : زاد طولكم على الناس بسطة ، أي : جعلكم أطول من أبناء جنسكم ، كما قال تعالى في قصة طالوت : ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ . ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ ، أي : نعمه ومنته عليكم ﴾ لعلمكم تفلحون ﴾ .

قَالُوا

أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا تَعِدُنَا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ
وَغَضَبٌ أَتَجِدُونَنِي فِي سَّمَاءٍ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا
مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود عليه السلام : ﴿ قالوا : أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ... ﴾ الآية ، كما قال الكفار من قريش : ﴿ واذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره : أنهم كانوا يعبدون أصناماً ، فصم يقال له : صداء ، وآخر يقال له : صمود ، وآخر يقال له : الهباء .

ولهذا قال هود عليه السلام : ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ﴾ ، أي : قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس ، قيل : هو مقلوب من رجز . وعن ابن عباس : معناه السخط والغضب .

﴿ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ ، أي : أتحاجوني في هذه الأصنام التي سمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ آلهة ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً ، ولهذا قال : ﴿ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾ .

وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ، ولهذا عقب بقوله : ﴿ فَأَنْجِيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ، وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ، وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن آخر من القرآن ، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ لما ترمدوا وعتوا أهلكتهم الله بريح عاتية ، فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشلق رأسه حتى تبينه من جثته ، ولهذا قال : ﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : كانوا يسكنون باليمن من عمان وحضرموت ، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها ، بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله ، فبعث الله إليهم هوداً عليه السلام ، وهو من أوسطهم نسباً ، وأفضلهم موضعاً ، فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره ، وأن يكفوا عن ظلم الناس ، فأبوا عليه وكذبوه ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ واتبعه منهم ناس ، وهم يسير مكتمون بإيمانهم ، فلما عتت عاد على الله وكذبوا نبيه ، وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا ، وبنوا بكل ريع آية عبثاً بغير نفع ، كلمهم هود فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ، وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ . ﴿ قَالُوا : يَا هُودُ ، مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ ، أي : بجنون ، ﴿ قَالَ : إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ . إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : فلما أبوا إلا الكفر به ، أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين ، فيما يزعمون ، حتى جهدهم ذلك . قال : وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان ، فطلبوا من الله الفرج فيه ، إنما يطلبونه بحرمة ومكان بيته ، وكان معروفاً عند الملل ، وبه العماليق مقيمون ، وهم سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيدهم إذ ذاك رجلاً يقال له : « معاوية بن بكر » ، وكانت له أم من قوم عاد ، واسمها كلهدة ابنة الخيرى ، قال : فبعثت عاد وفداً قريباً من سبعين رجلاً إلى الحرم ، ليستسقوا لهم عند الحرم ، فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه ، فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان - قيتان لمعاوية - وكانوا قد وصلوا إليه في شهر ،

فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه ، واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف ، عمل شعراً يعرض لهم بالانصراف ، وأمر القيتين أن تغنياهم به ، فقال .

ألا يا قيل ، ويحك . قُمْ فَهَنِم	لعلَّ الله يُصْبِحُنَا غَمَاماً
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَاداً	قَدْ أَمْسَوْا لَا يُبِينُونَ الْكَلَامَا
من العطش الشديد ، فليس نرجو	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤُهُم بخير	فقد أُمست نساؤُهُم عِيَامِي
وإنَّ الوحشَ تأتيهم جهاراً	ولا تحشَى لعادي سَهَاماً
وأنتم هاهنا فيما اشتَهَيْتُهُم	نهارُكُمْ وَلَيْلُكُمْ التَّامَا
فَقَبَّحَ وَفَدَّكُمْ مِنْ وَفَدِ قَوْمٍ	ولا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

قال : فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له ، فنهضوا إلى الحرم ، ودعوا لقومهم فدعا داعيهم ، وهو : « قيل بن عنز » ، فأنشأ الله سحابات ثلاثاً : بيضاء ، وسوداء ، وحمراء ، ثم ناداه مناد [من السماء : اختر لنفسك - أو : لقومك من هذا السحاب ، فقال : اخترت هذه السحابة السوداء ، فإنها أكثر السحاب ماء ، فناداه مناد] : اخترت رماداً رمداً ، لا تبقي من عاد أحداً ، لا والدأ تترك ولا ولداً ، إلا جعلته همدأ ، إلا بني اللوزية المهندأ قال : وبني اللوزية : بطن من عاد مقيمون بمكة ، فلم يصبهم ما أصاب قومهم - قال : وهم من بقي من أنسأهم وذرايعهم عاد الآخرة ، قال : وساق الله السحابة السوداء ، فيما يذكرون ، التي اختارها « قيل بن عنز » بما فيها من النعمة إلى عاد ، حتى تخرج عليهم من واد يقال له : « المغيث » ، فلما رأوها استبشروا ، وقالوا : ﴿ هذا عارض ممطرننا ﴾ يقول : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ (أي : تهلك كل شيء مرت به) ، فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح ، فيما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها : [مهدد] ، فلما تبينت ما فيها صاحت ، ثم صعقت . فلما أفاقت قالوا : ما رأيت يا مهدد ؟ قالت : ريحاً فيها شهب النار ، أمامها رجال يقودونها . فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، كما قال الله - « والحسوم » الدائمة - فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود عليه السلام ، فيما ذكر لي ، ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود ، وتلتذ الأنفس ، وإنها لتمر على عاد بالطعن ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة .

وذكر تمام القصة بطولها ، وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد [في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد] : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي ،

حدثنا عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ ، فمررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها ، فقالت [لي] : يا عبد الله ، إن لي عند رسول الله ﷺ حاجة ، فهل أنت مبلغني إليه . قال : فحملتها فأتيت المدينة ، فإذا المسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال متقلد بسيف بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : ما شأن الناس ؟ فقالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً . قال : فجلست ، فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت فسلمت ، فقال : « هل بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت : نعم ، وكانت لنا الدبرة عليهم ، ومررت بالعحوز من بني تميم منقطع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي الباب ، فأذن لها ، فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً ، فاجعل الدهناء ، فحميت العجوز واستوفزت ، فقالت : يا رسول الله ، فإلى أين يضطر مضرك ، قال قلت : إن مثلي مثل ما قال الأول : « معزى حملت حتفها » ، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً ، أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد ! . « قال هيه ، وما وافد عاد ؟ - » وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه - قلت : إن عاداً قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له : قيل ، فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريثان ، يقال لهما « الجرادتان » ، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة ، فقال : « اللهم إنك تعلم أنني لم أجيء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه . اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه ، فمرت به سحباب سود ، فنودي منها : « اختر » ، فأوما إلى سحابة منها سوداء ، فنودي منها . خذها رماداً رمداً لا تبقي من عاد أحداً . قال : فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا ، حتى هلكوا - قال أبو وائل : وصدق قال : وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد^(١٢) .

هكذا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي ، عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب ، به نحوه .

ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر ، عن عاصم - وهو ابن بهدلة - ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضاً ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري ، به . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب ، به . ووقع عنده : عن الحارث بن يزيد البكري فذكره ورواه أيضاً عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث بن حسان البكري . فذكره ولم أر في النسخة « أبا وائل » ، والله أعلم .

وَالِى شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ

قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَاكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَةٍ ۖ ﴿٧٣﴾ وَادْكُرُوا
 إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ
 سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَنَ كُفْرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
 اسْتَضَعُوا مِنْهُمْ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَ رُسُلٍ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا
 أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۖ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ آسَنَ كُفْرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنُكُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ ۖ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أُنْتِنَا
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا
 فِي دَارِهِمْ جَثَمِينَ ۖ ﴿٧٨﴾

قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جدريس بن
 عاثر ، وكذلك قبيلة طسم ، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ،
 وكانت ثمود بعد عاد ، ومساكنهم مشهورة بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ، وقد مر
 رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم ، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر بن جويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر
 قال : لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستسقى الناس
 من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ونصبوا منها القدور . فأمرهم النبي ﷺ فأهراقوا
 القدور ، وعلفوا العجيين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ،
 ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا [وقال] : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا
 تدخلوا عليهم » (١٣)

(١٣) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ١١٧) وصخر بن جويرية هو أبو نافع قال أحمد : ثقة ، وقال القطان :
 ذهب كتابه ثم وجده فتكلم فيه لذلك ، وأصل الحديث في الصحيحين كما سيأتي .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه^(١٤) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أوسط ، عن محمد بن أبي كبشة الأنماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر ، يدخلون عليهم . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنادى في الناس : الصلاة جامعة - قال : فأتي رسول الله ﷺ وهو ممسك بغيره وهو يقول : « ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم » . فناداه رجل منهم : نعجب منهم يا رسول الله . قال : « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك : رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وبما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسددوا . فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً »^(١٥) .

لم يخرج أحد من أصحاب السنن ، وأبو كبشة اسمه : عمر بن سعد ، ويقال : عامر بن سعد ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألهما قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة ، أهد الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » . فقالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » .

وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة ، وهو على شرط مسلم^(١٦) .

(١٤) صحيح البخاري (ج ٦ ص ٣٧٨) ومسلم (ج ٤ ص ٢٢٨٥) .

(١٥) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٢٣١) وإسماعيل بن أوسط هو البجلي ذكره الذهبي في الميزان وقال : أمير الكوفة وكان من أعوان الحجاج وهو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل ، لا ينبغي أن يروى عنه .

(١٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٢٩٦) وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، كان مشهوراً بالتدليس واختلف فيه على ثلاثة أقوال ، أحدها . رد حديثه مطلقاً عنن أو صرح وهذا قول شعبة ابن الحجاج أبي بسطام أمير المؤمنين في الحديث ، وثانيها : قبول روايته مطلقاً وهذا قول مسلم بن الحجاج . وثالثها : التفصيل فيها فإن روى عنه الليث بن سعد قبلت وإلا فلا إلا إذا صرح بالتحديث ، وهذا قول أبي محمد بن حزم . والقولان الأخيران الاختلاف فيهما فيما إذا عنن أما إذا صرح بالتحديث فيقبل عند غير شعبة . وعلى كل فالذي يبدو ويظهر أن قول ابن حزم أعدل الأقوال وأسلمها وسبب قبوله رواية أبي الزبير إن روى عنه الليث خاصة هو : أن سعيد بن أبي مريم قال : حدثنا الليث قال جئت أبا الزبير فدفعت =

فقوله تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ ، أي : ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً ، ﴿ قال : يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ، جميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقوله : ﴿ قد جاءكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ﴾ ، أي : قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئكم به . وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم ، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر ، يقال لها : الكاتبة ، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه ، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبها بين جنبها ، كما سألوا ، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو : « جندع بن عمرو » ومن كان معه على أمره ، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم « ذؤاب بن عمرو » لبيد « والحباب » صاحب أوثانهم ، ورباب بن صمعر بن جلهمس ، وكان « لجندع بن عمرو » ابن عم يقال له : « شهاب بن خليفة بن مخلد بن لبيد بن جواس » ، وكان من أشراف ثمود وأفضلها ، فأراد أن يسلم أيضاً فهناك أولئك الرهط ، فأطاعهم ، فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود ، يقال له : مهوس بن عنمة بن الدميل رحمه الله :

وكانت غصبة من آل عمرو	إلى دين النبي دَعَوْا شهاباً
عَزِيزَ ثُمُودَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً	فَهَمَّ بَأَن يُجِيبَ فُلُو أَجَاباً
لأَصْبَحَ صَالِحُ فِينَا عَزِيزاً	وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَاباً
ولكن الغَوَاةَ من آل حُجَر	تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمْ ذُؤَاباً

فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة ، تشرب ماء بئرها يوماً ، وتدعه لهم يوماً . وكانوا يشربون لبنها يوم شربها ، يحتلبونها فيملاؤن ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محض ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هذه ناقة

إلي كتابين فانطلقت بهما ثم قلت في نفسي : لو أنني عاودته فسألته : أسمع هذا كله من جابر فسألته فقال : منه ما سمعت ومنه ما حدثت عنه فقلت له : أعلم لي على ما سمعت منه فأعلم لي على هذا الذي عندي . وذكر صاحب جامع التحصيل أن في مسلم عدة أحاديث فيها مما قال فيها أبو الزبير عن جابر وليست من طريق الليث وكأن مسلماً رحمه الله اطلع على أنها مما رواه الليث عنه وإن لم يروها من طريقه . اهـ كلامه . قلت : بل الأولى أن يقال : إنه رواها عنه لاحتجاجه به سواء كان عنه الليث أم لم يكن ، هذا اختصار ما قيل في أبي الزبير ومن أراد المزيد فليرجع إلى (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس) لابن حجر (وجامع التحصيل) للعلائي .

لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿٧٣﴾ . وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها ، لأنها كانت تتضلع من الماء ، وكانت - على ما ذكر - خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً ، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها . فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام ، عزموا على قتلها ، ليستأثروا بالماء كل يوم ، فيقال : إنهم اتفقوا كلهم على قتلها .

قال قتادة : بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم ، أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن ، وعلى الصبيان .

قلت : وهذا هو الظاهر لأن الله تعالى يقول : ﴿ فكذبوه فعقروها فدمدم عليها ربهم بذنبهم فسواها ﴾ ، وقال : ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ ، وقال : ﴿ فعقروا الناقة ﴾ . فأسند ذلك إلى مجموع القبيلة ، فدل على رضی جميعهم بذلك ، والله أعلم .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة : أن امرأة منهم يقال لها : « عنيزة ابنة غنم بن مجلز » ، وتكنى أم غنم ، كانت عجوزاً كافرة ، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام ، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل ، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود ، وامرأة أخرى يقال لها : « صدوف ابنة الحيا بن دهر بن الحيا » ذات حسب [ومال] وجمال ، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ، ففارقته ، فكانتا تبعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة ، فدعت « صدوف » رجلاً يقال له : « الحباب » وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة ، فأبى عليها . فدعت ابن عم لها يقال له : « مصدع بن مهرج بن الحيا » ، فأجابها إلى ذلك - ودعت « عنيزة بنت غنم » قدار بن سالف بن جندع ، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً ، يزعمون أنه [كان] ولد زنية ، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه ، [وهو] سالف ، وإنما هو من رجل يقال له : « صهياد » ، ولكن ولد على فراش « سالف » ، وقالت له : أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة ! فعند ذلك انطلق « قدار بن سالف » « ومصدع بن مهرج » ، فاستفزا غواة من ثمود ، فاتبعهما سبعة نفر ، فصاروا تسعة رهط ، وهم الذين قال الله تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ ، وكانوا رؤساء في قومهم ، فاستألوا القبيلة الكافرة بكما لها ، فطاوعتهم على ذلك ، فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها « قدار » في أصل صخرة على طريقها ، وكمن لها « مصدع » في أصل أخرى ، فمرت على « مصدع » فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت « أم غنم عنيزة » ، وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فسفرت عن وجهها لقدار وذمرته فشد على الناقة بالسيف ، فكسف عرقوبها ، فخرت ساقطة إلى الأرض ، ورغت رغاء واحدة تحذر سقبها ، ثم طعن في لبثها فنحرها ، وانطلق سقبها - وهو فصيلها - حتى أتى جبلاً منيعاً ، فصعد أعلى صخرة فيه ورغا - فروى عبد الرزاق ، عن معمر عن سمع الحسن البصري ، أنه قال : يا رب ، أين أمي ؟ ويقال : إنه رغا ثلاث مرات ، وإنه دخل في صخرة فغاب فيها ، ويقال : بل اتبعوه فعقروه مع أمه ، فالله أعلم .

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة ، بلغ الخبر صالحاً عليه السلام ، فجاءهم وهم مجتمعون ، فلما رأى الناقة بكى وقال : ﴿ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ... ﴾ الآية ، وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح ، وقالوا : إن كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته ! ﴿ قَالُوا : تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ، وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرُنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ ... ﴾ الآية .

فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه ، وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله صالح ، أرسل الله - سبحانه وتعالى ، وله العزة ولرسوله - عليهم حجارة فرضختهم سلفاً وتعجلاً قبل قومهم ، وأصبح ثمود يوم الخميس ، وهو اليوم الأول من أيام النظرة ، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام . وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل ، وهو يوم الجمعة ، ووجوههم حمرة ، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ، ووجوههم مسودة ، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تخطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه ، عياداً بالله من ذلك ، لا يدرون ماذا يفعل بهم ، ولا كيف يأتيهم العذاب ، وأشرقت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس في ساعة واحدة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِينَ ﴾ ، أي : صرعى لا أرواح فيهم ، ولم يفلت منهم أحد ، لا صغير ولا كبير ، لا ذكر ولا أنثى - قالوا : إلا جارية كانت مقعدة - واسمها : « كلبه ابنة السلق » ، ويقال لها : « الزريقة » - وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأت ما رأت من العذاب ، أطلقت رجلاها ، فقامت تسعى كأسرع شيء ، فأتت حياً من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ، ثم استسقتهم من الماء ، فلما شربت ماتت .

قال علماء التفسير : ولم يبق من ذرية ثمود أحد ، سوى صالح عليه السلام ومن اتبعه رضي الله عنهم ، إلا أن رجلاً كان يقال له : « أبو رغال » ، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيماً في الحرم ، فلم يصبه شيء ، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حجر من السماء فقتله .

وقد تقدم في أول القصة حديث « جابر بن عبد الله » في ذلك ، وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد « ثقيف » الذين كانوا يسكنون الطائف .

قال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال : « أتدرون من هذا ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا قبر أبي رغال ، رجل من ثمود ، كان في حرم الله ، فمنعه حرم الله عذاب الله . فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن هاهنا ، ودفن معه غصن من ذهب ، فنزل القوم فابتدروه بأسياهم ، فبحثوا عنه ، فاستخرجوا الغصن » ^(١٧) .

(١٧) هذا في ابن جرير (ج ١٢ ص ٥٣٨) وليس عندي زيادة على كلام الحافظ الآتي فكلامه شاف كاف ، فرحمه الله تعالى .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال : أبو ثقيف .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روي متصلاً من وجه آخر ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر فقال : « هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم فدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه ، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن » .

وهكذا رواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به ^(١٨) .

قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وهو حديث حسن عزيز .

قلت : تفرد بوصله « بجير بن أبي بجير » هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث ، قال يحيى بن معين : ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية .

قلت : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو ، مما أخذه من الزاملتين .

قال شيخنا أبو الحجاج ، بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا محتمل ، والله أعلم .

وقوله تعالى :

فَنَوَلِّيْهِمْ وَقَالَ يَقُوْمُ لَقَدْ اَبْلَغْتُمْ رِسَالَةَ
رَبِّيْ وَنَضَّيْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّوْنَ النَّصِيْحِيْنَ ﴿٧٩﴾

هذا تقرير من صالح عليه السلام لقومه ، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه ، وتمردهم على الله ، وإبائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى - قال لهم صالح بعد هلاكهم تقريراً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر ، أقام هناك ثلاثاً ، ثم أمر بإراحته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ، ثم سار حتى وقف على القلب قليب بدر ، فجعل يقول : « يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا فلان بن فلان : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال له عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أقوام قد جيفوا ؟ . فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ،

(١٨) سنن أبي داود (ج ٣ ص ٤٦٤) وأخرجه الطبري (ج ١٢ ص ٥٣٨) مرسلًا وهو الصحيح .

ولكن لا يجيبون»^(١٩).

وفي السيرة أنه عليه السلام قال [لهم] : « بئس عشيرة النبي كنتم لنييكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس ، فبئس عشيرة النبي كنتم لنييكم » .

وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه : ﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴾ ، أي : فلم تتنفعوا بذلك ، لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً . ولهذا قال : ﴿ ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ .

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلك أمته ، كان يذهب فيقيم في الحرم ، حرم مكة ، فالله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال : يا أبا بكر ، « أي واد هذا ؟ » قال : هذا وادي عسفان . قال : « لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات [حمر] خطمها الليف ، أزهرهم العباء ، وأرديتهم التمار ، يلبون ، يحجون البيت العتيق » .
هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يخرج أحد منهم^(٢٠) .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى : ﴿ و ﴾ لقد أرسلنا ﴿ لوطاً ﴾ ، أو تقديره : ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ لوطاً ﴾ إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴿ ٨٠ ﴾ .

ولوط بن هاران بن آزر ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام . وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام ، وهاجر معه إلى أرض الشام ، فبعثه الله إلى أهل « سدوم » وما حولها من القرى ،

(١٩) تقدم تخریج هذا الحديث (ص ٤١٣) من هذا الجزء .

(٢٠) الحديث في المسند (ج ١ ص ٢٣٢) وزمعة بن صالح هو الجندي البجلي ضعيف وحديثه عند مسلم مقرون ، قاله الحافظ في التقريب وسلمة بن وهرام قال الإمام أحمد : روى مناكير أخشى أن يكون ضعيفاً وقال أبو زرعة : ضعيف ، راجع الميزان .

يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور . وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ، ولا يخطر ببالهم ، حتى صنع ذلك أهل « سدوم » عليهم لعائن الله .

قال عمرو بن دينار ، قوله : ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ ، قال : ما نرا ذكر على ذكر ، حتى كان قوم لوط^(٢١) .

وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق ، لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ، ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً .

ولهذا قال لهم لوط عليه السلام : ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ ، أي : عدلتم عن النساء ، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال ، وهذا إسراف منكم وجهل ، لأنه وضع الشيء في غير محله ، ولهذا قال لهم في الآية الأخرى : ﴿ هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين ﴾ ، فأرشدهم إلى نسائهم ، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن ، ﴿ قالوا : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ ، أي : لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ، ولا إرادة ، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك .

وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض ، وكذلك نساؤهم [كن] قد استغنى بعضهن ببعض أيضاً .

وَمَا كَانَ

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴿٨٢﴾

أي : ما أجابوا لوطاً إلا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم ، فأخرجه الله تعالى سالماً ، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين .

وقوله تعالى : ﴿ إنهم أناس يتطهرون ﴾ ، قال قتادة : عابوهم بغير عيب .

وقال مجاهد : ﴿ إنهم أناس يتطهرون ﴾ من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروى مثله عن ابن عباس أيضاً .

(٢١) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٢ ص ٥٤٨) بلفظ غير هذا وهو : ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ ما روى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وسنده ضعيف لأن فيه ابن وكيع .

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْهُمْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْجَحْرُمِينَ ﴿٨٤﴾

يقول تعالى : فَأَنْجَيْنَا لوطاً وأهله ، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، إلا امرأته فإنها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها ، تماثلهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم ، ولهذا لما أمر لوط عليه السلام أن يسري بأهله أمر أن لا يعلم امرأته ولا يخرجها من البلد . ومنهم من يقول : بل اتبعهم ، فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم . والأظهر أنها لم تخرج من البلد ، ولا أعلمها لوط ، بل بقيت معهم ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ، أي : الباقيين . ومنهم من فسر ذلك ﴿ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ الهالكين ، وهو تفسير باللازم .

وقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ ، مفسر بقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ . مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فَأَنْظَرْهُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْجَحْرُمِينَ ﴾ ، أي : انظر - يا محمد - كيف كان عاقبة من تجهرم على معاصي الله وكذب رسله . وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللائط يلحق من شاقق ، ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرمم سواء كان محصناً أو غير محصن . وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله ، والحجة ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (٢٢) .

(٢٢) الحديث في أبي داود (ج ٤ ص ٦٠٧) والترمذي (ج ٤ ص ٥٧ وابن ماجه (ج ٢ ص ٨٥٦) من طريق الدراوردي واسمه عبد العزيز بن محمد به ، وعمرو بن أبي عمرو هذا مختلف فيه والذي ترجح لي هو ما قاله الذهبي في الميزان بعد أن ذكر الاختلاف وذكر من ذلك قول ابن القطان : الرجل مستضعف وأحاديثه تدل على حاله ثم قال الذهبي : قلت : ما هو بمستضعف ولا بضعيف نعم ولا هو في الثقة كالزهرى وذويه اهـ ، وعلى ما تقدم فحديثه جيد إلا أنهم ذكروا كما في الميزان والكمال لابن عدي وغيرهما أن هذا الحديث أنكر عليه ، قال ابن معين : عمرو بن أبي عمرو ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا الحديث ، لكن قال أبو داود بعد إيراد هذا الحديث : رواه سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو مثله أي مرفوعاً ورواه عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رفعه ، ورواه ابن جريج عن إبراهيم عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رفعه ، اهـ .

وقال آخرون : هو كالزاني ، فإن كان محصناً رجم ، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة . وهو القول الآخر للشافعي . وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللواطية الصغرى . وهو حرام بإجماع العلماء ، إلا قولاً شاذاً لبعض السلف .

وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ ، وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة .

وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

قال محمد بن إسحاق : هم من سلالة « مدين بن مديان بن إبراهيم » . وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر - قال : واسمه بالسريانية « يثرون » .

قلت : وتطلق مدين على القبيلة ، وعلى المدينة - وهي التي بقرب « معان » من طريق الحجاز ، قال الله تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ ، وهم أصحاب الأيكة ، كما سنذكره إن شاء الله ، وبه الثقة .

﴿ قال : يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ، هذه دعوة الرسل كلهم ، ﴿ جاءكم بينة من ربكم ﴾ ، أي : قد أقام الله الحجج والبيّنات على صدق ما جئتمكم به . ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ، ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي : لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس ، وهو : نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً ، كما قال تعالى : ﴿ ويل للمطففين ﴾ إلى قوله : ﴿ لرب العالمين ﴾ ، وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، نسأل الله العافية منه . ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب ، الذي يقال له « خطيب الأنبياء » ، لفصاحة عبارته ، وجزالة موعظته .

قلت : فعباد بن منصور صدوق كان يدلس وتغير بآخره ، هكذا قال الحافظ في التقریب وداود بن الحصين قال الحافظ في التهذيب : قال أبو داود : أحاديثه عن شيوخه مستقيمة وأحاديثه عن عكرمة مناكير ، اهـ . قلت : فعلى بيانه أن في كل طريق مقالاً يظهر لي وإن كانت كذلك أن كل طريق تشد من أزر الأخرى وتقويها فيرتقي الحديث إلى درجة الاحتجاج به والقبول ، والله أعلم .

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا
بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي ، بقوله : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ ، أي : تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم .

قال السدي وغيره : كانوا عشارين . وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ ، أي : تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه . والأول أظهر ، لأنه قال : ﴿ بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾ ، وهي الطرق ، وهذا الثاني هو قوله : ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ، أي : وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة . ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ﴾ ، أي : كنتم مستضعفين لقللتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك ، ﴿ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، أي : من الأمم الخالية والقرون الماضية ، ما حل بهم من العذاب والنعال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي : اختلفتم على ، ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ ، أي : انتظروا ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ وبينكم ، أي : يفصل ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ، فإنه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار على الكافرين .

* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَنُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ
يَشْعِبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قُرَيْتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ
رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

هذا إخبار من الله عما واجهت به الكفار نبي الله شعبياً ومن معه من المؤمنين ، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية ، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه . وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معهم على الملة .

وقوله : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ، يقول : أو أنتم فاعلو ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه ؟ فإننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه ، فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً ؟ وهذا تعبير منه عن اتباعه ، ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ ، وهذا رد إلى المشيئة ، فإنه يعلم كل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، ﴿ على الله توكلنا ﴾ ، أي : في أمورنا ما نأتي منها وما نذر ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ ، أي : افصل بيننا وبين قومنا ، وانصرنا عليهم ، ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ ، أي : خير الحاكمين ، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً .

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا الْخُسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾

يخبر تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم ، وما هم فيه من الضلال ، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ، ولهذا أقسموا وقالوا : ﴿ لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون ﴾ ، فلهذا عقب ذلك بقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ، أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعبياً وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء ، كما أخبر عنهم في سورة « هود » فقال : ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ . والمناسبة في ذلك - والله أعلم - أنهم لما تهكموا بنبي الله شعيب في قولهم : ﴿ أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ . فجاءت الصيحة أسكتتهم .

وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ ، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة : ﴿ فأسقط علينا كسفاً من السماء ... ﴾ الآية ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة ، وقد اجتمع عليهم ذلك كله : أصابهم

عذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم فيها شر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم ، فزهقت الأرواح ، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد ، ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ ، أي : كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها .

ثم قال مقابلاً لقليلهم : ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

فَنُؤَلِّي عَنْهُمْ وَوَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

أي : فتولى عنهم « شعيب » عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنعمة والنكال ، وقال مفرعاً لهم وموبخاً : ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ﴾ ، أي : قد أدت إليكم ما أرسلت به ، فلا أسفة عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به ، ولهذا قال : ﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ؟ ﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا
فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ
﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا
الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى مخبراً عما اختبر به الأمم الماضية ، الذين أرسل إليهم الأنبياء ، بالبأساء والضراء يعني ﴿ بالبأساء ﴾ ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام . ﴿ والضراء ﴾ ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك ، ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ ، أي : يدعون ويخشعون ويتهللون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم .

وتقدير الكلام أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا ، فما فعلوا شيئاً من الذي أراد الله منهم ، فقلب الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه ، ولهذا قال : ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ ، أي : حولنا الحال من شدة إلى رخاء ، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية ، ومن فقر إلى غنى ، ليذكروا على ذلك ، فما فعلوا .

وقوله : ﴿ حتى عفوا ﴾ ، أي : كثروا وكثرت أمواهم وأولادهم ، يقال : عفا الشيء إذا كثر ، ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ . يقول تعالى : ابتلاهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله ، فما نجح فيهم لا هذا ولا هذا ، ولا انتهوا بهذا ولا بهذا ، بل قالوا : قد مسنا من الباساء والضراء ، ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر ، وإنما هو الدهر تارات وتارات ، ولم يتفطنوا لأمر الله فيهم ، ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين ، وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ، ويصبرون على الضراء ، كما ثبت في الصحيحين : « عجباً للمؤمن . لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » ^(٢٣) فالمؤمن [من] يتفطن لما ابتلاه الله به من السراء والضراء ، ولهذا جاء في الحديث : « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه » ^(٢٤) ، أو كما قال .

ولهذا عقب هذه الصفة بقوله : ﴿ فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ ، أي : أخذناهم بالعقوبة بغتة ، أي : على بغتة منهم ، وعدم شعور منهم ، أي : أخذناهم فجأة كما جاء في الحديث : « موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر » ^(٢٥) .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا الْفِتْنَةَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ

(٢٣) الحديث في صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٩٥) من حديث أبي يحيى : (صهيب بن سنان رضي الله عنه ولم أجده في البخاري وهذا من أوامم الحافظ حيث عزاه للصحيحين ولم يتفقا عليه فأظنه كتبه من حفظه ولم يعد نظراً والله أعلم .

(٢٤) هذا بهذا اللفظ لم أجده وخاصة الجزء الأخير منه والجزء الأول منه له أصل في الصحاح من حديث عائشة وأبي هريرة وصهيب رضي الله عنهم أجمعين .

(٢٥) الحديث رواه أبو داود (ج ٣ ص ٤٨١) عن عبيد بن خالد السلمي رفعه مرة وأوقفه على عبيد مرة أخرى ووقفه كرفعه فإنه مما لا مجال للرأي فيه ، وقد رواه الإمام أحمد (ج ٣ ص ٤٢٤) ولفظه فيها تغير هذا وهو (موت الفجأة أخذة أسف) وذكره الألباني في صحيح الجامع وصححه .

إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل ، كقوله تعالى : ﴿ فلولاً كانت قرية آمنت ففجعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ ، أي : ما آمنت قرية بتمامها إلا قوم يونس ، فإنهم آمنوا ، وذلك بعد ما عاينوا العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا فممتعناهم إلى حين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير ... ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل وصدقت به واتبعته ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ، ﴿ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ ، أي : قطر السماء ونبات الأرض ، قال تعالى : ﴿ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ ، أي : ولكن كذبوا رسلهم ، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم .

ثم قال تعالى مخوفاً ومحدراً من مخالفة أوامره ، والتجروء على زواجه : ﴿ أفأمن أهل القرى ﴾ ، أي : الكافرة ﴿ أن يأتيهم بأسنا ﴾ ، أي عذابنا ونكالنا ، ﴿ بياتاً ﴾ ، أي : ليلاً ﴿ وهم نائمون ﴾ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلبسون ، أي : في حال شغلهم وغفلتهم ، ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ ، أي : بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذهم إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ، ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ، ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا
أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَمَنْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها ﴾ : أو لم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم .

وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها : يقول تعالى : أو لم نبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا على ربهم : ﴿ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ ، يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، ﴿ ونطبع على قلوبهم ﴾ ، يقول : ونختم على قلوبهم ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ ، موعظم ولا تذكرأ .

قلت : وهكذا قال تعالى : ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون

يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴿١٠١﴾ ، وقال : ﴿١٠٢﴾ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ... ﴿١٠٣﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿١٠٤﴾ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴿١٠٥﴾ ، أي : هل ترى لهم شخصاً أو تسمع لهم صوتاً . وقال تعالى : ﴿١٠٦﴾ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴿١٠٧﴾ ، وقال تعالى بعد ذكره إهلاك عاد : ﴿١٠٨﴾ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ﴿١٠٩﴾ ، وقال تعالى : ﴿١١٠﴾ وكذب الذين من قبلهم ، وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلنا ، فكيف كان نكير ﴿١١١﴾ ، وقال تعالى : ﴿١١٢﴾ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴿١١٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿١١٤﴾ فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿١١٥﴾ ، وقال تعالى : ﴿١١٦﴾ ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴿١١٧﴾ . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه ، وحصول نعمه لأوليائه . ولهذا عقب ذلك بقوله ، وهو أصدق القائلين رب العالمين .

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ
لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

لما قص تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين ، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بين لهم [الحق] بالحجج على السنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، قال تعالى : ﴿١٠١﴾ تلك القرى نقص عليك ﴿١٠٢﴾ ، أي : يا محمد ﴿١٠٣﴾ من أنبائها ﴿١٠٤﴾ ، أي : من أخبارها ، ﴿١٠٥﴾ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ﴿١٠٦﴾ ، أي : بالحجج على صدقهم فيما أخبروهم به ، كما قال تعالى : ﴿١٠٧﴾ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴿١٠٨﴾ ، وقال تعالى : ﴿١٠٩﴾ ذلك

من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴿١٠١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿١٠١﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴿١٠٢﴾ ، الباء سببية ، أي : فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم . حكاية ابن عطية رحمه الله ، وهو متجه حسن ، كقوله : ﴿١٠٢﴾ وما يشعر كم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ... الآية ، ولهذا قال هنا : ﴿١٠٢﴾ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين . وما وجدنا لأكثرهم ﴿١٠٣﴾ ، أي : لأكثر الأمم الماضية ﴿١٠٤﴾ من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴿١٠٥﴾ ، أي : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال . والعهد الذي أخذه هو [ما] جبلهم عليه وفطرهم عليه ، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم ، وإنه لا إله إلا هو ، فأقروا بذلك ، وشهدوا على أنفسهم به ، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم ، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع ، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك ، كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى : « إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم » ، وفي الصحيحين : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ... » ^(٢٦) الحديث ، وقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿١٠٦﴾ وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿١٠٧﴾ . وقال تعالى : ﴿١٠٨﴾ واسأل من أرسلنا من قبلك من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴿١٠٩﴾ ، وقال تعالى : ﴿١١٠﴾ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴿١١١﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقد قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿١٠١﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴿١٠٢﴾ ، ما روى أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : ﴿١٠٢﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴿١٠٣﴾ قال : كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق ، أي : فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك ، وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .

وقال السدي : ﴿١٠١﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴿١٠٢﴾ ، قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً .

وقال مجاهد في قوله : ﴿١٠١﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴿١٠٢﴾ : هذا كقوله : ﴿١٠٣﴾ ولو ردوا لعادوا ... الآية .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

(٢٦) تقدم تخريج هذين الحديثين (ص ٤٠٠) فالأول عن عياض بن حمار والثاني عن أبي هريرة فراجعهما هناك .

فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعدهم ﴾ ، أي : الرسل المتقدم ذكرهم ، كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين - ﴿ موسى بآياتنا ﴾ ، أي : بحججنا ودلائلنا البينة إلى « فرعون » وهو ملك مصر في زمان موسى ، ﴿ وملئه ﴾ ، أي : قومه ، ﴿ فظلموا بها ﴾ ، أي : جحدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً ، كقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ ، أي : الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله ، أي : انظر - يا محمد - كيف فعلنا بهم ، وأغرقناهم عن آخرهم ، برأى من موسى وقومه . وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه ، وأشفى لقلوب أولياء الله ، موسى وقومه من المؤمنين به .

وَقَالَ مُوسَى

يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ
إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ
إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون ، وإلجائه إياه بالحجة ، وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر . فقال تعالى : ﴿ وقال موسى : يا فرعون ، إني رسول من رب العالمين ﴾ ، أي : أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه .

﴿ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴾ ، فقال بعضهم : معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أي : جدير بذلك وحري به .

قالوا : « والباء » و « على » يتعاقبان ، فيقال : « رميت بالقوس » و « على القوس » و « جاء على حال حسنة » و « بحال حسنة » .

وقال بعض المفسرين : معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق .

وقرأ آخرون من أهل المدينة ﴿ حقيق على ﴾ بمعنى واجب وحق على ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق ، لما أعلم من عز جلاله وعظيم سلطانه .

﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم ﴾ ، أي : بحجة قاطعة من الله ، أعطانها دليلاً على صدقي

فيما جتتكم به ، ﴿ فَأَرْسَلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، أي : أطلقهم من أسرك وقهرك ، ودعهم وعبادة ربك وربهم ، فإنهم من سلالة نبي كريم : إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن .

﴿ قَالَ : إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، أي : قال فرعون : لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت ، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها ، إن كنت صادقاً فيما ادعيت .

فَأَلْقَى عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿١٠٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ، الحية الذكر . وكذا قال السدي ، والضحاك ، وفي حديث « الفتون » ، من رواية يزيد بن هارون عن الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ ﴾ فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها ، مسرعة إلى فرعون ، فما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها ففعل ^(٢٧) .

وقال قتادة : تحولت حية عظيمة مثل المدينة .

وقال السدي في قوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ، والثعبان الذكر من الحيات ، فاتحة فاها ، واضعة لحياها ، الأسفل في الأرض ، والآخر على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه . فلما رآها ذعر منها ، ووثب وأحدث ، ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى ، خذها وأنا أومن بك ، وأرسل معك بني إسرائيل . فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصا .

وروي عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا ^(٢٨) .

وقال وهب بن منبه : لما دخل موسى على فرعون ، قال له فرعون : أعرفك ؟ قال : نعم !

(٢٧) حديث الفتون حديث طويل ذكره الحافظ عند سورة طه في ثمان صفحات ، وقال بعد ذكره : هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد ابن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه فكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً .

(٢٨) أثر ابن عباس في الطبري (ج ١٣ ص ١٦) من طريق أبي سعد عن عكرمة وأبو سعد ضعيف مدلس وسيأتي الكلام على أبي سعد في الأثر الآتي .

قال : ﴿ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا ﴾ ، قال : فرد إليه موسى الذي رد ، فقال فرعون : خذوه ! فبادره موسى ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ، فحملت على الناس فانهزموا منها ، فمات منه خمسة وعشرون ألفاً ، قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت .

رواه ابن جرير ، والإمام أحمد في كتابه « الزهد » ، وابن أبي حاتم . وفيه غرابة في سياقه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ ، أي : نزع يده : أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تتلأأ من غير برص ولا مرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ... ﴾ الآية .

وقال ابن عباس في حديث الفتون ﴿ من غير سوء ﴾ ، يعني من غير برص ، ثم أعادها إلى كفه ، فعادت إلى لونها الأول . وكذا قال مجاهد وغير واحد .

قَالَ

الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَانَا مُرُونَ ﴿١١٠﴾

أي : قال الملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - موافقين لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه روعه ، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك ، قال للملأ حوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ، فوافقوه وقالوا كمقالته ، وتشاوروا في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته ، وظهور كذبهم واقترائهم ، وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون ، فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم ، وإخراجه إياهم من أرضهم . والذي خافوا منه وقعوا فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . فلما تشاوروا في شأنه ، واثمروا فيه ، اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى :

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ

حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبْ كُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

قال ابن عباس : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ : أخره . وقال قتادة : احبسه . ﴿ وأرسل ﴾ ، أي : ابعث ﴿ في المدائن ﴾ ، أي : في الأقاليم ومعاملة ملكك ، ﴿ حاشرين ﴾ ، أي : من يحشر لك السحرة

من سائر البلاد ويجمعهم .

وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً ، واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم من أوهم منهم ، أن ما جاء به موسى عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلماذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البيئات ، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال : ﴿ أَجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى . فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى ﴾ . وقال تعالى هاهنا :

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ
قَالُوا إِنَّا لَنَآجِرُونَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام : إن غلبوا موسى ليشينهم وليعطينهم عطاء جزيلاً . فوعدهم ومناهم أنه يعطيهم ما أرادوا ، وليجعلهم من جلسائه والمقربين عنده ، فلما توثقوا من فرعون لعنه الله :

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قوله : ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ ، أي : قبلك . كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أُولَ الْأَقْلَى ﴾ . فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ أَلْقُوا ﴾ ، أي : أنتم أولاً قبلي . والحكمة في هذا - والله أعلم - ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فرغ من بهرجهم ومحالهم ، جاءهم الحق الواضح بعد تطلب له وانتظار منهم لحيثه ، فيكون أوقع في النفوس . وكذا كان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ ، أي : خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيْمٌ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ . فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ .

قال سفيان بن عيينة : حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ألقوا حبلاً غلاباً وخشباً طوالاً . قال : فأقبلت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ^(٢٩) .

وقال محمد بن إسحاق : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه . وخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكىء على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون في مجلسه معه أشراف أهل مملكته ، ثم قال السحرة : ﴿ يا موسى ، إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم ﴾ ، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد . ثم ألقى كل رجل [منهم] ما في يده من الحبال والعصي ، فإذا حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوداي يركب بعضها بعضاً .

وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس رجل منهم إلا ومعه جبل وعصا ، ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ ، يقول : فرقوهم ، أي من الفرق .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، فألقوا سبعين ألف جبل ، وسبعين ألف عصا ، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وجاءوا بسحر عظيم ﴾ .

* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

(٢٩) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (ج ١٣ ص ٢٨) ورجال سنده ثقات غير أبي سعد ، شيخ سفيان وهو سعيد بن المرزبان البقال ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : لا يحتج بحديثه ، وقال النسائي : ضعيف ، وذكر الحافظ في التقریب أنه ضعيف مدلس .

قلت : ويغني عن هذا الأثر ما قد ذكره الله عز وجل في كتابه عن قصة موسى وفرعون حيث قال في سورة طه : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ ومما سيأتي في عدهم لا يهمن معرفته فمن قائل : إنهم كانوا خمسة عشر وآخر يقول : كانوا سبعين ألفاً وبعضهم يقول : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً رجماً بالغيب .

والخلاصة في هذا أن فرعون بعث إلى كل ساحر فأتاه وكان السحر في زمنه كثيراً ، وكثير أهله ، فالله أعلم بعددهم ولو كانت في معرفة ذلك فائدة لأعلمنا بها الله أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم ، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل ، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهى عصاه ، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ ، أي : تأكل ﴿ مَا يَأْكُونُ ﴾ ، أي : ما يلقونه ويوهمون أنه حق ، وهو باطل .

قال ابن عباس : فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرّوا سجداً وقالوا : ﴿ آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ ^(٣٠) .

وقال محمد بن إسحاق : جعلت تبتلع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة ، حتى ما يرى بالوداي قليل ولا كثير مما ألقوه : ثم أخذنا موسى ، فإذا هي عصا في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً ﴿ قالوا : آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ ، لو كان هذا ساحر ما غلبنا .

وقال القاسم بن أبي بزة : أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، [فألقى عصاه] فإذا هي ثعبان فاغر فاه ، يتلع حبالهم وعصيم . فألقى السحرة عند ذلك سجداً ، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها ^(٣١) .

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ
مَّكْرُتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝١٢٣ لَا قُطْعَنَ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا يُضِلُّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٢٤ قَالُوا إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝١٢٥ وَمَا نَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦

يخبر تعالى عما توعد به فرعون ، لعنه الله ، السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام ، وما أظهره للناس من كيده ومكره في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ ، أي : إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشارو منكم ورضاً منكم لذلك ، كقوله في الآيات الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كَمَ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل ، فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من « مدين » دعا فرعون إلى الله ، وأظهر المعجزات الباهرة

(٣٠) أثر ابن عباس من طريق أبي سعد المتقدم ذكره قريباً .

(٣١) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٠) بسند صحيح إلى القاسم والذي يظهر أنه من القصص المتلقاة عن أهل الكتاب .

والحجج القاطعة على صدق ما جاء به ، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملته سلطنته ، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ، ممن اختار هو والملا من قومه ، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل . وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك ، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون ، وموسى عليه السلام لا يعرف أحداً منهم ولا رآه ولا اجتمع به ، وفرعون يعلم ذلك ، وإنما قال هذا تستراً وتدليساً على رعا ع دولته وجهلتهم ، كما قال تعالى : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ ، فإن قوماً صدقوه في قوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ من أجهل خلق الله وأضلهم .

وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة ، في قوله تعالى : ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ﴾ ، قالوا : التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي ، وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ولأشهدن أنك حق . وفرعون ينظر إليهما ، قالوا : فلهذا قال ما قال (٣٣) .

وقوله : ﴿ لتخرجوا منها أهلها ﴾ ، أي : تجتمعوا أنتم وهو ، وتكون لكم دولة وصوله ، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء ، وتكون الدولة والتصرف لكم ، ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ، أي : ما أصنع بكم .

ثم فسر هذا الوعيد بقوله : ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ ، يعني : يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ، و ﴿ لأصلبنكم أجمعين ﴾ . وقال في الآية الأخرى : ﴿ في جذوع النخل ﴾ ، أي : على الجذوع .

قال ابن عباس : وكان أول من صلب ، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، فرعون (٣٣) .

وقول السحرة : ﴿ إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ ، أي : قد تحققنا أننا إليه راجعون ، وعذابه أشد من عذابك ، ونكاله على ما تدعوننا إليه ، وما أكرهتنا عليه من السحر - أعظم من نكالك ، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ، ولهذا قالوا : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً ﴾ ، أي : عمنا بالصبر على دينك ، والثبات عليه ، ﴿ وتوفنا مسلمين ﴾ ، أي : متبعين لنبيك موسى عليه السلام . وقالوا لفرعون : ﴿ فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأتي ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى ﴾ ، فكانوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره شهداء برة .

(٣٢) الأثر في الطبري (ج ١٣ ص ٣٣) وهو سند مشهور ، كما قال الحافظ لكنه لا يحتج به كما تقدم مراراً

(٣٣) الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ٣٤) بسند فيه ابن وكيع وقد تقدم أنه ضعيف .

قال ابن عباس ، وعبيد بن عمير ، وقتادة ، وابن جريج : كانوا أول النهار سحرة ، وفي آخره شهداء .

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
أَنْذِرْ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَيْكَلُ قَالَ سَتَقَتِّلُ
أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْنِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ
مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

يخبر تعالى عما تملأ عليه فرعون وملؤه ، وما أظهره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ﴾ ، أي : لفرعون ﴿ أنذر موسى وقومه ﴾ ، أي : أئذعهم ليفسدوا في الأرض ، أي : يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك ، يا لله للعجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ! ألا أن فرعون وقومه هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . ولهذا قالوا : ﴿ ويذرك وآهلك ﴾ ، قال بعضهم : « الواو » هنا حالية ، أي : أئذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك ؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب : ﴿ وقد تركوك أن يعبدوك وآهلك ﴾ ، حكاه ابن جرير .

وقال آخرون : هي عاطفة ، أي : لا تدع موسى يصنع هو وقومه من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى تركه آهلك .

وقرأ بعضهم : ﴿ إلهتك ﴾ ، أي : عبادتك ، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد .

وعلى القراءة الأولى قال بعضهم : كان لفرعون إله يعبد . قال الحسن البصري : كان لفرعون إله يعبد في السر .

وقال في رواية أخرى : (كان له) جمانة في عنقه معلقة يسجد لها .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ ويذرك وآهلك ﴾ : وآلته ، فيما زعم ابن عباس ، [كانت

البقر [كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلاً جسداً .
فأجابهم فرعون فيما سألوه بقوله : ﴿ سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم ﴾ ، وهذا أمر ثان
بهذا الصنيع ، وقد كان نكل بهم به قبل ولادة موسى عليه السلام ، حذراً من وجوده ، فكان خلاف
ما رامه وضد ما قصده فرعون . وهكذا عومل في صنيعه أيضاً ، إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم ،
فجاء الأمر على خلاف ما أراد : نصرهم الله عليه وأذله ، وأرغم وأنفه ، وأغرقه وجنوده .

ولما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل ﴿ قال موسى لقومه : استعينوا
بالله واصبروا ﴾ ، ووعدهم بالعاقبة ، وأن الدار ستصير لهم في قوله : ﴿ إن الأرض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ ، أي : قد
جرى علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ، ومن بعد ذلك . فقال
منبهاً لهم على حالهم الحاضرة وما يصيرون إليه في ثاني الحال : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ... ﴾
الآية ، وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر ، عند حلول النعم وزوال النقم .

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ
مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون ﴾ ، أي : اختبارناهم وامتحانهم
وابتليناهم ﴿ بالسنين ﴾ ، وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع ، ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ ، قال
مجاهد : وهو دون ذلك .

وقال أبو إسحاق ، عن رجاء بن حيوة : كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة .

﴿ لعلهم يذكرون ﴾ * فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ ، أي : من الخصب والرزق ﴿ قالوا : لنا
هذه ﴾ ، أي : هذا لنا بما نستحقه ، ﴿ وإن تصيبهم سيئة ﴾ ، أي : جدد وقحط ﴿ يطيئروا بموسى
ومن معه ﴾ ، أي : هذا بسببهم وما جاءوا به .

﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ألا إنما طائرهم
عند الله ﴾ يقول : مصائبهم عند الله ، قال [الله] : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

وقال ابن جريج ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ قال : إلا من قبل

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ
 آيَةٍ لِّتَسْحَرَ نَابِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
 وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّحْمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
 وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنَكْشِفَ عَنَّْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
 وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ
 بِلَاغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم ، وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم : ﴿ مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ ، يقولون : أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها ، رددناها فلا نقبلها منك ، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به ، قال الله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾ .

اختلفوا في معناه ، فعن ابن عباس في رواية : كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار . وبه قال الضحاك بن مزاحم .

وقال ابن عباس في رواية أخرى : هو كثرة الموت . وكذا قال عطاء .

وقال مجاهد : ﴿ الطوفان ﴾ : الماء ، والطاعون على كل حال .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا يحيى بن يمان ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن الحجاج عن الحكم بن ميناء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الطوفان الموت » .

وكذا رواه ابن مردويه ، من حديث يحيى بن يمان ، به . وهو حديث غريب (٣٥) .

(٣٤) ابن جريج لم يسمع من ابن عباس فقد قال علي بن المديني : لم يلق أحداً من الصحابة راجع إن شئت جامع التحصيل .

(٣٥) الحديث في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٥٠) وهو ضعيف ، وإليك ذكر تراجم أصحابه : فأبو هشام الرفاعي

وقال ابن عباس في رواية أخرى : هو أمر من الله طاف بهم ، ثم قرأ : ﴿ فطاف عليها

طائف من ربك وهم نائمون ﴾ .

وأما الجراد فمعروف مشهور ، وهو مأكول لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد ، فقال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد^(٣٦) .

وروى الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « أحلت لنا ميتتان ودمان : الحوت والجراد ، والكبد والطحال »^(٣٧) .

ورواه أبو القاسم البغوي ، عن داود بن رشيد ، عن سويد بن عبد العزيز ، عن أبي تمام الأيلي ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعاً مثله .

وروى أبو داود ، عن محمد بن الفرّج ، عن محمد بن الزبرقان الأهوازي ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال : « أكثر جنود الله ، لا آكله ، ولا أحرمه »^(٣٨) .

وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه ، كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب ، وأذن فيه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد ، من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العدوي ، حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد ، حدثنا يحيى بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ، ولا الكلوتين ، ولا الضب ، من غير أن يجرمها . أما الجراد فرجز وعذاب ، وأما الكلوتان فلقربهما من البول ، وأما الضب فقال : « أتخوف

= هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي قال الحافظ في التقریب : ليس بالقوي ، وقال في التهذيب : جزم الخطيب بأن البخاري روى عنه ، لكن قد قال البخاري : رأيتهم مجتمعين على ضعفه ، وشيخه : يحيى ابن يمان هو العجلي أيضاً صدوق يخطيء كثيراً ، وقد تغير ، والمنهال بن خليفة : ضعيف والحجاج هو ابن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس ، وأما الحكم بن مينا فهو أحسنهم حالاً صدوق من أولاد الصحابة وكل هؤلاء ذكروا في التقریب ، فقول الحافظ : حديث غريب ، فهذا وجه غرابته .

(٣٦) صحيح البخاري (ج ٩ ص ٦٢٠) ومسلم (ج ٣ ص ١٥٤٦) .

(٣٧) تقدم تخريج هذا الحديث (ص ١٢) من هذا الجزء .

(٣٨) الحديث في أبي داود (ج ٤ ص ١٦٥) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٧٣) رواه حماد بن سلمة عن أبي العوام عن أبي عثمان مرسلاً ، ورواه المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان كذلك وخالفهما ابن الزبرقان وهو محمد أبو همام وزكريا بن يحيى بن عمارة فذكرا فيه سلمان ، ولا يخفى أن حماداً والمعتمر أرجح من هذين فيكون الإرسال مقدماً وأبو العوام المذكور اسمه : فائد بن كيسان قال الحافظ في التقریب : مقبول ، أي إذا توبع ، قلت : وقد توبع .

أن يكون مسخاً» ، ثم قال : غريب ، لم أكتبه إلا من هذا الوجه^(٣٩) .

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي ويجبه ، فروى عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن عمر سئل عن الجراد [فقال] : ليت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين نأكله^(٤٠) .

وروى ابن ماجه : حدثنا أحمد بن منيع ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال ، سمع أنس بن مالك يقول : كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الأطباق^(٤١) .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن نمير بن يزيد القيني ، حدثني أبي عن صدي بن عجلان ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له ، فأطعمها الجراد ، فقالت : اللهم أعشه بغير رضاع ، وتابع بينه بغير شياع » وقال نمير : « الشياع » ، الصوت^(٤٢) .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك اليزني ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي زهير التميمي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقاتلوا الجراد ، فإنه جند الله الأعظم » . غريب جداً .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ ﴾ ، قال : كانت تأكل مسامير أبوابهم ، وتدع الخشب .

وروى ابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي ، عن محمد بن كثير ، سمعت الأوزاعي يقول : خرجت إلى الصحراء ، فإذا أنا برجل من جراد في السماء ، وإذا برجل راكب على جرادة منها ، وهو شاك في الحديد ، وكلما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل ، باطل ما فيها ، الدنيا باطل ، باطل ما فيها ، الدنيا باطل ، باطل ما فيها^(٤٣) .

وروى الحافظ أبو الفرج المعافي بن زكريا الحريري ، حدثنا محمد بن الحسن بن زياد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا وكيع ، عن الأعمش ، أنبأنا عامر قال : سئل شريح القاضي عن الجراد ،

(٣٩) تقدم أن رواية ابن جريج عن عطاء وهو الخراساني ضعيفة وأن رواية عطاء عن ابن عباس منقطعة لم يسمع منه .

(٤٠) الأثر أخرجه الإمام مالك في الموطأ وسنده صحيح إلى عمر .

(٤١) الأثر أخرجه ابن ماجه (ج ٢ ص ١٠٧٣) وتقدم لك حال أبي سعد قبل قليل .

(٤٢) بقية بن الوليد هو ابن صائب بن كعب الكلاعي صدوق كثير التدليس عن الضعفاء بل قد ضرب به المثل في التدليس كما في تدريب الراوي (ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٥) وشيخه نمير بن يزيد مجهول .

(٤٣) علي بن زيد الخرائطي هو ابن عبد الله القرظي ترجمته في لسان الميزان ، قال مسلمة بن قاسم : ثقة ، وشيخه محمد بن كثير هو الثقفى الصنعاني صدوق كثير الغلط ، كذا قال الحافظ في التقریب وليس عندنا جزء بن عساكر المذكور حتى نحكم على بقية السند إلى علي بن زيد الخرائطي .

فقال : قبح الله الجرادة . فيها خلقة سبعة جبابرة : رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل . وذنبها ذنب حية . وبطنها بطن عقرب .
وقدمنا عند قوله تعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ﴾ حديث حماد بن سلمة [عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة ، فاستقبلنا رجل جراد ، فجعلنا نضربه ، بالعصي ، ونحن محرمون ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال : « لا بأس بصيد البحر »^(٤٤) .

وروى ابن ماجه ، عن هارون الحمال ، عن هاشم بن القاسم ، عن زياد بن عبد الله بن علاثة ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أنس وجابر ، عن رسول الله ﷺ : أنه كان إذا دعا على الجرادة قال : « اللهم أهلك كبارها ، واقتل صغارها ، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواهه عن معاشنا وأرزاقنا ، إنك سميع الدعاء » . فقال له جابر : يا رسول الله ، أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال : « إنما هو نثرة حوت في البحر » . قال هاشم : أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت . قال من حقق ذلك أن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس ، أنه يفقس كله جراداً طياراً^(٤٥) .

وقدمنا عند قوله : ﴿ إلا أم أمثالكم ﴾ حديث عمر رضي الله عنه : « إن الله خلق ألف أمة ، ستائة في البحر وأربعمائة في البر ، وإن أولها هلاكاً الجرادة »^(٤٦) .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا يزيد بن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس ، حدثنا سالم بن سالم ، حدثنا أبو المغيرة الجوزجاني محمد بن مالك ، عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا وباء مع السيف ، ولا نجاء مع الجرادة » . حديث غريب^(٤٧) .

وأما ﴿ القمل ﴾ فعن ابن عباس : هو السوس الذي يخرج من الخنطة . وعنه أنه الدبي - وهو الجرادة الصغار الذي لا أجنحة له . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة .

وعن الحسن وسعيد بن جبير : ﴿ القمل ﴾ ، دواب سود صغار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ القمل ﴾ ، البراغيث .

وقال ابن جرير : ﴿ القمل ﴾ : جمع واحدتها « قملة » ، وهي دابة تشبه القمل ، تأكلها

(٤٤) تقدم الحديث (ص ١٩١) وهو من طريق أبي المهزم ، قال الحافظ ابن كثير في الموضع المشار إليه : ضعيف .

(٤٥) حديث ضعيف ففي سنده موسى بن محمد بن إبراهيم وهو منكر الحديث .

(٤٦) تقدم تخريج الحديث في (ص ٢٤٩) من هذا الجزء .

(٤٧) وجه غرابته أن فيه عبد الرحمن بن قيس وهو الضبي أبو معاوية الزعفراني متروك كذبه أبو زرعة وأبو المغيرة الجوزجاني صدوق يخطئ كثيراً ، هكذا قال فيهما الحافظ في التقریب . وذكر محققو طبعة الشعب أن الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير وذكر أنه ضعيف وأقر ضعفه المناوي في فيض القدير .

الإبل فيما بلغني ، وهي التي عنها الأعشى بقوله :

قَوْمٌ تُعَالِجُ قُمَّلًا [أبْنَاؤُهُمْ] وَسَلَّاسِلًا أَجْدًا وَبَابًا مُؤَصَّدًا

قال : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب « الحمنان » ، واحدها « حمنانة » ، وهي صغار القردان فوق القممقامة .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد الرازي ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل معي بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الطوفان - وهو المطر - فصب عليهم منه شيئاً ، خافوا أن يكون عذاباً ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا المطر ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل . فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل . فأثبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت قبل ذلك من الزرع والتمر والكلأ . فقالوا : هذا ما كنا نتمنى . فأرسل الله عليهم الجراد ، فسلطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فداسوا وأحرزوا في البيوت ، فقالوا : قد أحرزنا . فأرسل الله عليهم القمل - وهو السوس الذي يخرج منه - فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي ، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة . فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل . فبينما هو جالس عند فرعون . إذ سمع نقيق ضفدع ، فقال لفرعون : ما تلقى أنت وقومك من هذا . قال : وما عسى أن يكون كيد هذا ؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ، ويهم أن يتكلم فتشب الضفدع في فيه . فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل [فدعا ربه ، فكشف عنهم فلم يؤمنوا] وأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار ، وما كان في أوعيتهم ، وجدوه دماً عبيطاً ، فشكوا إلى فرعون فقالوا : إنا قد ابتلينا بالدم ، وليس لنا شراب . فقال : إنه قد سحرتم !! فقالوا : من أين سحرنا ، ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دماً عبيطاً ؟ فأتوه وقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ، ونرسل معك بني إسرائيل . فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل^(٤٨) .

وقد روي نحو هذا عن ابن عباس ، والسدي ، وقتادة وغير واحد من علماء السلف .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله : فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مغلولاً ، ثم أتى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادي في الشر ، فتابع الله عليه الآيات ، وأخذ بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم ، آيات مفصلات . فأرسل الطوفان -

(٤٨) هذا أثر ضعيف فإن ابن حميد وإن كان حافظاً فقد كذب وجعفر بن أبي المغيرة في رواية عن سعيد ضعف .

وهو الماء - ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرّون على أن يجرثوا ولا يعملوا شيئاً ، حتى جهدوا جوعاً ، فلما بلغهم ذلك ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لننكشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل ﴾ ، فدعا موسى ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء [مما قالوا] ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر ، فيما بلغني ، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد ، حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم القمل ، فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه ، فمشى إلى كتيب أهبل عظيم ، فضربه بها ، فاثال عليهم قملاً ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار . فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية ، فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع ، قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فسأل ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء ، إلا عاد دماً عبيطاً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، أنبأنا النضر ، أنبأنا إسرائيل ، أنبأنا جابر بن يزيد ، عن عكرمة ، قال عبد الله بن عمرو : لا تقتلوا الضفادع ، فإنها لما أرسلت على [قوم فرعون] انطلق ضفدع منها ، فوقع في تنور فيه نار ، يطلب بذلك مرضاة الله ، فأبدلهن الله [من هذا] أبرد شيء يعلمه من الماء ، وجعل نقيقهن التسبيح . وروي من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، نحوه ^(٤٩) .

وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم : الرعاف . رواه ابن أبي حاتم .

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يُسْضَعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا

(٤٩) جابر بن يزيد هذا هو الجعفي أقل أحواله أن يكون ضعيفاً . أما ما روى عن عكرمة عن ابن عباس فهو في ابن جرير (ج ١٣ ص ٦٣) لكنه من طريق ابن حميد وقد تقدم أنه ضعيف ، وأما قتل الضفادع فهو حرام لما جاء في سنن أبي داود (ج ٤ ص ٤٢٠) وسنن النسائي (جزء ٧ ص ٢٢٠) بإسناد حسن أن طبيباً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبي ﷺ عن قتلها ، هذا لفظ أبي داود ولفظ النسائي يقاربه وقد ذكر الأطباء في الضفادع أضراراً كثيرة بل قالوا : إن بعضها قتال . راجع زاد المعاد (ج ٤ ص ٣٣٦) .

فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا
مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

يخبر تعالى أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة ، انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم ، وهو البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه وبنو إسرائيل معه ، ثم ورد فرعون وجنوده على أثرهم ، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم ، ففرقوا عن آخرهم ، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها .

وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون - وهم بنو إسرائيل - ﴿ مشارق الأرض ومغاربها ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ .

وعن الحسن البصري وقتادة ، في قوله : ﴿ مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ ، يعني : الشام .

وقوله : ﴿ وتامت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ﴾ ، قال مجاهد وابن جرير : وهي قوله تعالى :

﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ .

وقوله : ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ ، أي : وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع ، ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : ﴿ يعرشون ﴾ : يبنون .

وَجَوَزْنَا بِبَنِي

إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ

أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ، ﴿ فَأَتُوا ﴾ ، أي : فمروا ﴿ على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ ، قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين . وقيل : كانوا من لحم .

قال ابن جريج : وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر ، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك ، فقالوا : ﴿ يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال : إنكم قون تجهلون ﴾ . أي : تجهلون عظمة الله وجلاله ، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل .

﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه ﴾ ، أي : هالك ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

وروي الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن إسحاق وعقيل ومعمّر كلهم ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : « ذات أنواط » ، قال : فمررنا بسدرة خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « قلم » ، والذي نفسي بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾^(٥٠) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان [الديلي] ، عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ، فمررنا بسدرة ، فقلت : يا نبي الله ، اجعل لنا هذه « ذات أنواط » ، كما للكفار ذات أنواط . وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ، ويعكفون حولها . فقال النبي ﷺ : « الله أكبر » ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ إنكم تركبون سنن من قبلكم .

(٥٠) هذا في ابن جرير (ج ١٣ ص ٤٦٤) وله هناك أربع طرق : أولاها : عن محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أبا واقد الليثي وذكره وقال الشيخ / محمود شاكر : على هذا هو خير مرسل لأن الزهري لم يسنده ، وثانيها : عن الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي والحسن بن يحيى في طبقته : الحسن بن يحيى آخر يروي عن عبد الرزاق وأحدهما صدوق والآخر ضعيف ، وقد تقدم الكلام عليهما (ص ٥٠٨) وأن هذا هو الصدوق لشهرته ، وأما الطريق الثالثة والرابعة فإن شيخ الطبري فيهما : الثني وهو ابن إبراهيم الأملی ما عرفنا ترجمته ، هذا وقد أخرجه الترمذی (ج ٤ ص ٤٧٥) من طريق سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وهو ثقة قال : حدثنا سفيان عن الزهري به وقال بعد ذكره : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (ج ٥ ص ٢١٨) وهو الذي سيذكره الحافظ بعد قليل ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص ١٩١) من طريق الزهري عن سنان به ، وسنان بن أبي سنان لم يوثقه إلا العجلي وابن حبان وهما متساهلان ، ولم يرو عنه إلا راويان فهو مستور الحال .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً .

قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ
إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٦﴾

يذكرهم موسى عليه السلام بنعمة الله عليهم ، من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره ، وما كانوا فيه من الهوان والذلة ، وما صاروا إليه من العزة والاشتفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه : وغرقه ودماره . وقد تقدم تفسيرها في البقرة .

* وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَا بِعَشْرِ
فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي
فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٦﴾

يقول تعالى ممتناً على بني إسرائيل ، بما حصل لهم من الهداية ، بتكليمه موسى عليه السلام ، وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم ، فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة .

قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام ، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة ، فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر أربعين .

وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي ؟ فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر عشر ذي الحجة ، قاله مجاهد ، ومسروق ، وابن جريج . وروي عن ابن عباس . فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام ، وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

فلما تم الميقات عزم موسى على الذهاب إلى الطور ، كما قال تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ... ﴾ الآية ، فحينئذ استخلف موسى على بني

إسرائيل أخاه هارون ، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد . وهذا تنبيه وتذكير ، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله ، وله وجاهة وجلالة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ارْنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى ، وحصل له التكليم من الله ، سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال : ﴿ رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني ﴾ .

وقد أشكل حرف « لن » هاهنا على كثير من العلماء ، لأنها موضوعة لنفي التأييد ، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة . وهذا أضعف الأقوال ، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة ، كما سنوردها عند قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ .

وقوله تعالى إخباراً عن الكفار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ .

وقيل : إنها لنفي التأييد في الدنيا ، جمعاً بين هذه الآية ، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة .

وقيل : إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ، وقد تقدم ذلك في الأنعام .

وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده . ولهذا قال تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ﴾ .

قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : حدثنا أحمد بن سهل الواسطي ، حدثنا قرة بن عيسى ، حدثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « لما تجلى ربه للجبل ، أشار بإصبعه ، فجعله دكاً » وأرانا أبو إسماعيل بإصبعه السبابة^(٥١) .

(٥١) تفسير الطبري وقال الشيخ / محمود شاكر في أحمد بن سهل الواسطي شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة وقال =

هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال :

حدثني المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ فلما تجل ربه للجبل جعله دكاً ﴾ ، قال هكذا بإصبعه - ووضع النبي ﷺ إصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر - فساخ الجبل .

هكذا وقع في هذه الرواية « حماد بن سلمة ، عن ليث ، عن أنس » . والمشهور : « حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس » ، كما قال ابن جرير :

حدثني المثنى ، حدثنا هذبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فلما تجل ربه للجبل جعله دكاً ﴾ ، قال : وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل - قال حميد لثابت : تقول هذا ، فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد ، وقال : يقوله رسول الله ﷺ ، ويقوله أنس ، وأنا أكنمه^(٥٢) ؟ .

وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو المثنى ، معاذ بن معاذ العنبري ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ فلما تجل ربه للجبل ﴾ ، قال : قال هكذا - يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد : أرانا معاذ ، فقال له حميد الطويل : ما تريد إلى هذا يا أبا محمد ؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة وقال : من أنت يا حميد ؟ ! وما أنت يا حميد ؟ ! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ [فتقول أنت] ما تريد إليه ؟ ! وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق ، عن معاذ بن معاذ ، به - وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، به . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق ، عن حماد بن سلمة ، به . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

ورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال ، عن محمد بن علي بن سويد ، عن أبي القاسم البغوي ، عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة ، فذكره ، وقال : هذا إسناد صحيح لا علة فيه . وقد رواه داود بن الخيزر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعاً ، بنحوه .

وأسنده ابن مردويه من طريقين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً [بنحوه ، وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني ، عن أبيه ، عن ابن عمر مرفوعاً] ، ولا يصح

= أيضاً في قرعة بن عيسى : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

(٥٢) هذا حديث صحيح ، ويزيده صحة الطرق الآتية في أحمد (ج ٣ ص ١٢٥) والترمذي (ج ٥ ص ٢٦٦) والحاكم (ج ٢ ص ٣٢٠) وسيأتي قول أبي محمد الخلال : هذا إسناد صحيح لا علة فيه .

أيضاً .

وقال السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ ، قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر - ﴿ جعله دكاً ﴾ ، قال : تراباً - ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ ، قال : مغشياً عليه .

رواه ابن جرير .

وقال قتادة : ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ ، قال : ميتاً .

وقال سفيان الثوري : ساخ الجبل في الأرض ، حتى وقع في البحر فهو يذهب معه .

وقال سنيد ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن أبي بكر الهذلي : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ﴾ ، انقعر فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلى يوم القيامة .

وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض ، فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة ، رواه ابن مردويه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكناي ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن معاوية بن عبد الله ، عن الجلود بن أيوب ، [عن معاوية] بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « لما تجلى الله للجبال ، طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى . ووقع بمكة : حراء ، وثبير ، وثور » . وهذا حديث غريب ، بل منكر^(٥٣) .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا عثمان بن حصين بن علاق ، عن عروة بن رويم قال : كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صماً ملساً ، فلما تجلى الله لموسى على الطور دك ، وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ﴾ ، وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور ، صار مثل دك من الدكاك . وقال بعضهم : ﴿ جعله دكاً ﴾ أي : فتنه .

(٥٣) وإليك ترجمة رجاله : فمحمد بن يحيى قال السليماني : في حديثه نظر وخطأه ابن حجر في قوله هذا ورأى توثيقه ، وقول ابن حجر هو الصحيح فالأكثر يوثقونه ، وشيخه عبد العزيز بن عمران هو الزهري قال البخاري : لا يكتب حديثه وقال النسائي وغيره : متروك ، ترجمتهما في التهذيب ، وأما الجلود بن أيوب فهو البصري ضعفه ابن راهويه وقال الدارقطني : متروك ، وقال الإمام أحمد : ضعيف ليس يساوي حديثه شيئاً ، ترجمته في الميزان .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً ، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ ، فنظر إلى الجبل لا يتألك ، وأقبل الجبل فذك على أوله ، ورأى موسى ما يصنع الجبل ، فخر صعباً .

وقال عكرمة : ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ ، قال : نظر الله إلى الجبل ، فصار صحراء تراباً .
وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء ، واختارها ابن جرير ، وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه .

والمعروف أن « الصعق » هو الغشي هاهنا ، كما فسره ابن عباس وغيره ، لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ ، فإن هنا قرينة تدل على الموت كما أن هناك قرينة تدل على الغشي ، وهي قوله : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ ، والإفاقة إنما تكون من غشي .

﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ ، تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد في الدنيا إلا مات .

وقوله : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾ ، قال مجاهد : أن أسألك الرؤية .

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : من بني إسرائيل . واختاره ابن جرير ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه لا يراك أحد . وكذا قال أبو العالية : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة . وهذا قول حسن له اتجاه . وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا أثراً طويلاً فيه غرائب وعجائب ، عن محمد بن إسحاق بن يسار . وكأنه تلقاه من الإسرئيليات ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعْقاً ﴾ ، فيه أبو سعيد وأبو هريرة ، عن النبي ﷺ . فأما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه هاهنا فقال :

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه ، فقال : يا محمد ، إن رجلاً من أصحابك من الأنصار [لطم في وجهي] . قال : « ادعوه » ، فدعوه ، قال : « لم لطمت وجهه ؟ » قال : يا رسول الله ، إني مررت باليهود فسمعتهم يقول : والذي اصطفى موسى على البشر . قال ، [قلت] : وعلى محمد ؟ فأخذتني غضبة فلطمته ، قال : « لا تخيروني من بين الأنبياء » ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور .

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ، ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه ،

وأبو داود في كتاب « السنة » من سننه من طرق ، عن عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ، به ^(٥٤) .

وأما حديث أبي هريرة فقال الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : استب رجلان : رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، وقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين ، فغضب المسلم على اليهودي فلطمه ، فأقى اليهودي رسول الله ﷺ ، فسأله فأخبره ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فاعترف بذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى ممسكاً بجانب العرش ، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي ، أم كان ممن استثناه الله عز وجل » ^(٥٥) .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث الزهري ، به ^(٥٦) .

وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله : أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار ، وهذا هو أصح وأصرح ، والله أعلم .

والكلام في قوله عليه السلام : « لا تخيروني على موسى » ، كالكلام على قوله : « لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى » ، قيل : من باب التواضع . وقيل : قبل أن يعلم بذلك . وقيل : نبي أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب . وقيل : على وجه القول بمجرد الرأي والشهي ، والله أعلم .

وقوله : « فإن الناس يصعقون يوم القيامة » ، الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة ، يحصل أمر يصعقون منه ، والله أعلم به . وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، وتجلى للخلائق الملك الديان ، كما صعق موسى من تجلي الرب عز وجل ، ولهذا قال عليه السلام : « فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور » ؟

وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه « الشفاء » بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق : حدثنا قتادة ، حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لما تجلى الله لموسى عليه السلام ، كان يبصر التملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ » ،

(٥٤) الحديث في صحيح البخاري (ج ٨ ص ٣٠٢) ومسلم (ج ٤ ص ١٨٤٥) وأبي داود (ج ٥ ص ٥١) .

(٥٥) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٢٦٤) .

(٥٦) صحيح البخاري (ج ١١ ص ٣٦٧) ومسلم (ج ٤ ص ١٨٤٤) .

ثم قال : ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى .

انتهى ما قاله ، وكأنه صحح هذا الحديث ، وفي صحته نظر ، ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله ، حتى ينتهي إلى منتهاه ، والله أعلم .

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً انِّتِكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي
الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ
وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى ، ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ، ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، التي تستمر شريعته إلى قيام الساعة ، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين ، وكلهم ، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم موسى كليم الرحمن عليه السلام ، ولهذا قال تعالى له : ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ ، أي : من الكلام والمناجاة ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ ، أي : على ذلك ، ولا تطلب ما لا طاقة لك به .

ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ، قيل : كانت الألواح من جوهر ، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال من الحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله فيها : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصائر للناس ﴾ .

وقيل : الألواح أعطاها موسى قبل التوراة ، فالله أعلم . وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ فخذها بقوة ﴾ ، أي : بعزم على الطاعة ، ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ ، قال سفيان بن عيينة : حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه .

وقوله : ﴿ سأوريكم دار الفاسقين ﴾ ، أي : سترون عاقبة من خالف أمري ، وخرج عن طاعتي ، كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتهاب ؟ .

قال ابن جرير : وإنما قال : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، كما يقول القائل لمن يخاطبه : « سأريك غداً إلام يصير إليه حال من خالف أمري » ، على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره .

ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد ، والحسن البصري^(٥٧) .

وقيل : معناه ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، أي : من أهل الشام ، وأعطيتكم إياه . وقيل : منازل قوم « فرعون » ، والأول أولى ، والله أعلم ، لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر ، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه ، والله أعلم .

سَأَصْرَفُ

عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ
آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ
يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

يقول تعالى : ﴿ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، أي : سأمنع
فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون
على الناس بغير الحق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذهم الله بالجهل ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ
وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَ الْأَمْرِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

وقال بعض السلف : لا ينال العلم حيي ولا مستكبر .

وقال آخر : من لم يصبر على ذل التعلم ساعة ، بقي في ذل الجهل أبداً .

وقال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ﴾ ، قال : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي .

(٥٧) أثر مجاهد في الطبري (ج ١٣ ص ١١١) من طريق ابن أبي نجيح عنه ولم يسمع ابن أبي نجيح منه ، وأثر
الحسن شيخ الطبري فيه المثني ولم تعرف ترجمته .

قال ابن جرير : وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة .

قلت : ليس هذا بلازم ، لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ ، أي : وإن ظهر لهم سبيل الرشـد ، أي : طريق النجاة لا يسلكوها ، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً .

ثم علل مصيرهم إلى هذه [الحال] بقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ﴾ ، أي : كذبت بها قلوبهم ، ﴿ وَكَانُوا غَافِلِينَ ﴾ ، أي : لا يعلمون شيئاً مما فيها .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ، أي : من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلى الممات ، حبط عمله .

وقوله : ﴿ هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، أي : إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وكما تدين تدان .

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ

بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ أَلْمَيَرُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا

يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي

أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْجُمْنَا رَبَّنَا وَیَغْفِرْ لَنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل ، الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط ، الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكل لهم منه عجلاً ، ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام ، فصار عجلاً جسداً له خوار ، « والخوار » صوت البقر . وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى ، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور ، حيث يقول تعالى إخباراً عن نفسه الكريمة : ﴿ قَالَ : فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا العجل ، هل صار لحماً ودماً له خوار ؟ أو استمر على كونه من ذهب ، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبحر ؟ على قولين ، والله أعلم .

ويقال : إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به ، ﴿ فقالوا : هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ ، فقال الله تعالى : ﴿ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ﴾ ، ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل ، وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه ، أن عبدوا معه عجلًا جسداً له خوار لا يكلمهم ، ولا يرشدهم إلى خير . ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال ، كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبي داود ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « حبك الشيء يعمي ويصم » ^(٥٨) .

وقوله : ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ ، أي : ندموا على ما فعلوه ، ﴿ ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ لئن لم ترحمنا ﴾ ، بالتاء المثناة من فوق ، ﴿ ربنا ﴾ منادى ، ﴿ وتغفر لنا ﴾ ، ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ ، أي : من الهالكين . وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله عز وجل .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ
أَسْفًا قَالَ بَسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقُوا الْأَلْوَحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِيَّانَ الْقَوْمَ اسْزَعْفُونِي
وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

يخبر تعالى أن موسى عليه السلام رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف .

(٥٨) مسند الإمام أحمد (ج ٥ ص ١٩٤) و (ج ٦ ص ٤٥٠) وسنن أبي داود (ج ٥ ص ٣٤٦ - ٣٤٧) من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني قال الحافظ في التقریب : ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط ، فالحديث من أجله ضعيف وقد ضعفه الشيخ : ناصر الدين الألباني في ضعيف الجامع والسلسلة الضعيفة

قال أبو الدرداء « الأسف » : أشد الغضب^(٥٩) .

﴿ قال بثما خلقتوني من بعدي ﴾ ، يقول : بثس ما صنعتكم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتمكم .

[وقوله : ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ ، يقول : استعجلتم مجيئي إليكم ، وهو مقدر من الله تعالى] .

وقوله : ﴿ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ﴾ ، قيل : كانت الألواح من زمرد . وقيل : من ياقوت . وقيل : من برد . وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث : « ليس الخير كالمعاينة^(٦٠) » .

ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً .

وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً ، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة ، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة^(٦١) .

وقوله : ﴿ وأخذ برأس أخيه يجره إليه ﴾ خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ قال : يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا . ألا تتبعن أف عصيت أمري . قال : يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ ، أي : لا تسقني مساقهم ، ولا تخلطني معهم . وإنما قال : ﴿ ابن أم ﴾ لتكون أرأف وأنجع عنده ، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه . فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون .

كما قال تعالى : ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم ، إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ فعند ذلك قال موسى : ﴿ رب اغفر لي ولأخي ، وأدخلنا في رحمتك وأنت

(٥٩) أثر أبي الدرداء في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ١٢٠) وإليك سنده : قال ابن جرير حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي حدثني شريح بن يزيد سمعت نصر بن علقمة يقول : قال أبو الدرداء : فذكر هذا القول ، وذكر الشيخ محمود شاكر في التعليق على هذا الأثر أن عبد السلام وشريحاً ونصراً لم يذكر البخاري فيهم جرحاً ، ثم قال في نصر : روايته عن أبي الدرداء مرسله ، اهـ .

نعم : لم يذكر البخاري فيهم جرحاً لكن وثق بعضهم أو صدق فعبد السلام قال أبو حاتم فيه : صدوق وذكره ابن حبان في الثقات ، ونصر بن علقمة فقال الحافظ في التقریب : مقبول .

(٦٠) سيأتي تخریج هذا الحديث بعد قليل .

(٦١) سيأتي أثر قتادة بتمامه قريباً إن شاء الله .

أرحم الراحمين ﴿١٥٣﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « يرحم الله موسى ، ليس المعادين كالخبر ؛ أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده ، فلم يلق الألواح ، فلما رآهم وعانهم ألقى الألواح » (٦٢) .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل ، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة ، حتى قتل بعضهم بعضاً ، كما تقدم في سورة البقرة : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا ، وقوله : ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة ، فإن ذل البدعة ومخالفة الرسالة متصلة من قلبه على كتفيه ، كما قال الحسن البصري : إن ذل البدعة على أكتافهم ، وإن هملجت بهم البغلات ، وطققت بهم البراذين .

وهكذا روى أيوب السخيتاني ، عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية : ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ ، قال : هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة .

وقال سفيان بن عيينة : كل صاحب بدعة ذليل .

ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان ، حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق . ولهذا عقب هذه القصة بقوله : ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك ﴾ ، أي : يا محمد ، يا رسول الرحمة ونبي النور ﴿ من بعدها ﴾ ، أي : من بعد تلك الفعللة ﴿ لغفور رحيم ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان ، حدثنا قتادة ، عن عذرة ، عن الحسن العرني ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك - يعني عن الرجل

(٦٢) هذا الحديث هو الذي أشار إليه الحافظ قبل وهو في أحمد (ج ١ ص ٢١٥) و (٢٧١) وهو حديث

يزني بالمرأة ، ثم يتزوجها - فتلا هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ ، فتلاها عبد الله عشر مرات ، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها^(٦٣) .

وَلَمَّا

سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي سُجُنِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ولما سكت ﴾ ، أي : سكن ﴿ عن موسى الغضب ﴾ ، أي : غضبه على قومه ﴿ أخذ الألواح ﴾ ، أي : التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل ، غيرة لله وغضباً له ﴿ وفي نسختها هدى ورحمة ﴾ .

يقول كثير من المفسرين : إنها لما ألقاها تكسرت ، ثم جمعها بعد ذلك . ولهذا قال بعض السلف : فوجد فيها هدى ورحمة . وأما التفصيل فذهب ، وزعموا أن رضاها لم يزل موجوداً في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية ، والله أعلم بصحة هذا . وأما الدليل القاطع على أنها تكسرت حين ألقاها ، وهي جوهر الجنة ، فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة^(٦٤) .

﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ ، ضمن الرهبة معنى الخضوع ، ولهذا عداها باللام .

وقال قتادة : في قوله تعالى ﴿ أخذ الألواح ﴾ ، قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة ، خير أمة أخرجت للناس ، يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب : إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون - أي آخرون في الخلق - السابقون في دخول الجنة ، رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم

(٦٣) قتادة مدلس ولم يصرح بالتحديث وأما عزرة فهناك ثلاثة ممن يسمون بهذا الاسم روى عنهم قتادة ، والذي يظهر أن هذا هو ابن عبد الرحمن الكوفي الأعور وهو ثقة إذ أنهم ذكروا في ترجمته أنه روى عن الحسن العربي ولم يذكروا في الآخرين ذلك .

(٦٤) ليس في الآية دليل محتمل فضلاً عن القاطع وقد قرر أبو الفرج بن الجوزي أنها ما فسرت وذلك في تلييس إبليس (ص ٢٥٢) في الكلام على الصوفية وتقطع ثيابهم ورميها وأنهم يستدلون بهذا فقال : وقد احتج بعض الجهال فقال : هؤلاء في غيبة فلا يلامون فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع والجواب أن نقول : من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر ، والذي ذكر في القرآن إلقاؤها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت اهد المراد منه .

في صدورهم يقرءونها - كتابهم - وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ، ولم يعرفوه . - [قال قتادة] : وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم - قال : رب ، اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ، ويقاتلون فصول الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعداء الكذاب ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ، ويؤجرون عليها - وكان من قبلهم [من الأمم] إذا تصدق بصدقة قبلت منه ، بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت ، فتأكلها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقركم - قال : رب ، اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ، رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيون والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال قتادة : فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح ، وقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد^(٦٥) .

وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ قَبِلُوا
فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّائِي
أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾
وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : كان أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ، فاختار سبعين رجلاً فبرز بهم ليدعوا ربهم ، فكان فيما دعوا الله قالوا : اللهم اعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة ، قال موسى :

(٦٥) هذا الأثر هو الذي أشار إليه الحافظ قبل من هذا الجزء وقال فيه : وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة .

﴿ رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياي ﴾ . الآية .

وقال السدي : إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا . فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته ، فأرنا . فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى [يبكي و] يدعو الله ويقول : رب ، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلك خيارهم ؟ ﴿ رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياي ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً ، الخير فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء ، لميقات وقته له ربه . وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم . فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به - وخرجوا معه للقاء ربه ، لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا . فقال : أفعل . فلما مضى موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام ، حتى تغشى الجبل كله . ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جهة موسى نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه . فضرب دونه بالحجاب . ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره ، انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم ، فقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخذتهم الرجفة - وهي الصاعقة - فافتلتت أرواحهم ، فماتوا جميعاً . فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : ﴿ رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياي ﴾ . قد سفهوا ، أفتهلك من ورأي من بني إسرائيل .

وقال سفيان الثوري : حدثني أبو إسحاق ، عن عمارة بن عبد السلولي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : انطلق موسى وهارون وشبر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جبل ، فنام هارون على سرير ، فتوفاه الله عز وجل . فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين هارون ؟ قال : توفاه الله عز وجل . قالوا : أنت قتلت ، حسدتنا على خلقه ولينه - أو كلمة نحوها - قال : فاختاروا من شئتم . قال : فاختاروا سبعين رجلاً . قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً ﴾ ، فلما انتهوا إليه قالوا : يا هارون ، من قتلك ؟ قال : ما قتلني أحد ، ولكن توفاني الله . قالوا : يا موسى ، لن تعصى بعد اليوم . قال : فأخذتهم الرجفة . قال : فجعل موسى عليه السلام يرجع يميناً وشمالاً ، وقال : يا ﴿ رب ، لو شئت أهلكهم من قبل وإياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ ، قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم .

هذا أثر غريب جداً ، وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه . وقد رواه شعبة ، عن أبي إسحاق

عن رجل من بني سلول [عن علي] ، فذكره^(٦٦) .

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج : إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل ، ولا نهوهم ، ويتوجه هذا القول بقول موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ .
وقوله : ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ، أي : ابتلاؤك واختبارك وامتحانك . قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وغير واحد من علماء السلف والخلف . ولا معنى له غير ذلك ؛ يقول : إن الأمر إلا أمرك ، وإن الحكم إلا لك ، فما شئت كان ، تضل من تشاء ، وتهدي من تشاء ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لمن منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، فالملك كله لك ، والحكم كله لك ، لك الخلق والأمر .

وقوله : ﴿ أَنْتَ وَلِينَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ، الغفر هو : الستر ، وترك المؤاخذه بالذنب .

والرحمة إذا قرنت مع الغفر يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل ، ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ، أي : لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ﴿ وَارْكَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ، هناك الفصل الأول من الدعاء في دفع الخذور ، وهذا لتحصيل المقصود - ﴿ وَارْكَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ، أي أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة ، وقد تقدم ذلك في سورة البقرة .
﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، أي : تبنا ورجعنا وأنبأنا إليك . قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم التيمي ، والسدي ، وقتادة ، وغير واحد . وهو كذلك لغة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن نجى ، عن علي قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ .

جابر - هو ابن يزيد الجعفي - : ضعيف .

قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءٍ وَرَحِمَنِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

(٦٦) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ١٤٢) وقال محمود شاكر في الكلام على عمارة هذا : روى عن علي ، وحذيفة لم يرو عنه غير أبي إسحاق الهمداني . قال أحمد بن حنبل : عمارة بن عبد مستقيم الحديث لا يروي عنه غير أبي إسحاق وقال أبو حاتم : شيخ مجهول لا يحتج بحديثه مترجم في ابن سعد (٦ : ١٥٨) وابن أبي حاتم وميزان الاعتدال ، ثم ذكر أن ابن كثير أخرجه ونقل قوله هذا ثم قال : فقد تبين مما ذكرت أنه معروف وأن ابن كثير لم يستوعب بحثه اهـ المراد منه .

قلت : وهذا من القصص الإسرائيلية التي لا يعتمد عليها ولسنا بحاجة إلى معرفة ذلك ولو كان في معرفته فائدة لأخبرنا بها الله أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

قال تعالى مجيباً لموسى في قوله : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ...﴾ الآية : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْأَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، أي : أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ، ولي الحكمة والعدل في كل ذلك ، سبحانه لا إله إلا هو .

وقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم ، كقوله إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا الجريري ، عن أبي عبد الله الجشمي ، حدثنا جندب - هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها ، ثم ركبها ، ثم نادى : اللهم ، ارحمني ومحمداً ؛ ولا تشرك في رحمتنا أحداً . فقال رسول الله ﷺ : « [أتقولون] هذا أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا ما قال ؟ » قالوا : بلى . قال : « لقد حظرت رحمة واسعة ؛ إن الله عز وجل خلق مائة رحمة ، فأنزل رحمة [واحدة] يتعاطف بها الخلق جنها وإنسها وبهائمها ، وآخر عنده تسعاً وتسعين رحمة ، أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ » ^(٦٧) .

ورواه أبو داود عن علي بن نصر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلق مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، وبها تعطف الوحوش على أولادها ، وآخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة » .

تفرد بإخراجه مسلم ، فرواه من حديث سليمان - هو ابن طرخان - وداود بن أبي هند كلاهما ، عن أبي عثمان - واسمه عبد الرحمن بن مل - عن سلمان ، هو الفارسي ، عن النبي ﷺ ، به ^(٦٨) .

(٦٧) أبو عبد الله الجشمي قال الحافظ في التقریب : شيخ لسعيد الجريري مجهول ، فعلى هذا يكون الحديث ضعيفاً .
(٦٨) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٥ ص ٤٣٩) و (ج ٣ ص ٥٥-٥٦) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٠٨) وابن ماجه (ج ٢ ص ١٤٣٥) .

فائدة : -

هذا الحديث انتقد الإمام الدارقطني مسلماً في رفعه وذكر بأن غير أبي معاوية لا يرفعه وأجاب شيخنا حفظه الله عن هذا الانتقاد بعد أن ذكر أن النووي لم يجب عليه كما في التتبع (ص ٣٠٠-٣٠١) وقد وفق شيخنا حفظه الله إلى جواب شاف كاف وقول مغن واف . وحاصل قوله : أن الطريق المنتقدة في المتابعات وهم يتساهلون في المتابعات دون غيرها وهذا هو عذر مسلم وإلى هذا فالحديث لا يقال بالرأي ، ثم ذكر أنه إن قيل إن سلمان قد قرأ في كتب أهل الكتاب ويشترطون فيما له حكم الرفع أن لا يكون الصحابي =

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « لله مائة رحمة ، عنده تسعة وتسعون ، وجعل عندهم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين الخلق ، فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لله مائة رحمة ، فقسم منها جزءاً واحداً بين الخلق ، [فيه] يتراحم الناس والوحش والطير » .

ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، به .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليدخلن [الجنة] الفاجر في دينه ، الأحق في معيشته ، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه . والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها إبليس رجاء أن تصيبه » .

هذا حديث غريب جداً ، « وسعد » هذا لا أعرفه .

وقوله : ﴿ فساكتبها للذين يتقون ... ﴾ الآية : يعني فسأوجب حصول رحمتي منة مني وإحساناً إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ .

وقوله : ﴿ للذين يتقون ﴾ ، أي : سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات ، وهم أمة محمد ﷺ الذين يتقون أي : الشرك والعظائم من الذنوب .

﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ ، قيل : زكاة النفوس . وقيل : الأموال . ويحتمل أن تكون عامة لهما ، فإن الآية مكية . ﴿ والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ ، أي : يصدقون .

الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ

قد أخذ عن أهل الكتاب ، وأجاب عن هذا بأن الرواية الأولى التي صح سندها مرفوعة تدل على أنه لم يأخذ الثانية عن أهل الكتاب اه بتصرف واقتضاب .

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ ، وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أمهم ببعثه ، وأمروهم بمتابعته . ولم تنزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم كما قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، عن الجريري ، عن أبي صخر العقيلي ، حدثني رجل من الأعراب . قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ، فلما فرغت من بيعتي قلت : لأتقين هذا الرجل فلا تسمعن منه ، قال : فتلقيني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتم [في أقفائهم] حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرأها ، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله ﷺ : « أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ » فقال برأسه هكذا ، أي : لا . فقال ابنه : إي ، والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، فقال : « أقيموا اليهودي عن أخيكم » . ثم ولي كفته والصلاة عليه^(٦٩) .

هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح ، عن أنس .

وقال الحاكم صاحب المستدرک : أخبرنا أبو محمد - عبد الله بن إسحاق البغوي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام بن العاص الأموي قال : بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني ، فدخلنا عليه ، فإذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا برسول نكلمه ، فقلنا : والله لا نكلم رسولاً ، إنما بعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه ، وإلا لم نكلم الرسول . فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا فقال : تكلموا : فكلمه هشام بن العاص ، ودعاه إلى الإسلام ، فإذا عليه ثياب سواد ، فقال له هشام : وما هذه التي عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام . قلنا : ومجلسك هذا ، والله لناأخذنه منك ، ولناأخذن ملك الملك الأعظم ، إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ . قال : لستم بهم . بل هم قوم يصومون بالنهار ، ويقومون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه . فملئ وجهه سواداً فقال : قوموا . وبعث معنا رسولاً إلى الملك ، فخرجنا ، حتى إذا كنا قريباً من المدينة ، قال لنا الذي معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل

(٦٩) أبو صخر العقيلي هو عبد الله بن قدامة قيل إن له صحبة جزم بذلك البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم ، ترجمته في تعجيل المنفعة .

مدينة الملك ، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال ؟ قلنا : والله لا ندخل إلا عليها . فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا إلى غرفة ، فأخنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إله إلا الله ، والله أكبر . فإله يعلم لقد تنفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح . فأرسل إلينا : ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم . وأرسل إلينا : أن ادخلوا ، فدخلنا عليه وهو على فراش له ، وعنده بطارقه من الروم ، وكل شيء في مجلسه أحمر ، وما حوله حمرة ، وعليه ثياب من الحمرة ، فدنونا منه فضحك ، فقال : ما كان عليكم لو حييتموني بتحييتكم فيما بينكم ؟ . وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام ، فقلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك ، وتحيتك التي تحيي بها لا تحل لنا أن نخييك بها . قال : [كيف] تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا : السلام عليك . قال : وكيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها . وقال : وكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها . قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، فلما تكلمنا بها - والله يعلم - لقد تنفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها ، قال : فهذه الكلمة التي قلموها حيث تنفضت الغرفة ، كلما قلموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم ؟ قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك . قال : لوددت أنكم كلما قلمت تنفض كل شيء عليكم . وأني خرجت من نصف ملكي . قلنا : لم ؟ قال : لأنه كان أيسر لشأنها ، وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأنها تكون من حيل الناس . ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه . ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا . [فقمنا] فأمر لنا بمنزل حسن ونزل [كثير] ، فأقمنا ثلاثاً .

فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا ، فأعدناه . ثم دعا بشيء كهيفة الربة العظيمة مذهبة ، فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيتاً وقفلاً ، فاستخرج حريرة سوداء ، فنشرها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين العظيم الألتين ، لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ضفيران أحسن ما خلق الله . قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا آدم عليه السلام ، وإذا هو أكثر الناس شعراً .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا له شعر [كشعر] القوط ، أحمر العينين ، ضخمة الهامة ، حسن اللحية ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة سوداء ، وإذا فيها رجل شديد البياض ، حسن العينين صلت الجبين ، طويل الخد ، أبيض اللحية كأنه يتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا إبراهيم عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر فإذا فيه صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله ﷺ . قال : وبكينا . قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس ، وقال :

والله إنه هو ؟ قلنا : نعم ، إنه هو ، كأنك تنظر إليه . فأمسك ساعة ينظر إليها ، ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكنني عجلته لكم لأنظر ما عندكم .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فإذا فيها صورة آدماء سحماء ، وإذا رجل جعد قطط ، غائر العينين ، حديد النظر ، عابس متراكب [الأسنان] ، مقلص الشفة كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا موسى عليه السلام . وإلى جانبه صورة تشبهه ، إلا أنه مدهان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قبل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا هارون بن عمران عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة . كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة ، أقنى ، خفيف العارضين حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا إسحاق عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق ، إلا أنه على شفته خال ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه ، أقنى الأنف ، حسن القامة ، يعلو وجهه نور ، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا إسماعيل جد نبيكم عليهما السلام .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها آدم عليه السلام ، كأن وجهه الشمس ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا يوسف عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أحمر حمش الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا داود عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب فرساً ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا سليمان بن داود عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وإذا شاب شديد سواد اللحية ، كثير الشعر ، حسن العينين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام .

قلنا : من أين لك هذه الصور ؟ لأننا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام ،
لأننا رأينا نبينا عليه السلام مثله . فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ،
فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين
من مغرب الشمس فدفعتها إلى دانيال . ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وأني
كنت عبداً لأشركم ملكة ، حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا ، وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر
الصديق رضي الله عنه [فحدثناه بما أرانا ، وبما قال لنا ، وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر] وقال :
مسكين ! لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد
ﷺ عندهم .

هكذا رواه الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب « دلائل النبوة » ، عن الحاكم
إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به^(٧٠) .

وقال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح ، عن هلال بن علي ،
عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة .
قال : أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً وحرزاً للأمينين ، أنت عبيدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، [ولا صخاب
في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً ، وأعيناً عمياً - قال عطاء :
ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلفا حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته ، قال : قلوباً غلوفياً وآذاناً
صمومياً وأعيناً عمومياً .

وقد رواه البخاري في صحيحه ، عن محمد بن سنان ، عن فليح ، عن هلال بن علي -
فذكر بإسناده نحوه ، وزاد بعد قوله : ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي
بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح^(٧١) .

(٧٠) الحديث في دلائل النبوة للبيهقي (ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٩٠) وعبد الله بن إسحاق البغوي هو الخراساني
مترجم في ميزان الاعتدال قال الدارقطني : فيه لين .

وإبراهيم بن الهيثم البلدي هو ابن المهلب أبو إسحاق أنكروا عليه حديثاً واحداً وهو حديث الغار ذكره ابن
عدي في الكامل وقال بعد ذكره وذكر الحديث : إبراهيم بن الهيثم أحاديثه مستقيمة سوى هذا الحديث الواحد
الذي أنكروا عليه وقد فتشت عن حديثه الكثير فلم أر له منكراً يكون من جهته إلا أن يكون من جهة
من روى عنه . وعبد الله بن إدريس هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الأودي فهو في هذه الطبقة لم يذكروا
غيره فيها ، ثقة فقيه عابد ترجمته في التقريب .

وشراحيل بن مسلم هو الخولاني وثقه أحمد وضعفه يحيى بن معين أما ابن حجر فاختار في التقريب أنه صدوق
فيه لين .

(٧١) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ١٦٤) وشيخ ابن جرير فيه ابن المثنى وليس المثنى كما ذكر الحافظ وقد يكون =

ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق « التوراة » على كتب أهل الكتاب . وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا محمد بن إدريس [وراق] الحميدي ، حدثنا محمد بن عمر بن إبراهيم - من ولد جبير بن مطعم - قال : حدثني أم عثمان بنت سعيد - وهي جدتي - عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير ، عن أبيه محمد بن جبير ، عن أبيه جبير بن مطعم قال : خرجت تاجراً إلى الشام ، فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب ، فقال : هل عندكم رجل نبياً ؟ قلت : نعم . قال : هل تعرف صورته إذا رأيته ؟ قلت : نعم . فأدخلني بيتاً فيه صور ، فلم أر صورة النبي ﷺ ، فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا ، فقال : فيم أنتم ؟ فأخبرناه ، فذهب بنا إلى منزله ، فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي ﷺ ، وإذا رجل آخذ بعقب النبي ﷺ ، قلت : من هذا الرجل القابض على عقبه ؟ قال : إنه لم يكن [نبي إلا كان] بعده نبي [إلا] هذا [النبي] فإنه لا نبي بعده ، وهذا الخليفة بعده ، وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه ^(٧٢) .

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن حفص أبو عمر الضرير ^(٧٣) ، حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن إلياس الجريدي أخبرهم ، عن عبد الله بن شقيق العقيلي ، عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال : بعثني عمر إلى الأسقف ، فدعوته ، فقال له عمر : هل تجدني في الكتاب ؟ قال : نعم . قال : كيف تجدني ؟ قال : أجذك قرناً . قال : فرفع عمر الدرة وقال : قرن مه ؟ قال : قرن حديد ، أمير شديد . قال : فكيف تجد الذي بعدي ؟ قال : أجد خليفة صالحاً ، غير أنه يؤثر قرابته . قال عمر : يرحم الله عثمان ، ثلاثاً . قال : كيف تجد الذي بعده ؟ قال : أجد صدأ حديد . قال : فوضع عمر يده على رأسه وقال : يا دفراه ، يا دفراه ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه خليفة صالح . ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيوف مسلولة ، والدم مهراق .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَمْرَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ، هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهكذا كان حاله عليه الصلاة والسلام ، لا يأمر إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر ، كما قال عبد الله بن مسعود : إذا سمعت الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرعبها سمعك ، فإنه

تصحيفاً هنا أو هناك فإن كان ابن المثنى فحديثه صحيح وإن كان المثنى فقد تقدم أننا لم نعرفه ولكن الحديث صحيح ثابت فهو في صحيح البخاري (ج ٤ ص ٣٤٢) .

(٧٢) سعيد بن محمد بن جبير هو ابن مطعم النوفلي قال الحافظ في التقریب : مقبول ، ومحمد بن عمر بن إبراهيم ذكره الرازي في الجرح والتعديل والبخاري في التاريخ الكبير ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالأثر ضعيف لذلك وأما أم عثمان فلم أجدها ترجمتها .

(٧٣) عمر بن حفص صوابه حفص بن عمر كما هو في أبي داود (ج ٥ ص ٤٣) وحديثه حسن إلا أن الأقرع هذا ، قال الذهبي فيه في الميزان : لا يعرف تفرد عنه شيخ .

خير يأمر به أو شر ينهى عنه . ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة من سواه ، كما أرسل به جميع الرسل قبله ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر - هو العقدي عبد الملك بن عمرو - حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب ، فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه » ^(٧٤) .

هذا جيد الإسناد ، لم يخرج أحد من أصحاب الكتب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن علي رضي الله عنه قال : إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهدى ، والذي هو أهنأ ، والذي هو أتقى .

ثم رواه عن يحيى بن سعيد ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه قال : إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً ، فظنوا به الذي هو أهداه وأهنأه وأتقاه ^(٧٥) .

وقوله : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ ، أي : يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام ونحو ذلك ، مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم ، ويحرم عليهم الخبائث .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : كلحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى .

وقال بعض العلماء : كل ما أحل الله تعالى فهو طيب نافع في البدن والدين ، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين .

وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقيح العقليين ، وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضوع له .

وكذا احتج به من ذهب من العلماء إلى أن المرجع في حل المآكل التي لم ينص على تحليلها

(٧٤) مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٤٩٧) وعبد الملك بن سعيد هو ابن سويد الأنصاري ثقة . لهذا قال الحافظ : إنه جيد الإسناد .

(٧٥) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ١٢٢) والحديث صحيح بالطريق الآخرة .

ولا تحريمها ، إلى ما استطابته العرب في حال رفايتها ، وكذا في جانب التحريم إلى ما استخشته . وفيه كلام طويل أيضاً .

وقوله : ﴿ وَيُضِعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي : إنه جاء بالتيسير والسماحة ، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بعثت بالحنيفية السمحة »^(٧٦) . وقال لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري ، لما بعثهما إلى اليمن : « بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا وتطاولا ولا تختلفا »^(٧٧) . وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي : إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره^(٧٨) .

وقد كانت الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تقل أو تعمل »^(٧٩) .

وقال : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »^(٨٠) . ولهذا قد أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَهْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه : قد فعلت ، قد فعلت^(٨١) .

وقوله : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ ، أي : عظموه ووقروه ، ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ ، [أي : القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس] ، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة .

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا

(٧٦) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد (ج ٥ ص ٢٦٦) وأخرجه البخاري (ج ١ ص ٦٣) معلقاً بلفظ : « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الحديث في تعليق التعليق وذكر له طرقاً كثيرة بها يصح الحديث ويثبت .

(٧٧) الحديث في البخاري (ج ٦ ص ١٦٢) ومسلم (ج ٣ ص ١٣٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٧٨) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٤ ص ٤٢٠ و ٤٢٣) وسنده صحيح .

(٧٩) الحديث في البخاري (ج ٩ ص ٣٨٨) ومسلم (ج ١ ص ١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨٠) تقدم تخرج هذا الحديث في سورة الأنعام .

(٨١) صحيح مسلم (ج ١ ص ١١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : ﴿ قل ﴾ يا محمد : ﴿ يا أيها الناس ﴾ ، وهذا خطاب للأحمر والأسود ، والعربي والعجمي ، ﴿ إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ، أي : جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال تعالى : ﴿ قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى الناس كلهم .

قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية : حدثنا عبد الله ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالا : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر ، حدثني بسر بن عبيد الله ، حدثني أبو إدريس الخولاني قال : سمعت أبا الدرداء - رضي الله عنه - يقول : كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عمر عنه مغضباً ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابيه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ - فقال أبو الدرداء : ونحن عنده - فقال رسول الله ﷺ : « أما صاحبكم هذا فقد غامر - أي : غاضب وحاقد - قال : وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ ، وقص على رسول الله ﷺ [الخبر - قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ﷺ] وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم ، فقال رسول الله ﷺ : « [هل أنتم تاركو لي صاحبي ؟] إني قلت : يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً ، فقلت : كذبت . وقال أبو بكر : صدقت » . انفراد به البخاري (٨٢)

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي - ولا أقوله فخراً - : بعثت إلى الناس كافة : الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً » (٨٣) إسناده جيد ، ولم يخرجوه .

(٨٢) صحيح البخاري (ج ٨ ص ٣٠٣) .

(٨٣) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٢٥٠) ويزيد بن أبي زياد هذا هو الهاشمي الكوفي ضعيف كبير =

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن ابن الهاد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك ، قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيتم أحد قبلي ، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة ، وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه . ونصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر للملء مني رعباً وأحلت لي الغنائم أكلها ، وكان من قبلي يعظمون أكلها ، كانوا يحرقونها . وجعلت [لي] الأرض مساجد وطهوراً ، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم . والخامسة هي ما هي . قيل لي : « سل ؛ فإن كل نبي قد سأل » . فأخبرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله . إسناده جيد قوي أيضاً ولم يخرجوه ^(٨٤) .

[وقال] أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ، فلم يؤمن بي ، لم يدخل الجنة » ^(٨٥) .

وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي رجل من هذه الأمة : يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » ^(٨٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس - وهو سليم بن جبير - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ [أنه قال] : « والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة : يهودي أو نصراني ، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار » . تفرد به أحمد ^(٨٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب شهراً ، وأعطيت الشفاعة - وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة ، وإني قد اختبأت شفاعة ،

= فتغير صار يتلقن وكان شيعياً ، هكذا قال الحافظ فيه في التقريب لكن الحديث قد أخرجه البخاري (ج ١ ص ٤٣٥ - ٤٣٦) ومسلم (ج ١ ص ٣٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨٤) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٢٢٢) وتقدم أن الحديث أصله في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه .

(٨٥) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٣٩٦) .

(٨٦) صحيح مسلم (ج ١ ص ١٣٤) من حديث أبي هريرة وليس من حديث أبي موسى كما قال الحافظ .

(٨٧) المسند (ج ٢ ص ٣٥٠) وابن لهيعة ضعيف لكن الحديث ثابت فقد تقدم نحوه بصحيح مسلم .

ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً» (٨٨).

وهذا أيضاً إسناد صحيح ، ولم أرهم خرجوه ، والله أعلم ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضاً ، من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة » (٨٩).

وقوله : ﴿الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾ صفة الله تعالى .
في قوله : ﴿رسول الله﴾ ، أي : الذي أرسلني هو خالق كل شيء ، وربّه ومليكه ، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة ، وله الحكم .

وقوله : ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ ، أخبرهم أنه رسول الله إليهم ، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به ، ﴿النبي الأمي﴾ ، أي : الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة ، فإنه منعت بذلك في كتبهم ، ولهذا قال : ﴿النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ ، أي : يصدق قوله عمله ، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه ﴿واتبعوه﴾ ، أي : اسلكوا طريقه واقتفوا أثره ، ﴿لعلكم تهتدون﴾ ، أي : إلى الصراط المستقيم .

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به ، كما قال تعالى : ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ ، وقال تعالى : ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ، وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب﴾ ، وقال تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ...﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ...﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يكون ويزيدهم خشوعاً﴾ .

(٨٨) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٤١٦) .

(٨٩) تقدم تخريجه منهما قبل قليل .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً ، فقال : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم ، وكفروا - وكانوا اثني عشر سبطاً - تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقاً في الأرض ، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا - قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ ، « ووعد الآخرة » : عيسى ابن مريم - قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا في السرب سنة ونصفاً .

وقال ابن عيينة : عن صدقة أبي الهذيل ، عن السدي : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، قال : قوم بينكم وبينهم نهر من شهد .

وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْجِبَالَ فَاَنْجَسَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ
سُبْحًا تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْحُسَيْنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

تقدم تفسير هذا كله في سورة « البقرة » ، وهي مدنية ، وهذا السياق مكى ، ونبها على الفرق بين هذا السياق وذلك مما أغنى عن إعادته ، والله الحمد والمنة .

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

حَاضِرَةُ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم : كونوا قردة خاسئين ﴾ ، يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ واسألهم ﴾ ، أي : واسأل هؤلاء اليهود [الذين] بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ، ففاجأهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتياهم في المخالفة . وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجذبونها في كتبهم ؛ لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم . وهذه القرية هي : « أيلة » ، وهي على شاطئ بحر القلزم . قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ ، قال : هي قرية يقال لها : « أيلة » بين مدين والطور .

وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

وقال عبد الله بن كثير القاريء : سمعنا أنها أيلة .

وقيل : هي مدين ، وهو رواية عن ابن عباس .

وقال ابن زيد : هي قرية يقال لها . « مقنا » بين مدين وعيدوني .

وقوله : ﴿ إذ يعدون في السبت ﴾ ، أي : يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية به إذ ذاك .

﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ﴾ ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : أي ظاهرة على الماء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس ﴿ شرعاً ﴾ : من كل مكان .

قال ابن جرير : وقوله : ﴿ ويوم لا يسبئون لا تأتيهم كذلك نبلوهم ﴾ ، أي : نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده ، واخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده - ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ : نختبرهم - ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ ، يقول : بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها .

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله ، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام .

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله ابن بطة رحمه الله : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

وهذا إسناد جيد ، فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه - ووثقه ، وباقي رجاله مشهورون ثقات ، ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيراً .

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّانُوا عَنَّا قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ

﴿١٦٦﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المحذور ، واحتالوا على اصطبياد السمك يوم السبت ، كما تقدم بيانه في سورة البقرة . وفرقة نهت عن ذلك ، واعتزلتهم . وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ، ولكنها قالت للمنكرة : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ ؟ أي : لم تنهون هؤلاء ، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ؟ فلا فائدة في نهيكهم إياهم . قالت لهم المنكرة : ﴿ معذرة إلى ربكم ﴾ - قرأ بعضهم بالرفع ، كأنه على تقديره : هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب ، أي : نفعل ذلك ﴿ معذرة إلى ربكم ﴾ ، أي : فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ يقولون : ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ، ويرجعون إلى الله تائبين ، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ ، أي : فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة ، ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا ﴾ ، أي : ارتكبوا المعصية ﴿ بعذاب عيس ﴾ ، فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكيتين ، لأن الجزاء من جنس العمل ، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ، ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم : هل كانوا من الهالكين أو من الناجين ؟ على قولين :

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ ، هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة ، يقال لها : « أيلة » ،

فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً في ساحل البحر ، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها . فمضى على ذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة وقالوا : تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم . فلم يزدادوا إلا غياً وعتواً ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاء : تعلمون أن هؤلاء قوم [قد] حق عليهم العذاب ، ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ ، وكانوا أشد غضباً لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ﴾ ، وكل قد كانوا ينهاهم ، فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ والذين قالوا : ﴿ معذرة إلى ربكم ﴾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة .

وروى العوفي ، عن ابن عباس قريباً من هذا .

وقال حماد بن زيد ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وإذا قالت أمة منهم : لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ ، قال : ما أدري أنجا الذين قالوا : « أتعظون قوماً الله مهلكهم » ، أم لا ؟ قال : فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا ، فكساني حلة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، حدثني رجل^(٩٠) ، عن عكرمة قال : جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست ، فقلت : ما يبكيك يا أبا عباس جعلني الله فداك . قال : فقال : هؤلاء الورقات . قال : وإذا هو في « سورة الأعراف » ، قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم . قال : فإنه كان بها حي من يهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة ، كانت تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً كأنها الماخش^(٩١) تتبطح ظهورها لبطونها بأفئتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام . فقالت ذلك طائفة منهم . وقالت طائفة : بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت . فكانوا كذلك ، حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين ، وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت . وقال الأيمنون : ويلكم . الله ، [الله] نهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله ، وقال الأيسرون : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ ؟ قال الأيمنون : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ﴾ ، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم . فمضوا على الخطيئة ، وقال الأيمنون : فقد فعلتم ، يا أعداء الله . والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم ، والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب . فلما أصبحوا

(٩٠) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ١٨٨ - ١٩٠) وشيخ ابن جرير لم يسم فلا أدري ما حاله فالأثر ضعيف وهذه قصة إسرائيلية لا يعتمد عليها ولا على أمثالها مما تقدم .

(٩١) قال محققو طبعة الشعب : الماخش التي قد دنا ولادها .

ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلماً ، وأعلوا سور المدينة رجلاً ، فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قردة والله تعاوى لها أذنان . قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة يأتها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي ، فتقول : ألم نهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها ، أي : نعم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ﴾ ، قال : فأرى الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها . قال : قلت : جعلني الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه ، وخالفوهم وقالوا : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ ؟ قال : فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين .

وكذا روى مجاهد ، عنه .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك ، قال : زعم ابن رومان أن قوله تعالى : ﴿ تأتيمهم حيثانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستتون لا تأتيمهم ﴾ ، قال : كانت تأتيمهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبت ، فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر . فاتخذ لذلك رجل خيطاً ووتدأ ، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فرجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به حتى قال لهم : « فإنه جلد حوت وجدناه » . فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك - ولا أدري لعله قال : ربط حوتين - فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجدوا رائحة ، فجاءوا فسألوه ، فقال لهم : « لو شئتم صنعتم كما أصنع » ، فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك . وكانت لهم مدينة لها ربض يغلقونها عليهم ، فأصابهم من المسخ ما أصابهم . فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ، فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القردة يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ، ويدنو منه ويتمسح به .

وقد قدمنا في سورة « البقرة » من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية ، والله

الحمد والمنة .

القول الثاني : أن الساكتين كانوا من الهالكين .

قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : ابتدعوا السبت فابتلوا فيه ، فحرمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر . فإذا انقضى السبت ذهبت فلم ترح حتى السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شرعاً ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزم أنفه ، ثم ضرب له وتدأ في الساحل ، وربطه وتركه في الماء . فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون

ولا ينكرون ، ولا ينهأ منهم أحد ، إلا عصبة منهم نهوه ، حتى ظهر ذلك في الأسواق ، ففعل علانية . قال : فقالت طائفة للذين يهونهم : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً . قالوا معذرة إلى ربكم ﴾ ، فقالوا : سخط أعمالهم ﴿ ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ إلى قوله : ﴿ قردة خاسئين ﴾ ، قال ابن عباس : كانوا أثلاثاً : ثلث نهوا ، وثلث قالوا : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ ، وثلث : أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم .

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولي من القول بهذا ، لأنه تبين حالهم بعد ذلك ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ﴾ ، فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا .

و ﴿ بئيس ﴾ فيه قراءات كثيرة ، ومعناه في قول مجاهد « الشديد » ، وفي رواية : « أليم » . وقال قتادة . « موجه » والكل متقارب ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ خاسئين ﴾ ، أي : ذليلين حقيرين مهانين .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿ تَأْذَن ﴾ : تفعل من الإذن أي : أعلم ، قاله مجاهد . وقال غيره : أمر .

وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، ولهذا تلقيت باللام في قوله : ﴿ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي : على اليهود ﴿ إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ ، أي : بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم .

ويقال : إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة سنة ، وكان أول من ضرب الخراج - ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين ، ثم صاروا في قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزى والخراج ثم جاء الإسلام ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فكانوا تحت صفاره وذمته يؤدون الخراج والجزى .

قال العوفي ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : هي المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عنه : هي الجزية ، والذين يسومونهم سوء العذاب : محمد رسول الله ﷺ وأمته ، إلى يوم القيامة .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وابن جريج ، والسدي ، وقتادة .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن سعيد بن المسيب قال : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال ، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك آخر الزمان .

وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ ، أي : لمن عصاه وخالف شرعه ، ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، أي : لمن تاب إليه وأتاب .

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة ، لئلا يحصل اليأس ، فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً ؛ لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف .

وَقَطَّعْنَهُمْ

فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ الَّذِي أَخَذُوا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّا فِي الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذِينَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

يذكر تعالى أنه فرقه في الأرض أُمَمًا ، أي : طوائف وفرقًا ، كما قال : ﴿ وَقَلْنَا مِنْ بَعدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ .

﴿ مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ ، أي : فيهم الصالح وغير ذلك ، كما قالت الجن : ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ ، ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ ﴾ أي : اختبارناهم ﴿ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ أي : بالرخاء والشدة والرغبة والرهبة . والعافية والبلاء ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون : سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ ، يقول تعالى : فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح ، خلف آخر لا خير فيهم ، وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة - وقال مجاهد : هم النصارى - وقد يكون أعم من ذلك ، ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ ، أي : يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ، ويسوفون أنفسهم ويعدون بها بالتوبة ، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه . ولهذا قال : ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ - كما قال سعيد بن جبير : يعملون الذنب ، ثم يستغفرون الله منه ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ ، قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالاً كان أو حراماً ، ويتمنون المغفرة ، ويقولون : « سيغفر لنا » وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذوه .

وقال قتادة في ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ ، إي والله ، لخلف سوء ، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلمهم ، ورثهم الله وعهد إليهم ، وقال الله في [آية] أخرى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ ، قال : ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا ﴾ ، تمنوا على الله أماني ، وغرة يغترون بها ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ ، لا يشغلهم شيء عن شيء ، ولا ينهاهم شيء عن ذلك ، كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه ، ولا يبالون حلالاً كان أو حراماً .

وقال السدي قوله : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ إلى قوله : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ ، قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم ، وإن خيارهم اجتمعوا ، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشي ، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول : « سيغفر لي » ، فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات ، أو نزع ، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه ، فيرتشي ، يقول ، وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه .

قال الله تعالى : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ﴾ ، يقول تعالى منكرأ عليهم في صنيعهم هذا ، مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبين الحق للناس ولا يكتمونه [كقوله : ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾] فبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون ﴾ [.

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على إلا الحق ﴾ ، قال : فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ، ولا يتوبون منها .

وقوله تعالى : ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ ، يرغبهم تعالى في جزيل ثوابه ، ويحذرهم من وبيل عقابه ، أي : وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم ، وترك هوى نفسه ، وأقبل على طاعة ربه .

﴿ أفلا تعقلون ﴾ ، يقول : أفليس هؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد ﷺ ، كما هو مكتوب فيه ، فقال تعالى : ﴿ والذين يمسكون بالكتاب ﴾ ، أي : اعتصموا به واقتدوا بأوامره ، وتركوا زواجره ﴿ وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ .

* وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ

ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم ﴾ ، يقول : رفعناه ، وهو قوله : ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ .

وقال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : رفعته الملائكة فوق رعوسهم .

وقال القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجهاً نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمره الله تعالى - أن يبلغهم من الوظائف ، فتقلت عليهم ، وأبوا أن يقربوها حتى ينتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة ، قال : رفعته الملائكة فوق رعوسهم . رواه النسائي بطوله .

وقال سنيد بن داود في تفسيره ، عن حجاج بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : هذا كتاب ، أتقبلونه بما فيه ، فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم ، وما أمركم وما نهاكم ؟ قالوا : انشر علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها [يسيرة] ، وحدودها خفيفة قبلناها . قال : اقبلوها بما فيها . قالوا : لا ، حتى نعلم ما فيها ، كيف حدودها وفرائضها . فراجعوا موسى مراراً ، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء ، حتى إذا كان بين رعوسهم وبين السماء قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربي عز وجل ؟ : « لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل » - قال : فحدثني الحسن البصري قال : لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل ، فرحاً من أن يسقط ، فكذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون : هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة - قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب

الله كتبه بيده ، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز ، فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ، ولا كبير . تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه .

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
قَبْلُ وَكَاذِبَةٌ مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَهَذَا كُنَّا بِمَافَعَلِ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم ، وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ، قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَ وجهك للدين حنيفاً ، فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة - وفي رواية : على هذه الملة - فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » وفي صحيح مسلم ، عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم » (٩٢) .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني السري بن يحيى : أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم ، عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات ، قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فاشتد عليه ، ثم قال : « ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ » فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : « إن خياركم أبناء المشركين !. إلا أنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة ، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها » - قال الحسن : والله لقد قال الله في كتابه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ الآية (٩٣) .

(٩٢) تقدم تخريج الحديثين غير مرة من ذلك (ص ٤٩٥) من هذا الجزء .

(٩٣) الحديث في ابن جرير (ج ١٣ ص ٢٣١) وقال المحقق : السري بن يحيى بن إياس الشيباني أبو الهيثم ثقة ثبت روى عن الحسن البصري مترجم في التهذيب ثم قال : والأسود بن سريع بن حميري ابن عبادة التميمي

وقد رواه الإمام أحمد ، عن إسماعيل بن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن البصري ، به . وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : حدثنا الأسود ابن سريع ، فذكره - ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك .

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام ، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : رأيت لو كان لك ما على [الأرض] من شيء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك بي » (٩٤) .

أخرجه في الصحيحين ، من حديث شعبة ، به (٩٥) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير - يعني ابن حازم - عن كلثوم بن جابر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان . يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قبلاً ، قال : ﴿ ألسن بربكم ؟ ﴾ قالوا : بلى : شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا ﴿ إلى قوله : ﴿ المبطلون ﴾ » (٩٦) .

وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه ، عن محمد بن عبد الرحيم - صاعقة - عن حسين بن محمد المروزي ، به . ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد ، به ، إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً . وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره ، عن جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبير ، به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبير . هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث ، عن كلثوم بن جبير ،

= صحابي كان شاعراً مشهوراً وذكر من أشعاره : -

فإن تنج منها تنج من ذي عظمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

وقد أخرجه الإمام أحمد (ج ٤ ص ٢٤) والحاكم في المستدرک (ج ٢ ص ١٢٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي اهـ .

قلت : لكن الحسن وهو ابن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار لم يسمع من الأسود بن سريع ، راجع إن شئت جامع التحصيل .

(٩٤) مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ١٢٧) .

(٩٥) صحيح البخاري (ج ١ ص ٤١٦) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٦٠) .

(٩٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ١ ص ٢٧٢) وسيأتي كلام الحافظ عليه ، وكلثوم بن جابر صوابه : ابن جرير وسوف يأتي بهذا الاسم وحديثه حسن .

عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، فوقفه . وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبیر ، عن أبيه ، به . وكذا رواه عطاء بن السائب ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعلي بن بزيمة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قوله وكذا رواه العوفي ، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس . فهذا أكثر وأثبت والله أعلم .

وقال ابن جریر : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي هلال عن أبي جمره الضبي ، عن ابن عباس قال : أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيفة الذر ، وهو في آذي من الماء^(٩٧) .

وقال أيضاً : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، حدثنا أبو مسعود عن جوير قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ، ابن ستة أيام . قال : فقال : يا جابر ، إذا أنت وضعت ابني في لحده ، فأبرز وجهه ، وحل عنه عقده ، فإن ابني مجلس ، ومستول . ففعلت به الذي أمر ، فلما فرغت قلت : يرحمك الله ، عم يسأل ابنك ؟ من يسأله إياه ؟ قال : يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم . قلت : يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وتكفل لهم بالأرزاق ، ثم أعادهم في صلبه . فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به ، نفعه الميثاق الأول . ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأول على الفطرة^(٩٨) .

فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا علي ابن عباس ، والله أعلم .

حديث آخر ، وقال ابن جریر : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، حدثنا أحمد بن أبي طيبة ، عن سفيان بن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك [و] عن منصور ، عن مجاهد - عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ﴾ ، قال : أخذوا من ظهره ، كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ﴿ ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى ﴾ ، قالت الملائكة : ﴿ شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾^(٩٩) .

(٩٧) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٢٩) والأثر وإن كان هنا من طريق ابن وكيع فله طرق كثيرة قبل الموضع المشار إليه وبعده تقوي صحة هذا الأثر عن ابن عباس ، والله أعلم .

(٩٨) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٣٠) وجوير هذا قيل : إنه تصغير جابر وقيل : إن جوير لقب وإن جابر اسم له وهو ابن سعيد الأزدي ضعيف جداً وأبو مسعود لا أدري من يكون اللهم إلا أن يقال : إنه سعيد ابن إلياس الجريفي فهذا قول محتمل لأنه في هذه الطبقة وإلا فلم يذكروا في ترجمة ضمرة رواية عنه ولا في ترجمته رواية عن جوير ، فالله أعلم .

(٩٩) الحديث في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٣٢) وعبد الرحمن بن الوليد هذا قال الشيخ محمود شاكر : لم أجد له ترجمة فأنا كذلك وقد روى هذا الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو ومرفوعاً عن النبي صلى الله =

أحمد بن أبي طيبة هذا هو : أبو محمد الجرجاني قاضي قومس ، كان أحد الزهاد ، أخرج له النسائي في سننه ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه . وقال ابن عدي : حدث بأحاديث أكثرها غرائب .

وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قوله وكذا رواه جرير ، عن منصور ، به . وهذا أصح ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا روح - هو ابن عبادة - حدثنا مالك - وحدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك - عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره ، عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ... ﴾ الآية ، فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ ، سئل عنها ، فقال : « إن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح ظهره يمينه ، فاستخرج منه ذرية ، قال : خلقت هؤلاء [للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، قال : خلقت هؤلاء] للنار وبعمل أهل النار يعملون » . فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ : « إذا خلق الله [العبد] للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار » (١٠٠) .

وهكذا رواه أبو داود عن القعنبى - والنسائي عن قتيبة - والترمذي عن إسحاق بن موسى ، عن معن - وابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب - وابن جرير من حديث روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر - وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، من رواية أبي مصعب الزبيري ، كلهم عن الإمام مالك بن أنس ، به .

قال الترمذي : وهذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع عمر . وكذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة - زاد أبو حاتم : وبينهما نعيم بن ربيعة .

وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه ، عن محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جعثم

= عليه وآله وسلم وسياقي ترجيح الحافظ ابن كثير أنه موقوف وقد رجح الطبري نفسه (ج ١٣ ص ٢٥٠) هذا الترجيح فقال : (إن كان صحيحاً ولا أعلمه صحيحاً لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعه ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه . اهـ المراد منه) .

(١٠٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ١ ص ٤٤ - ٤٥) وسياقي أن مسلم بن يسار لم يسمع من عمر إلا أنه قد رواه آخرون وجعلوا بين مسلم وعمر نعيم بن ربيعة ، وسياقي بعد قليل كلام الحافظ على هذا بما يغني عن قولي .

القرشي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنني ، عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب ، وقد سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ فذكره .

وقال الحافظ الدارقطني : وقد تابع عمر بن جعثم يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي ، وقولهما أولى بالصواب من قول مالك ، والله أعلم .

قلت : الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر « نعيم بن ربيعة » عمداً لما جهل حاله ولم يعرفه ، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيه ، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ، ويقطع كثيراً من الموصولات ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك . فرأى رجلاً منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه ، فقال : أي رب ، من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له : داود . قال : رب ، وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال : أي رب ، زده من عمري أربعين سنة . فلما انقضى عمر آدم ، جاءه ملك الموت ، قال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود وقال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته ، وخطيء آدم فخطأت ذريته » ^(١) .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين ، به ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ^(٢) .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(٣) ، عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، فذكر نحو ما تقدم ،

(١) سنن الترمذي (ج ٥ ص ٢٦٧) وهشام بن سعد صدوق له أوهام ورمي بالتشيع ، هكذا قال الحافظ في التقريب لكنه هنا روى عن زيد بن أسلم وهو أثبت الناس فيه ، قال ذلك الآجري عن أبي داود ، فالحديث صحيح .

(٢) مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ٣٢٥) وقوله : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه يناقض قوله كما في التهذيب والميزان في هشام بن سعد أخرج له مسلم في الشواهد .

(٣) قد تقدم كثيراً أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف .

إلى أن قال : « ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم ، هؤلاء ذريتك . وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى ، وأنواع الأسقام ، فقال آدم : يا رب ، لم فعلت هذا بذريتي ؟ قال : كي تشكر نعمتي . وقال آدم : يا رب ، من هؤلاء الذي أراهم أظهر الناس نوراً ، قال : هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك » . ثم ذكر قصة داود ، كنحو ما تقدم .

حديث آخر ، قال عبد الرحمن بن قتادة النصري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم رضي الله عنه : أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : أبدأ الأعمال ، أم قد قضي القضاء ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيه ، ثم قال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار » .

رواه ابن جرير^(٤) ، وابن مردويه من طرق عنه .

حديث آخر ، روى جعفر بن الزبير - وهو ضعيف^(٥) - عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق ، وقضى القضية ، أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله ، فقال : يا أصحاب اليمين . فقالوا : لبيك وسعديك . قال : أأست بربكم ؟ قالوا : بلى . قال : يا أصحاب الشمال . قالوا : لبيك وسعديك . قال : أأست بربكم ؟ قالوا : بلى . ثم خلط بينهم ، فقال قائل : يا رب ، لم خلطت بينهم . قال : لهم أعمال من دون ذلك لهم لها عاملون ، أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ثم ردهم في صلب آدم » . رواه ابن مردويه .

أثر آخر ، قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي كعب في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، الآية والتي بعدها ، قال : فجمعهم له يومئذ جميعاً ، ما هو كائن منه إلى يوم القيامة ، فجعلهم [أرواحاً] ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾ قالوا : بلى ، ... الآية ، قال : فأني أشهد عليكم السموات السبع ، والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أبابكم

(٤) الحديث في ابن جرير (ج ١٣ ص ٢٤٤) وقال الشيخ محمود شاكر في هذا : رواه أبو جعفر بأربعة أسانيد هذا والذي يليه إلى رقم (١٥٣٨٠) وهو خير قد نصوا قديماً على أنه مضطرب الإسناد واضطرابه من وجوه سائيتها بعد إن شاء الله في هذا الموضع ، ثم ذكر وجه اضطرابه في كلام طويل ليس هذا مقامه وقال بعد ذلك : وقد أطلت في بيان هذا الاضطراب لأضبطه بعض الضبط ، وبعد ذلك كله فمعنى الحديث صحيح مروى عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب وهو اضطراب قديم كما نصوا على ذلك فيما نقلت آنفاً اهـ .

قلت : وكلامه رحمه الله كلام نفيس جدير بالرجوع إليه ولاتق بالوقوف عليه فمن يرد معرفة ذلك فليرجع للموضع المتقدم ذكره .

(٥) قلت : وهو ضعيف شديد الضعف فقد قال البخاري : تركوه وكذبه شعبة ، وانظر الميزان .

آدم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا . اعلّموا أنه لا إله غيري ، ولا رب غيري ، فلا تشركوا بي شيئاً ، وإني سأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كُتبي . قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك . فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى فيهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون ذلك . فقال : يا رب ، لو سويت بين عبادك ؟ قال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ... ﴾ الآية ، وهو الذي يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ ﴾ الآية ، ومن ذلك قال : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِيِّ ﴾ ، ومن ذلك قال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ... ﴾ الآية .

رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم، ومن رواية أبي جعفر الرازي ، به . وروي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغير واحد من علماء السلف سياقات توافق هذه الأحاديث ، اكتفينا بإيرادها عن التطويل بتلك الآثار كلها ، وبالله المستعان .

فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه ، وميز بين أهل الجنة وأهل النار . وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - وفي حديث عبد الله بن عمرو - وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان ، كما تقدم . ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد ، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود ابن سريع . وقد فسر الحسن البصري الآية بذلك ، قالوا : ولهذا قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : « من آدم » ، ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : « من ظهره » ﴿ ذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ ، أي : جعل نسلهم جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ ، وقال : ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾ قالوا : بلى ، أي : أوجدتهم شاهدين بذلك ، قائلين له حالاً وقالاً والشهادة تارة تكون بالقول ، كما قال : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ... ﴾ الآية ، وتارة تكون حالاً ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ ، أي : حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ، كما أن السؤال تارة يكون بالقال ، وتارة يكون بالحال ، كما في قوله : ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ، قالوا : وما يدل على أن المراد بهذا هذا ، أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراف ، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره ، ليكون حجة عليه . فإن قيل : إخبار الرسول به كاف في وجوده ، فالجواب : أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره . وهذا جعل حجة مستقلة عليهم ، فدل على أنه على الفطرة

التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ، ولهذا قال : ﴿ أَنْ يَقُولُوا ﴾ ، أي : لتلا يقولوا يوم القيامة : ﴿ إنا كنا عن هذا ﴾ ، أي : التوحيد ﴿ غافلين ، أو يقولوا : إنما أشرك آبائنا ... ﴾ الآية .

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ
ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ
إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا
لِلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

قال عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ومنصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ... ﴾ الآية ، قال : هو رجل من بني إسرائيل ، يقال له : بلعم بن أبر . وكذا رواه شعبة وغير واحد ، عن منصور ، به ^(٦) .

(٦) أثر عبد الله بن مسعود في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٥٤) وسنده صحيح .

قلت : وجملة الآثار الآتية التي فيها الاختلاف في اسمه مضمونها أنه رجل أعطاه الله الآيات ووضح له البينات فأبى إلا الضلال والانسلاخ فعاقبه الله في الدنيا قبل الآخرة وسيكون عقابه في الآخرة أكبر ومن هنا أوجه نصيحة لأهل العلم عامة فأقول : يا أهل العلم إياكم أن تتركوا العمل بما علمتم فيغضب الله عليكم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وأنتم تعلمون أن أول من يسعر بهم النار ثلاثة : منهم رجل آتاه الله العلم ولم يعمل به ، وتعلمون أيضاً أنه يوم القيامة يؤقى بالرجل فيدور كما يدور الحمار فيقول الناس : ما لك يا فلان ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه ولهذا فإن الذي يرتكب حراماً مع علمه بجرمته أشد وأعظم من الذي يعمله دون معرفة له بل يكون الجاهل معذوراً ، وهنا خمسة آيات مناسبة لهذا الموضوع أحببت أن أذكرها وهي :

هلا لنفسك كان ذا التعليم
كي ما يصح به وأنت سقيم
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فعلت عظيم =

يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لذي السقام وذو الضنى
ابداً بنفسك فأنها عن غيها
فهناك يسمع ما تقول ويشفى
لا تنه عن خلق وتأتى مثله

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : هو صيفي بن الراهب .

قال قتادة : وقال كعب : كان رجلاً من أهل البلقاء ، وكان يعلم الاسم الأكبر ، وكان مقيماً ببيت المقدس مع الجبارين .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو رجل من أهل اليمن ، يقال له : بلعم ، آتاه الله آياته فتركها .

وقال مالك بن دينار : كان من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، يقدمونه في الشدائد ، بعثه نبي الله موسى إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله ، فأقطعه وأعطاه ، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام .

وقال سفيان بن عيينة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس : هو بلعم ابن باعر . وكذا قال مجاهد وعكرمة .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بلعام - وقالت ثقيف : هو أمية بن أبي الصلت .

وقال شعبة عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو في قوله : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه ... ﴾ الآية ، قال : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت .

وقد روي من غير وجه ، عنه . وهو صحيح إليه ، وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه ، فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه ، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ، ورثى أهل بدر من المشركين بمروءة بليغة قبحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث : « أنه ممن آمن لسانه ، ولم يؤمن قلبه » ؛ فإن له أشعاراً ربانية وحكماً وفصاحة ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعيد الأعرور^(٧) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ

= أما مثل هذه القصص فهي قصص إسرائيلية لا يعتمد عليها وصاحبها رجل أعطاه الله العلم فانحرف فلا يهنا معرفة اسمه سواء كان بلعماً أم غيره فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فالله المستعان وعليه التكلان .

(٧) أبو سعيد الأعرور الظاهر أنه أبو (سعد) بغير ياء وهو سعيد بن المرزبان البقال ، فهو الذي يروي عن عكرمة ويروي عنه السفيانان ولا يحتمل أن يكون عبد الكريم الجز فليس ملقباً بالأعرور فبأي سعد أجزم وهو ضعيف مدلس فلهذا قال الحافظ بعد : (غريب) .

منها ﴿﴾ ، قال : هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن ، وكانت له امرأة له منها ولد ، فقالت : اجعل لي منها واحدة . قال : فلك واحدة ، فما الذي تريدان ؟ قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل . فدعا الله ، فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، وأرادت شيئاً آخر ، فدعا الله أن يجعلها كلبة ، فصارت كلبة ، فذهبت دعوتان . فجاء بنوها فقالوا : ليس بنا على هذا قرار ، قد صارت أمنا كلبة يعبرنا الناس بها ، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها ، فدعا الله ، فعادت كما كانت ، فذهبت الدعوات الثلاث ، وسميت البسوس . غريب .

وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمان بني إسرائيل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال له : « بلعام » ، وكان يعلم اسم الله الأكبر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره من علماء السلف : كان مجاب الدعوة ، ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه^(٨) .

وأغرب ، بل أبعد ، بل أخطأ من قال : كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها . حكاها ابن جرير ، عن بعضهم ولا يصح .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لما نزل موسى بهم - يعني بالجبارين - ومن معه ، أتاه - يعني بلعام - أتاه بنو عمه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ، ذهبت دنيائي وآخرتي . فلم يزلوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه [الله] ما كان عليه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ... ﴾ الآية .

وقال السدي : إن الله لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله : ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾ ، بعث يوشع بن نون نبياً ، فدعا بني إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبي ، وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له : « بلعام » وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم [المكتوم] ، فكفر - لعنه الله - وأتى الجبارين وقال لهم : لا ترهبوا بني إسرائيل فإنني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون ! وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء ، يعظمن فكان ينكح أتاناً له^(٩) ، وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فانسلخ منها ﴾ .

(٨) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٥٨) بسند صحيح إليه .

(٩) الأتان : أثنى الحمار . وهذا من فضول أهل التفسير لا يحتاج إليه ويكفيها ظاهر القرآن الكريم حيث إنها لم تأت السنة بذكر هذا العالم المنحرف .

وقوله : ﴿ فَاتَّبِعْ الشَّيْطَانَ ﴾ ، أي : استحوذ عليه وغلبه على أمره ، فمهما أمره امتثل وأطاعه ، ولهذا قال : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ، أي : من الهالكين الخائرين البائسين .

وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا محمد بن بكر ، عن الصلت بن بهرام ، حدثنا الحسن ، حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد : أن حذيفة - يعني ابن اليمان ، رضي الله عنه - حدثه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِمَّا مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِجْتَهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رَدَّ الْإِسْلَامِ اعْتَرَاهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، انْسَلَخَ مِنْهُ ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ » . قال قلت : يا نبي الله ، أيهما أولى بالشرك : المرمي أو الرامي ؟ قال : « بل الرامي » .

هذا إسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ، ولم يرم بشيء سوى الإرجاء ، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ ، يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ ، أي : لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها ، ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ، أي : مال إلى زينة الدنيا وزهرتها ، وأقبل على لذاتها ونعيمها ، وغرته كما غرت غيره من غير أولى البصائر والنهى .

وقال أبو الزاهرية في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ، قال : تراءى له الشيطان على غلوة من قنطرة بانياس ، فسجدت الحمارة لله ، وسجدت بلعام للشيطان . وكذا قال عبد الرحمن ابن جبير بن نفير ، وغير واحد .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : وكان من قصة هذا الرجل ما : - حدثنا محمد ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه : أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ وَاتَّلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ ، فحدث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام [وكان قد أوتي النبوة] وكان مجاب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام - أو قال : الشام - قال : فرغب الناس منه رعباً شديداً ، قال : فأتوا بلعام ، فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ! قال : حتى أوامر ربي - أو : حتى أوامر قال : فوامر في الدعاء عليهم ، فقيل له : لا تدع عليهم ، فإنهم عبادي ، وفيهم نبهم . قال : فقال لقومه : إني قد وامرت ربي في الدعاء عليهم ، وإني قد نهيت ، فأهدوا له هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم . فقال : حتى أوامر . فوامر ، فلم يجر إليه شيء . فقال : قد وامرت فلم يجر إلى شيء ! فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى . قال : فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد [أن يدعو] أن يفتح لقومه ، دعا أن يفتح لموسى وجيشه - أو نخواً من ذا إن شاء الله . قال : فقالوا : ما نراك تدعو إلا علينا . قال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه أيضاً ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم

على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم . إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت إن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء يستقبلنهم ، فإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا . قال : ففعلوا . قال : فأخرجوا النساء يستقبلنهم . قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، قال : فقال أبوها - أو بلعام - : لا تمكني نفسك إلا من موسى ! قال : ووقعوا في الزنا . قال : وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل ، قال : فأرادها على نفسه . فقالت : ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى . قال : فقال : إن منزلتي كذا وكذا ، وإن من حالي كذا وكذا . قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : فأمكنيه قال : ويأتيهما رجل من بني هارون ومنعه الرمح فيطعنهما . قال : وأيده الله بقوة ، فانتظمهما جميعاً ، ورفعهما على رمح ، فرآها الناس - أو كما حدث - قال : وسلط الله عليهم الطاعون . فمات منهم سبعون ألفاً .

قال [أبو] المعتمر : فحدثني سيار : أن بلعاماً ركب حمارة له حتى أتى العلولي - أو قال : طريقاً من العلولي - جعل يضربها ولا تقدم ، وقامت عليه فقالت : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ! فإذا الشيطان بين يديه قال : فنزل وسجد له ، قال الله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ .

قال : فحدثني بهذا سيار ، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره .

قلت : هو بلعام - ويقال : بلعم - بن باعوراء ، ويقال : ابن أبر . ويقال : ابن باعور ابن شهوم بن قوشتم ابن ماب بن لوط بن هاران - ويقال : ابن حران - بن آزر . وكان يسكن قرية من قرى البلقاء .

قال ابن عساكر : وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم ، فانسلخ من دينه ، له ذكر في القرآن . ثم أورد من قصته نحواً مما ذكرنا هاهنا ، أورده عن وهب وغيره ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن سالم أبي النضر أنه حدث : أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام ، أتى قوم بلعام إليه فقالوا له : هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم . قال : ويلكم ! نبي الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟! قالوا له : ما لنا من منزل ! فلم يزالوا به يرققونه ويتضرعون إليه ، حتى فتنوه فافتن ، فركب حمارة له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حسيبان ، فلما سار عليها غير كثير ، ربضت به ، فنزل عنها فضربها ، حتى إذا أذلقتها قامت فركبها . فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقتها أذن [الله] لها فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ، أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم ، فلم ينزع عنها يضربها ، فخلى الله سبيلها

حين فعل بها ذلك . فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسيان ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل . فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ! قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، قال : واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جملوا النساء وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعن فيها ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم . ففعلوا . فلما دخل النساء العسكر ، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها « كسبة ابنة صور ، رأس أمتة » ، برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو « زمري بن شلوم » ، رأس سبط سمعان بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام ، [فقام إليها ، فأخذها بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام] ، فقال : إني أظنك ستقول هذا حرام عليك ؟ قال : أجل ، هي حرام عليك ، لا تقربها . قال : فوالله لا نطيعك في هذا . ثم دخل بها قوته فوقع عليها . وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل ، وكان فنحاص ابن العيزار بن هارون ، صاحب أمر موسى ، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته ، وكانت من حديد كلها ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان ، فانظمتها بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيه - وكان بكر العيزار - وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك . ورفع الطاعون ، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص ، فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفاً - والمقلل لهم يقول : عشرون ألفاً - في ساعة من النهار . فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي - [لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذها إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيه] - والبكر من كل أمواهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر أبيه العيزار ، ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلمهم يفكرون ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ ، اختلف المفسرون في معناه فأما على سياق ابن إسحاق ، عن سالم بن أبي النضر : أن بلعاماً اندلع لسانه على صدره - فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك . وقيل معناه : فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه ، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان ، وعدم الدعاء ، كالكلب في لهثه في حالتيه ، إن حملت عليه وإن تركته ، هو يلهث في الحالين ، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان

(١٠) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٦٤) وتاريخه (ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤) وهو من القصص الإسرائيلية التي لا يعتمد عليها كما عرفت .

ولا عدمه ، كما قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ . ونحو ذلك .

وقيل : معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى ، فهو كثير الوجيب ، فعبّر عن هذا بهذا ، نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره .

وقوله تعالى : ﴿ فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، يقول تعالى لنبى محمد ﷺ : ﴿ فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ ﴾ ، أي : لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام ، وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته ، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه - في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب - في غير طاعة ربه ، بل دعا به على حزب الرحمن ، وشعب الإيمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كلم الله موسى بن عمران ، ولهذا قال : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، أي : فيحذروا أن يكونوا مثله ، فإن الله قد أعطاهم علماً ، وميزهم على من عداهم من الأعراب ، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهم أحق الناس بأولاهم باتباعه ومناصرتة ومؤازرتة ، كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك وأمرتهم به ، ولهذا من خالف منهم في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحل الله به ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة .

وقوله : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ ، يقول تعالى : ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، أي : ساء مثلهم أن شهبوا بالكلام التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة ، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه ، واتبع هواه ، صار شبيهاً بالكلب ، وبئس المثل مثله . ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ليس لنا مثل السوء ، العائد [في هبته] كالكلب يعود في قيئه » ^(١١) .

وقوله : ﴿ وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ ، أي : ما ظلمهم الله ، ولكن هم ظلموا أنفسهم ، بإعراضهم عن اتباع الهدى ، وطاعة المولى ، إلى الركون إلى دار البلى ، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى .

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ

فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

يقول تعالى : من هداه الله فإنه لا مضل له ، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة ، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا جاء في حديث ابن مسعود : « إن الحمد لله ،

(١١) الحديث في صحيح البخاري (ج ٥ ص ٢٣٤) ومسلم (ج ٣ ص ١٢٤٠) وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه .

نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد ، وأهل السنن ، وغيرهم ^(١٢) .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ ، أي : خلقنا وجعلنا ﴿ لجهم كثيرًا من الجن والإنس ﴾ ، أي : هيئاتهم لها ، وبعمل أهلها يعملون ، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم ، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ورد في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » ^(١٣) .

وفي صحيح مسلم أيضاً ، من حديث عائشة بنت طلحة ، عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى له . عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه . فقال : « أو غير ذلك يا عائشة ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً ، وهم في أصلاب آبائهم » ^(١٤) .

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود : « ثم يبعث إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيكتب : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد » ^(١٥) ... »

(١٢) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣) وسنن أبي داود (ج ١ ص ٦٥٩) ، والنسائي جزء ٣ (ص ١٠٤) وابن ماجه (ج ١ ص ٦١٠) . كلهم في هذه المواضع عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا الحديث يسمى بخطبة الحاجة ، وقد ألف الشيخ الألباني رسالة في هذا .

(١٣) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٤) .

(١٤) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٠٥٠) .

(١٥) صحيح البخاري (ج ١٣ ص ٤٤٠) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٦) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عنه . رواه البخاري ، عن أبي اليمان ، عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد به . وأخرجه الترمذي ، عن الجوزجاني ، عن صفوان بن صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن شعيب فذكر بسنده مثله ، وزاد بعد قوله : « يحب الوتر » : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواحد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ... وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث^(١٧) .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق صفوان ، به . وقد رواه ابن ماجه في سننه ، من طريق آخر ، عن موسى بن عقبة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، فسر الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان .

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج^(١٨) فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني ، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي : أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد وسفيان ابن عيينة وأبي زيد اللغوي ، والله أعلم .

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنی ليست منحصرة في التسعة والتسعين ، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، عن يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن أبي سلمة الجهني ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(١٧) سنن الترمذي (ج ٥ ص ٥٣٠) .

(١٨) المدرج هو : أن يذكر الراوي في أثناء الحديث أو في آخره كلاماً لنفسه أو لغيره فيرويه من بعد متصلاً فيتوهم أنه من الحديث ، راجع تدريب الراوي (ج ١ ص ٢٦٩) وله أقسام أخر ليس هذا بابها ولكن المذكور هو المقصود .

« ما أصاب أحداً قطُّ هم ولا حزن فقال : اللهم ، إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أعلمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً » . فقيل : يا رسول الله ﷺ ، أفلا نتعلمها ؟ فقال : « بلى ، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها » ^(١٩) .

وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله .

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه « الأحوذى في شرح الترمذي » أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم ، فإله أعلم ^(٢٠) .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [قال : إلحاد الملحدين : أن دعوا « اللات » في أسماء الله .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [، قال : اشتقوا « اللات » من الله ، واشتقوا « العزى » من العزيز .

وقال قتادة : ﴿ يَلْحَدُونَ ﴾ : يشركون . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « الإلحاد » : التكذيب وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدل عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر .

وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا ﴾ ، أي : ومن الأمم ﴿ أمة ﴾ قائمة بالحق ، قولاً وعملاً ، ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ ، يقولونه ويدعون إليه ، ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، يعملون ويقضون .

(١٩) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٩١) والحاكم (ج ١ ص ٥٠٩) وابن حبان (ص ٥٨٩) كلهم من طريق أبي سلمة الجهني قال الذهبي في الميزان : لا يعرف .

قلت : لكن أبا سلمة هذا وإن لم يكن معروفاً عند الذهبي فهو معروف عند غيره وقد نقل الألباني في السلسلة في تخريج هذا الحديث عن الشيخ أحمد شاكر احتمال أن يكون هو موسى بن عبد الله أو ابن عبد الجهني يكنى أبا سلمة فإنه من هذه الطبقة ، وجزم الألباني بأنه هو واستدل على ذلك بأن موسى هذا روى عن القاسم بن عبد الرحمن حديثاً آخر ذكره الألباني قبل الكلام على هذا الحديث والذي يبدو أن الذهبي لم يعرفه بسبب ذكره بكنيته كما يقع ذلك كثيراً فأظنه فرق بينهما ، والله أعلم . وأما القاسم عن أبيه فقد أثبت سماعه منه جماعة من العلماء ومن أثبت مقدم على من نفى ، راجع السلسلة الصحيحة .

(٢٠) اسم كتابه : (عارضة الأحوذى) وهذا العدد فيه نظر ، فلعل جامعها جمع مما هب ودب وما فرق بين الصحيح والضعيف ، والله أعلم .

وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية .

قال سعيد ، عن قتادة في تفسير هذه الآية : بلغنا أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية : « هذه لكم ، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ^(٢١) » .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى : ﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أمتي قوماً على الحق ، حتى ينزل عيسى ابن مريم متى ما نزل ^(٢٢) » .

وفي الصحيحين ، عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى تقوم الساعة - وفي رواية - : حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - : وهم بالشام ^(٢٣) » .

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي

مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

يقول تعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ ، ومعناه : أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا، حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء ، كما قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ففتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . ففقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وأُمْلِي لَهُمْ ﴾ ، أي : وسأُملي لهم ، أطول لهم ما هم فيه ﴿ إن كيدي متين ﴾ أي :

(٢١) الحديث في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٢٨٦) ولا ندري من أخبر قتادة بذلك فإن قتادة ما أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو في حكم المرسل ومراسيله من أضعف المراسيل .

(٢٢) وهذا مرسل أيضاً ورواية أبي جعفر عن الربيع مضطربة . قال الحافظ في التهذيب في ترجمة الربيع عن ابن حبان قال : الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً . قلت : فهذا مما كان يتقى فنحن نتقيه .

(٢٣) الحديث في صحيح البخاري (ج ١٣ ص ٤٤٢) ومسلم (ج ٣ ص ١٥٢٤) .

فائدة : -

قال الإمام أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم وقال ابن المديني وابن المبارك وغيرهما نحو هذا ، جعلنا الله من هذه الطائفة .

قوي شديد .

أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ

١٨٤

يقول تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا ﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ ﴾ يعني محمداً - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ ، أي : ليس به جنون ، بل هو رسول الله حقاً دعا إلى حق ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ نَذِيرٌ مَبِينٌ ﴾ ، أي : ظاهر لمن كان له قلب ولب يعقل به ويعي به ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْيًى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ .

يقول : إنما أطلب منكم أن تقوموا لله قياماً خالصاً لله ليس فيه تعصب ولا عناد ، ﴿ مَشْيًى وَفَرَادَى ﴾ ، أي : مجتمعين ومتفرقين ، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله . أبه جنون أم لا ؟ فإنكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظهر أنه رسول حقاً وصدقاً .

وقال قتادة بن دعامة : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا ، فدعا قريشاً فجعل يفتحهم فخذاً فخذاً : « يا بني فلان .. يا بني فلان » فحذرهم بأس الله ووقائع الله ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا مجنون . بات يصوت إلى الصباح - أو : حتى أصبح ، فأنزل الله تعالى ﴿ أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ ﴾ ^(٢٤) .

أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

١٨٥

يقول تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا ﴾ - هؤلاء المكذبون بآياتنا - في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض ، وفيما خلق من شيء فيهما ، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به ، ويصدقوا رسوله ، وينيبوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه .

(٢٤) لا ندري من ذكر لقتادة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالحديث في حكم المرسل .

وقوله : ﴿ فَبَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ يقول : فبأي تخويف وتحذير وترهيب - بعد تحذير محمد وترهيبه ، الذي أتاهاهم به من عند الله في أي كتابه - يصدقون ؟ إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله ، عز وجل .

وقد روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى وعفان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسري بي ، لما انتهينا إلى السماء السابعة ، فنظرت فوقي ، فإذا أنا برعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني ، فإذا أنا برهج ، ودخان وأصوات ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحرفون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » .

علي بن زيد بن جدعان له منكرات^(٢٥) .

ثم قال تعالى :

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

يقول تعالى : من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ، ولو نظر لنفسه فيما نظر ، فإنه لا يجزي عنه شيئاً ، ﴿ ومن يرد الله فستة فلن تملك له من الله شيئاً ﴾ ، قال تعالى : ﴿ قل : انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

(٢٥) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٣٥٣ و ٣٦٣) وأبو الصلت الذي في السند مجهول فبهاتين العلتين الحديث

ضعيف .

يقول تعالى : ﴿يسألونك عن الساعة﴾ ، كما قال تعالى : ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ .

قيل : نزلت في قريش . وقيل : في نفر من اليهود . والأول أشبه ، لأن الآية مكية ، وكانوا يسألون عن وقت الساعة ، استبعاداً لوقوعها ، وتكديماً بوجودها ، كما قال تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ ، وقال تعالى : ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ .

وقوله : ﴿أيان مرساها﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « منتهأها » . أي : متى محطها وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة .

﴿قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ ، أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة ، أن يرد علمها إلى الله تعالى ، فإنه هو الذي يجليها لوقتها ، أي : يعلم جلية أمرها ، ومتى يكون على التحديد ، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ، ولهذا قال : ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ .

قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ ، قال : ثقل علمها على أهل السموات والأرض ، إنهم لا يعلمون^(٢٦) .

قال معمر : قال الحسن : إذا جاءت ثقلت على أهل السموات والأرض . يقول : كبرت عليهم^(٢٧) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ ، قال : ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة .

وقال ابن جريج : ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ ، قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله عز وجل . فذلك ثقلها . واختار ابن جرير رحمه الله : أن المراد : ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض ، كما قال قتادة .

وهو كما قاله ، كقوله تعالى : ﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾ ، ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض ، والله أعلم .

(٢٦) هذا الأثر رجال سنده ثقات إلا أن رواية معمر عن البصريين فيها كلام وقد أخرجه الطبري (ج ١٣ ص ٢٩٥) وليس فيه أن هذا قول قتادة إنما قال : عن معمر عن بعض أهل التأويل .

(٢٧) لم يسمع معمر من الحسن ولم يره فهو منقطع ، راجع جامع التحصيل .

وقال السدي : ﴿ ثقلت في السموات والأرض ﴾ ، يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .
﴿ لا تأتكم إلا بغتة ﴾ ، ييغتهم قيامها ، تأتيم على غفلة .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ لا تأتكم إلا بغتة ﴾ ، قضى الله أنها ﴿ لا تأتكم إلا بغتة ﴾ - قال : وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : « إن الساعة تهيج بالناس ، والرجل يصلح حوضه ، والرجل يسقي ماشيته ، والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه » ^(٢٨) .

وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه . ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه . ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه . ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » ^(٢٩) .

وقال مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة بلغ به [النبي ﷺ] قال : « تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة ، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم » ^(٣٠) .

وقوله : ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ ، اختلف المفسرون في معناه ، فقليل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ ، يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناس محمداً ﷺ ، عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم ، فأوحى الله إليه ، إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يطلع الله عليها ملكاً مقرباً ولا رسولاً .

وقال قتادة : قالت قریش لمحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال له الله عز وجل : ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ .

وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، وأبي مالك ، والسدي ، وهذا قول . والصحيح عن

(٢٨) تفسير ابن جرير (ج ١٣ ص ٢٩٧) ولا ندري من ذكر لقتادة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن يغنينا عنه ما سيأتي في صحيح البخاري إن شاء الله .

(٢٩) صحيح البخاري (ج ١١ ص ٣٥٢) .

(٣٠) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٧٠) .

مجاهد - من رواية ابن أبي نجيح وغيره - : ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ ، قال : استحفيت عنها السؤال ، حتى علمت وقتها .

وكذا قال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ ، يقول : كأنك عالم بها ، لست تعلمها ، ﴿ قل إنما علمها عند الله ﴾ .

وقال معمر ، عن بعضهم : ﴿ كأنك حفي عنها ﴾ كأنك عالم بها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ كأنك حفي عنها ﴾ كأنك عالم بها ، وقد أخفى الله علمها على خلقه ، وقرأ : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ الآية (٣١) .

وهذا القول أرجح في المعنى من الأول ، والله أعلم .

ولهذا قال : ﴿ قل : إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ، ليعلم الناس أمر دينهم ، فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد ، وسأله عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، ثم قال : فمتى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ، أي : لست أعلم بها منك ، ولا أحد أعلم بها من أحد ، ثم قرأ النبي ﷺ : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ الآية .

وفي رواية : فسأله عن أشراط الساعة ، فبين له أشراط الساعة ، ثم قال : في خمس لا يعلمهن إلا الله . وقرأ هذه الآية ، وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب : « صدقت » ، ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدقه ، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وفي رواية قال : « وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها ، إلا صورته هذه » .

وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد ، في أول شرح صحيح البخاري ، والله الحمد والمنة (٣٢) .

ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال : يا محمد . قال له رسول الله ﷺ : « هاء » - على نحو من صوته - قال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ : « ويحك ! إن الساعة آتية ، فما أعددت لها ؟ » قال : [ما] أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ، ولكنني أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله ﷺ : « المرء مع من أحب » . فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث .

(٣١) سند هذا القول إلى ابن زيد سند صحيح .

(٣٢) الحديث في صحيح البخاري (ج ١ ص ١١٤) مسلم (ج ١ ص ٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المرء مع من أحب »^(٣٣) ، وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين .

ففيه أنه عليه السلام كان إذ سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه ، أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم ، وهو الاستعداد لوقوع ذلك ، والتهيؤ له قبل نزوله ، وإن لم يعرفوا تعيين وقته . ولهذا قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة : متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : « إن يعيش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت ساعتيكم »^(٣٤) . يعني بذلك موته الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة .

ثم قال مسلم : وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يونس بن محمد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة [وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد] فقال رسول الله ﷺ : « إن يعيش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » . انفرد به مسلم .

وحدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا معبد ابن هلال العتري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متى الساعة ؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال : « إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » - قال أنس : ذلك الغلام من أترابي .

وقال : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة - وكان من أقراني - فقال النبي ﷺ : « إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة »^(٣٥) .

ورواه البخاري في كتاب « الأدب » من صحيحه ، عن عمرو بن عاصم ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن أنس : أن رجلاً من أهل البادية قال : يا رسول الله ، متى الساعة ؟... فذكر الحديث ، وفي آخره : فمر غلام للمغيرة بن شعبة ، وذكره^(٣٦) .

وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بـ « ساعتكم » في حديث عائشة

(٣٣) الحديث في صحيح البخاري (ج ٧ ص ٤٢) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٢) عن أنس رضي الله عنه .

(٣٤) الحديث في صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٦٩) وقد أخرجه البخاري (ج ١١ ص ٣٦١) بالفاظ متقاربة

مع هذا .

(٣٥) هذه الأحاديث كلها في الموضع الذي قدمت الإشارة إليه .

(٣٦) صحيح البخاري (ج ١٠ ص ٥٥٣) .

رضي الله عنها .

وقال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بشهر قال : « تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على ظهر الأرض اليوم من نفس منقوسة ، تأتي عليها مائة سنة » . رواه مسلم .

وفي الصحيحين ، عن ابن عمر مثله ، قال ابن عمر ، وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى ، قال : فتذاكروا أمر الساعة ، قال : فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال : لا علم لي بها . فردوا [أمرهم] إلى موسى ، فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلى عيسى ، فقال عيسى : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج ، قال : ومعني قضيبان ، فإذا رأيتهما ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله عز وجل إذا رأيتهما ، حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم ، إن تحتي كافراً فتعال فاقتله قال : فيهلكهم الله عز وجل ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حذب ينسلون ، فيطئون بلادهم ، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم ، فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم ، حتى تجوي الأرض من نتن ريحهم - أي : تثن - قال : فينزل الله المطر ، فيجترق أجسادهم حتى يقذفهم في البحر .

قال أحمد : قال يزيد بن هارون : ثم تنسف الجبال ، وتمد الأرض مد الأديم - ثم رجع إلى حديث هشيم قال : ففيما عهد إلى ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك ، فإن الساعة كالحامل المم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادها ليلاً أو نهاراً .

ورواه ابن ماجه ، عن بNDAR عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب بسنده ، نحوه^(٣٧) .

فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين ، ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين ، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها ، لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذاً لأحكام رسول الله ﷺ ، ويقتل المسيح الدجال ، ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج بركة دعائه ، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به .

(٣٧) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٧٥) وسنن ابن ماجه (ج ٢ ص ١٣٦٥) ومؤثر بن عفازة قال الحافظ فيه في التقریب : مقبول اهـ .

لكن لبعض ألفاظ الحديث شواهد أخرى تدل على ثبوته والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا عبيد الله بن إباد بن لقيط قال : سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال : « علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن سأخبركم بمشاريطها ، وما يكون بين يديها : إن بين يديها فتنة وهرجاً » . قالوا : يا رسول الله ، الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو ؟ قال : « بلسان الحبشة : القتل . قال : ويلقى بين الناس التناكر ، فلا [يكاد] أحد يعرف أحداً^(٣٨) » لم يروه أحد من أصحاب الكتب [الستة] من هذا الوجه .

وقال وكيع : حدثنا ابن أبي خالد ، عن طارق بن شهاب ، قال : كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ... ﴾ الآية . ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . وهذا إسناد جيد قوي .

فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم - صلوات الله عليه وسلامه - نبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والعاقب والمقفي ، والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه ، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما : « بعثت أنا والساعة كهاتين^(٣٩) » وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها - ومع هذا كله قد أمر الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها ، فقال : ﴿ قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سُنْكَثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب ، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه ، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ ، قال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ ، قال : لو كنت أعلم متى أموت ، لعملت عملاً صالحاً .

(٣٨) الحديث في المسند (ج ٥ ص ٣٨٩) .

(٣٩) الحديث في صحيح البخاري (ج ٩ ص ٤٣٩) ومسلم (ج ٢ ص ٥٩٢) .

وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد . وقال مثله ابن جريج .

وفيه نظر ، لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة ^(٤٠) - وفي رواية - كان إذا عمل عملاً أثبتته ^(٤١) ، فجميع عمله كأنه على منوال واحد ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله ، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك ، والله أعلم .

والأحسن في هذا ما رواه الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ ، أي : من المال - وفي رواية : لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه ، فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه [وما مسني سوء ، قال] : ولا يصيبني الفقر ^(٤٢) .

وقال ابن جرير : وقال آخرون معنى ذلك : لو كنت أعلم الغيب ، لأعددت للسنة المجدة من الخصب ، ولعرفت الغلاء من الرخص ، فاستعددت له من الرخص .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ وما مسني سوء ﴾ ، قال : لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون ، واتقيته ^(٤٣) .

ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير ، أي : نذير من العذاب ، وبشير للمؤمنين بالجنات ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسِرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَنَبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتَنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ ^(٤٤) .

* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ

(٤٠) يشير إلى الحديث الذي في صحيح البخاري (ج ٤ ص ٢٣٥) ومسلم (ج ١ ص ٥٤١) عن عائشة رضي الله عنها .

(٤١) هذه الرواية في الموضع المشار إليه آنفاً من صحيح مسلم .

(٤٢) الضحاك هو ابن مزاحم ، صدوق كثير الإرسال ولم يسمع من ابن عباس فالأثر منقطع .

(٤٣) الأثر في الطبري (ج ١٣ ص ٣٠٢) وسنده صحيح إليه .

(٤٤) قلت : وهذه الآية : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ إلخ ، فيها رد على من أطرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفع على المرتبة التي جعلها الله له وهو كسائر البشر إلا أن الله عز وجل قد خصه بأشياء لا يجوز أن تزيد فيها ولا تنقص وأعظم من تجاوز الحدود في إطرائه عليه الصلاة والسلام هم الصوفية الذين قاربوا منزلته من الله ويسألون منه العفو والمغفرة والرحمة في الآخرة ويجعلون له أياماً معدودة وأوقاتاً معدودة ويجمعون فيها لذكر الله ورسوله كما يزعمون ويأتون بأذكار ما أذن بها الشرع وما عهدت في زمن الصحابة أو التابعين ، ويأكلون في احتفالاتهم القات ويشربون الدخان ثم تسمع في هذا الحال دندنة لا تفقه . فهل هذا تأدب مع ذكر الله ؟ تعالى الله عما يفعلون . ونسأل الله أن يريهم الحق ويهديهم أو أن يظهر المسلمين منهم .

حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ لَهُ شُرَكَاءَ
فِيمَاءِ اتَّهَمَاءُ فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجه حواء ، ثم
انتشر [الناس] منهما ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها ... ﴾ الآية .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ ، أي : ليألفها ويسكن
بها ، كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم
مودة ورحمة ﴾ ، فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل
بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه .

﴿ فلما تغشاها ﴾ ، أي : وطئها ﴿ حملت حملاً خفيفاً ﴾ ، وذلك أول الحمل ، لا تجد
المرأة له ألماً ، إنما هي النطفة ، ثم العلقة ثم المضغة .

وقوله : ﴿ فمرت به ﴾ ، قال مجاهد : استمرت بحمله . وروي عن الحسن ، وإبراهيم
النخعي ، والسدي ، نحوه ^(٤٥) .

وقال ميمون بن مهران ، عن أبيه : استخفته .

وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله : ﴿ فمرت به ﴾ قال : لو كنت رجلاً عربياً لعرفت
ما هي ؟ إنما هي : فاستمرت به .

وقال قتادة : ﴿ فمرت به ﴾ ، استبان حملها .

وقال ابن جرير : استمرت بالماء ، قامت به وقعدت .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : استمرت به ، فشكت : أحملت أم لا ؟ .

(٤٥) هذه الآثار في الطبري (ج ١٣ ص ٣٠٤) وإليك تفصيلها : فأما أثر مجاهد فمن طريق ابن أبي نجيح عنه
ولم يسمع منه التفسير ، وأما الحسن فمن طريق ابن وكيع وهو ضعيف ، وأما إبراهيم فلم أجد أثره ، وأما
السدي فعنه أسباط وهو ابن نصر مختلف فيه والراجح ضعفه .

﴿ فلما أثقلت ﴾ ، أي : صارت ذات ثقل بحملها .

وقال السدي : كبر الولد في بطنها .

﴿ دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً ﴾ ، أي : بشراً سوياً ، كما قال الضحاك ، عن ابن عباس : أشفقا أن يكون بهيماً .

وكذلك قال أبو البختری وأبو مالك : أشفقا أن لا يكون إنساناً .

وقال الحسن البصري : لئن آتيتنا غلاماً .

﴿ لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون ﴾ ، ذكر المفسرون هاهنا آثاراً ، وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك ، إن شاء الله وبه الثقة .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي ﷺ قال : « لما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال : سميه عبد الحارث ، فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث ، فعاش . وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره »^(٤٦) .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن بشار بن دار ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به^(٤٧) .

ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثني ، عن عبد الصمد ، به . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم [عن قتادة] ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ، ولم يرفعه^(٤٨) .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الصمد مرفوعاً ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره ، عن أبي زرعة الرازي ، عن هلال بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعاً .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعاً^(٤٩) .

(٤٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٥ ص ١١) وسيأتي كلام الحافظ على الحديث كما وعد .

(٤٧) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٠٩) .

(٤٨) سنن الترمذي (ج ٥ ص ٢٦٧) .

(٤٩) مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ٥٤٥) .

قلت : « وشاذ » ، هو : هلال ، وشاذ : لقبه . والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به . ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة ، مرفوعاً قاله أعلم^(٥٠) .

الثاني : أنه قد روي من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعاً ، كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه - [و] حدثنا [ابن عليه] ، عن سليمان التيمي - عن أبي العلاء بن الشخير ، عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه « عبد الحارث » .

الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً ، لما عدل عنه .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : ﴿ جعلاً له شركاء فيما آتاهما ﴾ ، قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن : عني بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده - يعني : ﴿ جعلاً له شركاء فيما آتاهما ﴾ .

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولاداً ، فهودوا ونصروا .

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن - رحمه الله - أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ ، لما عدل [عنه] هو ولا غيره ، لا سيما مع تقواه لله وورعه ، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ، من آمن منهم ، مثل : كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم .

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدهم الله ويسميه : « عبد الله » ، « وعبيد الله » ، ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأثاها إبليس وآدم فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش ، قال : فولدت له رجلاً فسماه « عبد الحارث » ، ففيه أنزل الله ، يقول الله : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ إلى قوله : ﴿ جعلاً له شركاء فيما آتاهما ... ﴾ إلى آخر الآية .

(٥٠) وأضيف إلى ذلك : أن هذا الحديث نفسه ذكره الذهبي من منكرات عمر بن إبراهيم كما في الميزان .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : قوله في آدم : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ إلى قوله : ﴿ فمرت به ﴾ ، شكت : أحبلت أم لا ؟ ﴿ فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ ، فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدریان ما يولد لكما ؟ أم هل تدریان ما يكون؟ أهيمة [يكون] أم لا ؟ وزين لهما الباطل ؛ إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا . فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي ، لم يخرج سوياً ، ومات كما مات الأولان فسميا ولدتهما « عبد الحارث » ، فذلك قول الله : ﴿ فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها ... ﴾ الآية .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها ﴾ ، قال : قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها ﴾ آدم ﴿ حملت ﴾ ، فأتاهما إبليس - لعنه الله - فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - فسمياه « عبد الحارث » فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً [ثم حملت الثانية ، فأتاهما أيضاً فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت ، لتفعلن أو لأفعلن - يخوفهما - فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً] ، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً ، فذكر لهما ، فأدركما حب الولد ، فسمياه « عبد الحارث » ، فذلك قوله : ﴿ جعلاً له شركاء فيما آتاها ﴾ . رواه ابن أبو حاتم .

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه ، كمجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وعكرمة . ومن الطبقة الثانية : قتادة ، والسدي ، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد - يعني ابن بشير - عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان ، [فقال لها] : أتطيعيني ويسلم لك ولدك ، سمي « عبد الحارث » ، فلم تفعل ، فولدت فمات ، ثم حملت فقال لها ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالث فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم ، وإلا فإنه يكون بهيمة ، ففهيما فأطاعا .

وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »^(٥١) ، ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام ، فمنها : ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله . ومنها

(٥١) الحديث في صحيح البخاري (ج ٨ ص ١٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ما علمنا كذبه ، بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً . ومنها ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته ، بقوله عليه السلام : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ^(٥٢) ، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » - وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي ، فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال الله : ﴿ فاعلموا أن الله عما يشركون ﴾ ، ثم قال :

أَيْشِرُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا
وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ
﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُكُمْ أَمْ
أَمَرْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ
فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَجْعَلْ يَمِينُكُمْ
أَمْ لَكُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أُذُنٌ يُسْمَعُونَ بِهَا
قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ
الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، من الأنداد والأصنام والأوثان ، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة ، لا تملك شيئاً من الأمر ، ولا تضر ولا تنفع ، ولا تنتصر لعبادها ، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر ، وعابدها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ، ولهذا قال : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾ ، أي : أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين

(٥٢) الحديث في صحيح البخاري (ج ٦ ص ٤٩٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴿ أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آهتهم كلها ما استطاعوا خلق ذبابة ، بل لو استلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطارت ، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها ، فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟. ولهذا قال تعالى : ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ ، أي : بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل : ﴿ أعبدون ما تنحون ... ﴾ الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ ولا يستطيعون لهم نصراً ﴾ ، أي : لعابديهم ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ ، يعني : ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء ، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة ، كما أخبر تعالى عنه في قوله : ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾ ، وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما - وكنا شابين قد أسلما [لما] قدم رسول الله ﷺ المدينة - فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل ، ليعتبر قومهما بذلك ، ويرتأوا لأنفسهم ، فكان لعمر بن الجموح - وكان سيداً في قومه - كان له صنم يعبده ويطيعه ، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ، ويلطخانه بالعدرة ، فيجىء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيعه ويضع عنده سيفاً ، ويقول له : « انتصر » ، يعودان لمثل ذلك ، ويعود إلى صنيعه أيضاً ، حتى أخذه مرة فقرنا معه جرو كلب ميت ، ودلياه في جبل في بئر هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك ، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل ، وقال :

ثَالله لَوْ كُنْتُ إِلهًا مُسْتَدَنَ لَمْ تَكُ وَالْكَلْبُ جَمِيعًا فِي قَرْنٍ

ثم أسلم فحسن إسلامه ، وقتل يوم أحد شهيداً ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنة الفردوس مأواه^(٥٣) .

وقوله : ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم ... ﴾ . الآية ، يعني : أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، وسواء لديها من دعاها ومن دحأها ، كما قال إبراهيم : ﴿ يا أبت ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ؟ .

ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها ، أي : مخلوقات مثلهم ، بل الأناسي أكمل منها ، لأنها تسمع وتبصر وتبطنش ، وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك .

وقوله : ﴿ قل ادعوا شركاءكم ... ﴾ الآية ، أي : استنصروا بها علي ، فلا تؤخروني طرفة عين ، واجهدوا جهدكم ! ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ ، أي : الله

(٥٣) قصة عمرو بن الجموح ذكرها المؤرخون في تراجمه بنحو من هذا الذكر ومن شاء الوقوف عليها فلينظر الإصابة وأسد الغابة وسير أعلام النبلاء وسيرة ابن هشام .

حسبي وكافي ، وهو نصيري ، وعليه متكلي ، وإليه ألجأ ، وهو وليي في الدنيا والآخرة ، وهو ولي كل صالح بعدي . وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه : ﴿ إِن نَقُول إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ . قَالَ : إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ ، وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وكقول الخليل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ... ﴾ الآيات ، وكقوله لأبيه وقومه : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ... ﴾ إلى آخر الآية ، مؤكد لما تقدم ، إلا أنه بصيغة الخطاب ، وذلك بصيغة الغيبة ، ولهذا قال : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، إنما قال : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ ، أي : يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة ، وهي جماد ، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل ؛ لأنها على صور مصورة كالإنسان ، ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ ، فعبّر عنها بضمير من يعقل .

وقال السدي : المراد بهذا المشركون . وروي عن مجاهد نحوه . والأول أولى ، وهو اختيار ابن جرير ، قاله قتادة .

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذ . وكان هذا قبل أن تنزل « براءة » بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت إليه الصدقات . قاله السدي .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أنفق الفضل .

وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، قال : الفضل .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ : أمره الله بالعفو والصفح

عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم . واختار هذا القول ابن جرير .

وقال غير واحد ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ خذ العفو ﴾ ، قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس - وفي رواية قال : خذ ما عفا لك من أخلاقهم .

وفي صحيح البخاري ، عن هشام ، عن أبيه عروة ، عن أخيه عبد الله بن الزبير قال : إنما أنزل : ﴿ خذ العفو ﴾ من أخلاق الناس . وفي رواية لغيره : عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر . وفي رواية : عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة أنهما قالوا مثل ذلك ، والله أعلم^(٥٤) .

وفي رواية عن سعيد بن منصور ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : ﴿ خذ العفو ﴾ قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم .

وهذا أشهر الأقوال ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً : حدثنا يونس ، حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - عن أمي قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « ما هذا يا جبريل » ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

وقد رواه ابن أبي حاتم أيضاً ، عن أبي يزيد القراطيسي كتابة ، عن أصبغ بن الفرّج ، عن سفيان عن أمي ، عن الشعبي ، نحوه ، وهذا على كل حال مرسل ، وقد روي له شاهد من وجوه آخر ، وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة ، عن النبي ﷺ ، أسندهما ابن مردويه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاع ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه^٢ - قال : لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال . فقال : « يا عقبة صل

(٥٤) صحيح البخاري (ج ٨ ص ٣٠٥) . وقال الحافظ : وصله عبد الرزاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه بهذا . وكذا أخرجه الطبري من طريق السدي وقتادة ، ثم قال بعد :

وقد اختلف عن هشام بهذا الحديث فوصله من ذكرنا عنه وتابعهم عبدة بن سليمان عن هشام عن ابن جرير والطفراوي عن هشام عند الإسماعيلي وخالفهم معمر وابن أبي الزناد وحامد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه من قوله موقوفاً وقال أبو معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير أخرجه سعيد بن منصور عنه وقال عبيد الله بن عمر عن هشام عن أبيه عن ابن عمر أخرجه البزار والطبراني وهي شاذة وكذا رواية حماد ابن سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة عند أبي مردويه وأما رواية معاوية فشاذة أيضاً : مع احتمال أن يكون لهشام فيه شيخان وأما رواية معمر ومن تابعه فمرجوحة بأن زيادة من خالفهما لكونهم حفاظاً اهـ المراد منه .

من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك »^(٥٥) .

وروى الترمذي نحوه ، من طريق عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، به . وقال : حسن .

قلت : ولكن « علي بن يزيد » وشيخه « القاسم أبو عبد الرحمن » فيهما ضعف .

وقال البخاري : قوله : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، « العرف » :

المعروف - حدثنا أبو اليان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله [بن عتبة] : أن ابن عباس قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل علي ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدينهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته - كهولاً كانوا أو شباناً - فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه . قال : سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل [عليه] قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ، قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ . وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل . انفرد بإخراجه البخاري^(٥٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك

ابن أنس ، عن عبد الله بن نافع : أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لأهل الشام وفيها جرس ، فقال : إن هذا منهبي عنه ، فقالوا : نحن أعلم بهذا منك ، إنما يكره الجلجل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به . فسكت سالم وقال : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾^(٥٧) .

وقول البخاري : « العرف » : المعروف ، نص عليه عروة بن الزبير ، والسدي ، وقتادة ،

وابن جرير ، وغير واحد . وحكى ابن جرير أنه يقال : أوليته عرفاً ، وعارفاً وعارفة ، كل ذلك بمعنى : « المعروف »^(٥٨) . قال : وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم ، لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن

(٥٥) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٤٨) وهو قطعة من حديث طويل وسيأتي أن علي بن يزيد والقاسم فيهما ضعف ، وأقول : أما علي بن يزيد فهو ضعيف شديد الضعف وأما القاسم فمختلف فيه والراجح ضعفه .

(٥٦) (ج ٨ ص ٣٠٥) .

(٥٧) الأثر ضعيف فإن عبد الله بن نافع ويقال له : ابن يسار ، مجهول ، كذا قال الحافظ فيه في التقریب .

(٥٨) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٣١) .

الجاهلين ﴿﴾ ، قال : هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ، ودله عليها^(٥٩) .

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى ، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال :
 خُذ العفو وأمرُ يُعرف كَمَا أمرتُ وأعرض عَنِ الجَاهِلِينَ
 وَلَنْ فِي الكَلَامِ لُكْلُ الأَنَامِ فَمُسْتَحْسَنٌ مِنْ ذَوِي الجَاهِ لِينَ

وقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن ، فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يخرجه ، وإما مسيء ، فمره بالمعروف ، فإن تَمَادَى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ [ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها - أي هذه الوصية - إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه هو السميع العليم ﴾ وقال في هذه السورة الكريمة أيضاً : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ ، فهذه الآيات الثلاث في « الأعراف » ، و« المؤمنون » ، و« حم السجدة » ، لا رابع لهن ، فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف والتي هي أحسن ، فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ، [ولهذا قال : ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ . ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به] من شيطان الجان ، فإنه لا يكفه عنك الإحسان ، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية ، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك .

قال ابن جرير في تفسير قوله^(٦٠) : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ : وإما يغضبك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم - ﴿ فاستعذ بالله ﴾ ، يقول : فاستجر بالله من نزغه - ﴿ إنه سميع عليم ﴾ ، يقول : [إن الله الذي تستعذ به من نزغ الشيطان] - سميع لجهل الجاهل عليك ، والاستعاذة به من نزغه ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، لا يخفى عليه منه شيء ، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما نزل : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، قال : [رسول الله ﷺ] : « يا رب ، كيف بالغضب » ؟ ، فأنزل الله : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾^(٦١) .

(٥٩) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٢٢) وسنده حسن .

(٦٠) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٣٣) .

(٦١) الأثر أخرجه ابن جرير (ج ١٣ ص ٣٣٣) بسند صحيح إلى عبد الرحمن لكنه قد رفعه كما ترى ولم يدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل لم يدرك صحابياً أيضاً فيكون الحديث معطلاً . وعبد الرحمن هذا ضعيف كما تقدم .

قلت : وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي ﷺ ، فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزغ غضباً ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقيل له ، فقال : ما بي من جنون ^(١٢) .

وأصل « التمزغ » الفساد ، إما بالغضب أو غيره ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، و « العياذ » الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر ، وأما « الملاذ » ففي طلب الخير ، كما قال : [أبو الطيب] المتنبى .

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ
مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾
فِي الْغَيْثِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر ، وتركوا ما عنه زجر ، أنهم ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ ﴾ ، أي : أصابهم ﴿ طَافٌ ﴾ - وقرأ آخرون : ﴿ طَائِفٌ ﴾ ، وقد جاء فيه حديث ، وهما قراءتان مشهورتان ، فقيل : بمعنى واحد وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب .

وقوله : ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ ، أي : عقاب الله وجزيل ثوابه ، ووعدته ووعيدته ، فتابوا وأنابوا ، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب . ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ، أي : قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه .

(٦٢) الحديث تقدم في (ج ١ ص ٣١) بتحقيق شيخنا وهو حديث صحيح أخرجه البخاري (ج ١٠ ص ٤٦٥) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠١٥) وأبو داود (ج ٥ ص ١٤٠) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه ورواه أبو داود (ج ٥ ص ١٣٩) والترمذي (ج ٥ ص ٥٠٤) والإمام أحمد (ج ٥ ص ٢٤٠) من حديث معاذ بن جبل لكن الراوي له عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى ولم يسمع منه فإن معاذاً مات في خلافة عمر بن الخطاب وقتل عمر رضي الله عنه وعبد الرحمن بن أبي ليلى ابن ست سنين ، هكذا قال الترمذي في سننه ، وهذا نقل بعض ما قال ومن أراد المزيد فليرجع إليه (ج ٥ ص ٥٠٥) فعلى هذا فيكون الحديث صحيحاً عن سليمان بن صرد منقطعاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هاهنا حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يشفيني . فقال : « إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك » . فقالت : بل أصبر ، ولا حساب علي » .

ورواه غير واحد من أهل السنن ، وعندهم : قالت : يا رسول الله ، إني أصرع وأتكشف ، فادع الله أن يشفيني . فقال : « إن شئت دعوت الله أن يشفيك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة ؟ » فقالت : بل أصبر ، ولي الجنة ، ولكن ادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها ، فكانت لا تتكشف . وأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه^(٦٣) .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة « عمرو بن جامع » من تاريخه : أن شاباً كان يتعبد في المسجد ، فهويته امرأة ، فدعته إلى نفسها ، وما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل ، فذكر هذه الآية : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ ، فخر مغشياً عليه ، ثم أفاق فأعادها ، فمات . فجاء عمر فعزى فيه أباه ، وكان قد دفن ليلاً ، فذهب فضلى على قبره بمن معه ، ثم ناداه عمر فقال : يا فتى ، ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ ، فأجابه الفتى من داخل القبر : يا عمر ، قد أعطانيهما ربي ، عز وجل ، في الجنة مرتين^(٦٤) .

وقوله : ﴿ وإخوانهم ﴾ ، أي : وإخوان الشياطين من الإنس ، كقوله : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم ﴿ يمدونهم في الغي ﴾ ، أي : تساعدهم الشياطين على المعاصي ، وتسهلها عليهم وتحسنها لهم .

(٦٣) الحديث في مستدرك الحاكم (ج ٤ ص ٢١٨) وقد أخرجه البخاري (ج ١٠ ص ١١٤) ومسلم (ج ٤ ص ١٩٩٤) لكن من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٦٤) ليس عندنا من تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر إلا ستة أجزاء وصل فيها إلى العبادلة أما بالنسبة لتقوى الله عند وقوع المعصية والاقتراب منها فيمكن أن يستشهد لذلك بما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما في الثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى غار فدخلوه فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم غارهم فقالوا : لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فدعى كل واحد منهم بدعوة صالحة فكان من دعائهم قول ثانيهم : اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكانت أحب الناس إلي ، وفي رواية كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجئتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها وفي رواية لما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تقض الخاتم إلا بحقه فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . وكان بعد إتمام دعاء الثلاثة انفراج الصخرة فخرجوا يمضون .

وقال ابن كثير : « المد » الزيادة . يعني : يزيدونهم في الغي ، يعني : الجهل والسفه^(٦٥) .
﴿ ثم لا يقصرون ﴾ ، قيل : معناه : إن الشياطين تمد ، والإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك .
كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ ،
قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون [من السيئات] ، ولا الشياطين تمسك عنهم .
وقيل : معناه كما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ ، قال : هم الجن ، يوحون إلى أوليائهم من الإنس ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ ، يقول : لا يسأمون .

وكذا قال السدي وغيره : يعني أن الشياطين يمدون أولياءهم من الإنس ولا تسأم من إمدادهم في الشر ؛ لأن ذلك طبيعة لهم وسجية ، لا تفتر فيه ولا تبطل عنه ، كما قال تعالى : ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : ترعجهم إلى المعاصي إزعاجاً .

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ
إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قالوا لولا اجتبيتها ﴾ ، يقول : لولا تلقيتها - وقال مرة أخرى : لولا أخذتها فأنشأتها .

وقال ابن جرير ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ﴾ ، قال : لولا اقتضبتها ، قالوا : تخرجها من نفسك . وكذا قال قتادة ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ لولا اجتبيتها ﴾ ، يقول : تلقيتها من الله عز وجل .

وقال الضحاك : ﴿ لولا اجتبيتها ﴾ ، يقول : لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإذا لم تأتهم بآية ﴾ ، أي : معجزة وخارق ، كما قال تعالى : ﴿ إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ، يقولون للرسول ﷺ : ألا تجهد

(٦٥) أثر ابن كثير واسمه عبد الله في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٣٨) إلى (٣٣٩) من طريق الحسين بن داود المعروف بسنيد وقد تقدم الكلام عليه مرات .

نفسك في طلب الآيات حتى نراها ونؤمن بها ، قال الله تعالى له : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ ، أي : أنا لا أتقدم إليه تعالى في [شيء] ، وإنما أتبع ما أمرني به فأمثل ما يوحى به إلي ، فإن بعث آية قبلتها ، وإن منعها لم أسأله ابتداء إياها ؛ إلا أن يأذن لي في ذلك ، فإنه حكيم عليم .

ثم أرشدكم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيانات ، فقال : ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

تُرْجَمُونَ ﴿٣٠٤﴾

لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة ، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً ، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ ، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا »^(٦٦) ، وكذلك رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة ، وصححه مسلم بن الحجاج أيضاً ، ولم يخرج في كتابه^(٦٧) . وقال إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه

(٦٦) الحديث في صحيح مسلم (ج ١ ص ٣٠٤) .

قلت : هذا الحديث رواه جمع من الثقات عن قتادة بدون ذكر هذه الزيادة التي هي (وإذا قرأ فأنصتوا) ورواه سليمان التيمي عنه بذكرها وقد انتقد الدارقطني مسلماً في إيرادها كما في التبع (ص ٢٣٩ - ٢٤١) بتحقيق شيخنا أبي عبد الرحمن ، ونقل شيخنا هناك عن النووي أن هذه زيادة نص الحافظ على أنها غير محفوظة . وقال النووي رحمه الله بعد ذكر كلامهم : واجتماع هؤلاء الحفاظ على تضعيفها مقدم على تصحيح مسلم اه مختصراً من الإلزامات والتبع ومن أراد المزيد فليرجع ليستفيد .

(٦٧) صحيح مسلم (ج ١ ص ٣٠٤) وفيه أن أبا بكر ابن أخت أبي النظر سأل مسلماً عن حديث أبي هريرة يعني (وإذا قرأ فأنصتوا) فقال : هو عندي صحيح فقال : لم لم تضعه هاهنا قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا ، إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه اه .

قلت : حديث أبي هريرة الذي عرفت أن مسلماً صححه رواه أبو داود (ج ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٥) والنسائي (جزء ٢ ص ١٤١ - ١٤٢) وابن ماجه (ج ١ ص ٢٧٦) ، كلهم من طريق محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة ، فروى أبو خالد الأحمر عن محمد بن عجلان الحديث بذكر (وإذا قرأ فأنصتوا) وهذه اللفظة وهم من أبي خالد فقد خالف غيره ممن روى عن محمد بن عجلان وقد ذكر نحو هذا الحفاظ الأقدمون ونقل عنهم الشيخ / ربيع بن هادي في كتابه : (بين الإمامين مسلم والدارقطني) نحو هذا ، ورجح هذا الترجيح ولا سعة لنقل قولهم وقوله فمن شاء فليرجع للكتاب المذكور وقد ذكر فوائد أخرى لاثقة بالرجوع إليها وجديرة بالوقوف عليها .

الآية :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ ، والآية الأخرى ، أمروا بالإِنْصَاتِ ^(٦٨) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع ، قال ابن مسعود : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة [سلام على فلان ، وسلام على فلان] فجاء القرآن : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(٦٩) .

وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن بشير بن جابر قال : صلى ابن مسعود ، فسمع ناساً يقرأون مع الإمام ، فلما انصرف قال : أما أن لكم أن تفهموا ؟ أما أن لكم أن تعقلوا ؟ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ، كما أمركم الله ^(٧٠) .

قال : وحدثني أبو السائب ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في فتي من الأنصار ، كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن ، من حديث الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة ، فقال : « هل قرأ أحد منكم معي آنفاً ؟ » [قال رجل : نعم يا رسول الله . قال : « إني أقول : ما لي أنازع القرآن »] قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة من الصلوات ، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ ^(٧١) .

(٦٨) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٤٥) وقال الشيخ محمود شاكر : هذا خبر ضعيف الإسناد لضعف إبراهيم الهجري .

(٦٩) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٤٥) ورجاله كلهم ثقات سوى عاصم وهو ابن بهدلة ويقال له : ابن أبي النجود فإنه حسن الحديث لكن المسيب بن رافع لم يلق ابن مسعود فيكون منقطعاً .

(٧٠) بشير بن جابر هذا صوابه : يسير بن جابر وقد بقيت حيناً من الدهر أبحث عنه في بشير بن جبر فلم أجده ولا من يسمى باسمه ولقد يئست من العثور على ترجمته حتى اهتديت في آخر الأمر إلى قول لمحمود شاكر بأن اسمه في المخطوطة (سر) غير منقوط ، ثم أعود إلى التهذيب فأجده فيه بالاسم المصوب روى له الشيخان وله رؤية فله الحمد والمنة .

(٧١) هذا الحديث أخرجه أبو داود (ج ١ ص ٥١٦) والترمذي (ج ٢ ص ١١٨) ، والنسائي (ج ٢ ص ١٤٠) وابن ماجه (ج ١ ص ٢٧٦-٢٧٧) والإمام أحمد (ج ٢ ص ٣٠١-٣٠٢) وهو حديث صحيح . ومسألة القراءة خلف الإمام مسألة اختلف فيها العلماء وتنازع فيها القدماء فذهب قوم إلى أن المأموم يقرأ خلف الإمام إذا أسر ولا يقرأ إذا جهر وهذا قول مالك وابن القاسم وغيرهما وذهب آخرون إلى أنه يقرأ في حالين سواء جهر الإمام أو أسر وبه قال البخاري وألف كتاباً في ذلك مشهور بجزء القراءة خلف الإمام والمبارك فوري وله كتاب سماه : تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام ، والشافعي إلا أن قوله مقيد بالقراءة إن جهر الإمام في سكنته وقال قوم لا يقرأ في الحالين وهذه المسألة تكلم عنها الإمام الظاهري =

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وصححه أبو حاتم الرازي .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري قال : لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به الإمام ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته ، ولكنهم يقرعون فيما لا يجهر به سرّاً في أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّاً ولا علانية ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

قلت : هذا مذهب طائفة من العلماء : أن المأموم لا يجب في عليه الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الإمام لا الفاتحة ولا غيرها ، وهو أحد قولي الشافعي ، وهو القديم كمذهب مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل ، لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة . وقال في الجديد : يقرأ الفاتحة فقط في سككات الإمام ، وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل : لا يجب على المأموم قراءة أصلاً في السرية ولا الجهرية ، لما ورد في الحديث : « من كان له إمام فقراءته له قراءة » . وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعاً ، وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان ، عن جابر موقوفاً ، وهذا أصح . وهذه المسألة مبسطة في غير هذا الموضع ، وقد = أبو محمد بن حزم في محله (ج ٣ ص ٢٣٦) مسألة رقم (٣٦٠) كلاماً طويلاً ورجح أن المأموم يقرأ أم القرآن في الحالتين الجهر والإسرار .

قلت : - وهذا القول أرجح الأقوال وأقواها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

ولما روي عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لعلكم تقرأون والإمام يقرأ » قالوا ثلاثاً ، قالوا : إنا لنفعل ذلك يا رسول الله ، قال : « لا تفعلوا إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب لنفسه » ، نقل هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي وقال بعد إيراده : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ويؤيد القول الذي رجحته أدلة أخرى وآثار عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، ذكرها ابن حزم في الموضع المشار إليه آنفاً ، وأما الأحاديث التي استدلل بها المخالفون فإن صريحها ليس صحيحاً وصريحها ليس صريحاً فحديث : « من كان له إمام فقراءته الإمام له قراءة » حديث لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص على ذلك جمع من الأئمة والحفاظ ، فقد قال البخاري في كتابه المتقدم ذكره : (هذا خبر لم يثبت عند أهل العلم من أهل الحجاز وأهل العراق لإرساله وانقطاعه) وقال ابن حجر في الفتح : (ضعيف عند جميع الحفاظ وقد استوعب طرده وعلمه الدارقطني وغيره) ولو لم يكن ضعفه إلا البخاري لكفى فكيف وقد تابعه على ذلك جمع من الحفاظ ، وأما حديث : « وإذا قرأ فأنصتوا » فقد تقدم أن هذه الزيادة شاذة خالف سليمان التيمي جمعاً من الحفاظ الثقات فزادها ولم يذكرها وبقيت أحاديث صريحة لكنها واهية لا تستحق الذكر ، وأما الأحاديث التي صحت ولم تصرح فمنها حديث أبي هريرة المتقدم تخريجه وفيه « وإني أقول ما لي أنزع القرآن ... » إلخ والآية القرآنية : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ فأما الحديث فله احتمالان أحدهما : أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى القارئ عن القراءة أي عن الجهر بها ، فلهذا قال : « ما لي أنزع القرآن » والثاني : أنه نهاهم عن القراءة بغير فاتحة الكتاب للأمر بالقراءة بها وأما الآية فإنها عامة مخصوصة .

أفرد لها الإمام أبو عبد الله البخاري مصنفاً على حدة ، واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضاً ، والله أعلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ، يعني : في الصلاة المفروضة . وكذا روي عن عبد الله بن المغفل .

وقال ابن جرير : حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا الجريري ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقص يقص ، فقلت : ألا تسمعان إلى « الذكر » وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلي ، ثم أقبلتا على حديثهما . قال : فأعدت ، فنظرا إلي ، وأقبلتا على حديثهما . قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلى فقالا : إنما ذلك في الصلاة : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ، فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾^(٧٢) .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ، قال : في الصلاة . وكذا رواه غير واحد عن مجاهد^(٧٣) .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم^(٧٤) .

وكذا قال سعيد بن جبير ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، والشعبي ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بذلك في الصلاة^(٧٥) .

وقال شعبة ، عن منصور ، سمعت إبراهيم بن أبي حرة يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ، قال : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة^(٧٦) : وكذا روى ابن جريج ، عن عطاء ، مثله^(٧٧) .

(٧٢) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٤٦) وإسناده حسن وسعيد بن إياس الجريري وإن اختلط في آخر عمره فإن تلميذه بشراً هذا سمع منه قبل الاختلاط والله أعلم .

(٧٣) أثر مجاهد في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٤٧) وسنده صحيح .

(٧٤) الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ٣٤٩) وليث هو ابن أبي سليم ضعيف .

(٧٥) هذه الآثار كلها في الطبري (ج ١٣ ص ٣٤٧) فما بعد . وإليك الحكم على مدى صحتها بأسانيد ابن جرير : فأما أثر سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وعامر الشعبي فمن طريق سفيان بن وكيع وهو ضعيف ، وأما أثر السدي فعنه أسباط وقد تقدم أن هذا السند لا يعتمد عليه ، فصح من هذه الآثار أثر قتادة وابن زيد فحسب والله أعلم .

(٧٦) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ٣٥١) وإبراهيم بن أبي حرة هو في الطبري إسماعيل بن حمزة وهو خطأ ، والصواب الذي بين أيدينا . وقد ذكره الذهبي في الميزان كما في ابن كثير وأما حاله فقال الذهبي في الميزان : ضعفه الساجي ولكن وثقه ابن معين وأحمد وأبو حاتم وزاد : لا بأس به .

(٧٧) أثر عطاء في ابن جرير وسنده هناك : قال : حدثنا ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب قال =

وقال هشيم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : في الصلاة وعند الذكر^(٧٨) .
وقال ابن المبارك ، عن بقية : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول
في قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ، قال : الإنصات يوم الأضحى ، ويوم
الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة^(٧٩) .

وهذا اختيار ابن جرير أن المراد بذلك خلف الإمام وحال الخطبة .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف
أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئاً ، قال : السكوت^(٨٠) .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : إذا جلست إلى القرآن فأنصت له^(٨١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن ميسرة ، عن الحسن ،
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله ، كتبت
له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » . تفرد به أحمد ، رحمه الله^(٨٢) .

وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ
مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ لَا يَسْنُكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَجِونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٣٦﴾

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره ، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله : ﴿ وسبح ﴾

= حدثني ابن جريج .. إلخ ، وإليك تراجمهم : فأما ابن البرقي فهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعيد
الزهري قال النسائي : لا بأس به ، وقال ابن يونس : ثقة ، ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي وأما ابن أبي
مريم فهو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم ثقة ثبت فقيه ، ترجمته في التهذيب ويحيى بن أيوب هو الغافقي
قال الحافظ في التقريب : صدوق ربما أخطأ وابن جريج معروف .

(٧٨) أثر الحسن في الطبري (ج ١٣ ص ٣٥٢) وشيخه فيه هو المشي ولم نعرف ترجمته والربيع بن الصبيح
هو البصري قال الإمام أحمد وغيره : لا بأس به وقال ابن المديني : هو عندنا صالح وليس بالقوي وضعفه
بعضهم والذي يظهر لي والله أعلم أنه ممن يقبل حديثه ويحتج به .

(٧٩) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٣) (ص ٣٥١) وشيخ الطبري فيه المشي أيضاً .

(٨٠) ليث هو ابن أبي سليمة تقدم أنه ضعيف .

(٨١) مبارك بن فضالة مدلس ولم يصرح بالتحديث .

(٨٢) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٣٤١) وعباد بن ميسرة هذا لين الحديث والحسن هو البصري لم يسمع
من أبي هريرة بل ذكر أنه ما رآه قط ، راجع إن شئت جامع التحصيل .

بمحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴿٢٠٥﴾ . وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، وهذه الآية مكية .

وقال هاهنا بالغدو - وهو أوائل النهار : « والآصال » : جمع أصيل ، كما أن الأيمان جمع

يمين .

وأما قوله : ﴿ تضرعاً وخيفة ﴾ ، أي : اذكر ربك في نفسك رهبة ورغبة ، وبالقول لا جهرًا ، ولهذا قال : ﴿ ودون الجهر من القول ﴾ . وهكذا يستحب أن يكون الذكر ، لا يكون نداء وجهرًا بليغًا ، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا : أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ^(٨٣) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي ﷺ : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إن الذي تدعونه سميع قريب » ^(٨٤) .

وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ ، فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، فأمره الله تعالى أن لا يجهر به ، لئلا ينال منه المشركون ، ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعونهم ، وليتخذ سبيلاً بين الجهر والإسرار . وكذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين ﴾ .

وقد زعم ابن جرير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قبله : أن المراد بهذه الآية : أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة . وهذا بعيد مناف للإنصات للمأمور به ، ثم المراد بذلك في الصلاة ، كما تقدم ، أو الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان ، سواء كان سرًا أو جهرًا ، فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه ، بل المراد : الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال ، لئلا يكونوا من الغافلين . ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون بالليل والنهار لا يفترون ، فقال : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ... ﴾ الآية . وإنما ذكرهم بهذا ليتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم . ولهذا شرع لنا السجود هاهنا لما ذكر سجودهم لله ، عز وجل ، كما جاء في الحديث : « ألا تصفون كما تصف [الملائكة] عند ربها ، يتمون الصفوف الأول ، ويتراصون في الصف » ^(٨٥) .

(٨٣) الحديث تقدم سنده في سورة البقرة ، عند قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ الآية ، من طريق الصلت بن حكيم وهو مجهول ذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان وذكر هذا الحديث في

ترجمته .

(٨٤) الحديث في صحيح البخاري (ج ١١ ص ١٨٧) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٧٦) .

(٨٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (ج ١ ص ٣٢٢) من حديث جابر بن سمرة .

وهذه أول سجدة في القرآن ، مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع . وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه ، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ أنه عدها في سجديات القرآن^(٨٦) .
آخر سورة الأعراف ، والله الحمد والمنة .

(٨٦) الحديث في سنن ابن ماجه (ج ١ ص ٣٣٥) وهو ضعيف لأن في سننه عثمان بن فائد وقد ضعفوه .



تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية ، آياتها سبعون وست آيات . كلماتها ألف كلمة ، وستائة كلمة ، وإحدى وثلاثون كلمة . حروفها خمسة آلاف ومائتان ، وأربعة وتسعون حرفاً ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا
ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①

قال البخاري : قال ابن عباس : « الأنفال » الغنائم - : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر^(١) ، أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنه قال : « الأنفال » الغنائم ، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ، ليس لأحد منها شيء^(٢) . وكذا قال مجاهد وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد أنها الغنائم^(٣) .

- (١) أثر ابن عباس في البخاري (ج ٨ ص ٣٠٥) .
- (٢) ضابط المعلق هو : أن يحذف المؤلف شيخه فأكثر وأما أثر ابن عباس هذا في سبب نزولها فهو أثر صحيح ذكره له الحافظ ابن حجر في تعليق التعليق طرقاً صحيحة من شاء النظر إليها فليراجع الكتاب المذكور (ج ٤ ص ٢١٥) وقد ذكر هذا شيخنا أبو عبد الرحمن في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول) وذكر سبباً آخر عن مصعب بن سعد عن أبيه وهو الذي سيذكره الحافظ بعد قليل ، ثم قال أبو عبد الرحمن بعد ذكر السببين : ولا تنافي بين السببين إذ لا مانع أن تكون الآية نزلت في الجميع والله أعلم .
- (٣) هذه الآثار وجدت بعضها في الطبري (ج ١٣ ص ٣٦١) إلى (٣٦٢) وإليك الكلام على أسانيدنا : أما أثر مجاهد فله هناك سندان أحدهما من طريق ابن أبي نجيح عنه ولم يسمع منه والثاني شيخ الطبري فيه المثني ولم أعرف ترجمة له وأما أثر عكرمة والضحاك فكلهما من طريق سفيان بن وكيع هو ضعيف ، وللضحاك =

وقال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه قال : « الأنفال » : الغنائم^(٤) ، قال فيها لبيد :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْشِي وَعَجَلُ

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن « الأنفال » ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : الفرس من النفل ، والسلب من النفل . ثم عاد لمسأله ، فقال ابن عباس ذلك أيضاً . ثم قال الرجل : « الأنفال » التي قال الله في كتابه ، ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يخرج به ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ، مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب^(٥) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال : لا أمرك ولا أنهاك ، ثم قال ابن عباس : والله ما بعث الله نبيه ﷺ إلا زاجراً آمراً محلاً محرماً - قال القاسم : فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه . فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب ، حتى سالت الدماء على عقبه - أو على : رجله - فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه ، بعد قسم أصل المغنم ، وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل ، والله أعلم . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾^(٦) .

= طريق أخرى قال فيها ابن جرير : حدثت (بالبناء للمجهول) عن الحسين بن الفرج فلا ندري من حدثه عنه ومع هذا فالحسين بن الفرج كذاب يسرق الحديث ، هكذا قال ابن معين فيه وذكره الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان وأما أثر قتادة فإسناده حسن وكذا أثر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فإنه صحيح ، وأما عطاء الخراساني فعنه ابن جريج ولم يسمع التفسير منه وإنما سمعه من ابنه عثمان وهو ضعيف ، وأما أثر مقاتل فلم أجده ذكره مع أنني لم أجتهد في البحث عنه لأني لا أهتم بالأثر كما أهتم بالحديث .

(٤) الكلبي هذا اسمه محمد بن السائب لا يحتاج بحديثه فقد كذبه جمع من أئمة الجرح والتعديل وتركوا الرواية عنه وذموه وقد قيل إنه ترك لفرطه في التشيع ، والشيعه آية في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو معروف لدى الأمة إلا هم .

(٥) هذا الأثر والآتي بعده في الطبري (ج ١٣ ص ٣٦٤) وسيأتي قول الحافظ أن لهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وهو كما قال .

(٦) تقدم أن ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد .

وقال ابن مسعود ومسروق : لا نفل يوم الزحف ، إنما النفل قبل التقاء الصفوف . رواه ابن أبي حاتم عنهما .

وقال ابن المبارك وغير واحد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ ، قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال ، من دابة أو عبد أو أمة أو متاع ، فهو نفل للنبي ﷺ يصنع به ما يشاء^(٧) .

وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء ، وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : هي أنفال السرايا :

حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا علي بن صالح بن حي قال : بلغني في قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ ، قال : السرايا .

ويعني هذا ما ينقله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش ، وقد صرح بذلك الشعبي ، واختار ابن جرير أنها الزيادات على القسم ، ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية ، وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن محمد بن عبد الله الثقفي ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر ، وقتل أخو عمير ، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمى « ذا الكتيفة » ، فأتيت به نبي الله ﷺ ، فقال : « اذهب فاطرحه في القبض » . قال : فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخو وأخذ سلمي ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله ﷺ : « اذهب فخذ سيفك » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا أبو بكر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك قال : قال : يا رسول الله ، قد شفاني الله اليوم من المشركين ، فهب لي هذا السيف . فقال : « إن هذا السيف لا لك ولا لي ، ضعه » . قال : فوضعته ، ثم رجعت قلت : عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلي بلأني ! قال رجل يدعوني من ورائي ، قال : قلت : قد أنزل الله في شيئاً ؟ قال : « كنت سألتني السيف ، وليس هو لي وإنه قد وهب لي ، فهو لك » . قال : وأنزل الله هذه الآية ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ . ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي من طرق ، عن أبي بن عيَّاس^(٨) ، به . وقال

(٧) هذا الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٦٥) وشيخ الطبري فيه أحمد بن إسحاق وهو ابن عيسى الأهوازي صدوق عن أبي أحمد وهو محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي ثقة ثبت وترجمة الرجلين في التقريب عن ابن المبارك به وبقية رجاله معروفون .

(٨) الصواب عن أبي بكر بن عيَّاش كما في النسخ الأخرى .

الترمذي : حسن صحيح^(٩) .

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي : أخبرنا شعبة ، أخبرنا سماك بن حرب ، قال : سمعت مصعب ابن سعد ، يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات : أصبت سيفاً يوم بدر ، فأثبت النبي ﷺ فقلت : نفلنيه . فقال : « ضعه من حيث أخذته » ، مرتين ، ثم عاودته فقال النبي ﷺ : « ضعه من حيث أخذته » . فنزلت هذه الآية : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ .

وتمام الحديث في نزول :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر ﴾ ، وآية الوصية . وقد رواه مسلم في صحيحه ، من حديث شعبة ، به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف ابن عائد يوم بدر ، وكان السيف يدعى بالمرزبان ، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يسأله ، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فسأله رسول الله ، فأعطاه إياه .

ورواه ابن جرير من وجه آخر .

(سبب آخر في نزول الآية)

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ، عن سليمان ابن موسى ، عن مكحول عن أبي أمامة قال : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : فينا - أصحاب بدر - نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء - يقول : عن سواء .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا معاوية بن عمرو أخبرنا أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث ابن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي ﷺ ، فشهدت معه بدرأ ، فالتقى الناس ، فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه . وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها ، فليس لأحد فيها نصيب . وقال الذين خرجوا في طلب العدو :

(٩) مسند أحمد (ج ١ ص ١٧٨) وسنن أبي داود (ج ٣ ص ١٧٧) والترمذي (ج ٥ ص ٢٦٨) أشار الحافظ المزني في الأطراف إلى النسائي في السنن الكبرى وسيأتي أن مسلماً أخرجه وذلك في (ج ٤ ص

لستم بأحق به منا ، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم . وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ : [لستم بأحق بها منا ، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ] ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة ، فاشتغلنا به ، فنزلت : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ ، فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين - وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل ، وكل الناس راجعاً ، نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال ويقول : « ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم » .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن . رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن الحارث ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وروى أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه - واللفظ له - وابن حبان ، والحاكم من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » ، فتسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت المغام ، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ؛ فإننا كنا رداءً لكم لو انكشفتم لفتم إينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ إلى قوله : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

وقال الثوري ، عن الكلبي^(١) ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : « من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا » . فجاء أبو اليسر بأسيرين ، فقال : يا رسول الله ، وعدتنا ، فقام سعد بن عباد فقال : يا رسول الله ، إن أعطيت هؤلاء ولم يبق لأصحابك شيء ، وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر ، ولا جبن عن العدو ، وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك نخاف أن يأتوك من ورائك ، فتشاجروا ، ونزل القرآن : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ ، قال : ونزل القرآن : ﴿ واعلموا أنما غنمنا من شيء فأن لله خمسة ﴾ إلى آخر الآية .

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، رحمه الله ، في كتاب « الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصاريفها » : أما الأنفال فهي المغام ، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولى إلى النبي ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ ، فقسمها يوم بدر على ما أَرَادَهُ الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد . ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس ، فنسخت الأولى .

قلت : هكذا روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، سواء . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ،

(١٠) تقدم أن الكلبي محمد بن السائب كذاب مفرط (بسكون الفاء) في التشيع لا يحتج به ولا كرامة .

والسدي .

وقال ابن زيد : ليست منسوخة بل هي محكمة .

قال أبو عبيد : وفي ذلك آثار ... والأنفال أصلها جمع الغنائم ، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب ، وجرت به السنة . ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو [شيء] خصه الله به تطولاً منه عليهم بعد أن كانت المغائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله هذه الأمة فهذا أصل النفل .

قلت : شاهد هذا في الصحيحين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي » .. فذكر الحديث إلى أن قال : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » ، وذكر تمام الحديث .

ثم قال أبو عبيد : ولهذا سمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلاً ، وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الإسلام والنكايه في العدو . وفي النفل الذي ينفله الإمام سنن أربع ، لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى :

فإحداهن في النفل لا خمس فيه ، وذلك السلب .

والثانية : في النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس . وهو إن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب ، فتأتي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخمس .

والثالثة : في النفل من الخمس نفسه . وهو أن تحاز الغنيمة كلها ، ثم تخمس ، فإذا صار الخمس في يدي الإمام نفل منه على قدر ما يرى .

والرابعة : في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء . وهو أن يعطي الأدلاء ورعاة الماشية والسواق لها ، وفي كل ذلك اختلاف .

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب .

قال أبو عبيد : والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم ، وذلك من خمس النبي ﷺ ، فإن له خمس الخمس من كل غنيمة ، فينبغي للإمام أن يجتهد ، فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم ، وقل من بإزائه من المسلمين ، نفل منه اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ ، وإذا لم يكن ذلك لم ينفل .

والوجه الثالث من النفل : إذا بعث الإمام سرية أو جيشاً ، فقال لهم قبل اللقاء : من غنم

شيئاً فله بعد الخمس ، فذلك لهم على شرط الإمام ، لأنهم على ذلك غزوا ، وبه رضوا . انتهى كلامه .
وفيما تقدم من كلامه وهو قوله : « إن غنائم بدر لم تخمس » نظر ، ويرد عليه حديث
علي بن أبي طالب في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر ، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة
بياناً شافياً ، والله الحمد .

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، أي : اتقوا الله في أموركم ، وأصلحوا
فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا ، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون
بسيبه ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، أي : في قسمه بينكم على ما أَرَادَهُ اللهُ ، فإنه قسمه كما أمره الله
من العدل والإنصاف .

وقال ابن عباس : هذا تخرج من الله [على المؤمنين] أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم . وكذا
قال مجاهد .

وقال السدي : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، أي : لا تستبوا . ونذكر هاهنا
حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده فإنه قال : حدثنا
مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن بكر ، حدثنا عباد بن شيبه الحبطي ، عن سعيد بن أنس ، عن
أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس ، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر :
ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ فقال : « رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة تبارك
وتعالى ، فقال أحدهما : يا رب ، خذ لي مظلمتي من أخي . قال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته .
قال : يا رب ، لم يبق من حسناتي شيء . قال : رب ، فليحمل عني أوزاري » - قال : قال : وفاضت
عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال : « إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم
من أوزارهم - فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان ، فرفع رأسه فقال : يا رب ،
أري مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأي نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد
هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن ؟ قال : يا رب ، ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه . قال :
ماذا يا رب ؟ قال : تعفو عن أخيك . قال : يا رب ، فإني قد عفوت عنه . قال الله تعالى : خذ
بيد أخيك فأدخله الجنة » . ثم قال رسول الله ﷺ : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله
تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » .

إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نُلِتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند [أداء] فرائضه . ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم . فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، فأدوا فرائضه - ﴿ وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زِدْتَهُمْ إِيْمَانًا ﴾ ، يقول : تصديقاً - ﴿ وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، يقول : لا يرجون غيره .

وقال مجاهد : ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، فرقت . أي : فزعت وخافت ^(١١) ، وكذا قال السدي وغير واحد .

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، أي : خاف منه ، ففعل أوامره ، وترك زواجه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ . ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، قال : هو الرجل يريد أن يظلم - أو قال : بهم بمعصية - فيقال له : اتق الله ، فيجل قلبه .

وقال الثوري أيضاً : عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء في قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، قالت : الوجل في القلب إحراق السعفة ، أما تجد لها قشعريرة ؟ قال : بلى ، قالت لي : إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك ، فإن الدعاء يذهب ذلك ^(١٢) .

(١١) هذا الأثر والذي قبله في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٨٦) وكلاهما ضعيف أما الأول فلأمرين أحدهما : أن شيخ الطبري فيه المثنى وهو ابن إبراهيم الأملي لم تعرف له ترجمة فيما أعلم ، والثاني أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس كما تقدم ذلك كثيراً وأما الأثر الثاني فإن شيخ ابن جرير سفيان بن وكيع وهو ضعيف .

(١٢) شهر بن حوشب تقدمت ترجمته موسعة في آخر تفسير آية الوضوء من سورة المائدة وقد وعدت بأنه إن عاد فسأشير إليها لطولها والخلاصة أنه حسن الحديث على القول الراجح والله أعلم . والأثر في الطبري (ج ١٣ ص ٣٨٧) لكنه عن أبي الدرداء وهنا عن أم الدرداء وقد ذكر صاحب جامع التحصيل أنه لم يسمع من أبي الدرداء إنما سمع من أم الدرداء عنه فلا أدري أيهما الصواب ، وأخشى أن يكون تصحيحاً هنا أو هناك فإن كان عن أبي الدرداء فهو منقطع وإن كان عن أم الدرداء فهو موصول .

وقوله : ﴿ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، كقوله : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ؟ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ .

وقد استدلل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهاها ، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب ، كما هو مذهب جمهور الأئمة ، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة ، كالشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ، كما بينا ذلك مستقصى في أول الشرح البخاري ، والله الحمد والمنة^(١٣) .

﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، أي : لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك ، وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الإيمان .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ، ينه بذلك على أعمالهم ، بعد ما ذكر اعتقادهم . وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها . وهو إقامة الصلاة ، وهو حق الله تعالى .

وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها ، وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان : « إقامتها » : المحافظة على مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ هذا إقامتها .

والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة ، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب ، والخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه .

قال قتادة في قوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله ، فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم ، أوشكت أن تفارقها .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ، أي : المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي ، عن سعيد بن أبي هلال ،

(١٣) استدلال البخاري في هذه الآية (ج ١ ص ٤٥) وبما أن موضوع زيادة الإيمان ونقصانه موضوع مهم لا يليق بعقل أن يجهله فسأشير إلى بعض من تكلم عليه وذلك رفقاً بالكتاب وخشية الإطالة إن تعرضت له وقد أشبع هذا الموضوع العلماء المتقدمون فمن ذلك كتاب (الإيمان لابن تيمية) وكتاب (الإيمان) في البخاري ومسلم ، وكتاب (الإيمان) لابن مندة وجميع من تكلم على الإيمان من علمائنا الأفاضل رحمهم الله تعالى .

عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له : « كيف أصبحت يا حارث ؟ » قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : « أنظر ماذا تقول فإن لكل شيء حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ » . فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهارى ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال : « يا حارث ، عرفت فالزم » ، ثلاثاً^(١٤) .

وقال عمرو بن مرة في قوله : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ ، إنما أنزل الله القرآن بلسان العرب ، كقولك : فلان سيد حقاً ، وفي القوم سادة . وفلان تاجر حقاً ، وفي القوم تجار ، وفلان شاعر حقاً ، وفي القوم شعراء .

وقوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ ، أي : منازل ومقامات ودرجات في الجنات ، كما قال تعالى : ﴿ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ .

﴿ ومغفرة ﴾ ، أي : يغفر لهم السيئات ، ويشكر لهم الحسنات .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ : أهل الجنة بعضهم فوق بعض ، فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه ، ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضل عليه أحد .

ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل عليين ليأمرهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق من آفاق السماء » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا ينالها غيرهم ؟ فقال : « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(١٥) .

وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون [أهل] الدرجات العلى كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم »^(١٦) .

(١٤) هذا الحديث يندد فيه الكثير من الناس ظانين صحته والصواب غير ما ظنوا فإن الحديث ضعيف لأن في سنده هذا ابن لهيعة وهو ضعيف . هذا وقد جاء للحديث طرق أخرى ذكرها ابن حجر في الإصابة وبين ضعفها ولو نقلت ما قال لزادت الأوراق منه لسعته ، فمن أراد الفائدة فليعد إلى ترجمة الحارث من الكتاب المذكور آنفاً .

(١٥) الحديث أخرجه البخاري (ج ٦ ص ٣٢٠) ومسلم (ج ٤ ص ٢١٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(١٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٣ ص ٢٧) وأبو داود (ج ٤ ص ٢٨٧-٢٨٨) والترمذي (ج ٥ ص ٦٠٧) وابن ماجه (ج ١ ص ٣٧) من طرق عن عطية عن أبي سعيد وعطية هذا ضعيف ، فالحديث من طريقه لا يصح لكن لمعنى الحديث أحاديث تدل على ثبوت أصله .

تنبيه : -

عطية العوفي شيعي كما ذكر في تراجمه ومن هنا نخاطب الشيعة قائلين : لماذا لا تأخذون عن صاحبكم ما ذكره هنا عن أبي بكر وعمر إن كنتم صادقين وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اتباعكم أهواءكم وعدم =

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ
 بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي
 الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ
 يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاكِ الشُّوْكَهٖ
 تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾
 لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُجْطَلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه « الكاف » في قوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ ، فقال بعضهم : شبه به في الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله .

ثم روي عن عكرمة نحو هذا .

ومعنى هذا أن الله تعالى يقول : كَمَا أَنْكُمْ لما اختلفتم في المغانم وتشاحجتم فيها فانتزعها الله منكم ، وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ ، فقسمها على العدل والتسوية ، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم . وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة - وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم ، وإحراز غيرهم - فكان عاقبة كراحتكم للقتال - بأن قدره لكم ، وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد - رشداً وهدى ، ونصراً وفتحاً ، كما قال تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهَ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ، على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم كارهون للقتال : فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم . ثم روي نحوه عن مجاهد أنه قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ ، قال : كذلك يجادلونك في الحق . وقال السدي : أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾

= المبالاة بالنقل ومعروف لدى كل عاقل أنكم تأخذون عن أصحابكم أنفسهم ما يوافق هواكم وترمون بغيره عرض الحائط فليس لكم منهج تسيرون عليه ، وشأن كل من تخلف عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التخبط والاضطراب ، فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون . نسأل الله أن يهديكم أو أن يطهر الأرض منكم .

من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴿٥﴾ ، لطلب المشركين ﴿٦﴾ يجادلونك في الحق بعد ما تبين ﴿٧﴾ .

وقال بعضهم : يسألونك عن الأنفال مجادلة ، كما جادلوك يوم بدر فقالوا : أخرجتنا للغير ، ولم تعلمنا قتالاً فنستعد له .

قلت : رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالباً لغير أبي سفيان ، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام ، فيها أموال جزيلة لقريش ، فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين - من خف منهم ، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ في طلبه ، فبعث ضمضم بن عمرو نذيراً إلى مكة ، فنهضوا في قريب من ألف مقنع ما بين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالغير إلى سيف البحر فنجا ، وجاء النفير فوردوا ماء بدر ، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميعاد ، لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم ، والفرقة بين الحق والباطل ، كما سيأتي بيانه .

والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير ، أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين : إما العير وإما النفير ، ورغب كثير من المسلمين إلى العير ، لأنه كسب بلا قتال ، كما قال تعالى : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ .

قال الحافظ أبو بكر ابن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة ؛ فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ » فقلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوم أو يومين قال لنا : « ما ترون في قتال القوم ؛ فإنهم قد أخبروا بمخرجكم » فقلنا : لا ، والله ما لنا طاقة بقتال العدو ؛ ولكننا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك ، فقال المقداد بن عمرو . إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ، قال : فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم . قال : فأنزله الله على رسوله ﷺ : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ... ﴾ وذكر تمام الحديث . ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث ابن لهيعة ، بنحوه ^(١٧) .

وروى ابن مردويه من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن

جده قال^(١٨) : خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، إيانا تريد فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ، ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي « برك الغماد » من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث [الله] إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك ، فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ... ﴾ الآيات .

وقال العوفي : عن ابن عباس : لما شاروا النبي ﷺ في لقاء العدو ، وقال له سعد بن عباد ما قال ، وذلك يوم بدر ، أمر الناس فعبثوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، فكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون^(١٩) .

وقال مجاهد : يجادلونك في الحق : في القتال . وقال محمد بن إسحاق : ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ أي : كراهية للقاء المشركين ، وإنكار لمسير قريش حين ذكروا لهم .

وقال السدي : ﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين ﴾ ، أي بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به .

قال ابن جرير : وقال آخرون : عني بذلك المشركين .

حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ ، قال : هؤلاء المشركون ، جادلوه في الحق - ﴿ كأنما يساقون إلى الموت ﴾ ، حين يدعون إلى الإسلام - ﴿ وهم ينظرون ﴾ ، قال : وليس هذا من صفة الآخرين ، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر^(٢٠) .

(١٨) محمد بن عمرو بن علقمة صدوق له أوهام وأبوه مقبول وجده ثقة ثبت وحديثه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل وثلاثتهم في تهذيب التهذيب فالحديث ضعيف من أجل عمرو بن علقمة ومن أجل الإرسال وأما بقية السند من ابن مردويه إلى محمد بن عمرو فلم يتيسر لي الاطلاع عليه فكتابه غير موجود .

(١٩) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٩٥) والسند مسلسل بالعونيين وكلهم ضعفاء وقد تقدم نحو هذا الكلام غير مرة .

(٢٠) الأثر في تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٣٩٥ - ٣٩٦) وسنده صحيح وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

ثم قال ابن جرير : ولا معنى لما قاله ، لأن الذي قبل قوله : ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ خبر عن أهل الإيمان ، والذي يتلوه خبر عنهم ، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق أنه خبر عن المؤمنين . وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق ، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن أبي بكير وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر : عليك بالغير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب - قال عبد الرزاق : وهو أسير في وثاقه - ثم اتفقا : أنه لا يصلح لك . قال : ولم ؟ قال : لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أعطاك ما وعدك .

إسناد جيد ، ولم يخرجوه^(٢١) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ ، أي : يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال ، تكون لهم ، وهي الغير . ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ ، أي : هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ، ليظفركم بها وينصركم عليهم ، ويظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالباً على الإديان ، وهو أعلم بعواقب الأمور ، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره ، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم ، كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله ابن عباس - كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر - قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فاندب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز ، يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خيراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى أهل مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة . وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه

(٢١) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٣٩٦) وسماك بن حرب حسن الحديث إلا في عكرمة قال ابن المديني : مضطربة وكذا قال يعقوب بن شيبة فقول الحافظ : إنه إسناد جيد قول ليس مقبولاً وأظنه قال ذلك ناسياً ، رواية سماك عن عكرمة ، ولا أقول إنه لا يعلم اضطرابها فهو حافظ جليل ، والله أعلم .

حتى بلغ وادياً يقال له : « ذفران » ، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار النبي الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله به ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى « برك الغماد » - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علي أيها الناس » - وإنما يريد الأنصار - وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دمه بالمدينة ، من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » فقال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : « سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم » .

وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا . وكذلك السدي ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وغير واحد من علماء السلف والخلف ، اختصروا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ
اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِنُظْمِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح قراد ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه ، وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي

ﷺ القبلة [ثم مد يديه] وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهم [أين ما وعدتني ، اللهم] أنجز لي ما وعدتني ، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً » - قال : فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمٌ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾ . فلما كان يومئذ والتقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً . واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان - أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين ، هؤلاء صنابيدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد - قال عمر - غدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يكيان ، فقلت : يا رسول الله ، ما يكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائك ! قال النبي ﷺ : « للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة » - لشجرة قريبة - وأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم ، فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر ، من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ، قَلَمَ : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، بأخذكم الفداء^(٢٢) .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن جرير ، وابن مردويه ، من طرق عن عكرمة ابن عمار ، به . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وقالوا : لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليماني .

وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة ، قوله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ ﴾ أنها في دعاء النبي ﷺ . وكذا قال يزيد بن شبيب ، والسدي ، وابن جرير .

(٢٢) الحديث في المسند (ج ١ ص ٣٠-٣١) وأبو نوح قراد هو عبد الرحمن بن غزوان ثقة له أفراد ترجمته في التهذيب وتقريره ، والحديث كما سيأتي رواه مسلم (ج ٣ ص ١٣٨٣-١٣٨٥) وأبو داود (ج ٣ ص ١٣٨-١٣٩) والترمذي (ج ٥ ص ٢٦٩) والطبري (ج ١٣ ص ٤٠٩-٤١٠) .

وقال أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح قال : لما كان يوم بدر جعل النبي ﷺ يناشد ربه أشد النشدة يدعو ، فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بعض نشدتك ، فوالله ليفين الله لك بما وعدك^(٢٣) .

وقال البخاري في « كتاب المغازي » ، باب قول الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق [بن شهاب] قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك . فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره - [يعني قوله] .

وحدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد » . فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾^(٢٤) .

ورواه النسائي عن بNDAR ، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي .

وقوله تعالى : ﴿ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾ ، أي : يردف بعضهم بعضاً ، كما قال هارون ابن عنترة ، عن ابن عباس ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾ : متتابعين^(٢٥) .

ويحتمل أن المراد ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾ لكم ، أي : نجدة لكم ، كما قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾ ، يقول : المدد ، كما تقول : اتت الرجل فزده كذا وكذا .

وهكذا قال مجاهد ، وابن كثير القاري ، وابن زيد : ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾ : ممدين .

وقال أبو كدينة ، عن قابوس ، عن ابن عباس ﴿ ممدكم بالآلف من الملائكة مُرْدَفِينَ ﴾ ، قال : وراء كل ملك ملك .

(٢٣) هذا الأثر مرسل لأن أبا صالح هو ذكوان السمان ليس صحابياً ولم يدرك بدرًا والمعروف أن القائل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المقال هو أبو بكر كما في الأحاديث الصحيحة وقد أخرج الأثر الطبري (ج ١٣ ص ٥٥٩) لكنه من طريق الحسين بن داود وهو ضعيف .

(٢٤) هذا الحديث والذي قبله في البخاري (ج ٧ ص ٢٢٧) .

(٢٥) أثر ابن عباس في الطبري (ج ١٣ ص ٤١٢) وإليك سنده : قال حدثنا ابن وكيع حدثنا أحمد بن بشير عن هارون بن عنترة به ، وقد تقدم كثيراً أن ابن وكيع سفيان ضعيف وأحمد بن بشير هو الكوفي من رجال البخاري وغيره قال فيه الحفاظ في التقريب : صدوق له أوهام ، وقال في هارون بن عنترة : لا بأس به ، وأبو عنترة هو عبد الرحمن ثقة .

وفي رواية بهذا الإسناد : ﴿ مردفين ﴾ ، قال : بعضهم على أثر بعض . وكذا قال أبو ظبيان ، والضحاك ، وقتادة .

وقال ابن جرير : حدثني المثني ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، عن الزمعي عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن علي رضي الله عنه قال : نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ [وفيها أبو بكر . ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ] ، وأنا في الميسرة .

وهذا يقتضي - لو صح إسناده^(٢٦) - أن الألف مردفة بمثلها ، ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ مردفين ﴾ بفتح الدال ، فالله أعلم .

والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة .

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير ، ومسلم ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل سماك بن وليد الحنفي ، عن ابن عباس ، عن عمر الحديث المتقدم^(٢٧) . ثم قال أبو زميل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس [يقول : « أقدم حيزوم »] إذ نظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستلقياً قال [: فنظر إليه ، فإذا هو قد خطم [أنفه] ، وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع . فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال البخاري : « باب شهود الملائكة بدرأ » : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقي ، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة .

انفرد بإخراجه البخاري^(٢٨) ، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن

(٢٦) قلت : لكنه لم يصح لأمر أولاهما : أن المثني وهو ابن إبراهيم الآملي لم تعرف له ترجمة ، ثانيها : أن يعقوب ابن محمد الزهري صدوق كثير الوهم يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات ، فيتوقف في أمره حتى يشهد له أو يتابع ، ثالثها : أن عبد العزيز بن عمران متروك ، رابعها : أن محمد بن جبير لم تذكر له رواية عن علي وأما الزمعي المذكور في السند فهو موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب قال الحافظ فيه في التقريب : صدوق سيء الحفظ .

(٢٧) تقدم تخريج الحديث في الصفحة المتقدمة .

(٢٨) البخاري (ج ٧ ص ٣٠٢) .

خديج ، وهو خطأ ، والصواب رواية البخاري ، والله أعلم .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (٢٩) .

قوله تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشري ... ﴾ الآية ، أي : وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشري ، ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾ ، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك ، ولهذا قال : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ فإذا لقيم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، ولينحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ ، فهذه حكم ، شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها . وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة ، كما أهلك قوم نوح بالطوفان . وعاداً الأولى بالدبور ، وثمود بالصيحة ، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل ، وقوم شعيب بيوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم ، ثم أنزل على موسى التوراة ، شرع فيها قتال الكفار ، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر ﴾ وقاتل المؤمنين الكافرين أشد إهانة للكافرين ، وأشفى لصدور المؤمنين ، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة : ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخرمهم وينصرهم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ ، ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان . فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشد إهانة له من أن يموت على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك ، كما مات أبو لهب - لعنه الله - بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه ، وإنما غسلوه بالماء قذفاً من بعيد ، ورجموه حتى دفنوه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الله عزيز ﴾ ، أي : له العزة والرسولة وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ، ﴿ حكيم ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار ، مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم ، بحوله وقوته ، سبحانه وتعالى .

إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُصَاةُ مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ
عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلِكَةِ أَنِّي
مَعَكُمْ فَتَبَتُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ۝١٣ ذَلِكُمْ فَذُقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝١٤

يذكرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم ، أماناً من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد ، كما قال تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ .

قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ولقد نظرت إليهم يميّدون وهم تحت الحجف .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ ، يصلي تحت شجرة ويكي حتى أصبح ^(٣٠) .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم عن أبي رزين ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : النعاس في القتال أمانة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان ^(٣١) .

وقال قتادة : النعاس في الرأس ، والنوم في القلب .

قلت : أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد ، وأمر ذلك مشهور جداً ، وأما يوم بدر فهذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر ، وهي دالة على وقوع ذلك أيضاً وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله . وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمه عليهم ، وكما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ولهذا في الصحيح أن رسول الله

(٣٠) حارثة بن مضرب هو العبدى الكوفي ثقة .

(٣١) ظاهر هذا الأثر الحسن لكن أنكر الإمام أحمد وعلى بن المديني وشعبة سماع أبي رزين وهو مسعود بن مالك من عبد الله بن مسعود وما علمت أحداً أثبتوه ولو قيل لقلت به لأن المثبت مقدم على النافي فانظر إن شئت التهذيب وجامع التحصيل .

ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه ، وهما يدعوان ، أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ، ثم استيقظ متبسماً فقال : « أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثنياه النقع » . ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ سيزم الجمع ويولون الدبر ﴾ (٣٢) .

وقوله : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : نزل النبي ﷺ - يعني : حين سار إلى بدر - والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مجنين ؟ فأمر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وانشف الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم . وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة مجبة ، وميكائيل في خمسمائة مجبة .

وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه . فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون مجنين محدثين ، حتى تعاطوا ذلك في صدورهم ، فأمر الله من السماء ماء حتى سأل الوادي ، فشرب المؤمنون ، وملئوا الأسقية ، وسقوا الركاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله في ذلك طهوراً ، وثبت الأقدام . وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة ، فبعث الله المطر عليهم ، فضرها حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام .

ونحو ذلك روي عن قتادة ، والضحاك ، والسدي .

وقد روي عن سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والزهري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أنه طش أصابهم يوم بدر .

والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر ، نزل على أدنى ماء هناك ، أي : أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن المنذر فقال : يا رسول الله ، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلك الله فليس لنا أن نجأوزه ، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ فقال : « بل منزل نزلته للحرب والمكيدة » . فقال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، ولكن سر بنا حتى نزل على أدنى ماء يلي القوم ونعور ما وراءه من القلب ، ونسقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء ، فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك (٣٣) .

(٣٢) تقدم الحديث وتخريجه من صحيح البخاري وليس بهذا اللفظ فكأن الحافظ حكاه بمعناه ، والله أعلم .

(٣٣) هذا في سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٦٢٠) قال فيه : حدثت عن رجال من بني سلمة قاله الله أعلم بمن حدثه وأعلم بحال رجال بني سلمة الذين حدثوه ، وقد رواه الحاكم في المستدرک لكن في سنده من لا يعرف ، وذكره ابن كثير في البداية من طريق الكلبي وهو كذاب وقد تكلم عنه الألباني كما في تعليقه على فقه السيرة للغزالي (ص ٢٤٠) .

وفي مغازي « الأموي » أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ ، فقال ذلك الملك : يا محمد ، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن الرأي ما أشار به « الحباب بن المنذر » ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام فقال : « هل تعرف هذا ؟ » فنظر إليه فقال : ما كل الملائكة أعرفهم ، وإنه ملك وليس بشيطان .

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب « المغازي » رحمه الله : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان الوادي دهساً ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشاً ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه^(٣٤) .

وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس ، فأطفأ بالمطر الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت نفوسهم ، وثبتت به أقدامهم^(٣٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا مصعب بن المقدم ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق عن حارثة ، عن علي رضي الله عنه قال : أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر . وبات رسول الله ﷺ [يدعو ربه : « اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ! »] فلما أن طلع الفجر ، نادى : « الصلاة ، عباد الله ! » ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسول الله ﷺ [وحرص على القتال^(٣٦)] .

وقوله : ﴿ ليظهركم به ﴾ ، أي : من حدث أصغر أو أكبر ، وهو تطهير الظاهر .
﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ ، أي : من وسوسة أو خاطر سيء ، وهو تطهير الباطن ، كما قال تعالى في حق أهل الجنة : ﴿ عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة ﴾ ، فهذه زينة الظاهر ، ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ ، أي : مطهر لما كان من غل أو حسد أو تباعض ، وهو زينة الباطن وطهارته .

﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ ، أي : بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء ، وهو شجاعة الباطن ، ﴿ ويثبت به الأقدام ﴾ ، وهو شجاعة الظاهر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أفي معكم ففتوا الذين آمنوا ﴾ ، وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ، ليذكروه عليها وهو أنه - تعالى وتقدس وتبارك وتمجد - أوحى إلى الملائكة

(٣٤) يزيد بن رومان هذا ثقة روى له الجماعة وعروة معروف لكنه لم يدرك هذه الواقعة فيكون هذا مرسلًا وهو موجود في سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٦٢٠) لكنه بغير سند .

(٣٥) الأثر في الطبري (ج ١٣ ص ٤٢٥) وشيخ الطبري فيه المثنى لم نعرف ترجمته .

(٣٦) هذا الحديث في الطبري (ج ١٣ ص ٤٢٢) وهو حديث صحيح .

الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يشتوا الذين آمنوا .

قال ابن إسحاق : وازروهم . وقال غيره : قاتلوا معهم . وقيل : كثروا سوادهم . وقيل : كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول : سمعت هؤلاء القوم - يعني المشركين - يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن . فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك ، فتقوى أنفسهم . حكاه ابن جرير ، وهذا لفظه بحروفه^(٣٧) .

وقوله : ﴿ سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ ، أي : ثبتوا أنتم المسلمين وقووا أنفسهم على أعدائهم ، عن أمري لكم بذلك : سألني الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري ، وكذب رسولي ، ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ ، أي : اضربوا الهام ففلقوها ، واحتزوا الرقاب فقطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم ، وهي أيديهم وأرجلهم .

وقد اختلف المفسرون في معنى : ﴿ فوق الأعناق ﴾ ، فقيل : معناه : اضربوا الرءوس ، قاله عكرمة^(٣٨) .

وقيل : معناه ﴿ فوق الأعناق ﴾ ، أي : على الأعناق ، وهي الرقاب ، قاله الضحاك ، وعطية العوفي^(٣٩) .

ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى : ﴿ فإذا لقيم الذين كفروا فاضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ﴾ .

وقال وكيع ، عن المسعودي ، عن القاسم قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق »^(٤٠) .

واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام .

قلت : وفي مغازي « الأموي » أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول :

تُفَلِّقُ هَامَا

(٣٧) تفسير الطبري (ج ١٣ ص ٤٢٨) .

(٣٨) أثر عكرمة في تفسير ابن جرير (ج ١٣ ص ٤٣٠) . وسنده ضعيف لأن فيه ابن حميد واسمه محمد ومحمد والحسين

ابن داود المعروف بسنيد وهما ضعيفان .

(٣٩) الأثران في الطبري (ج ١٣ ص ٤٢٩) وكلاهما ضعيف أما أثر الضحاك فقال ابن جرير فيه : حدثت عن

الحسين بن الفرج فلا ندري من حدثه والحسين بن الفرج نفسه كذاب وأما أثر عطية فشيوخ الطبري فيه

سفيان بن وكيع وهو ضعيف .

(٤٠) هذا الحديث في تفسير ابن جرير (ج ١٣ ص ٤٢٩) والراوي له عن وكيع هو ابنه سفيان وقد أرسله

القاسم كما ترى فإنه متأخر لم يحضر هذه الواقعة ولم يدركها وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

المسعودي ثقة عابد من الرابعة .

فيقول أبو بكر :

مَنْ رَجَالَ أَعَزَّةَ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأُظْلَمَا

فيبتدىء رسول الله ﷺ بأول البيت ، ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره ، لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة ممن قتلوا هم بضرب فوق الأعناق ، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به .

وقوله : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ ، قال ابن جرير : معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم . و « البنان » : جمع بنانة ، كما قال الشاعر :
أَلَا لَيْتَنِي قَطَعْتُ مَنِي بَنَانَةً
وَلَأَقِيْتَهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانٌ حَاذِرًا

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعني بالبنان : الأطراف . وكذا قال الضحاك وابن جرير .

وقال السدي : البنان : الأطراف ، ويقال : كل مفصل .

وقال عكرمة ، وعطية العوفي والضحاك - في رواية أخرى - : كل مفصل .

وقال الأوزاعي في قوله : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ ، قال : اضرب منه الوجه والعين ، وارمه بشهاب من نار ، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك .

وقال العوفي عن ابن عباس - فذكر قصة بدر إلى أن قال : - فقال أبو جهل : لا تقتلوهم قتلاً ، ولكن خذوهم أخذاً ، حتى تعرفوهم الذين صنعوا من طعنهم في دينكم ، ورغبتهم عن اللات والعزى . فأوحى الله إلى الملائكة : ﴿ أي معكم ، فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ فقتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلاً ، وأسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبراً ، فوفى ذلك سبعين يعني قتيلاً .

ولذلك قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ ، أي : خالفوهما فساروا في شق ، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق - و [هو] مأخوذ أيضاً من شق العصا ، وهو جعلها فرقتين - ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ ، أي : هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه ، لا يفوته شيء ، ولا يقوم لغضبه شيء ، تبارك وتعالى لا إله [غيره ، ولا رب] سواه .

﴿ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ﴾ هذا خطاب للكفار ، أي : ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا ، واعلموا أيضاً أن للكافرين عذاب النار ، في الآخرة .

يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأُدْبَارَ ①٥
وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ بِجَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ①٦

يقول تعالى متوعداً على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ،
إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا ﴾ ، أي : تقاربتم منهم ودنوتهم إليهم ، ﴿ فَلَا تُولُوهُمْ الْأُدْبَارَ ﴾ ، أي :
تفروا وتتركوا أصحابكم . ﴿ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ﴾ ، أي : يفر بين يدي قرنه
مكيدة ، ليريه أنه خاف منه فيتبعه ، ثم يكر عليه فيقتله ، فلا بأس عليه في ذلك . نص عليه سعيد
ابن جبير ، والسدي .

وقال الضحاك : أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها .

﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾ ، أي : فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين ، يعاونهم
ويعاونوه ، فيجوز له ذلك ، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه
الرخصة .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن
أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص
الناس حيصة وكنت فيمن [حاص] ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟
ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ؟ ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة
وإلا ذهبنا ؟ فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « من القوم ؟ » فقلنا : نحن الفرارون . فقال :
« لا ، بل أنتم العكارون أنا فتكم ، وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبلنا يده .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من طرق عن يزيد بن أبي زياد ، وقال
الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من حديثه^(٤١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث يزيد بن أبي زياد ، به - وزاد في آخره : وقرأ رسول الله

(٤١) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ٧٠) وأبي داود (ج ٣ ص ١٠٦) والترمذي (ج ٤ ص ٢١٥)
وأما ابن ماجه فلم يخرج به تمامه إنما أخرجه منه تقبيل يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسب ، وذلك
في (ج ٢ ص ١٢٢١) وعلى كل فالحديث من طريق يزيد بن أبي زياد في الجميع وهو الهاشمي الكوفي ضعيف
شيعي فلاجله صار ضعيفاً .

ﷺ هذه الآية : ﴿ أو متحيزاً إلى فئة ﴾ .

قال أهل العلم : معنى قوله : « العكارون » ، أي : العطافون . وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أبي عبيد لما قتل على الجسر بأرض فارس ، لكثرة الجيش من ناحية المجوس ، فقال عمر : لو انحاز إلي كنت له فئة . هكذا رواه محمد بن سيرين ، عن عمر .
وفي رواية أبي عثمان النهدي ، عن عمر قال : لما قتل أبو عبيد قال عمر : يا أيها الناس ، أنا فتكم .

وقال مجاهد : قال عمر : أنا فئة كل مسلم .

قال عبد الملك بن عمير ، عن عمر : أيها الناس ، لا تغرنكم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا فئة لكل مسلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حسان بن عبد الله المصري ، حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي ، حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت : إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا ندرى من الفئة : إمامنا أو عسكرنا ؟ فقال : إن الفئة رسول الله ﷺ . فقلت : إن الله يقول : ﴿ إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا ... ﴾ الآية ، فقال إنما نزلت هذه الآية في يوم بدر ، لا قبلها ولا بعدها^(٤٢) .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ أو متحيزاً إلى فئة ﴾ : « المتحيز » : الفار إلى النبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه .

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب ، فإنه حرام وكبيرة من الكبائر ، لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »^(٤٣) .

ولهذا الحديث شواهد من وجوه آخر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فقد باء ﴾ ، أي : رجع ﴿ بغضب من الله ومأواه ﴾ ، أي : مصيره ومنقلبه يوم مياعده ﴿ جهنم وبئس المصير ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، حدثنا جبلة بن سحيم عن أبي المثني العبدى ، سمعت السدوسي - يعني ابن الخصاصية ، وهو بشير بن معبد - قال : أتيت النبي ﷺ لأبايه ، فاشترط علي : شهادة أن لا إله إلا الله ،

(٤٢) أثر ابن عمر رجاله ثقات غير حسان بن عبد الله المصري فقال أبو حاتم : صدوق ، راجع كتاب الجرح والتعديل ، فالأثر حسن .

(٤٣) الحديث أخرجه البخاري (ج ٥ ص ٣٩٣) ومسلم (ج ١ ص ٩٢) وغيرهما .

وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله . فقلت : يا رسول الله ، أما اثنتان فوالله لا أطيقهما : الجهاد - فإنهم زعموا أنه من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت - والصدقة ، فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود هن رسل أهلي وحولتهم فقبض رسول الله ﷺ يده ، ثم حرك يده ، ثم قال : « فلا جهاد ولا صدقة ، فيم تدخل الجنة إذا ؟ » . فقلت : يا رسول الله ، أنا أبايعك . فبايعته عليهن كلهن .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه في الكتب الستة^(٤٤) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم أبو النضر ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث ، عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » .

وهذا أيضاً حديث غريب جداً^(٤٥) .

وقال الطبراني أيضاً : حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حفص بن عمر الشني ، حدثني عمرو بن مرة قال : سمعت بلال بن يسار بن زيد - مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت أبي يحدث عن جدي قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف » .

وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل ، به . وأخرجه الترمذي ، عن البخاري ، عن موسى بن إسماعيل به . وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(٤٦) .

قلت : ولا يعرف لزيد مولى النبي ﷺ ، عنه سواه .

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حراماً على الصحابة ، لأنه [يعني الجهاد] كان فرض عين عليهم ، وقيل : على الأنصار خاصة ، لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره .

(٤٤) الحديث رجاله كلهم ثقات غير أبي المثني العبدى وهو موثر بن عفازة فهو مقبول ، لهذا قال الحافظ : إنه غريب وترجمته في التهذيب باسمه لا بكنيته .

(٤٥) وإليك تراجم رجال السند حتى تعلم ما سبب غرابته فشيخ الطبراني : أحمد بن محمد قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان : له مناكير وقال الحاكم : فيه نظر ، وشيخه إسحاق بن إبراهيم سئل أبو حاتم عنه فقال : كتبت عنه وهو ثقة وقال أبو زرعة : أدركناه ولم نكتب عنه ترجمته في الجرح والتعديل ويزيد بن ربيعة هو الرحبي الدمشقي قال البخاري : أحاديثه مناكير ، قال أبو حاتم : ضعيف ، وقال النسائي ، متروك ترجمته في لسان الميزان وأبو الأشعث هو الصنعاني اسمه : شراحيل بن آدة ترجمته في التهذيب لم يوثقه معتبر .

(٤٦) الحديث أخرجه أبو داود (ج ٢ ص ١٧٨) والترمذي (ج ٥ ص ٥٦٨ - ٥٦٩) وحفص بن عمر الشني وأبو بلال بن يسار ويسار بن زيد كلهم مقبولون فالسند مسلسل بالمقبولين وكل مقبول يحتاج إلى متابع .

وقيل : المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة ، يروى هذا عن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد وأبي نضرة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وحجتهم في هذا أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيتون إليها سوى عصابتهم تلك ، كما قال النبي ﷺ : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن في قوله : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ ، قال : ذلك يوم بدر ، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر - أحسبه قال : فلا بأس عليه .

وقال ابن المبارك أيضاً ، عن ابن لهيعة : حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار ، قال : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ﴾ ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾ إلى قوله : ﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ ، ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين ، قال : ﴿ ثم وليتم مدبرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ .

وفي سنن أبي داود ، والنسائي ، ومستدرک الحاكم ، وتفسير ابن جرير ، وابن مردويه ، من حديث داود بن أبي هند عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ : إنما أنزلت في أهل بدر .

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر ، وإن كان سبب النزول فيهم ، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم ، من أن الفرار من الزحف من الموبقات ، كما هو مذهب الجماهير ، والله أعلم .

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِٰبِئِ الْحَمْدِ
 مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ
 الْكَافِرِينَ ١٨

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد ، وأنه الحمود على جميع ما صدر عنهم من خير ، لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم ، ولهذا قال : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ ، أي : ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، أي : بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال تعالى :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ ، يعلم - تبارك وتعالى - أن النصر ليس عن كثرة العدد ، ولا بلبس اللأمة والعدد ، وإنما النصر من عند الله تعالى ، كما قال : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ .

ثم قال لنبية ﷺ أيضاً في شأن القبضة من التراب ، التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر ، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكاثته ، فرماهم بها ، وقال : « شأهت الوجوه » . ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ، ففعلوا : فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين ، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ، ولهذا قال : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ، أي : هو الذي بلغ ذلك إليهم ، وكتبهم بها لا أنت .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر ، فقال : « يارب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريل : « خذ قبضة من التراب ، فارم بها في وجوههم » [فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوههم] فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين ^(٤٧) .

وقال السدي : قال رسول الله ﷺ لعلي ، رضي الله عنه ، يوم بدر : « أعطني حصباً من الأرض » . فناولوه حصباً عليه تراب ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ^(٤٨) .

وقال أبو معشر المدني ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، وقال : شأهت الوجوه » . فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ^(٤٩) .

(٤٧) هذا الحديث في ابن جرير (ج ١٣ ص ٥٤٥) من طريق المثني بن إبراهيم ولم أعرف ترجمته ، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٤٨) هذا الحديث في ابن جرير (ج ١٣ ص ٥٤٥) ومعروف أن بين السدي وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دهرأ طويلاً فهذا مرسل .

(٤٩) أبو معشر المدني اسمه نجيح بن عبد الرحمن ضعيف وإلى هذا فالحديث مرسل والمرسل من قسم الضعيف ولا يفهم من ضعفها أنه ليس للآية سبب نزول فإن الآية نزلت في غزوة بدر في شأن رمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين بالحصى راجع إن شئت كتاب شيخنا : أبي عبد الرحمن (الصحيح المسند من أسباب النزول) عند هذه الآية .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ، قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات فرمى بحصاة ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم ، وقال : « شأنت الوجوه » فانهزموا .

وقد روي في هذه القصة عن عروة بن الزبير ، ومجاهد وعكرمة ، وقتادة وغير واحد من الأئمة : أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر ، وإن [كان] قد فعل ذلك يوم حنين أيضاً .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة ، عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتاً وقع من السماء ، كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمت^(٥٠) .

غريب من هذا الوجه . وهاهنا قولان آخران غريبان جداً ، أحدهما :

قال ابن جرير : حدثني محمد بن عوف الطائي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخير ، دعا بقوس ، فأتي بقوس طويلة ، وقال : « جيئوني بقوس غيرها : فجاءوه بقوس كبداء ، فرمى النبي ﷺ الحصن ، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق ، وهو في فراشه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، ولعله اشتبه عليه ، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله ، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة ، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم ، والله أعلم .

والثاني : روى ابن جرير أيضاً ، والحاكم في مستدركه ، بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالوا : أنزلت في رمية رسول الله ﷺ - يوم أحد - أبي بن خلف بالحرية وهو في لأمته ، فخدشه في ترقوته ، فجعل يتدأداً عن فرسه مراراً ، حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم ، موصولاً بعذاب البرزخ ، المتصل بعذاب الآخرة .

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضاً جداً ، ولعلهما أرادا أن الآية تتناولها لعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله :

(٥٠) هذا الحديث في ابن جرير (ج ١٣ ص ٥٤٣) وتكلم الشيخ محمود شاكر حول إسناده هذا كلاماً طويلاً ولولا خشية الإطالة لنقلته كله . خلاصته : أن هذا خبر ضعيف الإسناد لضعف عبد العزيز بن عمران وهو الزهري وقد تكلم رحمه الله على إسناده كله ومن شاء أن يستفيد فليرجع إلى الموضع المشار إليه آنفاً .

﴿ وليلي المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ ، أي : ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم ، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم . وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته ^(٥١) .

وهكذا فسر ذلك ابن جرير أيضاً وفي الحديث « وكل بلاء حسن أبلانا » .

وقوله : ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ ، أي سميع : الدعاء ، عليم بمن يستحق النصر والغلب .

وقوله : ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ : هذا بشارة أخرى مع ما حصل من النصر : أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصغر أمرهم ، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار ، والله الحمد والمنة .

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ نَنْهَوْا فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى للكفار : ﴿ إن تستفتحوا ﴾ أي : تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، فقد جاءكم ما سألتم ، كما قال محمد بن إسحاق وغيره ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة . وكان ذلك استفتاحاً منه فنزلت : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ... ﴾ إلى آخر الآية ^(٥٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - أخبرنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال حين التقى القوم : اللهم ، أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة . فكان المستفتح .

وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري ، به . وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهري ، به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ^(٥٣) . وروي هذا عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، ويزيد بن رومان ، وغير واحد .

(٥١) إسناده صحيح إليه .

(٥٢) هذا في ابن جرير (ج ١٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤) ومسنده أحمد (ج ٥ ص ٤٣١) وسوف يأتي الكلام عليه قريباً .

(٥٣) مستدرک الحاكم (ج ٢ ص ٣٢٨) وعبد الله بن ثعلبة بن صعير روى له البخاري ولم يرو له مسلم فهو على شرط البخاري وحده . وإلى ذلك فعبد الله هذا كان صغيراً غير مميز يوم بدر .

وقال السدي : كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر ، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين ، فقال الله : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ ، يقول : قد نصرت ما قلتم ، وهو محمد ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو قوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وإن تنهوا ﴾ ، أي : عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله ، ﴿ فهو خير لكم ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة . ﴿ وإن تعودوا نعد ﴾ كقوله : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ ، معناه : وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة .

وقال السدي : ﴿ وإن تعودوا ﴾ ، أي : إلى الاستفتاح ﴿ نعد ﴾ إلى الفتح لمحمد ﷺ ، والنصر له وتظفيره على أعدائه ، والأول أقوى .

﴿ ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت ﴾ ، أي : ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا ، فإن من كان الله معه فلا غالب له ، فإن الله مع المؤمنين ، وهم الحزب النبوي ، والجناب المصطفوي .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢١ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ ٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ
لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ٢٣

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له ، ولهذا قال : ﴿ ولا تولوا عنه ﴾ ، أي : تركوا طاعته وامثال أوامره وترك زواجره : ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ ، أي : بعد ما علمتم ما دعاكم إليه .

﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا ، وهم لا يسمعون ﴾ ، قيل : المراد : المشركون . واختاره ابن جرير .

وقال ابن إسحاق : هم المنافقون ، فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا ، وليسوا

كذلك .

ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة ، فقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمْ ﴾ ، أي : عن سماع الحق ﴿ الْبُكْم ﴾ عن فهمه . ولهذا قال : ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ، فهؤلاء شر البرية ، لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له ، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا . ولهذا شبههم بالأنعام في قوله : ﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنداء ... ﴾ الآية . وقال في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ . وقيل : المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش . روي عن ابن عباس ومجاهد . واختاره ابن جرير .

وقال محمد بن إسحاق : هم المنافقون .

قلت : ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا ؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح .

ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ، ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهماً ، فقال : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، أي : لأفهمهم ، وتقدير الكلام : ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم ، لأنه يعلم أنه ﴿ لَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ ، أي : أفهمهم ﴿ لَتَوَلَّوْا ﴾ عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك ، ﴿ وَهُمْ مَعْرُضُونَ ﴾ عنه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

قال البخاري : ﴿ استجيبوا ﴾ أجيبوا ، ﴿ لما يحييكم ﴾ : لما يصلحكم - : حدثنا إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المولى قال : كنت أصلي ، فمر بي رسول الله ﷺ ، فدعاني فلم آتته حتى صليت ، ثم أتته فقال : « ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ » ، ثم قال : « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج » فذهب رسول الله ﷺ ليخرج ، فذكرت له - وقال معاذ : حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم ، سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بهذا - وقال : « [هي] الحمد لله رب

العالمين ﴿﴾ ، السبع المثاني^(٥٤) .

هذا لفظه بحروفه ، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه في أول تفسير الفاتحة .

وقال مجاهد في قوله : ﴿لما يحييكم﴾ ، قال : الحق : .

وقال قتادة : ﴿لما يحييكم﴾ ، قال : هو هذا القرآن ، فيه النجاة والتقاء والحياة .

وقال السدي : ﴿لما يحييكم﴾ ، ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ، أي : للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

وقوله تعالى : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ ، قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

رواه الحاكم في مستدركه موقوفاً ، وقال : صحيح ولم يخرجاه^(٥٥) . ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعاً ، ولا يصح لضعف إسناده ، والموقوف أصح . وكذا قال مجاهد ، وسعيد ، وعكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وعطية ، ومقاتل بن حيان ، والسدي .

وفي رواية عن مجاهد في قوله : ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ ، حتى تركه لا يعقل .

وقال السدي : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال قتادة : هو كقوله : ﴿ونحن أقرب إليه من جبل الوريد﴾ .

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، بما يناسب هذه الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » . قال : فقلنا : يا رسول الله ، آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقبلها » .

(٥٤) الحديث في صحيح البخاري (ج ٨ ص ٣٠٧) وقد أخرجه في مواضع كثيرة منها في أول كتاب التفسير في سورة الفاتحة ، وفي تفسير سورة الحجر عند قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ وغيرها . وقد تقدم هذا الحديث في سورة الفاتحة ، وتكلم عليه الحافظ كلاماً لا يحتاج إلى زيادة .

(٥٥) مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ٣٢٨) وقول الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهم منه فإن في سنده عبد الله بن عبد الله وهو أبو جعفر الرازي لم يرو له الشيخان إنما روى له أصحاب السنن الأربعة : أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وهو صدوق هكذا قال الحافظ في التقریب .

وهكذا رواه الترمذي في « كتاب القدر » من جامعه ، عن هناد بن السري ، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير ، عن الأعمش - واسمه سليمان بن مهران - عن أبي سفيان - واسمه طلحة ابن نافع - عن أنس ، ثم قال : حسن . وهكذا روي عن غير واحد عن الأعمش ، ورواه بعضهم عنه ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح^(٥٦) .

حديث آخر : قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن بلال رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعاً . وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه^(٥٧) .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بسر بن عبد الله الحضرمي : أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النواس بن سميان الكلبي رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيعه أزاعه » : وكان يقول : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك » - قال : « والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه » .

وهكذا رواه النسائي وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، فذكر مثله^(٥٨) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، عن المعلبي بن زياد ، عن الحسن أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله ﷺ يدعو بها : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » . قالت : فقلت : يا رسول الله ، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء . فقال : « إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله ، فإذا شاء أزاعه ، وإذا شاء أقامه »^(٥٩) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثني شهر ، سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه يقول : « اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي

(٥٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ١١٢) وسنن الترمذي (ج ٤ ص ٤٤٨ - ٤٤٩) وعلى كل فإن الأعمش وهو سليمان بن مهران مع ثقته وحفظه وورعه وعلمه بالقراءة مدلس تنظر عنعنته إلا في ثلاث : شقيق بن سلمة وأبي صالح وإبراهيم بن يزيد النخعي وقد عنعن هنا عن أبي سفيان طلحة بن نافع وليس من المذكورين فالحديث في هذا السند ضعيف لكنه ثابت بأسانيد أخرى ستأتي قريباً .

(٥٧) وجه انقطاعه أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع بلالاً ، راجع جامع التحصيل في أحكام المراسيل .

(٥٨) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٨٢) وابن ماجه (ج ١ ص ٧٢) وهو حديث صحيح .

(٥٩) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٦ ص ٩١) والحسن هو ابن أبي الحسن البصري ثقة فقيه فاضل مشهور كان يرسل ويدلس كثيراً ، وحكم الأئمة حكم العنينة في القول الراجح كما هو معروف في كتب مصطلح الحديث .

على دينك » : قالت : فقلت : يا رسول الله ، أو إن القلوب لتقلب ؟ قال : « نعم ، ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاعه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب » . قالت ، قلت : يا رسول الله ، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال : « بلى ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجрни من مضلات الفتن ما أحيينني » ^(٦٠) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو هانيء : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحيلي أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يصرف كيف يشاء » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم ، مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك » .

انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري ، به ^(٦١) .

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين ﴿ فِتْنَةً ﴾ ، أي : اختباراً ومحنة ، يعم بها المسيء وغيره ، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب ، بل يعمهما ، حيث لم تدفع وترفع ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا شداد بن سعيد ، حدثنا غيلان بن جرير ، عن مطرف قال : قلنا للزبير : يا أبا عبد الله ، ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال الزبير رضي الله عنه : إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم : ﴿ واتقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ، لم نكن نحسب أننا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت .

وقد رواه البزار من حديث مطرف ، عن الزبير ، وقال : لا نعرف مطرفاً روى عن الزبير غير هذا الحديث ^(٦٢) .

(٦٠) الحديث في مسند الإمام أحمد (ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٢) وإسناده حسن وقد تقدم أن شهراً وهو ابن حوشب ممن يحتاج به في القول الراجح وأم سلمة هي زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمها هند رضي الله عنها .

(٦١) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٦٨) ومسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٥) وعزاه المزي في تحفة الأشراف إلى النسائي في السنن الكبرى وليست عندنا .

(٦٢) مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ١٦٥) والبزار (ج ٤ ص ٩١) وإسناده الحديث حسن .

وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن الزبير ، نحو هذا^(٦٣) .

وروى ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خوفنا بها يعني قوله : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، ونحن مع رسول الله ﷺ ، وما ظننا أننا خصصنا بها خاصة .

وكذا رواه حميد ، عن الحسن ، عن الزبير رضي الله عنه .

وقال داود بن أبي هند ، عن الحسن في هذه الآية قال : نزلت في علي ، وعثمان ، وطلحة والزبير ، رضي الله عنهم .

وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار ، عن عقبة بن صهيان ، سمعت الزبير يقول : لقد قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾^(٦٤) .

وقد روي من غير وجه ، عن الزبير بن العوام .

وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة ، فأصابهم يوم الجمل ، فاقتلوا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، يعني أصحاب النبي ﷺ خاصة .

وقال في رواية له ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب .

وهذا تفسير حسن جداً ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ : هي أيضاً لكم . وكذا قال الضحاك ، ويزيد بن أبي حبيب ، وغير واحد .

وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ ، فأياكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن . رواه ابن جرير .

(٦٣) التفسير للنسائي عند هذه الآية وإليك الإسناد والحديث : قال النسائي رحمه الله : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن عن الزبير بن العوام قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ قال : ونحن يومئذ متوافرون قال : فجعلت أتعجب من هذه الآية أي فتنة تصيبنا ! ما هذه الفتنة ؟ حتى رأيناها اهـ .

فرجال السند معروفون بأنهم من رجال الصحيح لكن الحسن مدلس وقد عنعن وأظنه لم يسمع من الزبير فإنه قديم الوفاة لكن هذا الحديث ثابت بالطرق المتقدمة .

(٦٤) هذا الأثر في ابن جرير (ج ١٣ ص ٤٧٤) وهو أثر ضعيف لأن الصلت بن دينار وهو الأزدي أبو شعيب المجنون متروك ناصبي ترجمته في التهذيب .

والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح ، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى ، كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف ، ومن أخص ما يذكر هاهنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا أحمد بن الحجاج أخبرنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أنبأنا سيف بن أبي سليمان ، سمعت عدي بن عدي الكندي يقول : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي - يعني عدي بن عميرة - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ؛ فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة »^(٦٥) .

فيه رجل مبهم ، ولم يخرجوه في الكتب الستة ، ولا واحد منهم ، والله أعلم .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان الهاشمي ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل ، عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »^(٦٦) .

ورواه عن أبي سعيد ، عن إسماعيل بن جعفر^(٦٧) ، وقال : « أو ليبعثن الله عليكم قوماً ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

وقال أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير : حدثنا رزين بن حبيب الجهني ، حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاى ، فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد

(٦٥) مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٩٢) وقد تكلم عليه الحافظ كما سيأتي .

(٦٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد (ج ٥ ص ٣٨٨ - ٣٨٩) ورجاله كلهم ثقات سوى عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل فإنه مقبول .

(٦٧) الذي في المسند (ج ٥ ص ٣٩١) أن الإمام أحمد رواه عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو به وليس لإسماعيل بن جعفر ذكر في الموضع المشار إليه فلعل هذا من أوهام الحافظ إن لم يكن سبق قلم منه والله أعلم . هذا وقد أخرج الحديث : الترمذي (ج ٤ ص ٤٦٨) عن قتيبة قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو وعبد الله الأنصاري عن حذيفة وذكره . هكذا جاء عبد الله وهو ابن عبد الرحمن المتقدم ذكره معطوفاً على عمرو بن أبي عمرو والذي يظهر لي أنه خطأ بين لأمرين : الأول : أن عمرو بن أبي عمرو لم يذكر له رواية عن حذيفة إنما ذكروا له رواية عن عبد الله الأنصاري وهو المعطوف عليه ، الثاني أن في الترمذي نفسه حديثاً آخر بعد هذا الحديث بالسند نفسه وبديل واو العطف العتنة وهناك أمر ثالث هو أن الحديث قد تقدم من مسند الإمام أحمد فراجع ، وتنبه أيها القارئ لمثل هذا فإنه قد يظن الظان أن عمرأ متابع لعبد الله فيحكم له بالصحة فيخطئ . والله المستعان .

رسول الله ﷺ فيصير منافقاً ، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتحاضن على الخير ، أو ليسحتنكم الله جميعاً بعذاب ، أو ليؤمرن عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم^(٦٨) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد أيضاً : حدثني يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، حدثنا عامر قال : سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول - وأوماً بأصبعيه إلى أذنيه - يقول : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها - أو المدهن فيها - كمثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوهم ، فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقاً ، فاستقينا منه ، ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً^(٦٩) .

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم ، فرواه في « الشركة » و « الشهادات » ، والترمذي في « الفتن » من غير وجه ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ، به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن علقمة بن مرثد ، عن المعرور بن سويد ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي ، عمهم الله بعذاب من عنده » . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : « بلى » . قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : « يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان »^(٧٠) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من قوم يعملون بالمعاصي ، وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون ، إلا عمهم الله بعقاب - أو - أصابهم العقاب » . ورواه أبو داود ، عن مسدد ، عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، به^(٧١) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسحاق يحدث ، عن

(٦٨) المسند (ج ٥ ص ٣٩٠) ورزين بن حبيب هو الجهني بائع الرمان ثقة ترجمته في الجرح والتعديل وأما شيخه أبو الرقاد فقد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكنيته فحسب بغير اسم ولا لقب ولا نسب ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم بحاله .

(٦٩) هكذا ذكره الحافظ رحمه الله موقوفاً كما ترى والحديث مرفوع في المسند (ج ٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠) و (ص ٢٧٣) و (٢٧٤) وقد رواه البخاري (ج ٥ ص ١٣٢) و (ص ٢٩٢) والترمذي (ج ٤ ص ٤٧٠) مرفوعاً أيضاً .

(٧٠) الحديث في المسند (ج ٦ ص ٣٠٤) وليث هو ابن أبي سليم اختلط أخيراً ولم يميز حديثه فترك .

(٧١) الحديث حسن لغیره وهو عند أحمد (ج ٤ ص ٣٦١) وعند أبي داود (ج ٤ ص ٥١٠ - ٥١١) وفيه عن ابن جرير . وقد روى هذا الحديث عن جرير ولداه المنذر وعبيد الله قال الحافظ في كل منهما في التقريب مقبول .

عبيد الله بن جرير ، عن أبيه . أن رسول الله ﷺ قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، هم أعز وأكثر ممن يعمله ، لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب » .

ثم رواه أيضاً عن وكيع ، عن إسرائيل - وعن عبد الرزاق ، عن معمر - وعن أسود ، عن شريك ويونس - كلهم عن أبي إسحاق السبيعي^(٧٢) ، به .

وأخرجه ابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، به^(٧٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن أبي راشد ، عن منذر ، عن حسن ابن محمد ، عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي ﷺ : « إذا ظهر السوء في الأرض ، أنزل الله بأهل الأرض بأسه » . قالت : وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال : « نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله »^(٧٤) .

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ
فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثرتهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات ، واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستضعفين مضطرين ، يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله ، من مشرك ومجوسي ورومي ، كلهم أعداء لهم لقاتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن لهم في الهجرة إلى المدينة ، فأواهم إليها وقبض لهم أهلها ، آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسوا بأموالهم ، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله .

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً . وأجوعه بطوناً ، وأعره جلوداً ، وأبينه ضللاً [مكعومين على رأس حجر ، بين الأسدين فارس والروم ، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه] من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم ،

(٧٢) (ج ٤ / ٣٦٤ و ٣٦٦) من المسند .

(٧٣) (ج ٢ / ١٣٢٩) من سننه .

(٧٤) الحديث في المسند (ج ٦ / ٤١) وهو صحيح إن شاء الله ، انظر الصحيحة للشيخ الألباني حفظه الله تعالى

فإنه جاء من حديث عائشة وأم سلمة وهناك كلام على قوله هنا عن امرأته فراجعه إن شئت .

حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا لله نعمه ، فإن ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله ^(٧٥) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري : أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فاستشاروه في ذلك ، فأشار عليهم بذلك - وأشار بيده إلى حلقه - أي : إنه الذبح . ثم فطن أبو لبابة ، ورأى أنه قد خان الله ورسوله ، فحلف لا يذوق ذواقاً [حتى يموت] أو يتوب الله عليه . وانطلق إلى مسجد المدينة ، فربط نفسه في سارية منه ، فمكث كذلك تسعة أيام ، حتى كان [يخر] مغشياً عليه من الجهد ، حتى أنزل الله توبته على رسوله . فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه ، وأرادوا [أن] يخلوه من السارية ، فحلف لا يخله منها إلا رسول الله ﷺ بيده ، فخله ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة . فقال : « يجزيك الثلث أن تصدق به » ^(٧٦) .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، حدثنا محمد بن عبيد الله أبو عون الثقفي ، عن المغيرة بن شعبة قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ الآية ^(٧٧) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا محمد بن المحرم قال : لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال : حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان

(٧٥) أثر قتادة صحيح إليه رواه الطبري (ج ٧٧/٧ و ج ٤٧٨/١٣) .

(٧٦) سبب النزول هذا مرسل من مراسيل الزهري وهي ضعيفة رواه الطبري (ج ٤٨١/١٣ - ٤٨٢) وحديث اختلاعه من ماله لما تاب الله عليه جاء مسنداً عند أحمد لكن فيه علتان : الحسين بن السائب بن أبي لبابة

والإرسال قال ابن حبان في الحسين بن السائب : يروي عن أبيه المراسيل .

(٧٧) الأثر ضعيف إلى المغيرة الحارث هو ابن أبي أسامة وشيخه هو ابن أبان الأموي متروك وشيخه يونس الطائفي

ضعيف قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى (ج ١٣ - ٤٨٣) : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال

إن الله نهى المؤمنين عن خيائنه وخيانة رسوله وخيانة أمانته وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة وجائز أن

تكون نزلت في غيره ، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب والتسليم له بصحته .

خرج من مكة ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : إن أبا سفيان [في كذا وكذا . فقال النبي ﷺ لأصحابه : « إن أبا سفيان [في موضع كذا وكذا ، فاخرجوا إليه واكتموا » . فكتب رجل من المنافقين إليه : إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذرکم . فأنزل الله : ﴿ لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ ^(٧٨) الآية .

هذا حديث غريب جداً ، وفي سنده وسياقه نظر .

وفي الصحيحين قصة « حاطب بن أبي بلتعة » أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إليهم عام الفتح ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه ، واستحضر حاطباً فأقر بما صنع ، فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال : « دعه ، فإنه قد شهد بديراً ، ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ^(٧٩) .

قلت : والصحيح أن الآية عامة ، وإن صح أنها وردت على سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء . والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار ، اللازمة والمتعدية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾ : « الأمانة » الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد - يعني الفريضة . يقول : لا تخونوا : لا تنقضوها ^(٨٠) .

وقال في رواية : ﴿ لا تخونوا الله والرسول ﴾ ، يقول : بترك سنته وارتكاب معصيته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في هذه الآية : أي : لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه في السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم ^(٨١) .

وقال السدي : إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم .

وقال أيضاً : كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين ^(٨٢) .

(٧٨) الحديث ضعيف من أجل محمد بن الحرم وترجمته في الميزان والحديث في تفسير الطبري (ج ١٣ / ٤٨٠) .

(٧٩) تقدم تخريجه لأخينا أبي معاذ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أي مدمكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ .

(٨٠) منقطع .

(٨١) عند الطبري (ج ١٣ / ٤٨٤) من قول ابن إسحاق نفسه وسنده ضعيف إليه أما هذا الذي بين أيدينا فلا أدري من رواه كذلك والله أعلم .

(٨٢) أثر السدي عند الطبري (ج ١٣ / ٤٨٣ - ٤٨٤) وكلاهما من طريق أسباط .

وقال عبد الرحمن بن زيد : نهاكم أن تخونوا الله والرسول ، كما صنع المنافقون .

وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ ، أي : اختبار وامتحان منه لكم ، إذ أعطاكموها ليعلم أشكرونها عليها وتطيعونه فيها ؟ أو تشتغلون بها عنه ، وتعتاضون بها منه ، كما قال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ ، وقال : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ ، أي : ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد ، فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً ، والله سبحانه هو المتصرف المالك للعالمين والآخرة ، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة .

وفي الأثر : يقول تعالى : « ابن آدم ، اطلبني تجدي ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فأتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » ^(٨٣) .

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه [من] أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » ^(٨٤) .

بل حب رسول الله مقدم على الأولاد والأموال والنفوس ، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين » ^(٨٥) .

يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس ، والسدي ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : ﴿ فرقاناً ﴾ ، مخرجاً - زاد مجاهد : في الدنيا والآخرة .

(٨٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مراجع .

(٨٤) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٨٥) متفق عليه من حديث أنس بن مالك أيضاً وكلاهما في كتاب الإيمان من الصحيحين .

وفي رواية عن ابن عباس : ﴿فرقانا﴾ : نجاة ، وفي رواية عنه : نصراً .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿فرقانا﴾ ، أي : فصلاً بين الحق والباطل .

وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم ، وقد يستلزم ذلك كله ؛ فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجه ، وفق لمعرفة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا ، وسعاده يوم القيامة . وتكفير ذنوبه - وهو محوها ، وغفرها : سترها عن الناس - سبباً لنيل ثواب الجزيل ، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله وآمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نوراً تمشون به ، ويغفر لكم ، والله غفور رحيم﴾ .

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : ﴿ليثبتوك﴾ ، ليقيدوك .

وقال عطاء ، وابن زيد : ليجبسوك .

وقال السدي : « الإثبات » هو الحبس والوثاق .

وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء ، وهو مجمع الأقوال ، وهو الغالب من صنيع من أراد

غيره بسوء .

وقال سنيد ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : لما

اتتمروا بالنبي ﷺ ليشبته أو يقتلوه أو يخرجوه ، قال له عمه أبو طالب : هل تدري ما اتتمروا بك ؟

قال : « يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني » . فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : « ربي » .

قال : نعم الرب ربك ، استوص به خيراً ، فقال : « أنا أستوصي به ؟! بل هو يستوصي بي » ^(٨٦) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالوساسي ، أخبرنا

عبد الحميد بن أبي رواد عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن المطلب بن أبي وداعة

أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ : ما ياتمرك قومك ؟ قال : « يريدون أن يسحروني أو يقتلوني

أو يخرجوني » . فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : « ربي » . قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيراً .

قال : « أنا أستوصي به ؟! بل هو يستوصي بي » . قال : فنزلت : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(٨٦) رواه ابن جرير (ج ١٣ / ٤٩٣) وهو ضعيف لضعف سنيد والإرسال أيضاً .

ليشتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴿٨٧﴾ الآية .

وذكر أبي طالب في هذا غريب جداً ، بل منكر ، لأن هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتثار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل ، إنما كان ليلة الهجرة سواء ، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجتمعوا عليه بعد موت عمه أبي طالب ، الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه . والدليل على صحة ما قلنا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب « المغازي » عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - قال : وحدثني الكلبي ، عن باذان مولى أم هانئ ، عن ابن عباس : أن نفرأ من قريش من أشرف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت إنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي . قالوا : أجل ، ادخل ، فدخل معهم فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره - قال : فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به [ريب] المتون ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابعة ، إنما هو كأحدهم . قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم برأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يشبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوك من بلادكم . قال : فانظروا في [غير] هذا .

قال : فقال قائل منهم : أخرجه من بين أظهركم فتستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم . فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة وطلاوة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ والله لن فعلتم - [ثم استعرض العرب] - ليجتمعن عليكم ، ثم ليأتين [إليكم] حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا : صدق والله . فانظروا باباً غير هذا .

قال : فقال أبو جهل لعنه الله : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمون به بعد ، ما أرى غيره . قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً وسيطاً نهداً ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل ، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقيمون على حرب قريش كلها . فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل ، واسترحنا وقطعنا غنا أذاه .

قال : فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي . القول ما قال الفتى لا رأي غيره . قال :

(٨٧) الحديث ظاهره الحسن ، محمد بن إسماعيل هو ابن أبي ضرار البصري وهو صدوق وله أخ اسمه أحمد بن إسماعيل كما في الأنساب للسمعاني . وعبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رواد في ترجمته أنه روى عن ابن جريج أحاديث لا يتابع عليها وابن جريج مدلس وقد عنعن .

فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون . فأتى جبريل النبي ﷺ ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم . فلم يبيت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة « الأنفال » يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ، وأنزل في قولهم : تربصوا به [ريب المنون] حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ ، وكان ذلك اليوم يسمى « يوم الزحمة » ، للذي اجتمعوا عليه من الرأي^(٨٨) .

وعن السدي نحو هذا السياق ، وأنزل الله في إرادتهم إخراجهم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفْزِنُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٨٩) .

وكذا روى العوفي ، عن ابن عباس . وروي عن مجاهد ، وعروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة ، وقتادة ، ومقسم ، وغير واحد ، نحو ذلك^(٩٠) .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله ، حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به ، وأرادوا به ما أرادوا ، أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه . فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فأمره أن يبيت علي فراشه وأن يتسجى ببرد له أخضر ، ففعل . ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابهم ، وخرج معه بحفنة من تراب ، فجعل يذرهما على رءوسهم ، وأخذ [الله] بأبصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ : ﴿ يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٩١) .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : وروي عن عكرمة ما يؤكد هذا .

وقد روى ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي ، فقال : « ما يبكيك يا بنية ؟ » قالت : يا أبت ، ما لي لا أبكي . وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلوك ، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك ، فقال : « يا بنية ، اثني بوضوء » . فتوضأ رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى المسجد .

(٨٨) الحديث رواه الطبري (ج ١٣ / ٤٩٤) ومحمد بن إسحاق إمام في المغازي إذا أسند وصدق في الحديث إذا صرح بصيغة تقتضي الاتصال ، فالحديث ضعيف من أجل عننة ابن إسحاق وفي السيرة لابن هشام (ج ١ / ٤٨٠) قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح فذكره .

(٨٩) رواه الطبري (ج ١٣ / ٤٩٨ - ٤٩٩) وهو معضل .

(٩٠) وجلها بأسانيدھا عند الطبري ولا يخلو شيء منها من ضعف .

(٩١) وهذا معضل أيضاً وهو من قسم الضعيف ورواه الطبري ج ١٣ / ٤٩٦ بنحوه عن عكرمة وفيه انقطاع .

فلما رأوه قالوا : إنما هو ذا . فطأطأوا رءوسهم ، وسقطت أذقانهم بين أيديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم . فتناول رسول الله قبضة من تراب فحصبهم بها ، وقال : « شأهت الوجوه » . فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً^(٩٢) .

ثم قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . ولا أعرف له علة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجزري ، عن مقسم مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ﴾ . قال : تشاورت قريش [ليلة] بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فآبئوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات على رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ ، وخرج رسول الله ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري . فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال^(٩٣) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، أي : فمكرت [بهم] بكيدي المتين ، حتى خلصتك منهم^(٩٤) .

وَإِذْ تَسْتَلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ
لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ
إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَارَءَ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ

(٩٢) الحديث حسن لغيره ، رواه ابن حبان (١٤٨/٨) من الإحسان من طريق مسلم بن خالد الزنجي وهو ضعيف والحاكم (ج ١/١٦٣) من طريق يحيى بن سليم وهو الطائفي و (ج ٣/٥٧) من طريق أبي بكر بن عياش ثلاثهم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به .

(٩٣) الحديث رواه أحمد في المسند (ج ١/٣٤٨) وهو ضعيف لجهالة عثمان الجزري وترجمته في تاريخ البخاري والجرح والتعديل لابن أبي حاتم وليس فيهما غير أنه روى عن مقسم وروى عنه معمر والنعمان بن راشد قال أحمد حين سأل عنه : روى أحاديث منكر وزعموا أنه ذهب كتابه .

(٩٤) رواه الطبري (ج ١٣/٥٠١) من قول ابن إسحاق وهو ضعيف إليه لأنه من طريق محمد بن حميد الرازي .

مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ، ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون : ﴿ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ . وهذا منهم قول بلا فعل ، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً . وإنما هذا قول منهم يغرون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم .

وقد قيل : إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث - لعنه الله - كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير ، والسدي وابن جريج وغيرهم ؛ فإنه - لعنه الله - كان قد ذهب إلى بلاد فارس ، وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله ، وهو يتلو على الناس القرآن ، فكان إذا قام ﷺ من مجلس ، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول : بالله أيهما أحسن قصصاً ؟ أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى ، أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبراً بين يديه ، ففعل ذلك ، والله الحمد . وكان الذي أسره المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، كما قال ابن جرير :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله قال المقداد : يا رسول الله ، أسيري . فقال رسول الله ﷺ : « إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول » . فأمر رسول الله ﷺ بقتله ، فقال المقداد : يا رسول الله ، أسيري . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم أغن المقداد من فضلك » . فقال المقداد : هذا الذي أردت . قال : وفيه أنزلت هذه الآية : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾^(٩٥) .

وكذا رواه هشيم^(٩٦) ، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير . أنه قال : « المطعم بن عدي » « بدل طعيمة » . وهو غلط ، لأن المطعم بن عدي لم يكن حياً يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله ﷺ يومئذ : « لو كان المطعم حياً ، ثم سألتني في هؤلاء النتنى ، لو هبتهم له »^(٩٧) . يعنى الأسارى ، لأنه كان قد أجار رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف .

ومعنى : ﴿ أساطير الأولين ﴾ ، وهو جمع أسطورة ، أي : كتبهم اقتبسها ، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس . وهذا هو الكذب البحت ، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً . قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض

(٩٥) رواه ابن جرير (ج ١٣ / ٥٠٤) وهو ضعيف لأنه منقطع .

(٩٦) وعلمته علة ما قبله .

(٩٧) هذا حديث مستقل رواه البخاري (ج ٦ / ٢٤٣) وأبو داود (ج ٣ / ١٣٨) وأحمد في المسند (ج ٤ / ٨٠) .

إنه كان غفوراً رحيماً ﴿٣١﴾ ، أي : لمن تاب إليه وأتاب ؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .

وقوله : ﴿٣٢﴾ وإذ قالوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٣٣﴾ ، هذا من كثرة جهلهم وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم ، وهذا مما عيوا به ، وكان الأولى لهم أن يقولوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا له ، ووفقنا لاتباعه ، ولكن استفتحوا على أنفسهم ، واستعجلوا العذاب ، وتقديم العقوبة كما قال تعالى : ﴿٣٤﴾ ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿٣٥﴾ . ﴿٣٦﴾ وقالوا ربنا عجل لنا قटना قبل يوم الحساب ﴿٣٧﴾ ، ﴿٣٨﴾ سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذي المعارج ﴿٣٩﴾ . وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة ، كما قال قوم شعيب له : ﴿٤٠﴾ فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ﴿٤١﴾ ، وقال هؤلاء : ﴿٤٢﴾ اللهم : إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٤٣﴾ .

قال شعبة ، عن عبد الحميد صاحب الزيادي ، عن أنس بن مالك : هو أبو جهل بن هشام

قال :

﴿٤٤﴾ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٤٥﴾ ، فنزلت : ﴿٤٦﴾ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ... ﴿٤٧﴾ الآية .

رواه البخاري عن أحمد وأحمد بن محمد بن النضر ، كلاهما عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة^(٩٨) ، به .

وأحمد هذا هو : أحمد بن النضر بن عبد الوهاب ، قاله الحاكم أبو أحمد ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، والله أعلم .

وقال الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿٤٨﴾ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٤٩﴾ ، قال : هو النضر بن الحارث بن كلدة : قال : فأنزل الله : ﴿٥٠﴾ سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع ﴿٥١﴾ . وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والسدي : إنه النضر بن الحارث - زاد عطاء : فقال الله تعالى : ﴿٥٢﴾ وقالوا ربنا عجل لنا قटना قبل يوم الحساب ﴿٥٣﴾ ، وقال : ﴿٥٤﴾ ولقد جتئونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴿٥٥﴾ ، وقال : ﴿٥٦﴾ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ﴿٥٧﴾ . قال

(٩٨) الحديث عند البخاري (ج ٨/٣٠٨-٣٠٩) وعند مسلم (ج ٤/٢١٥٤) .

فائدة : أحمد ومحمد أخوان وهما من طبقة تلاميذ البخاري وأحمد بن النضر كان من أركان الحديث ، قاله الحاكم ، وليس لأحمد وأخيه في البخاري غير هذا الحديث . انتهى ملخصاً من فتح الباري .

عطاء : ولقد أنزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل^(٩٩) .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا أبو غسان ، حدثنا أبو تميلة ، حدثنا الحسين ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفاً يوم أحد على فرس ، وهو يقول : اللهم ، إن كان ما يقول محمد حقاً فاخسف بي وبفرسي^(١٠٠) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ... ﴾ الآية ، قال : قال ذلك سفهة الأمة وجهلتها ، فعاد الله بعائده ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ؛ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل سماك الحنفي ، عن ابن عباس قال : كان المشركون يطوفون البيت ويقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك . فيقول النبي ﷺ : « قد ، قد ! » ويقولون : لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . ويقولون : غفرانك ، غفرانك ، غفرانك فأنزل الله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : النبي ﷺ والاستغفار ، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار^(١) .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأُمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهم ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ، يقول :

(٩٩) هذه الآثار عند الطبري (ج ١٢/٥٠٥ - ٥٠٦) وفيها ضعف والصحيح هو الذي في الصحيحين أعني ما تقدم ، والله تعالى أعلم .

(١٠٠) الأثر سنده صحيح والله أعلم محمد بن إبراهيم شيخ ابن مردويه هو أبو بكر المعروف بابن المقرئ وهو ثقة وشيخه هو المعروف بابن الليث قال الذهبي فيه : الحافظ الفقيه العلامة من أعيان القراء والحفاظ والفقهاء . وقال ابن ناصر الدين : كان حافظاً ناقداً فالذي يظهر لي أنه لا ينزل حديثه عن درجة الصحة والله أعلم . وباقى رجاله رجال الصحيح .

(١) الحديث حسن ، ورواه الطبري (ج ١٣/٥١١ - ٥١٢) من طريق أحمد بن منصور الرمادي عن أبي حذيفة موسى بن مسعود به .

(٢) الأثر ضعيف عبد العزيز هو ابن أبان متروك والحارث هو ابن أبي أسامة وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السندي .

ما كان الله ليعذب قوماً ، وأنبيأؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ، ثم قال : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، يقول : وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار - يستغفرون ، يعني : يصلون ، يعني بهذا أهل مكة^(٣) .

وروي عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطية العوفي ، وسعيد بن جبير ، والسدي نحو ذلك .

وقال الضحاك وأبو مالك : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، يعني : المؤمنين الذين كانوا بمكة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا النضر بن عربي قال ابن عباس : إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ما دام بين أظهرهم ، فأمان قبضه الله إليه ، وأمان بقي فيكم ، قوله : - ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾^(٤) .

قال أبو صالح عبد الغفار : حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عربي حدثه هذا الحديث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وروى ابن مردويه وابن جرير ، عن أبي موسى الأشعري نحوه من هذا^(٥) . وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ .

وقال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنزل [الله] علي أمانين لأمتي : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار [إلى يوم القيامة^(٦)] » .

ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان قال : وعزتك يارب ، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني »^(٧) .

(٣) وعلي لم يسمع من ابن عباس .

(٤) عبد الغفار صدوق وشيخه النضر بن عربي ثقة لكنه منقطع بين النضر وبين ابن عباس .

(٥) رواه ابن جرير (ج ١٣ / ٥١٣) وفي مسنده سقط ثم إنه موقوف وأثر قتاد صحيح إليه وأثر أبي العلاء من طريق عبد العزيز بن أبان متروك .

(٦) الحديث حسن لشواهده وهو عند الترمذي (ج ٥ / ٢٧٠) وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث .

(٧) أما رواية أحمد ففي المسند (ج ٣ / ٧٦) من طريق ابن لهيعة و (ج ٣ / ٢٩) من طريق يزيد عن عمرو =

ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا رشدين - هو ابن سعد - حدثني معاوية بن سعد التميمي ، عن حدثه ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي ﷺ أنه قال : « العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل »^(٨) .

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً
وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله ﷺ بين أظهرهم ، ولهذا لما خرج من بين أظهرهم ، أوقع الله بهم بأسه يوم بدر ، فقتل صناديدهم وأسرت سراتهم . وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب ، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد . قال قتادة والسدي وغيرهما : لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا .

واختاره ابن جرير ، فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لأوقع بهم البأس الذي لا يرد ، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك ، كما قال تعالى في يوم الحديبية : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيكم منهم معرفة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبيزري قال : كان النبي ﷺ بمكة ، فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ ، قال : فخرج النبي ﷺ إلى المدينة ، فأنزل الله : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ . قال : وكان أولئك البقية من المؤمنين الذين بقوا فيها يستغفرون - يعني بمكة - فلما أخرجوا أنزل الله : ﴿ وما لهم أن لا

= عن أبي سعيد وكذا (ص ٤١) وعمرو هو ابن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب كما في التهذيب في ترجمة يزيد لكن لا أدري أسمع من أبي سعيد أم لا .

(٨) الحديث ضعيف لضعف رشدين بن سعد وجهالة ، وشيخه معاوية بن سعد صوابه ابن سعيد كما في التهذيب وغيره قال الحافظ في التقريب : مقبول وشيخه مهمل لا أدري من هو والله أعلم .

يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ﴿٩﴾ ، قال : فأذن الله في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم^(٩) .

وروي عن ابن عباس ، وأبي مالك ، والضحاك ، وغير واحد نحو هذا .

وقد قيل : إن هذه الآية ناسخة لقوله : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في « الأنفال » : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، فنسختها الآية التي تليها : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ، فقتلوا بمكة ، فأصابهم فيها الجوع والضر^(١٠) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي تميلة يحيى بن واضح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء عن ابن عباس : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، ثم استثنى أهل الشرك فقال : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾^(١١) .

وقوله : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ، أي : وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، أي الذي بيكة ، يصدون المؤمنين الذين هم أهلهم عن الصلاة عنده والطواف به ، ولهذا قال : ﴿ وما كانوا أولياءه ﴾ ، أي : هم ليسوا أهل المسجد الحرام ، وإنما أهل النبي ﷺ وأصحابه ، كما قال تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا سليمان بن أحمد - هو

(٩) الحديث ضعيف بهذا السند ، محمد بن حميد ضعيف ، وجعفر لا أعلم له رواية عن عبد الرحمن بن أبي الصحاحي وإنما هو يروي عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي . وسعيد تابعي فالذي يظهر أنه منقطع ، والله أعلم .

(١٠) الأثر ضعيف لضعف ابن حميد (ج ١٣ / ٥١٧) من التفسير وفيه الحصر بدل الضر .

(١١) الحديث ضعيف لوجود علتين فيه ، الأولى : ضعف عثمان بن عطاء . والثانية : الانقطاع بين عطاء وهو ابن عبد الله الخراساني وبين ابن عباس ، والله أعلم .

الطبراني - حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا نوح بن أبي مريم ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : من آلك ؟ قال : « كل تقى » ، وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمَتَّقُونَ ﴾^(١٢) .

وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعه ، عن أبيه ، عن جده قال : جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال : « هل فيكم من غيركم ؟ » قالوا : فينا ابن أختنا ، وفينا حليفنا وفينا مولانا . فقال : « حليفنا منا ، وابن أختنا منا ، ومولانا منا ، إن أوليائي منكم المتقون » .

ثم قال : هذا صحيح ، ولم يخرجاه^(١٣) .

وقال عروة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمَتَّقُونَ ﴾ . قال : هم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وقال مجاهد : هم المجاهدون ، من كانوا ، وحيث كانوا .

ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به ، فقال : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ .

قال عبد الله بن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو رجاء العطاردي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحجر بن عنبس ، ونبيط بن شريط ، وقتادة ، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم : هو الصفير - وزاد مجاهد : وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم .

وقال السدي : « المكاء » ، الصفير على نحو طير أبيض يقال له : « المكاء » ويكون بأرض الحجاز [و « التصدية » : التصفيق] .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد ، حدثنا يونس بن محمد المؤدب ، حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الله الأشعري - حدثنا جعفر بن [أبي] المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ ، قال : كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق - و « المكاء » : الصفير ، وإنما شبهوا بصفير الطير ، وتصدية : التصفيق^(١٤) .

(١٢) الحديث ضعيف وآفته نوح الجامع وهو ابن أبي مريم قال ابن المبارك كان يضع الحديث وقال ابن حبان ، جمع كل شيء إلا الصدق .

(١٣) (ج ٢/٣٢٨) من المستدرک وهو ضعيف إسماعيل بن عبيد بن رافع مقبول ، كما في التقريب ، وأبوه لم يوثقه سوى المعجل كما في التهذيب .

(١٤) الأثر ضعيف لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير وفي روايته عنه ضعف .

(١٥) أثر ابن عمر ضعيف لضعف عطية وهو ابن سعد العوفي رواه الطبري (ج ١٣ / ٥٢٣) وفيه أبو عامر وهو الصواب بدل قوله هنا وأبو عمرو وهو العقدي . عبد الملك بن عمرو .

(١٦) الأثر سنده حسن إلى مجاهد .

جَمِيعًا فَبَجَّعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قال محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ - قالوا : لما أُصِيبَتْ قريش يوم بدر ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان ، بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدرس ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أُصيب منا ! ففعلوا قال : ففهم - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يَحْشَرُونَ ﴾ ^(١٧) .

وهكذا روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، وقتادة والسدي ، وابن أبرد أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ ^(١٧) . وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر ^(١٧) .

وعلى كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصاً ، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، ، فيسفعلون ذلك ، ثم تذهب أموالهم ، ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ، أي : ندامة ؛ حيث لم تجد شيئاً ، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين . فهذا الخزي لهم ، في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار . فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوؤه ، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي . ولهذا قال : ﴿ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يَحْشَرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ : فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء . وقال السدي : يميز المؤمن من الكافر . وهذا يحتمل أن يكون التمييز في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا : مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ . وقال في الآية الأخرى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا ، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون « اللام »

(١٧) هذه مراسيل وهي من قسم الضعيف .

معللة لما جعل الله للكفار من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله ، أي : إنما أقدرناهم على ذلك ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ ، أي : من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين ، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا . قالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم .. ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ، ونظيرتها في براءة أيضاً .

فمعنى الآية على هذا : إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم ، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ، ليميز الخبيث من الطيب ، فيجعل الخبيث بعضه على بعض ، ﴿ فيركمه ﴾ ، أي : يجمعه كله ، وهو جمع الشيء بعضه على بعض ، كما قال تعالى في السحاب : ﴿ ثم يجعله ركاماً ﴾ ، أي : متراكماً متراكباً ، ﴿ فيجعلهم في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ ، أي : هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ
فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى لنبية محمد ﷺ : ﴿ قل للذين كفروا : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ ، أي : عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ، يغفر لهم ما قد سلف ، أي : من كفرهم ، وذنوبهم وخطاياهم ، كما جاء في الصحيح ، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » ^(١٨) .

وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « الإسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما كان قبلها » ^(١٩) .

(١٨) الحديث متفق عليه البخاري (ج ١٢ / ٢٦٥) ومسلم (ج ١ / ١١١) ورواه ابن ماجه (ج ٢ / ١٤١٧) .

(١٩) الحديث عند مسلم (ج ١ / ١١٢) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَعْزِدُوا ﴾ ، أي : يستمروا على ما هم فيه ، ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، أي : فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعالجهم بالعذاب والعقوبة .

قال مجاهد في قوله : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، أي : في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم ، وقال السدي ومحمد بن إسحاق أي : يوم بدر .

وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ .

قال البخاري : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن يحيى ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رجلاً جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ... ﴾ الآية ، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخي ، أعير بهذه الآية ولا أقاتل ، أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ... ﴾ إلى آخر الآية - قال : فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ ؟ قال ابن عمر : قد فعلنا على عهد النبي ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً ، وكان الرجل يفتن في دينه : إما أن يقتلوه ، وإما أن يوثقوه ، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر : ما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه ، وكرهتم أن يعفو عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه - وأشار بيده - وهذه ابنته - أو : بنته - حيث ترون .

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا بيان أن وبرة حدثه قال : حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا - أو : إلينا - ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال [رجل] : كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد ﷺ يقابل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك .

هذا كله سياق البخاري رحمه الله (٢٠) .

وقال عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس قد صنعوا ما ترى ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول الله ﷺ ، فما يمنعك أن تخرج ؟ قال : يمنعني أن الله حرم على دم أخي المسلم . قالوا : أو لم يقل الله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ، قال : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله . وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير الله .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد الله اللخمي قال : كنت

عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فأتاه رجل فقال : إن الله يقول : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ، فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير الله . رواها ابن مردويه .

وقال أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال ذو البطين - يعني أسامة بن زيد - لا أقاتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً ، قال : [فقال سعد بن مالك : وأنا والله لا أقاتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً] ، فقال رجل : ألم يقل الله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ؟ ، فقالا : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله . رواه ابن مردويه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ، يعني : لا يكون شرك . وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم .

وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا : ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : حتى لا يفتن مسلم عن دينه .

وقوله : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ، قال الضحاك ، عن ابن عباس في هذه الآية . قال : يخلص التوحيد لله .

وقال الحسن وقتادة ، وابن جريج : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ : أن يقال : لا إله إلا الله . وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصاً لله ، ليس فيه شرك ، ويخلص ما دونه من الأنداد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ، لا يكون مع دينكم كفر .

ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » ^(٢١) وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل ^(٢٢) (٢١) جاء هذا الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وحديثه عند البخاري (ج ١/٧٥) ومسلم (ج ١/٥٣) .

وأبو هريرة وحديثه عند البخاري (ج ٣/٢٦٢) ومسلم (ج ١/٥٢) والترمذي (ج ٥/٣) . وجابر بن عبد الله وحديثه عند مسلم (ج ١/٥٣) والترمذي (ج ٥/٤٣٩) إلى غير ذلك .

شجاعة ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله عز وجل »^(٢٢) .

وقوله : ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا ﴾ ، [أي : بقتالكم عما هم فيه من الكفر ، فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم] ، ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرَةً ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وفي الآية الأخرى : ﴿ فَأَخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ .
وقال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة - لما علا ذلك الرجل بالسيف ، فقال : لا إله إلا الله ، فضربه فقتله ، فذكر ذلك لرسول الله - فقال لأسامة - : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » قال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً . قال : « هلا شققت عن قلبه ؟ » وجعل يقول ويكرر عليه : « من لك بـ لا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » قال أسامة : حتى تمت أي لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم^(٢٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ ، أي : وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم ، ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ : سيدكم وناصركم على أعدائكم ، فنعم المولى ونعم النصير .

وقال محمد بن جرير : حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أبان العطار ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . كان من شأن مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، أن الله أعطاه النبوة ، فنعم النبي ، ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه الله خيراً ، وعرفنا وجهه في الجنة ، وأحياناً على ملته ، وأمانتنا عليها ، وبعثنا عليها ، وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه ، وكادوا يسمعون منه ، حتى ذكر طواغيتهم . وقدم ناس من الطوائف من قريش ، لهم أموال ، أنكر ذلك عليه الناس واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس ، فتركوه إلا من

(٢٢) الحديث رواه البخاري (ج ٢٧/٦ - ٢٨) ومسلم (ج ١٥١٣/٣) وأبو داود (ج ٣١/٣) والترمذي (ج ١٧٩/٤) والنسائي (ج ٢٣/٦) وابن ماجه (ج ٩٣١/٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢٣) الحديث متفق عليه البخاري (ج ٥١٧/٧) ومسلم (ج ٩٦/١) ورواه أبو داود (ج ١٠٢/٣ - ١٠٣) وأحمد (ج ٢٠٧/٥) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

حفظه الله منهم ، وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رعوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتن من افتن ، وعصم الله من شاء منهم . فلما فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة . وكان بالحبشة ملك صالح يقال له « النجاشي » ، لا يظلم أحد بأرضه ، وكان يشني عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يتجرون فيها ، وكانت مسكناً لتجارهم ، يجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمنأ ومتجراً حسناً . فأمرهم النبي ﷺ ، فذهب إليهم عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن . ومكث هو فلم يرح ، فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم . ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيها رجال من أشrafهم ومنعتهم . فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه . وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قبل أرض الحبشة مخافتها ، وفراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال . فلما استرخى عنهم ودخل [في] الإسلام من دخل منهم ، تحدث باسترخائهم عنهم . فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قد استرخى عن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون . فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها . وجعلوا يزدادون ويكثرون . وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة . فلما رأت قريش ذلك تأمرت على أن يفتنوهم ويشتدوا ، فأخذوهم ، فحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، فكانت الفتنة الأخيرة ، فكانت فتنتان : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم النبي ﷺ بها ، وأذن لهم في الخروج إليها - وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتهم من أهل المدينة . ثم إنه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نقيباً ، رعوس الذين أسلموا ، فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم على أنا منك وأنت منا ، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه ، وخرج هو ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ .

ثم رواه^(٢٤) عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير أنه كتب إلى الوليد - يعني ابن عبد الملك بن مروان - بهذا ، فذكر مثله . وهذا صحيح إلى عروة رحمه الله .

(٢٤) يعني ابن جرير (ج ١٣ / ٥٣٩ - ٥٤٢) والحمد لله أولاً وأخيراً سبحانه ربنا لا إله غيره ولا رب سواه نستغفره وتوب إليه .

✱ فهرس ✱

○ المجلد الثالث من ○

● تفسير الحافظ ابن كثير ●

صفحة	صفحة
٢٣ ما جاء في تحريم الدم .	٥ مقدمة الشيخ أبي عبد الرحمن مقل بن هادي الوادعي .
٢٤ ما جاء في تحريم لحم الخنزير .	٧ مقدمة المحققين .
٢٥ ما جاء في تحريم ما ذبح لغير الله .	١٠ سورة المائدة :
٢٦ تعريف المنخقة والموقوذة والمتردية .. إلخ .	١٠ بعض الأحاديث في نزولها .
٣٦ نعمة الله تعالى على عباده حيث أكمل تعالى لهم دينهم .	١١ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .
٣٧ تجاوز الله تعالى عمن أكل شيئاً من المحرمات إذا كان ذلك اضطراراً .	١٢ الأدب عند سماع النداء في القرآن ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ .
٤٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ يستلونك ماذا أحل لهم ... إن الله سريع الحساب ﴾ .	١٣ التأكيد على الوفاء بالعقود .
٤٣ حل الأكل مما صيد بالجوارح المعللة .	١٤ ما أحل الله وما حرم من بهيمة الأنعام في الحل والحرم .
٤٦ ذكر الآثار في صيد الكلب المعلم .	١٧ عدم جواز قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام أو استحلالهم وصددهم .
٥٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .	٢٠ أمر الله بالتعاون على البر والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان .
٥٥ حل نكاح المحصنات من أهل الكتاب .	٢٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة فإن الله غفور رحيم ﴾ .
٥٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ... لعلكم تشكرون ﴾ .	

يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم
الفاسين ﴿٩٦﴾ .

٩٦ تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل
على الجهاد ودخول بيت المقدس ، وما
كان منهم من التقاعس .

١٠١ ما عاقب الله به بني إسرائيل على معصيتهم
لموسى بالدخول إلى الأرض المقدسة .

١٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ
ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من
أحدهما ولم يتقبل من الآخر فأصبح
من النادمين ﴾ .

١٠٥ ذكر أقوال المفسرين في ذلك .

١١٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ من أجل ذلك
كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل
نفساً فاعلموا أن الله غفور
رحيم ﴾ .

١١٩ بيان معنى محاربة الله ورسوله والإفساد
في الأرض وجزاء ذلك . وبيان سبب
نزول آية المحاربة .

١٢٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ولهم
عذاب مقيم ﴾ .

١٣٠ تعريف الوسيلة - وما جاء في سؤال الله
عز وجل الوسيلة لنبه عليه ﷺ .

١٣٣ خلود الكفار في النار والعذاب فلا
يخرجون من النار أبداً .

١٣٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما والله على كل شيء
قدير ﴾ .

٥٨ متى يجب الوضوء ؟ وما صفته ؟ وواجباته
ومستحباته ؟

٧٠ ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين
وأنه لا بد منه .

٧٨ بعض الأحاديث في فضل الوضوء .

٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ﴾ .

٨٢ أمر الله تعالى بالعدل مع كل أحد ، صديقاً
كان أو عدواً ، وأنه أقرب للتقوى .

٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق
بني إسرائيل ... وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون ﴾ .

٨٧ ما أحل الله من العقوبة ببني إسرائيل عند
مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده .

٨٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا ويهديهم إلى صراط
مستقيم ﴾ .

٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا
إن الله هو المسيح ابن مريم ... وإليه
المصير ﴾ .

٩٠ رد الله تعالى على اليهود والنصارى في كذبهم
وافترائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .

٩١ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من
الرسول ... والله على كل شيء قدير ﴾ .

٩٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل
فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ... أربعين سنة

- ١٣٥ مقدار ما تقطع اليد بسرقة .
- ١٤٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .
- ١٤٣ سبب نزول الآيات - والأحاديث التي وردت في ذلك .
- ١٤٧ سبب آخر لنزول هذه الآيات .
- ١٤٨ ما جاء في كفر دون كفر .
- ١٥١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .
- ١٥٢ هل شرع من قبلنا شرع لنا ؟
- ١٥٣ لا يقتل مسلم بكافر . ومتى يترك القصاص ؟
- ١٥٤ قاعدة مهمة في القصاص في الجراح .
- ١٥٥ مسألة في اقتصاص الجاني عليه من الجاني ، فمات من القصاص .
- ١٥٥ فضل من تصدق على الجاني وعفا عنه .
- ١٥٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .
- ١٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .
- ١٦٠ بيان معنى هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب .
- ١٦١ بيان معنى الشريعة والمنهاج .
- ١٦٣ ما هو حكم الجاهلية ؟
- ١٦٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ .
- ١٦٦ من علامات النفاق موالاة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار .
- ١٦٦ ما جاء في سبب نزولها .
- ١٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ .
- ١٦٩ ما جاء في نزولها .
- ١٧٢ الولاية لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين .
- ١٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ .
- ١٧٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ .
- ١٨١ التحذير من التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ١٨٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ .
- ١٨٣ إثبات يدين لله تبارك وتعالى ، مبسوطتين بالخير بالنعمة ، والرد على اليهود .
- ١٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ

باللغو في أيمانكم كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴿

٢١٤ اليمين اللغو واليمين المعقودة وكفارة اليمين .

٢٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ...

والله يحب المحسنين ﴿

٢٢٢ ذكر الأحاديث الواردة في تحريم الخمر .

٢٣٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

ليبلونكم الله بشيء من الصيد والله

عزيز ذو انتقام ﴿

٢٤١ ذكر أقوال السلف في هذا المقام .

٢٤٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ أحل لكم صيد

البحر ... والله يعلم ما تبدون وما

تكتُمون ﴿

٢٤٨ تحريم صيد البر للمحرم .

٢٥١ الخلاف في صفة الصيد الذي حرمه الله

تعالى على المحرم .

٢٥٢ أقوال السلف من تفسير قوله تعالى :

﴿ قياماً للناس ﴾ .

٢٥٣ ليس على الرسول إلا أداء الرسالة لقطع

الحجة .

٢٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لا يستوي

الحيث والطيب ثم أصبحوا بها

كافرين ﴿

٢٥٤ النهي عن السؤال عما لا فائدة من ورائه ،

وبسط أقوال السلف في ذلك .

٢٦٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من

بحيرة ولا يهتدون ﴾ .

ما أنزل إليك من ربك ... إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴿

١٩٠ عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ من إيذاء

الناس .

١٩٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب

لستم على شيء حتى تقيموا التوراة

والإنجيل فلا خوف عليهم ولا هم

يخزنون ﴿

١٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد أخذنا ميثاق

بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً

والله بصير بما يعملون ﴿

١٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين

قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم

ثم انظر أنى يؤفكون ﴿

١٩٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أتعبدون من

دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا

نفعاً وضلوا عن سواء السبيل ﴿

١٩٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا

من بني إسرائيل ... ولكن كثيراً منهم

فاسقون ﴿

٢٠١ بعض الأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر .

٢٠٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس

عداوة للذين آمنوا اليهود والذين

أشركوا ... أولئك أصحاب الجحيم ﴿

٢٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿

٢١٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله

٢٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ويعلم ما تكسبون ﴾ .

٢٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ... وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾ .

٢٩٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ .

٢٩٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لمن ما في السموات والأرض وذلك الفوز المبين ﴾ .

٣٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

٣٠٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ .

٣٠٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .

٣٠٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا أفلا تعقلون ﴾ .

٣٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ثم إليه يرجعون ﴾ .

٣١٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل

٢٦٢ معنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

٢٦٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ... فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

٢٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ... والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

٢٧٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يجمع الله الرسل إنك أنت علام الغيوب ﴾ .

٢٧٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي وأشهد بأننا مسلمون ﴾ .

٢٧٩ معنى وحي الله تعالى إلى الحواريين .

٢٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن أن ينزل علينا مائدة ... لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ .

٢٨٢ ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين .

٢٨٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

٢٩٠ سؤال النبي ﷺ الشفاعة لأمته وأنها لمن لا يشرك بالله شيئاً .

٢٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو على كل شيء قدير ﴾ .

٢٩٤ تفسير سورة الأنعام :

دينهم لعباً وهواً وغرهم الحياة الدنيا ...
بما كانوا يكفرون ﴿ ٣٤٣ ﴾ .

٣٤٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أندعوا من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على
أعقابنا ... وهو الحكيم الخبير ﴾ .
٣٤٦ ذكر حديث الصور .

٣٥٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم
لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ... وما أنا
من المشركين ﴾ .

٣٥٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وحاجه قومه ، قال
أتحاجوني في الله إن ربك حكيم
عليم ﴾ .

٣٦١ تفسير قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق
يعقوب كلاً هدينا ... إن هو إلا
ذكرى للعالمين ﴾ .

٣٦٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق
قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من
شيء وهم على صلاتهم
يحافظون ﴾ .

٣٦٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن
افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم
يوح إليه شيء وضل عنكم ما كنتم
ترعمون ﴾ .

٣٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله فالحق الحب
والنوى قد فصلنا الآيات لقوم
يعلمون ﴾ .

٣٧١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم
من نفس واحدة فمستقر ومستودع
إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

عليه آية من ربه ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم ﴿ ٣١٤ ﴾ .

٣١٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أرءيتم إن
أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله
تدعون والحمد لله رب العالمين ﴾ .

٣١٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أرءيتم إن
أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على
قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به
والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما
كانوا يفسقون ﴾ .

٣١٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم
عندي خزان الله ... فإنه غفور
رحيم ﴾ .

٣٢٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذلك نفصل
الآيات ولتستبين سبل المجرمين
إلا في كتاب مبين ﴾ .

٣٢٥ ما هي مفاتيح الغيب ؟
٣٢٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وهو
أسرع الحاسبين ﴾ .

٣٣٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر انظر كيف
نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ .

٣٣٢ ذكر الأحاديث الواردة في سؤال النبي
ﷺ ربه ثلاثاً ومنعه واحدة منهن .

٣٤١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذب به قومك
وهو الحق ... ولكن ذكرى لعلهم
يتقون ﴾ .

٣٤٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وذو الذين اتخذوا

٣٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مِنْ
فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

٣٩٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِالْمَعْتَدِينَ ﴾ .

٣٩٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ
وِبَاطِنَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ .

٣٩٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

٤٠٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا
فَأُحْيِيَنَاهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

٤٠٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي
كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا بِمَا كَانُوا
يَمْكُرُونَ ﴾ .

٤٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَذَلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ .

٤١٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
مُسْتَقِيمًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

٤١١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ...
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

٤١٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ
الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

٣٧٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجْعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُصِفُونَ ﴾ .

٣٧٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ بِدِيعِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

٣٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
وهو اللطيف الخبير ﴾ .

٣٧٥ أقوال السلف في قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ ﴾ .

٣٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَنَبِيْنَهُمْ لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٣٨٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ .

٣٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ .

٣٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ لَنْ
جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا ... وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴾ .

٣٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةَ ... وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ .

٣٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ .

٣٩١ تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَيْتِ
حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ
مَفْصَلًا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴿٤٣٦﴾ .

٤٣٦ تفسير قوله تعالى : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ... وهم بربهم يعدلون﴾ .

٤٣٨ تفسير قوله تعالى : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم لعلكم تعقلون﴾ .

٤٤٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن... لعلكم تذكرون﴾ .

٤٤٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه لعلكم تتقون﴾ .

٤٤٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن لعلكم ترحمون﴾ .

٤٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة قل انتظروا إنا منتظرون﴾ .

٤٦١ تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء بما كانوا يفعلون﴾ .

٤٦٣ تفسير قوله تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ... وهم لا يظلمون﴾ .

٤٦٦ تفسير قوله تعالى : ﴿قل إني هداي ربي إلى صراط مستقيم ... وأنا أول المسلمين﴾ .

٤٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ .

٤٧١ تفسير قوله تعالى : ﴿وهو الذي جعلكم

٤١٤ تفسير قوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم

وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ .
٤١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وربك الغني ذو الرحمة إنه لا يفلح الظالمون﴾ .

٤١٨ تفسير قوله تعالى : ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ساء ما يحكمون﴾ .

٤١٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ... فذرهم وما يفترون﴾ .

٤٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ .

٤٢١ تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا إنه حكيم عليم﴾ .

٤٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ... ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ .

٤٢٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنتين... إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

٤٢٩ تفسير قوله تعالى : ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه فإن ربك غفور رحيم﴾ .

٤٣٢ تفسير قوله تعالى : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر.... وإنا لصادقون﴾ .

٤٣٦ تفسير قوله تعالى : ﴿فإن كذبوك فقل

٤٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

٤٩٧ النهي عن الإسراف .
٥٠٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

٥٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

٥٠٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ .

٥٠٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ... وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

٥٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

٥٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ... وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ .

٥١٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ... قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

٥١١ الأخبار الواردة في شأن أصحاب الأعراف .
٥١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ .

خلائف الأرض وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
٤٧٣ تفسير سورة الأعراف :

٤٧٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكَ مِنْ طِينٍ ... قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴾ .
٤٧٤ ﴿ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ... وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ .

٤٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ... قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ .

٤٧٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ... لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ .

٤٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ .

٤٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ .

٤٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ .

٤٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا لَا مَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

٤٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَقَاسِمَهُمَا إِيَّيْ لَكُمْ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ .

٤٨٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ... وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

٤٨٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَمِنْهَا يُخْرِجُونَ ﴾ .

٤٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ... لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ .

- الناصحين ﴿ ٥١٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ .
- ٥١٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد جتاهم بكتاب فصلناه وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ .
- ٥٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ... تبارك الله رب العالمين ﴾ .
- ٥٢٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ .
- ٥٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ .
- ٥٢٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً ... وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ .
- ٥٢٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم ... إنهم كانوا قوماً عمين ﴾ .
- ٥٢٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ .
- ٥٣٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا اجثسا لعبد الله وحده وما كانوا مؤمنين ﴾ .
- ٥٣٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ... فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ .
- ٥٣٧ ما ذكره العلماء في سبب قتل الناقة .
- ٥٣٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم ... لا تحبون
- الناصحين ﴾ .
- ٥٤٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ... بل أنتم قوم مسرفون ﴾ .
- ٤٥١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما كان جواب قومه إنهم أناس يتطهرون ﴾ .
- ٥٤٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ .
- ٥٤٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ذلكم خير لكم إن كنت مؤمنين ﴾ .
- ٥٤٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وهو خير الحاكمين ﴾ .
- ٥٤٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ... وأنت خير الفاتحين ﴾ .
- ٥٤٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً ... كانوا هم الخاسرين ﴾ .
- ٥٤٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ فتولى عنهم ... فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ .
- ٥٤٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء فأخذناهم بغتة ولا هم يشعرون ﴾ .
- ٥٤٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .
- ٥٤٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ ألو لم يهد للذين يرثون الأرض فهم لا يسمعون ﴾ .

- ٥٦٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا.... إذا هم ينكثون ﴾ .
- ٥٦٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم وما كانوا يعرفون ﴾ .
- ٥٦٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .
- ٥٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أغير الله أبيكم إلهاً وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ .
- ٥٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ .
- ٥٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وأنا أول المؤمنين ﴾ .
- ٥٧٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس سأوريك دار الفاسقين ﴾ .
- ٥٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ... هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ .
- ٥٧٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخذ قوم موسى من حلهم عجلًا جسدًا... قالوا لئن لم يرحنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ .
- ٥٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ .
- ٥٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ .
- ٥٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح ... لربهم يرهبون ﴾ .

- ٥٤٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ .
- ٥٥١ تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا فانظر كيف كان عقبة المفسدين ﴾ .
- ٥٥١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين فأت بها إن كنت من الصادقين ﴾ .
- ٥٥٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ فألقى عصاه بيضاء للناظرين ﴾ .
- ٥٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال الملأ من قوم فرعون فماذا تأمرون ﴾ .
- ٥٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه... يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ .
- ٥٥٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وجاء السحرة فرعون إنكم لمن المقربين ﴾ .
- ٥٥٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أن نلقي وجاءوا بسحر عظيم ﴾ .
- ٥٥٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ .
- ٥٥٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فرعون آمنم به قبل أن آذن لكم وتوفنا مسلمين ﴾ .
- ٥٥٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أئذّر موسى فينظر كيف تعملون ﴾ .
- ٥٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد آخذنا آل فرعون بالسنين ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

٥٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا إنا هدنا إليك ﴾ .

٥٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ... والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ .

٥٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي أولئك هم المفلحون ﴾ .

٥٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً لعلمكم تهتدون ﴾ .

٥٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ .

٥٩٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً ... بما كانوا يظلمون ﴾ .

٥٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ واسألهم عن القرية كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ .

٥٩٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم خاسئين ﴾ .

٦٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربك ليعتثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم وإنه لغفور رحيم ﴾ .

٦٠٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ وقطعناهم في الأرض أمماً إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ .

٦٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ... لعلمكم تتقون ﴾ .

٦٠٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ... وكذلك

نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ﴾ .

٦١٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ .

٦١٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

٦١٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها أولئك هم الغافلون ﴾ .

٦٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى... سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ .

٦٢٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ .

٦٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم... إن كيدي متين ﴾ .

٦٢٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا..... نذير مبين ﴾ .

٦٢٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ أو لم ينظروا فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ .

٦٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ من يضل الله فلا هادي له يعمهون ﴾ .

٦٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يستلونك عن الساعة أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

٦٢٦ ما ورد في شأن الساعة وأنه لا يعلمها إلا الله تعالى .

٦٣١ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله لقوم يؤمنون ﴾ .

٦٣٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم

من نفس واحدة فتعالى الله عما يشركون ﴿٦٣٧﴾ .

٦٣٧ تفسير قوله تعالى : ﴿أشركون ما لا يخلق شيئاً وهو يخلقون وتراهم ينظرون إليك وهم لا يصرون﴾ .

٦٣٩ تفسير قوله تعالى : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف إنه سميع عليم﴾ .

٦٤٣ تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ثم لا يقصرون﴾ .

٦٤٥ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتها وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ .

٦٤٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ .
٦٥٠ تفسير قوله تعالى : ﴿واذكر ربك في نفسك ويسبحونه وله يسجدون﴾ .

٦٥٣ تفسير سورة الأنفال :

٦٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿يسئلونك عن الأنفال إن كنتم مؤمنين﴾ .

٦٥٦ سبب آخر في نزول الآية .

٦٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ .

٦٦٣ تفسير قوله تعالى : ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ولو كره المجرمون﴾ .

٦٦٤ ذكر خروج النبي ﷺ إلى بدر طالباً لعير

أبي سفيان .

٦٦٧ تفسير قوله تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف إن الله عزيز حكيم﴾ .

٦٦٨ دعاء النبي ﷺ ربه يوم بدر ، وإمداده بالملائكة .

٦٧١ تفسير قوله تعالى : ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وأن للكافرين عذاب النار﴾ .

٦٧٤ تثبيت الله تعالى للمؤمنين بالملائكة .

٦٧٥ إلقاء الرعب في قلوب الكافرين .

٦٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ .

٦٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ .

٦٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وأن الله مع المؤمنين﴾ .

٦٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ .

٦٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول وأنه إليه تحشرون﴾ .

٦٨٨ تفسير قوله تعالى : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ .

٦٩٠ التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر .

٦٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنعم

قليل مستضعفون لعلكم

تشكرون ﴾ .

٦٩٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

لا تخونوا الله والرسول وأن الله

عنده أجر عظيم ﴾ .

٦٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً

والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

٦٩٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ واذ يكر بك الذين

كفروا ليشتبك والله خير

الماكرين ﴾ .

٦٩٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم

آياتنا قالوا قد سمعنا وما كان الله

معذبهم وهم يستغفرون ﴾ .

٧٠٢ فضل الاستغفار .

٧٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما لهم ألا

يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد

الحرام فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون ﴾ .

٧٠٦ المراد بالمكاء والتصدية .

٧٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا

ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ...

أولئك هم الخاسرون ﴾ .

٧٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا

إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

نعم المولى ونعم النصير ﴾ .

٧١٠ ما ورد في المراد بقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة ويكون الدين

كله لله ﴾ .

